

حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة

د. جميل عبد الله محمد المصري
أستاذ مساعد بالجامعة الإسلامية
المدينة المنورة - كلية الدعوة وأصول الدين

الجزء الأول

العاقل من يستعرض ماضيه ويتطلع إلى غده

بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمـــــة

الحمـد لله، نحمـده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونؤمن به، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى اخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى صحابته الأولين من المهاجرين والأنصار الذين اتبعوه بإحسان إلى يوم الدين. . . وبعد :

إن مادة حاضـر العـالم الإسـلامى من أعظم المـواد خطـراً، لاتسـاعهـا وشمـولهـا، ولتشـابـك مشاكل وقضايا العالم الإسلامى واختلاطها ببعضها من جهـة وبـالمشـاكـل العـالميـة وقضـاياه من جهة أخرى، بالاضافة إلى كون هذه المشـاكـل مرتبطـة بجـذور ممتدة إلى عصور طويلة ذات ارتباط بجذور المشاكل الغربية الأوربية المعقدة .

ونحن في زمن تقـاربت فيـه المسـافـات واتصلت المجتمعـات وتشابكت المصـالـح لسهـولـة المـواصـلات وتـوافـر وسـائـل الاعلام من صحافة ومذياع وتلفـزيـون وسينـما واتصـالات سلكية ولاسلكية وأقمار صناعية، ومعظم واقع العـالم الإسـلامى اليوم منفصل عن ماضيه وعن مبادئه وعقائده، فيحسّ المسلم بغـربـة وضيـاع وتمـزق بين عقيـدة يعتنقهـا ويؤمن بها وبـين واقـع مغـاير لهذه العقيـدة، تتجـاذبـه العقيدة والواقع، فيقف على مفترق طرق، إما أن ينحرف مع الـواقـع ويتخلى عن عقيـدته فيتيه مع التائهين، أو يختار العزلة والغربة عن واقعه فيصبح خطراً على نفسه وعلى أمته ودينه ومجتمعه أو أن يدع الأمور تجري على اعنتهـا مكتفيـا بنفسـه متخذاً موقفاً سلبيا تجاه قضايا أمته وقضايا الإنسانية عامة، بل وينظر إليها نظرة الكراهية والحقد .

ونحن لا نريـد للداعيـة المسلم أن يكـون أحد هؤلاء، فللداعية شروط ينبغي توافرها منها ثقافته، ومنها علمه، ومنها لباقته، ومنها نهجه، وأهمها إيمانه بدعوته وقضيته التي يدافع عنها ويسعى إلى نشرها، فنريد من الداعية أن يكون

مسلماً واعيـاً يخالـط الناس ويصبر على أذاهم، ويؤثر، يدعو إلى دينه بالحكمة والمـوعظـة الحسنـة وأن يكـون قدوة حسنـة بتطبيقه مبادىء الإسلام على نفسه أولاً، وأن يكــون الطبيب البــارع المتمكن من طبــه العــالم بأمـراض النـاس وادوائهـا، الشفيق على الإنسـانيـة . . . لا تضـيره صفعـة مريض أو شتيمته أو كراهيـة رائحتـه، يقف على أبـواب جهنم يمنع الناس أن يكبوا أنفسهم فيها، نعم، نريـده كذلـك في وقت تكـالبت فيـه عنـاصـر الشـر والفتنـة على العـالم الإسلامى وعلى الإسلام، في هجمة شرسة، مصداقاً لقوله ﷺ :

«يـوشـك الأمم أن تداعى عليكم، كما تداعى الأكلة إلى قصعتهـا. قال قائــل : أو من قلة نحن يومئـــذ يارسـول الله ؟. قال : بل أنتم يومئـذٍ كثـير، ولكنكم غثـاء كغثـاء السيـل، ولينـزعنّ الله من صدور عدوكم المهـابـة منكم، وليقذفنّ في قلوبكم الوهن .

فقال قائل : وما الوهن ؟.

قال : حب الدنيا وكراهية الموت»[1].

فمادة حاضـر العـالم الإسـلامى تهدف إلى الإسهـام في تكـوين الـداعيـة المسلم بأن يتعـرف على عالمـه الإسـلامى الكبـير، وقضـايا المسلمين وأدوائها، وعلى ثروات العــالم الإسـلامى وكيفيـة استغـلالهـا، وحمـايتهـا من الأطـماع، واستثـمارهـا وتسخيرها فيما أمر الله من نفع الناس، وعلى التحديات التي تواجه الحياة الإسلامية في المجتمعات الإسلامية المعاصرة وكيفية تذليلها، إلى أن يأذن الله، والله غالب على أمره .

---

(١) رواه الإمام أحمد عن ثوبان، وهو عند أبي داود أيضا عن ثوبان ـ كتاب الملاحم ـ الباب الخامس: تداعى الأمم على الإسلام ـ ج٢ ص٤٤٦. وانظر فقه أبي داود رحمه الله في تخصيص التداعي بالإسلام.

ولا يمكن لفرد واحد أن يفي هذه المادة حقها من البحث، ولكنى سأبذل جهدي في سدّ فراغ للدعاة وجدته مستمداً العون من الله سبحانه وتعالى، عسى أن يجد الدعاة - الذين هم على وشك التخرج من الجامعة الإسلامية العتيدة والانطلاق إلى بلادهم الإسلامية للدعوة والعمل المجدي الجدّي المستمر إن شاء الله - ما يسعفهم ويعينهم في عملهم .

فإن وفقت وذلك ما أرجوه، فهو الفضل من الله، وإن قصّرت فحسبي أنني أبذل جهدي، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، والله هو الهادي إلى سواء السبيل .

د . جميل عبد الله المصرى

تمهيـــــد

أولاً : الأمة الإسلامية والعالم الإسلامي :

جعـل الإسـلام من المسلمـين أمـة خاصـة من دون النـاس، أمة متميّزة ليست كغـيرهـا من الأمم، ذات شخصية مختلفة تمام الاختلاف عن الشخصية التي عرفهـا العـالم قبلهـا من خلال مفهـوم التفسيرات المنحرفة إلى العنصرية أو التعـدد أوعزل الأخـلاق عن الشـريعة أو العقيدة عن الأخلاق، وذلك أن نظرة الإسلام المتكاملة للكون والحياة والمجتمع أثرت تأثيراً بعيداً في مفاهيم الحضارة والنظم والمناهج قال تعالى :

﴿**إن هذه أمتكم أمة واحدة، وأنا ربكم فاعبدون**﴾[1].

وقـد وصف الله سبحـانه وتعالى هذه الأمة بأنها خير الأمم : ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾[2].

فوضـع سبحـانـه وتعـالى بذلـك مواصفات هذه الأمة : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكـر والإيـمان بالله. فظـل الفكـر الإسـلامى انطـلاقـاً من طبيعته ومضمـونـه القـائم على التـوحيـد الخالص يواجه النظريات ويدلي برأيه فيها ولا يتـوقف عن النظـر المنصف ولا يتقبـل كل شيء، وهـو بسـماحـه وانفتـاحه على الثقـافـات والفكـر العالمي قادر على عملية الأخذ والعطاء على قاعدته ودون أن يخرج عن مقوماته، وقد حفظ الإسلام من الانهيار والتفكك بقاء القرآن الكريم بعيداً عن كل الأخطار سليماً لم يمسه سوء مصداقاً لقوله سبحانه :

﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾[3]، وبقيت السنة النبوية هادية للمسلمـين بعـد أن أسلمنـا إياها اسلافنا نقية تنير للمسلمين الدرب. وكذلك العلماء الذين يهتدون بالقرآن والسنة الذين لم يخلُ منهم زمن.

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٩٤.

(٢) سورة آل عمران الآية ١١٠.

(٣) سورة الحجر الآية ٩.

وقد تحدّد وضع الناس في أمة الإسلام على النحو التالي :

١ ـ إن هذه الأمـة تجمـع شمل كل المسلمين بلا استثناء ممن عاش داخل العالم الإسلامي أو خارجه .

٢ ـ إن هذه الأمة موجودة بالفعل سواء تجمعت أوصالها في دولة واحدة أو في مجموعة من الدول .

٣ ـ إن هذه الأمة تفتح صدرها لمن لم يكن مسلماً ويعيش مرتبطاً في المكان ومشاركاً في مسئوليات الحياة مع الأغلبية الإسلامية .

وعلى هذا كان وصف الأمة الإسلامية بأمة الوسط :

قال تعالى : ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطا**﴾(١) .

والوسط هو الخيرية في كل شيء والاعتدال في كل شيء ، وعدم الإفراط والتفريط والغلو والتقصير ، وعدم الاقتصار على ناحية والتقصير في ناحية مما فيه خير دين ودنيا .

الروابط التي تجمع أفراد الأمة الإسلامية :

وحّد الإسلام بين المسلمين على اختلاف عناصرهم وأجناسهم وبيئاتهم ولغاتهم وألوانهم وأوطانهم ، وأقام هذه الوحدة على أسس بيّنة وقواعد راسخة لا يتسرب إليها الضعف ولا يتسلل إلى بنيتها التفسخ والانحلال .

قال ﷺ : «المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص ، يشدّ بعضه بعضاً»(٢) .

وقـد وكّـل إلى المسلمـين رسـالـة واضحة مشرقة قوية لا يعرف العالم ولن يعرف رسالة أعدل منها ولا أفضل ولا أيمن للبشرية ، هذه الرسالة : الدعوة إلى الله وحـده ومـا ينبنى على التـوحيد من واجبات . فقامت الرابطة بين أبناء الأمة الإسـلاميـة على **أسـاس العقيـدة** الإسلامية أساس الدين الإسلامي الذي هو فطرة الإنسان ففيه :

---

(١) سورة البقرة الآية ١٤٣ .

(٢) البخاري ـ صلاة ٨٨ ، مظالم (٥) . مسلم (برّ ٦٥) . الترمذي برّ ١٨ / . النسائي زكاة ٦٧ .

١ ـ **توحيد الإله** : الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

٢ ـ **التوجه نحو كعبة واحدة في الصلاة** : فحيثما يكون المسلم يتوجه إلى البيت الحرام في مكة ، مما يحقق وحدة الهدف ، ويعود المسلمين الاتجاه الخالص الذي لا تشتته أهداف جانبية ولا تتنازعه غايات دنيوية تزول .

٣ ـ **وحدة الكتاب ـ القرآن الكريم** : الذي يقوم عليه التشريع وتؤخذ منه الأحكام في مختلف شئون الحياة التعبدية والسياسية والإقتصادية والاجتماعية والتربوية والعسكرية ، مما يحقق وحدة الفكر ووحدة الثقافة ووحدة الاتجاه ، وهي من الأسس الهامة التي لا تقوم لأمة بغيرها قائمة .

٤ ـ **وحدة الحج إلى بيت الله الحرام** : والحج هذا يوحد بين المسلمين مما دفع بعض المستشرقين إلى أن يقول :(١)

«إن الوحدة الإسلامية إنما هي قائمة على ركنين أساساً ولا ثالث لهما ، الحج إلى بيت الله الحرام في مكة المكرمة ، والخلافة . وقد غلب على رأى الكثيرين من رجال الغرب وهم في هذا الموضوع ، فهم ما برحوا يخالون الخلافة لا الحج العامل الأكبر والأشدّ الذي بسببه يتشارك المسلمون ميولاً وعواطف تشاركاً مؤدياً إلى اعتزاز الوحدة وازدياد منعتها وامتدادها وانتشارها ، على أن هذا لمن الوهم الصرف ، فالأمر حقاً على الضدّ منه . . . فالمقاصد والأغراض السياسية التي ينالها المسلمون على يد الحج الممهد لها السبيل إنما هي معلومة لا تحتاج إلى كبير إيضاح . بل يكفي أن نقول : إنما الحج هو المؤتمر الإسلامي السنوي العام . . . وفي هذا المؤتمر العظيم كانت قلوب قادة اليقظة الإسلامية وابطالها كمحمد بن عبد الوهاب ومحمد بن السنوسي وجمال الدين الأفغاني تشعر بجلالة الواجب الإسلامي المقدس وتتّقد من خطورة المشهد وروع المحفل غيرة على الإسلام والمسلمين» .

---

(١) لوثروب ستودوارد في كتابه ـ حاضر العالم الإسلامي ـ ج١ ص٢٨٩ .

٥ ـ وحدة اللغـــة : وهي اللغة العربية التي اختارها الله سبحانه لتكون لغـة القـرآن الكـريم وحث نبيـه النـاس على تعلمهـا والتكلم بها لمعرفة أحكام الإسـلام وتفهم تشـريعـاتـه ، فاللغة العربية ليست للعرب وإنما هي للمسلمين كافـة ، وهي وسيلة التفـاهم بين المسلمـين ووسيلة التعـاون والوعاء الذي يحفظ تراث الإسلام وينقله .

وقـد حفـظ القـرآن هذه اللغـة وصانها الإسلام ونشرتها دعوة التوحيد بين الأمم في أقطـار المعمـورة ، ولـولا المؤمـرات والهجـمات الشـرسـة التي قادهـا المستعمرون والشعوبيون على هذه اللغة لما وجد مع العربية في أقطار شبه القارة الهندية واندونيسيا وماليزيا وافريقية لغة أخرى تضارعها انتشاراً .

٦ ـ التـاريـخ المشـترك لأمـة الإسـلام : الـذي ينتـج عنـه وحدة الآمال والآلام ، ويجعـل من المسلمـين أمة واحدة يحسّ كل فرد منهم بإحساس الآخر في السراء والضراء ، فكل مسلم يتجه إلى الآخر في مشاركته الوجدانية في مواقع بدر والفتـح وتبـوك واليرموك والقادسية وحطين وعين جالوت وبلاط الشهداء ، ونكبة المسلمـين في الأنـدلس ، وفي فلسطـين ، ووضـع المسلمـين في الاتحاد السوفييتي واريتريا والفلبيين وفطاني وأفغانستان والهند وكشمير وأثيوبيا .

٧ ـ وحدة النبوة والرسالة : قال تعالى : ﴿**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربـه والمؤمنـون كلّ آمن بالله ومـلائكتـه وكتبـه ورسله ، لا نفـرّق بين أحـد من رسله ، وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير**﴾[1] .

ومن ذلـك تنتـج وحـدة القيم والتقـاليـد والعـادات بين أبناء المسلمين في مختلف أقطـارهم ، فأنى توجهت في ارجـاء هذا العالم الإسلامي الواسع تجد بين المسلمـين قيم صلة الـرحم ، وحق الجـار ، والحشمـة والوقار ونبذ المنكرات وأكل الطيبـات ، واعـراف الأسرة وآداب المعاملات واحدة ، حتى أنك لا تجد غربة أو تنـافـراً حين يضمّـك جمع من المسلمين الواعين على الإسلام ولو كانوا من أقطار

(١) سورة البقرة الآية ٢٨٥ .

شتى، لأن الإسلام وحد قيمهم وتقاليدهم وفق أحكام القرآن الكريم ومفاهيم السنة الشريفة. قال تعالى :

﴿وألف بين قلوبهم، لو انفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم، ولكن الله ألف بينهم، إن الله عزيز حكيم﴾(١).

وقال ﷺ :

«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»(٢).

هذا ولم يهمل الإسلام غير المسلمين في المجتمع الإسلامي فدعاهم أهل الذمة، لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، وقد حدّد علاقات المسلمين بهم على أسمى ما عرفت البشرية من علاقات تجاوزت حدّ الإنصاف إلى آفاق البر والرحمة «يقاتل دونهم ويحميهم ويعينهم»(٣).

وفي ضوء مفهوم الأمة نجد أن الإسلام يقيم من أهله أمة كاملة على أوفق وأكمل ما يكون نظام الأمم.

ومفهوم الأمة الإسلامية أكثر شمولا من مفهوم العالم الإسلامي فهو يتسع حتى يشمل المسلمين جميعاً في جميع أركان العالم وأقطاره. فالدعوة الإسلامية دعوة عالمية لا تقتصر على شعب معين أو بلاد معينة، فكل أرض تصلح للإسلام ولدعوته ولمبادئه مهما كانت طبيعتها ومهما كان جنس سكانها ولونهم ولغتهم. قال تعالى :

﴿إنا ارسلناك للناس كافة بشيراً ونذيراً﴾(٤).

وأما ما يطلق عليه العالم الإسلامي اليوم :

---

(١) سورة الأنفال الآية ٦٣.

(٢) متفق عليه. (البخاري - أدب ٢٧، مسلم بر ٦٦/٦٧).

(٣) أنظر الأم للإمام الشافعي ج٤ ص١٨٦ وص٢٢٠.

(٤) سورة سبأ الآية ٢٨.

فهو تلك الرقعة من الأرض التي تكاد تكون متصلة دونها حواجز أو فواصل في العالم القديم (آسيا وافريقيا وأوربا) من إيريان الغربية شرقاً في أندونيسيا إلى جزر الرأس الأخضر مقابل السنغال في المحيط الأطلسي غرباً، ومن جبال الآرال وسيبريا شمالاً إلى موزمبيق جنوباً، فهو على ذلك مفهوم جغرافي يشمل البلدان التي تسكنها أكثرية مسلمة أو كانت تخضع للمسلمين سابقاً أو كانت ذات أغلبية مسلمة[1].

وإليك بيان بأسماء بلدان العالم الإسلامي ومساحة كل بلد وعدد سكانه بما فيهم غير المسلمين حسب تقديرات عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م[2].

---

(١) نظر الإسلام للأرض أي أرض نظرة عالمية، قال تعالى: ﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا، يعبدونني لا يشركون بي شيئا، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون**﴾. (سورة النور الآية ٥٥). وقسم الإسلام الأرض إلى قسمين:

أ) دار الإسلام: وهي الديار التي تسودها شريعة الإسلام وتقام فيها حدوده، وإن كان جل أهلها من غير المسلمين.

ب) دار الحرب: وهي الأرض التي تسود فيها شرائع غير شريعة الله، وإن كان جل أهلها من المسلمين. والواقع أنه ليس في الدنيا اليوم أرض يحكم فيها الإسلام إلا القليل. وبذلك نضطر إلى اللجوء إلى المفهوم الجغرافي ـ العالم الإسلامي.

(٢) ومعلومات هذه الجداول جمعتها من:

أ ـ البلدان الإسلامية والاقليات الإسلامية في العالم المعاصر.

ب ـ الأطلس العام.

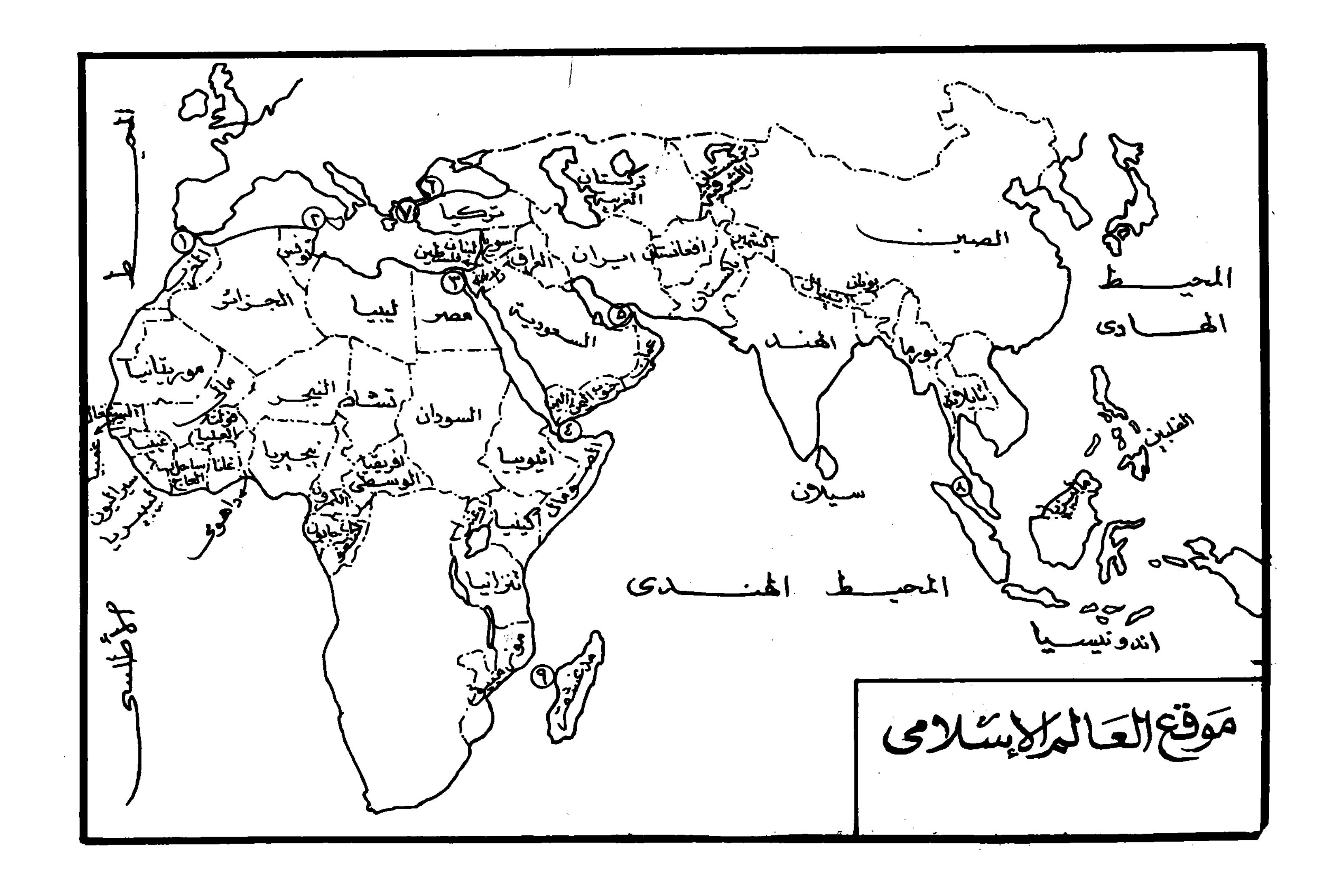
جـ ـ العالم الإسلامي وانشطة رابطته (مع خريطة للعالم الإسلامي ١٥ من ذي القعدة ١٤٠٢هـ. بإدارة المساحة العسكرية ـ وزارة الدفاع والطيران ـ المملكة العربية السعودية ـ الرياض).

د ـ المسلمون في العالم لعبد الرحمن زكي.

هـ ـ سكان العالم الإسلامي ـ محمود شاكر.

و ـ Journal — Institute of Muslim Minority Affairs

ز ـ The Europe year book 1982, 1983


موقع العالم الإسلامي
المحيط الهادى
المحيط الهندى
المحيط الأطلسى
الصين
تركيا
تركستان الغربية
ايران
افغانستان
العراق
سوريا
لبنان
فلسطين
السعودية
مصر
ليبيا
تونس
الجزائر
موريتانيا
النيجر
تشاد
السودان
نيجيريا
افريقيا الوسطى
اثيوبيا
كينيا
تنزانيا
الهند
بورما
تايلاند
سيلان
الفلبين
اندونيسيا
مدغشقر

أولاً : البلدان الإسلامية في افريقية :

م	اسم البلد	المساحة بالكم²	عدد السكان	نسبة المسلمين
١	مصر	١,٠٠١,٤٤٩	٤٨,٠٠٠,٠٠٠[1]	٪٩٤
٢	السودان	٢,٥٠٥,٨١٣	٢١,٠٠٠,٠٠٠	٪٧٩
٣	ليبيا	١,٧٥٩,٥٤٠	٢,٦٢٠,٠٠٠	٪١٠٠
٤	تونس	١٦٤,١٥٠	٦,٥٠٠,٠٠٠	٪٩٦
٥	الجزائر	٢,٣٨١,٧٤١	١٨,٥٠٠,٠٠٠	٪٩٩
٦	المغرب	٤٤٦,٥٥٠	١٩,٠٠٠,٠٠٠	٪٩٩
٧	موريتانيا	١,٠٣٠,٧٠٠	١,٧٥٠,٠٠٠	٪١٠٠
٨	الصومال	٦٤٠,٠٠٠	٣,٥٠٠,٠٠٠	٪١٠٠
٩	جيبوتي	٢٢,٠٠٠	٢٠٠,٠٠٠	٪١٠٠
١٠	السنغال	٢٠١,٠٠٠	٥,٠٨٥,٠٠٠	٪٩٥
١١	جامبيا	١١,٢٩٥	٦٠٠,٠٠٠	٪٨٥
١٢	غينيا	٢٤٥,٨٥٧	٤,٧٠٠,٠٠٠	٪٩٥
١٣	غينيا بيساو	٣٦,١٢٥	٥٠٠,٠٠٠	٪٧٠
١٤	مالي	١,٢٤٠,٧١٠	٦,٣٠٨,٠٠٠	٪٩٠
١٥	فولتا العليا	٢٧٤,٢٠٠	٦,٩٠٨,٠٠٠	٪٦٤
١٦	ساحل العاج	٣٢٢,٤٦٣	٧,٠٠٠,٠٠٠	٪٦٠
١٧	توجو	٥٦,٠٠٠	٢,٤٧٢,٠٠٠	٪٦٠
١٨	داهومي	١١٢,٦١٢	٢,٨٠٠,٠٠٠	٪٦٠
١٩	نيجيريا	٩٢٣,٧٦٨	٦٦,٦٠٠,٠٠٠	٪٦٥

(١) هذا حسب إحصاء عام ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

٢٠	الكاميرون المتحدة	٤٧٥,٤٤٢	٨,٥٠٣,٠٠٠	٦٠٪
٢١	النيجــر	١,٢٦٧,٠٠٠	٤,٩٠٠,٠٠٠	٩٤٪
٢٢	تشــاد	١,٢٨٤و٠٠٠	٤,٢٠٠,٠٠٠	٨٥٪
٢٣	الصحراء المغربية	٢٧١,٣٦٠	١٠٠,٠٠٠	١٠٠٪
٢٤	أثيوبيا واريتريا	١,٢٢١,٩٠٠	[1]٣١,١٠٠,٠٠٠	٦٥٪
٢٥	تنزانيــا	١,٠٠٠,٠٠٠	١٦,٠٠٠,٠٠٠	٦٣٪
٢٦	جزر القمر	٢,٢٣٧	٣٥٠,٠٠٠	٨٠٪
٢٧	ساحل العاج	٣٢٢,٤٦٣	٧,٠٠٠,٠٠٠	٦٠٪
٢٨	سيراليون	٧١,٧٤٠	٣,٤٧٤,٠٠٠	٦٥٪
٢٩	موزمبيق	٨٠١,٥٩٠	١٢,١٣٥,٠٠٠	٥٠٪

(١) فيهـا ارتـيريا وعدد سكانها ثلاثة ملايين ٨٠٪ مسلمون، واوجادين وسكانها ٦,٢٥٠ مليون نسمة ٨٠٪ مسلمون، واما اثيوبيا ففيها ٢١,٧٢٨,٣٠٠ منهم مسلمون ٣٨٪.

ثانيا : البلدان الإسلامية في آسيا :

م	اسم البلد	المساحة بالكم[٢]	عدد السكان	نسبة المسلمين
١	المملكة العربية السعودية	٢,١٤٩,٦٩٠	٩,٥٢٠,٠٠٠	٪١٠٠
٢	اليمن الشمالى	١٩٥,٠٠٠	٧,١٢٠,٠٠٠	٪١٠٠
٣	اليمن الجنوبي	٢٨٧,٦٨٣	١,٩٢٠,٠٠٠	٪١٠٠
٤	عُمـــان	٢٧٢,٠٠٠	١,١٠٠,٠٠٠	٪١٠٠
٥	الإمارات العربية	٨٣,٦٠٠	٦٥٠,٠٠٠	٪١٠٠
٦	قطـــر	١١,٣٠٠	٢٠٠,٠٠٠	٪١٠٠
٧	البحـــرين	٠,٥٩٨	٣٠٠,٠٠٠	٪١٠٠
٨	الكـــويت	١٧,٨١٨	١,١٠٠,٠٠٠	٪١٠٠
٩	العـــراق	٤٣٤,٧٢٤	١١,٥١٠,٠٠٠	٪٩٥
١٠	الأردن	٩٧,٧٤٠	٣,١٢٠,٠٠٠	٪٩٤
١١	فلســطين	٢٧,٠٩٠	(١)٤,٣٠٠,٠٠٠	٪١١
١٢	لبنـــان	١٠,٤٠٠	٣,٥٠٠,٠٠٠	٪٥٤
١٣	ســـوريا	١٨٥,١٨٠	٨,٠٠٠,٠٠٠	٪٨٨
١٤	تركيـــا	٧٧٩,٤٥٢	٤٣,١٤٠,٠٠٠	٪٩٥
١٥	إيـــران	١,٦٤٨,٠٠٠	٣٤,٠٠٠,٠٠٠	٪٩٦
١٦	أفغانستان	٦٤٧,٥٠٠	١٩,٢٨٠,٠٠٠	٪٩٩
١٧	باكستان	٨٠٣,٩٤٣	٧٠,٤٠٠,٠٠٠	٪٩٥
١٨	كشـــمير	٢١٧,٩٣٥	٩,٠٠٠,٠٠٠	٪٩٥
١٩	بنغـــلاديش	١٤٢,٧٧٦	٩٠,٢٦٠,٠٠٠	٪٩٥

(١) منهم ٢,٩ مليون يهودي صهيوني استوطنها كغزاة .

٢٠	جزر المالديف	٥١,٧٨٠	١٤٠,٠٠٠	١٠٠٪
٢١	ماليزيا	٣٢٩,٧٤٧	١١,٩٢٠,٠٠٠	٥٧٪
٢٢	بروناي	٥,٧٧٠	٢٠٠,٠٠٠	٧٦٪
٢٣	أندونيسيا	٢,٠٢٧,٠٨٧	١٤٠,٠٠٠,٠٠٠	٩٤٪
٢٤	اوزبكستان	٤٤٧,٠٠٠	١٣,٦٩٥,٠٠٠	٨٨٪
٢٥	أذربيجان السوفيتية	٨٦,٠٠٠	٥,٧٠٠,٠٠٠	٩٠٪
٢٦	طاجيكستان	٦٣,٧٠٠	٣,٣٨٥,٠٠٠	٨٥٪
٢٧	تركمانستان	٤٨٨,١٠٠	٢,٤٩٥,٠٠٠	٦٦٪
٢٨	قازاخستان	٢,٧١٧,٣٠٠	١٤,١٧٠,٠٠٠	٥٠٪
٢٩	قيرغيزيا	١٩٨,٥٠٠	٣,٢٩٥,٠٠٠	٦٠٪
٣٠	داغستان	٥٠,٣٠٠	١,٥٠٠,٠٠٠	٨٠٪
٣١	قفقاسيا	٣١٤,٣٠٠	١٥,٠٠٠,٠٠٠	٧٥٪
٣٢	تركستان الشرقية (سينكيانغ)	١,٧١٠,٧٤٥	١٢,٠٠٠,٠٠٠	٧٠٪
٣٣	كانسو	٣٦٧,٠٠٠	(١)١٣,٠٠٠,٠٠٠	
٣٤	نينج هسيا	٦٦,٥٠٠	(١)٢,٠٠٠,٠٠٠	
٣٥	يونّان	٤٣٧,٠٠٠	(١)٧,٠٠٠,٠٠٠	

(١) هذا عدد المسلمين فقط، ويزيد العدد كثيراً عن هذا التقدير إذ يخفي المسلمون هناك أنفسهم نتيجة الضغط الشيوعي في الصين على المسلمين.

ثالثا : المسلمون في أوربـا :

م	اسم البلد	المساحة بالكم٢	عدد السكان	نسبة المسلمين
١	البانيـــــا	٢٨,٧٤٨	٢,٥٠٠,٠٠٠	٧٩٪
٢	تركيـــا أوربا	٢٣,٧٦٤	٢,٥٠٠,٠٠٠	٩٥٪
٣	تترســـــتان	٦٨,٠٠٠	٣,٥٠٠,٠٠٠	٦٥٪
٤	بشـــــكير يا	١٤٣,٦٠٠	٤,٠٠٠,٠٠٠[١]	٦٠٪
٥	الجوفاش (تشوفاشيا)	١٨,٣٠٠	١,٥٠٠,٠٠٠	٦٠٪
٦	مـــــوردوف	٢٥,٠٠٠	١,٢٥٠,٠٠٠	٥٥٪
٧	إدمـــــورت	٤٢,٠٠٠	١,٠٠٠,٠٠٠	٥٩٪
٨	مـــــاري	٢٣,٨٠٠	٧٥٠,٠٠٠	٧٩٪
٩	القـــــرم	٢٦,١٥٠	٥,٠٠٠,٠٠٠[٢]	
١٠	أورنبـــــرج		٢,٠٠٠,٠٠٠	٥٠٪
١١	شمال القوقـــاز		٣,٤٣٧,٠٠٠[٣]	٦٩,٨٪

(١) والمعلومات عنهم قليلة جداً في ظل الحكم الشيوعي الروسي .

(٢) هذا عدد المسلمين وتعرض معظمهم للإبادة والتهجير في ظل الحكم الروسي الشيوعي .

(٣) وتشمل : تشاشان انجوشيا، وكبارديا بلكاريا، وكرتشاي الشركسية والأديجا واوستينا الشمالية .

ومن هذا يتضح أن مساحة العالم الإسلامي تزيد على ٣٧ مليون كيلومتر مربع، ويعيش فيه أكثر من ٨٥٠ مليون نسمة باستثناء الأقاليم التي انحسر عنها المدّ الإسلامي في الأندلس وصقلية والبلقان والهند. ورغم جميع المعوقات فمازال الإسلام في توسع دائم وخصوصاً في منطقتين هامتين من مناطق العالم: هما: قلب افريقيا وجنوبها، وجنوب شرق آسيا[١]، بالإضافة إلى أنه يشق طريقه إلى العالم الجديد - أمريكا الشمالية والجنوبية واستراليا - والإسلام هو دين المستقبل وقارة افريقية بشكل خاص هي قارة المستقبل بالنسبة للإسلام، ولا يخلو قطر من أقطار العالم من مسلمين. وهناك أقطار تضم أقليات إسلامية كبيرة.

---

(١) فقد فشلت جهود المبشرين رغم امكانياتهم الهائلة وتكثيف جهودهم في آسيا وافريقية، فأسلم مثلا ١٥٠٠ مواطن ماليزي دفعة واحدة في اقليم صباح.

المسلمون ص١، ص٤ (العدد ٣٥/ السبت ٢١ محرم ١٤٠٦هـ/ ٥ اكتوبر ١٩٨٥).

وهذه الأقطار التي تضم أقليات إسلامية :

أولاً : في آســـيا :

م	القطـــــر	عدد الســكان	عدد المسلمين	نسبة المسلمين
١	الهنـــــد	٦٨٧,٠٠٠,٠٠٠	١٠٠,٠٠٠,٠٠٠	١٥٪
٢	قـــبرص	٠,٧٥٠,٠٠٠	١٢٠,٠٠٠	١٩٪
٣	أرمينيـــا	٣,٠٠٠,٠٠٠	٣٧٦,٠٠٠	١١٪
٤	جورجيا (بلاد الكرج)	٥,٠٠٠,٠٠٠	٨٥٥,٠٠٠	١٥٪
٥	ســـــيلان	١٤,٨٥٠,٠٠٠	١,٤٨٥,٠٠٠	١٠٪
٦	بورمـــــا	٣٢,٠٠٠,٠٠٠	٣,٠٠٠,٠٠٠	١٠٪
٧	تايلانـــــد	٤٧,١٧٣,٠٠٠	١٠,٠٠٠,٠٠٠	٢٥٪ (١)
٨	الفلبيين	٤٨,٤٠٠,٠٠٠	٨,٠٠٠,٠٠٠	٢٢٪ (٢)
٩	الصين الشعبية	٩٥٠,٠٠٠,٠٠٠	٧٥,٠٠٠,٠٠٠	٨٪ (٣)
١٠	سنغـــافورة	٢,٣٦٢,٧٠٠	٣٥٠,٠٠٠	١٥٪
١١	كمبوديا (كمبوتشيا)	٥,٧٤٦,١٤١	٧٠٠,٠٠٠	١٣٪ (٤)
١٢	التبـــــت	٢,٠٠٠,٠٠٠	٢٠٠,٠٠٠	١٠٪

(١) وفيها اقليم فطاني الإسلامي الذي يبلغ عدد سكانه أكثر من ثلاثة ملايين يجاهدون ضد الهجمة الصليبية البوذية.

(٢) وفيها اقليم مورو الإسلامي الذي يجاهد لنيل حريته أمام الهجمة الصليبية الفلبينية.

(٣) باستثناء الأقاليم الإسلامية كانسو ويونان وتركستان ونينغ هسيا الخاضعة للصين .

(٤) انخفض هذا العدد في ظل الحكم الشيوعي إلى ٢٠٠ ألفا فقط.

ثانيا : في افريقيـــة :

م	القطـــــر	عدد الســكان	عدد المسلمين	نسبة المسلمين
١	كينيـــا	١٥,٣٢٧,٠٠٠	٥,٣٦٤,٤٠٠	٣٥٪
٢	ليبر يـــا	١,٧٨٠,٠٠٠	٥٩٦,٣٠٠	٣٣٪
٣	اوغنــــدا	١٣,٦٨٩,٢٠٠	٤,١٠٦,٧٦٠	٣٠٪
٤	ملاجـــاش	٨,٧٤٢,٠٠٠	٢,١٨٥,٥٠٠	٢٥٪
٥	موريشيــوس	٩٢٦,٥٠٠	١٨٥,٣٠٠	٢٠٪
٦	مـــالاوي	٦,١٢٣,٠٠٠	١,٨٣٦,٩٠٠	٣٠٪
٧	زامبيـــا	٥,٦٧٩,٨٠٠	١,٠٠٠,٠٠٠	١٥٪
٨	زمبابـــوي	٧,٦٠٠,٠٠٠	١,٦٥٠,٠٠٠	٢٠٪
٩	جمهورية افريقية الوسطى	٢,٢٢١,٠٠٠	٦٦٦,٣٨٠	٣٠٪
١٠	الكنغو (برازافيل)	١,٥٥٠,٨٠٠	٣٢٢,٥٠٠	٢٠,٨٪
١١	زائيـــر	٢٧,٨٦٩,٠٠٠	٢,٥٠٠,٠٠٠	١٠٪
١٢	بورونـــدي	٤,١١١,٣٠٠	١,٠٢٧,٨٠٠	٢٥٪
١٣	الجابـــون	١,٠٢٧و٥٠٠	٤٦٢,٣٠٠	٤٥٪
١٤	غينيا الاستوائية	٣٠٠,٠٠٠	٤٠و٠٠٠	١٣,٣٪
١٥	غانـــا	١١,٤٥٠,٠٠٠	٤و٥٨٠و٠٠٠	٤٠٪
١٦	بنين (داهومي)	٣,٥٦٧,٠٠٠	١,١٥٥,١٠٠	٤٥٪
١٧	انجـــولا	٦,٣٠٠,٠٠٠	١,٦٠٠,٠٠٠	٢٥٪

ثالثا : في أوربـــــا : للعلم رحمة

م	القطـــــر	عدد الســكان	عدد المسلمين	نسبة المسلمين
١	يوغســـــلافيا	٢٢,٣٥٤,٢١٩	٤,٥٠٠,٠٠٠	٢٠,١٪
٢	بلغـــــاريا	٨,٨٩٠,٠٠٠	١,٥٠٠,٠٠٠	١٦,٨٪
٣	شرق أوربا[1]	٤٨,٤٤٥,٠٠٠	١٢,٣١٨,٤٤٠	٢٥,٤٢٪
٤	نطاق حوض البحر المتوسط[2]	١٣٨,٩٣٠,٠٣٧	٦,٦٧١,٥٠٠	٤,٨٪
٥	وسط أوربـــا[3]	١٥٤,٧٦٩,٣١٦	٢,٨٥٤,٠٠٠	١,٨٤٪
٦	غربي أوربـــا[4]	١٣٢,٩٠٣,٥٤٩	٣,٩٠٠,٠٠٠	٢,٩٣٪
٧	شمال غرب أوربا[5]	٢٢,٣٦٤,٤٨٧	٦٥,٥٠٠	٠,٢٩٪

(١) بما فيها بلغاريا والبلدان الإسلامية التي سبق ذكرها .

(٢) بما فيها يوغسلافيا والبانيا .

(٣) المجر، وتشيكوسلوفاكيا والنمسا وسويسرا وبولندا والمانيا الديمقراطية والاتحادية .

(٤) بريطـانيـا، وفـرنسـا وبلجيكـا وهـولنـدة . ففي فرنسـا نشرت جريدة لوموند الباريسية في عددها الصادر ٢/٤/١٩٨٥م مقـالاً بعنـوان في فرنسـا ألـوف المساجد، وألف العمال المسلمون الأتراك في بوردو وضواحيها في أوائل مارس عام ١٩٨٥م جمعيـة إسـلاميـة واستأجروا مكاناً اتخذوه مسجداً لصلاتهم ويعلمون فيه أبناءهم القرآن الكريم والدين الإسلامي (أخبار العالم الإسلامي الاثنين ٦ المحرم ١٤٠٦هـ) .

وأمـا في بريطـانيـا فيـوجد عدد كبير من المدارس الإسلامية ويطالب المسلمون باستقلال مدارسهم الإسلامية هناك . (المسلمون العدد ٣٧ ص٥) .

وفي أسبانيا انطلق صوت «الله اكبر» مرة أخرى بعد ٥٠٠ عام من خروج المسلمين من الأندلس . فتقرر بناء مسجد في مدريد بعد زيارة الملك فهد بن عبد العزيز لمدريد في فبراير عام ١٩٨٥م، ويكون تحت اشراف رابطة العالم الإسلامي . (المسلمون العدد ٤٣ ص١) .

(٥) الدانمرك والنرويج والسويد وفنلندا .

رابعا : في العالم الجـــديد : العالم الجديد

م	القطـــر	عدد السكان	عدد المسلمين	نسبة المسلمين
١	أمريكا الشمالية[1]	٣٤٥,٠٠٠,٠٠٠	٥,٠٠٠,٠٠٠	
٢	أمريكا الجنوبية[2]	٢٣٠,٠٠٠,٠٠٠	٥٠٠,٠٠٠	
٣	اوقيانوسيا (استراليا)[3]	١٤,٧٢٠,٠٠٠	٢٨٠,٠٠٠	

(١) ويبلغ عدد المسلمين على أقل تقدير في الولايات المتحدة وحدها أربعة ملايين مسلم . وتبلغ عدد مدارسهم الإسلامية عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م أربعين مدرسة تعمل بنظام الدوام الكامل . (الشرق الأوسط العدد ٢٤٦٥/ الأربعاء ١٢ ذو الحجة ١٤٠٥هـ/ ٢٨/٨/١٩٨٥م .

في حين ذكر لويس فرقان زعيم المسلمين هناك أن عددهم تجاوز ٣٠ مليون نسمة ، وطالب بتكوين أمة خاصة بالمسلمين السود في أمريكا لحمايتهم من الاضطهاد . (المسلمون العدد ٥ السبت ١٨ جمادى الآخرة ١٤٠٥هـ/ ٥ مارس أذار ١٩٨٥م) ، وقد أخذت تظهر للمسلمين آثار هامة إقتصادية وسياسية ، وأخذ اليهود يخشون هذا التأثير فوصف عمدة نيويورك اليهودي (ادوارد كوتش) زعيم المسلمين لويس فرقان بالنازية أعداء اليهود (المسلمون العدد٤١ ص٢) .

(٢) عقد المؤتمر الأول لمستقبل الدعوة الإسلامية في أمريكا الجنوبية ـ برازيليا ـ عام ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م برعاية رابطة العالم الإسلامي ، حيث بحث المشكلات التي تعترض جهود الدعوة والدعاة في المنطقة ، ودرس مستقبلها لوضع الأسس الثابتة لنشاطها وانتشارها وإيجاد سبل التنسيق والتعاون بين الجمعيات والمراكز والمؤسسات الإسلامية العاملة في حقل الدعوة ، وبناء قنوات الاتصال بين مسلمي أمريكا الجنوبية ومسلمي العالم . (أخبار العالم الإسلامي الاثنين ١٦ محرم ١٤٠٦هـ/ ٣٠ سبتمبر ١٩٨٥م) ، المسلمون العدد ٣٨ ص ٦ـ٧ ، المسلمون العدد ٣٧) .

(٣) دخلها الإسلام عام ١٨٥٠م على يد الأفغان الذين استقدموا مع الإبل المستخدمة في النقل والكشوف الجغرافية ، فأسسوا العديد من المصليات عبر طرق القوافل التي سلكوها ، كما بلغ عدد المساجد عشرة . ثم دخلها الإسلام من رافد آخر عن طريق هجرة المسلمين من أقطار عديدة مثل (غينيا الجديدة ، اندونيسيا ، باكستان ، الهند ، تركيا ، لبنان ، قبرص ، البانيا ويوغسلافيا) إلى استراليا . وقد بدأت هذه الهجرة عام ١٣٣٤هـ . فازداد عدد المسلمين .

ويبذل جهد كبير للعناية بالمسلمين هناك منذ أن قدم الملك خالد بن عبد العزيز مليون دولار مساعدة منه للمسلمين باستراليا لبناء المدارس . كما قدمت دول الخليج مساعدات مادية وثقافية جيدة ، (جريدة المدينة ـ الأحد رجب ١٤٠١) كما اسهمت المملكة العربية السعودية في انشاء ٤٥ مركزاً إسلامياً عام ١٤٠٦هـ . والحكومة الاسترالية لا تعوق الدعوة الإسلامية ، ولكن اليهود وهم يسيطرون كلياً على دور الصحف وجميع وسائل الاعلام ورأس المال ، يقفون في وجه الدعوة . (المسلمون العدد ١١٤٢ ربيع الأول ١٤٠٦هـ/ ٢٣ نوفمبر ١٩٨٥م) .

وبـذلـك يزيد عدد الأقليات الإسلامية على ٢٥٠ مليون نسمة، فيصل عدد المسلمين أكثر من مليار نسمةِ في العالم بأجمعه[١]

(١) وقد بدأ الاهتمام الرسمي بالأقليات الإسلامية عام ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م حين رفع المؤتمر الإسلامي الذي عقـد في القـدس صوتـه احتجـاجا على اضطهاد المسلمين في الاتحاد السوفيتي، ثم نداء التضامن الذي وجهه الملك فيصل بن عبد العزيز عام ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م. وبدأت تأخذ مكانتها في المؤتمرات الإسلامية الدولية ـ مؤتمر العالم الإسـلامي ـ ومؤتمـرات وزراء خارجيـة الـدول الإسـلامية، وجهود رابطة العالم الإسلامي، ومعهد شئون الأقليات المسلمـة في جامعـة الملك عبـد العـزيز بجدة وإذاعة نداء الإسلام في مكة. (الأقليات الإسلامية في آسيا واستراليا ـ سيد عبد المجيد ص٩).

ثانيـــاً : بداية المقرر

أهمية العالم الإسلامي[1] : ١٠/٢/١٤١٠

يتمتـع العـالم الإسلامي بمميزات متعددة اكسبته أهمية كبيرة، كما جعلته موطن الصراع بين القوى العالمية المختلفة، ومن هذه المميزات :

أولا : موقعه الاستراتيجي :

فهـو يشغـل قلب العالم القديم (آسيا وافريقيا وأوربا) ويمتد على مسافة تقـدر بنحـو ٢٠ ألف كم من الشـرق إلى الغـرب (من ايريانا في أندونيسيا إلى جزر الرأس الأخضر مقابل السنغال في المحيط الأطلسي). كما يبلغ امتداده من الشـمال إلى الجنـوب أكثـر من سبعـة آلاف كيلو مترا من جبال الأرال شمالاً إلى موزمبيق جنـوبـاً. فيشـرف بذلـك على الأذرع المـائيـة من البحار والمحيطات ويتحكم في منافذها الهامة.

فالبحار الهامة التي يشرف عليها العالم الإسلامي هي :

١ ـ البحـر الأبيض المتـوسـط : وهـو أهم بحـار العـالم من حيث القيمـة التـاريخيـة والتجـاريـة، وتشغل أرض الإسلام ساحله الجنوبي وساحله الشرقي وبعض سواحله الشـماليـة ـ البـانيـا وآسيا الصغرى ـ وكان في العصور الوسطى

(١) رجعت في هذا القسم إلى الكتب التالية بالإضافة إلى التي ذكرت في الحواشي :
أ ـ البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة في العالم المعاصر. د. محمد السيد غلاب. وأخرون.
ب ـ اقتصاديات العالم الإسلامي. لمحمود شاكر.
جـ ـ جغرافية الشعوب الإسلامية. د. يسرى عبد الرازق الجوهري.
د ـ جغرافية العالم الإسلامي. د. صلاح الدين على الشامي وزميله.
هـ ـ جغرافية العالم الإسلامي. محمود طه أبو العلا.
و ـ العالم الإسلامي المعاصر. جمال حمدان.
ز ـ المسلمون تحت السيطرة الشيوعية. محمود شاكر.
ع ـ المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية. محمود شاكر.

بحيرة إسلامية، وازدادت أهميته في العصور الحديثة بعد شق قناة السويس وبعد انتشار المواصلات الجوية، حيث أصبح طريقاً اجبارية للطيران التجاري الجديد .

٢ ـ **البحر الأحمر** : وهو بحر إسلامي، يمتلك المسلمون سواحله كلها، وقد ازدادت أهميته بعد اتصاله بالبحر الأبيض المتوسط بقناة السويس . فأصبح أخطر طرق المواصلات البحرية في العالم، باعتباره حامل البترول ومعبر التجارة الأساسية ومجال تدفق القوة العسكرية ما بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود والمحيط الأطلسي وبين المحيط الهندي والمحيط الهادي[١] .

ويبلغ طوله **٣٣٨٤** كم ومتوسط عرضه **٢٤٠**كم، ويقترب عند بدايته في الجنوب حيث مضيق باب المندب فلا يتجاوز الفاصل المائى **٣٣** كم مما يسهل العبور بين جنوب غرب آسيا وشرق افريقيا[٢] .

٣ ـ **بحر العرب** : الذي يمتد من مضيق باب المندب إلى الهند، ويمتلك المسلمون سواحله جميعها .

٤ ـ **الخليج العربى** : وهو بحيرة إسلامية . تشرف عليه سواحل شبه الجزيرة العربية الشرقية وإيران والعراق .

٥ ـ **البحر الأسود** : وهو كذلك بحيرة إسلامية قبل أن يمتد الروس إلى بقاعه وسواحله الشمالية .

٦ ـ **بحر البنغال** : وتقع عليه بنغلاديش .

٧ ـ **بحر الصين الجنوبي** : ويطل عليه العالم الإسلامي من جهة ماليزيا الشرقية، وبروني وبورنيو الاندونيسية ومورو الفلبينية

وأما المحيطات الهامة فهي :

١ ـ **المحيط الأطلسي** : ويمتلك المسلمون معظم سواحل افريقيا الغربية المطلة على هذا المحيط من طنجة شمالاً حتى خليج بيافرة جنوباً .

---

(١) صراع القوى العظمى حول القرن الافريقي . ص ٧٦ .

(٢) الجغرافية التاريخية لحوض البحر الأحمر ص ٩ . أمين عبد الله .

٢ ـ **المحيط الهندي** : ويمتلك المسلمون قسطاً كبيراً من ساحل افريقية الشرقية (الصومال وتنزانيا) المطلة على هذا المحيط، كما يمتلكون شواطىء آسيا الجنوبية من باب المندب إلى كراتشى (بحر العرب) وشواطىء ماليزيا واندونيسيا .

٣ ـ **المحيط الهادي** : ويطل عليه العالم الإسلامي من خلال بعض جزر اندونيسيا والفلبين .

وأما أهم المنافذ المائية التي يتحكم فيها العالم الإسلامي فهي :

١ ـ **مضيق جبل طارق** : ويتحكم في اتصال المحيط الأطلسي بالبحر الأبيض المتوسط .

٢ ـ **مضيق بنزرت** : الذي يحكم اتصال حوض البحر الأبيض المتوسط الغربي بحوضه الشرقي .

٣ ـ **مضيق الدردنيل والبوسفور** : وبينهما بحر مرمرة، ويحكمان اتصال البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأسود .

٤ ـ **قناة السويس** : وهي من أهم المنافذ المائية الاصطناعية في العالم، وتحكم اتصال البحر المتوسط بالبحر الأحمر .

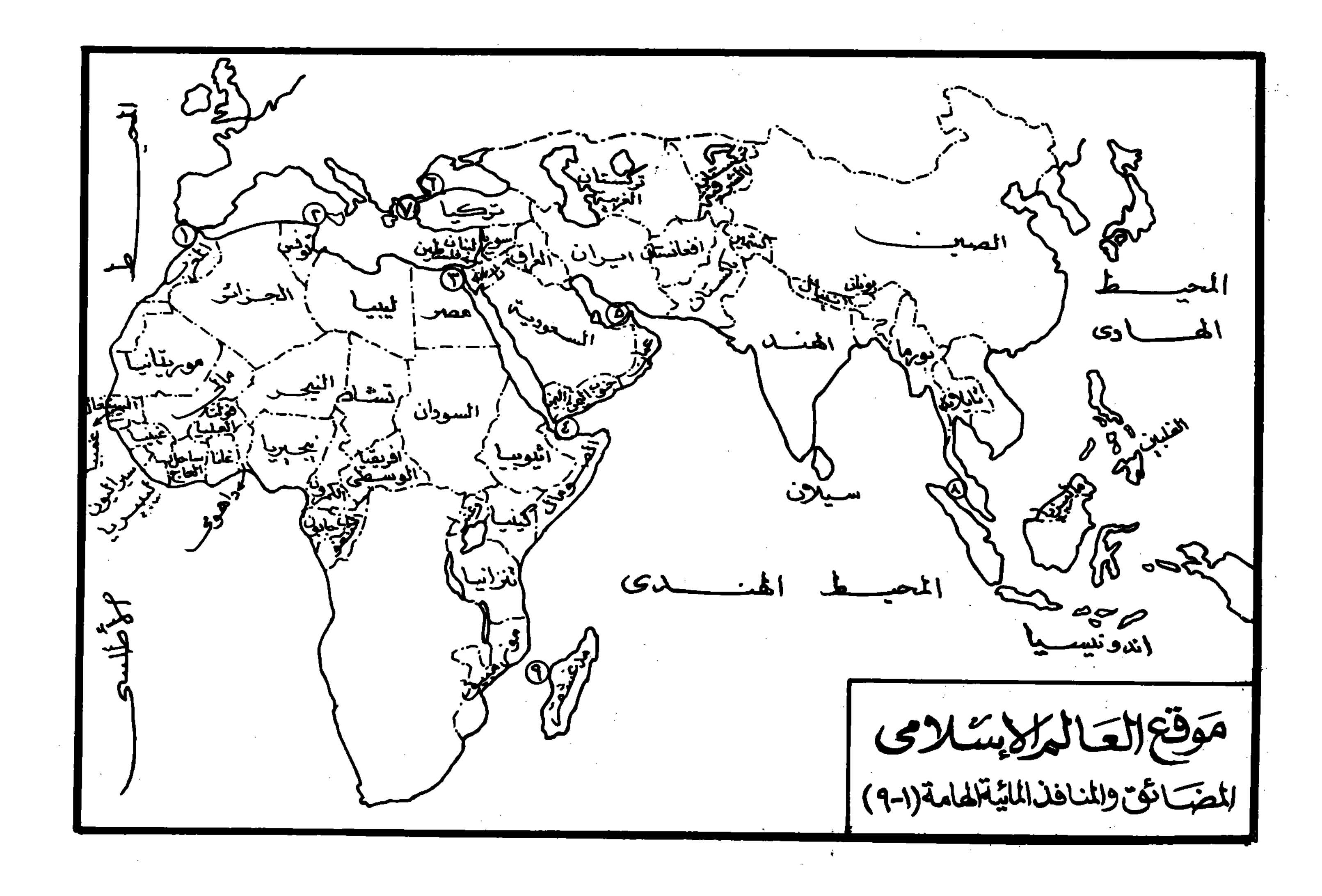
٥ ـ **مضيق باب المندب وخليج عدن** : ويحكمان اتصال البحر الأحمر ببحر العرب والمحيط الهندي .

ومضيق باب المندب (أوبوابة الدموع) لا يزيد اتساعه عن (**٣٣** كم) تقسمه جزيرة (ميون) أو (بريم) إلى قسمين، ضيق من جهة الشرق (**٣** كم فقط) والباقي من جهة الغرب[1] .

٦ ـ **مضيق هرمز وخليج عُمان** : ويحكمان اتصال الخليج العربى بالمحيط الهندي .

---

(١) صراع القوى العظمى ص ٨٠.



موقع العالم الإسلامى

المضائق والمنافذ المائية الهامة (١-٩)

٧ ـ مضيق ملقا وسنغافورة : ويحكمان اتصال المحيط الهندي ببحر الصين الجنوبي والمحيط الهادي .

كل ذلك اكسب العالم الإسلامي أهمية استراتيجية وعسكرية لها خطورتها في ميزان القوى العالمية ، وهذا يفسر لنا الاضطرابات والخلافات الحادة بين الدول ذات النفوذ على العالم الإسلامي ، فهي تعمل على ابقائه مضطربا وتعمل على إثارة المشاكل حتى يبقى ممزقا يسهل التحكم فيه ، وبذلك نفسر الأسباب التي جعلت الدول الكبرى تثير النزاعات بين أقطار المغرب العربي ، ومشكلة تشاد ، وجنوب السودان ، وقضايا المسلمين في اثيوبيا واريتريا والصومال ، والنزاع بين اليمن الشمالي والجنوبي ، والحرب العراقية الإيرانية وامتداد آثارها وأزمة لبنان ، وزرع اسرائيل في فلسطين ، والنزاع بين اندونيسيا وماليزيا ، وانفصال بنغلادش عن باكستان ، وغزو افغانستان . إذ يحاول المعسكران الشيوعي والغربي على منع الوحدة والتعاون بين أجزاء العالم الإسلامي بأي ثمن ، وهذا ما يتفق عليه المعسكران وإبقاء المنطقة منطقة صراع على النفوذ وقودها أهلها وامكانياتها الهائلة التي تذهب هدراً ولمصلحة الغرب أو الشرق ومصانعهما ! .

ثانيا : وفرة الثروات في العالم الإسلامي وتنوعها : يمتاز العالم الإسلامي بأهميته الإقتصادية بما حباه الله من ثروات متنوعة زراعية ومعدنية وحيوانية وهذه فكرة موجزة عن هذه الثروات :

١ ـ الثروات الزراعية :

يحوي العالم الإسلامي أراضي زراعية واسعة ، وتجري فيه كثير من الأنهار الهامة منها : نهر النيل والنيجر والملوية والسوس في افريقيا ، ودجلة والفرات والسند والغنج وسرداريا (سيحون) واموداريا (جيحون) والعاصي والليطاني والأردن في آسيا . بالإضافة إلى مياه العالم الإسلامي الجوفية الكثيرة .

ولاتساع العالم الإسلامي يتنوع مناخه ، الأمر الذي يؤدي إلى تنوع الثروات الزراعية ، والذي يؤدي بدوره إلى التكامل الزراعي الذي لا يتوفر لأي

عالم غير عالم الإسلام. وهذا بدوره يؤدي إلى الاكتفاء الذاتي .

ومن الممكن إجمال الأقاليم المناخية الإسلامية فيما يلي :

أ ـ المناخ الاستوائي : حار ماطر طوال العام ، غاباته كثيفة ، ويسود في الملايو وأكثر الجزر الأندونيسية وجنوب السودان .

ب ـ المناخ الموسمي : حار ماطر صيفاً ، وغاباته كثيفة ، ويسود في بنغلادش واليمن وعمان ونيجيريا ، وساحل خليج غينية ، وهضبة الحبشة .

جـ ـ المناخ السوداني : حار، أمطاره صيفية وأقل من أمطار المناخ الموسمي وتنمو فيه الأعشاب الطويلة ـ السفانا ـ التي تصلح كمراعي . يسود في السودان وتشاد والنيجر ومالي والسنغال .

د ـ المناخ المعتدل الدافيء : (مناخ حوض البحر الأبيض المتوسط) ويسود على سواحل البحر الأبيض المتوسط الجنوبية والشرقية والشمالية .

هـ ـ المناخ القاري : وهو إما صحراوي حار في الصحراء الافريقية الكبرى وشبه جزيرة العرب وجنوب إيران وجنوب باكستان وصحراء ثار في الهند. أو صحراوي بارد في هضبة إيران وهضبة الأناضول والتركستان .

ومن الغلات الزراعية الهامة في العالم الإسلامي :

١ ـ الأرز : في ماليزيا وبنغلادش وباكستان ومصر واندونيسيا .

٢ ـ القمح : في إيران وافغانستان وتركيا وباكستان والشام ومصر والعراق وأقطار المغرب العربى . وقدمت المملكة العربية السعودية كثيراً من الدعم للمزارعين حتى أوشكت أن تصل إلى الأكتفاء الذاتي في انتاجه بل وتمدّ غيرها من الأقطار الإسلامية .

٣ ـ الخضروات والفواكه : في اقليم البحر الأبيض المتوسط . والموز في الصومال وافريقية الغربية ، والحمضيات في تركيا وشمال افريقيا وبلاد الشام وخاصة فلسطين ، ونخيل التمر في المناطق الصحراوية .

٤ ـ **القطـن** : وينتج العالم الإسلامي أنواعه المختلفة :

طويل التيلة : في مصر والسودان .

ومتوسط التيلة : في تركيا وباكستان وافغانستان وإيران .

وقصير التيلة : في المغرب العربي وباكستان .

ويـزرع القطن في الجمهـوريـات الإسلامية في الاتحاد السوفييتي في اقليم تركستـان في وادي سرداريـا وامـوداريـا ، وفي أذربيجـان وداغستـان غربي بحـر قزوين ، وتنتج هذه المنطقة لوحدها أكثر من انتاج دول العالم الإسلامي مجتمعة . ويصـل انتـاج العـالم الإسـلامي إلى ٤٠٪ من الانتاج العالمي للقطن . وتستغل بذور القطن في صناعة زيت القطن .

٥ ـ **الحبـوب الـزيتيـة** : لصنـاعـة الـزيـوت النبـاتية كالسمسم في مصر والسودان واندونيسيا وتركيا ، والفول السوداني في السودان ونيجير يا .

٦ ـ **الأشجـار الـزيتيـة** : كزيت النخيل وجوز الهند في اندونيسيا وماليزيا وبنغلادش ، والزيتون في اقليم البحر الأبيض المتوسط .

٧ ـ **قصب السكر** : في باكستان واندونيسيا وبنغلادش ومصر .

٨ ـ **بنجر السكر** : في تركيا وسوريا وإيران وافغانستان .

٩ ـ **المطـــاط** : من محاصيـل الأشجـار الغـابية في الاقليم المداري وتنتج نيجير يا ٧٢٪ من الانتاج العالمي . كما تنتجه كل من اندونيسيا والملايو .

١٠ ـ **الغـلات العلفيـة** : كالذرة والشعير والبرسيم والشوفان في كثير من البلدان الإسلامية التي تربي الأبقار .

٢ ــ الثروات الحيوانيــة :

في العالم الإسلامي مراعي طبيعية واسعة :

أ ـ **السفـانـا** : وهي الحشـائش التي تتخللهـا الأشجار وتوجد على نطاق ضيّق في بعض الأجـزاء الغـربية من باكستان والأجزاء الشرقية من جزيرة جاوة ، وبعض جزر اندونيسيا الشرقية ، والسودان ومالي وتشاد وشمال شرق نيجير يا .

ب ـ **الاستبس** : وهي السهوب ذات الحشائش الخالية من الأشجار وتوجد في مالي وموريتانيا والنيجر ووسط السودان والصومال والجزائر والمغرب والتركستان وهضبة الأناضول وبعض أجزاء هضبة إيران .

جـ ـ **الكلأ الصحراوي** : وهي الأعشاب الشوكية والشجيرات القصيرة، وتوجد في الصحراء الكبرى الافريقية والصومال وشبه جزيرة العرب وهضبة إيران وجنوب تركستان .

ولوجود مثل هذه المراعي تنتشر في العالم الإسلامي تربية الإبل والماعز في الصحراء العربية، والخيول والأغنام والجمل ذو السنامين والياك (وهو حيوان يشبه البقر) في تركستان. والإبل والبقر والماعز والأغنام في افغانستان وإيران. والخيل والبقر والماعز من نوع الانجورا المشهور بشعره الجيد في تركيا. والإبل والأغنام والماعز في الصحراء الافريقية. وهناك تجربة ناجحة للمملكة العربية السعودية رائدة في استغلال الصحارى وتحويلها إلى جنّات تربي فيها أنواع مختلفة من الحيوانات .

٣ ـ الثروة المائية وصيد البحر :

يطل العالم الإسلامي بجبهات طويلة على مسطحات الماء لمجموعة من البحار التي تتوغل في جسم اليابس على شكل خلجان وأذرع كبيرة كما بيّنا، كما أنه يحوي على أنهار كبيرة وبحيرات وبحار داخلية كبحر قزوين كل ذلك جعل العالم الإسلامي غنياً بالثروة المائية وصيد البحر، ولكن استغلاله لهذه الثروات قليل في الوقت الحاضر .

ومن أهم هذه الثروات :

أ ـ **الأسماك** : وتستغلها اندونيسيا وباكستان وتركيا وماليزيا ومصر والمملكة العربية السعودية ومملكة المغرب[1] .

---

(١) ذكرت دراسة علمية اجراها معهد علوم البحار والمصايد المصرى بالاكاديمية المصرية للبحث العلمي والتكنولوجيا أن انتاج الدول العربية بالبحر المتوسط من الاسماك. وهي لبنان وسورية ومصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب ـ بلغ ٤٠٪ من الانتاج الكلى للبحر المتوسط لعام ١٩٨٤م (جريدة الشرق الأوسط ص ٤ الأحد ١٩٨٥/١/١٨م).

ب ـ **الاســـفنـج** : ويصـاد من اعـماق تتراوح بين ٦ أقـدام و **١٥** قدماً ويكثـر صيـده بالقـرب من سواحـل البحـر الأبيض المتوسط الجنوبية ، وسواحل البحر الأحمر .

جـ ـ **اللؤلـــؤ** : ويصـاد من ميـاه الخليج العربي ، وبالقرب من سواحل باكستان وبعض مناطق البحر الأحمر. وكانت له شهرة تاريخية كبيرة ، وقد أخذت أهميته الإقتصادية تتدهور أخيراً تحت ضغط منافسة اللؤلؤ الصناعي الرخيص الثمن .

٤ ـ الثروة المعدنية :

والعـالم الإسـلامي غني بمعـادنـه المستغلة والغـير مستغلة والاحتياطية ، وسنذكر أهمها :

أ ـ **البـترول والغـاز الطبيعي** : وتحتل دول العالم الإسلامي المركز المتفوق والمرموق في مجال انتاجه واحتياطيه الذي يقدر بأكثر من **٧٥٪** من احتياطي العالم كله . وأهم المناطق الإسلامية لانتاجه :

١ ـ منطقـة الخليـج العـربي : المملكـة العربية السعودية والعراق وإيران والكويت وقطر وعمان والإمارات العربية .

٢ ـ منطقة جنوب شرق آسيا : وهي ماليزيا واندونيسيا .

٣ ـ منطقة قفقاسيا بين بحر قزوين والبحر الأسود وتستغله روسيا السوفيتية .

٤ ـ منطقة خليج السويس : مصر .

٥ ـ منطقة شمال افريقيا : ليبيا والجزائر .

٦ ـ منطقة غرب افريقيا : نيجيريا .

وكـانت الشـركات الأجنبية تتلاعب كما تشاء في انتاجه وتسويقه ، إلى أن تكـونت منظمـة الـدول المصـدرة للبترول ـ الأوبك ـ عام ١٩٦٠م . فحافظت على المستوى المناسب للاسعار وجردت شركات الاستثمار من التلاعب بحقوق

الـدول المنتجـة له . وقد استخدم الملك فيصل بن عبد العزيز سلاح البترول في حرب عام ١٩٧٣م[1]. وكان ناجعاً ناجحاً .

ب ـ **الفوسفـــات** : ويستعمل لصناعة الأسمدة وتنتجه كل من المغرب والجزائر وتونس والسنغال ومصر والأردن وسوريا .

جـ **الكــوبلت** : من معادن السبائك الهامة ويمنع الصلب من الصدأ ، كما يتحمـل درجـة الحـرارة العـاليـة جداً فتصنع منه الآلات في الطائرات النفاثة والآلات التي تدخل في صناعة الأسلحة الذرية . والمملكة المغربية هي رابع دولة في العالم في انتاجه .

د ـ **الكـــروم** : وهـو معـدن يستعمـل في صنـاعـة السبـائك المعدنية ، والعالم الإسلامي ينتج ٤٥٪ من انتاج العالم منه . وتنتجه كل من : تركيا وإيران وباكستان والسودان .

هـ ـ **الحـــديـد** : في ماليـزيـا وتـركيـا وإيران وباكستان ومصر وغينيا وموريتانيا والمغرب والجزائر وتونس .

و ـ **القصـــديـر** : وهـو معـدن تحتـاجـه الصنـاعـات المعدنية الهامة فهو يشترك مع النحاس لتكوين البرونز، ويستعمل في صناعة الصفيح والعلب التي تحفـظ المأكـولات وفي عمليـات اللحـام والسبـائـك الـبرونـزيـة . وينتج العالم الإسلامي أكثر من نصف الانتاج العالمي من بلدان : ماليزيا ، اندونيسيا ، اقطار المغرب العربي ، إيران ، تركيا ، نيجيريا .

ز ـ **المنغنيـز** : ويـدخـل في صنـاعـة السبـائـك والصلب وفي الصناعات الكيمائية . وأهم البلدان المنتجة له : مصر والمغرب وتركيا .

---

(١) أدرك العـالم الغـربي وخـاصـة الولايات المتحدة الامريكية أهمية استخدام سلاح البترول لمصلحة البلاد الإسلامية بعد أن شهدت نجاحه عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٧٣م . فلجأت إلى عملية تخزين البترول لتوجد المنافسة بين أعضاء أوبك فتنهار. كما عمدت إلى ابتزاز إيراد البترول مقابل الأسلحة التي تمد بها الأطراف الإسلامية التي أثارت بينها النزاع كالحرب العراقية الايرانية . وقد عمدت القوى العالمية على استمرار هذا الصراع ليبقى نزيفاً بشرياً ومالياً للعالم الإسلامي . وافراغ المنطقة من قوتها المالية والعسكرية ليسهل ابقاء السيطرة عليها ، ودورانها في فلك النفوذ الأجنبي ! .

ح ـ **الرصـــــاص** : في إيران وتركيا والمغرب والجزائر وتونس .

ط ـ **املاح الصـوديـوم والبـوتـاسيـوم والكالسيوم والبر وم والمغنيزيوم ـ الامـلاح المعـدنيـة ـ**: وأشهر أماكن استغلال هذه الأملاح الهامة : البحر الميت حيث يقوم العدو الصهيوني باستغلالها في فلسطين .

ومن المعـادن الهـامـة الأخرى في العالم الإسلامي : الكولمبايت وتنتج منه نيجـير يـا ٩٠٪ من الانتـاج العالمي ، وهويستعمل بعد خلطه بمعادن أخرى في صنـاعـة محركـات الطـائـرات النفـاثـة . كما توجـد معـادن : الذهب والنحاس والتيتانوم والتنجستن والفحم الحجرى واليورانيوم .

٦ ـ الثروة الصناعية :

إن ما بيّنـاه من ثروات تتيـح للعـالم الإسـلامي الفرصة في أن يصبح عالماً صناعياً، إذ تتوفر فيه مقومات الصناعة وهي :

أ ـ توفر المواد الخام من مواد زراعية ومعدنية وحيوانية وغابية .

ب ـ توفـر مصـادر الطـاقـة ـ القـوى المحـركـة ـ من بتر ول وغـاز طبيعي ومساقط مياه التي تولد الكهرباء المائية ، والفحم الحجرى ، والطاقة الشمسية .

جـ ـ وفرة رؤ وس الأموال وخاصة في البلدان المنتجة للبتر ول .

د ـ توفر الأيدى العاملة وخاصة في اندونيسيا وبنغلادش وباكستان ومصر .

هـ ـ توفر الأسواق الاستهلاكية : الداخلية لاتساع العالم الإسلامي وكثرة سكانه . والخارجية لسهولة المواصلات التي تصل العالم الإسلامي بغيره .

ثالثا : العالم الإسلامي مركز المواصلات العالمية :

البر ية والبحرية والجوية ، ويعود ذلك إلى :

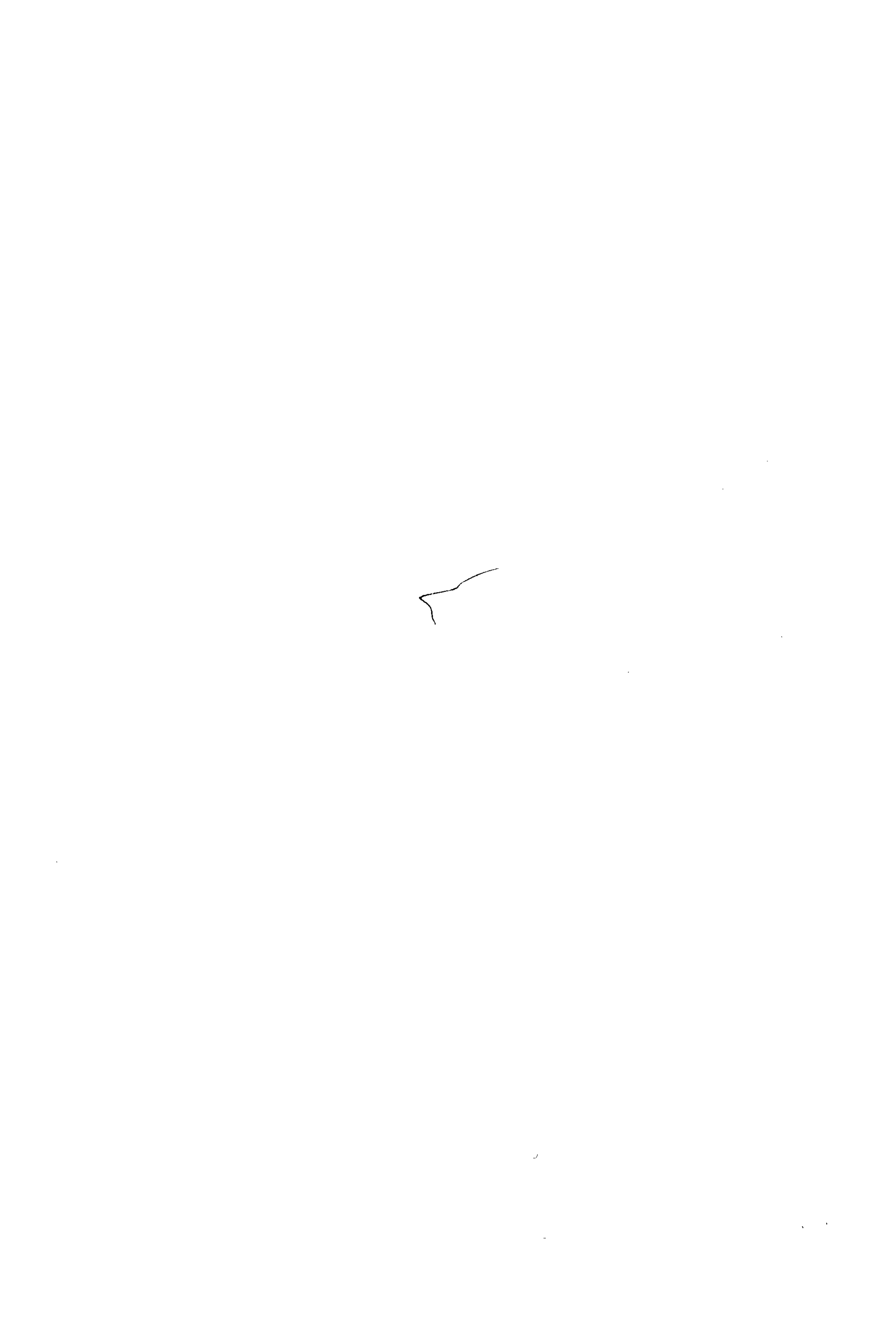
أ ـ موقـع العـالم الإسـلامي في قلب العالم القديم ـ آسيا وافريقيا وأوربا ـ وتوسطه بالنسبة للعالم القديم والجديد ـ أو أمريكا الشمالية والجنوبية واستراليا .

ب ـ إشرافه على البحار والمحيطات العالمية الهامة .

جـ توفر مواد الوقود، والمواني الجوية والبحرية .

د ـ صفاء معظم أجوائه الذي اجتذب خطوط الطيران العالمية .

وقـد زادت هذه الأهميـة بشق قنـاة السـويس التي سهلت اتصـال الشرق بالغرب بحراً وقلّصت المسافات إلى حدّ كبير .



"عوامل ضعف المسلمين وانحدارهم"

الباب الأول

التحول من ماضي الأمة الإسلامية المجيد إلى حاضرها الأليم

الفصــل الأول : العوامل الداخلية .
الفصــل الثاني : العوامل الخارجية .
الفصــل الثالث : نتائج التحديات الداخلية والخارجية .

التحول من ماضي الأمة الإسلامية المجيد إلى حاضرها الأليم

كان الإسلام الحد الفاصل بين القديم والجديد والحادث العظيم الذي غير مجرى التاريخ العالمي كله. وكان عامل الانقطاع الحضاري بين حضارات الفراعنة والرومان والفرس والهنود الوثنية وعامل ربط بين الحنيفية الابراهيمية ورسالة محمد ﷺ، بعد أن كانت تلك الحضارات الوثنية قد طغت على الحنيفية الابراهيمية، فأعاد الإسلام السلسلة ـ سلسلة النبوات وأوجد حضارة متصلة برسالات السماء من لدن آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ فكان كما قال ﷺ .

« مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كرجل بنى بيتاً فجمله وحسنه إلا موضع لبنة في زاوية من زواياه، فكان الناس يطوفون بالبيت ويعجبون ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة، فأنا اللبنة وأنا خاتم المرسلين»[1] .

فلم يكن العصر الوسيط والنهضة الأوربية إلا ثمر ثان من ثمار الإسلام . فكان هذا من الطبيعي والحالة هذه أن يواجه الإسلام التحديات العاتية من أول ظهوره، التحديات الوثنية واليهودية والنصرانية والمجوسية، وأن تتعرض أمة الإسلام إلى كثير من التحديات الداخلية والخارجية أثناء مسيرة الإسلام، وأثبت الإسلام قدرته على البقاء والاستمرار والتمدد فما دخل في أرضٍ وخرج منها، وما استطاعت الأزمات أن تقضي عليه أو تجعله ينهار، وظل محتفظاً بذاتيته الخاصة الواضحة عن غيره من النحل والأديان[2] .

نعم واجه الإسلام منذ ظهوره في مكة إلى أن قامت دولته في المدينة تحدي وثنية قريش والعرب، وتحدي أهل الكتاب من اليهود والنصاري داخل شبه الجزيرة وخارجها، وتغلب على هذه التحديات وامتد شرقاً وغرباً في عهد الخلفاء

---

(١) صحيح البخاري ج ٣ ص ٣٠٠ كتاب المناقب. باب خاتم النبيين ﷺ/ مسلم ج٤ ص١٧٩٠. كتاب الفضائل. باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين.

(٢) التحديات ص ١٠١. أنور الجندى .

الراشدين، وتعرض إلى محن داخلية إذ تمكن عبد الله بن سبأ اليهودي ومن هم على شاكلته من بذر التناقضات بين المسلمين ووسعوا هذه التناقضات فأدى ذلك إلى امتشاق الحسام، واستمرت الأحداث زمن الاسرة الأموية واشتد التحدي من الداخل بين الإسلام وبين من تظاهر بالإسلام من أهل الكتاب ومن الفرس والمجوس. وكانت الأمة من الوعي على دينها ومن القوة في إيمانها والتمسك بعقيدتها بحيث فوتت على أصحاب الشر والفساد أهدافهم فسار الإسلام رغم ما أصاب المسلمين من جراح قدما، إلى أن بدأت عقيدتهم تضعف وبدأ الزيغ يدخل نفوسهم فأصابهم التغير فقادهم إلى الضعف - مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى :

﴿**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**﴾(١). فكانت العوامل الداخلية أهم من العوامل الخارجية التي اثرت على نقل العالم الإسلامي من ماضيه المجيد إلى حاضره الأليم. فحينما كانت الأمة خاضعة خضوعاً تاماً لسلطان الإسلام، حكمها منبثقا عن قانونه، ومجتمعها قائما على نظامه، وأخلاقها مستلهمة من روحه، عزّت وتوحدت وأصابها الغنى، وحينما أخذت هذه الأمة في الغربة عن الإسلام أصابها الفرقة والضعف والتخلف، وسنتناول فيمايلي العوامل الداخلية ثم الخارجية، تلك التي اسهمت في نقل المسلمين من ماضيهم المجيد إلى حاضرهم الأليم ونتائج ذلك في ثلاثة فصول :

---

(١) سورة الرعد الآية ١١ .

الفصل الأول

العوامل الداخليــــة :

١ ـ **انشقــاق المسلمــين إلى فرق** : الخـوارج والشيعة وأهل السنة : فقد نجحت القــوى الحـاقـدة على الإسـلام المتسللة في صفـوف المسلمـين في شق المسلمين وصدعهم . فظهرت فرقة الخوارج وفرقة الشيعة وقد ناهضت كل منهما أهـل السنـة والجـماعة ، فعمل ذلك على تبديد طاقة المسلمين المادية والعسكرية والفكرية بتوجيهها إلى داخلهم في صراعات دامية .

٢ ـ **اشتغـال المسلمـين بالفلسفـة وعلم الكـلام** : اشتغـل المسلمـون في العصــر العبـاسي الأول (١٣٢ ـ ٢٣٢هـ) بترجمـة العلوم اليـونانية والهندية إلى اللغة العربية . ثم انحرف هذا الاتجاه إلى ترجمة الفلسفة الإلهية ، فدخلت الحياة الفكـريـة في العالم الإسلامي[١] . فانشغلوا بما لا ينفعهم في دنيا أوآخرة ، وبأمور جانبيـة ، وكـان ابن المقفـع وحنين بن اسحق وثابت بن قرة واضرابهم من الذين حملوا لواء هذا العمل قد استهدفوا غاية خطيرة هي نقل مذاهبهم وأديانهم إلى الفكـر الإسـلامي وكـان القسم الأكبر من هؤلاء النقلة من السريان والأقل من اليهــود فنقلوا ما نقلوه وفق أهـواء خاصـة ، وأكثـرهم لم تكن غايتـه البحث عن الحقيقـة بل كان همهم الـدعـوة إلى شيعتهم وتـزيين أهوائهم الدينية وإدخال ما ليس في الإسلام فيه . لذلك كانوا يغير ون ويبدلون في النصوص التي بين أيديهم خدمة لأغراضهم . وظهر علم الكلام متسلحا بالمنطق الذي كان الوسيلة لتنمية القدرات العقلية للفيلسوف حتى يتأهل للتلقي عن العقل الفعال .

وقـد ذم بعض الفقهـاء الكـلام وأهله ، قال أبـو يوسف تلميذ الإمام أبي حنيفـة وصـاحبه : «من طلب الدين بالكلام تزندق ، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس ، ومن طلب غريب الحديث كذب»[٢] .

---

(١) أرسل المأمون إلى حاكم صقلية النصراني يطلب منه أن يبادر بإرسال مكتبة صقلية الشهيرة الغنية بكتب الفلسفة ، وتردد في إرسالها واستشار رجال دولته فأشار عليه المطران الأكبر بقوله : «ارسلها ، إليه فوالله ما دخلت هذه العلوم في أمة إلا أفسدتها» .

(٢) شرح الطحاوية ص ٧٢ .

وقال الإمام الشافعي : «حكمي في أهل الكلام أن يطاف بهم في القبائل والعشائر ويضربوا بالجريد والنعال ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على علم الكـلام ، وقـد أطلعت من أهـل الكـلام على شيء مما ظننت مسلماً بقوله ، ولأن يُبتلى العبد بكل ما نهي عنه ما خلا الشرك بالله خير له من أن يبتلى بالكلام »[١] .

وقال الإمام مالك : «أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد عليه الصلاة والسلام لجدل هؤلاء ؟[٢] .

قال ابن الحصار : «إنما ظهر التلفظ بها زمن المأمون بعد المائتين لما ترجمت كتب الأوائـل وظهـر فيها اختلافهم في قدم العالم وحدوثه ، واختلافهم في الجوهر وثبـوتـه ، والعـرض ومـاهيته ، فسارع المبتدعون ومن في قلبه زيغ إلى حفظ تلك الإصطـلاحـات ، وقصـدوا بها الإغـراب على أهـل السنـة وإدخال الشبه على الضعفـاء من أهـل الملة ، فلم يزل الأمـر كذلـك إلى أن ظهـرت البدعة ، وصار للمبتـدعـة شيعـة والتبس الأمـر على السلطان حتى قال الأمير (المأمون) بخلق القـرآن ، وجـبر الناس عليه وضرب أحمد بن حنبل على ذلك فانتدب رجال من أهل السنة . . . فخاضوا مع المبتدعة في اصطلاحاتهم ثم قاتلوهم وقتلوهم بسلاحهم[٣] .

وفي القرن الرابع الهجرى اتخذت الفلسفة طابع التحدي لعقيدة الإسلام على يد ابن سينـا (٣٧٠ ـ ٤٢٨هـ) الـذي يعتـبر من أخطر فلاسفة المسلمين . وقد نعته الذهبي بأنه : «رأس الفلاسفة الإسلاميين الذين مشوا خلف العقول وخـالفـوا الـرسـول»[٤] وتـاب في آخـر أيـامه[٥] . وقد روى عنه تلميذه ابن أبي أصيبعة : «أنه يجتمع كل ليلة في داره طلبة العلم ، وكنت اقرأ من الشفاء ، وكان

(١) نفسه ص ٢٢٩ وص ٧٢/ سير اعلام النبلاء ج ١٠ ص ٢٩ .

(٢) حلية الأولياء ج ٦ ص ٣٢٤، سير اعلام النبلاء ج ٩ ص ٩٩.

(٣) القرطبي ـ الجامع لأحكام القرآن ـ تفسير الآية رقم ١٧٠ من سورة البقرة ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ، قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا﴾ . ج٢ ص٢١٣-٢١٤ طبعة بالأوفست . دار احياء التراث العربي . بيروت .

(٤) انظر سير اعلام النبلاء ج١٧ ص٥٣٥ .

(٥) انظر ابن خلكان . وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٦ .

يقــريء غيري من القــانــون نويــة ، فإذا فرغنــا حضـر المغنــون على اختــلاف طبقاتهم ، وهيء مجلس الشراب بآلاته ، وكنا نشتغل به»[1] .

وكــان والــده قد استجــاب للاســماعيليــة الفاطمية ، وكان يحضر ابن سينا اجتماعاتهم في بيت والده[2] . ومن اشهر نظرياته : نظرية المعرفة التي وضع فيها الفلاسفة على قدم المساواة مع الأنبياء ، ثم خصهم بميزة على الأنبياء حين قرر أن الفلاسفة استمروا في رسالتهم وارتقاء معارفهم في الوقت الذي ختمت النبوة بالرسول محمد ﷺ[3] .

وبعـــد : فماذا استفـاد المسلمـون من ترجمة الفلسفة اليونانية ؟ استفادوا الخبرة لفن قتل الوقت وقتل العقل ، واستطابوا الإدمان على تعاطي هذه الكأس التي يقـدمهـا السفسطائيون للإجهاز على الأمم القوية عندما تبلغ القوة مداها ، مقابل ما خسر المسلمون من الإيمان الفطري والاعتقاد النقي ، وتهاونوا في دينهم وفـرّطـوا في لغتهم وانشغلوا في محاولات عقيمـة وداروا في حلقـة مفرغة ووقعوا في اغـلاط اليـونـان لأنهم أخـذوا دون تمحيص ودون أن يردّوا ما أخذوا إلى القرآن والسنـة ، بل بلغ بهم الأمـر أنهم كانـوا يردون القـرآن إلى آراء اليـونـان ، كقول اخوان الصفا :

«إن ادريس هو هرمس الممتلىء بالحكمـــة صفت نفســه فصعـدت إلى السـماء وطـافت مع بعض اجـرامهـا ثلاثـين عامـاً وشـاهدت من العجائب مالا يشـاهـده إلا من يطـوف ذلـك الطـواف ، وإلى هذا يشـير القـرآن الكـريم (في زعمهم) في قوله تعالى : ﴿**ورفعناه مكاناً علياً**﴾[4] .

وهذا نوع من فهم القرآن لا يجيزه القرآن ولا العقل ولعلنا لو بحثنا تاريخ الفلسفـة الإسـلاميـة ومـا كان بين المتكلمـين من علماء المسلمـين من خلافـات لوجـدنـا أكثـر هذه الخلافات إن لم يكن كلها راجعاً إلى قضايا أخذها المسلمون

---

(١) طبقات الأطباء ص ٤٤٦ .

(٢) نفسه ص ٤٣٧ وانظر سير اعلام النبلاء ج ١٦ ص ٥٣١ .

(٣) انظر ابن سينا ـ إثبات النبوات . مقدمة ص ١٣ .

(٤) سورة مريم الآية ٥٧ . رسائل اخوان الصفاء ج ١٣٨/١ .

عن اليونان من غير تمحيص[1]، وساعدهم في ذلك الترف والحياة الباذخة والفراغ وفتور حركة الجهاد. مصداقاً لقوله تعالى :

﴿**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**﴾[2].

ولو كان هناك الوعي الكامل لاقتصرت الترجمة على ترجمة العلوم البحتة كالهندسة والطب والفلك وغيرها من العلوم النافعة وبشرط أن تكون صياغة ترجمتها متفقة مع عقيدة الإسلام. ولكن الخطأ حصل بترجمة جميع العلوم ومنها الإلهيات عند ارسطو وأفلاطون وغيرهم. واستخدم أهل الكتاب في ذلك فتعكر صفو العقيدة لدي المسلمين بالفكر الاجنبي الذي اقحم على الحياة الإسلامية وبضروب الجدل التي زجى بها المتكلمون في أوقات فراغهم[3] فقال فيهم شيخ الإسلام ابن تيمية :

«هؤلاء أهل الكلام المخالفون للكتاب والسنة الذين ذمهم السلف والأئمة، إنهم لم يقوموا بكمال الإيمان ولا بكمال الجهاد بل أخذوا يناظرون أقواماً من الكفّار وأهل البدع الذين هم ابعد عن السنة منهم، بطريق لا يتم إلا برد بعض ما جاء به الرسول (ﷺ) وهذا لا يقطع أولئك الكفار بالعقول فلا آتوا بما جاء به الرسول حق الإيمان، ولا جاهدوا الكفار حق الجهاد. وأخذوا يقولون : إنه لا يمكن الإيمان بالرسول ولا جهاد الكفار والرد على أهل الإلحاد والبدع إلا بما سلكناه من المعقولات وإن ما عارض هذه المعقولات عن السمعيات يجب رده تكذيباً، أو تأويلاً أو تفويضاً. لأنها أصل السمعيات، وإذا حقق الأمر عليهم وجد الأمر بالعكس»[4].

(١) انظر نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام «ثلاثة أجزاء». على سامي النشار.

(٢) سورة الرعد الآية ١١.

(٣) انظر الإسلام والطاقات المعطلة. ص ١١٢. محمد الغزالي.

(٤) موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ج ١ ص٢٣٨. تحقيق محيي الدين عبد الحميد وحامد الفقي.

٣ ـ الانقسام السياسى لدولة الإسلام :

فقد أفلحت النعرات السياسية في تصعيد بعض التناقضات وتعميق روح الخلافات فأدت إلى الصدع بين الزعامات المسلمة، وجاء وقت (القرن الرابع الهجرى) كان في العالم الإسلامي ثلاثة خلفاء : الخليفة العباسي الشرعي في بغداد، والخليفة الفاطمي في مصر، والخليفة الأموي في الأندلس. وهذا طبعاً أدى إلى طمع العدو الخارجي في العالم الإسلامي وأدى إلى ضعف هذا العالم الإسلامي في مواجهة اعدائه فتوقف المد الإسلامي ثم أخذ بالانحسار ليعود إلى المد من جديد في عهد الدولة العثمانية حاملاً معه بذور الضعف .

٤ ـ الشعوبية :

اكتسبت الشعوبية مفهوماً خاصاً فأطلقت على محتقري العرب والذين يصغرون شأنهم[١]. فهي والحالة هذه تعني التعصب ضد العرب وقد بدأها الذين تسللوا إلى الإسلام وهم يحقدون عليه من اليهود والنصارى والمجوس وقد رد بعض العرب بالتعصب للعرب، فخالف المتعصب ضد العرب والمتعصب للعرب روح الإسلام لأنها حملت روح التفرقة بين العرب وغيرهم من المسلمين[٢]. واستغلت الحركة الشعوبية الأدب واللغة والشعر العربي والتأليف والمفاخرة والمفاضلة بين العجم والعرب[٣] فكانت الشعوبية نزيفاً وضعفاً في الأمة الإسلامية في وقت تزايدت فيه اخطار التحديات الخارجية على المسلمين وعلى العالم الإسلامي (مثل التحدي الصليبي والتحدي المغولي) .

٥ ـ الباطنية :

وكانت من أكبر عوامل الهدم من الداخل في عالم الإسلام، فقد ضمت جميع العناصر المناهضة للإسلام من زراد شتية ومانوية ويهود ونصارى وكانت التناقضات فيها تبيض وتفرخ لأنها عاشت في الظلام وآمنت بالتقية بل وجعلتها

---

(١) لسان العرب ج ١ ص ٤٨٢، القاموس المحيط ج١ ص ٩١.

(٢) ويؤيد هذا من معانى الشعب في اللغة : «بمعنى التفريق». انظر لسان العرب ج١ ص٤٧٩.

(٣) انظر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأول الهجرى للمؤلف.

أساس عقيدتها. وقالت الباطنية :

«إن الشريعة قد دنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة»[1] وقرروا أن لظواهر القرآن الكريم والأحاديث بواطنٍ تجري مع الظاهر مجرى اللب من القشر، وان تصوراتهم توهم الجهال صوراً جليّة وهي عند العقلاء رموز وإشارات إلى حقائق خفية، وان من تقاعد عقله عن الغوص على الخفايا والاسرار والبواطن والأغوار وقنع بظواهرها كان تحت الاغلال التي هي تكليفات الشرع، ومن ارتقى إلى علم الباطن انحط عنه التكليف واستراح من أعبائه[2].

وبإسقاط التكاليف الشرعية وانكار المسئولية الفردية والالتزام الاخلاقي والجزاء الأخروى فتح الباب واسعاً أمام حرية الشهوات واللذات والدعوة الإباحية وعبادة الجسد، وقد عمدوا إلى صرف ألفاظ الشرع عن معانيها الظاهرة إلى أمور باطنة بغير دليل من القرآن والسنة وتسقط منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ، لأن الباطن لا ضبط له بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى حسب مقتضى الأهواء والغايات وهدفهم الرئيسى هو هدم الشريعة بتأويل ظواهرها وتحريفها لتلائم مقاصدهم فهم يقولون : للشرائع باطن لا يعرف إلا بالإمام أو من ينوب منابه ففسروا : ﴿**يأيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائدولا آمين البيت الحرام**﴾ بأن القلائد هم الأئمة المستورون، والبيت الحرام هو الخليفة الفاطمي. ومعنى قوله تعالى : ﴿**وإذا قمتم للصلاة فأغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق**﴾. هو الإقرار بالإمام الناطق الذي يفيض عنه العلم ويوصل من قبله إلى معرفة الله تعالى والملائكة هم دعاة الإمام الذين يأخذون له العهد على المستجيبين ويربونهم على عقيدة الباطنية الاسماعيلية التي تمنح شخص الإمام الحاكم الريادة العقائدية والسياسية المغلقة وتمنحه مرتبة إلهية[3].

---

(١) انظر اخوان الصفاء ج ١ ص ٦. دار صادر. بيروت.

(٢) انظر تلبيس ابليس. لابن الجوزي.

(٣) القاضي النعمان المغربي. الرسالة المذهبية ص ٨٢.

وكـذلـك ما ورد في الحشـر والنشـر وغيرها فكلها عندهم رموز وأمثلة إلى بواطن، فمعنى الغسـل عندهـم : بمعنى تجديد العهد عليه، ومعنى الطهور : التبرؤ من كل مذهب خالف الباطنية، ومعنى التيمم : أخذ العلم من المأذون، ومعنى الصـلاة : الـدعـاء إلى الإمـام، ومعنى الـزكاة : بث العلم لمن يزكى، ومعنى الحـج : طلب العلم الـذي تشـد رحـائـل العلم إليه، والجنابة : إفشاء السـر، والكعبـة : النبي، والبـاب علي، والتلبيـة : إجـابة الداعي، والطواف بالبيت سبعاً : الطواف بالإمام إلى تمام السبعة، والنار الجهل بعلوم الباطنية(١).

ولجأت البـاطنيـة إلى الفلسفـة يستمـدون منها أوهامهم فضمت فلاسفة ومفكـرين مثـل اخوان الصفاء وشعراء مثل أبي العلاء المعري، وعلماء مثل أبي حيـان التـوحيدي وابن سينا ووالده، وتمكنت من افراز جناح عسكري في القرن الخـامس الهجـرى بقيـادة الحسن الصبّـاح الـذي اتخذ قلعة الموت سنة ٤٨٣هـ مركزاً له يبث منها دعاته ليخدعوا الأحداث والبسطاء ويضمونهم، (باسم الدين ونصـرة آل البيت) واستعـانـوا في التأثـير على الاتباع بالمخدر أو الحشيش الذي كانـوا يقـدمـونـه لهم، فإذا أصـابهم الـدوار أمـروهم بما يريدون، ولذلك سموا بالحشـاشـين. وقـد بقيت هذه الفـرقـة تثـير الفتن وتنشـر الرعب، وتعاونت مع الصليبـين في الشـام ضد المسلمـين واغتـالوا عدداً من قادة الإسلام، كما حاولوا اغتيال صلاح الدين أكثر من مرة.

وبقيت الباطنية نزيفاً داخلياً لجهد العالم الإسلامي، تأخذ كثيراً من جهد قادة المسلمين ومن أئمة المسلمين وعلمائهم الذين تصدوا لها بكل عنف.

٦ ـ الصوفيـــة :

نشأ التصوف من ينبوعين مختلفين تلاقيا(٢):

الأول : هو انصـراف بعض العبـاد المسلمـين إلى الـزهـد في الـدنيـا

(١) انظر فضائح الباطنية ص ٥٥ ـ ٥٩. الإمام الغزالي.

(٢) ابن تيمية ـ للشيخ محمد أبو زهرة ص ١٩٧ ـ ١٩٨.

والانقطاع للعبادة. وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك. فقال :

«ما بال أقوام يقولون كذا وكذا، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأنام وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني» (متفق عليه).

وبعد وفاته ﷺ كثر الزهاد الذين غالوا في الزهادة في الدنيا ونعيمها. . . وفي وسط تلك النفوس وجد التصوف مكانه إذ وجد أرضاً خصبة .

والثاني : هو ما سرى إلى المسلمين من فكرتين : الأولى فكرة الاشراقيين من الفلاسفة وهم يرون أن المعرفة تقذف في النفس بالرياضة الروحية والتهذيب النفسي. والثانية : فكرة الحلول الإلهي في النفوس الإنسانية، وقد ابتدأت هذه الفكرة تدخل في الطوائف التي كانت تنتمي كذباً إلى الإسلام في الصدر الأول عندما اختلط المسلمون بالنصارى وقد ظهرت في السبئية والكيسانية ثم القرامطة ثم في بعض الباطنية ثم ظهرت في لونها الأخير في بعض الصوفية .

وهناك معين آخر أخذت منه فيما يظهر النزعات الصوفية وهو كون النصوص والأحكام ـ أي نصوص القرآن والسنة ـ ظاهر وباطن ـ ويظهر أن المتصوفة استعاروا ذلك التفكير من الباطنية. . .

فالمغالاة في الزهد فتح لأفكار الحلول ثم وحدة الوجود فظهر التصوف في الإسلام الذي اشتد في القرن الرابع والخامس الهجرى، ثم بلغ أقصى مداه فيما بعد ذلك بعيداً كل البعد عن هدي القرآن الكريم والسنة المطهرة، حتى بلغ أن المتصوفة يسمون من يتبع القرآن والسنة أهل الشريعة : «أهل الظاهر». ويسمون أنفسهم أهل الحقيقة وأهل الباطن». فالتقت الصوفية مع الفلسفة والباطنية وحجبت كثيراً من المخدوعين عن فهم حقيقة العبادة في الإسلام، وعمدت إلى تقديس المشايخ فقالوا : «من قال لشيخه لِمَ لمْ يفلح» .

وأدرك أئمة المسلمين وعلماؤهم أهداف الفلاسفة والباطنية والصوفية فكانت لهم جهودهم الموفّقة في تفنيد بدعهم، وردّ كيدهم وابراز الحق واضحاً جلياً من خلال مصادره الأصلية كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ .

ومن أبرز هؤلاء العلماء الأئمة الأربعة، ثم الإمام ابن تيمية وابن القيم

اللذان كانت لهما صولات وجولات مع أرباب البدع وأئمة الكلام وأساطين الفلاسفة فأوسعوا نظرياتهم وأقوالهم نقضاً ونقداً من خلال الفهم الأصيل والاعتقاد المستقيم والمنهج القويم لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهما العروة الوثقى التي يجب على كل مسلم أن يتمسك بها مصداقاً لقوله ﷺ :

«تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا، كتاب الله وسنتي» .

وفي العصور الحديثة هاجمهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب والشيخ الدهلوي والشيخ أبو زهرة وغيرهم، فكان العلماء المخلصون بالمرصاد لكل من يحاول العبث بدين الإسلام .

٧ ـ الاسـرائيليات[١] :

وهي جميع العقائد غير الإسلامية، لاسيما تلك التي دسها أهل الكتاب من اليهود والنصارى بواسطة من تظاهر منهم بالإسلام، فتمكنوا من دس تفاصيل كثيرة باطلة وتوسعات عديدة تتعارض مع الإسلام القائم أصلاً على التوحيد والمتصل اتصالاً واضحاً بالإيمان بالغيب والبعث والجزاء والمستمد من قواعد القرآن الكريم ومنهجه ومنطقه في مواجهة مختلف القضايا والأمور الخاصة فيما يتعلق بعالم الغيب وماوراء المحسوس، وعلى عصمة الأنبياء والرسل .

ومن المعلوم أن مدارس للتفسير تكونت في زمن الصحابة والتابعين وتداولت تلك المدارس مجموعة من التفسير بالمأثور المنسوب بعضه إلى النبي ﷺ والمنسوب كثير منه إلى الصحابة، وأكثره منسوب إلى التابعين كمجاهد، وقتادة، ومسروق، والحسن البصري وعكرمة مولى ابن عباس، وغيرهم وهم كثيراً ما اختلط بتفسيرهم من الاسرائيليات وادخل أعداء الإسلام في هذا الباب كثيراً من الأوهام المضللة، فقد توسع التابعون في الأخذ عن أهل الكتاب فكثرت الروايات الاسرائيلية في التفسير لكثرة من دخل من أهل الكتاب في

(١) انظر مقدمة تفسير ابن كثير عن الاسرائيليات وأقسامها الثلاثة . ج ١ ص [illegible] الحلبي بمصر.

الإسلام وميل نفوس القوم إلى سماع التفاصيل عما يشير إليه القرآن[1]. ثم جاء بعد هؤلاء التابعين من عظم شغفه بالاسرائيليات وافرط في الأخذ منها إلى درجة جعلتهم لا يردون قولاً ولا يحجمون أن يلصقوا بالقرآن الكريم كل ما يروى لهم وإن كان بعيداً عن النص كالروايات في اسم الشجرة التي أكل منها آدم وأسماء أصحاب الكهف واسم كلبهم. . . واستمر هذا الشغف بالاسرائيليات والولع بنقل هذه الأخبار التي أصبح الكثير منها نوعاً من الخرافة إلى أن جاء دور تدوين التفسير فوجد من المفسرين من ضمنوا كتبهم بالقصص الاسرائيلي .

لقد نجح أهل الكتاب في دس الاسرائيليات وأبرز ما فيها مادة الكهانة والتنبؤات التي كان لها أثر سيء على المسلمين في عصور الضعف والتخلف، وتلك التفسيرات للآيات القرآنية والتوسع في أوصاف الملائكة والجنة والنار والحشر وتصويره تصويراً يخرج بها عن أصلها القرآني، والغمز في صحة عصمة الأنبياء والرسل عليهم السلام .

وقد ذهب أكثر الباحثين إلى أن أكثر الأحاديث الموضوعة من الاسرائيليات إنما وضعت عن تدبير وتخطيط وخصومة وكيد، وانها من عوامل الحرب الفكرية والعقائدية الضارية التي شنها اليهود وغلاة النحل المبتدعة على الإسلام والمسلمين بكافة الوسائل من التخفي والتسلل والتمويه بقصد تمزيق وحدة المسلمين وتلهيتهم عن دينهم القويم، وتشتيتهم عن طريقهم المستقيم[2]. وقد تنبه علماء المسلمين إلى مقاصدهم وإلى هذا الخطر منذ وقت مبكر، فقال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يحذر من الأخذ عن أهل الكتاب «يامعشر المسلمين : كيف تسألون أهل الكتاب، وكتابكم الذي أنزل على نبيه ﷺ، احدث الأخبار بالله، تقرأونه لم يشب، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله وغيروا بأيديهم الكتاب فقالوا : هذا من عند الله ليشتروا به

(١) التفسير والمفسرون ج ١ ص ١٧٦ . أحمد حسين الذهبي . ط لبنان .

(٢) الإسلام والدعوات الهدامة ص ٢٢٤ . أنور الجندى .

ثمناً قليلا ، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم ، ولا والله ما رأينا رجلاً منهم قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم»[1] .

وأثر عن الإمام أحمد بن حنبل قوله :

«ثلاثة لا أصل لهم : التفسير والملاحم والمغازي» . أي أنها ليست ذات أسانيد صحيحة متصلة[2] .

وقد أدت هذه التحديات الداخلية مع ما رافقها من تحديات أخرى وتحديات خارجية إلى شدة الضغط على العالم الإسلامي وقادت إلى الضعف والتفكك والإنحلال وتردّى المسلمون إلى حالة من العجز في مجال الخلق والإبداع وسادهم الجمود والتقليد والتواكل والانحراف عن النهج القويم ، والابتعاد عن الشريعة ، وشاب إيمان المسلمين كثير من الكدر فانهارت قواهم ووقع العالم الإسلامي لقمة سائغة في يد الاستعمار الأوربي الحديث وخرّ صريعاً امام الهجمات الشرسة التي قادتها الصليبية الحديثة مع الصهيونية والشيوعية .

٨ـ التعصب المذهبي

(١) صحيح البخاري / كتاب الشهادة ، باب لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرهما . حاشية السندي ج٢ ص٧٤ .

(٢) هنالك عدة توجيهات لعبارة أحمد منها : أنه قصد كتباً مخصوصة ، ومنها ما ذكرناه من الكتب لكنها ليست على اطلاقها فهناك روايات كثيرة مسندة صحيحة متصلة في التفسير والملاحم والمغازي .



الفصل الثاني

العوامل الخارجيــة

١ ـ التحدي المغولي «التتري» :

المغـول والتتـار قبـائـل موطنهم الأصلي منغـوليا (شمال صحراء غوبي)، وكـانت هذه القبـائـل تقضي أوقـاتها في النزاعات القبلية وفي البحث عن منابت العشب ودانت بالوثنية التي تعرف باسم الشامانية[1].

واستطـــاع تيمــوجــين بن بســوكـــاي الـــذي ولـــد في منغـــوليـــا عام **٥٤٩هـ/١١٥٥م** أن يوحـــد هذه القبـــائـــل عام **٦٠٣هـ/١٢٠٦م** ووضـــع لهم دستــوراً اجتــماعيــاً حربيــاً مختصــراً عرف باسم الياسة الكبرى أو اليساق[2] بالغ الشدة والعنف للطاعة فيه أكبر نصيب فكانوا أعظم الأمم طاعة لسلاطينهم[3]، دون معـــرفـــة معـــاني الشفقـــة أو الـــرحمـــة[4]، وبعـــد أن وحـــدهم لقب نفســـه «جنكيزخان» أي أعظم الملوك. واندفع بهم إلى الصين واستولى على بكين عام **٦١٢هـ** فاستولى بذلك على مزيد من الكنوز والنفائس، وتعلم المغول استعمال البارود[5]، ثم قضى على دولة الخطا السوداء (قره خطي) التركية المتاخمة لبلاد الصـين **٦١٥هـ**[6]، فأصبـح يطـرق أبواب العالم الإسلامي ويتحداه وكان هذا التحـدي شريكــاً لبعض الـوقت للغـزو الصليبي على عالم الإســلام، وقد حمل بهمجية وبربرية ووحشية على العالم الإسلامي وكانت حملاته وحملات أخلافه، غاشمة كمدّ البحر أو الطوفان الذي كاد يفرق ويبدد أو يقوّض الحضارة الإسلامية .

---

(١) انظر المغول في التاريخ. د. فؤاد الصياد. ج١ ص ٣٢ ـ ٣٥ .

(٢) انظر هذا الدستور/ المقريزي ـ المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٢٠ ـ ٢٢١ .

(٣) صبح الاعشي ـ القلقشندي ج ٤ ص ٢١٢ .

(٤) انظر الكامل ج ٩ ص ٣٢٩ ـ ٣٣١ .

(٥) المغول في التاريخ ص ٥٣ .

(٦) نفسه ص ٥٧ .

اصطـدم جنكيـز خان بالـدولـة الإسلامية الخوارزمية ـ وكانت قد ظهرت سنـة ٤٩٠هـ/١٠٩٦م بعـد أن ضعفت دولـة السـلاجقـة وكانت بمثابة السور الفولاذي المنيع الذي يحمي الجبهة الإسلامية من جهة المشرق[١] تمتد من العراق العجمي غربـاً إلى نهر السنـد شرقـاً، ومن شمال بحـر قزوين وآرال شمالاً إلى الخليـج العـربي والمحيـط الهنـدي جنـوباً شاملة : أذربيجان والعراق العجمي وفـارس وكـرمـان وكمـران وسجستان وخراسان وافغانستان والبامير والصغد وما وراء النهـر. وكـان على رأس هذه الـدولـة حين بدأت تطـرقهـا المطارق المغولية السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه.

هاجم جنكيـز خان الـدولـة الخـوارزمية سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م وخاضت خوارزم حربـاً مدمـرة مدة خمس سنـوات إلى أن تمزقت أوصـالها واكتسح المغول أراضيهـا وأقـاموا المجازر في بخاري[٢] وسمرقند[٣] ومرو ثم بلخ ونيسابور والري وهمدان وغـزنـه، فأبيـد المـلايين من السكان وتهدمت ألوف المساجد ودور العلم العـامـرة، وتحـولت حواضـر الإسـلام الـزاهرة في تركستان وفارس إلى كتل من اللهب والخـراب. وتـرك جنكيـز الـدولـة الإسـلاميـة الخوارزمية اشبه ما تكون بصحراء جرداء، فأباد سكانها وخرب مدنها العامرة وأحرقها.

(١) انظر النجوم الزاهرة. أبو المحاسن. ج ٦ ص ٢٧٧.

(٢) وصف ابن الأثير حالة الناس في بخارى يوم سقوط المدينة سنة ٦١٦هـ ومن وصفه :

«كـان يومـاً عظيـماً من كثرة البكاء من الرجال والنساء والولدان، وتفرقوا أيدي سبأ وتمزقوا كل ممزق، واقتسموا النسـاء أيضـا، وأصبحت بخـارى خاويـة على عروشهـا كأن لم تغن بالأمس، وارتكبـوا من النسـاء العظيم والناس ينظـرون ويبكـون ولا يستطيعـون أن يدفعـوا عن أنفسهم شيئـا مما نزل بهم، فمنهم من لم يرضى بذلك واختار الموت على ذلك، فقاتل حتى قتل... ومن استسلم أخذ اسيراً، والقوا النار في البلد والمدارس والمساجد، وعذبوا الناس بأنواع العذاب من طلب المال». (ابن الأثير. الكامل في التاريخ ج ٩ ص ٣٣٢).

وحدث أن أحد السكان فر ناجياً بجلده إلى خراسان فسئل عما فعله المغول بمدينته فقال كلمات موجزة بالفارسية :

«لقد أتوا فخربوا، وأحرقوا، وقتلوا، ونهبوا، ثم ذهبوا». الصياد. المغول في التاريخ ج١ ص ١١٨ عن الجويني ج١ ص٨٣.

(٣) ووصف ابن الأثير أيضا ما أحدثه التتار في مدينة سمرقند سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م حاضرة بلاد ما وراء النهر وأعظم المدن التجارية آنذاك بعد أن استولوا على قلعة المدينة وجمعوا الأسلحة :

«فلما كان اليوم الرابع نادوا في البلد أن يخرج جميعهم ومن تأخر قتلوه، فخرج جميع الرجال والنساء والصبيان ففعلوا مع أهـل سمـرقنـد مثـل فعلهم مع أهل بخارى من القتل والنهب والسبى والفساد، ودخلوا البلد فنهبوا ما فيه وأحرقوا الجامع وافتضوا الأبكار وعذبوا الناس بأنواع العذاب في طلب المال وقتلوا من لم يصلح للسبي. (الكامل في التاريخ ج٩ ص٣٣٣).

توفي جنكيز خان عام ٦٢٤هـ/١٢٢٧م فقام حفيده هولاكو بإتمام دوره في بلاد الإسلام فتحالف مع الصليبين وكانت زوجته نصرانية، واعلن الخاقان الأعظم انه إنما أرسل هولاكو إلى غرب آسيا ليقضي على الخلافة العباسية ويعيد بيت المقدس بعد أن كان قد حررها صلاح الدين عام ٥٨٣هـ. فاعتبر هولاكو نفسه محرراً للنصارى من المسلمين، وارسل إلى الصليبين قبل أن يبدأ غزوه المسلمين يقول:

«لدينا اعداداً كبيرة من المسيحيين بين قبائلنا، وقد جئنا بقوتنا وسلطاننا معلنين ضرورة تحرير جميع المسيحيين من العبودية ومن الضرائب التي فرضها عليهم المسلمون ومعلنين ضرورة معاملة المسيحيين معاملة تليق بهم، فلا يعتدى عليهم ولا على تجارتهم أحد، ونحن نصرح بأننا سنعيد بناء الكنائس التي خربها المسلمون»(١).

كما قام وزير المستعصم الخليفة العباسي وهو ابن العلقمي محمد بن محمد بمكاتبة هولاكو وجسّره وقوى عزمه على قصد العراق، وابن العلقمي هذا رافضي شيعي قام بإضعاف الخلافة العباسية بمكائده المختلفة، وأضعف الجيش وقلّل عدده وأشار على الخليفة بمداراة هولاكو(٢). فاستطاع هولاكو بتشجيع من النصارى والشيعة الوصول إلى بغداد عاصمة دار الإسلام ودار السلام، وبمساعدتهم تمكن دخول بغداد بجحافله، فخربوا المساجد واتلفوا المكتبات بإحراق الكتب أو بإلقائها في نهر دجلة، وقتلوا معظم سكان بغداد دون أن يستثنوا إمرأة أو طفلاً ودون أن يعطفوا على مريض أو يقدروا عالما(٣). وقد قدر المؤرخون القتلى بمليون وثمانمائة ألف، وبمليون، وبثمانمائة ألف(٤). وقتل الخليفة المستعصم بالله بتشجيع وتحريض من ابن العلقمي ونصير الدين الطوسى الاسماعيلي، فابن العلقمى نصح هولاكو بقوله: «بل المصلحة قتله،

---

(١) Lamb, The Crusades, The Flame of Islam pp 337-8

(٢) الذهبي - سير اعلام النبلاء ج٢٣ ص ١٨٠ وص ٣٦٢.

(٣) أبو الفدا - المختصر - ج٣ ص ٢٠٣.

(٤) الذهبي - سير - ج ٢٣ ص ١٧٩ / البداية والنهاية ج١٣ ص٢٠٢ / السيوطي - تاريخ الخلفاء ص٤٧٢.

وإلا فما يتم لكم ملك العـراق»[1] امـا نصـير الـدين الطـوسي الاسماعيلي فكان وزيراً ومشيراً لهولاكو استصحبه هولاكو فهون عليه تخريب بغداد وقتل الخليفة المستعصم[2]. وجميع أفراد أسرته وأهل بيته .

وكـان ابن العلقمي يطمـع أن يزيـل السنـة بالكليـة وأن يظهـر البـدعـة الرافضة باتخاذه عند هولاكو يداً، وعمل بالفعل على تعطيل المدارس والمساجد والجـماعـات والجمعـات والـربط ببغداد، واستمر بالمشاهد ومحال الرفض، وكان يريـد أن يبني مدرسـة هائلة للرفض[3]. ولكن هولاكـو أهمله وأذلّـه فذاق وبـال أمره، وتوفى مذموماً مدحوراً.

وهكـذا أصبحت بغـداد ـ دار السـلام ـ بفعل التتار والنصارى والرافضة مأوى لجماعـة من النصـارى والـزط والشيعـة والـوثنيـين، فقد طلب هولاكو من بطريق النساطرة أن يجمع النصارى في إحدى الكنائس حتى يميزوا عن غيرهم فلا يتعرض لهم جند التتار .

وكـان سقـوط بغـداد عاصمـة الخـلافة أشبه بزلزال رهيب دك بنيان بلاد الإسلام من أقصاها إلى أقصاها، ونظم الشعراء من العرب والفرس المراثي التي تشيع الأسى في النفس وتثير الشجون[4].

تقـدم هولاكـو بعـد ذلـك إلى الشـام، وهاجم حلب ودخلها بعد حصار شديد وتركها شعلة من اللهب والدخان، ودخل كتبغا دمشق، فسقطت حاضرة الشـام صريعـة تحت أقـدام المغـول سنة ٦٥٧هـ، واشتركت معه فرق نصرانية أرمنيـة وافـرنجيـة، فسنحت للنصارى الفرصة للتشفي والانتقام من المسلمين، فنظموا مواكب عامة حملوا فيها الصلبان وأنشدوا الأناشيد ويذمون دين الإسلام وأهله، واجـبروا المسلمـين على أن يقفـوا احـترامـا لمواكبهم ومن امتنع تعرض للسب والأهانة، وبلغ بهم التحدي اقصاه فدقوا النواقيس، وتظاهروا بالخمر في

(١) الذهبي ـ سير ـ ج٢٣ ص١٨٠ .

(٢) البداية والنهاية ج١٣ ص ٢٠١ وص ٢٦٧ .

(٣) البداية والنهاية ج١٣ ص ٢٠١/ الذهبي ج٢٣ ص ١٨٠ .

(٤) البداية ج١٣ ص ٢١٩، الذهبي ـ دول الإسلام ج٢ ص١٢٥، المقريزي ـ السلوك ج١ ق٢ ص٤٢٥/ النجوم الزاهرة ج٧ ص٨٠.

رمضان ورشوه على ثياب المسلمين في الطرقات، كما صبوه على أبواب المساجد ولم يستثنوا حتى الجامع الأموي، فضجر المسلمون ورفعوا شكواهم إلى ابل سبان متسلم البلد وكان نصرانياً فلم يحفل بهم، بل أهانهم، وضرب بعضهم، وأخذ يزور الكنائس ويعظم رجالها على اختلاف مذاهبهم[1].

وقيض الله سبحانه وتعالى لأمة الإسلام: المماليك في مصر بقيادة قطز والظاهر بيبرس، وعلماء مثل العز بن عبد السلام، فتحركت في الأمة روح الجهاد واستثيرت طاقات الأمة ووجهت إلى الجهاد في مصر والشام، وتحركت جيوش الإسلام من مصر عام ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م والتقت بجيوش المغول تؤيدهم وتؤازرهم بعض النجدات النصرانية من الأرمن والكرج - في عين جالوت بين بيسان ونابلس على أرض فلسطين[2] في ٢٥ رمضان والقى قطز بخوذته على الأرض أثناء المعركة وصاح بصوت كالرعد:

وا إسلاماه، اللهم انصر عبدك قطز على التتار»[3] فكتب الله النصر المبين للإسلام، وانهزم المغول هزيمة منكرة لأول مرة في تاريخهم، بعد أن كانت القلوب قد يئست من النصرة عليهم لاستيلائهم على معظم البلاد الإسلامية، ولأنهم ما قصدوا اقليماً إلا فتحوه، ولا عسكراً إلا هزموه[4]. فتكسرت حدة موجات التتار، وتحول مدهم إلى جزر، واسترجع المماليك منهم الشام بأكملها، فكانت عين جالوت فاتحة سلسلة من الانتصارات توالت على المسلمين، وحطمت اسطورة قوى المغول، وعاد دين الإسلام غض الإهاب[5]. وأسلم بركة خان حاكم القبجاق وابن عمه هولاكو، فساعد المسلمين ضد ابن عمه[6].

وبقي المسلمون يقاسون الأمرّين من المغول في فارس والعراق واستمرت غاراتهم على الشام والمسلمون يردونهم، كما حدث في وقعة حمص سنة

(١) البداية والنهاية ج١٣ ص٢١٩.
(٢) ياقوت ـ معجم البلدان ـ ج٤ ص١٧٧.
(٣) المقريزي ـ الخطط. ج٢ ص ٣٨.
(٤) أبو الفدا ـ المختصر ج٣ ص ٢١٤/ النجوم الزاهرة ج٧ ص ٩٠-٩١.
(٥) انظر القلقشندى ـ صبح الأعشى ج٧ ص ٣٦٠ ـ ٣٦٢.
(٦) البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٤٩/ المقريزي ـ السلوك ج١ ق٢ ص٣٩٥.

٦٨٠هـ[1]. وقد هداهم الله للإسلام فضاع على الصليبين أملهم في الانتصار على المسلمين كما ضاعت مجهوداتهم من قبل في الشام، فقد اعلن أحمد بن هولاكو إسلامه عام ٦٨٠هـ[2]. ولكن حالة المسلمين لم تمكنها من أن تبعث في نفوس المغول النواحي الإيجابية التي تقود إلى الإصالة وإلى المساهمة في رفع شأن الإسلام كدين وشريعة والمساهمة في بناء صرح الحضارة الإسلامية، وأعمال قازان الذي غزا الشام واجتاحها سنة ٦٩٩هـ إلى سنة ٧٠٢هـ وفعله القبائح[3] دليل على ذلك. فاستمر العلماء يحرضون على جهادهم فكانت موقعة شقحب الفاصلة سنة ٧٠٢هـ التي انهزم فيها التتار هزيمة منكرة. وكانت فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية في حربهم، قال: «فإن هذه الفتنة التي ابتلي بها المسلمون مع هذا العدو المفسد الخارج عن شريعة الإسلام قد جرى فيها شبيه ما جرى للمسلمين مع عدوهم على عهد رسول الله ﷺ في المغازي التي أنزل الله فيها كتابه وابتلى بها نبيه والمؤمنين... فينبغي للعقلاء أن يعتبروا بسنة الله وأيامه في عباده، ودأب الأمم وعاداتهم، لاسيما في مثل هذه الحادثة العظيمة التي طبق الخافقين خبرها، واستطار في جميع ديار الإسلام شررها، واطلع فيها النفاق ناصية رأسه وكشر فيها الكفر عن أنيابه وأضراسه وكاد فيه عمود الكتاب أن يجتث ويخترم... وأن يزول هذا الدين باستيلاء الفجرة التتار».

وبيّن الشيخ من تعاون مع التتار وسبب تعاونهم ذلك. فقال: «وفي المنتسبين إلى الإسلام من عامة الطوائف منافقون كثيرون في الخاصة والعامة، ويسمون الزنادقة... وهؤلاء يكثرون في المتفلسفة من المنجمين، ونحوهم، ثم في الأطباء، ثم في الكتّاب أقل من ذلك. ويوجدون في المتصوفة والمنفقهة، وفي المقاتلة والأمراء، وفي العامة أيضاً، ولكن يوجدون كثيراً في نحل أهل البدع لاسيما الرافضة. ففيهم من الزنادقة والمنافقين ما ليس في أحد من أهل النحل، ولهذا كانت الخرّمية والباطنية والقرامطة والاسماعيلية والنصيرية ونحوهم من المنافقين الزنادقة منتسبين إلى الرافضة.

(١) البداية والنهاية ج١٣ ص ٢٩٥.

(٢) ابن عبد الظاهر - محيي الدين - تشريف الأنام والعصور في سيرة الملك المنصور/ تحقيق مراد كامل - وزارة الثقافة والإرشاد القومي ١٩٦٩م/ ص٢٤.

(٣) البداية والنهاية ج١٤ ص ٦-٢٣ / النجوم الزاهرة ج٨ ص١٤٢-١٤٦.

وهؤلاء المنافقين في هذه الأوقات لكثير منهم ميل إلى دولة هؤلاء التتار لكونهم لا يلزمونهم شريعة الإسلام. بل يتركونهم وما هم عليه. . . »[١]

واستمرت قسوة التتار كأعمال تيمورلنك إذ ملأ بلاد آسيا الوسطى والغربية قتلى وأشلاء وأكداس من الجماجم وخرائب، وقد لحق بالشام من فتكه وتدميره الشيء الكثير[٢].

وهكذا اسهم الغزو المغولي في ضعف بلاد الإسلام وفي انهاكها، وقد عبر السيوطي عن مأساة هذا الغزو بقوله: «هو حديث يأكل كل الأحاديث وخبر يطوي الأخبار، وتاريخ ينسي التواريخ، ونازلة تصغر كل نازلة، وفادحة تطبق الأرض وتملأها ما بين الطول والعرض[٣].

وقال ابن الأثير في كامله ـ وهو لم يشهد خراب بغداد بل شهد خراب ما وراء النهر وخوارزم من بلاد الإسلام: «حادثة التتار من الحوادث العظمى والمصائب الكبرى التي عقمت الدهور عن مثلها، عمت الخلائق وخصت المسلمين، فلو قال قائل: إن العالم منذ خلقه الله تعالى إلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقاً، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها[٤].

٢ ـ الحروب الصليبية:

مثل التحدي الصليبي التحدي الرئيسي في مواجهة الإسلام والمسلمين واستغلته اليهودية في صراعها مع الإسلام، وقد حملت الدولة البيزنطية وزر مقارعة الإسلام فكرياً وعسكرياً من أول ظهوره إلى أن تهاوت وانهارت نهائيا تحت مطارق الإسلام عام ٨٥٧هـ/١٤٥٣م. فانتقل ذلك إلى الامبراطورية الروسية والنمساوية وفرنسا وانجلترا، وفي الوقت الذي كان فيه الاسبانيون والبرتغاليون يتحركون بدافع الحقد على الإسلام والمسلمين ويدفعون المسلمين

---

(١) انظر ـ العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية/ للإمام محمد بن أحمد بن عبد الهادي/ دار الكتب العلمية ـ بيروت/ لبنان ص ١٢٠-١٤١.

(٢) صبح الأعشى ج ٨ ص ١٠٣ ـ ١٠٦.

(٣) تاريخ الخلفاء ص ٤٦٧.

(٤) الكامل في التاريخ ج ٩ ص ٣٢٩.

عن الأندلس. وكل أولئكم يحركهم البابا في روما وتنفخ فيهم الكنيسة روح الحقد على المسلمين وتثيرها حرباً لا هوادة فيها. وبقيت هذه الروح هي المسيطرة حتى بعد أن انشقت الكنيسة الكاثوليكية، وقامت بحركة الاصلاحات الدينية ـ تمكن الأتراك السلاجقة أن يحيوا روح الجهاد في الأمة فحملوا راية الجهاد بعد منتصف القرن الخامس الهجرى ضد البيزنطيين واصطدم سلطانهم ألب ارسلان بقوة بيزنطية هائلة، كان يقودها الامبراطور ديوجينس وقد تشتت شمل النصارى في معركة ملاذكرد عام ٤٦٣هـ/١٠٧١م وكانت معركة من المواقع الحاسمة في التاريخ نتج عنها انتشار الإسلام في آسيا الصغرى وتركيزه، وأصبحت من ذلك اليوم من ديار الإسلام. فاتجه أباطرة بيزنطه لتسوية الخلاف مع البابا واستنجدوا به لحمايتهم، فوجدوا أذنا صاغية من البابا: «اوربان الثاني» الذي دعا للحروب الصليبية بإعلان كليرمونت عام ١٠٩٥، حين القى خطاباً دعا فيه النصارى للحرب ضد المسلمين لاستخلاص بيت المقدس من المسلمين ووعد من يشترك فيها من النصارى بالغفران الكامل، فتجاوب هتاف النصارى: «هكذا أراد الله» واتخذوا شعار الصليب وبدأوا بالتدفق على بلاد الإسلام عام ١٠٩٧م فاشتعلت حرب ضارية بدون هوادة طوال قرنين من الزمان.

بدأ التدفق الصليبي في الوقت الذي كان فيه المسلمون قد بدأوا بالتفتت والصراع بعد وفاة السلطان ملكشاه سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٢م فانقسمت الدولة بعد خمس سنوات فقط من وفاته إلى خمسة ممالك متنافسة هي: سلطنة فارس، ومملكة حلب، ومملكة دمشق، وسلطنة سلاجقة الروم. وفي الوقت نفسه تعرضت بلاد الشام إلى انقسام آخر وظهرت وحدات سياسية عرفت باسم الاتابكيات مثل اتابكية دمشق، الموصل، وبعضها صغير جداً لا يتعدى أسوار مدينة أو قلعة واحدة[1]. وساد هذه السلطنات والاتابكيات النزاع والحروب وبالإضافة لذلك فقد دخلت هذه الدويلات مع الدولة الفاطمية التي (تحالفت

---

(١) انظر ـ ابن خلدون ج٥ ص ٢١/ وانظر البداية والنهاية ج١٢ ص١٥٦.

مع الحركة الباطنية الاسماعيلية) في صراع مرير استنفذ طاقاتها المادية والبشرية. وفي هذا الجو تدفقت جموع الصليبيين يشترك فيها امراء الاقطاع والفرسان ورجال الدين. فانتصروا في البداية وأطاحوا بملك سلاجقة الروم واستولوا على عاصمتهم نيقية سنة ٤٩١هـ/١٠٩٧م وكوّنوا في بلاد الشام وآسيا الصغرى إمارة الرها وإمارة انطاكية وإمارة طرابلس ومملكة بيت المقدس اللاتينية عام ٤٩٢هـ/١٠٩٨م. وضرب الصليبيون مثالاً للحقد على الإسلام والمسلمين فاتسم الغزو بروح التعصب والانتقام فقد سفكوا الدماء في الرها وانطاكية وطرابلس وبيت المقدس، وسفكوا دم سبعين ألف مسلم أويزيد في ساحة المسجد الأقصى من المجاورين والعلماء والطلاب والعباد والزهاد وخاضت خيولهم بدم الضحايا من الرجال والنساء والأطفال(١).

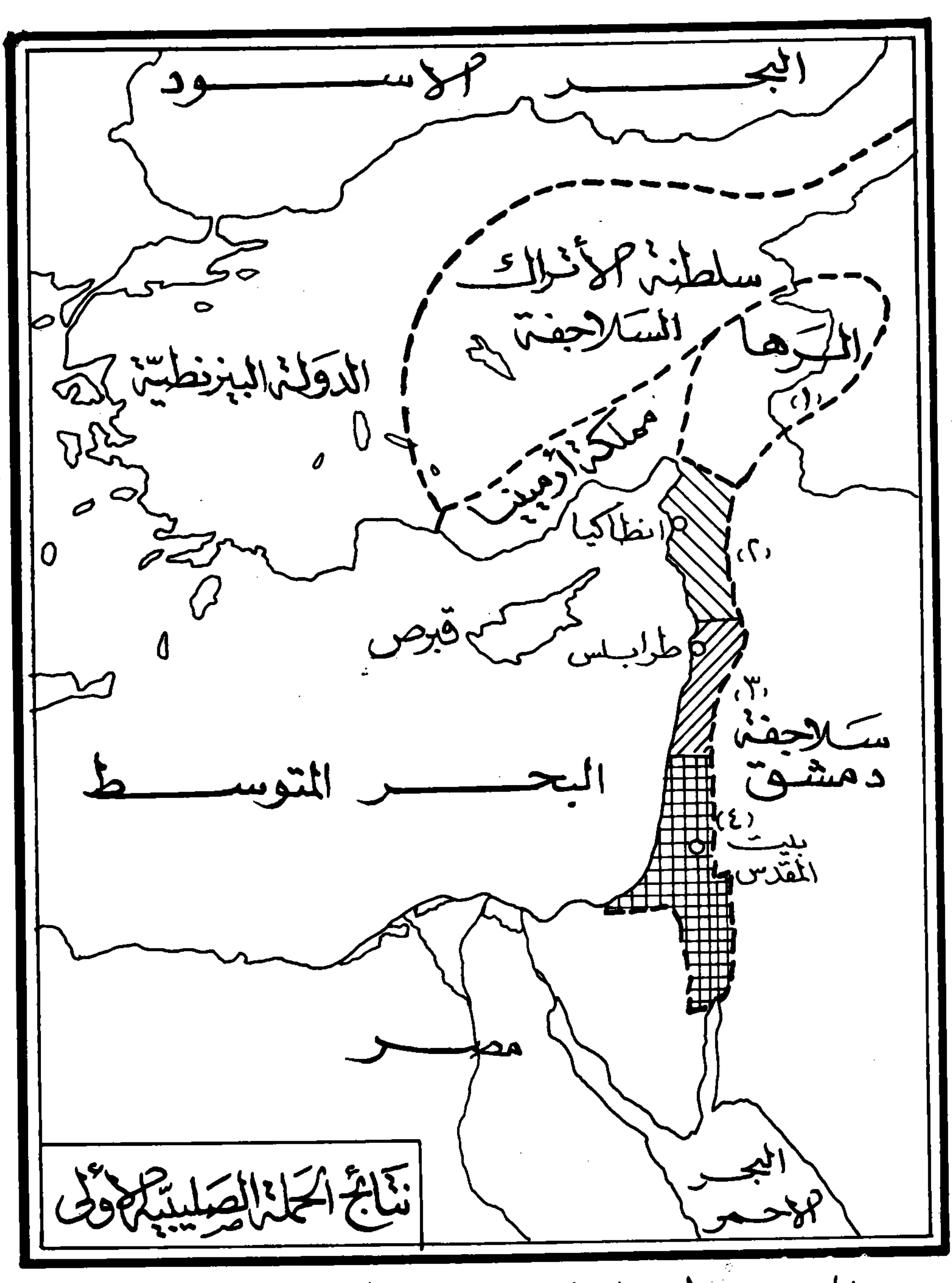
ومن الجدير بالذكر أن الحروب الصليبية قد بدأت في الجزء الغربي من العالم الإسلامي قبل هذا التاريخ، فسقطت صقلية فريسة سائغة لهجمات النورمان سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م(٢) ومحيت من خريطة البلدان الإسلامية فكانت الشهيدة الأولى التي ذهبت ضحية الإهمال والتخاذل، واما الأندلس فكانت سنة ٤٠٧هـ(٣) مبدأ التفرق والتمزق فكان عصر ملوك الطوائف فأخذت كفة النصارى ترجح، وأصدر البابا اوربان مرسوماً حرم فيه على رجال الدين والفرسان الأسبان المشاركة في صليبيات الشرق لأن محاربة المسلمين باسبانيا لا تقل أهمية واعتبارا عن الحرب الصليبية الشرقية، فنتج من ذلك أن هرع الكثير من الفرسان من مختلف أوربا إلى الأندلس ليساهموا في حرب صليبية هي أقرب سبيلاً وايسر مشقة وعناء، واعلن البابا باسكال الثاني الحرب الصليبية ضد مسلمي الأندلس، وأصبح من المألوف أن يأذن البابا لملوك الأسبان في استعمال أموال الكنائس لمحاربة المسلمين، وكانت البعثات الصليبية الواردة من أوربا الشمالية (انكليز، المان، هولنديون) لا ترى مانعاً إذا تعطلت في سيرها أن تعين ملوك الاسبان في حرب المسلمين وأن يكتفي البعض منهم بتلك المساهمة .

---

(١) المراجع السابقة.

(٢) الكامل لابن الأثير ج ٨ ص ١٥٧ .

(٣) المطوي ص ١٨ .



(١) الرها «إمارة»　　(٣) طرابلس «إمارة»

(٢) أنطاكيا «إمارة»　　(٤) بيت المقدس «مملكة»

وفي سنة ٦٣٢هـ/ ١٢٤٤م أصدر البابا جريجوار التاسع قراراً وعد فيه النصارى الذين يحاربون مع ملك البرتغال بغفران ذنوبهم كما لو كانوا في الحروب الصليبية في الأراضي المقدسة، فكان البابا يثير حماس البرتغاليين ضد المسلمين[١].

وتشاء حكمة الله تعالى أن ينهض في كل دور من أدوار التاريخ الإسلامي وفي كل ناحية من نواحي العالم الإسلامي رجال يقومون في هذه الأمة على طريقة الأنبياء في ميدان القيم والمعتقدات يجددون أمر الدين وينفخون روح الجهاد في الأمة. تبعاً للقاعدة التي لا تتخلف: ﴿**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**﴾. فظهر في بلاد المغرب دولة المرابطين والموحدين قارعتا الصليبيين في الأندلس. ومنّ الله تعالى على العالم الإسلامي في القرن السادس الهجري بعماد الدين زنكي أتابك الموصل، الذي التفّ حوله المخلصون من المسلمين وجعلوا من دولته دار هجرة تداعوا إليها من جميع الأقطار، فأخذ منذ توليه سنة ٤٨٧هـ يعد الناس إعداداً إسلامياً ويطهر الدين من التيارات الفكرية المنحرفة كالباطنية وآثار الفلسفة اليونانية والممارسات الفاطمية للعبادات والشعائر ويعمل على تحقيق الوحدة الإسلامية بين الشام ومصر وشبه الجزيرة العربية، وبدأ بمقارعة الصليبيين وهزمهم في معارك كثيرة واستعاد الرها سنة ٥٣٩هـ وفتح غيرها من حصونهم بالجزيرة[٢].

ولما استشهد سنة ٥٤١هـ[٣] خلفه ابنه: الملك العادل نور الدين محمود زنكي (ت سنة ٥٦٩هـ)[٤] وفي نفس السنة تمكن عبد المؤمن بن على أن يملك ما في جزيرة الأندلس من بلاد الإسلام[٥]، وتمكن نور الدين أن يهزم الصليبيين هزائم متوالية واتم توحيد مصر والشام وشمال العراق والحجاز فوضع الصليبيين بين فكي كماشة. فقد دخلت قواته مصر بقيادة أسد الدين شيركوه سنة

---

(١) المطوي ص ١٩١.
(٢) الكامل في التاريخ ج ٩ ص ٨.
(٣) الكامل في التاريخ ج ٩ ص ١٣.
(٤) نفسه ج ٩ ص ١٢٤.
(٥) نفسه ج ٩ ص ١٤.

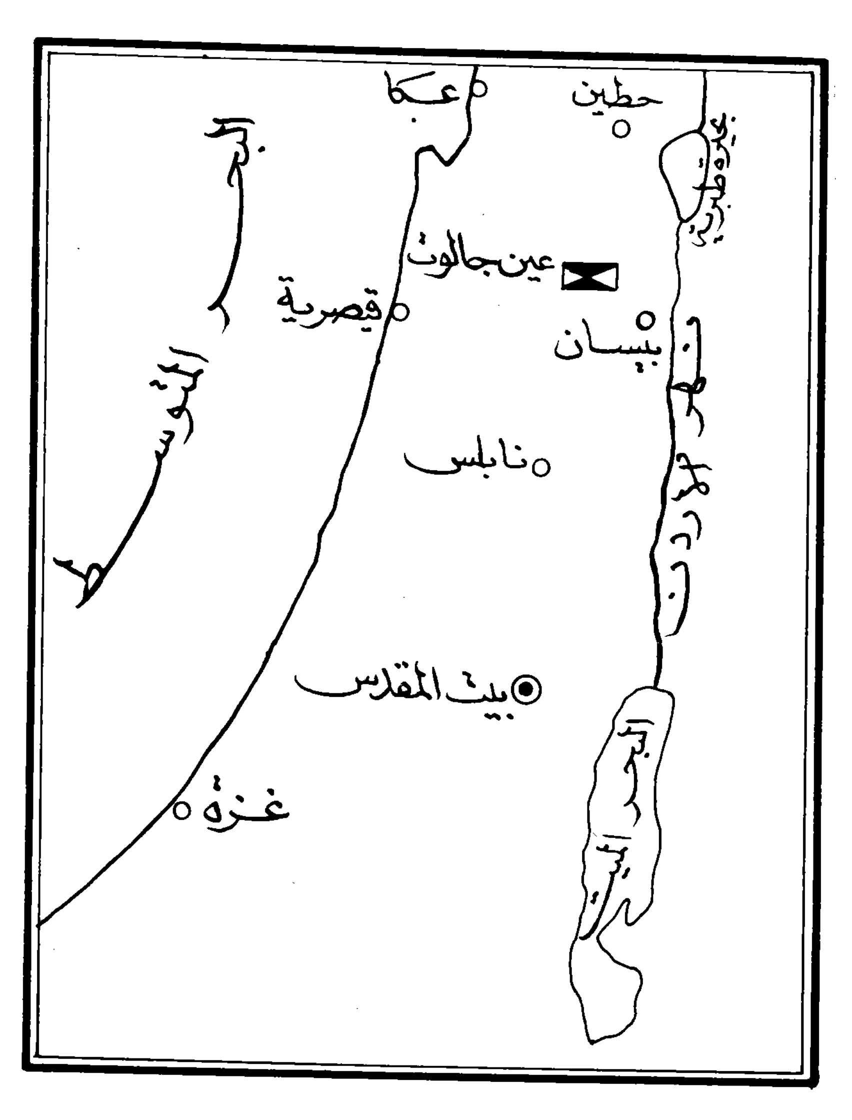
٥٦٢هـ[١] وتوفي أسد الدين سنة ٥٦٤هـ فوزر صلاح الدين ابن أخيه للخليفة الفاطمي العاضد ولما مات العاضد سنة ٥٦٧هـ أقام الخطبة العباسية بمصر والغى الدولة الفاطمية، وأصبحت مصر جزءاً من الدولة النورية تابعة للخلافة العباسية[٢].

ولما توفي نور الدين رحمه الله سنة ٥٦٩هـ أتم مهمته الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب الذي هيأه الله سبحانه وتعالى لاستخلاص بيت المقدس، فقد جمع فيه من خصال الحزم والعزم والإخلاص والحرص على الجهاد ونصر الإسلام ومكارم الاخلاق ما لا يجتمع إلا في أفذاذ الرجال، فكان معجزة من معجزات الإسلام التي تتكرّر ودليلاً على أن الإسلام لم ينته دوره ولم يفقد الحيوية والانتاج، فقد استجمع طاقة الأمة وهزم الصليبيين في معركة حطين بفلسطين عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م[٣] وكسر شوكتهم واستعاد بيت المقدس واحضر له المنبر الذي اعده نور الدين محمود للمسجد الأقصى فعاد الإسلام إلى تلك الديار غضّاً طرياً[٤]. وفي نفس الوقت كان يوسف بن تاشفين والمعتمد بن عباد يخوضان معركة الزلاقة ضد الصليبيين في الأندلس سنة ٥٩١هـ[٥]. وقد تم دحر الصليبيين نهائيا واخراجهم من بلاد الشام على يد الأشرف خليل بن قلاوون من سلاطين المماليك عام ٦٩٠هـ/١٢٩١م[٦].

استطاعت الحروب الصليبية التي استمرت قرنين في المشرق استنزاف جميع القوى البشرية والمادية في منطقة الشام ومصر واتسم الفكر الإسلامي في هذه الفترة بطابع المقاومة والتحدي ورد الفعل بالدعوة إلى الجهاد وابراز القدوة الحسنة، ذلك كما فعل شيخ الإسلام ابن تيمية وكما فعل قبله سلطان العلماء

(١) الكامل ج ٩ ص ٩٥ .
(٢) نفسه ج ٩ ص ١١١ .
(٣) نفسه ج ٩ ص ١٧٨ .
(٤) نفسه ج ٩ ص ١٨٥ . وانظر العماد الأصفهاني/ الفتح القسي في الفتح القدسي ص ٣٩٧-٣٩٨/ وابن شامة/ كتاب الروضتين ق٢ ص٤٢١ .
(٥) البداية والنهاية ج ١٣ ص ١٠ .
(٦) البداية والنهاية ج ١٣ ص ٣٢٠ .

العز بن عبد السلام ، ومن نتائجها أيضا أن القيت مقاليد الأمور بيد العسكريين لبر وز روح التحدي والجهاد هذه ، فجمدت أوضاع المسلمين الإقتصادية وتناقصت الثروة وضعفت الأيدى العاملة ، بالإضافة إلى الخراب والدمار الذي حل بالمسلمين في جميع أقطارهم وخاصة الشام ومصر وآسيا الصغرى وتونس والأندلس .



فلسطين وموقعتا حطين و عين جالوت

وقد عزلت الحملات الصليبية الأندلس عن قاعدته في المغرب الإسلامي، وأخذت في تفتيت المسلمين مادياً ومعنوياً بصورة بطيئة مع تجريدهم بصورة مستمرة من مصادر قوتهم. وبالرغم من ذلك بقيت الأندلس تقاوم واحتملت فوق قدرة احتمال البشر على امتداد قرون عديدة إلى أن سقطت غرناطة آخر معاقل المسلمين سنة ٨٩٧هـ/١٤٩٢م بيد فرديناند وايزابيلا(١). وكانت قد ضاعت أيضاً صقلية وجنوب ايطاليا وجزر البحر الأبيض المتوسط.

واستفاد الغرب الصليبي من الحروب الصليبية كثيراً(٢):

سياسيا: ازدادت سلطة الملوك، باشتراك عدد كبير من أمراء الاقطاع مع فرسانهم في الحروب الصليبية، فخلا الجو للملوك فزادت سلطاتهم على رعاياهم، فظهرت الممالك الأوربية الحديثة.

اجتماعيا: اقتبس الأوروبيون كثيراً من مظاهر الآداب الاجتماعية والأخلاق واللباس من المسلمين، وعادوا لتطبيقها على أوربا، كما اهتزت طبقة الاقطاعيين وأخذت تظهر طبقات أخرى مثل الطبقة الوسطى من التجار خاصة.

إقتصاديا: فقد تسلم الأووروبيون زمام التجارة بأنفسهم وتعلموا بعض الصناعات وخاصة صناعة الحرير والزجاج والورق ونقلوا بعض أشجار الفاكهة إلى أوربا وتعلموا أساليب الزراعة.

علمياً وثقافيا: فقد نشأت حركة واسعة في ترجمة العلوم والمعارف الإسلامية إلى اللاتينية بعد أن أطلع الأوروبيون على معلومات جغرافية وفلكية وتاريخية وزراعية مكنتهم من حب الاستطلاع.

وباختصار فقد أحدثت الحروب الصليبية تغيرا في أوربا في مختلف نواحي الحياة ومجالاتها ونقلتها من عصر الاقطاع المظلم إلى عهد جديد أطلق عليه اسم: عصر النهضة ـ وحركة النهضة هذه حركة تغيير شاملة لجميع نواحي

---

(١) انظر العسلي ـ الأيام الحاسمة في الحروب الصليبية ص ٢٢٩ ـ ٢٣١.

(٢) انظر. د. سعيد عبد الفتاح عاشور/ أوربا العصور الوسطى ج١ ص ٤٧٥-٤٧٧.

الحياة السياسية والاجتماعية والإقتصادية والثقافية في أوربا وامتدت من القرن الثاني عشر الميلادي إلى القرن السادس عشر. وابتدأت في ايطاليا لصلتها الكبيرة بالعالم الإسلامي من بقية أوروبا عدا أسبانيا والبرتغال .

ويمكن تلخيص أسباب اليقظة الأوروبية في[1] :

١ ـ الروح الدافعة التي بثها الإسلام وحضارته في أرجاء العالم فأخذت تسرى في أوصاله مجددة حياته وقواه، وقد تلقفتها أوربا عن المسلمين إبان الحروب الصليبية في الشرق وعن طريق الأندلس وصقلية وجنوب ايطاليا والجامعات الإسلامية .

٢ ـ التمرد على الكنيسة الجاهلة ونبذ سلطانها السياسي والديني بكل ما يمثله من خطايا واخطار وحجر على الفكر وكبت للعلم واضطهاد للعلماء باسم دين الكنيسة وعصمتها .

نعم افادت النهضة الأوروبية من الحضارة الإسلامية كما تقول المصادر الأوروبية نفسها[2] ولكنها لم تسر على الخط الإسلامي بما أفادته، بل صبغت ذلك كله بالصبغة اليونانية والرومانية والوثنية، فكانت حركة النهضة ردّة إلى الوثنية الأولى ـ يغشيها غشاء رقيق من النصرانية ظل هذا الغشاء يرق كثيراً شيئاً فشيئا إلى أن تمزق نهائياً في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين للميلاد. فصارت أوربا لذلك أعجب مركب حضاري، أخذ من الإسلام روحه الحضارية، ومن اليونان والرومان مثله وقيم حياته الجديدة التي قامت على انقاض مجتمع الكنيسة ودينها المهزوم، وأخذت هذه تتعامل مع العالم الإسلامي حين تمّت لها الجولة بروح هي خليط من هذه المتناقضات فكانت ملحدة في كل شيء إلا مع المسلمين فهي صليبية تتحالف فيها الدولة العلمانية مع الكنيسة، ويقوم فيها الرجل بدور الراهب والمبشر والعالم والمستشرق والجاسوس المحترف في آن واحد أحياناً[3] .

(١) انظر فتح الله ص ٢٦ .

(٢) انظر غوستاف لوبون ـ دور العرب في تكوين الفكر الأوربي .

(٣) فتح الله ص ٢٧ .

٣ ـ حركة الاستعمار الأوروبي :

أدرك الصليبيون أن مهاجمة العالم الإسلامي في قلبه ضرب من المحال فبدأوا بتغيير الاستراتيجية ، واتجهوا إلى أساليب أخرى . وكانوا قد تعلموا باتصالهم بالعالم الإسلامي : البوصلة والاسطرلاب وخرائط البحار وكروية الأرض ، وعرفوا عن اقاليم خط الاستواء ، فمكنهم ذلك من ارتياد البحار وتعلموا أسلوب التجربة فسارت مخترعاتهم قدماً ، فاستطاع جاليليو العالم الايطالي اختراع المنظار الفلكي ، ونادى كوبرنيكس بفكرة دوران الأرض حول الشمس ، وتطور البارود الذي شل نظام الاقطاع نهائياً وقضى عليه . واخترع يوحنا غوتنبرج الألماني الطباعة بالحروف المتحركة ، كل ذلك مكنهم من معاودة الهجوم على المسلمين بأسلوب آخر هو أسلوب الاستعمار الذي مرّ بمرحلتين :

المرحلة الأولى : الاستعمار الأوروبي القديم

كانت حركة الكشوف الجغرافية التي تم شطر كبير منها في القرن الخامس عشر الميلادي أهم نتيجة عملية للنهضة الأوروبية ، وقد هدف الأوروبيون من هذه الحركة إلى تحقيق أمرين :

أ ـ تطويق العالم الإسلامي لإضعافه تمهيداً لضربه في الداخل .

ب ـ البحث عن طريق تجاري لا يمر بديار المسلمين مع الهند .

وقد ساعد الأوروبيين في مهمتهم هذه الاسطرلاب والبوصلة والخرائط البحرية ومعرفة كروية الأرض ، فقد سعى البرتغاليون للحصول على علوم المسلمين الملاحية واستعانوا بالتجار اليهود في الأندلس الذين قاموا بدور الجواسيس في الحصول على معلومات المسلمين وتقديمها إلى أسيادهم البرتغاليين . وساعد اليهود على نجاحهم في عمليات التجسس معرفتهم باللغة العربية ، وقاموا برحلات بين المشرق والمغرب براً وبحراً لهذا الغرض وتظاهر بعضهم بالإسلام ، فتتابع وصول الجواسيس إلى مصر وسائر بلاد الإسلام ، ففي عام ٨٩٤هـ/١٤٨٨م قام جماعة من الجواسيس اليهود متخفين في زي تجار



مراكز انتقال الحضارة الإسلامية إلى أوروبا

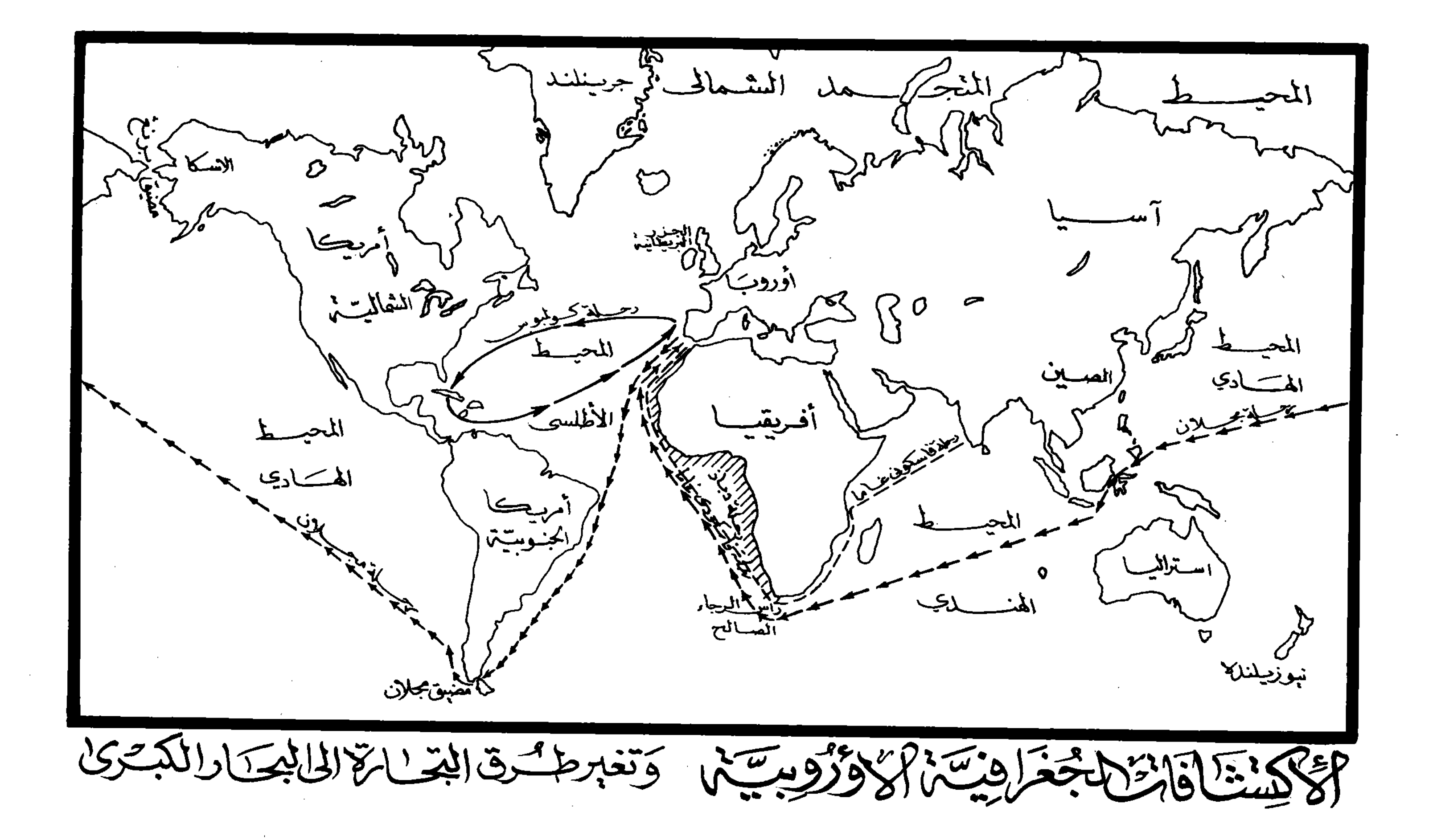
برتغـاليـين بالسفر إلى مصر سراً وكان على رأسهم «الفونسو دي بايفا»(١) ووقف الجـواسيس على معلومـات هامـة عن كل ما يتصـل بتجـارة التوابل وغيرها من البضـائـع الشـرقيـة، ثم اقلعـوا على سفينـة عربية من السويس إلى عدن، ثم استقلوا سفينـة أخـرى متظـاهـرين بالإسـلام وسـافـروا إلى الهند، قبل وصول فاسكودي غاما إليها بنحو عشر سنوات وجمعوا ما راق لهم من معلومات ثم شدوا رحالهم إلى البرتغال عن طريق مصر، وفي أثناء مرورهم بالقاهرة التقى هؤلاء ببعثـة تجسس أخـرى كانت تضم ابـراهـام دى بيا ويوسف لاميجو(٢) وهي على شاكلة البعثة الأولى تستهدف جمع المعلومات، وانضمت البعثتان في بعثة واحدة سافرت إلى هرمز ثم زيلع ومنها إلى الحبشة ثم عادت إلى مصر وواصلت سفرها في رحلة العـودة إلى الـبرتغـال، واستطـاعت هذه البعثـة الحصول على خرائط عربيـة عن المحيـط الهنـدي ومعلومـات تفصيليـة عن التيارات البحرية والرياح الموسمية في هذا المحيط، فضلاً عن البيانات الخاصة بالتجارة الشرقية من حيث حجمها وفئاتها وما إلى ذلك. وقدمت البعثة كل ذلك إلى السلطات الحاكمة في لشبـونـة فكـانت لهم نعم المعـين في تقـدير الموقف والمضي قدماً في إيفاد البعوث الكشفيـة الجغـرافيـة ابتغـاء الـوصول إلى الهند بحراً. فتمكن بارتليمو دياز من الـوصـول إلى رأس الـرجـاء الصـالـح (جنـوب افـريقيـا) وأتم فاسكودي غاما بمساعدة العالم المسلم أحمد بن ماجد الرحلة، فوصل البرتغاليون إلى كاليكوت في الهنـد وأخـذوا يقيمـون المـراكـز والحصـون والقلاع على السواحل الافريقية والاسيـويـة، لبسـط سيطـرتهم العسكـريـة والتجـارية على هذه المنطقة وهزموا اسطـولاً إسـلاميـاً ضم سفنـاً من المسلمـين في الهنـد ومن دولـة المماليك في مصر والشـام ومن الـدولـة العثـمانيـة في آسيا الصغرى والبلقان ٩١٥هـ/ ١٥٠٩م في معـركـة ديـوشمالي بومبي بالهنـد(٣): فتأكـدت سيـادة الصليبيـين على البحـار وانحسرت قوى المسلمين في المحيط الهندي.

---

(١) د. عبد العزيز الشناوي / أوربا في مطلع العصر الحديث ص ٩٧.

(٢) د. عبد العزيز الشناوي ـ أوربا في مطلع العصر الحديث ص ٩٨.

(٣) فتحي غيث ص ١٤٤.



الاكتشافات الجغرافية الأوروبية وتغير طرق التجارة الى البحار الكبرى

وتمكن خريستوفر كولمبوس الجنوي الأصل - (٨٥٥ - ٩١٢هـ/ ١٤٥١ -١٥٠٦م) - من الوصول إلى جزر البحر الكاريبي ظانا أنها جزر الهند لصالح أسبانيا، وذلك لفكرة سيطرت عليه وهي أنه إذا ابحر غرباً من مضيق جبل طارق وعبر المحيط الأطلسي استطاع أن يصل إلى الشواطيء الشرقية لآسيا(١) وبالفعل وصل إلى جزر البحر الكاريبي، سنة ٨٩٨هـ/ ١٤٩٢م وعرف امريكو فسبوتشي أنّها أراض جديدة فسميت باسمه أمريكا ٩٠٧هـ/ ١٥٠١م(٢).

لقد حملت الاكتشافات الجغرافية الروح الصليبية بما فيها من حقد وكراهية على الإسلام والمسلمين تمثل ذلك في آراء البابا نيقولا الخامس - (٨٥١/ ٨٦٠هـ) (١٤٤٧/ ١٤٥٥) - الذي وضع خطة تنفذ مع الكشوف الجغرافية لضرب المسلمين ضربة أخيرة والقضاء على الإسلام قضاء مبرماً وأرسل في سنة (٨٥٩هـ/ ١٤٥٤م) إلى ملك البرتغال (مرسوماً بابوياً تضمن ما يعرف باسم: «خطة الهند» تقوم على إعداد حملة صليبية نهائية تشنها أوربا الكاثوليكية للقضاء قضاء مبرماً على الإسلام بعد أن تحقق كشوف البرتغاليين أهدافها ويتصلون بالملوك النصارى سواء في افريقية أو آسيا كي يسهم هؤلاء الملوك في تمويل الحملة الصليبية بالأموال والرجال والعتاد ويتم تطويق البلاد الإسلامية(٣).

وتمثلت هذه الروح الصليبية في هنري الملاح أمير البرتغال، وفي القائد البرتغالي (البوكرك) الذي كان يعمل بهمة ونشاط للاستيلاء على جميع النقاط الاستراتيجية حتى يمهد للاستيلاء على مكة ومصر وبيت المقدس من المسلمين. وبالرغم من ضخامة هذه الآمال فإنها تدل على مغزى كبير وهو أن قادة البرتغال كانت تحركهم الأفكار الصليبية، واعتبروا أنفسهم مكلفين بالثأر للحملات الصليبية الفاشلة وحملوا لواء الأهداف التي عجز عن تحقيقها ملوك

---

(١) أوربا في مطلع العصر الحديث ص ١٠٤.
(٢) نفسه ص ١١٠.
(٣) أوربا في مطلع العصر الحديث ص ٦١.

أوربا الصليبية السابقين[1]. وهذه الروح هي التي دعت القائد البوكرك أن يقول لرجاله قبل احتلاله مالقة عام ٩١٧هـ/١٥١١م :

«أجلّ خدمة لخضد شوكة الإسلام بحيث لا يقوم له قائمة بعد اليوم بعملنا هذا، وأنا على يقين أننا إذا انتزعنا الأفاويه والبهارات من يد العرب فإن الدمار سيحل بالقاهرة ومكة. وستتوقف تجارة البندقية مع العرب[2].

وأما فردينانـد وايـزابيـلا ملكـا اسبانيا فقد غلب عليهما العداء للإسلام والمسلمين وشنا حرباً لا هوادة فيها على البقية الباقية من المسلمين في شبه جزيرة ايـبريـا، إلى أن نجحا في القضاء على آخر معقل إسلامي هناك ـ غرناطة ـ (٨٩٨هـ/١٤٩٢م). وكانا يمنيان النفس ببعث عهد الحروب الصليبية وانفاذ حملة لانتزاع بيت المقدس من أيدى المسلمين[3] وأما كولمبوس الذي عمل لحسابهما فكان على طرازهما وطراز هنري الملاح تبرز فيه الناحية الصليبية، فقد رسمت الصلبان على أشرعة السفن التي أقلته في رحلاته، وكان يتوق لرفع الصليب عالياً في أراضي خان الكبير في الصين وتحويل ملايين الوثنيين إلى النصرانية، ولكنه شجع تجارة الرقيق ومارسها[4].

وبعد : فماذا كانت نتيجة هذه الكشوف الجغرافية على بلاد الإسلام ؟! لقد تغيرت طريق التجارة عن بلاد الإسلام والبحر الأبيض المتوسط إلى المحيطات الكبرى ـ الأطلسي والهندي والهادي ـ فأدى ذلك إلى ضعف تجارة المسلمين ثم ضعف الصناعة والزراعة، فقد هجر الناس المدن إلى الأرياف وعاد الكثير منهم إلى البادية، فكسدت البضاعة وخوت الأسواق وقل عدد سكان المدن فأصبحت قرى، الأمر الذي أدى مع الزمن إلى عزلة المسلمين وإلى شيوع الجهل والتأخر والأمّية.

وأما من الناحية العسكرية فقد طمع الصليبيون بعد أن احاطوا بالعالم

---

(١) فتحي غيث ص ١٤٤ .

(٢) أنور الجندي ـ الإسلام والحضارة ـ ص ٦٥ .

(٣) أوربا في مطلع العصر الحديث ص ١٠٥ .

(٤) نفسه ص ١٠٩ .

الإسـلامي بوصـول مجلان إلى الفلبـين شرقاً ملتقيا النفوذ الاسباني بالبرتغال في أقصى المشرق من العالم الإسلامي ، فحاولت اسبانيا وفرنسا والبرتغال من اتباع الكنيسة الكاثوليكية الاتصال مع الحبشة الأرثوذكسية للقيام بغزو بحري إلى كل من عصب ومصـوع وسـواكن على أمـل غزو الحجـاز وهـدم قبر الـرسـول ﷺ وبالفعل قامت البرتغال بحملة دخلت البحر الأحمر ووصلت إلى ينبع وتحطمت أثـر عاصفـة هوجـاء ، امام هذا التحدي الصليبي وعجز المماليك عن المواجهة ، توجه السلطان سليم العثماني إلى الشام (٩٢٢هـ/١٥١٦م) فضمها إلى الدولة العثمانيـة ثم ضم مصـر عام (٩٢٢هـ/١٥١٧م)[١] وامتـدت الـدولـة العثمانية وانتصبت ترد كيـد الصليبيـين ولكن دون أن تستطيـع استعـادة سيطرة المسلمين على البحـار خلا البحـر الأبيض المتوسط ، ولكنها استطاعت أن تمنع الصليبيين من مهـاجمـة قلب ديـار الإسـلام وشـمال افـريقيـة ، وتولت أمر الخلافة والدولة ، فكبحت جماح رغبـة الصليبيـين الشـريرة وامتدت في أوربا مما دفع الصليبية إلى مواقف الدفاع لفترة طويلة أمام الدولة العثمانية .

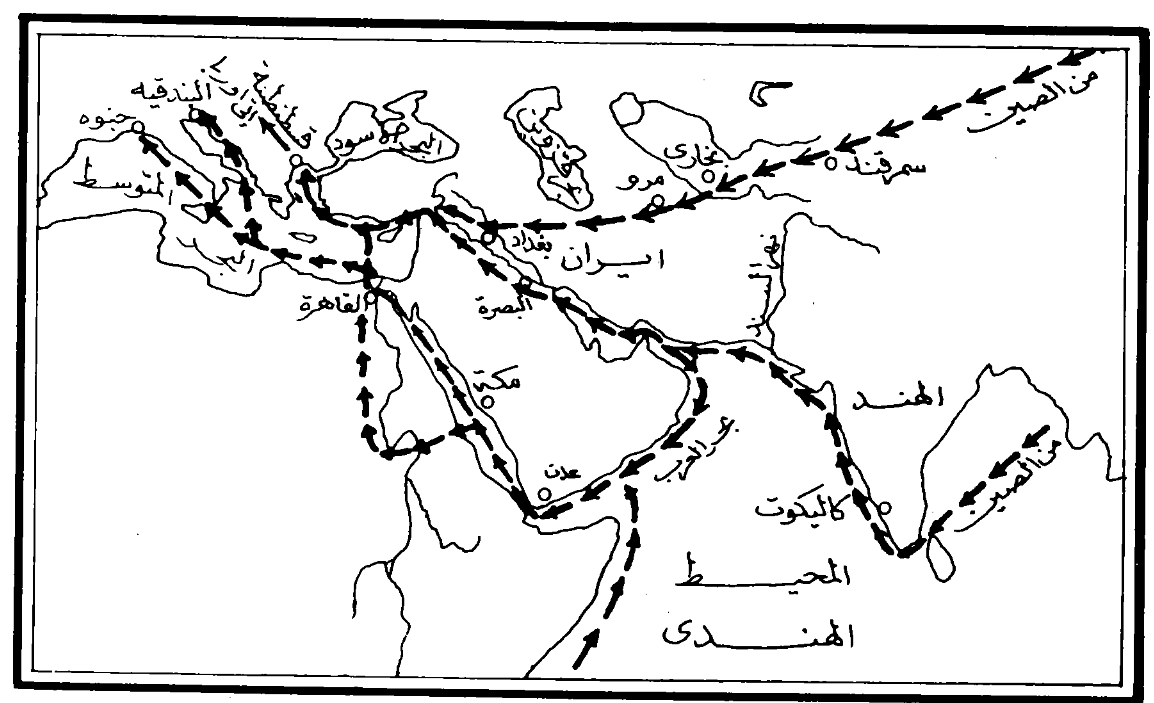
ونتـج عن حركـة الكشـوف الجغرافية اكتشاف العالم الجديد واستيطانه في حركـة سميت الاستعـمار الأوربي القـديم ـ واتبعت أوربـا الغربية اسلوب إبادة السكـان أو تهجـيرهم أو الاختلاط بهم بعد إذلالهم وفصلهم عن ماضيهم نهائيا كما حصل في الامريكتين واستراليا . وأصبح العالم الجديد امتداداً لأوربا ومتنفساً لها وظهيراً في مواجهة الإسلام .

كما حقق الصليبيون رغبتهم وأهدافهم في تطويق العالم الإسلامي وتحويل طرق التجـارة عن بلاد الإسـلام وتسلم زعـامـة البحار، وتدفق الذهب والفضة وغـيرهما من المعـادن النفيسـة إلى أوربـا ، وادخلت تحسينـات على بناء السفن التجـاريـة من الحجم والحمـولة والسرعة ومتانة الأجسام ، وطرأ تقدم كبير على عدد لا يستهان به من العلوم الجغرافية والفلكية والتاريخية ، فدخلت أوربا عصراً عرف في التاريخ الإقتصادي باسم : «الثورة التجارية»[٢] .

---

(١) د . علي حسون ـ الدولة العثمانية ص٤٨ .

(٢) أوربا في مطلع العصر الحديث ص ١٢٥ .



طرق التجارة قبل الاكتشافات الأوروبية الجغرافية

المرحلة الثانية : الاستعمار الأوروبي الحديث (الامبريالزم) :

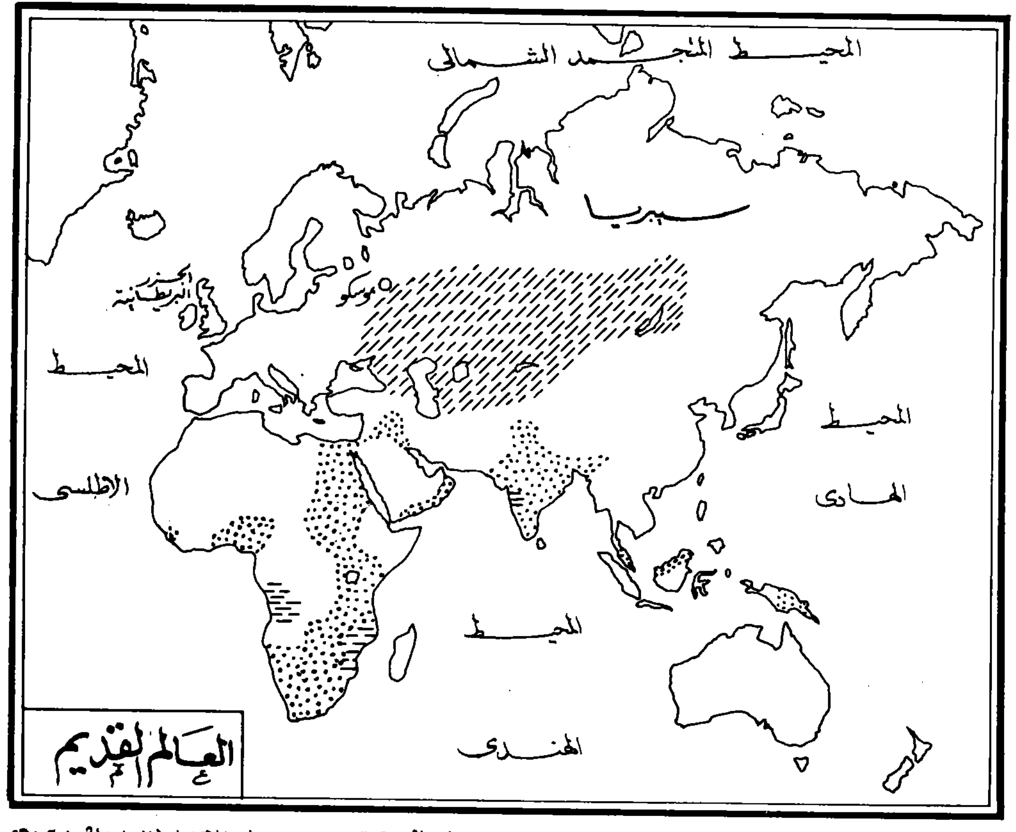
وقام على استغلال خيرات البلاد المستعمرة (بفتح الميم)واستعباد سكانها والسيطرة على مقدراتها .

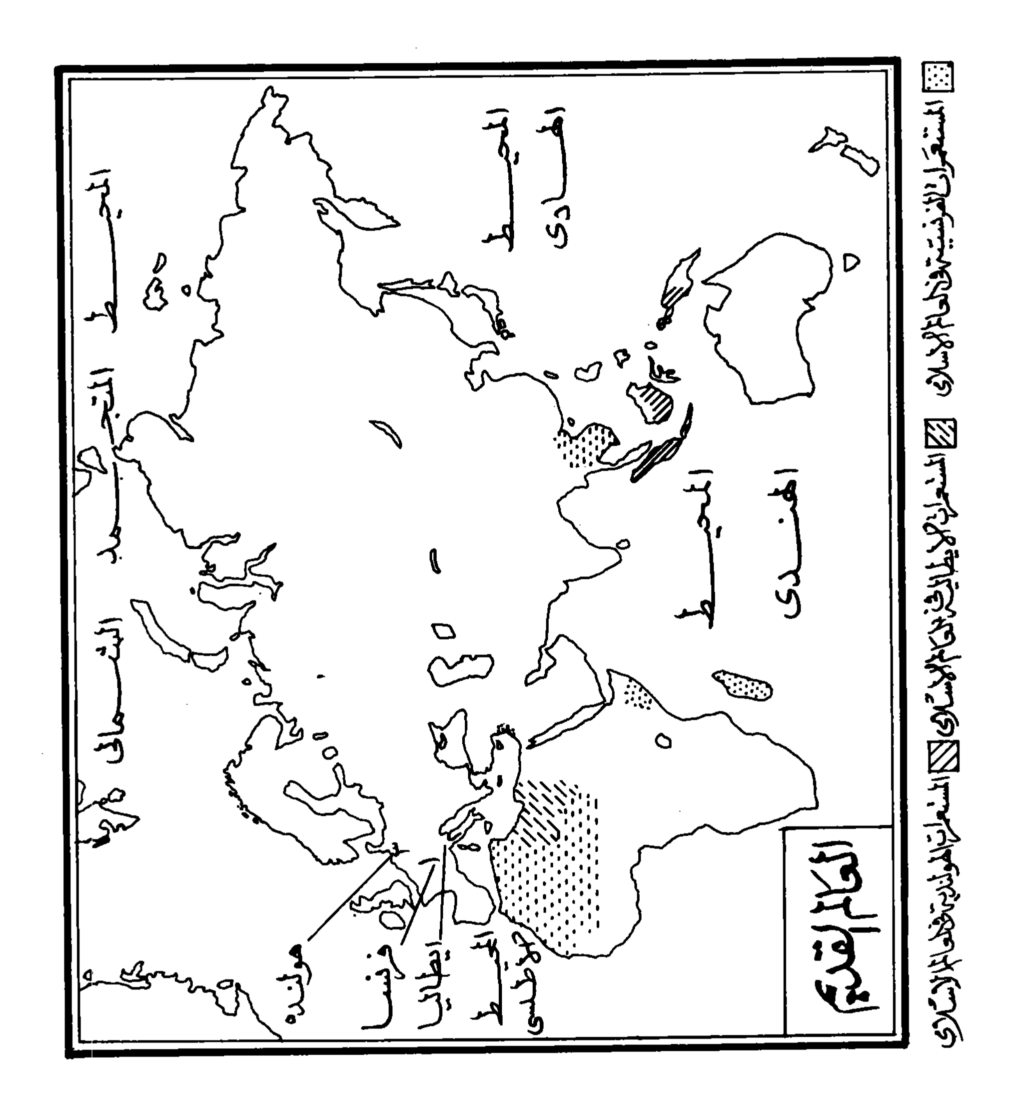
وقد نتج هذا الاستعمار عن حركة في أوربا تسمى : حركة الثورة الصناعية أو «الانقلاب الصناعي» : وهي عبارة عن سلسلة من التغييرات في أساليب الصناعة أصبح الإنسان بسببها يعتمد على الآلات في انتاج مصنوعاته. وصارت هذه الآلات تدار بقوى غير بشرية سخرها الإنسان أو اخترعها كالبخار أو البترول أو الكهرباء وحديثاً بالطاقة الذرية . وقد بدأت هذه الثورة في بريطانيا في الثلث الأخير من القرن الثامن عشر الميلادي ، واستمرت بعد ذلك وانتشرت في أوربا وأمريكا منذ مطلع القرن التاسع عشر الميلادي ، وزاد الانتاج الصناعي

زيادة هائلة بقليل من النفقات فاحتاج أصحاب المصانع إلى المواد الخام والقوى المحركة، وإلى الأسواق لتصريف البضاعة فتم استغلال الفحم في أوربا واستخدم في استغلاله الأطفال والنساء، كما استخدموا في المصانع، فأدى ذلك إلى انحطاط الأخلاق وانتشر الفساد الخلقي كما انتشرت عادة شرب الخمر ولعب الميسر وغيرهما من المفاسد الخلقية، واخترعت السكك الحديدية لنقل المواد الخام ولتصريف البضائع، وظهرت طبقة تحتكر المصانع ازداد مالها زيادة فاحشة سميت بالطبقة الرأسمالية التي دفعت الحكومات الأوربية دفعاً لحركة الاستعمار للحصول على المواد الخام وإيجاد الأسواق لتصريف بضائعها، فتنافست الدول الأوربية في البحث عن مستعمرات فكان العالم الإسلامي هدفاً من أهدافهم ـ تحركهم ضده الخلفية الصليبية. ولذلك فالاستعمار الأوربي حلقة جديدة ومرحلة متصلة بالحروب الصليبية القديمة وآية ذلك أن اللورد اللنبي القائد الانجليزي بعد أن دخلت قواته القدس سنة ١٣٣٧هـ/١٩١٨م قال كلمته المشهورة الموحية بهذا المعنى: «الآن انتهت الحروب الصليبية».

وقد اتخذ الاستعمار الحديث اشكالاً متعددة، ولبس لبوساً متنوعة منها: الاحتلال العسكرى، والاستعمار الإقتصادي عن طريق الشركات، وربط العملات المحلية بعملات الدولة المستعمرة، والقروض والمساعدات وإقامة المشاريع. والمعاهدات غير المتكافئة بين الدولة المستعمرة القوية والدولة المستعمرة الضعيفة فتكون المعاهدة بالطبع في صالح الدولة القوية. والحماية والانتداب والوصاية. وأما أهم أنواع الاستعمار الحديث والمعاصر وأدومها أثراً فهو الاستعمار الفكرى الذي لا يزال العالم الإسلامي يعاني منه ويعيش فيه.

وقد تنافست الدول الأوربية في استعمار العالم الإسلامي وعلى الأخص بريطانيا وفرنسا وروسيا. ولقد اختارت فرنسا وبريطانيا لتوسعهما الاستعماري هذا ولفرض سلطتهما على المستعمرات نظام الحماية حتى لا يثير احتجاج الدول الأخرى نتيجة لتغييرهما الأوضاع الدولية في بلاد الإسلام وحتى تموهان على


العالم القديم
المحيط المتجمد الشمالى
سيبريا
موسكو
الجزر البريطانية
المحيط
الاطلسى
المحيط
الهادى
المحيط
الهندى
المستعمرات الانجليزية فى العالم الاسلامى
المستعمرات الروسية فى العالم الاسلامى
المستعمرات البرتغالية فى العالم الاسلامى



العالم القديم
المحيط المتجمد الشمالى
المحيط الهادى
المحيط الهندى
المحيط الأطلسى
هولنده
فرنسا
ايطاليا
المستعمرات الفرنسية فى العالم الاسلامى
المستعمرات الايطالية فى العالم الاسلامى
المستعمرات الهولندية فى العالم الاسلامى

أبناء البلاد بأنهما لا تريدان ضم بلادهم أو النزول بها إلى مستوى المستعمرات، وحتى تحملان البلاد نفقات قوات الاحتلال ونفقات الإصلاحات التي تشيران بها عليها. وحتى تظهران أمام المعارضة في بلادهما بأنهما نزلا إلى عملية تضمن لهما المكاسب المادية والعسكرية والمعنوية دون أن تكلفهما الأموال والتضحيات، فضمنتا بهذا النظام الحصول على كل امتيازات الدولة المستعمرة والسيطرة على الامكانيات المادية والبشرية والاستراتيجية وكأنهما تتعاونان مع السلطات الوطنية في ذلك.

ورغم أن معاهدات الحماية تظهر وكأنها قد عقدت بين طرفين متساويين إلا أن الضغط العسكري الذي يصحب هذا التوقيع وسيطرة الدولة المستعمرة واشرافها على الشئون العسكرية والعلاقات الخارجية للقطر تظهر الأمر على حقيقته، وتحتل فيه الدولة المستعمرة جميع الوظائف العليا، وخاصة وظائف مديري المصالح مثل الاشغال والمعارف والصحة والمالية، بل يصبح لهم حق إصدار القرارات الوزارية الأمر الذي يؤدي إلى سرعة وقوة استغلال المستعمرين لامكانيات القطر نظرا لأن رعايا الدولة المتفوقة في البلاد يُمنحون الحماية اللازمة للقيام بعملياتهم وعضدهم أمام أي منافسة يقوم بها أي مواطن لدولة أخرى، وتظهر عمليات الاستغلال الاستعماري هذا في شكل شركات رأسمالية كبيرة تقوم باستغلال واستعمار مساحات واسعة من الأرض، وبشكل يهدف الاستغلال الرأسمالى أكثر مما يهدف التوطين، كما تمكنوا من استغلال الثروة المعدنية.

كذلك اتبعت بريطانيا وفرنسا أسلوب الوصاية والانتداب بعد الحرب العالمية الأولى لتكتسب الشرعية في تنفيذ مخططاتها في البلدان المستعمرة.

وفيما يلى الدول الأوروبية التي سيطرت على العالم الإسلامي :

١ ـ **بريطانيا** : واستعمرت ماليزيا وشبه جزيرة الهند وسواحل الخليج العربي والجنوب العربي ومصر والسودان وأوغنده وجزءاً من الصومال واريتريا وتنزانيا ونيجيريا وقبرص وغانا. كما استعمرت بعد الحرب الأولى : العراق وشرقي الأردن وفلسطين.

٢ ـ **فرنسا** : واستعمرت الهند الصينية ومالي وتشاد والنيجر والسنغال ومدغشقر (مالاغاش) وموريتانيا والمغرب والجزائر وتونس وغينيا وجيبوتي. وبعد الحرب الأولى استعمرت سوريا ولبنان وكيليكيا.

٣ ـ **ايطاليا** : واستعمرت : ليبيا وجزءاً من الصومال وارتيريا.

٤ ـ **روسيا** : واستعمرت : سيبريا وتركستان الغربية، والأراضي الإسلامية في آرال وحوض نهر الفلغة وشبه جزيرة القرم وبلاد القفقاس (القوقاز). وامتدت بنفوذها إلى شمالي إيران.

٥ ـ **أسبانيا** : واستعمرت : الريف المراكشي واقليم افني والصحراء المغربية. وإقليم مورو الإسلامي في الفلبين.

٦ ـ **هولندة** : واستعمرت : جزر الهند الشرقية (اندونيسيا).

٧ ـ **البرتغال** : واستعمرت : موزمبيق.

٨ ـ **بلجيكا** : واستعمرت : الكونغو في أواسط افريقية.

وفي الوقت الذي بدأ فيه الاستعمار الأوروبي يكيل الضربات للعالم الإسلامي، كانت كبرى دول الإسلام هي[1]:

١ ـ الدولة العثمانية : في الأناضول والعالم العربي والبلقان وهي دولة الخلافة.

٢ ـ الدولة الفارسية : في ايران وهي شيعية.

٣ ـ الدولة المغولية : في الهند.

وكان الصراع قائماً بين الدولة العثمانية والفارسية والمغولية، واستغلت ذلك بريطانيا إلى أقصى حدّ فأيدت الفرس في صراعها مع الدولة العثمانية ففتحت فارس أبوابها للنفوذ الأجنبي مبكرة واتخذت من ذلك ركيزة وقاعدة لحماية الهند (درة التاج البريطاني).

---

(١) انظر أنور الجندي ـ العالم الإسلامي والاستعمار ص ٣٨٦.

وظهر الاستعمار بعد الحرب العالمية الثانية بأساليب جديدة بالابتعاد عن العنف والقوة السافرة كلما استطاع إلى ذلك سبيلا ولجأ إلى التلون حسب الملابسات الزمنية والأوضاع الاجتماعية للبلاد التي يزحف إليها معتمداً على الخديعة والدس والتآمر لتحقيق مآربه، وتسلم زعامة الاستعمار في هذه الفترة الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي متبعاً وسائل العمل غير المباشرة وذلك :

- عن طريق غزو الشعوب والسيطرة عليها من الداخل .
- وعن طريق التكتلات الإقتصادية الاحتكارية .
- وعن طريق الحرب الباردة .

فلجأ إلى :

١ - إقامة القواعد العسكرية في البلاد تحت ستار المعاهدات غير المتكافئة بحجة الدفاع عن السلام العالمي أو للحماية. ولا تلبث البلاد أن تجد نفسها مكبلة بتلك القواعد التي تنطلق منها قوى العدوان في أي وقت .

٢ - عقد الأحلاف وجرّ البلاد إليها، وعن طريقها تحرك البلاد الضعيفة الداخلة في نطاق هذه الأحلاف حسب هواها وبما يحقق المصالح الاستعمارية فحسب .

٣ - فرض السيطرة الإقتصادية عن طريق ادخال البلاد في نطاق عملة البلد المستعمر وما يستلزمه ذلك من خلق جهاز مصرفي يحقق التبعية الإقتصادية للبلد المستعمر .

٤ - تقديم المعونات المشروطة للبلاد لتبقى البلاد مكبلة بمحض ارادتها لما يريده الاستعمار الجديد من ضغط وازهاق .

٥ - عرض المساعدات الفنية غير البريئة عن طريق استغلال الاستعمار الجديد لحاجة البلاد النامية إلى تلك المساعدات. فيبدأ بمد يد المساعدة الفنية حتى إذا ما اطمأنت البلاد المحتاجة إلى تلك المساعدة رتبت حياتها على ذلك يفاجئها الاستعمار بطلباته أو بوقف تلك المساعدات أو يعرقلها وعندئذ لا تجد

الضحية من سبيل غير الاستسلام لهذا الاستعمار الجديد .

٦ ـ إقامة الدولة اليهودية الصهيونية في فلسطين . وإمدادها بالرجال من روسيا وبالأموال والأسلحة من امريكا لتبقى الذراع الطويلة التي تهدد العالم الإسلامي ، فلا تجد الاقطار الإسلامية مناصاً من أن تلجأ إلى أحد المعسكرين اللذان هما وجهان لعملة واحدة[١] .

٤ ـ الحركة الصهيونية : نتيجة من الاستعمار الأوروبي

من جراء الثورة الصناعية في أوربا انتقلت المصانع من البيوت إلى المؤسسات الكبيرة التي تحتاج إلى أموال هائلة فاستغل ذلك اليهود الذين كانوا يملكون المال ، فبرزت البيوتات المالية اليهودية الكبيرة وفي مقدمتها بيت اسرة روتشيلد ، وأصبح زعماء اليهود يؤثرون تأثيراً كبيراً في العلاقات الدولية لأنها هي التي تحرك الصناعة وتستغل الحكومات في البحث عن مستعمرات . فنشأت الفكرة الصهيونية في أحضان الاستعمار وولدت على فراشه . وأصبحت تمثل بعداً جديداً للاستعمار والغزو الغربي المتطلع للسيطرة والنفوذ في العالم الإسلامي . وقد حاولت الصهيونية منذ قيامها كحركة منظمة أن تضمن التحالف والارتباط بالدول الاستعمارية في العالم (فرنسا ، والمانيا ، وبريطانيا ، والولايات المتحدة)[٢] .

والصهيونية حركة سياسية عنصرية دينية ، قام بها أصحابها في مواجهة التحديات والأخطار التي واجهت اليهود في أوربا تحت ظل فكرة القوميات ، فهي تهدف إلى جمع الملايين من اليهود في العالم في كيان يهودي قومي «في فلسطين» استناداً إلى مزاعم تاريخية ودينية تربطهم بها ، واتخاذ فلسطين نقطة انطلاق لدولة كبيرة تمتد من الفرات إلى النيل[٣] ، ومن ثمّ تكوين امبراطورية صهيونية عالمية تكون وريثة للحضارة الغربية .

---

(١) جريدة الشرق الأوسط ـ شجون عربية ـ علاقات موسكو وتل أبيب/ ص٢ السبت ١٤٠٦/٢/١٩هـ/ ١٩٨٥/١١/٢م .

(٢) انظر خيرى حماد . الصهيونية . ص ٧٩ ـ ٨٠ .

(٣) ذكر ذلك الحاخام يهودا وزير الأديان الاسرائيلي في مؤتمر الكيرن كايميت بالقدس ١٩٥١م (خيرى حماد ص٧٣) .

واعتـبرت الصهيـونيـة اليهود قومية بدون وطن وحمّلت أمم العالم مسئولية ايجاد هذا الوطن واختارت فلسطين لذلك[1]. وقد أخذوا فكرتهم العنصرية من التلمود ثاني الكتب المقدسة عند اليهود بعد التوراة، الذي يدعوهم إلى التعالى على غيرهم فهويقول : «الشعب المختار فقط يستحق الحياة الأبدية، وأما باقي الشعوب فمثلهم كمثل الحمير».

أيهـا اليهـود : انكم من بني البشر لأن أرواحكم مصدرها روح الله، وأما باقي الأمم فليست كذلك، لأن أرواحهم مصدرها الروح النجسة».

ويقول : «سلط الله اليهود على أموال باقي الأمم ودمائهم، فالله لا يغفر ذنباً ليهودي يردّ للأمي ماله المفقود، وردّ الأشياء المفقودة من الأجانب».

وهـذه الأقـوال دعـوة صريحـة إلى التعـالى والاستغـلال وامتصاص دماء الشعوب والأفراد[2].

وقد ذمهم الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم لذلك :

﴿وقالوا نحن أبناء الله وأحباؤه﴾[3].

﴿وقالوا ليس علينا في الأمين سبيل﴾[4].

وقد ربطت الحركة الصهيونية الهدف السياسي العنصري بالدين اليهودي ربطـاً محكـماً، بأن حولت العـلاقـة الروحية التي تربط اليهودي بفلسطين (كالتي تربـط المسلمـين بمكـة المكـرمـة والمـدينـة المنـورة وبيت المقدس، وكالتي تربط النصارى ببيت لحم والناصرة، وكالتي تربط السيخ بمعبدهم الكبير في لاهور، والشيعـة بكـربـلاء)[5]، حولت هذه الـرابطـة إلى هدف سيـاسي للاستيطـان بفلسطـين مدّعيـة أن اليهـود يمثلون جنسـا مميـزاً يعود إلى بني اسرائيل واعلنت

---

(١) مع ملاحظـة أن اليهـوديـة دين وليست جنس، وفي اليهـوديـة أجناس كثيرة كاليهودي الخزري واليهودي الأسود، واليهودي العربي والأوروبي.

(٢) خيري حماد. الصهيونية. ص١٣.

(٣) سورة المائدة الآية ١٨.

(٤) سورة البقرة الآية ١١٦.

(٥) ظفر الإسلام خان ـ التلمود ص ٧٠.

فلسفـة مستمـدة من الأسـاطـير تتمثـل في العـودة إلى فلسطـين بمـوجب الحق الطبيعي والتاريخي الذي يعود إلى ما قبل ثلاثة وعشرين قرناً. وحاولت أن تجعل من بعض نصوص العهد القديم وسيلة لكسب النصارى إلى صفها. ووضعت مخططـاً واسعـاً في سبيـل اكساب وجود اليهود في فلسطين حقاً تاريخياً بالتزوير في كتابـات التـاريـخ ووضـع المـوسـوعات والكتب باللغات المختلفة[1]، وكذلك القصص المسـرحيـة والسينمائية التي تحاول فرض نظرية جديدة قوامها القول بأن اسـرائيـل هو الشعب المختـار الذي واجه الاضطهاد على مدى التاريخ[2]، وان عظـماء الفكـر في العـالم وكبـار المكتشفـين والبـاحثـين في مختلف العلوم كانوا من اليهـود، واعـلاء شأن الجنس اليهودي والدعوة إلى السامية واعتبار كل من يقف في وجـه حركتهم هو من أعـداء السـاميـة[3] فنجحت الصهيـونيـة في دمج الفكر الـديني والسيـاسي، معتمـدة على إثـارة المشـاعر الدينية بعد تحويرها من ناحية وعلى الافـادة من التجـارب السيـاسيـة العنصـريـة المتزمته في العالم تحت شعار «الشعـارات القـوميـة». وكـانت الحركة الماسونية التي سبقت الحركة اليهودية في سبيـل تحقيق هدف عريض تسعى له اليهـودية العالمية للسيطرة على العالم. وقد تكشفت هذه المخططات من خلال ما تسرب إلى العالم من نصوص التلمود وما كشفت عنه بروتوكولات حكماء صهيون، ويوميات هرتزل وعديد من الكتابات التي سمحت الصهيـونيـة بإذاعتهـا بعـد الحـرب العالمية الثانية، وحاولت بها أن تكشف عن مخططـاتهـا الخفيـة التي كانت سريـة ومحاطة بقدر كبير من الكتمان، وذلك في محاولة في تضخيم دورها في سياسة العالم مما يولد اليأس لدى اعدائها، بعد أن نجحت في كثير من مخططاتها وتحكمت في مصائر كثير من دول العالم.

هذا وقد سميت الصهيونية بهذا الاسم نسبة إلى جبل صهيون (Zion) بالقدس.

---

(١) تقـول المـوسـوعـة (دائـرة المعارف البريطانية: «إن الصهيونية حركة يهودية قومية، هدفها خلق دولة قومية لليهود في فلسطين، إذ يعتبرون هذه البلاد وطنهم الأصلي ويسمونها أرض إسرائيل» خيري حماد ص٨).

(٢) انظر: جارودي ـ الصهيونية ص٣٧ وص٤٥.

(٣) تمكن اليهـود من استصـدار قانـون بفرنسا سنة ١٨٨١م إلى عدم التشهير بأي شخص بسبب انتمائه إلى عرق معـين أو أمـة ما أو جنس أو دين ولـذلـك من السهـل اتهـام من يكشف حقائق الصهيونية باللاسامية ويتعرض للمحاكمة القضائية/ انظر جارودي. الصهيونية. ص ٥-٦.

واستخـدمت الصهيـونية الاستعمار الأوروبي والشيوعية الروسية لتحقيق أهـدافهـا . وتحـركت في جسم الأمـة الإسـلاميـة بواسطـة مؤسسـاتها الجهنمية المـاسـونيـة والنـوادي الـريـاضية والأندية الثقافية والجمعيات المختلفة فأحدثت الفـراغ الفكـري الـذي حاول أن يتغـذي بالفكـر الغـربي الـديمقـراطي أو الاشـتراكى . فأدى ذلـك إلى ازدواج الشخصيـة المسلمـة ولم تواجـه التحـدي الصهيـوني كعـادة الأمـة الإسـلاميـة في مواجهـة التحـديـات . فاشتـد الخطـر الصهيـوني . وسنتنـاول ذلـك بتفصيـل عنـد البحث في قضـايا العالم الإسلامي المعاصرة فهي قد قامت في مهمتين :

أ ـ المـزيـد من الصـلات بالغـرب والمزيد من التأكيد على أهمية دورها في الديمقراطية الغربية وحماية المصالح الأساسية للحضارة الغربية في منطقة الشرق الأوسط .

ب ـ المـزيـد من ربـط الصهيـونية بالشيوعية . واستغلال الشيوعية لتنفيذ المخططـات الصهيـونيـة ، بارتبـاط الأحـزاب الشيـوعيـة في البـلاد الإسـلاميـة بالمخططات الصهيونية .

وقـد هدفت الصهيـونيـة بالتعـاون مع الاستعـمار إلى أهداف أساسية في العالم الإسلامي :

١ ـ تمزيق وحـدة العـرب والمسلمين والحيلولة دون وحدة العالم الإسلامي بالفصل بين قارتي آسيا وافريقيا ، فهدفت الصهيونية إلى وراثة النظام الرأسمالي والسيطرة على العالم الإسلامي .

٢ ـ تتمـة الغـزو الثقـافي للعـالم الإسـلامي بتـدمـير كل القيم والأنظمـة والأخلاقيات ونقل أسلوب الإلحاد والإباحية والتسلط .

وقـد أفـرزت الصهيـونيـة فكراً خطيراً في عالم الإسلام وفي العالم أجمع هو الفكر الماسوني .

والمـاسـونيـة جمعية يهودية تهدف إلى تدمير القيم والأديان وهي تتشكل في إدارات اجتـماعيـة هدفهـا الأسـاسي تنفيـذ ما جاء في التـوراة المحرفة من إحياء الأوهام التي تسيطر على الزعامات اليهودية من إقامة مملكة اسرائيل الكبر ى وفي الوقت نفسه تحقيق ما جاء في بروتوكولات حكام صهيون التي حملت المخططات

الصهيونية اليهودية العالمية .

والترجمة الحرفية للاسم تعني : «جمعية البنائين الأحرار» أي الذين لا تربطهم رابطة أو تلزمهم نقابة[١] . وهي تزعم أنها مؤسسة اجتماعية فلسفية تحب الخير للإنسانية وترجو لها الترقي والتقدم وتهدف إلى البحث عن الحقيقة وترمي إلى تحقيق الأخلاق الدنيوية وتطبيق أسس التعاون والتآزر وتتخذ من وسائل الرقي المادية والمعنوية اساساً للتعامل الاجتماعي والفكري للإنسانية . ورفعت شعاراً براقاً هو : الإخاء والحرية والمساواة .

وقد كشفت بعض محافلها عن الأهداف الحقيقية لها وهي[٢] :

١ ـ المحافظة التامة على اليهودية .

٢ ـ محاربة الأديان بصورة عامة .

٣ ـ بث روح الإلحاد والإباحية بين الشعوب .

وقد احتضنت بريطانيا الاخطبوط الماسوني فكانت اسبق الدول بإنشاء محفل ماسوني اعظم ثم توالى بعد ذلك انشاء المحافل الماسونية[٣] ودخلت بذلك البلاد الإسلامية لتزيد من تمزقها ومشاكلها[٤] .

٥ ـ الحركة الشيوعية :

ومن المصائب التي حلت بالعالم الإسلامي في القرن الرابع عشر الهجري ظهور الشيوعية كاتجاه عقائدي يناقض الإسلام بالكلية ، وككيان رسمي هدفه إبادة الوجود الإسلامي واستئصاله ليس من الاتحاد السوفييتى فحسب وإنما من العالم أجمع .

ففي عام **١٣٣٦هـ/١٩١٧م** قام لينين مع قادة الحزب الشيوعي بثورة دموية سقط خلالها عرش القيصرية الروسية فتحقق بذلك قيام دولة للفكر الإلحادي اللا دينى في واحدة من أكبر دول العالم لتكون منطلق الغزو التبشيري

---

(١) الماسونية . محمد صفوت السقا وزميله ص ١١ .

(٢) د. صابر طعيمة ـ الماسونية ذلك العالم المجهول ص ١٥٩ .

(٣) انظر مجلة دار الهلال ـ القاهرة ـ العدد يونيو ١٩٧٧م ص٣٣-٣٤ .

(٤) انظر عن الماسونية في مصر/ محمد صفوت السقا . الماسونية . ص١٢٢ .

للعقيدة الماركسية المادية التي اعلن أصحابها : بأنه لا مبر ر بعدُ للهدنة مع الميراث الديني وأصحابه وإلّا أدّت هذه المهادنة إلى بعث ديني فيه خطر على التجربة الاشتراكية[1] .

وتحرك الفكر الماركسي اللينيني وليد الصهيونية[2] في جسم الأمة الإسلامية فكرياً وواكبته حرب دموية هدفها استئصال المسلمين وتصفية وجودهم البشري والفكري في البلاد الإسلامية التي حكمتها .

وبعد ظروف انهاء الخلافة العثمانية وفدت الشيوعية إلى العالم الإسلامي يحملها يهود إلى مصر سنة ١٣٤٠هـ/١٩٢١م وسنة ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م حيث تعددت فيها المنظمات الشيوعية وكان من أشهرها :

١ ـ الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني واختصر إلى حدتو بزعامة اليهودي كوريل .

٢ ـ منظمة اسكرا (الشرارة أو الشعلة) ورئيسها يهودي ماركسي يدعي ايلي شوارتز وغير الاسم إلى نحو حزب شيوعي مصري ومختصره مخشم .

٣ ـ منظمة الفجر الجديد ـ التي سميت فيما بعد : الديمقراطية الشعبية (د. ش) وأسسها اليهوديان : يوسف درويش وريمون دويك. واختصت هذه المنظمة بإصطياد العمال والعاطلين والمنحرفين من الشبان والشابات .

٤ ـ المنظمة الشيوعية المصرية (م. ش. م) وأسسها اليهوديان اوديت وزوجها سلامون سدني .

وقد أثر الدعاة الشيوعيون في كثير من الطلبة والطالبات والعمال والمدرسين باسم الأماني الوطنية وتحرير مصر من الاستعمار ومناهضة الأحلاف العسكرية

---

(١) د. صلاح الدين المنجد ـ كتاب بلشفة الإسلام ص ٢٤ .

(٢) قال الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله من كلمة في فريق طلبة الكلية الحربية بواشنطن :
«عندما نقول الصهيونية والشيوعية نذكر اسمين ولكن في الحقيقة إن الشيوعية وليدة الصهيونية وهدفها الأساسي هو التخريب والتحطيم» . (جريدة البلاد السعودية . جدة/ عدد يوم الخميس ٢٦ صفر ١٣٩١هـ/ ٢١ ابريل ١٩٧١م . عن وكالة الأنباء السعودية) .
وكان هذا عنوان كتاب أصدره عبد الغفور العطار «الشيوعية وليدة الصهيونية» .

وسحروهم بالماركسية اللينينية وزعموا لهم أن الشيوعية نصير الشعوب المستعمرة المظلومة وانفقوا الأموال الكثيرة التي كانت تصلهم من موسكو بلا حساب[1].

وكذلك حمل الشيوعية إلى العراق يهود. واستطاعوا استمالة كثير من شباب العراق وشعرائه وأدبائه وكُتابه. وكان منهم: بدر شاكر السياب الذي روى للأستاذ قدري قلعجي ما لديه من علم عن الشيوعية في العراق[2].

وفي سوريا أسس الحزب الشيوعي يهودي يدعى شامي سنة **١٣٤٣هـ/١٩٢٤م** وكان يتقن العربية[3].

واستطاعت الشيوعية أن تتسلل إلى الاقطار الإسلامية وأصبح في بعضها أحزاب شيوعية قوية كاندونيسيا وبنغلادش والعراق وسوريا والبلدان الافريقية.

واستطاعت الصهيونية والشيوعية أن تشغل المسلمين بصراع وهمي مع الاستعمار، وبصراع حقيقي ورهيب فيما بينهم مما أسموه التقدمية والرجعية والاقطاع والرأسمالية[4]، وكانت الاشتراكية المخدر الذي امات الشعور الإسلامي وألهاه عن الأخطار اليهودية وغيرها[5]. فكانت بذلك تحدياً خطيراً تحول من تحدٍ خارجي إلى داخلي. والتحدي الداخلي أشد واعنف من التحدي الخارجي. فما بالك إذا كان هذا التحدي الداخلي مدعوماً بقوى خارجية هائلة الشيوعية والصهيونية.

وكانت الشيوعية عاملاً مساعداً لانتشار ونموّ كثير من الاتجاهات الفلسفية المادية التي تلتقي معها في اساس النظرة إلى الكون والإنسان والحياة والوجودية كانت أبرز هذه التيارات على الأطلاق، وقد وضع فلسفتها جون بول

---

(١) الشيوعية وليدة الصهيونية. ص ٨٩.

(٢) في كتابه تجربة عربي في الحزب الشيوعي - ص١٩، ٢١-٢٢.

(٣) الشيوعية وليدة الصهيونية ص ٩٢.

(٤) نفسه ص ٧٤.

(٥) انظر الاشتراكية في التجارب العربية. باشميل ص ٣٤.

سارتــر ذو النسب اليهــودي سنـة **١٣٢٣ـ١٤٠٠هـ (١٩٠٥ـ١٩٨٠م)** وتقـوم نظريته على إبطال مبررات الوجود وإبطال تفسيره والحكمة منه . ومن هنا تلتقي نظريته بالشيوعية من حيث إنكار وجود الله .

ودعــوتــه جريئـة للإبـاحيـة والتحـرر من المعتقـدات والأعـراف والقيم والتقاليد ، مما تعتبر المبرر الرئيسي لنشاط الفئات غير الطبيعية في العالم كالهيبيين والخنافس وأشياعهم .

يقـول سارتـر : «إن ما ينبغي أن تكـون عليـه حياة الوجودي هو توديع ما يسميه الجبناء وجداناً وضميراً والاستجابة إلى داعي الحيوانية وتلبية كل ما تدعو إليه شهواته ، ونبذ كل التقاليد والتعاليم الاجتماعية ، وتحطيم القيود التي ابتدعتها الأديان»[١] .

ودخلت فكـرة الـوجـوديـة إلى العالم الإسلامي وزار سارتر كثيراً من دوله ومعه عشيقته سيمون دي بوفوار المؤمنة بفلسفته[٢] .

---

(١) وليم جيمس . إرادة الاعتقاد . ص ١٢١ ترجمة . د. محمود حسب الله .

(٢) وسيمون هذه لا توارب ولا تلف في ذكر أفكارها فهي ترى أن الزواج الذي قررته الأديان شيء سخيف ، وان من حق المـرأة أن تعـاشـر من تحب وإذا كانت متـزوجـة فلا يسـوغ اكراهها على الرضا بشخص واحد . . / وقد نشرت مجلة الهلال في ١/١/١٩٦٦م مقالاً ضد الزواج طافحاً بأوسخ الأفكار/ وهو عدد ممتاز من مجلة الهلال يتضمن «مـوسـوعـة الجيب الاشتراكية ، من الاشتراكية الخيالية إلى الواقع المعاصر ، وفيه عرض أفكار سيمون هذه واستقدم سارتر وعشيقته إلى القاهرة ليتحدثا إلى المثقفين في الجمهورية العربية المتحدة وعرضت لهما الدعاية في الأهرام وأسرة تحريـرهـا : حسنـين هيكـل ولطفي الخـولى ولـويس عوض . وعقـدت النـدوات والمحاضرات القيت وتحدث الراديو والتلفزيون ينشر المشاهد والمحاورات وفي جامعة القاهرة . . . انظر . محمد الغزالى . الإسلام في وجه الزحف الأحمر ص٣٦ـ٣٧ .



الفصل الثالث

نتائج التحديات الخارجية والداخلية
على العالم الإسلامي

كان من نتائج هذه التحديات مايلى :

أولاً : الابتعاد عن تطبيق الشريعة الإسلامية :

إن توالي هذه التحديات والوقوف في وجهها تصدها الأمة ممثلة في علمائها ومجدديها وقادتها المخلصين استنزف قواها وقادها أخيراً إلى الضعف، وأخذ العالم الإسلامي يسير من ضعف إلى ضعف. وأخذ المسلمون يتخلون عن موقعهم الأساسي في قيادة البشرية وتوجيهها إلى وجهة الخير التي يكلفهم بها الإسلام، وتخلوا عن التبعات التي اناطها بهم في كل اتجاه، حين قعدوا عن الاجتهاد وركنوا إلى التبعية والتقليد .

وانقطعت صلتهم بماضيهم وأسلافهم في الجهاد وتضحياتهم، فانحسر إرثهم الإسلامي في بطون الكتب يدورون حوله فأهدرت في الأمة روح الإبداع والابتكار، وانقاد المسلمون إلى عصر من الجمود وهو نوع من الأنطواء على الذات في مواجهة التحديات حفظ عليهم حضارتهم وكيانهم ولو في حالة توقف حضاري، والتزم علماء الأمة ومفكروها دائرة الحواشي والمتون وعكفوا على نصوص السابقين وكتبهم ينزلونها أحيانا منازل العصمة والقداسة[١] .

وفي الوقت الذي بدأ فيه العالم الإسلامي يتحرك من جموده ويبعث الإسلام في مختلف مجالات حياته وينفض عنه غبار الجمود والتقليد والجبرية والتواكل بقيام دعوات سلفية لإحياء الإسلام في قلب الأمة (كحركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد، والحركة السنوسية في ليبيا والحركة المهدية في السودان، والحركة الدهلوية في الهند، والسلفية في المغرب وشركة إسلام والجمعية المحمدية في أندونيسيا، وحركة عثمان دنفديو في السودان الغربي) كان

---

(١) فتح الله ص ٢٤ .

قد طغى سيل الحضارة الغربية المادية والتهم الاستعمار الغربي بلاد الإسلام واشتد التحدي فلم تنجح هذه الحركات في لمّ شعث المسلمين وكان نجاحها محدوداً وفي بلاد معينة. فابتعد المسلمون عن تطبيق الشريعة بفعل هذا الاستعمار والصهيونية والشيوعية واساليبها أكثر فأكثر(١)، واشتد الأمران الوهن الداخلي والتآمر الخارجي على الكيد للشريعة الإسلامية وتشويه معالمها فكرياً وصرف المسلمين عنها واقعياً.

وكان أول قطر بدأ فيه الغاء الشريعة الإسلامية هو الهند، فقد أخذ الانجليز يلغون القانون الإسلامي آناً بعد آن ويستبدلون به القوانين الوضعية حتى تم الغاؤه في اواسط القرن التاسع عشر ولم يبق منه إلا ما يسمى بقانون الأحوال الشخصية الذي يتعلق بمسائل النكاح والطلاق وغيرهما(٢).

وألغى الانجليز الحكم بالشريعة في السودان عام ١٣١٧هـ/١٨٩٩م وقد أخذ أساساً من قانون العقوبات الذي وضعه الانجليز للهند سنة ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م.

وفي العراق استبدل الانجليز فور الاحتلال بقانون الجزاء العثماني قانوناً جديداً أصدره قائد قوات الاحتلال سنة ١٣٣٧هـ/١٩١٨م باسم قانون العقوبات البغدادي. وفي تونس طبق القانون الوضعى عام ١٣٣٣هـ/١٩١٤م.

وفي الوقت نفسه كانت بريطانيا وفرنسا تدفعان الدولة العثمانية ـ دولة الخلافة ـ إلى منزلق خطير جداً يأخذ اسم الإصلاح وشكله بينما ينطوى في داخله على أكبر المفاسد، وقد اعان على ذلك جنود الغزو الفكري من أبناء الدولة نفسها ورعاياها، فأصدرت الدولة العثمانية عقب مؤتمر باريس سنة ١٢٧٢هـ/١٨٥٦م الذي انهى حرب القرم(٣). قوانين عرفت باسم التنظيمات

---

(١) انظر وصف لوثروب ستودوارد للعالم الإسلامي في القرن الثامن عشر الميلادي. حاضر العالم الإسلامي ج١ ص٢٥٩ـ٢٦٠.

(٢) فتح الله ص ١٠٤ ـ ١٥٠عن أبي الأعلى المودودي/ رسالة القانون الإسلامي وطرق تنفيذه ص ١٠ـ١١.

(٣) انظر. د. على حسون. الدولة العثمانية ص ١٥٨.

الخيرية ـ التجديدات ـ وتضمنت انشاء ما يسمى بالمحاكم المختلطة والمحاكم التجارية تابعة للدولة نفسها وتطبيق قوانين أجنبية باسم دولة الخلافة الإسلامية ذات السيطرة الواسعة على المسلمين. وكان هذا هو حدث الأحداث في بداية انهيار التشريع الإسلامي من حيث التطبيق والتنفيذ. وحتى مجلة الأحكام الشرعية (الأحكام العدلية التي أصدرتها الدولة عام ١٢٩٥هـ/١٨٦٩م وقننت فيها أحكام المعاملات من مذهب أبي حنيفة لتقابل ما يسمى بالقانون المدني في الأنظمة الوضعية ـ حتى هذه المجلة لم تكن تطبقّ إلا على رعايا الدولة فقط وفي الأحوال التي لا يكون فيها أحد طرفي النزاع أجنبياً، ثم مع ذلك استمرت عرضة للتحريف والانتقاص[1] إلى أن انحسرت دولة الخلافة ثم زالت .

وأما مصـــــر :

بعد فشل حملة نابليون ـ اتجهت فرنسا لتدعيم محمد على باشا والترحيب ببعثات الطلاب المصريين في بلادها وبعث العلماء والأطباء والقادة العسكريين إليه ليكونوا في الحقيقة رسل التغيير وحملة الحضارة الفرنسية. وكان في بداية هذا إدخال بعض القوانين التجارية والحربية إلى مصر نقلاً عن قوانين فرنسا .

وظل النفوذ الفكري الفرنسي يتسلل إلى مصر حتى كان الخديوي اسماعيل الذي ربي في فرنسا وصاغته صالونات باريس وصداقاته المتعددة لرجالها ونسائها صياغة جديدة غريبة تماماً عن الأمة فكان مبهوراً بما رأى وسمع وكانت أمنيته التي صرح بها مراراً أن يجعل مصر قطعة من أوربا، فأسرف في تشييد القصور وإقامة التماثيل والحدائق والمتنزهات والمسارح ودور الغناء بلا ضرورة ولا وعي فأغرق بلاده في الديون وأنشأ دار الأوبرا واستقدم لها المغنيين والمغنيات واستأجر أشهر موسيقيي أوربا ليضعوا لها الألحان .

وكان اسماعيل هذا أول من تجرأ على هدم شريعة الإسلام هدماً غير مسبوق في تاريخها فقد أنشأ أول مدرسة للحقوق على النمط الفرنسي فأصبحت مصدراً أساسيا لتخريج أجيال مقطوعة الصلة بشريعة الإسلام، ثم طورت لتصبح كليات واسعة النطاق .

---

(١) انظر فتح الله ص٤٦ ـ ٤٧، د. محمود مصطفى . أصول قانون العقوبات في الدول العربية ص ٩-١٠، على حسون ص ١٦١-١٦٢ .

ويذكر محمد طلعت حرب ـ الإقتصادي المصري الشهير[1] : ان اسماعيل لما أراد أن ينفصل بمصر عن الدولة العثمانية وعد ملوك أوربا إن أيدوه أن يبدل أحكام القرآن فيما يتصل بالحياة السياسية والاجتماعية ويفصل السياسة عن الدين ويطلق الحرية للنساء بحيث يسرن في إثر المرأة الغربية ، وينقل إلى مصر معالم المدنية الأوروبية .

وغرقت مصر في الديون . فتدخل الأجانب بحجة حماية أموالهم حتى كان في الوزارة المصرية وزيران انجليزى وفرنسي . فدخلت رياح الانقلاب التشريعي وانتهت باحتلال البلاد كلها ثم فرض شريعة الغرب عليها .

ثانياً : سقوط الخلافة العثمانية وتفكك الأمة الإسلامية :

العثمانيون من شعب الغزّ التركي ، وأصلهم من بلاد التركستان ، نزحوا أمام اكتساح جنكيز خان لدولة خوارزم الإسلامية بزعامة سليمان الذي غرق أثناء عبوره نهر الفرات سنة ٦٢٨هـ . فتزعم القبيلة ابنه ارطغرك الذي ساعد علاء الدين السلجوقي في حرب البيزنطيين فأقطعه وقبيلته بقعة من الأرض في محاذاة بلاد الروم غربي دولة سلاجقة الروم .

ويعتبر عثمان بن ارطغرل هو المؤسس الأول للدولة العثمانية وبه سميت عندما استقل بإمارته سنة ٦٩٩هـ/ ١٣٠٠م نتيجة لانحلال دولة سلاجقة الروم ، وأخذت هذه الإمارة على عاتقها حماية العالم الإسلامي وتولت قيادة الجهاد وأصبحت المتنفس الوحيد للجهاد ، فجاءها كل راغب فيه ، واجتذبت المتحمسين لنصرة الإسلام من مجاهدين وعلماء ودعاة ، فتمكنت بذلك من ردّ الصليبيين ونقلت الصراع من آسيا إلى أوربا[2] . وبهذه العاطفة الإسلامية المتأججة في نفوسهم ممتزجة بالروح العسكرية المتأصلة في كيانهم حملوا راية الإسلام وأقاموا أكبر دولة إسلامية عرفها التاريخ في قرونه المتأخرة امتدت على ثلاث قارات هي : آسيا وأوربا وأفريقيا فاستطاعوا إزالة الدولة البيزنطية من

---

(١) ويضيف فتح الله (ص٥٢) أن هذه الواقعة التاريخية لم نجد من يكذبها وهي مأخوذة عن : تربية المرأة والحجاب الذي نشر عام ١٨٩٩م ردّا على كتاب قاسم أمين . تحرير المرأة . للدكتور ماهر حسن فهمى ص١٤٠ . ط وزارة التعليم المصرية/ ص٦٥ من ط سلسلة اعلام العرب .

(٢) العسلي . الأيام الحاسمة في الحروب الصليبية ص ٣٠٠ .

الـوجـود واستولوا على البلقان ودقّوا أبواب ڤينا عاصمة الامبراطورية النمساوية على نهر الـدانـوب ووصلوا جنـوب روسيا وساحل بحر الأدرياتيك وهددوا روما نفسهـا مركـز البـابـوية، فبسطت بذلك لواء الإسلام على ما يعرف اليوم بدول أوربـا الشـرقيـة واليـونـان وجـزر البحر المتوسط وأجزاء من ايطاليا والنمسا، كما خضعت لها الأرض الممتـدة من شمال القفقـاس شمالاً حتى الصحـراء الافريقية جنـوبـاً وحـدود المغرب الأقصى غرباً، ومدّت جناحها الشرقي حتى بلاد فارس وجبـال كردستـان شاملة مسـاحـة من الأرض قدرت بأكثـر من ١٠ ملايـين ميل مربع. فكانت أقوى دولة في العالم آنذاك(١).

ويتسـاءل المؤرخـون كيف تمكن الاتراك العثمانيون منذ البداية المبكرة من أن يحرزوا الانتصـارات على الـدولـة البيـزنطيـة العـريقة، وتأتي الاجابة على السنتهم وفي مقـدمتهم المؤرخ الشهـير ستافريانوس الذي يؤكد «أن نصرهم لم يكن بالإمكـان تحقيقـه لولا عظمـة الإسلام وما غرسه في قلوبهم من حب عميق للقتال في سبيل الله والرغبة الصادقة في نشر رسالة الإسلام، واستمد عثمان ومن خلفـوه قوتهم من الفيض الـدائم المتـدفق من الغـزاة أو المقـاتلين في سبيـل الله والدين، والذين وفدوا من كل انحاء الأناضول ليقاتلوا ضد أعداء الإسلام».

لقـد تكـونت في كل أنحـاء الأنـاضول جمعيات الاخوة الإسلامية، تدعو للجهـاد في سبيـل الله، وتتعاون من أجل أعداء المجاهدين لإعلاء كلمة الحق، وكـان شعـارهـا الـدائم «فضّـل أخـاك على نفسك». وحين زار الرحالة المسلم الشهـير ابن بطـوطـة آسيـا الصغرى في عام ١٣٣٣م وصف معيشتهم وتعاونهم وكرمهم وأعجب بسمو أخلاقهم.

ولقد قدم المسلمون من الاتراك للنصارى في أوربا أمثلة صادقة حية تمثل سماحـة الإسـلام وعظمـة المسلمـين لهذا أقبـل الكثير ون منهم على الدخول في الإسـلام، فاعتـزوا به وعـزوا وصـار منهم كبـار القـادة في جيش المسلمين وتولى

(١) على حسون. الدولة العثمانية ص ٩.

كثيرون منهم أهم المناصب في الدولة[1]. الأمر الذي أزعج أوربا وجعلها تعقد التحالفات الصليبية المتكررة لطرد العثمانيين، ولكن الفشل كان لها بالمرصاد[2]، فظهر في عالم السياسة الأوربية ما عرف باسم المسألة الشرقية التي كانت تعني حينذاك ضرورة تكاتف أوربا النصرانية لمواجهة خطر العثمانيين وإيقاف تيار فتوحهم الجارف. وقد وصفها بعض الكتاب من الشرق ومن الغرب بأنها مسألة النزاع بين النصرانية والإسلام أي مسألة حروب صليبية متقطعة بين الدولة العثمانية القائمة بأمر الإسلام وبين دول النصرانية[3].

وبعد أن أصاب المسلمين بما فيهم الدولة العثمانية الوهن تغيّر مفهوم المسألة الشرقية وأصبحت تعني ضرورة طرد العثمانيين من أوربا وتقسيم ممتلكاتهم في هذا الميدان الأوروبي، ثم تقسيم ممتلكاتهم جميعها وخرجت التسمية الأوربية للدولة العثمانية باسم الرجل المريض، وكانت روسيا القيصرية لا تنقطع عن إثارة الفتن بين دول البلقان وتأليبهم على الحكم العثماني ومدّهم بالسلاح بدعوى التخلص من حكم المسلمين[4]. وبلغ التعصب بأحد كتاب فرنسا أن اقترح حلا للمسألة الإسلامية القضاء على المسلمين ونبش قبر الرسول الكريم ﷺ ونقل عظامه إلى متحف اللوفر بباريس[5].

أما في بريطانيا فتظاهرت بأنها تقف مع وحدة املاك السلطان وكانت تبتلع شيئاً من أملاكه كلما حانت الفرصة ثم تنتظر مدة لتهضم ما ابتلعته دون ضجة من بقية الدول الأوروبية[6].

لقد اتهم الكثيرون الدولة العثمانية بكل باطل وألصقوا بها صورة التخلف الدائم، وتناقلت ذلك الأقلام الغربية الحاقدة على هذه الدولة وعلى الإسلام

---

(1) انظر: د. محمد كمال الدسوقي. الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ص١٤-١٥.

(2) كالتحالف الصليبي عام ١٣٦٤م وسنة ١٣٩٦م. معركة نيبوليس. وسنة ١٤٧٩م. انظر. دسوقى ص٢٣، وص٢٦ وص٤٨.

(3) د. محمد محمد حسين. الاتجاهات الوطنية. ج١ ص٢٣ عن المسألة الشرقية ص٥ لمصطفى كامل.

(4) تاريخ الدولة العلية ص ٣٤١.

(5) تاريخ الاستاذ الإمام ج١ ص ٨٠١.

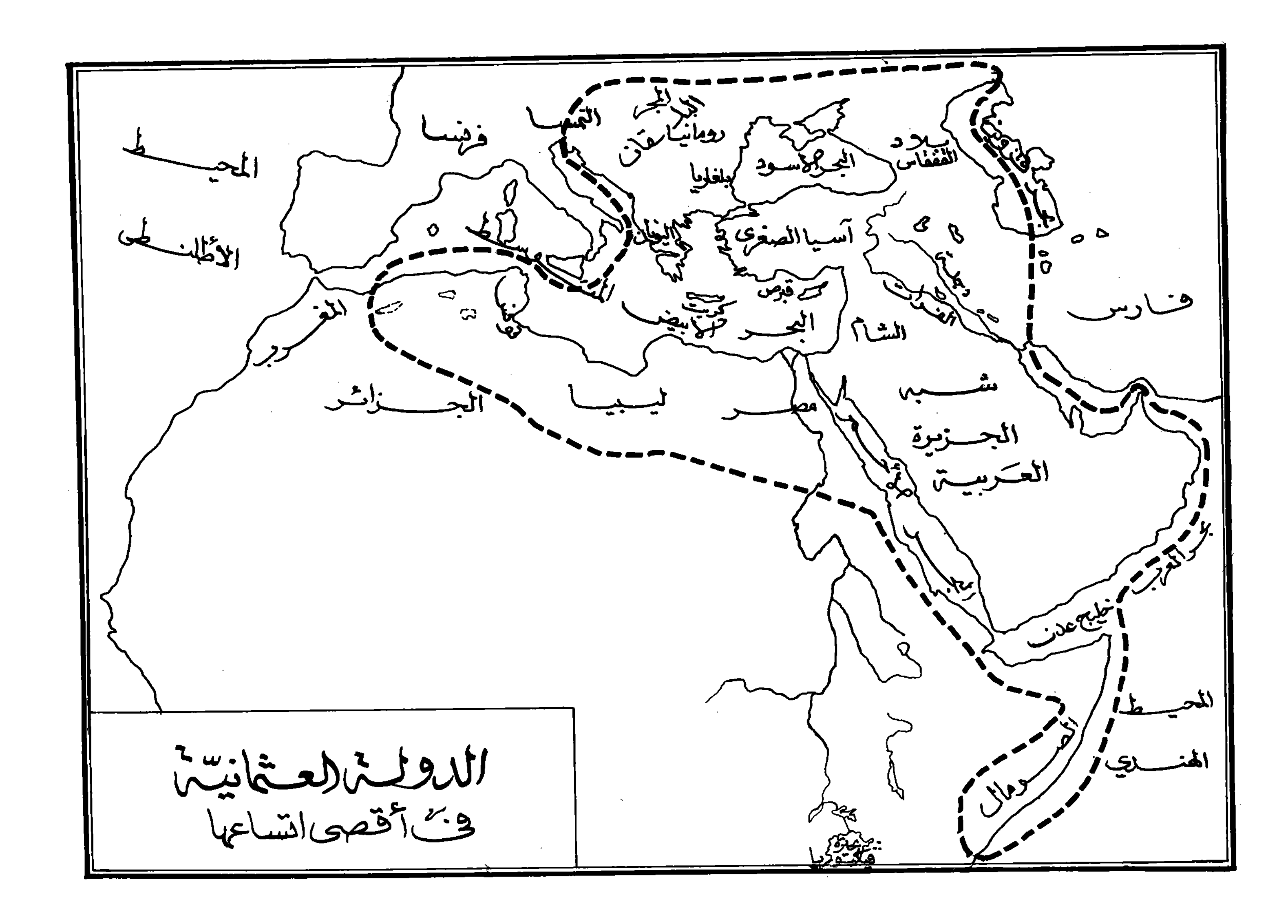
(6) انظر - المسألة الشرقية لدسوقي. ص ٢٨٠ وص٣٠٤.

وربطـوا في غمـرة حقـدهم بين ذلـك التخلف وبـين الإسلام ، ونسبوا له كل ما أصـاب الـدولـة من ضعف ووهن ، وكل ما جاء بها من كوارث ومشاكل على مرّ العصور، ونسوا أو تناسوا أن كل ما يصيب الأمة الإسلامية من خير وعزة يصيبها دائماً حين تتمسك بالقيم الإسلامية ، وأن كل ما يحل بها من هوان يحل بها حين يضعف تمسكها بالدين الحنيف ، وان الإسلام والتمسك به سرّ عظمة هذه الأمة .

وقـد بقيت الـدولـة العثـمانيـة عزيزة الجانب وهي تذود عن حمى الإسلام وأسـدت خدمـات جليلة للإسـلام والمسلمـين على امتـداد تاريخهـا ، ولكنها في الفـترة الأخـيرة من حياتها وقعت في أخطاء عديدة أخطرها على الإطلاق هو : عدم اتخـاذ الإسـلام مصـدراً أسـاسياً للتشريعات والقوانين والأنظمة التي تسير عليهـا الـدولـة ـ فكثـر إصـدار التشـريعـات والقـوانـين الـوضعيـة فيـما سمي بالتجـديـدات (كـما ذكـرنـا) وذلـك بسبب الضغوط الأوروبية ، فتنكبت الدولة الطـريق في مواجهـة العـواصف الاستعمارية مما نتج عنه عدم استطاعتها المقاومة وانهارت في النهاية .

وفي هذا الجـو الحـرج ارتقى عبـد الحميـد الثـاني سلطـة الخـلافـة (١٢٩٣ـ١٣٢٧هـ / ١٨٧٦ـ١٩٠٨م) في أسوأ ظروف التآمر على الدولة وعلى المسلمـين ، فقـد استـولى اعـداء المسلمـين على افـريقيـة شمالها وجنوبها وغربها وشـرقهـا وتـوغلوا في وسطها ، كما استولوا على معظم آسيا في القوقاز والتركستان وهنـدستـان وجميـع جنـوب شرق آسيـا ، وشـواطيء شبـه الجزيرة العربية عدن وحضـرمـوت وعمان وإمارات الخليج ، ولم يبق خارجاً عن سيطرة اعداء المسلمين إلا نجـد والاحسـاء وعسـير واليمن داخـل شبـه الجزيرة العربية والعراق والشام وبلاد الأناضول وجزء من البلقان في شرق أوربا (وطرابلس الغرب التي سقطت عام ١٣٣٠هـ/ ١٩١١م بيد ايطاليا) تحت سلطان الخلافة العثمانية .

في هذه الظـروف نادى السلطـان عبد الحميد بفكرة الجامعة الإسلامية في مختتم القرن التاسع عشر ومستهل القرن العشرين في محاولة لحفظ الدولة العثمانية المتـداعيـة من الانهيـار وليصـون عقـدهـا من الانفراط وفي محاولة لتنمية الشعور



الدولة العثمانية
في أقصى اتساعها
المحيط الأطلنطي
فرنسا
النمسا
المجر
رومانيا
بلغاريا
البحر الأسود
بلاد القفقاس
اليونان
آسيا الصغرى
قبرص
كريت
البحر الأبيض
الشام
فارس
المغرب
الجزائر
ليبيا
مصر
شبه الجزيرة العربية
خليج عدن
بحر العرب
الصومال
المحيط الهندي

بالرابطة الإسلامية وتغذية الإحساس بالخطر الذي يهدد شعوبها أمام غول الاستعمار المتربص بها[1] فيدعوها إلى التجمع حول دولة الخلافة بوصفها أقوى البلدان الإسلامية واقدرها على قيادة المعركة ضد العدو المشترك.

ومن الحق أن يقال إن هذه الحركة والدعوة هزت دول العالم الغربي وخاصة انجلترا وفرنسا وروسيا وكلفتها جهداً كبيراً في سبيل مقاومتها ورميها بكل نقيصة واتهام السلطان عبد الحميد والتشكيك فيه، فلجأت إلى التآمر بالاشتراك مع الصهيونية والمحافل الماسونية للإطاحة به.

وكان كرومر المعتمد البريطاني في مصر سنة (١٣٠١-١٣٢٥هـ/ ١٨٨٣-١٩٠٧م) هو أول من ألّب أوربا على الجامعة الإسلامية، وحرص على أن يتحدث في تقاريره السنوية عن الجامعة الإسلامية ببغض شديد. وفي الوقت نفسه نشرت الأهرام (المصرية) تصريحات مثيرة لوزير فرنسي هو(هانوتو) هاجم فيها الجامعة الإسلامية. وكانت مهاجمة الجامعة الإسلامية تستتبع بالتالي مهاجمة الدولة العثمانية حتى تتفرق الوحدة التي تجمع من حولها الدول الإسلامية لتواجه النفوذ الاستعماري الزاحف الذي قد رسم مخططه على أساس التهام هذه الوحدات والحيلولة دون التقائها مرة أخرى في أي نوع من الوحدة ليستديم سيطرته عليها[2]. فاتخذوا لذلك عدة أعمال أساسية[3].

١ - تعميق الدعوات الاقليمية والخاصة بالوطنية والأرض والأمة والعرق.

٢ - خلق جو فكري عام لمحاربة الوحدة الإسلامية وتصفيتها.

وكل هذا مقدمة لإلغاء الخلافة العثمانية نهائياً وبالتعاون مع الصهيونية. وقبل أن نذكر كيف زالت الخلافة لابد لنا من ذكر الجوانب المشرفة في تاريخ الدولة العثمانية ومنها:

---

(١) الاتجاهات الوطنية ج ١ ص ٢٠.

(٢) أنور الجندي. العالم الإسلامي والاستعمار ص ١٧٨-١٧٩/ انظر حاضر العالم الإسلامي ج٤ ص٦٦-٨٦. لشكيب ارسلان.

(٣) نفسه ص ١٨٢.

١ ـ ان العثمانيين هم الذين أزالوا من خريطة العالم أعتى امبراطورية صليبية هي الامبراطورية البيزنطية وفتحوا عاصمتها القسطنطينية سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م التي استعصت على المسلمين ما يربو على الثمانية قرون. وكانت الدوافع الحقيقية وراء محاولة الفتح إسلامية جهادية حافزها بشارة النبي ﷺ وثناؤه على الفاتح وجيشه، وغايتها اعلاء كلمة الله في الأرض والجهاد في سبيله[١] كما تابعوا المدّ الإسلامي في أوربا حتى أصبح شرق أوربا كله ترفرف عليه رايات الإسلام ففتحوا بلغراد سنة ٩٢٧هـ وبودا عام ٩٣٢هـ وحاصروا ڤينا عاصمة النمسا في قلب أوربا ٩٣٥هـ/١٥٢٩م. وسنة ٩٣٨هـ زمن السلطان سليمان[٢] وسنة ١٠٩٤هـ/١٦٨٣م[٣].

٢ ـ حفظ العثمانيون لشمال افريقية إسلامه وعروبته، عندما وقفت ضد أطماع الصليبيين الأسبان الذين بدأوا يتجهون إلى استعمار الشمال الأفريقي بعد قضائهم على الدولة الإسلامية في الأندلس بسقوط غرناطة سنة ٩٨٧هـ/ فقد هاجر الكثير من المسلمين إلى شمال افريقيا وقام الاسبان بملاحقتهم حتى وصلوا الشواطيء الإسلامية، واحتلوا بعض موانيء المغرب الأقصى والجزائر، وقبل الحفصيون في تونس الحماية الاسبانية بالضغط والقوة. فقام العثمانيون بالحاق الجزائر بناء على طلب أهلها سنة ٩٣٥هـ، ثم حرروا تونس سنة ٩٤١هـ[٤] وحرروا طرابلس الغرب من الأسبان سنة ٩٢٦هـ[٥] فكبحوا جماح الصليبيين هناك.

٣ ـ جعل العثمانيون البحر الأحمر بحراً إسلامياً مغلقا بمعنى تحريم الملاحة في هذا البحر على السفن النصرانية، وكان التبرير لهذا الاجراء هو ان البحر الأحمر تطل مياهه على الأماكن المقدسة الإسلامية، فيجب ألّا تدنس

---

(١) ويعني قوله ﷺ: «لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش». رواه الإمام أحمد والحاكم عن بشر الغنوى كما في كنز العمال.

(٢) المسألة الشرقية ص ٥٧.

(٣) د. علي حسون ص ٩٦.

(٤) انظر علي حسون ص ٥٢، ص ٥٤.

(٥) نفسه ص ٥١.

تلك المياه بوجود سفن نصرانية، وكان سبب هذا الاجراء الوقائي هو تآمر البرتغاليين مع ملك الحبشة على غزو الأماكن المقدسة في مكة والمدينة. واستولى البرتغاليون على عدن ومسقط عام ٩٢١هـ. فكان حافزاً للدولة العثمانية على إلحاق المنطقة لانقاذها[١].

٤ ـ تحقق في ظل الدولة العثمانية الوحدة الإسلامية على مساحة كبيرة من العالم الإسلامي من العراق شرقاً إلى مراكش غرباً ونعمت تلك المنطقة بالهدوء والاستقرار نوعاً ما. فقد ضم السلطان سليم الشام عام ٩٢٢هـ/ ومصر عام ٩٢٤هـ، ووصل تبريز عام ٩٢٠هـ، وفتح السلطان سليمان العراق سنة ٩٤٠هـ وحماه من تغلغل المذهب الشيعي الصفوي .

٥ ـ حفظت الدولة العثمانية قلب العالم الإسلامي من الزحف الاستعماري الصليبي الأوروبي ما بقيت قوية لمدة ثلاثة قرون، وجه الصليبيون خلالها اهتمامهم إلى تطويق العالم الإسلامي بالزحف على أطرافه البعيدة عن مركز الخلافة .

٦ ـ ولعل من انصع تلك الصفحات المشرقة موقف السلطان عبد الحميد من المطامع الصهيونية في فلسطين حيث رفض رفضاً قاطعاً السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين ضارباً بإغراءاتهم المادية عرض الحائط كما سنتحدث عنه في حينه .

هذا ولا يخفى علينا الأصوات التي ترتفع بين حين وآخر فتصف الخلافة العثمانية بعديد من الصفات المستقاة من التصورات الغربية فهي دولة استعمارية، اخضعت الشعوب بالقسر والقوة، وكبتت الحريات واستخدمت الأساليب الدكتاتورية في خنق أصوات المعارضة إلى غير ذلك من المساويء التي يعددها البعض إما انسياقاً وراء كتاب الغرب، أو التجاهل عن عمد للدور الأساسي الذي قامت به هذه الخلافة في صدّ أعداء الإسلام .

وإذا ذكرنا المساويء فإننا يجب أن نركز على الانحراف عن النهج الإسلامي مثل قتل الأقرباء خوفاً من المنازعة على الحكم أو للتفرد بالسلطة أو

---

(١) نفسه ص ٤٦ .

إبـاحـة شرب الخمـور للانكشارية وتشجيع الصوفية، فالواقع أن الدولة العثمانية كانت ذات عاطفـة إسـلاميـة قويـة وإن لم تكن تستطيـع إستيعـاب المفـاهيم الإسـلاميـة بشكـل سليم وصحيح في احيان كثيرة وهذا هو الداء الحقيقي وكان العلاج يكمن في العودة إلى النهج الإسلامي لا في إبعاده نهائياً .

ولا ننسى أن الـدولـة العثـمانيـة قامت بخـدمـات للمسلمـين والإسـلام فاحتفظت بنظـام الخـلافـة وأعـادت للخليفـة هيبتـه، وبقيت الخلافة تحتل قوة إسلامية كبيرة تجد لها في مسلمي الهند واندونيسيا وتركستان والصين وفي مختلف انحـاء العـالم الإسلامي صدى وتأييداً كرمز لوحدة المسلمين. وكان هذا السبب الرئيسي في عداء العالم الأوروبي لها إذ خشيت أوربا أن تتكرر أحداث التاريخ فيعود المسلمون لمجدهم وعزهم في ظل الخلافة، فلم يهدأ بالها حتى قضت على هذا النظام .

كانت الصهيـونيـة وليدة الاستعمار قد لجأت بمساعدة الدول الاستعمارية للاتصـال بالـدولـة العثـمانيـة وبـالسلطـان عبد الحميد بعد أن نجحت في عقد مؤتمـرها الأول في بال بسويسرا سنة ١٣١٥هـ/١٨٩٧م برئاسة هرتزل اليهودي النمســاوي. ففي عام ١٣١٩هـ/١٩٠١م قام تيــودور هرتـزل زعيم الحـركـة الصهيـونيـة العـالميـة يرافقـه ايـمانـويـل قره صور زعيم الاقليـة اليهودية التركية والحـاخـام ليفي موستيـه بزيـارة كانت الأولى من نوعهـا للسلطـان عبد الحميد حاولوا أن يحصلوا على إذن يسمح فيه لليهود بالهجرة إلى فلسطين بصفتهم رعايا للدولـة العثمانية، كما حاولوا اغراءه بتسديد ديون الدولة العثمانية وقدرها خمسون مليوناً من الجنيهات، وهبة مقدارها خمسة ملايين من الجنيهات لخزينة السلطان الخاصة[1]، فرفض السلطان عبد الحميد بإباء وأعلن استحالة تحقيق هذا الهدف طالما هو على قيد الحياة. ومن أقواله لهرتزل لما تكرر طلبه :

«لو كنت اعلم أنك جئت اليوم تطلب في ما رفضت إجابتك إليه من قبل لما سمحت لك بالـدخـول علي. واعلم ياهـيرتسـل أن فلسطـين جزء من أرض

(١) على حسون/ ص ١٩٢، أسرار الانقلاب العثماني كتبه بالتركية مصطفى طوران، ترجمه كمال خوجة ط٤ ص١٦-١٧.

الإسـلام، وأرض الإسـلام لا تبـاع بالـذهب والدراهم، ولقد حصلنا على كلٍ شبر منها ببذل دماء أجدادنا، ولن نفرط بشبر منها قبل أن نبذل كل دمائنا دفاعاً عنها»[1].

فكان من نتائج ذلك أن عمل اليهود ومن والاهم على اسقاط عبد الحميد فكـان من أقـوى الاسلحـة التي قاومت بها الـدول الأوروبيـة حركـة الجـامعـة الإسـلاميةالدعوة الاقليمية واعلاء شأن الجنسية والوطن والعرق. والعمل على تشـويـه سمعـة السلطـان بوسائل الاعلام المختلفة واتهامه بالاستبداد والرجعية والتخلف والفساد.

ونجح الاستعمار والصهيونية ومن والاهم في اسقاط السلطان عبد الحميد والاغراء بين العنصرين الكبير ين في الدولة وهم الأتراك والعرب.

فكـان جلادستـون زعيم حزب الأحـرار بانجلترا يلقي الخطب الـرنـانـة ويؤلف الرسائل المطولة ناسباً إلى تركيا اضطهاد النصارى مشيراً إلى السلطان عبد الحميد بقوله: «الشيطان وعدو المسيح»[2].

اما لورنس العرب فقد قال في إحدى المرات[3]: «علينا أن ندفع بالغرب لانتزاع حقوقه من تركيا بالعنف... لأننا بهذا نقضي على خطر الإسلام وندفع به (أي بالإسلام) لإعلان الحرب على نفسه وبذلك تمزقه من القلب، إذ ينهض في مثـل هذا الصـراع خليفـة في تركيا وخليفة في العالم العربي ويخوض الخليفتان حرباً دينية، وبذلك يقضى على خطر الخلافة الإسلامية بصورة نهائية...»

وقادت جمعية الدونمه (وهم اليهود الذين أسلموا تقية وعاشوا في سالونيك في ظل الدولة العثمانية) الحركات ضد السلطان عبد الحميد. تحت أسماء مختلفة أهمهـا حركـة تركيـا الفتـاة وحـركـة حزب الاتحـاد والترقي التي اتخذت من مقارّ المحافل الماسونية مراكز لها للعمل وخلقت حركة ضخمة سداها ولحمتها الحملة على السلطان عبد الحميد واتهامه بالاستبداد.

---

(١) من مذكرات هرتزل/ على حسون ص ١٩٢.
(٢) الدولة العلية ص ٣٣٩.
(٣) د. علي حسون ص ٢٦٢.

فقد تكونت جمعية سرية في كلية الطب العسكري في استانبول وعرفت باسم جمعية الاتحاد والترقي تزعمها شاب الباني اسمه إبراهيم تيمو وتأثرت هذه بحركة الكاربوناري الايطالية وبآراء القوميين الاتراك وفي مقدمتهم نامق كمال. واكتسبت هذه الجمعية السرية كثيراً من الأنصار وانضم إليها أعضاء جمعية تركيا الفتاة. واتخذوا من جنيف مركزاً لقيادة الجمعية، وأنشأوا في باريس جريدة تمثل آراء الجمعية أسموها الميزان(١).

ومع بداية القرن العشرين انتشرت جمعيات سرية كثيرة وخاصة في سالونيك باسم الوطن والحرية تتعاون مع جمعية الاتحاد والترقي لمعارضة الحكومة العثمانية(٢). وتمكنت هذه الجمعيات أخيراً من الثورة سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م واسقاط السلطان عبد الحميد سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م، وكان قره صو اليهودي واحداً من الذين اشتركوا في خلعه وقدم له قرار العزل(٣).

---

(١) المسألة الشرقية. د. دسوقي ص ٣١٣.

(٢) نفسه ص ٣١٥.

(٣) ونقتطف هذه الفقرات من الرسالة التي وجهها السلطان عبد الحميد إلى شيخه بعد عزله يوضح فيها أسباب تنازله عن الخلافة:

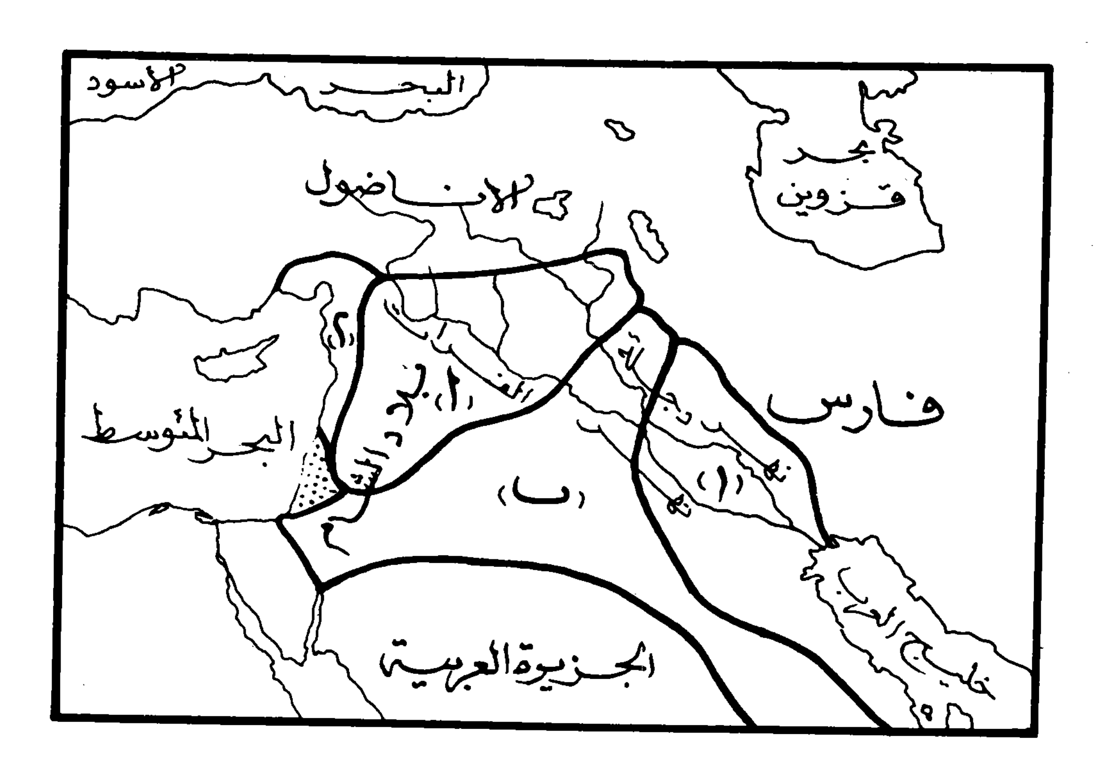
«إنني لم أتخل عن الخلافة الإسلامية لسبب ما، سوى أنني - بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد والترقي باسم (جون تورك) وتهديدهم - اضطررت واجبرت على ترك الخلافة.

إن هؤلاء الاتحاديين قد اصروا وأصروا عليّ بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة (فلسطين) ورغم اصرارهم فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف وأخيراً وعدوا بتقديم (١٥٠) مليون ليرة انجليزية ذهباً، فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية أيضاً واجبتهم بهذا الجواب القطعي الآتي:

انكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهباً فضلاً عن (١٥٠) مليون ليرة انجليزية ذهباً فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي، لقد خدمت الملة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد على ثلاثين سنة فلم أسّود صحائف المسلمين آبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين. لهذا لن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي أيضاً.

وبعد جوابي القطعي اتفقوا على خلعي، وابلغوني أنهم سيبعدونني إلى (سلانيك) فقبلت بهذا التكليف الأخير -

هذا وحمدت المولى وأحمده أنني لم أقبل بأن الطخ الدولة العثمانية والعالم الإسلامي بهذا العار الأبدي الناشيء عن تكليفهم بإقامة دولة يهودية في الأراضي المقدسة فلسطين. وقد كان بعد ذلك ما كان...» نشر هذه الرسالة سعيد الأفغاني في مجلة العربي الكويتية في عددها الصادر في شهر شوال سنة ١٣٩٢هـ الموافق لكانون الأول سنة ١٩٧٢م، ضمن مقال بعنوان: سبب خلع السلطان عبد الحميد).



تقسيم بلاد الشام والعراق حسب اتفاقية سايكس بيكو عام ١٩١٦م

(١) لبريطانيا (٢) لفرنسا منطقة دولية

(أ) منطقة نفوذ فرنسية (ب) منطقة نفوذ بريطانية

وبسيطرة جمعية الاتحاد والترقي غدت الحكومة العثمانية تركية في مضمونها، قومية في عصبيتها، بينما كانت من قبل عثمانية في مضمونها وإسلامية في رابطتها[1]. فقد تأثرت هذه الجمعية بقوة الأفكار القومية الطورانية التي تدعو إلى تحرير كافة الاتراك. مدّعين أن الشعوب الإسلامية في الأناضول وآسيا الوسطى تشكل أمة واحدة، وهي الأفكار التي تطورت أخيراً بمجهودات الكاتب التركي الشهير ضياكوك آلب. فاتبعت سياسة التتريك وذلك بجعل اللغة التركية هي اللغة الرسمية الوحيدة بعد أن كانت تقف اللغة العربية إلى جانبها. فتأججت حركة الدعوة إلى القومية العربية، في مواجهة حركة التتريك.

كوّن العرب حزب اللامركزية وتعني أن تأخذ الولايات غير التركية استقلالاً ذاتياً وتبقى خاضعة خارجياً لاستانبول. كما كوّنوا جمعيات سرية مثل الجمعية القحطانية برئاسة عبد الكريم الخليل والضابط عزيز علي المصري، والجمعية العربية الفتاة التي تشكلت في باريس عام **١٣٢٩**هـ على منهج جمعية تركيا الفتاة ومن قبل طلاب يدرسون هناك تشبعوا بالأفكار الغربية وخاصة مبادىء العصبية القومية واستعمل بعضهم المصطلحات الماسونية وكان قصدهم: استقلال العرب التام، وقد نقلوا مقرهم من باريس إلى بيروت ثم إلى دمشق حيث ازداد عدد الأعضاء وخاصة من النصارى العرب.

وتكونت الجمعية الإصلاحية في بيروت عام **١٣٣١**هـ وتعاونت مع جمعية النهضة اللبنانية في المهجر فقدمتا رسالة مشتركة إلى حكومة فرنسا عام **١٣٣١**هـ التمستا فيها منها احتلال سوريا ولبنان بينما اتجه المصلحون العراقيون نحو الانجليز وأيد بعضهم إقامة إشراف بريطاني على برامج الإصلاح، بل وحتى إلى بسط الحماية البريطانية على البلاد[2].

---

(١) أضاعت تركيا في فترة الأربع سنوات الأولى من حكمهم كافة ولايات الدولة الأوروبية عدا تراقيا الشرقية. فضمت النمسا ولاية البوسنة والهرسك عام ١٣٢٦هـ، وانفصلت بلغاريا، واحتلت ايطاليا ليبيا وجزر البحر الأبيض المتوسط، وأخذت اليونان جزيرة كريت.

(٢) تاريخ الدولة العثمانية. د. علي حسون. ص ٢٤٩.

ولما بطش الاتحاديون بأعضاء الجمعيات العربية، قامت العربية الفتاة بعقد مؤتمر عربي في باريس سنة ١٣٣٢هـ/١٩١٣م، وقد هيأ الفرنسيون المكان المناسب لعقد الاجتماع وقرر المؤتمرون(١):

١ ـ ضرورة تنفيذ الإصلاح بسرعة .
٢ ـ اشراك العرب بالإدارة المركزية .
٣ ـ جعل اللغة العربية لغة رسمية في كافة الولايات العربية .
٤ ـ جعل الخدمة العسكرية محلية بالنسبة للعرب إلا حين الضرورة .
٥ ـ التعاطف مع مطالب الأرمن .

وواضح أن مطالبهم معتدلة ولا تدعو للانفصال عن الدولة، وأكد الأعضاء بأن حركتهم لا دينية وتعادل عدد النصارى مع عدد المسلمين في المؤتمر وكان برئاسة عبد الحميد الزهراوي .

وقد علقت فرنسا آمالاً كبيرة على المؤتمر وكان لها العديد من الأنصار في داخله ثم قامت بنشر مقرراته .

ولما قامت الحرب العالمية الأولى (١٣٣٣-١٣٣٧هـ/ ١٩١٤-١٩١٨م)، دخلت تركيا الحرب إلى جانب دول الوسط (المانيا والنمسا) في حين تمكن الانجليز (بمراسلات الحسين مكماهون) من جرّ العرب إلى جانب الحلفاء (بريطانيا وفرنسا وروسيا) فسادت فكرة القومية العربية ووقع الصدام بين العرب والترك(٢). وسقطت تركيا بعد هزيمتها في الحرب واحتل الحلفاء واليونان أجزاء منها ووقعت الآستانة تحت سيطرة الانجليز وأصبح الخليفة كالأسير فيها .

إن خلع السلطان عبد الحميد وقيام جمعية الاتحاد والترقي في الحكم كانت خطوة أساسية نحو تحقيق المخطط الذي تم أثناء الحرب وبعد الحرب في مراحل نلخصها فيما يلي :

١ ـ اتفاق الحلفاء على تقسيم العالم الإسلامي الخاضع للدولة العثمانية

---

(١) نفسه ص ٢٥٠/ الدولة العثمانية والمسألة الشرفية ص٣٣٣.
(٢) انظر: الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ص ٣٧٠، ٣٩٦-٤٠١ .

بين الحلفـاء، تجلّى ذلـك في معـاهـدة سايكس بيكـوسنـة ١٣٣٤هـ/١٩١٦م السرية في الوقت الذي وعدوا فيه العرب بالاستقلال. وأهم ما تضمنته هذه المعاهدة :

أ ـ أن يكـون جنـوب العـراق لبر يطـانيـا ، وساحل سوريا الشمالي (لبنان والساحل الشمالي من سوريا) لفرنسا.

ب ـ تتكـون دولتـان عربيتـان شمال العراق وأواسط بلاد الشام وجنوبها ، يكون النفوذ في الأولى التي تشمل شمال العراق وشرق الأردن لبر يطانيا ، والنفوذ في الثانية التي تشمل أواسط سوريا والجزيرة الفراتية لفرنسا.

جـ ـ تكون فلسطين دولية .

د ـ تكون الآستانة والمضائق (البوسفور والدردنيل) لروسيا .

٢ ـ وعـد بلفـور الـذي أصـدرته بريطانيا للصهيونية في ٢/١١/١٩١٧م (محرم ١٣٣٦هـ) بأن تكون فلسطين وطناً قومياً لليهود.

٣ ـ تسليم تركيـا لأبشـع حركة تغريب وتدمير للقيم الإسلامية بنقلها من دولـة ذات طابـع إسـلامي إلى دولـة غربية الطابع فيمكن القول بأن الفترة التي بدأت في تركيـا بخلع السلطـان عبد الحميد وتولي الاتحاديين للحكم هي الفترة التي اجتمعت فيهـا إرادة الحـاكمين والاستعمار على تصفية الدولة العثمانية وابراز طابـع الجـامعـة الطـورانية وإبلاغ العلاقة بين الترك والعرب أشد مراحلها عنفاً وقسوة مما مهد إلى زوال الدولة والتهام الغرب للأجزاء العربية ومنح اليهود وعد بلفور الذي يعطيهم الحق في إقامة دولة في فلسطين .

فقد قام الاتحاديون بتوجيه الدولة وجهة قومية لا دينية ، ولما احتل الانجليز استـانبـول (الآستـانـة) وأصبـح الخليفـة شبه أسير في أيديهم ، وأصبح المندوب السامي البر يطاني والجنرال هارنجتون (القائد العام لقوات الحلفاء في استانبول)

هما أصحاب السيادة الفعلية[١]، ظهر مصطفى كمال[٢] باشا بمظهر المنقذ لشرف الدولة من الحلفاء واليونان الذين احتلوا ازمير بتمكين من بريطانيا سنة ١٣٣٨هـ وتوغلوا في حقد صليبي دفين في الأناضول. فقام مصطفى كمال باستثارة روح الجهاد في الأتراك ورفع القرآن وردّ اليونانيين على أعقابهم، وتراجعت أمامه قوات الحلفاء بدون أن يستعمل أسلحته واخلت أمامه المواقع ولعلها كانت بداية الطعم لإظهار شخصية مصطفى كمال وجعلها تطفو على السطح تدريجياً[٣]. فقد ابتهج العالم الإسلامي وأطلق عليه لقب الغازي ومدحه الشعراء وأشاد به الخطباء.

فأحمد شوقي قرنه بخالد بن الوليد في أول بيت من قصيدة مشهورة[٤]:

الله أكبر كم في الفتح من عجب ... ياخالد الترك جدّد خالد العرب

ثم يجعله في مصاف صلاح الدين الأيوبي حين يقول:

حذوت حرب الصلاحيين في زمن ... فيه القتال بلا شرع ولا أدب

بل وشبه انتصاره بانتصار بدر فيقول:

يوم كبدر فخيل الحق راقصة ... على الصعيد وخيل الله في السحب
تحية أيها الغازي وتهنئة ... بآية الفتح تبقى آية الحقب

فكان الناس إذا قارنوا كفاح مصطفى كمال المظفر باستسلام الخليفة القابع في الآستانة مستكيناً لما يجرى عليه من ذل، كبر في نظرهم الأول بمقدار ما يهون الثاني. وزاد في سخطهم على الخليفة ما تناقلته الصحف بإهداره دمِ

---

(١) على حسون ص ٢٧٠.

(٢) ولد عام ١٢٩٩هـ/ وكان والده كما يقول مصطفى كمال: رجلاً ضائع الفكر يقاوم علماء الدين ويؤيد الأفكار التي تتسرب من الغرب ويتشبث بها. فنشأ ابنه على ذلك وتأثر بأفكار نامق كمال ذو الآراء غير الملتزمة، وطالع العديد من الكتب عن الثورة الفرنسية وازداد اعجابه بنابليون. قام بتأليف جمعية سرية ـ الوطن في دمشق ـ ففشلت. فانضم إلى جماعة الاتحاد والترقي في سالونيك. اكتسب الكثير من طبائع الغرب وبهرت أنظاره وافتتن بحضارته ومعاييرها الفنية والاجتماعية. واهتم بحرية الجنس والعلاقات بين الرجل والمرأة. وفي عام ١٣٧٧هـ/ عين قائداً لأحد الجيوش في فلسطين حيث قام بإنهاء القتال مع الانجليز فورا وبصورة تامة وسمح للعدو بالتقدم شمالاً دون مقاومة وسحب قواته شمالاً بعد حلب حسب مخطط متفق عليه. (انظر على حسون ص٢٦٣ ـ٢٦٥).

(٣) نفسه ص ٢٤٥.

(٤) الاتجاهات الوطنية ج٢ ص ٢٦ ـ ٢٧.

مصطفى كمال واعتباره عاصيا متمرداً. ولم يكن مصطفى كمال في نظرهم إلا بطلاً مكافحاً يغامر بنفسه لاستعادة مجد الخلافة، الذي خيل إليهم أن الخليفة يمرغه في التراب تحت أقدام الجيوش المحتلة.

ولكنه لم يلبث غير قليل حتى ظهر على حقيقته صنيعة لأعداء الإسلام من اليهود والنصارى وخاصة انجلترا التي رأت أن الغاء الخلافة ليس بالأمر الهين وإن ذلك لا يمكن أن يتم دون اصطناع بطل واعطائه صورة عظيمة وإظهار هالة حوله وتصويره وكأن المعجزات تجري على يديه وعندها يمكن توجيه الطعنة على يديه بلا ألم عميق إذ الشعور قد تخدّر من نشوة الانتصارات الزائفة. فالحلفاء أنفسهم هم الذين اصطنعوا القلاقل وطلبوا من السلطان إخمادها واقترحوا اسم مصطفى كمال لتلك المهمة ليصبح محط آمال الناس وموضع تقدير ضباط الجيش فتتصاعد مكانته وهيبته وتتدهور سمعة الخليفة وينحط مركز الخلافة في أعين الناس، فالألاعيب الانجليزية لا تدرك بسهولة[1].

كان مصطفى كمال قد انتقل إلى أنقرة واتخذها مقَراً له واستقبل هناك استقبال الفاتحين سنة **١٣٣٧هـ**. وكان يقول: «إن كل التدابير التي ستتخذ لا يقصد منها غير الاحتفاظ بالسلطنة والخلافة وتحرير السلطان والبلاد من الرق الأجنبي»[2].

وفي عام **١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م** أعلنت الجمعية الوطنية التركية قيام الجمهورية في تركيا وانتخب مصطفى كمال أول رئيس لها، وتظاهر بالاحتفاظ مؤقتا بالخلافة فاختير عبد المجيد بن السلطان عبد العزيز خليفة، بدلاً من محمد السادس الذي غادر البلاد على بارجة بريطانية إلى مالطة ولم يمارس السلطان عبد المجيد أي سلطات للحكم. وفي عام **١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م** قدم مصطفى كمال اعظم هدية للغرب وهي الغاء الخلافة التي كانت في اعتبار المسلمين جميعاً عقدة الصلة والرابطة الوثيقة بحسبانها قوة خاصة لهم في مواجهة الغزو الغربي

---

(١) د. علي حسون ص ٢٧٧.

(٢) نفسه ص ٢٧٩.

والصهيوني ثم الشيوعي . واخرج السلطان عبد المجيد من البلاد ، واعلن دستوراً جديداً لتركيا ، وبدأ حكم كمال اتاتورك كرئيس للجمهورية التركية رسمياً . فأثار بذلك موجة من الاستياء الشديد عمت العالم الإسلامي . فشوقي الذي مدحه سابقاً بكى الخلافة ، وهاجم مصطفى كمال في عنف لا يعد له إلا تحمسه له بالأمس ، فيقول(1) :

بكت الصلاة وتلك فتنة عابت ... بالشرع عربيد القضاء وقاح
أفتى خزعبلة وقال ضلالة ... وأتى بكفر في البلاد براح

وعم الاستياء المسلمين في الهند الذين علقوا على تركيا أملاً كبيراً في الخلاص من الاستعمار البريطاني لبلادهم . بل إن عدداً من زعمائهم كان قد هاجر بالفعل إلى أنقرة .

وفشلت المحاولات التي بذلت في سبيل إحياء الخلافة الإسلامية في أي بلد من البلدان الإسلامية الأخرى لأن الأحوال الملائمة لذلك لم تكن متوفرة في أي بلد إسلامي آخر. وحين عرضت الخلافة على الغازي أبى أن يقبلها(2) وقد تأكد أن مصطفى كمال كان ينفذ مخططاً مرسوماً له في المعاهدات التي عقدت مع الدول الغربية . فقد فرضت معاهدة لوزان سنة ١٣٤٠هـ/١٩٢٣م على تركيا فقبلت شروط الصلح والمعروفة بشروط كرزون الأربع (وهو رئيس الوفد الانجليزى في مؤتمر لوزان) وهي(3) :

١ ـ قطع كل صلة لتركيا بالإسلام .

٢ ـ إلغاء الخلافة الإسلامية إلغاء تاماً .

٣ ـ إخراج الخليفة وأنصار الخلافة والإسلام من البلاد ومصادرة أموال الخليفة .

---

(1) من قصيدته في رثاء الخلافة/ ديوان شوقي ج١ ص ١١٤ .

(2) المسألة الشرقية ص ٤٢٩ / د. دسوقي . كان الانجليز يعارضون في ظهور الخلافة الإسلامية في أي صورة من الصور. ولكنهم ـ كعادتهم ـ لم يكونوا يصرحون بهذه المعارضة حتى لا يثيروا المسلمين ويدعوهم إلى التشبث بالخلافة ، فكانوا يعملون على تعقيد المساعي المبذولة في اعادتها بوسائل ملتوية خفية . والذي يقرأ كتاب Whither Islam ص١٦٩) مثلا يستطيع أن يدرك بين سطوره شماتة الكاتب في الجهود المبذولة لإقامة الخلافة. (الاتجاهات ج٢ ص٥١) .

(3) انظر ـ علي حسون ص٢٨٧ .

٤ ـ اتخاذ دستور مدني بدلاً من دستور تركيا القديم .

وقد نفذ مصطفى كمال المخطط كاملاً وبدأت حكومته تبتعد تدريجياً عن الخطوط الإسلامية وتسلم تركيا لعمليات التغريب. فألغيت وزارة الأوقاف سنة ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م وعهد بشئونها إلى وزارة المعارف، وفي عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م اغلقت المساجد. وقضت الحكومة في قسوة بالغة على كل تيار ديني وواجهت كل نقد ديني لتدابيرها بالعنف. وفي عام (١٣٥٠-١٣٥١هـ/ ١٩٣١-١٩٣٢م) حددت عدد المساجد ولم تسمح بغير مسجد واحد في كل دائرة من الأرض يبلغ محيطها ٥٠٠ متر وأعلن أن الروح الإسلامية تعوق التقدم .

وتمادى مصطفى كمال في تهجمه على المساجد فخفض عدد الواعظين الذين تدفع لهم الدولة أجورهم إلى ثلاثمائة واعظ، وأمرهم أن يفسحوا في خطبة الجمعة مجالاً واسعاً للتحدث عن الشئون الزراعية والصناعية وسياسة الدولة وكيل المديح له. واغلق أشهر جامعين في استانبول وحول أولهما وهو مسجد أيا صوفيا إلى متحف، وحول ثانيهما وهو مسجد الفاتح إلى مستودع .

أما الشريعة الإسلامية فقد استبدلت وحلّ محلها قانون مدني أخذته حكومة تركيا عن القانون السويسرى عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م. وغيرت التقويم الهجري واستخدمت التقويم الجريغوري الغربي، فأصبح عام ١٣٤٢هـ ملغيا في كل انحاء تركيا وحل محله عام ١٩٢٦ميلادية .

وفي دستور عام ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م أغفل النص على أن تركيا دولة إسلامية، وغير نص القسم الذي يقسمه رجال الدولة عند توليهم لمناصبهم، فأصبحوا يقسمون بشرفهم على تأدية الواجب بدلاً من أن يحلفوا بالله كما كان عليه الأمر من قبل. وفي عام ١٩٣٥م غيرت الحكومة العطلة الرسمية فلم يعد الجمعة، بل أصبحت العطلة الرسمية للدولة يوم الأحد، وأصبحت عطلة نهاية الأسبوع تبدأ منذ ظهر يوم السبت وتستمر حتى صباح يوم الاثنين .

وأهملت الحكومة التعليم الديني كلية في المدارس الخاصة، ثم تم إلغاءه بل أن كلية الشريعة في جامعة استانبول بدأت تقلل من اعداد طلابها إلى أن

أغلقت عام ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م .

وامعنت حكـومـة مصطفى كمال في حركة التغريب فأصدرت قراراً بإلغاء لبس الطربوش وأمرت بلبس القبعة تشبهاً بالدول الأوروبية .

ومنـذ عام ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م بدأت الحكـومة تفرض إجبارياً استخدام الأحـرف الـلاتينيـة في كتـابـة اللغـة التركية بدلاً من الأحرف العربية . وبدأت الصحف والكتب تصـدر بالأحـرف الـلاتينيـة ، وبـدأ مصطفى كمال بنفسـه هو ورجال الجمعية الوطنية يعلمون طريقة الكتابة بالحروف اللاتينية . وحذفت من الكليـات التعليم باللغـة العـربية واللغة الفارسية وحرم استعمال الحرف العربي لطبـع المؤلفـات الـتركيـة وامـا الكتب التي سبق لمطـابع استانبول أن طبعتها في العهود السالفة ، فقد صدرت إلى مصر ، وفارس والهند ، وهكذا قطعت حكومة تركيا ما بين تركيا وماضيها الإسلامي من ناحية ، وما بينها وبين المسلمين في سائر البلدان العربية والإسلامية من ناحية أخرى[1] .

وتـشـبهـاً بالغــرب أصــدرت حكــومــة مصطفى كمال قانــونــاً عام ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م يقضي بأن يحمـل كل فرد اسم اسـرتـه ، وألا يتعامل رسمياً إلا بذلك الاسم مما لم يكن معروفاً قبل ذلك في تركيا . وبعد أن صدقت الجمعية الـوطنيـة على القـانـون الخاص بألقاب الأسر خلعت على مصطفى كمال لقب «أتاتورك» ومعناه أبو الأتراك وأخذ أتاتورك ينفخ في الشعب التركي روحاً جديدة للاعتـزاز بقـوميتهم بصفتهم أسلاف الأتراك الأولين ، واستغل ما نادى به بعض المؤرخـين من أن لغـة السـومـريـين أصحـاب الحضـارة القـديمة في بلاد ما بين النهـرين كانت ذات صلة باللغـة التركية فقال : بأن الأتراك هم أصحاب أقدم حضارة في العالم ليعوضهم عما أفقدهم إياه من قيم بعد أن حارب كل نشاط إسلامي .

(١) انظر ما كتبه الأمير شكيب ارسلان عن أعمال مصطفى كمال في تركيا ج٣ ص ٣٥١-٣٥٣ .

وعملت حكـومتـه على الاهتـمام بكـل ما هو أوروبي فازدهـرت الفنـون واقيمت التـماثيـل لأتاتورك في ميادين المدن الكبر ى كلها، وزاد الاهتمام بالرسم والموسيقى ووفد إلى تركيا عدد كبير من الفنانين اغلبهم من فرنسا والنمسا[1].

وعملت حكـومتـه على إلغاء حجاب المرأة وأمرت بالسفور، والغي قوامة الـرجـل على المـرأة وأطلق لها العنـان باسم الحـرية والمساواة، وشجع الحفلات الـراقصـة والمسـارح المختلطـة والرقص. وتزوج من لطيفة هانم ابنة أحد أغنياء أزمـير الـذين كانـوا على صلة كبيرة مع اليهود من سكان أزمير، وجرت مراسم الـــزواج على الطـريقـة الغـربيـة كي يشجـع على نبـذ العـادات الإسـلاميـة واصطحبهـا وطـاف بها أرجاء البلاد وهي بادية المفاتن تختلط مع الرجال وترتدي أحدث الأزياء العصرية[2].

وأمـر أخـيراً بترجمـة القـرآن الكـريم إلى اللغـة الـتركية ففقد كل معانيه ومدلولاته، وأمر أن يكون الأذان باللغة التركية .

لقـد تجلت سيـاسـة أتاتورك في برنامج حزبه (حزب الشعب الجمهوري) لعـام **١٣٤٩**هـ مرة وعـام **١٣٥٥**هـ مرة ثانيـة والتي نص عليها الدستور التركي وهي المباديء الستة التي رسمت بشكل ستة أسهم على علم الحزب وهي :

«القـوميـة، الجمهورية، الشعبية، العلمانية، الثورة، سلطة الدولة» فتم تغيـير المنـاهـج الـدراسيـة وأعيـد كتـابـة التاريخ من أجل ابراز الماضي التركي القـومي، وجرى تنقية اللغة التركية من الكلمات العربية والفارسية، واستبدلت بكلمات أوروبية أو حثية قديمة. وجرى التخلى عن أهداف الجامعة الإسلامية والجـامعـة الطـورانيـة والعثـمانية في السياسة الدولية[3] وأعلن أنه اتجه إلى أوربا وانفصـل عن العـالم الإسـلامي والعـرب وآسيـا وامعنت حكـومتـه في استـدبار الإسلام حتى حاربت بقسوة أي محاولة ترمي إلى إحياء المباديء الإسلامية[4].

وكانت خطوات الغازي هذه بعيدة الأثر في مصر وأفغانستان وإيران والهند

---

(١) انظر. دسوقى. المسألة الشرقية ص ٤٢٨ ـ ٤٣٢ .

(٢) علي حسون ص٢٦٥ .

(٣) علي حسون. ص ٢٩٤ .

(٤) الاتجاهات الوطنية ج٢ ص ١٠ .

الإسـلاميـة وتـركستـان وفي كل مكـان في العـالم الإسلامي ، إذ أتاحت الفرصة لدعاة التغريب وخدام الثقافة الغربية الاستعمارية أن ينفذوا إلى مكان الصدارة وأن يضربوا المثل بتركيا في مجال التقدم والنهضة ، فقد هللت له صحف مصر ـ الأهـرام والسيـاسـة والمقطم ـ وكـان (هـذا التأييـد معروف المصدر، فقد كانت الصحف أجيرة لأكثر من نفـوذ) وبـررت تصـرفـات كمال أتاتورك ووافقت عما ابتـدعـه ، ونشـرت له أقـوال : «ليس لتركيـا الجديدة علاقة بالدين» . وأنه ـ أي مصطفى كمال : «ألقى القـرآن ذات يوم في يده فقـال : ان ارتقـاء الشعـوب لا يصلح أن ينفذ بقوانين وقواعد سنت في العصور الغابرة»[1] .

وكان للإعلام اليهودي دور كبير في الترويج لهذه الردّة ، مثلما كان له دوره البارز في تشجيع أتاتورك على البطش بأية معارضة إسلامية ، وكانت تزين له أن ما يقـوم به من مذابـح وحشيـة ضد المسلمـين ليست سوى معـارك بطـولية ، كما كانت منبراً لكل دعوات التشبه بالغرب الصليبي والمناداة بالحرية الفاجرة للمرأة الـتركيـة ، والـترويـج لفنـون الانحلال الخلقي معتبرة أن شرب الخمر والمقامرة والزنا ليست إلا مظاهر للتمدن والتحضر .

كل ذلـك أسهم في حركـة التغـريب في مصـر وإيران وأفغانستان . فإيران كانت قد فتحت أبوابها للمؤثرات الأجنبية[2] منذ عهد الدولة الصفوية الشيعية (٩٠٦ـ١١٣٥هـ/ ١٥٠٠ـ١٧٢٢م) ، فقـد تعاونت مع البرتغال ثم الانجليز، وشجع الصفويون بناء الكنائس ودخلها المبشرون والقسس .

وفي عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م نصب رضـا خان نفسـه ملكـاً ولقب نفسـه «ببهلوي» وكان صديقاً حميماً لكمال أتاتورك وحرص على تقليده واقتفاء خطاه ، ففي عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م ألغى الحجـاب الشـرعي وهـاجمه ، وكانت زوجته أول من كشفت عن رأسهـا في احتفـال رسمي ، وأمـر الشـرطـة بمضايقة النساء اللواتي رفضن الاقتداء بملكتهن وخرجن محجبات .

---

(١) وكـان هذا تحديـا سافـراً لمشاعر المصريين الذين كانوا يعطفون على الخلافة ويتمسكون بها ، ويتمسكون بإسلامهم . (انظر ـ الاتجاهات الوطنية ج٢ ص ١٢ـ٢٤) .

(٢) انظر د. عبد الله محمد الغريب ـ وجاء دور المجوس ص٨٠ـ٩٥ عن إيران في ربع قرن للدكتور موسى الموسوي .

وفي عام ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م الغى رضا بهلوي أحكام الشريعة الإسلامية ووضع قانوناً مدنياً وأخر للعقوبات بني على الأساس الفرنسي .

وفي عام ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م قلص مادة التعليم الديني في المدارس الحكومية ثم جعلها غير الزامية في المدارس الابتدائية والثانوية . وفرض اللغة الفارسية بدلاً من اللغة العربية .

وتوج صداقته لأتاتورك بزيارة قام بها عام ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م . وفي عام ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م . غير اسم الدولة فأصبحت إيران بعد أن كانت فارس .

واما ابنه محمد رضا فكان على صلة وثيقة مع عميل المخابرات البر يطانية مسيوبراون . واصطحبه معه إلى بلاده بعد أن أنهى دراسته الاعدادية في مدرسة روزه قرب جنيف .

وفي عام ١٣٦٨هـ/١٩٤٨ اعترف شاه إيران باسرائيل وأقام علاقات متينة معها . وهكذا خطت إيران خطواتها نحو التغريب .

وكان من نتائج خطوات أتاتورك أن وجد اليأس أيضاً في قلوب مسلمي الهند واندونيسيا ، وتسللت الأفكار الغربية إلى حركاتهم ، وأفرد الحكم الشيوعي بمسلمي الاتحاد السوفيتي فتمكن لينين من ضرب الإسلام والمسلمين هناك وضربت آماهم في التحرر .

وأما العرب فقد استمر التآمر ضدهم بعد معاهدة سايكس ـ بيكو ـ ووعد بلفور، فاقتسم الانجليز والفرنسيون بلادهم المتبقية بموجب معاهدة سان ريمو عام ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م ، فأصبحت العراق وشرق الأردن وفلسطين بيد الانجليز مع التزام بريطانيا بسياسة تهويد فلسطين لتنفيذ وعد بلفور وأصبحت سوريا ولبنان بيد فرنسا حيث قامت فرنسا بتجزئة سوريا إلى لبنان ودولة الدروز والعلويين ولواء الاسكندرونة ودمشق وحلب وأثارت النعرات الطائفية والقبلية ! .

فتمزقت أوصال العرب في كيانات متعددة ، لكل منها نظامها الخاص وحدودها الخاصة ، وحال الاستعمار والصهيونية دون التقائها في وحدة واحدة .

فكان سقوط الخلافة العثمانية أكبر انتصار للصليبية واليهودية العالمية والشيوعية ـ يقول وزير المستعمرات البريطانية :

«من دواعي فرحنا أن الخلافة زالت، لقد ذهبت، ونتمنى أن يكون ذلك إلى غير رجعة»[1].

وبذلك بدأت الأمة الإسلامية دوراً جديداً من أدوار الجهاد ضد التحديات والبحث عن الذات[2]وشهد العالم الإسلامي تغيرات فكرية واجتماعية وسياسية وإقتصادية هامة، سنتعرض لها في الباب القادم إن شاء الله .

وقبل ذلك نذكر تتابع التطور الذي حصل في تركيا الجديدة لنرى هل استفادت من تخليها عن الإسلام ونبذها له في حياتها القانونية والتطبيقية وتخليها عن المسلمين والتجائها إلى التغريب والغرب؟! .

توفي أتاتورك عام **١٣٥٦هـ** بعد أن حقق علمانية تركيا رغم أنف المسلمين وبعد وفاته فاز عصمت اينونو برئاسة الجمهورية متابعاً سياسته، وقد التزمت تركيا الحياد في الحرب العالمية الثانية، وعندما ظهر انهزام المحور بشكل حتمى دخلت الحرب في نهايتها إلى جانب الحلفاء، ولكن الروس اقترحوا عليها بعد الحرب التخلي عن أراضي شرقي آسيا الصغرى، وضم مساحة كبيرة من شمالي شرق الأناضول إلى جورجيا السوفيتية، فتلفتت تركيا إلى الولايات المتحدة الامريكية فأقامت على أرضها القواعد العسكرية الامريكية، وجرى تقوية الجيش، وارتفعت نسبة الانفاق العسكري، وظهرت الأزمات الإقتصادية العنيفة التي تزايد خطرها يوماً بعد يوم، وازداد التضخم المالي .

وسمحت الدولة بتشكيل أحزاب علمانية جديدة فنشأ الحزب الديمقراطي عام **١٣٦٦هـ** من انشقاق داخل صفوف حزب الشعب الجمهوري نفسه، وفاز في الانتخابات بدغدغة عواطف الناس، وقد تبنى السياسة الأمريكية وأصبح رئيسه جلال بايار رئيسا للجمهورية عام **١٣٧٤هـ**، كما أصبح

---

(١) الغزالي ـ هموم داعية .

(٢) انظر ـ جب ـ الاتجاهات الحديثة في الإسلام ص ١٥٠ ـ ١٥٥ .

عدنـان منـدريس رئيسا للوزراء، وأصبح منصب رئيس الوزراء يفوق في الأهمية منصب رئيس الجمهورية .

وبقيت الأزمات والكوارث الإقتصادية في تردٍ مستمر وتوجهت الانتقادات للحـزب الحـاكم، فحـل الحـزب القـومي (الـذي ظهـر عام ١٣٦٨هـ) بحجة معـارضتـه المبـاديء الكـمالية ولكنـه تشكـل باسم آخـر هو الحـزب القـومي الجمهـوري . وفـرضت غرامـات فادحـة على الصحفيين الذين يحطون من قدر الحكـومـة، وضيق على أسـاتـذة الجـامعـات والقضاة والموظفين المدنيين بصورة عامة، وفرضت قيود على الاجتماعات عام ١٣٧٦هـ .

ووجـه الحـزب الـديمقـراطي التهمـة إلى كثير من الأبرياء بالاشتراك بما سمي : «مؤامرة الضباط التسعة» واتهمهم بالارتداد عن مباديء العلمانية والميل إلى جانب المنظمات الدينية الإسلامية .

وقـد حصـل بالفعل بعض التراجع عن بعض العداء ضد الإسلام بفعل الضغط الشعبي الإسلامي، تمثل ذلك في[1] :

إعـادة الآذان إلى الأداء باللغـة العـربيـة، وسمـح بتلاوة القرآن الكريم بالإذاعـة، وامتـد التـدريس الـديني إلى المـدارس، وسمـح بافتتـاح المـدارس الشرعية، وافتتحت كلية الدين الإسلامي في انقرة، وجرى بعض التراجع عن المبـاديء العلمانيـة ولكنهم اظهـروا بوضوح عدم رغبتهم بالتالي في إشراك الدين بالسياسة، واستمروا في اخماد الجماعات الإسلامية التي تنادي بالأحكام الإسلامية .

ولـما خشي بعض الحـاقـدين على الإسـلام من رفـاق أتـاتورك الكماليين العـودة إلى الإسـلام افتعلوا الاضطـرابـات وتـدخل الجيش فقلب نظام الحكم سلمياً عام ١٣٨٠هـ بقيـادة جمال جورسيـل قائـد القـوى الـبر يـة . واجـريت التصفيـات، ثم أصبـح جمال جورسيـل رئيسـا للجمهـوريـة . وظهـر في خضم الاضطـرابـات عام ١٣٨١هـ حزب العـمال الـتركي وسيطـر عليه الماركسيون .

---

(١) على حسون ص ٢٩٩ .

وأصبحت المصادمات هي الصورة المألوفة يوميا للحياة التركية العادية. كما سادت روح التطاحن داخل حزب العدالة الحاكم فسقطت الحكومة عام ١٣٩٠هـ. وتشكلت حكومة جديدة برئاسة المهندس سليمان ديميريل زعيم حزب العدالة بأغلبية ضئيلة. تبعها عدة انقلابات متتالية وتدخلات من الجيش حيث أصبحت البلاد مسرحاً للفوضى فازداد التأخر الإقتصادي وشقاء الإنسان التركي.

هذا وقد انحازت تركيا إلى جانب حلف شمال الأطلسي عام ١٣٧١هـ وحصلت على العضوية الكاملة فيما بعد.

وتظاهر عدنان مندريس بتأييد الغرب حينما أرسل الجنود إلى كوريا لمساعدة قوات الأمم المتحدة عام ١٣٧٠هـ، وعقدت تركيا اتفاق صداقة مع اليونان ويوغسلافيا سنة ١٣٧٣هـ تحول فيما بعد عام ١٣٧٤هـ إلى حلف البلقان. كما تحول الحلف المشترك للمساعدة مع الباكستان عام ١٣٧٤هـ إلى حلف بغداد، بتوقيع الميثاق العراقي التركي سنة ١٣٧٥هـ، وانضمت إليه باكستان وبريطانيا[١]، ووقع اتفاق منفصل مع الولايات المتحدة. وقد فشل حلف بغداد بثورة العراق عام ١٩٥٨م. وبقيت العلاقات مع العرب فاترة. وخاصة مع سوريا التي خسرت لواء الاسكندرونة لصالح تركيا ١٩٣٩م.

الحركة الإسلامية أمام التحديات في تركيا[٢]:

قاد المسلمون ثورات مسلحة ضد الحكم العلماني التركي المعادي للإسلام وظهرت أهم الثورات في المنطقة الجنوبية الشرقية عام ١٣٤٤هـ، ثم في منيمين عام ١٣٤٩هـ وقد قمعها الكماليون بشدة منقطعة النظير وذهب ضحيتها عدد كبير من العلماء، وأهملت المنطقة اقتصاديا وعلميا.

وقامت حركة النور بزعامة الشيخ بديع الزمان سعيد النورس وتلامذته من بعده، وقد كتب العديد من الرسائل الإسلامية تحت عنوان «رسائل النور» في سبيل التوعية الإسلامية ومقاومة مبادىء الكماليين والعلمانية، ولم تعمد حركته

(١) علي حسون ص ٣٠٤.
(٢) انظر على حسون ص ٣٠٨ - ٣١١.

إلى حمل السلاح واقتصر جهادها على اللسان . وقد حاول أتاتورك استمالته وناقشه واستنكر دعوته الناس إلى الصلاة مدعيا أنها تثير الفرقة بين أعضاء المجلس فأجابه :

«إن أعظم حقيقة تتجلى بعد الإسلام إنما هي في الصلاة، وان الذي لا يصلي خائن وحكم الخائن مردود» .

فسجنه ثم نفاه بعد أن اتهمه بمؤ امرة لقلب نظام الحكم ، ولكن دعوته استمرت في الانتشار سراً بين صفوف الجامعيين ومعسكرات الجيش ودوائر الدولة ، ومثل للمحاكمة مرة أخرى بتهمة اتهامه أتاتورك بالدجال ، فوقف أمام المحكمة . ومما قال :

«إننى لأعجب كيف يتهم أناس يتبادلون فيما بينهم تحية القرآن وبيانه ومعجزاته باتباعهم للسياسة والجمعيات السرية ، على حين يحق للمارقين الافتراء على القرآن وحقائقه في وقاحة وإصرار، ثم يعدّ ذلك أمراً مقدساً لأنه حرية . أما نور القرآن الذي يأبى إلا أن يشع في أفئدة ملايين المسلمين المرتبطين بدستوره ، فهو خطورة ينهال عليها جميع ألفاظ الشر والخبث والسياسة . . . اسمعوا يامن بعتم دينكم بدنياكم وتنكستم في الكفر المطلق : إنني أقول بمنتهى ما أعطاني الله من قوة إفعلوا ما يمكنكم فعله فغاية ما نتمناه أن نجعل رؤ وسنا فداءً لأصغر حقيقة من حقائق الإسلام . . . »[1]

فأعيد إلى منفاه وبقي حتى عام **١٣٦٧**هـ حين بدأت الحكومة بالتراخي بخصوص النشاط الديني ، واجازت طباعة رسائل النور فانتشرت بسرعة ، فروع ذلك السلطات فألقي القبض عليه وأحيل للمحكمة الجزائية عام **١٣٦٨**هـ ، وحكم عليه بالسجن لمدة عشرين شهراً وفرضت عليه الإقامة الجبرية حتى وفاته في **٢٧** رمضان **١٣٧٩**هـ . وبقيت حركته مستمرة في تركيا .

وقام أيضا حزب السلام الوطني الذي تزعمه السيد المهندس الميكانيكي نجم الدين اربكان عام **١٣٩٢**هـ . وهو ذو اتجاه إسلامي ، برنامجه المجاهدة عن

---

(١) علي حسون ص ٣١٠ .

طريق المجلس النيابي للوصول إلى حكم إسلامي . وعن طريق اشتراكه في الحكم مع حزب العدالة حقق بعض المكاسب الإسلامية .

فقد اعتنى بالثقافة الإسلامية في المدارس وسمح للجمعيات الإسلامية بممارسة النشاط ، وتحسنت علاقات تركيا مع البلاد العربية ، ولما تسلم نجم الدين منصب نائب رئيس الوزراء شجع وسهل مهمة أداء فريضة الحج . وانزلت تركيا قواتها في قبرص بضغط من حزب السلامة لنصرة المسلمين هناك وتمكن أعداء الإسلام من اكراهه على الاستقالة .

هذا ولا تزال الحركة الإسلامية في نمو متصاعد على الرغم من ضخامة الأعداء المحيطين بها ، وجسامة الأخطار التي تواجهها من اليمين واليسار على السواء .



الباب الثاني

واقع العالم الإسلامى

الفصل الأول: من الناحية الفكرية.
الفصل الثاني: من الناحية الاجتماعية.
الفصل الثالث: من الناحية السياسية.
الفصل الرابع: من الناحية الاقتصادية.



الفصل الأول
واقع العالم الإسلامي
من الناحية الفكرية

الفكر ركيزة هامة في حياة الأمم ودليل على حيويتها وتقدمها أو على جمودها وتخلفها في جميع المجالات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية[1]

والأمة القوية هي التي يجتمع أبناؤ ها على عقيدة واحدة ومبادىء واحدة فتكون لها وجهة نظر واحدة أي تتمتع بوحدة الفكر.

وتعتبر وحدة الفكر من أبرز ظواهر التاريخ الإسلامى، فقد انتظم مختلف وحداته ودوراته وموجاته فكر واحد وثقافة واحدة، بقيت الرابط المشترك الأعظم بينها مهما اختلفت أقطارها ودولها وأنظمتها. هذا الفكر هو روح الجماعة الإسلامية والمحرك الأساسي والقالب الذي تشكلت فيه مختلف القيم والمفاهيم والتغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

ولعلّ أبرز ما يتمثل في الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية هو:

الأصالة: فقد قام الفكر الإسلامى على التوحيد والنبوة والمساواة والعدل. وهي أسس جديدة خاصة بالحضارة الإسلامية لا صلة لها بالحضارات المادية السابقة للإسلام ـ السريانية والفارسية والرومانية واليونانية والهندية.

ولقد أدرك الأوربيون وفي وقت مبكر ما للفكر من أهمية في صراعهم الحضاري مع المسلمين ولمسوه يقينا بما ترتب على نتائج الحروب الصليبية ـ لمسوا يومها أن انتصارهم العسكرى لم يجدهم شيئاً أو يبق لهم وجودا في الأمة الإسلامية بعد أن دحرهم صلاح الدين ومن بعده، ولذلك اتجهوا إلى أفكار الإسلام فانكبوا على الفكر الإسلامى فترجموه وقاموا بدراسته وتلخيصه، فكانت أولى أعمالهم ترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية وبعدها فتح باب الدراسات الإسلامية والعربية عندهم على مصراعيه[2]، فكانت حركة

---

(١) السحمراني ـ مالك بن نبي ـ مفكراً اصلاحياً ص١٣٢.

(٢) السحمراني ـ نفسه ص١٣٢.

الاستشراق التي مهدت لهم طريق الاستعمار فيما بعد. هكذا عمل الأوربيون على اكتشاف الفكر الإسلامى وترجمته من أجل إثراء ثقافتهم فقادهم ذلك إلى حركة النهضة الأوربية وساروا فيها أشواطاً. ثم عملت أوربا على كشف الفكر الإسلامي مرة أخرى لهدف سياسي لتضع خططها الرامية للسيطرة على بلاد الإسلام مطابقة لما تقتضيه الأوضاع في البلاد الاسلامية من ناحية ولتسيير هذه الأوضاع طبق ما تقتضيه هذه السياسة في البلاد الاسلامية لتسيطر على الشعوب الخاصة فيها لسلطانها[1]. ومن هنا بدأ يظهر الأثر السلبي للانتاج الاستشراقي الفكري الذي كتب عن المسلمين وأحيانا بالعربية ليمارس دور التخدير أو الالهاء ليبقى العالم الإسلامي خلواً من أي توجيه أصيل، وليبقى الباب مفتوحا لتلقى ما يصدرونه من أفكار تحكم سيطرة المستعمرين السياسية الاستعمارية تحت شعار التقدمية التي هي في الواقع ستار يخفى مطامع الغرب ووحشيته.

هذا الأسلوب هو ما نسميه: الغزو الفكري: وهو من شعب الجهد البشرى المبذول ضد عدو ما لكسب معارك الحياة منه ولتذليل قياده وتحويل مساره وضمان استمرار هذا التحويل حتى يصبح ذاتياً إذا أمكن، وهذا هو أقصى مراحل الغزو الفكري بالنسبة للقلوب وإن كان في الوقت نفسه هو أقصى درجات نجاح الغزاة.

وسلاح هذا الغزو: الفكرة، والرأى والحيلة والنظريات والشبهات وخلابة المنطق وبراعة العرض وشدة اللدد، ولداوة الخصومة وتحريف الكلم عن مواضعه وغير ذلك.

ويتميز الغزو الفكري بالشمول والامتداد فهو حرب دائبة لا يحصرها ميدان، بل تمتد إلى شعب الحياة الإنسانية جميعاً، وتسبق حروب السلاح وتواكبها حتى تستمر بعدها لتكسب ما عجز السلاح عن تحقيقه، فتشل إرادة المهزوم وعزيمته حتى يلين ويستكين وتنقض تماسكه النفسي حتى يذوب كيانه فيقبل التلاشى والفناء في بوتقة أعدائه أو يصبح امتداداً ذليلا لهم[2]. وقد دمغ

---

(1) انتاج المستشرقين. م.س. ص١٢.

(2) د. عبد الستار ـ فتح الله ـ الغزو الفكري ص٧.

الله سبحانه وتعالى قادة هذا اللون من الحرب بأسماء وصفات غاية في النكارة، مثل: الشياطين، السفهاء، المعوقين، المرجفين، أكابر المجرمين، وأئمة الكفر، والذين في قلوبهم مرض.

كذلك سمى هذا اللون ذاته بصفات أساليبه الخسيسة ونتائجه الخبيثة مثل: زخرف القول، الغرور، الخبال، الفتن.. الخ[1].

وقد بيّن القرآن الكريم أن نتائج وغايات هذا اللون من الحرب هي أخبث وأنكد من آثار السيف والقتل ـ قال تعالى: ﴿**والفتنة أكبر من القتل**﴾[2].

وفي مرحلة السيطرة الاستعمارية على بلاد الإسلام اهتم الغرب كثيراً بإحداث الفراغ الفكري واقتلاع الشعوب الإسلامية من جذورها الحضارية بإظهار تهافت كل ما تملكه من مقومات أمام عصر الذرة وغزو الفضاء، ولم يفصل الغرب في عدائه للإسلام والمسلمين أبداً بين العروبة والإسلام وإن حاولت جامعاته وارسالياته أن تلقن المسلمين غير ذلك، فموروبيرجر أستاذ الشرق الأدنى بجامعة برنستون الأمريكية ومؤلف كتاب العالم العربي اليوم يقول في معرض حديثه من معارضة الغرب للوحدة العربية:

«لقد ثبت تاريخياً أن قوة العرب تعني قوة الإسلام ونفس الشيء يمكن أن يتكرر اليوم حيث يحرز الإسلام انتصارات واسعة في أفريقيا»[3].

وعمل المستعمر على نقل المعركة بين أبناء البلد المغلوب على أمره بأن استخدم من تربىّ في معاهده ومن قلّده فأثارهم ضد دعاة الفكر الإسلامي في بلادهم، فتحوّل الأمر إلى صراع داخلي خلق الفوضى وسرّب في غمرته الأفكار الهدامة، وزرع اليأس في نفوس دعاة الفكر الأصيل من امكانية التغيير. بذلك حاول الغرب والمتغربون تعطيل النشاط الفكرى فبقى النشاط السياسي بالتالي أعمى والأفكار دون جدوى[4].

---

(١) فتح الله ص١١.

(٢) سورة البقرة الآية ٢١٧، فتح الله ص١٢.

(٣) محمد جلال كشك ـ الغزو الفكري ص٧.

(٤) سمابلوفتش ـ أحمد م. س الصراع الفكري في البلاد المستعمرة ص٤٢، ٤٣.

وحتى يتم تعطيل دور المفكر فقد عمل الاستعمار على :
أ ــ تنفير الرأى العام من أفكاره بجميع الوسائل المتاحة للاستعمار.
ب ــ أن ينفره هو نفسه من القضية التي يكافح من أجلها بإشعاره بعبث كفاحه[1].

فيخلق المستعمر بهذه الطريقة نمطين من المواجهة لأى مفكر يريد أن يدخل حلبة الصراع لمواجهته، حين يستغل امكاناته الضخمة الإعلامية والثقافية وعملاءه في السر والعلن لكي يحارب شخصا وعى مشكلات بلاده، وأراد أن يواجهها بأسلوب سليم بدايته وضع الأسس الفكرية واستقطاب الناس حولها، وكثيراً ما تحاول حكومات بلاده التعتيم على ما ينشره أويقوم به، وتزداد معاناته حين يواكبه قومه باللامبالاة، ويواجه بالأفكار المصدّرة الملّونة بالأحمر أو الأزرق ولكنها في مضمونها تحمل القناعات الاستعمارية القديمة برداء الحرية والإخاء والمساواة، أو الماركسية والاشتراكية[2]، وبهذا عمل الاستعمار على تحطيم المعنويات الإسلامية وبقية الروح الإسلامية التي يستند إليها وجود الأمة التاريخى بملامحهاالخالدة المميزة له.

وقد شهد العالم الإسلامي تغيّرات فكرية في عهد الجمود وقبل انهيار الخلافة العثمانية، فنشطت دعوة المفكرين للعودة إلى الإسلام والتكتل الإسلامى أي فكرة الجامعة الإسلامية، وإصلاح أوضاع المسلمين وعقيدتهم كدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد والدعوة السنوسية في ليبيا والدهلوية في الهند والمهدية في السودان. إلا أن هذه الدعوات الثلاث وما شابهها كانت محدودة النجاح حيث لم تتجاوز نطاق بيئتها الإقليمية. أما دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فكان لها أثر إيجابى أشمل في بقاع شتى من العالم الإسلامي.

وبعض هذه الدعوات انحصر عند حملة الأقلام والمفكرين ولم تمسّ عامة الناس إلّا مسّا خفيفا، فبقى عامة الناس على أوضاعهم العقدية كما نشط دعاة التغريب وكان حملة الفكر في جميع الأطراف مضطرين أن يبرروا اتجاهاتهم

(١) السحمراني ـ مالك بن نبي ص١٣٧.
(٢) نفسه ص١٣٩.

وأفكارهم بالتوفيق مع الإسلام العميق الجذور لدى الأمة وإن كان التخلف الفكري عندهم قد هدّ كيانهم وكيان الأمة، وكان من الممكن أن تنتهى الأمة على أسس الإسلام ولكن الضربات الموجعة وشدة الانحراف عن النهج الإسلامى لدى عامة الناس كانت من الشدة بحيث حالت بين تلك العناصر المفكرة على أسس الإسلام وبين العامة. فذهبت جهودهم بفائدة محدودة.

وبعد انهيار الخلافة العثمانية عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م واجه الغرب الصليبي والشيوعية والصهيونية الأمة الإسلامية بالتحدى الكبير فنشط الاستشراق[١] والتبشير[٢] والمنحرفون من الأمة نفسها وأصبحوا في حلّ من القيود يعبثون كما شاء لهم العبث وأخذت أفكارهم بما أوتيت من دعاية منظمة وبتشجيع من السلطات الحاكمة تجد هوى وتأييداً لدى العامة لتصبح رأيا عاماً باسم التقدمية والنهضة والإصلاح ومقاومة الاستعمار، وقامت مدرسة فكرية جديدة بين المسلمين ترمى إلى تقريب الشقة بين تعاليم الإسلام وبين ما جاءت به حضارة الغرب من أفكار ونتائج ونظريات في ميادين الحياة، وكان عماد هذا العمل هو تفسير النصوص تفسيراً عصريا يلائم الفكر السائد ومحاولة إيجاد نقطة التقاء بين الخطين الإسلامى والمادي على تباينهما وعلى الأقل على تباعدهما - وقد الجأ الهجوم الفكري هذه المدارس إلى مواقف دفاعية غريبة عن الإسلام إذ جردته من كثير من أحكامه الصريحة وجاءت لها بمعان جديدة بعيدة كل البعد عما تلقاه المسلمون عن النبي ﷺ وأصحابه، وذلك مثل: تعدد الزوجات، الطلاق، الربا، التماثيل، الجهاد، أهل الذمة...

وهذه الأمور كلها بلغ فيها الإسلام الغاية العليا في الأحكام والسمو ولكنها عادت في منطق العقول المهزومة وفي رؤية المدارس المغلوبة أمام الضغط

---

(١) معظم المستشرقين من المبشرين.

(٢) التبشير باعثه الحقيقي والأول في رأى القائمين به هو القضاء على الأديان غير النصرانية توصلاً إلى استعباد أبنائها ويبدو بوضوح أن أشد الأديان مراساً في إباء الاستعباد هو الإسلام ولذلك يتمنى المبشرون أن ينصروا المسلمين كلهم. ومع أن التبشير يتناول البوذيين والبرهميين أيضاً فإن المقصود الأول بالجهود التبشيرية هم المسلمون، ولقد استوى في هذه الرغبة جميع المبشرين على الرغم من اختلاف طوائفهم وتباين الأقنعة التى يرفعونها على وجوههم.

(التبشير والاستعمار ص٤٥).

الفكري الغازي ـ عادت مثالب أو نقاط ضعف في الإسلام تحتاج إلى دفاع ـ أو هي في أوهامهم ـ كانت فضائل صالحة لزمانها واحتاج التطور البشري إلى تعديلها[1]. ولووا عنق النصوص ليؤيدوا فروضهم التي وضعوها. ووجد المفكرون المسلمون الخلّص أنفسهم في مؤخرة الركب لا في الصدارة الجديرة بهم فالإلحاديون والماديون وأذناب المستعمرين والتوفيقيون يسددون عليهم الطرق والنفعيون المرتزقة يزاحمونهم ويثيرون حولهم الضجيج، ورغم ذلك ظلوا على ولائهم للفكر الأصيل وإيمانهم به فعالجوا قضايا الفكر الإسلامي ومدى ارتباطه بواقع البشر معالجة بارعة مقنعة.

وأطلت رؤوس الأفكار المنحرفة بدون حاجز وبحرية كاملة تدعمهم السلطات الحاكمة وتزودهم بكل ما يريدون من وسائل نشر ودعاية وإعلان ووظائف عليا وحراسة، فدخل الفكر القومي والوطني والعلماني والمادي والاشتراكى والعالمي والوجودي إلى صفوف المسلمين باسم العلم وحرية البحث والنهضة والإصلاح والثورة على كل قديم.

وقد جاءت فكرتا القومية والعالمية بمثابة تحديان أو خطران يراد بها هدم الرابطة الإسلامية. فمبدأ القومية يستهدف العنصرية وهي تستهدف إيجاد الصدع بين العرب والفرس والترك والهنود وهم جميعا مسلمون، كما تهدف إلى إعلاء شأن التاريخ الإقليمى[2]، أما العالمية فهى تستهدف القضاء على الذاتية الإسلامية المتميزة، وهي كثيرة كانت تلبس ثوب الرحمة والإنسانية وحب السلام والوئام منها: الماسونية والشيوعية والروحية والدعوة إلى التوفيق بين الأديان، وبين الإسلام والنصرانية منها خاصة[3] والدعوة إلى كليهما ـ القومية والعالمية ـ سارت في خط واحد من أجل معارضة مفهوم الإسلام الذى دعا إلى وحدة فكرية واجتماعية بين أهله تعلو على العنصر والقومية والدم.

---

(١) انظر فتح الله ص٩٣-٩٤.

(٢) أنور الجندي ـ تاريخ الإسلام في مواجهة التحديات ص٣٠٠.

(٣) الاتجاهات الوطنية ج٢ ص٣١٥.

وأدرك الغرب أن العالم العربى بخصائصه وحسن موقعه الجغرافى وأهميته السياسية يحسن الاضطلاع برسالة الإسلام ويستطيع أن يتقلد زعامة العالم الإسلامي ويزاحم أوربا وينتصر عليها إذا هو تمسك برسالة الإسلام ولقد مرّ معنا أن الغرب في عدائه للإسلام والمسلمين لم يفصل أبداً بين العروبة والإسلام، كما مرّ معنا رأي موروبيرجر. والبيانات الفرنسية في حرب الجزائر كانت تعلن مصرع كذا من المسلمين في معارك الجزائر[1]، فبعد أن حاول الفصل بين العرب والعالم الإسلامي، واجه العرب بالتحدي فأثار في مختلف أجزائه أفكاراً إقليمية ضيقة تبدد أفكاره، فبرزت فيه دعوات فكرية هدامة نذكر منها:

١ ـ الدعوة إلى الارتماء في أحضان الغرب، وأخذ حضارته دون وعى ولا تمييز، وقد ترجم هذا الاتجاه كثير من هجناء الفكر الذين تقدموا إلى الصفوف الأولى في قيادة الأمة بعد زوال الخلافة العثمانية مثل طه حسين وسلامة موسى وقاسم أمين وأحمد لطفى السيد وصهره إسماعيل مظهر في مصر.

فسلامة موسى في كتابه «اليوم والغد» **١٣٤٥هـ (١٩٢٦م)** يرى أن مصر جزء من أوربا وليست جزءاً من آسيا (أي من الإسلام)[2] ويرى: «أننا إذا أخلصنا النية مع الانجليز فقد نتفق معهم إذا ضمّنا لهم مصالحهم. وهم في الوقت نفسه إذا أخلصوا النية لنا فإننا نقضى على الرجعية في مصر وننتهي منها فلنولّ وجهنا شطر أوربا[3].

وطه حسين في كتابه مستقبل الثقافة في مصر (ظهر سنة **١٣٥٧هـ/١٩٣٨م**) فيقول: «إن سبيل النهضة واضحة بيّنة مستقيمة ليس فيها عوج ولا التواء وهى أن نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم، لنكون لهم أنداداً، ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يحب منها وما يكره وما يحمد وما يعاب»[4] وهذا شبيه بقول أغا أوغلي أحمد أحد غلاة

---

(١) كشك ـ ص٧، ص١٢.

(٢) الاتجاهات الوطنية ج٢ ص٢٢٢.

(٣) نفسه ج٢ ص٢٢٧.

(٤) مستقبل الثقافة في مصر ص٤١.

الكماليين من الترك في أحد كتبه:

«إننا عزمنا على أن نأخذ كل ما عند الغربيين، حتى الإلتهابات التي فى رئيهم والنجاسات التي في أمعائهم»[1].

وقاسم أمين يقول في كتابه المرأة الجديدة بعد أن تحدث عن أوضاع المرأة المسلمة في مصر: «هذا هو الداء الذي يلزم أن نبادر إلى علاجه وليس له دواء إلّا أن نربي أولادنا على أن يتعرفوا شئون المدنية الغربية ويقفوا على أصولها وفروعها وآثارها، وإذا أتى ذلك الحين ـ ونرجو ألّا يكون بعيداً ـ انجلت الحقيقة أمام أعيننا ساطعة سطوع الشمس وعرفنا قيمة التمدن الغربي وتيقنا أن من المستحيل أن يتم إصلاح مافي أحوالنا إذا لم يكن مؤسسا على العلوم العصرية[2].

وتقاطرت البعثات على الدول الأوربية من أبناء المسلمين استكمالاً لتعليمهم العالي وما ماثله، وكانت هذه هى نهاية المطاف في الإجهاز على بقايا الإسلام وطباع الشرق وعاداته في نفوسهم حيث لا يرجعون إلّا وقد تأثروا بوجهة الغرب وفلسفته أو أخذوا طريقة العيش الأوربى (على حدّ تعبير المؤرخ توينبي) وبذلك أصبحوا رصيداً في حساب أعداء الإسلام بالسلوك والتربية لإحداث الإنقلاب الجذري في حياة المسلمين من حيث علموا أو جهلوا ومن حيث أرادوا أو انساقوا مع التيار بلا فهم ولا وعى[3]. وقد عمّ هذا الأسلوب بلاد الإسلام، ومن هذه الصور ما كتبه ك. ك. يرج: الأستاذ بجامعة ليدن يقول:

«اضطر الأندونوس من جانبهم إلى انتجاع الجامعات الهولندية لاستكمال دراستهم... نجد أولئك المعلمين ينسفون بقوة ثقافتهم الغريبة من نفوس الناس اعتقادهم بالعادات القديمة واحترامهم لها ـ ومعنى هذا أنهم يوهنون أساس المجتمع القديم وأساس الإسلام أيضاً...

---

(١) مصطفى صبري ـ موقف العقل والعلم والعالم ج١ هامش ص٣٦٩. وصدق رسول الله ﷺ «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع ـ والله لو دخلوا جحر ضبّ لدخلتموه وراءهم».

(٢) المرأة الجديدة ص١٩٢-١٩٣.

(٣) فتح الله ص ٧٤.

إن تغير نزعة الشباب الأندونيسي المستنير إزاء ثقافته القديمة بتأثير التعليم الأوربي وبتأثير البيئة الهولندية يشبه ما حدث عند الشباب المصري منذ نصف قرن أو ثلاثة أرباع القرن، ومسلك الشباب الأندونيسي إزاء التعليم الغربي يسير على مثل ما سار في مصر، يظهر الشباب عداءه للعقلية الغربية ولكنه لا يستطيع في الوقت نفسه الاستغناء عن الثقافة الغربية.. وهوينزع نزعة قومية شديدة ولكنه رغم ذلك منقطع عن وجوه كثيرة - بسبب ثقافته الغربية - عن جمهور الأمة التي ولد فيها»[١].

٢ ـ احتقار الماضي الإسلامي وتربية الأجيال تربية علمانية (لا دينية) حديثة:

والاتجاهات الفكرية التي حملت وزر هذا تلك التي دعت إلى الارتباط بالماضي التاريخي الغامض البعيد السابق على ماضيهم الإسلامي الحيّ، ودعوة إحياء الحضارات القديمة ظهرت في وقت واحد في كل من تركيا ومصر والشام والعراق وشمال أفريقية وفارس والهند وأندونيسيا[٢]. وكمثال على ذلك:

الفرعونية في مصر: التي أطلت برأسها فنشطّ دعاتها لغزو الأقطار بها وملأوا أبصار قارئي الصحف وأسماع شاهدي الندوات بالدعاية لها، ورسموا رأس أبي الهول على طوابع البريد وعلى أوراق النقد واتخذه النحات محمود مختار شعاراً لتمثال نهضة مصر الذي وضع نموذجه في باريس عام ١٩٢٠م. واتخذت كل كلية من كليات الجامعة شعاراً لها يمثل وثناً من معبودات الفراعنة ونقلت رفات سعد زغلول بعد وفاته بثلاث سنوات إلى ضريح بني على طراز فرعوني[٣]. وأصبحت هذه الجامعة الفرعونية دعوة انفصالية تنزع نحو الأنانية والانطواء على النفس وتعارض الجامعة الإسلامية والجامعة العربية[٤]. ورأت في العرب غزاة دخلاء كاليونان والرومان سواء بسواء. وتزعمت صحيفة السياسة

(١) (كتاب وجهة الإسلام ص١٩٠ ترجمة أبي ريدة). فتح الله ص٧٧.
(٢) حصوننا مهددة من الداخل ص ٦٩.
(٣) الاتجاهات الوطنية ج٢ ص١٤٦.
(٤) نفسه ج٢ ص١٤٧.

الأسبوعية هذا الاتجاه فأفسحت صدرها لدعاته وأعان عليه رئيس تحريرها محمد حسين هيكل في شطر كبير من حياته إلى أن عدل عن اتجاهه إلى الاتجاه الإسلامي[1].

وأثيرت الفنيقية في لبنان والأشورية في العراق، والبربرية في المغرب لعزل هذه الأجزاء عن بعضها والتفريق بينها تفريقاً يحول دون التقائها في وحدة واحدة قوية. وكأن ذلك كان مبرراً للدعوة العبرية في فلسطين.

وقد عرضت المناهج ـ مناهج الدين والتاريخ الإسلامي بالذات عرضاً منفراً مغرضاً يجعلها على هامش المنهج الدراسي مما يغرس في نفوس الأطفال والتلاميذ والناشئة عامة عدم الاهتمام بهما ويطبعهم على الاعتقاد بعدم جدواهما دراسياً لما يرسب في نفوسهم بالتالي الاستخفاف بالدين من حيث هو سلوك وعبادات وبالتاريخ الإسلامي من حيث هو سجل لأمجاد الأمة الإسلامية[2].

٣ ـ العمل على تطوير المعاهد الدينية وخاصة الأزهر في مصر:

الأزهر كما نعرف أعرق المعاهد الإسلامية، بل هو أعرق جامعة في العالم كله، وقد استطاع بفضل الأوقاف العديدة التي وقفها عليه أغنياء المسلمين خلال عصره الطويل وبفضل ما كان يتمتع به علماؤه من هيبة ومكانة أن يحمى العلوم الإسلامية والعربية بعيدة عن أن تمتد إليها يد الملوك والحكام بالتغيير والتبديل[3]، وظل هذا المعهد الوحيد ـ بمنأى عن العبث ببرامج التعليم فيه، في حين امتدت يد المحتل الأوربي إلى كل برامج التعليم في مصر فشكلها حسب ما تقضى به مصالحه ورسخت مكانته حتى احتل مكاناً مرموقاً في العالم الإسلامي كله يتوارد عليه الطلاب من شتّى بقاعه ثم يعودون إلى بلادهم ينشرون فيها الوعى الإسلامي وينشرون معه فضل الأزهر ويشيدون به ويدعمون مكانته في نفوس الناس. وازدادت مكانته بعد سقوط الخلافة العثمانية

(١) نفسه ج٢ ص١٤٩.

(٢) فتح الله ص٧٠.

(٣) الاتجاهات الوطنية ج٢ ص١٧٦.

فأصبح رمز الجامعة الإسلامية[1] والقلعة الإسلامية التي حسب لها أعداء الإسلام كل حساب، وكان فيه رجال يلتهبون غيرة على الإسلام ويجابهون أعداءه في الداخل والخارج بكل جرأة.

من أجل ذلك كله تعرض الأزهر لمقت أعداء الإسلام وصب اللعنات من قبل دعاة التغريب واللادينية حتى جعلوه رأس المشاكل الثقافية في مصر والعقبة الكؤود في سبيل النهضة. وكان المستعمر قد وضع خطة إلى القضاء على نفوذه ونفوذ المعاهد الإسلامية الأخرى كالقرويين في فاس والزيتونة في تونس - وتهوين مركزه حيث وقفوا في طريق علمائه وحالوا بينهم وبين مراكز القيادة ومناصب الحكم ووظائف الإدارة، وأشاعوا بين الناس أنهم يهدفون إلى تكريم الدين على أن يكون الإسلام على حدّ تعبيرهم بعيداً عن السياسة وبمعزل عن الحكم، فأعفوا علماء الدين من التجنيد وأسقطوا الجهاد عمن يحفظ كتاب الجهاد - القرآن الكريم - فأبعد القرآن وتعاليم الدين عن المدارس والمحاكم وسائر دواوين الحكومة[2].

وبقي الأزهر رغم ذلك مركزاً من مراكز الدعاية المعادية لبريطانية كبيرة ومتعددة الامكانيات، وكان يدرك دوره، يظهر ذلك، في البيان الذي أذاعه شيخه الأكبر سنة ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م عندما اشتدت حملة فرنسا على الإسلام وعلى اللغة العربية بين مسلمي البربر في المغرب الأقصى[3]. فجنّد النفوذ الاستعماري عدداً حملوا لواء السخط عليه من أبناء المسلمين، وكانت بداية ذلك سنة ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م عندما قامت في الأزهر حركة تدعو إلى إصلاحه، وفي عام ١٣٤٦هـ ١٩٢٧م أخذت صحيفة السياسة تطالب: بصبغ الأزهر بالصبغة العصرية العلمية وهجر طرق التدريس العتيقة». مستهدفة مؤامرة قديمة كان قد عجز عن تنفيذها الإنجليز خوفاً من الهياج الديني - وجاءت الآن تحت شعار

(١) الاتجاهات الوطنية ج١ ص١٧٦.
(٢) أنور الجندي - العالم الاسلامي - ص٣٤٥.
(٣) انظر الاتجاهات الوطنية ج٢ ص١٧٦ نور الإسلام العدد الخامس من المجلد الأول ص٣٤٢ - ٣٤٣.

الـوطنيـة والإصـلاح تارة وبسلاح البطش والاستبداد تارة أخرى، وهذه المؤامرة تستهدف: عزل الأزهر عن الحياة، واخضاع برامجه لرقابة تضمن إفناء شخصيته وفرنجته، بحيث يصبح الدين تبعاً للحياة وذيلاً لها، يتبعها ويتشكل بها بدل أن يقـودهـا ويقـوّمهـا. وسـار الشيخ محمد عبده في هذا المجال شوطاً عن حسن نية وربـما عن شعـور بالنقص، وربـما كان هذا من أهم أسبـاب التقـدير والتمجيد اللذين حظى بهما الشيخ من المستشرقين والمبشرين ومن كرومر عميد الاحتلال في مصر[1].

وجـاء الـدكتـور طه حسـين ولطفى السيد وأضرابهما وطالبوا أن تزال هذه الصخـرة العنيفـة التي تعـترض الجسر الثقافي العريض الذي يمتد في أوربا إلى مصر عابراً البحر الأبيض المتوسط، زاعمين أن مصر اكتشفت هويتها غربية مئة بالمئـة. فيصـوّره طه حسـين أثرا من مخلفات العهود المتأخرة المنحطة ومشكلة من المشاكل التي تتطلب حلاّ[2]، ويقول:

«ولابد من تطور طويل دقيق قبل أن يصل الأزهر إلى الملاءمة بين تفكيره وبـين التفكـير الحـديث والنتيجـة الطبيعيـة لهذا أننا إذا تركنا الصبية والأحداث للتعليم الأزهرى الخالص ولم نشملهم بعناية الدولة ورعايتها وملاحظتها الدقيقة المتصلة عرّضنـاهم لأن يصـاغـوا صيـاغـة قديمـة، ويكـوّنـوا تكوينا قديما. . . فالمصلحـة الـوطنية العامة من جهة، ومصلحة التلاميذ والطلاب الأزهريين من جهة أخرى تقتضيان إشراف وزارة المعارف على التعليم الأوّلى والثانوي في الأزهر»[3].

وصـدرت قوانـين تطـويـع الأزهـر باسم تطويره[4] تباعاً من عام ١٩٣٦م ١٣٥٥هـ إلى عام ١٩٧٦م ١٣٩٦هـ. وتم التطـويـع في عهـد الاستقلال وكان ثمرة من ثماره ونضرب لذلك مثلين:

---

(١) الاتجاهات الوطنية ج٢ ص٢٧١/ وانظر الحاشية رقم ٢ ص٢٧١-٢٧٢.

(٢) مستقبل الثقافة في مصر ص٨٧.

(٣) نفسه ص٧٥.

(٤) العلمانية - ص٦٠١.

أ ــ إلغاء القضاء الشرعي جملة وادماج محاكمه في دوائر تابعة للمحاكم الأهلية التي قامت من أول يوم على القانون الوضعي، فقد ألغيت المحاكم الشرعية المصرية ١٩٥٥م - ١٣٧٥هـ.

ب ــ إدخال القانون الوضعي في صلب البرامج الدراسية لكلية الشريعة بجامعة الأزهر وتسميتها كلية الشريعة والقانون بموجب القانون المعروف بقانون تطوير الأزهر. وهذا عمل يقصد به تقريب الشقة بين الشريعة والقانون وحل عقدة الرفض في الرؤوس والنفوس التي يخشى دائما أن تنبعث منها قيادة جادة لحركة تحكيم الشريعة وإعادتها إلى التفرد بالهيمنة على شئون الحياة[1].

وكان من أثر الانتصار في تطوير الأزهر أن تم تطويع البقية الباقية في معاهد الثقافة الإسلامية خارج مصر بسرعة إما بدوافع ذاتية وإما بقوانين إجبارية، كجامع الزيتونة في تونس والقرويين في المغرب والمعاهد الدينية في الهند. وكان قد أثر من الحاكم الفرنسي ليوطي - صنوكرومر في مصر - قوله: إذا تم لفرنسا القضاء على القرويين فقد ضمنت لنفسها الخلود في المغرب.

ورغم ذلك فقد بقيت هذه المعاهد بشيوخها وشبابها، تحمل الفكر الإسلامي الأصيل وتواصل رسالتها، وأنشئت جامعات أخرى إسلامية تحمل الرسالة كالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وجامعة أم القرى في مكة المكرمة وجامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض... وكلها تهدف إلى:

أ ــ تعليم الأمم الإسلامية المتأخرة في المعارف وهدايتها إلى أصول الدين وإلى فهم الكتاب والسنة ومعرفة الفقه الإسلامي وتاريخ الإسلام ورجاله.

ب ــ إثارة كنوز العلم التي خلفها علماء الإسلام في العلوم الدينية والعربية والعقلية وهي مجموعة مرتبطة بعضها ببعض وتاريخها متصل الحلقات.

جـ ــ عرض الإسلام على الأمم غير المسلمة عرضاً صحيحاً في ثوب نقي خال من الغواشي المشوهة لجماله، وخال مما أدخل وزيد فيه من الفروض المتكلفة التي يأباها الذوق، ويمجها طبع اللغة العربية.

---

(١) فتح الله ص ١٣٢ .

د ـ العمل على إزالة الفروق المذهبية، أو تضييق شقة الخلاف بينها، فإن الأمة في محنة من هذا التفزيق ومن العصبية لهذه الفرق ودراسة أسباب الخلاف دراسة بعيدة عن التعصب تهدي إلى الحق[1].

هـ ـ تخريج الدعاة الواعين على عقيدتهم، الواعين على أوضاع أمتهم ووسائل نهضتها، وتحقيق الخير لها.

٤ ـ مهاجمة اللغة العربية والدعوة إلى العامية:

اللغة العربية اختصها الله لغة القرآن الكريم، وخصّها مرة أخرى لتكون لغة أهل الجنة، وخصّها أيضا لغة لرسوله الكريم ﷺ. ولذلك فقد رافقت رحلة الإسلام وانتشاره إلى مختلف أنحاء العالم الإسلامي. وبها كتب المسلمون على مختلف أجناسهم وديارهم. وأثرت تأثيراً كبيرا في اللغات الفارسية والتركية والأوردية واللغات الأفريقية في شرق أفريقيا واللغة الماليزية.

وكان المسلمون يتطلعون إلى أن الدولة العثمانية تأخذ باللغة العربية لغة للدولة. غير أن التحول الذي أصاب تركيا بعد الحرب وتغريبها وانسلاخها من العالم الإسلامي دفعها للتخلص من الأثر العربي ـ فعملت على تصفية اللغة التركية من الكلمات العربية، حيث عقد عدد من المؤتمرات التي قامت بإخراج ١٣٦٥٠ كلمة عربية[2] حلت محلها كلمات تركية وأوربية. ففقدت تركيا تراثاً ضخماً يتمثل في مئات المجلدات في الأدب والنقد والثقافة التي كتبت باللغة التركية العثمانية ـ فضلاً عن أن استعمال الأتراك للحروف اللاتينية افقدهم تصوير الأحرف المشابهة كالفاء والحاء والصاد والضاد والظاء والعين. فإن هذه الحروف لايمكن أن تجد في اللاتينية ما يصورها بحرف واحد يقوم مقامها.

ومنذ أن اتسع النفوذ الأجنبى في العالم الإسلامي واجهت اللغة العربية مقاومة بعيدة الأثر من اللغات الثلاث: الفرنسية والانجليزية والهولندية. فقد قطع الاستعمار الغربي الطريق على توسع اللغة بين مسلمي العالم بالعمل على:

---

(١) أنور الجندي ـ العالم الإسلامي ص٣٤٥-٣٤٦.

(٢) أنور الجندي ـ الاستعمار ص٣٥٨.

١ ــ نقـل كثـير من اللغات إلى الحروف اللاتينية وترك الخط العربي وفي مقدمتها اللغة التركية والأندونيسية.

٢ ــ شجع لغة محلية أو أكثر في كل بلد إسلامي غير عربي لتصبح لغات قوميـة. وهـذا طبعـاً يتم على حسـاب اللغـة العـربيـة كالأورديـة والسنسكرتية والبنغالية في الهند. واللغات المحلية في أفريقيا.

٣ ــ توسيع نطاق لغته وجعلها اللغة الرسمية كما فعل في الهند الإسلامية وبنغلاديش وباكستان وفي غرب أفريقيا ووسطها وشرقها[١].

أمـا في البـلاد العـربية فقد عمد الاستعمار إلى الدعوة لاستخدام العامية والتحـريض على جعلهـا لغـة التأليف والكتابة. كما فعل فى الجزائر ومصر وبلاد الشام والعراق وتونس والمغرب.

ففي الجـزائـر ـ واجهت اللغـة العـربية محاولات خطيرة كادت هذه اللغة تُمحى من الأسـاس محواً تامـا، حتى أتيـح لجمعيـة العلماء الجـزائـريـة وقـادتهـا عبد الحميد بن باديس ـ والبشير الإبراهيمي وغيرهما أن تعيد بناء اللغة العربية من خلال ثلاث مائـة مدرسـة أقيمت في المسـاجـد على نحـو بارع استطـاع أن يتحقق تحت مدافع الاستعمار وفوهات بنادقه. وكان لذلك أبعد الأثر في التحول التـاريخي الـذي شهدته الجزائر. وقد أشار إلى ذلك المؤرخ الفرنسي جاك بيرك حين قال: «إن أقوى القوى التي قاومت الاستعمار الفرنسي في المغرب هي اللغة العربية فهي التي حالت دون ذوبان المغرب في فرنسا»[٢].

أمـــا في مصـــر بلد الأزهـــر فقـــد كانـت الحـملة أشـــد. وبـــدأت عام **١٨٨١م/١٢٩٩هـ** حين اقــترح المقتطف كتـابـة العلوم باللغـة التي يتكلمهـا النـاس في حيـاتهم العـامـة[٣]، من غير أن تحدث هذه الـدعوة أثراً. ثم هاجت المسألـة مرة أخـرى **١٣٢٠هـ/١٩٠٢م** حين ألف أحد قضاة محكمة الاستئناف الأهليـة في مصـر من الانجليز ـ وهو القاضي ولمور ـ كتاباً سماه لغة القاهرة وضع لها فيـه قواعـد، واقترح اتخاذها لغة للعلم والأدب. كما اقترح كتابتها بالحروف

---

(١) انظر ـ أنور الجندي ـ العالم الإسلامي ص ٣٥٩.

(٢) نفسه ص ٣٦٢.

(٣) الاتجاهات الوطنية ج٢ ص٣٥٩.

اللاتينية. فحملت عليه الصحف مشيرة إلى موضع الخطر من هذه الدعوة التي لاتقصد إلّا إلى محاربة الإسلام في لغته. وفي ذلك الوقت كتب حافظ إبراهيم قصيدته المشهورة على لسان اللغة العربية[1].

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي   ونـاديت قومي فاحتسبت حياتي
رموني بعقم في الشباب وليتني   عقمت فلم أجزع لقول عداتي

وفي عام **١٩٢٦م/١٣٤٥هـ** دعا مهندس الري الانجليزي ـ السير وليم ولكوكس إلى هجر اللغة العربية ـ وترجم أجزاء من الانجيل إلى ما سماه اللغة المصرية. ونوّه سلامة موسى بالسير ولكوكس وأيده. فعاد الناس لمهاجمة الفكرة. ولكنها اكتسبت نفراً من دعاة الجديد، فاتخذوا القومية والشعبية ستاراً لدعوتهم وخاصة بعد حركة الكماليين في تركيا. وساعد على انتشارها المسرح الهزلي الذي اتخذ اللهجة السوقية، ثم انتقلت إلى المسرح الجدّي حين تجرأت عليه وقتذاك فرقة تمثيلية تتخذ اسماً فرعونيا وهي فرقة رمسيس. ثم ظهرت الخيالة ـ السينما ـ فاتخذت هذه اللهجة. ولم يعد للعربية الفصحى وجود في هذا الميدان. ثم ظهرت هذه السوقية العامية في الأدب المكتوب فاستعملها كثير من كتاب القصة في الحوار[2].

وتسللت الدعوة إلى مجمع اللغة العربية ـ فظهرت في مجلته الناطقة باسمه سلسلة من المقالات عن اللهجة العربية العامة كتبها أحد أعضائه هو عيسى اسكندر المعلوف المعروف بعدائه للعربية الفصحى. والغريب أن هذا المجمع ضم المستشرق جب المعروف بصفته الاستعمارية. وأعجب من ذلك أن عبد العزيز فهمي ثالث الثلاثة الذين بنى عليهم الوفد المصري **١٩٤٣م/١٣٦٣هـ** اقترح كتابة العربية بالحروف اللاتينية. وشغل المجمع ببحث اقتراحه عدة جلسات امتدت خلال ثلاث سنوات[3]. ودعا خلفه توفيق الحكيم في المجمع اللغوي إلى قاعدة سكنّ تسلم، وتبعاً لهذه القاعدة فتح

(١) نفسه ج٢ ص٣٦٠/ ديوان حافظ ج١ ص٢٥٣.
(٢) الاتجاهات الوطنية ج٢ ص٣٦٢.
(٣) نفسه ج٢ ص٣٦٣.

البـاب في البـلاد العـربيـة في كليات اللغة العربية والآداب لما سمي : التراث أو الأدب الشعبي وحضرّت فيه رسائل جامعية عليا .

وقد وجدت هذه الدعوى صدى لها في بلاد الشام فمنهم المتطرف كسعيد عقـل وأنيس فريحـة والمتـدرج كبعض المهجريين. وقد ردّت هذه الدعوى بشدة وفنّدت مزاعمها[١] .

وعلى كلٍ فقد كانت الدعوات الهدامة للغة العربية تستهدف غايتين :

أ ــ تفـريق المسلمـين ، والعـرب خاصـة ، بتفـريقهم في الدين وفي اللغة والثقـافـة ، وقطع الطريق على توسع اللغة العربية المحتمل بين مسلمي العالم ، وبذلك لاتتم لهم وحدة .

ب ــ قطع ما بين المسلمين وبين قديمهم ، والحكم على كتابهم ـ القرآن الكريم[٢] ـ بأن يصبح أثراً ميتاً كأساطير الأولين التي أصبحت حشو لفائف الـبردي أو بأن يصبـح أسلوبـه عتيقـاً باليا بتحويل أذواق الأجيال الناشئة عنه . والحكم على تراثهم كله بالمـوت لأن هذا القـديم المشـترك هو الـذي يربطهم ويضم بعضهم إلى بعض[٣] .

---

(١) انظر هذه التفنيدات ـ الاتجاهات ص ٣٧٧ـ٣٨٠ . وقد عمد الدكتور أنيس فريحة (أحد أساتذة التاريخ واللغـات السـاميـة في الجـامعـة الأمريكية إلى إرجاع فكرة الكتابة العامية بالحرف اللاتيني تحت ستار تسهيل اللغة . وظهر له في هذا الباب : تبسيط قواعد العربية وتبويبها على أساس منطقي جديد (طبع جونية سنة ١٩٥٢م) فيقول : «ولا نرى حلاً للكتابة إلا بتبني الحرف اللاتيني وضبط الكلمات فيه مرة واحدة» .

وفي تسهيـل اللغـة هذا الـذي يقـترحه فريحة يقترح لأسماء الاشارة (ص٣٣ـ٣٤) عدداً أكبر من العدد الذي كتبته كتب النحو المدرسية .

وفي كتـابـه «محـاضـرات في اللهجـات وأسلوب دراستهـا» و«نحو عربية ميسرة» وفيه ينضح بالحقد على اللغة العربية الفصحى وبالبغض لأهلها وبالتهكم على تراثها والهزء برجالها (انظر الصفحات ١١ ، ١٣ ، ١٨ـ١٩ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٥٣ ، ٧٣ ، ١٢٣ ، ١٢٥ـ١٢٦ ، ١٩٤ .

وفي الصفحـة ١٩٨ يقـول : ولكن للنـاس أن يسألـوا : ماذا سيحـل بالقـرآن الكـريم؟ ومـاذا سيحل بالأدب القديم : وجوابنا هو أن القرآن الكريم سيخلد ، سيبقى على ماهو عليه كما بقيت كتب دينية عديدة رغم انحراف لغة الناس عن لغة هذه الكتب» .

انظر التبشير والاستعمار لفروخ والخالدى ص(٢٢٥ـ٢٣٢) .

(٢) وهيهات أن يتم ذلك لهم . فالله سبحانه وتعالى تكفّل بحفظه : إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» .

(٣) انظر الاتجاهات الوطنية ص٣٨٤ .

وبقى في لبنـان من يصـر إلى اليـوم على اللهجـة اللبنـانية وعلى رأسهم الشـاعـر سعيـد عقل، ويسمونها: اللغة اللبنانية. ووصل به التطرف إلى كتابة هذه اللغـة بحـروف لاتينيـة وله جريدة أسبوعية محدودة الانتشار والتأثير، تطبع بالحروف اللاتينية.

ومنهم أيضا الشاعر موريس عواد الذي يخرج قصائده بهذه اللغة الشعبية كما يسميهـا، وخـرج حديثاً برواية من ١٩٢ صفحة كتب على غلافها: (روايي باللغا اللبناني) وقد سبقه ذلك تجربة قام بها الشاعر المصري بدر نشأت شقيق د. كمال نشأت[١].

وعلى الإجمال فاللغة العربية تهان وتنقص من عدة جهات حالياً[٢].

١ ــ الـروايـات التمثيلية التي تحكي عبارات السوقة والعقليات الجاهلة. فتحيي ألفاظا كان يجب أن تموت مكانها وتؤذى المسامع باللهجات العامية المنكورة.

٢ ــ الـزعـماء الـذين لا يحسنـون الفصحى ويحلو لهم أن يتحـدثـوا إلى الجمهور ساعات طويلة. تختلط كلماتهم العربية والعامية.

٣ ــ الأشخـاص الذين يقلدون المنتصر والذين ذابت شخصياتهم ذوباناً تاماً، فيرون من الرقي أن يكون حديثهم بأي لغة إلاّ العربية.

٤ ــ ورجـال المجـامـع الـذين يرون العـربيـة تنهـار أمام ألفاظ الحضارة المحـدثـة ومصطلحات العلوم الكثيرة، ومع ذلك فهم لا يحركون ساكناً، مع أن العربية في خطر حقيقي.

وامتـد التـلاعب باللغـة العربية إلى لوائح الإعلانات في الشوارع العامة وأسماء المحلات والمعارض التي تكتب بخطوط عريضة ومليئة بالأخطاء اللغوية، بعـد أن أقصيت من ميـادين العلوم، ولحق أدبهـا من تشـويـه وغبن في ميـادين الآداب والفنون[٣].

---

(١) الشرق الأوسط ص١٩ السبت ٢/١١/١٩٨٥م.

(٢) محمد الغزالي ـ مشكلات في طريق الحياة الإسلامية ص٩١.

(٣) نفسه ص ١٠٧.

٥ ـ اقتباس الأنظمة والمناهج اللادينية من الغرب:

وجـدت المـدارس الأجنبيـة في بلدان العـالم الإسـلامي، وأطلق غلاة المبشـرين والقسـاوسـة وأضـرابهم في وضـع برامـج التعليم لمدارسهم، حتى أن المـوضـوعات العلمانية التي تعلم من كتب غربية وعلى يد مدرسين غربيين تحمل معها الآراء النصرانية(١).

والـواقـع أن الاستعمار كان حريصا على توجيه التعليم لتخريج طائفة من المتعلمين يخدمون مصالح الحكومة والشركات، ويهدف أساساً إلى القضاء على الثقـافـة الإسلامية بالطعن فيها وإثارة الشكوك من حولها والشبهات في أعماقها. فسيطـر على المـدارس الـوطنيـة ـ التي تضم عامـة أبناء الأمة ممن يقدرون على التعليم ـ عن طريق رجـالـه وعمـلائـه الذين تولوا وضع المناهج الجديدة والسهر على تنفيـذهـا وخـدمـة أغـراضها القريبة والبعيدة كالخطة التي رسمها كرومر في مصر ونفذها القس الإنجليزى دنلوب وتلاميذه من بعده، ولاتزال لها آثار وذيول سيئـة تطبـع بعض جوانب التعليم المصـري ومقلديـه في العـالم العـربى. فقـد استطاع أن ينزع من برامج التعليم الدين وروح الأدب العربي وتاريخ الإسلام وصلة مصر بالعرب والعربية ثم أدخل في برامج المدارس أن مصر فرعونية. وفي كل وحدات العالم الإسلامي نجد نفس الهدف قد أعد بصورة أخرى ففي الهند الإسـلاميـة يحاول التعليم الـتركيـز على الحضـارات الـوثنيـة، وفي تركيا يجرى الاهتـمام بالتـاريـخ الطـوراني وأمجاد جنكيزخان. وفي أندونيسيا يركّز على تاريخ ما قبل الاسلام وكلها محاولات للقضاء على العوامل الجامعة للعالم الإسلامي(٢).

وحـرص النفـوذ الاستعـماري أن يجعـل من جامعـاتـه ومعـاهـده مصدراً لتخريج القادة والحكام في العالم الإسلامي. فقد أوصى المؤتمر التبشيرى المنعقد عام ١٩٠٦م/١٣٢٤هـ في القاهرة(٣) ـ بوجوب إنشاء جامعة علمانية على نمط الجامعة الفرنسية لمناهضة الأزهر والذي قالوا عنه: إنه يهدد كنيسة المسيح بالخطر.

---

(١) التبشير والاستعمار. فرّوخ ـ ص٦٦.

(٢) أنور الجندي ـ العالم الإسلامي ـ ص٣٣٥.

(٣) الغارة على العالم الإسلامي ص٢٢.

ولذلك حرصت الجامعات منذ إنشائها على اقتباس الأنظمة والمناهج اللادينية، فحين قام سعد زغلول ولطفى السيد وزملاؤهما في مصر بإنشاء الجامعة المصرية كان النص الأول من شروط إنشائها: هو ألّا تختص بجنس أو دين بل تكون لجميع سكان مصر على اختلاف جنسياتهم وأديانهم فتكون واسطة الألفة بينهم. فخلت الجامعة من علوم الإسلام[1].

ويقول اللورد لويد ممثل بريطانيا في مصر في حفل كلية فكتوريا بالاسكندرية عام ١٩٢٦م: «إن أبناء هذه الكلية من ثمانية أجناس أو تسعة أجناس مختلفة... كل هؤلاء لايمضى عليهم وقت طويل حتى يتشبعوا بوجهة النظر البريطانية» فهو يكشف عن الغاية من التعليم البريطاني - خلق جيل يؤمن بانجلترا ويتعاطف معها مغضيا عن استعمارها ونفوذها في بلاده[2].

والجامعة الأمريكية في بيروت معروفة الأهداف والمرامي[3].

كان التعليم الحديث علمانياً منذ البداية، وتعدّى الأمر المناهج إلى أسلوب التربية وفلسفة السلوك فقد طبق الاختلاط بين الذكور والإناث في معظم جامعات العالم الإسلامي، وأدخلت التقاليد الغربية المنافية للإسلام في صلب النظام الجامعي، أو شيدت في إطاره معاهد عليا للرقص والتمثيل والنحت والموسيقى باسم براق - الفنون الجميلة - فقد قال قاسم أمين: «لعل أكبر الأسباب في انحطاط الأمة المصرية تأخرها في الفنون الجميلة - التمثيل والتصوير والموسيقى»[4]. وقد أصبح في مصر وفي غيرها من أقطار العالم الإسلامي جيوشاً من هؤلاء فماذا كانت النتيجة؟.

وأدخلت أنظمة التعليم في العالم الإسلامي - العلوم - بصورتها الغربية المعادية للدين دون تفريق بين دين ودين، صحيح أن الاستعمار فرض تلك الأنظمة فرضاً ولكنها لاتزال بعد رحيله كما كانت أو أشد بل أنها لتطبق في بلاد لم تطأها لمستعمر قدم كتركيا. ودخلت الأفكار الغربية في هذه المناهج:

---

(١) أحمد لطفي السيد - مؤلف حسين فوزى النجار ص٢٦٢ / العلمانية / سفر الحوالي ص٦٠٧.

(٢) أنور الجندي - العالم الإسلامي ص ٣٣٨.

(٣) التبشير والاستعمار ص٩٥ - ١٠٩.

(٤) كتاب «قاسم أمين» - ماهر حسن فهمي - ص٣٩.

فالفـرويـديـة تجدها مقررة في أقسام علم النفس في الجامعات قاطبة على أساس أنها نظرية علمية.

والـداروينيـة، تدرسها مناهج العالم الإسلامي على أنها حقيقة علمية في مواد كثيرة كالأحياء والتاريخ الطبيعى وعلم الأرض سواء ذكر داروين أو لم يذكر.

وفي أقسام الاجتماعيات تدرس نظرية دوركهايم بل يدرس علم الاجتماع بكامله على المنهج الغربي المبني على أساس لاديني.

وفي أقسـام الكيميـاء والفيـزيـاء والفلك والطب... الـخ تدرس مناهج محشـوة بايحـاءات فلسفيـة أوثنيـة، في العبـارات المسمـومة مثل: المادة لاتفنى ولاتستحدث. خلقت الطبيعة كذا... هيأت الطبيعة.

وكـذلـك تعمـد المنـاهـج إلى تفسـير الـزلازل والبراكين وسقوط النجوم والكسوف تفسيراً ماديا صرفا ـ فكل المناهج تتصف بالطابع المادي.

وأما المقررات الأدبية البحتة فنجد أنها فاقت المقررات العلمية، فصيغ التاريخ(١) في قالب غربي مقسم إلى ثلاثة عصور كبرى:

أ ـ العصور القديمة.

ب ـ العصور الوسطى.

جـ ـ العصور الحديثة.

وكلها تبين أهمية الحضارة الأوربية وتغفل الحضارة الإسلامية المميزة.

كما حشيت مقـررات التـاريـخ بدسـائس المستشـرقـين وسمـوم المبشرين وكتبت بأسلوب شديد التأثر بالأساليب الغربية التي تفسر التاريخ تفسيراً مادياً أو فلسفيـاً خاصـاً أو اقتصادياً، وكتب التاريخ الإسلامي على شكل سلسلة عنيفة

(١) لقـد دعـا الإسـلام إلى الـوعي بالتـاريـخ المـاضي والقائم جميعاً وصولاً إلى الحتمية الوحيدة وهي الحياة الآخرة، التي تكون هذه الحياة الدنيا منطلقها ومجالها العملي وتكون هي المقر الأخير بالحساب والجزاء، ومن هنا فإن للإنسان دوره في صناعة التاريخ وبناء المجتمعات وإنشاء الحضارة وله أيضا مسئوليته عن الوجهة التي يتجه إليها في هذا العمل. (الجندي التحديات ـ ص٩٦).

من الصراعات والدسائس والفتن وأغفلت الدعوة الإسلامية تماماً، ودور المسلمين في الرقي البشري، وما قدمته الحضارة الإسلامية في انتشال الأمم من وهدة الجهل والانحطاط والجاهلية.

ونجد في كتب التاريخ احياء الثغرات الإقليمية الجاهلية وعرضها من زواياها البراقة التي تغري باعتناقها والاعتزاز بها والاهتمام بمعرفته كما حدث بالنسبة لتاريخ الفراعنة والأشوريين والسومريين والبابليين والفنيقيين والكنعانيين وغيرهم. وأخطر من هذا أن المناهج تقوم بنصب مثل عليا جديدة أمام أجيال المتعلمين المسلمين فتعرض لهم تاريخ أوربا وحياة أبطالها وعلمائها ومذاهبها الفلسفية والاجتماعية ونظرياتها العلمية بطريقة لامعة جذابة ليتم استقطاب المسلمين عن دينهم بإحدى الطريقتين[1]:

أ ـ طريق الاعتزاز بما قبل الإسلام وفي هذا فرقتهم وتباعدهم.

ب ـ طريق الفناء في الحضارة الغازية وفي هذا محوهم وردتهم، وحتى مادة المطالعة فكأنما هي ملخص موجز للغزو الثقافي الغربي إذ تحوي موضوعات منوعة يجمعها الاعجاب بالغرب وتمجيد حضارته ورجالها والاقليمية والطبقية، وتخلو من التصورات الإسلامية والقيم الإيمانية إلا قليلاً.

٦ ـ استيراد المذاهب اللادينية في الفكر والأدب:

كان من أخطر الأدوات العصرية التي اعتمد أعداء الإسلام عليها الصحافة باعتبارها أكثر شيوعاً وأبعد تأثيراً سواء كانت محلية أو مستوردة مجلوبة من وراء البحار والحدود، تحمل للمسلمين قيماً جديدة وتحفل بضروب من الأفكار المخربة وأحاديث الجنس الفاضحة والصور العارية والقصص البذيئة والمقالات والبحوث التي تتناول كثيراً من المقدسات بالنقد والتجريح في غير ما حرج[2].

(١) فتح الله ص ٧١.
(٢) فتح الله ص ٨٤.

يقــول جب: «وللوصـول إلى هذا التطـور الأبعـد. . يجب ألا ينحصـر الاعتماد على التعليم في المدارس ـ بل يجب أن يكون الاهتمام الأكبر منصرفاً إلى خلق رأى عام والسبيـل إلى ذلـك هو الاعتـماد على الصحافة». ثم يقول: «إن الصحافة هي أقوى الأدوات الأوربية وأعظمها نفوذاً في العالم الإسلامي»[1].

وبالصحافة سارت النهضة الفكرية والأدبية الحديثة مساراً غريباً حتى آل الأمـر إلى الـواقـع الفكـري والأدبي المعاصر، فنقلت الدارونية والفرويدية إلى مجال الأدب بطـريق الـترجمـة أولاً ثم الـدراسـة المستفيضة كما استورد المسلمون المذاهب الفكرية الحديثة مثل الإلحاد والشك واللاأدرية واللامعقول. . فعملوا بذلـك على تفـريـغ الكلمـة العـربيـة والحـرف العربي من مدلوله ومعناه باسم الـرمـزيـة وبـاسم العقـل البـاطن وباسم القاموس الخاص بالمفكر أو الأديب[2] وتعرض الأدب إلى ظاهرة التقسيم والتجزيء.

وكـان من ضمن القـائمـين بهذه الحـركـة اسـماعيـل حمد أدهم (ت عام ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م) وهـو مستعـرب من أصـل مزيـج تركي روسي، كان على صلة بالاستشراق الروسي. وجاء إلى مصر من تركيا بعد إعلان العلمانية وحاول نشر الالحاد فيها: فألف رسالة صغيرة عنوانها: لماذا أنا ملحد؟ وطبعها في مطبعة التعاون بالاسكندرية بين فيها أنه من جماعة: المجمع الشرقي لنشر الإلحاد[3].

وأمـا إسـماعيـل مظهـر (ت ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م) فقـد ركـز على فكـرة الدارونية والأصل الحيواني للإنسان[4] في مقالاته فيقول بخبث وتلاعب بالألفاظ:

اكتفت الأديان بالقول بأن الغاية من خلق الإنسان والجن هي أن يعبدوا الله، فكـرة حسنـة ولكنها غير صحيحة[5]، إذ لو صح هذا، إذن لاعتقد بجانبه بأن الله في حاجـة لأن يعبـده الإنس والجن! ولظهـر النظـام الكـوني في مجمـوعه

(١) انظر الاتجاهات الوطنية ج٢ ص٢٠٣-٢٠٥ عن وجهة الإسلام.

(٢) د. عدنان زرزور ـ قضية ورأى ـ الشرق الأوسط ص١٥ السبت ١٩٨٥/١٠/٢٦م.

(٣) العلمانية ـ سفر ـ ص٦١٣.

(٤) انظر نفسه ص ٦١٤.

(٥) مخالفة صريحة لقوله سبحانه وتعالى ﴿وما خلقت الجن والإنس إلّا ليعبدون﴾.

بمظهر شيء ما خلق إلّا ليعضد الحياة الإنسانية التي يجب أن تسخر لعبادة الله، وهذا في معتقدي أبعد الأشياء عن أن يكون الغاية من وجود الإنسان[1].

وتحرر منصور فهمى (ت عام ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م) في اطروحته: (حالة المرأة في التقاليد الإسلامية وتطوراتها بإشراف المستشرق اليهودي ليفي برول من الالتزام بحقيقة الوحي في تفسير سلوك النبي ﷺ وعلاقاته وتشريعاته [2].

وطرح الشيخ على عبد الرازق قضية العلمانية لأول مرة في صميم الفكر الإسلامي في كتابه الإسلام وأصول الحكم، ولاترجع خطورة الكتاب لدقته في البحث، فالكتاب يمتاز بجمال أسلوبه أكثر من امتيازه بالتزام المنهج العلمي، فهو يعتمد على المستشرقين فيما لا يوثق بهم فيه، بينما يفرط تفريطاً ظاهراً في الرجوع إلى المصادر العربية الأصيلة على كثرتها وأهميتها وتوافرها[3]. ويكثر من وضع الفرضيات التي تنقلب بعد قليل عنده إلى نظريات مسلمة، وهو جريء وعنيف في مصادمة عواطف الناس وفي تحدي مشاعرهم وفي التشكيك ـ الساخر أحياناً ـ فيما تطمئن إليه نفوسهم دون أن يقدم الأدلة القوية الواضحة على ما يذهب إليه. وقد صدر الكتاب في ظروف إسلامية حرجة بعد سقوط الخلافة العثمانية. وخطورة الكتاب في الواقع تكمن أنه استند لأول مرة في التاريخ الفكري الإسلامي إلى حجج ومبررات دينية شرعية مستمدة من الكتاب والسنة والتاريخ الإسلامي لتبرير العلمانية ضمن اطار الإيمان الديني ذاته وليس من منطلق العلمانية الخالصة المنافية للدين. وفي هذا تكمن خطورة أفكاره.

كما أصدر الدكتور طه حسين كتابه في الشعر الجاهلي عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م مستخدماً منهج الشك الديكارتي والنقد التاريخي الأوربي في غربلة الروايات والنصوص الدينية بما في ذلك آيات القرآن الكريم. وهنا

---

(١) العلمانية سفر ص ٦١٤.

(٢) الجندي ـ العالم الإسلامي ص٣٤٣/ د. محمد جابر الأنصاري تحولات الفكر ص٢١ والأطروحة بالفرنسية سنة ١٩١٣م ولم تترجم للعربية.

(٣) الاتجاهات الوطنية ج٢ ص ٨٥.

والشيخ علي خريج أزهري وقاضي شرعي. أصدر كتابه ١٩٢٥م بعد أن أصدرت الحركة العلمانية الكمالية كتيباً بررت فيه لجوءها إلى العلمنة ببعض المبررات المستمدة من مبادىء الإسلام ذاته. د. الأنصاري ص٢١.

تكمن خطورة هذا الكتاب وليس في مجرد تشكيكه بمصادر الشعر الجاهلى . ومن هذا المنطلق كان طه حسين يؤكد وقتها أن العلم في ناحية والدين في ناحية أخرى وأن التوفيق بينهما محال(١) .

واستمرت أفكار الغرب المنحرفة تظهر في الأدب العربي من إسماعيل مظهر إلى لطفي السيد ومنصور فهمي وأمين الخولي وطه حسين إلى صادق جلال العظم(٢) ، تخفى بعضهم تحت أقنعة البحث العلمي أو التمذهب الأدبي حتى لا يصدم مشاعر المسلمين فتنصرف عن انتاجه وبعضهم هاجم مشاعر المسلمين وعقيدتهم بكل جرأة وصراحة كما سبق بل أن بعض الأدباء في محاضراتهم وكتاباتهم زيفوا التاريخ ووضعوه في إطار عجيب من الأفكار المتناقضة المنحرفة كجورجي زيدان في رواياته عن تاريخ الإسلام . والدكتور لويس عوض المستشار الثقافي للأهرام إذ جعل - في محاضراته بمعهد الدراسات العربية - المعلم يعقوب العميل الذي استغله المحتل الفرنسى في غزو نابليون مصر بداية القومية المصرية والكفاح القومي وهو نفسه الذي كوّن فيلقا لضرب الشعب المصري وتحطيم ثورته ونهب أمواله . كما يعتبر الحملة الفرنسية هي بداية تاريخ مصر القومي وتحررها(٣) ويشيد الدكتور عوض بمحاكمة الفرنسيين لسليمان الحلبى قاتل كليبر ويفسر الصراع أثناء الحملة الفرنسية بأنه بين قوتين أجنبيتين : الفرنسيون والأتراك . الأول يحمل مبادىء الثورة الفرنسية ويسعى لايقاظ القومية المصرية والثاني يختص بكل الموبقات والصفات الكريهة .

كما يضع الدكتور لويس عوض السيد عمر مكرم ومحمد كريم والمحروقى وحسن طوبار وسليمان الحلبى في كفة والجنرال يعقوب وفرط الرمان في كفة أخرى على قدم المساواة بل يفضل من كان في جانب فرنسا لأنهم يمثلون حسب رأيه الجانب الأفضل لأنهم كانوا مع التطور . . مع التاريخ . . مع بعث القومية . . فيعقوب هو حامل بذور القومية المصرية . . ويستحق أن يوضع كما يقول الدكتور: مع محمد علي وعلي بك الكبير وعبد الناصر لأنهم كانوا جميعا أدوات في

(١) انظر / محمد الخضر حسين شيخ الأزهر - نقض الشعر الجاهلي لطه حسين .

(٢) في كتابه نقد الفكر الديني - انظر: الميداني - صراع مع الملاحدة حتى العظم .

(٣) كشك - الغزو الفكري ص١٣٢ ، انظر الجبرتي ج٣ ص١٥ .

يد هذا الشعب العظيم[1]!!.

وفي المسـرحيـات تمسخ القيم والمبـادىء ففي مسـرحيـة لعبـد الـرحمن الشرقاوى مثلاً:

لم يذكـر من أهـداف المقاتلين الجزائريين شيئاً من الإسلام والعروبة ـ بل يعـرى الثـورة الجـزائـريـة من حقيقتهـا حين يصـرّ على أن أهـدافها: الحرية ـ الإخـاء ـ الأمن والحب ـ وحيـاة أفضـل ـ بل ويجعـل البطلة الفـرنسيـة العـاهرة سيمـون هي بطلة القصـة ـ مات زوجهـا في الهنـد الصينيـة فجاءت إلى الجزائر لتقـوم بأهم عمـل ثورى في المسـرحيـة ـ وتنشد هذه: من أجل فرنسا ما أصنع! وتتعانق مع هند الجزائرية.

ويشتد في المسرحية الحرص المبالغ فيه على كرامة فرنسا وشرفها، وإظهار الحنان المسيحى من الفرنسيين ـ أما الإسلام فلا شىء في حياة الثورة الجزائرية. إلّا للجواسيس والمجانين.

والمسـرحيـة تحجب طبيعـة الحرب الصليبية التي تشنها فرنسا ممثلة الغرب الصليبي ضد الثورة الإسلامية الجزائرية وجهادها[2].

وظهرت أيضا الأفكار الغربية المنحرفة عند الشعراء وخاصة شعراء العراق كالرصافي والزهاوي.

فامتلأ ديـوان جميـل صدقى الـزهـاوي (ت عام **١٣٥٥هـ/١٩٣٦م**) بالأفكار الالحادية التي لا تخرج في جملتها عن نظرية دارون فمن رباعياته:

ما نحـن إلّا أقـرد من نسـل قرد هالـك
فخـر لنـا ارتـقـاؤهـا في سلم المـدارك

---

(١) نفسه.

(٢) انظر نفسه ص٨٧-١٢٣.

ويتأثر بنظرية هيجل الأثيرية في قوله :

ولـعـل الأثـير في كل أرض وسـماء كالله في الـتأثـير
ولعل الذاتين واحدة في الأصل والخـلف جاء في الـتعـبـير

وكـان من نتيجـة شيـوع هذه الأفكار في الفكر والشعر والصحافة التمهيد لانتشار الأفكار المادية ولاسيما الشيوعية وتغذيتها بروح الشك العام في كل شيء تقريبا حتى أصبح الشباب المتعلم في العالم الإسلامي فريسة الشكوك القاتلة والوساوس الشيطانية فانتظم كثير منهم في صفوف المنظمات اليسارية أو القومية وغيرهما من الأحزاب اللادينية لاسيما بعد الحرب العالمية الثانية حتى أصبحت الاشتراكية موضة العصر كما يقولون .

فبعد نجاح الثورة البلشفية في روسيا عام ١٩١٧م/١٣٣٦هـ تحولت للاهتمام بالشرق وأسست الأممية الثالثة عام ١٩١٩م/١٣٣٨هـ وهو التاريخ الذي اتخذ منه اليساري اللبناني يوسف يزبك تقويما جديداً محل التاريخين الميلادي والهجري . وقد انحصرت الأفكار الشيوعية قبل ذلك في نطاق العلمانيين النصارى، فأصدر سلامة موسى عام ١٩١٣م/١٣٨٢هـ كتابه الاشتراكية . ثم بدأت تتسلل في أوساط المتعلمين المسلمين على نطاق ضيق أولا فقام الكاتب المصرى مصطفي حسنين المنصورى (ت عام ١٩٦٤م/١٣٨٤هـ) بتأليف كتابه : تاريخ المذاهب الاشتراكية ليصبح بهذا العمل أول اشتراكى مسلم في العالم العربي . وتأسس الحزب الاشتراكي المصري عام ١٩٢٠م/١٣٣٩هـ . وترجم خالد بكداش زعيم الحزب الشيوعى السوري البيان الشيوعي عام ١٩٣٣م/١٣٥٢هـ .

وبدأت أفكار القومية تغزو المسلمين بمفهوم علماني على أيدي النصارى أولاً إلى أن تبناها ساطع الحصري (١٨٨٠-١٩٦٨م / ١٢٩٨-١٣٨٨هـ) الذي أنكر أن يكون الدين عنصراً في القومية[1]، وتكونت الأحزاب ذات الأفكار

---

(١) خدوري د. مجيد ـ الاتجاهات السياسية في العالم العربي ـ الترجمة العربية ص٢٠٨ .

المستوردة كالحزب القومي السوري عام ١٩٣٢م/١٣٥١هـ وتبلور حزب البعث عام ١٩٤٠م/١٣٥٩هـ.

وساهمت المذاهب الأدبية مع المذاهب الفكرية في انزلاق المسلمين إلى التردى الفكري فالرومانسية وجدت لها صدى في روايات جرجي زيدان التي شوه فيها التاريخ الإسلامي ليحاكي الرومانسيين الانجليز، وترجمت أعمال معظم أدباء أوربا المشهورين من شكسبير إلى تولستوي ومع أن بعضها روائع إنسانية فقد كان الاتجاه الإباحي هو الطاغي على الترجمات كما في أعمال الكسندر دوماس وأميل زولا وأناتول فرانس. وظل الاتجاه الإباحي يسيطر على حركة الترجمة تقريباً تحت ستار الواقعية حتى الحرب العالمية الثانية. ثم ظهرت اصداء اللامعقول على أثر نضوجها في الغرب حينذاك. كما ظهرت الكتابة الاسطورية التي اتخذها سارتر وكامو أسلوب التعبير عن فلسفة الضياع والعبث، إلّا أنهما استخدما أساطير اليونان، أما العرب أمثال طه حسين (في على هامش السيرة وعلي وبنوه) وتوفيق الحكيم (في أهل الكهف وزينب..) فقد استخدموا التاريخ الإسلامي والقصص القرآني.

وقد أسهمت وسائل الإعلام ـ من صحافة وتليفزيون وإذاعة ومسرح التى يدير معظمها أناس علمانيون ـ اسهاماً قوياً في تنمية الاتجاه الإباحي في الفكر وتعميمه وبالتالي في هبوط الأدب أسلوباً ومضموناً كما في كتابات إحسان عبد القدوس ونجيب محفوظ وشيعتهما نثراً وأعمال نزار قباني وزمرته شعراً.

وظهرت شعارات علمانية تطالب بفصل الأدب عن الدين بل عن الأخلاق، فنجد شعارات: الفن للفن، الأدب غير الملتزم، والأدب للشعب، والأدب للواقع.. ومن الذين نادوا بفصل الأدب عن القيم الدينية سلامة موسى.

وكما برزت الوجودية[1] في انتاج أنيس منصور والماركسية في كتابات نجيب

(١) انظر زيارة سارتر وعشيقته سيمون إلى مصر/ الغزالي ـ الإسلام في وجه الزحف الأحمر ص٣٦-٣٧.

محفوظ، برز الاتجاه الضائع الناهج نهج اللامعقول في شعر: بدر شاكر السياب العراقي والشاعر اللبناني الملقب أدونيس واسمه الأصلي أحمد سعيد علي.

والاتجاه إلى اللامعقول لم يفض إلى الثورة على الأدب الأصيل في مضمونه ومحتواه بل تعداه إلى الشكل والأسلوب فظهر ما يسمى بالشعر الحرّ الذي بدأه باكثير وبدر شاكر السياب بترجمة الشعر الأوروبي إلى عربية منثورة، بعد الحرب العالمية الثانية في الوقت الذي كان يتسلل فيه إلى العالم العربي صراخ وعويل من ركام أوربا شعراً ونثراً وقصصاً ملأى بالثورة والنقمة والشبق وبكل ما يدهش ويثير.

ومن الذين اشتهروا بهذا الشعر نزار سليم وحسين مروان وبلندر الحيدري وعبد الوهاب البياتي ورفعت الجادرجي وحسين مروان في العراق ونزار قباني في الشام ومحمود درويش في فلسطين المحتلة.

وفيما يلي قطعة من هذا الشعر تبين انسلاخ الشاعر من عقيدته وموطنه، والقطعة للشاعر محمد الفيتوري يقول فيها:

نار خطايانا
تسيل في حنايانا
فلنتكىء على عظام موتانا
ولنصمت الآنا
برج كنيسة قديمة وراهب قلق
وغيمة تشد قدميها وتعبر الأفق
ورجل بلا عنق...
وامرأة على الرصيف تنزلق
وقطة في أسفل السلم تختنق
وصوت ناقوس يدق
يرسم دورة على الفضاء، ويدق

يقول الشيخ محمد الغزالى: بعد أن أورد هذا الشعر...: ودعك من

أضغـاث الأحـلام التي ينقلك إلى جوها هذا الكلام المفكك، ودعك من تقطع الروابط العقلية بين هذه الألفاظ المتصيدة فهي كما قيل: سمك، لبن، تمر هندي..

ولكن الشيء الذي لاتدعه والذي يثير انتباهك حتماً هو جراثيم الاستعمار الثقافي أو الغزو الصليبي[1] الذي سيطر على هذا الشاعر الهائم، فهو في القاهرة المـدينـة المعروفة بشمسها الزاهية، ومآذنها السامقة وصبغتها الإسلامية الأولى، ولكن التبعيـة الفكـريـة والنفسية الغالبة على هذا الشخص التائه جعلته لايرى إلّا الغيـوم وأبـراج الكنـائس والـرهبـان القلقـين ورنـين النواقيس وكأنه في لندن أوروما لا في مصر[2].

إن ما وصـل إليـه حرب الفكـر هذا كان أكـبر وأشد من القتل لأنها فتنت أجيـالاً متتـابعـة من المسلمـين ولاتزال ـ فتنة عارمة وتركتهم على الردة الصامتة البـالغـة غايـة الفكـر حين دثـروهـا لهم بثوب زور ودلسوها عليهم باسم التقدم والحضـارة ثم بلغت الغفلة غايـة مداهـا حين قابل المسلمون ذلك بالإقبال وكان خليقاً أن يستثير فيهم عزائم النزال[3] والجهاد.

---

(١) كانت فرنسا قد عملت لمدينة الجزائر شعاراً انتشر في العالم كله بواسطة الطابع البريدي الذي رسم عليه صليب ضخم في السماء منتصراً على هلال صغير منكس فوق البحر. يشير بذلك إلى انتصار الصليبية على الإسلام (عمار أوزيجان ـ الجهاد الأفضل ص٢٩ـ٣٠).

(٢) الغزالي ـ حصاد الغرور ص١٩٤ـ١٩٥/ وانظر مشكلات في طريق الحياة الإسلامية ص٩٧ـ١٠٦.

(٣) فتح الله ص ٣٠.

ورغم هذه الأعراض الفكرية التي غلبت على واقع المسلمين اليوم، إلّا أن الفكر الإسلامي الأصيل بقي حياً وشق طريقه وبقي في أوساط الأمة بأصالته حتى اضطر أصحاب الأباطيل أن يغيروا وأن يبدّلوا في أساليبهم بل أن ينحنوا في كثير من الأوقات أو أن يتراجعوا عن أفكارهم[1].

---

(١) مثل طه حسين الذي انحنى وغيّر أساليبه مراراً أمام الفكر الإسلامي. ومحمد حسين هيكل (ت١٩٥٦م/١٣٧٦هـ) الذي طرح مفهوماته في الأدب الفرعوني وترجم أبحاثاً عن النظرية الوضعية لأوغست كونت وألف كتاباً عن حياة روسو وشرح فكرته في الدين الطبيعي ـ عاد وكتب حياة محمد وفي منزل الوحي وقال في زيارته للمدينة المنورة: «لقد كنا نطلب العلم في باريس فرانت علينا شوائب الغرب ولما عدنا إلى أرضنا وقرأنا تراثنا جاءت العودة وقراءة التراث ورائحة التراب تردنا، كانت ثقافة الغرب كالرمال غطت الحجر الصلب.. وعودتنا كالريح أزالت الرمال عن قلوبنا، فإذا الحجر الصلب قلوبنا في مكانها ـ (من مقال بقلم محمد حسين زيدان بعنوان: الدكتور محمد حسين هيكل في ذاكرة الأزهر/ الشرق الأوسط ص١٣ الأحد ٢ ذي الحجة سنة ١٤٠٥هـ ١٨/٨/١٩٨٥م).

والدكتور مصطفى محمود الذي كتب بعنوان شمعة تحترق مقالاً تحدث فيه عن دور الصدقة في حياة الناس وعلاقتها بالتخطيط وتكلم عن الكوليرا التي أصابت مصر، وتابع فيها الرواية الانجليزية للسخرية من الحج والحجاج المسلمين وزمزم... (انظر كشك أساليب الغزو الفكري ص٤٧).

عاد إلى الإسلام وفي رحلة العودة غرق في التصوف ومتاهات الباطنية (انظر كتابه ـ القرآن ـ محاولة لفهم عصري ـ دار الشروق ـ بيروت مايو (أيار) ١٩٧٠م).

الداروينية في تفسيره « ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين» ص٧٣.

والشجرة ــ ص ٨٠ .

وفكرته عن الجنة والجحيم ص٨٦. وانظر عن المتصوف والراهب واليوجي ص١٣٢-١٣٣.

وخالد محمد خالد: صاحب كتاب (هذا أو الطوفان) وكتاب الديمقراطية أبداً. انتقل إلى الكتابات الإسلامية ـ رجال حول الرسول.. ومقالاته القيمة في جريدة «المسلمون».



الفصــل الثاني
واقع العالم الإســلامي
من الناحيــة الإجتماعيــة

يستحيـل على الإنســان أن ينفرد بنفسه انفراداً تاماً وفي هذا آية من آيات الخـالق المبـدع جل جلالـه، فحاجته إلى غيره حاجة العضو إلى العضو والخلية إلى الخليـة فالاجتـماع تعبير عن غريزة مستكنة في أعماق نفس الإنسان والجماعة صفـة لازمـة من صفـاتـه، وإذا وجدت الجماعة وجدت الصلات بين أفراد هذه الجماعة، وقد نظم الإسلام سلوك الناس والنظام هو العنصر الثالث في سنة بناء المجتمـع، فلابـد إذن أن يتـوفـر في المجتمـع: أفـراد وصـلات اجتماعية يحددها العـرف المتبـع وأنظمـة تضبط سلوك الأفراد وتبيح لهم الانطلاق في ميدان وتكبح جماع انطلاقهم في ميدان آخر. وينبثق عن كل ذلك سلطة يفترض احترامها[1] ولابـد من الإدراك المتبـادل والشعور بالانتماء إلى هيئة واحدة وهذا الشعور لا يتم إلا بوجود مبدأ يصدر عنه أفراد الجماعة وعقيدة يشترك جميع الأفراد في احترامها والحفـاظ عليهـا والـدفـاع عنها وهذه العقيدة المشتركة هي العنصر الرابع في بناء المجتمع وهي أعظم العناصر السابقة أهمية وأكبرها خطراً ذلك أنها تتحكم فيها كلها وتوجهها جميعها الوجهة التي ترضاها، فهي التي تحدد الصلات الاجتماعية وهي التي ترسم نهج السلوك، وهي التي تضع قواعد المجتمع وتقيم نظمه وتهدي إلى مثله[2].

والمجتمـع الإسـلامي هو ذاك المجتمع الذي تميز عن المجتمعات الأخرى بنظمـه الخـاصـة وقـوانينـه السـماويـة وأفـراده الذين يشتركون في عقيدة واحدة ويتـوجهـون إلى قبلة واحـدة ولهـذا المجتمع وإن تكوّن من أقوام متعددة وألسنة متبـاينـة خصـائص مشـتركـة وأعـراف عامـة وعـادات موحدة[3] ففيه مقومات

---

(١) د. محمد أمين المصرى - المجتمع الإسلامي - ص ١٢، ١٤.

(٢) نفسه ص ١٦.

(٣) نفسه ص ١٧.

المجتمع القوي المتماسك، بطابع واضح متميز فلو أن إنساناً سار في العالم الإسلامي وتنقل في تطوافه من مدينة جاكرتا متجهاً إلى أقصى الغرب حتى بلغ مدينة طنجة ومرّ في مسيرته هذه على مختلف البلاد الواقعة على محور جاكرتا ـ طنجة لوجد ظاهرات اجتماعية تكاد تسيطر على هذه البلاد جميعها[1].

فقد جاء الإسلام بتربية الإنسان تربية فطرية سليمة فأقام بناءه على تقوى الله ونظر إلى الكون والإنسان والحياة نظرة كلية شاملة لجميع نواحيها، وأعطى تفسيراً مقنعاً لما قبل الحياة وما بعد الحياة، وتظهر هذه النظرة الكلية بوضوح في:

١ ــ أن الإسلام جاء لجميع البشر: ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾[2].

٢ ــ اهتم الإسلام بالناحية المادية والروحية في حياة الإنسان، واهتم بالحياة الدنيا والآخرة. ﴿**وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا**﴾[3].

٣ ــ اهتم بالإنسان كفرد وعضو في مجتمع، كما اهتم بالمجتمع[4].

ورسم الإسلام مثلاً أعلى غير ذلك المثل الأعلى للجاهلية فالشجاعة والمروءة التي لاحد لها، والكرم إلى حد الإسراف، والولاء التام للقبيلة، والثأر، قام الإسلام بوضع قيم أسمى منها: فالخضوع لله والانقياد لأوامره واجتناب نواهيه والتحلي بالصبر بما يحمله من معنى الشجاعة وضبط النفس وتحمل المشاق في سبيل بلوغ الهدف وإخضاع المنافع الشخصية لأوامر الله، والقناعة وعدم التفاخر بالتكاثر بالأموال والأولاد، وتجنب الكبر والعظمة[5]. كل ذلك

---

(١) نفسه ص ٣٣ .

(٢) سورة الحجرات الآية ١٣ .

(٣) سورة القصص الآية ٧٧ .

(٤) وبذلك يتميز الإسلام عن الاشتراكية التي تهتم بالمجتمع دون الفرد وتنظر إلى الفرد كسن في دولاب، فغاية المجتمع تبرر الوسيلة .

وعن الرأسمالية التي تهتم بالفرد دون المجتمع. ولا مانع لهذا الفرد أن يستعمل كافة الأساليب للوصول إلى أهدافه ـ الغاية تبرر الوسيلة ـ.

(٥) انظر ما قاله جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه لنجاشي الحبشة/ ابن هشام ج١ ص٣٣٦ .

من مقومات الشخصية المسلمة المتميزة المتوازنة فأقام بذلك نظاماً إسلامياً يتصل بجميع نواحي حياة الإنسان وتنبع قيمه من التقوى والإيمان بهذه القيم باعتبارها جزءاً من العقيدة التي تنظم حياة الفرد والمجتمع، وفي ظل هذا النظام يكون سلوك الإنسان صادقاً ونابعاً من الإيمان بصحة ما يقول أو يفعل على أساس أن السلوك السوي يؤدي إلى مرضاة الله ويؤدي في الوقت نفسه إلى سعادة المجتمع، وقوله وسلوكه مع الناس ومعرفة قدر نفسه، فيوجد التوازن في النفس والمجتمع ويبتعد عن الازدواجية المقيتة.

ومن القيم الاجتماعية التي بثّها الإسلام قيم المساواة والحق والعدل والرحمة والأمانة والإحسان والبر والوفاء وحسن الصلة في المجتمع، وأقرّ قيماً سلوكية تفصيلية تؤدي إلى التوازن الاجتماعي والاستقرار النفسي كالاستئذان في دخول الأبواب، وتأدية التحية، والقول الحسن، وعدم السخرية بالآخرين، وحث على تحمل المسئولية.

ولن يعوزنا بالتدليل على كل ذلك من كتاب وسنة فأينما توجهت تجد الدليل، وتاريخ المجتمع الإسلامي العملي يثبت ذلك. ويكفي في هذه العجالة الأدلة السريعة التالية:

قال تعالى: ﴿**وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين**﴾[1].

وقال تعالى: ﴿**إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم، واتقوا الله لعلكم ترحمون**﴾[2].

وقال تعالى: ﴿**ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة**﴾[3].

وقال تعالى: ﴿**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض**﴾[4].

---

(١) سورة الأنبياء الآية ١٠٧ .

(٢) سورة الحجرات الآية ١٠ .

(٣) سورة الحجرات الآية ٩ .

(٤) سورة آل عمران الآية ٣٤ .

وقال تعالى : ﴿**إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾(١).

وقال ﷺ :

«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»(٢).

وقال عليه الصلاة والسلام: «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»(٣).
وقال: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»(٤).

وجعل ﷺ : المجتمع في تكافله وتضامنه وعمق مسئوليته: «مثل قوم استهموا في سفينة»(٥).

ومن هنا جاء وصف الأمة الاسلامية «خير أمة أخرجت للناس» وأنها «أمة الوسط» قال تعالى: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس**﴾(٦).

وقد بقي المجتمع الإسلامي سليماً قوياً، «وللمسلم حرمة كبيرة» يقول عمر بن الخطاب وهو يوصي أحد قادته بالجيش: وأن رجلاً أحب إلى من مائة ألف دينار(٧). ويقول: «وتالله لمسلم أحب إليّ مما حوت الروم»(٨) عندما استأذنه معاوية في غزو الروم بحراً.
وفي زمن عمر بن عبد العزيز تجمع الزكاة فلا يجد المسلمون من يأخذها(٩)، وفى زمن المهدي العباسي لاتجد سائلاً(١٠) في أرجاء الدولة..

وفي ظل المسلمين في الهند تفتح المطاعم المجانية لجميع سكان الهند

---

(١) سورة الحجرات الآية ١٣ .
(٢) متفق عليه / البخاري - أدب ٢٧، مسلم بر ٦٦، ٦٧.
(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط، والحديث ضعيف/ انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة للالباني مجلد ١ ص٣٢١ رقم ٣١٠.
(٤) رواه البخاري ومسلم والترمذي وأحمد.
(٥) رواه البخاري والترمذي وأحمد.
(٦) سورة آل عمران الآية ١١٠ .
(٧) الطبراني ج ٤ ص ٢٥٤/ البداية ج ٧ ص ١١٩ .
(٨) الطبري ج ٤ ص ٢٩٠ .
(٩) فقد اغنى عمر الناس - تاريخ الخلفاء ص ٢٣٥ .
(١٠) الكامل ج ٥ ص ٧٣ .

الهنادكة والمسلمين عند حدوث المجاعات فتمرّ المجاعات دون حدوث هزات اجتماعية!.

نعم بقي المجتمع الإسلامي قوياً إلى أن تضافرت العوامل الكثيرة كما سبق عليه، فلجأ إلى العزلة وأصابه الجمود والجمود كما سبق وقلنا نوع من المحافظة على الذات، وأصيب كنتيجة حتمية للفقر والمرض والجهل في أخلاقه وتقاليده وعاداته، فغلبت عليه الأعراف الجاهلية والعادات المستحدثة على الأخلاق الإسلامية الأصيلة، غير أن الناس بحكم العاطفة الإسلامية الموروثة وبما جبلوا عليه من الغيرة على فضائل الخلق كانوا ينسبون كل قيم وموازين وأعراف مجتمعهم للدين أو على الأقل يلتمسون لها فيه أصولاً، ورسخ ذلك الانحراف المتمسح بالدين حتى أصبح هو الواقع المألوف الذي كان لدى الناس استعداد للوقوف في وجه من يحاول تغييره سواء أكان مجدداً إسلامياً مخلصاً أو متجدداً مفسداً أجنبيا، وظهرت محاولات إسلامية جادة مخلصة للنهوض بهذا المجتمع على أسس إسلامية صحيحة مثل: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والدعوة السنوسية وجمعية العلماء في الجزائر والسلفية في المغرب المرتبطة بابن حنبل وابن تيمية وحركة الإمام محمد بن عبد الوهاب على حد تعبير العلامة علال الفاسي[1] ودعوة السرهندي والدهلوي في الهند، وحركة شركة إسلام ومجلس العلماء والجمعية المحمدية في أندونيسيا، وحركة عثمان دنفديو، وحركة أحمد وبللو في إفريقيا الوسطى والغربية وحركة الاخوان المسلمين في مصر. وغيرها من الحركات على اتساع ساحة العالم الإسلامي، وقد أحدثت هذه الحركات بالفعل تغيّرات اجتماعية وتحولات نحو الإسلام، ولكنها جاءت في عهد أعاصير هبت على هذا المجتمع وأصابته بشدة حين تم خضوع بلاد الإسلام للإستعمار الغربي، فلم تستطع أن ترد المجتمع الإسلامي إلى أسسه، فأصابته أعاصير التحلل وسادته الأفكار المتناقضة والازدواجيات في كل أمور الحياة.

(١) أنور الجندي ـ العالم الإسلامي ص ٢٨٨ .

فقد شرع المستعمرون في بلاد المسلمين في تنفيذ خطتهم التي كانت ترمي إلى أمرين أساسيين[1]:

أولهما: إنشاء جيل مجانس لهم في ثقافتهم ليسهل عليهم الاتصال به والتفاهم معه[2].

والثاني: وهو أخطر الأمرين جميعاً أن تخلو الأجيال المقبلة من الدين ومن الثقافة الإسلامية ومن الحمية الإسلامية.

وكان لابد لبلوغ هذه الأهداف من احداث انقلاب جذري في حياة المسلمين يصادم المنهاج الإسلامي في جملته الأساسية بحراسة الجيوش المستعمرة وعلى يد من ربّتهم على منهاجها من أهل البلاد.

بدأ احتكاك المجتمع الإسلامي المنحرف عن الإسلام بالمجتمع الغربي الشارد عن الدين في القرن التاسع عشر الميلادي ومنذ اللحظة الأولى أحس الغرب - المغرور بتقدمه المادي - بتفوقه الاجتماعي على العالم الإسلامي الذي لاشك أنه كان لديه من الفضائل ما يفتقده الغرب، لكن نظرة الغالب إلى المغلوب لاتسمح بالرؤية الصحيحة عادة لاسيما والروح الصليبية الحاقدة كانت من ورائها. وبالمقابل أحس المجتمع الإسلامي بالانبهار القاتل واستشعر النقص المرير ولم يتردد الغربيون[3] في القول بأن سبب تخلف المسلمين هو الإسلام، فقد استمدوا ذلك من الوهم الذي كان يسيطر على أولئك بأنهم مسلمون حقاً. وهكذا كان الطريق مفتوحا لمهاجمة القيم الإسلامية وتدمير مقومات المجتمع من خلال مهاجمة ذلك الواقع المتخلف الذي لايمثل الإسلام، وكان النموذج الغربي المشاهد الذي فصل الأخلاق عن الدين يزيد الأمر قوة

---

(١) فتح الله ص ٦١.

(٢) انظر قول اللورد لويد في حفل فكتوريا بالاسكندرية - أنور الجندي - العالم الإسلامي - ص٣٣٨. ورأي جب - الاتجاهات الوطنية ج٢ ص ٢٠٣-٢٠٥.

(٣) انظر رأي كرومر في الإسلام - الاتجاهات الوطنية ص ٢٥٩-٢٦٢.

ومن آرائه: «ان الإسلام ناجح كعقيدة ودين ولكنه فاشل كنظام اجتماعي فقد وضعت قوانينه لتناسب الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي - ولكنه مع ذلك ابدي لا يسمح بالمرونة الكافية لمواجهة تطور المجتمع الإنساني».

ووضوحا. وقد جهد الاحتلال الأجنبي بشتى الطرق حتى تمكن من تحطيم مظلة الأعراف الأخلاقية في المجتمعات الإسلامية فانطلقت تسري في أوصالها كل موبقات الحضارة الأوربية حتى وصلت في ظل الاحتلال إلى مرحلة الشيوع والاستعلان ثم إلى مرتبة الاستقرار والاستحسان ثم إلى درجة الشرعية التي تحميها القوانين الوافدة. ودخل في روع المغلوبين أن الانحلال والفساد هي من ضرورات التحضر والمدنية في جوانبها الصحيحة(1). وقد ظهر هذا الانحلال في البداية في السلوك الفردي فانحرف الناس عن نهج الدين واستهوتهم مظاهر الحياة الغربية فأقبل كثير منهم على الخمور والفجور والقمار والربا ونحو ذلك، ثم دب دبيب التهاون في الدين فتناول العبادات والعقائد وغيرها من أنواع الانحلال، فتكاسل الناس عن أداء العبادات وانتشرت في الجو ضروب من الفلسفة والمذاهب الضالة، واستمالت الشباب وغير الشباب وصارت العلاقة الجنسية والنزعة الإباحية الشغل الشاغل للسينما وكثير من المجلات والصحف ابتغاء وفرة الربح والدخل، فانحرف الشباب وفسدت روابط الأسرة ثم عم السيل وطم فانهارت الفضائل الاقتصادية والاجتماعية(2) فشهد العالم الإسلامي موجة في التغيير الاجتماعي دعيت: التغريب: وهو تغيير قيم الأمة ومثلها أي تغيير عقيدتها وثقافتها وأخلاقها، وبعبارة أوضح ابعاد المسلمين عن دينهم باسم المدنّية أو التطور أو التقدم. وقد بدأ التغريب في العالم الإسلامي على يد المستعمرين ومؤسساتهم التبشيرية والاستشراقية أي بالإرساليات. ولكنه وفق الأسلوب الجديد أصبح يتم على أيدي المسلمين أنفسهم من تلاميذ المستشرقين والمبتعثين، يساندهم في تنفيذ هذا المخطط بعض الحكام من المسلمين وقد اتخذ هذا خطة استراتيجية بعيدة المدى حتى لاتحسّ الأمة الإسلامية بالهدف البعيد، بل قد تحسّ بالاسلوب الذي يجري فيه التغيير وكأن هذا التغيير يحدث تلقائيا،

---

(1) فتح الله ص ٦٣ .

(2) نفسه ص ٦٤ عن الدكتور إبراهيم اللبان ـ رسالة التربية الدينية التي يحتاج إليها العالم الإسلامي ـ نشرتها مجلة الأزهر .

في مجال الأخلاق والعادات والتقاليد تحت قناع التطور والمدنية والتقدم ومسايرة روح العصر مستخدما وسائل الإعلام المختلفة المسندة إلى غير المتمسكين بالدين.

ومن أجل عدم اصطدام الأفكار الجديدة بمشاعر المسلمين يقوم بالاعداد لها والتخطيط جيش من المبشرين الذين درسوا العالم الإسلامي من جميع جوانبه ونواحيه، وخبراء في علم النفس وعلم الاجتماع وعلم التاريخ، فضلاً عن أجهزة المخابرات والإحصاء المختلفة، فاستغلوا في سبيل مآربهم كل وسيلة من العلم والطب والسياسة والحياة الاجتماعية ومن الثقافة والأدب واللغة ليسلبوا الاسلام كل مناحي الشخصية وكل أسباب الحياة[1]، لتخرج أفكارهم تحمل شعارات العلمانية والقومية وتحرير المرأة.

وقد أدرك هؤلاء أن لابد لإحداث التغيير الاجتماعي المطلوب من اقتحام حصون المسلمين - اقتحام حصونهم - باسم تحرير المرأة الذي سنوليه اهتماما خاصاً، لأنه أهم مظاهر التغيير الاجتماعي وعنه تنشأ كافة الأمراض الاجتماعية. وقبل ذلك نلخص الآثار التي تركها الاستعمار في العالم الإسلامي من الناحية الاجتماعية لتتضح الصورة. فقد عمل الاستعمار على إضعاف معنويات المسلمين وأفكارهم وتجهيلهم وتحطيم كيانهم الاجتماعي بأن:

١ - شجع الاستعمار قيام نظام طبقي أساسه وجود فئة من الاقطاعيين والاحتكاريين يستأثرون بالثروة، على غرار النظام الاقطاعي في أوربا في العصور الوسطى، وباقي الناس في ذل وفقر وجهل - بمعنى آخر أوجد - التفاوت الطبقي الكبير - الذي لم يعرفه المسلمون في تاريخهم. ووجد أدوات من الطبقتين - الغنية والفقيرة. الغنية المتسلقة والفقيرة المحتاجة فأصبحت علاقات المجتمع عدائية بدل الحب والتعاون والتكافل في المجتمع الإسلامي.

---

(١) التبشير والاستعمار ص ٢١٧.

٢ ــ جعل بعض البلاد مرتعاً خصبا للأجانب بأن شجع الأوربيين على النـزوح إلى البـلاد بما فيهم اليهـود، والاستيطـان فيهـا، واعتـبرهم طبقـة ارستقـراطيـة أجنبيـة لامـانـع إطلاقاً من أن تستعبد غيرها وتسخرهم لخدمتها، وبجـانبهـا طفيليـات تعيش على فتـاتهـا من أفراد المجتمع الإسلامي تسخرهم لأغـراضهـا، كما حصـل في الجزائر وأندونيسيا والهند الإسلامية ومورو وتركستان والشاشان وأقطار أفريقية.

٣ ــ عمـل على نشـر الأمـراض والعـادات الاجتماعية السيئة في البلدان الإسـلاميـة فعلّم النـاس: النفـاق وفقدان الثقة بالنفس وعدم تحمل المسئولية، وأشـاع فيهم بأسـاليبـه: روح الخـوف والجبن من الحـاكم والتشكـك في أعـمال الغـير، ونشـر فيهم عادات مرذولـة زاعـماً أنهـا من مميـزات المدنية والتقدم مثل: تعاطى الخمر ولعب القمار والإباحية والسفور والخلاعة والاستخفاف بكل ما هو إسـلامي على اعتبـار أنـه قديم وبالي ورجعي والتباهي بكل ما هو أوروبي على اعتبار أنه حديث وتقدمي.

وأما أهم ميدان اقتحمه المستعمر وكان له الأثر البعيد في التغير الاجتماعي الإسلامي فهو **فكرة تحرير المرأة**:

كرم الإسـلام المـرأة ونظـر إليها على أنها عرض يجب أن يصان وكرّمها أمّا وزوجـة وأختـا وابنـة ورحمـاً. وخصها بأشياء تلائم طبيعتها الأنثوية تكريماً لها لا انتقاصا وزادت حقوقها أحيانا كثيرة عن حقوق الرجل. فالرجل مكلف بالنفقة عليهـا غنيـا كان أو فقـيراً، والمرأة غير مكلفة بالنفقة على الرجل ولو كانت غنية وهـو فقـير.. ثم جاء عصـر الجمـود فتأخـر فيـه المجتمع الإسلامي كله لا المرأة وحـدهـا. وفي ظل هذا التخلف نفـذت سهـام القـوى المضـادة للإسـلام إلى المسلمين بحجة تحرير المرأة، وقد بدأت هذه السهام تنفذ منذ حملة نابليون على مصـر (١٢١٣-١٢١٦هـ/ ١٧٩٨-١٨٠١م) وبـالإرسـاليـات الأجنبية، ولكن حركـة الابتعـاث إلى أوربـا (كانت أهم من كل من ذلك) زمن محمد على باشا والى مصـر، وكـان من أشهـر المبتعثـين الأوائل من المسلمين الشيخ محمد رفاعة الطهطـاوي الـذي يعـد كذلـك من روّاد الإصلاح، هذا الشيخ كتب كتاباً عن

مدينـة باريس ـ الـذهب الإبـريـز في أخبار باريس ـ وصف فيه لأبناء أمته الحياة الإجتماعية في فرنسا آنذاك تعرض فيه لوصف النوادي والمراقص ظهر فيه :

١ ــ ان الأخـلاق ليست مرتبطـة بالـدين ، وهي فكـرة انقدحت في ذهن الشيخ لكنه لم يستطع أن يعبر عنها بجلاء فهاهو المجتمع الفرنسي يمارس ألوان الدياثة التي لا يرضاها الإسلام طبعاً، ولكنها مع ذلك ليست خارجة عن قوانين الحيـاء ولا يشم منهـا الشيـخ رائحـة العفن بل هي معـدودة في باب الأدب ، وقد نمت هذه الفكـرة بعـد ذلـك وتـرعـرعت حتى قال قاسم أمـين بصـراحة : إن الحجاب وسيلة لستر الفواحش وان التبرج دليل على الشرف والبراءة ـ ومن ثم فلا علاقة بين الدين والأخلاق ـ .

٢ ــ إن المجتمـع الغـربي الديوث يكرم المرأة ويحترمها ، وفي المقابل نرى المجتمع الإسلامي يحافظ على العرض لكنه يحتقر المرأة ـ حسب الواقع المنحرف آنذاك ـ وبذلك نصل إلى المفهوم الذي وجد في أوربا نفسه وهو أن حقوق المرأة مرتبطة بتحررها من الدين ، فما لم ينبذ الدين فلن تحصل على الحقوق .

وقريب من قصد رفاعة ما قصده أحمد فارس الشدياق إذ وصف بأسلوبه المقـامي الخـاص الحياة الغربية ووضع المرأة فيها في كتابه «الساق على الساق» . وهكذا وجدت البذرة الأولى لما سمي «قضية المرأة»[١] .

وكان أهم ما ظهر في هذا الموضوع كتابين لقاسم أمين الذي اقترن اسمه من بعـد بلقب (محـرر المـرأة) وهما «تحرير المرأة» والمرأة الجديدة . طبع الأول سنة ١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م . والثاني سنة ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م .

ففي كتـابـه تحريـر المـرأة تناول أربع مسائل وهي الحجاب واشتغال المرأة بالشئون العامة وتعدد الزوجات والطلاق ، وذهب في كل مسألة من هذه المسائل ما يطابق مذهب الغربيين زاعماً أن ذلك هو مذهب الإسلام[٢] . والكتاب موجه

---

(١) العلمانية ـ سفر ـ ص ٦٢٦ .

(٢) الاتجاهات الوطنية ص ٢٩٤ .

لخدمة فكرة معينة يحاول المؤلف أن يسخّر النصوص لخدمتها لذلك جاء مملوءاً بالمغالطات، سواء كان ذلك في تفسير الآيات القرآنية أم في النصوص التاريخية والفقهية، أو الأدلة العقلية. وقد أثار كتابه موجة من المعارضة أكثرها مقالات صحفية[1]. ولكنه كشف عن أهدافه الحقيقية في كتابه الثاني (المرأة الجديدة) الذي بدأ فيه أثر الحضارة الغربية واضحاً. فالتزم فيه مناهج البحث الأوروبية الحديثة التي ترفض كل المسلّمات والعقائد السابقة سواء منها ما جاء من طريق الدين وما جاء من غير طريقه ولا تقبل إلا ما يقوم عليه دليل من التجربة أو الواقع، وهو ما يسمونه (الأسلوب العلمي)[2]. وقارن فيه بين الحضارة اليونانية والرومانية والإسلامية ورجح الحضارة اليونانية والرومانية على الحضارة الإسلامية[3]. ثم يدعو في آخر كتابه دعوة صريحة إلى الأخذ بأساليب الحضارة الغربية فيقول:

«هذا هو الداء الذي يلزم أن نبادر إلى علاجه، وليس له دواء إلا أننا نربي أولادنا على أن يتعرفوا شئون المدنية الغربية ويقفوا على أصولها وفروعها وآثارها ـ إذا أتى ذلك الحين ـ ونرجو أن لا يكون بعيداً ـ انجلت الحقيقة أمام أعيننا ساطعة سطوع الشمس، وعرفنا قيمة التمدن الغربي وتيقنّا أنه من المستحيل أن يتم إصلاح ما في أحوالنا إذا لم يكن مؤسساً على العلوم العصرية الحديثة، . . . »[4].

وقد طبق ذلك في بيته فأحضر لابنتيه مربيتين ـ أحداهما فرنسية والأخرى انجليزية[5].

والواقع أن قاسم أمين لم يدع قط إلى اختلاط المرأة بالرجال ومراقصتهم ولم يدع قط إلى أن تتجاوز كشف النقاب إلى الكشف عن الأذرع والسوق والصدور والظهور. ولم يدعُ قط إلى اتخاذ الملابس الضيقة التي لا تخفي عورات

---

(١) نفسه ج ١ ص ٣٠٢ .
(٢) الاتجاهات الوطنية ج ١ ص ٣٠٢ . وانظر كتابه ـ أي قاسم أمين ـ ص ٧٥، ٨٣ .
(٣) نفسه ج ١ ص ٣٠٩ .
(٤) نفسه ج ١ ص ٣١٠ وانظر كتابه ـ المرأة الجديدة ص ١٩٢-١٩٣ .
(٥) قاسم أمين ص ٧٧/ ماهر حسن فهمي .

الجسم إلا لتبرز مواضع الفتنة والإغراء منها. ولكن قاسم أمين وإن لم يدع إلى شيء من ذلك هو الذي فتح الباب لمثل هذه الدعوات وهو الذي خطا الخطوة الأولى في طريق كان لابد أن يسير الناس فيه من بعده خطوات في سرعة غير منتظرة فقد خلعت المرأة النقاب ثم استبدلت المعطف الأسود بالحبرة (إزار كانت المرأة تلتحف به إذا برزت للطريق) ثم لم تلبث أن نبذت المعطف وخرجت بالثياب الملونة، ثم أخذ المقصّ يتحيف هذه الثياب في الذيول وفي الاكمام وفي الجيوب ولم يزل يجور عليها فيضيقها على صاحبتها حتى أصبحت كبعض جلدها، ثم انها تجاوزت ذلك كله إلى الظهور على شواطيء البحر في المصايف بما لا يكاد يستر شيئا ولم تعد عصمة كثير من النساء في أيدي أزواجهن ولكنها أصبحت في أيدي صانعي الأزياء في باريس من اليهود ومُشيعي الفجور.
وقطعت المرأة مرحلة التعليم الابتدائي والثانوي واقتحمت الجامعة مزاحمة فيما يلائمها وفيما لا يلائمها من ثقافات وصناعات، وشاركت في الوظائف العامة.
ثم لم تقف مطالبها عند حدّ في الجري وراء ما سماه أنصارها «حقوق المرأة» أو «مساواتها بالرجل» وكأنما كان عبثا أن خلق الله ـ سبحانه ـ الذكر والأنثى وأقام كلاً منهما فيما أراد. فأمتلأت المصانع والمتاجر بالعاملات والبائعات، وحطم النساء الحواجز التي كانت تقوم بينهن وبين الرجال في المسارح وفي الترام وفي كل مكان فاختفت المقاعد التي جرت العادة على تخصيصها للسيدات بعد أن أصبحن يفضلن مشاركة الرجال(١).

وكان من رائدات ما يسمى بالحركة النسائية : هدى شعراوي حرم على شعراوى وصفية زغلول حرم سعد زغلول باشا، وتسمية كل منهما باسم زوجها هو اتباع للتقليد الغربي الذي ينسب المرأة لزوجها بعد زواجها، وهو مخالف للعرف الإسلامي الذي يجعل للمرأة شخصيتها المستقلة. والأولى هي ابنة

(١) الاتجاهات الوطنية ج ٢ ص ٢٤٩ .

مصطفى فهمي باشا أشهر أصدقاء الانجليز من رؤساء الوزارات المصريين في عهد الاحتلال والثانية هي بنت سلطان باشا وهو من كبار الضباط المصريين الذين تعاونوا مع الاحتلال الانجليزى[1].

وقد خرجتا مع ٣٠٠ متظاهرة أثناء وقوف الشعب المصرى للمطالبة بحقوقه بشجاعة عام ١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م فمزقن الحجاب وأحرقنه في ميدان عام فكان هذا أعظم اسهام منهن في الثورة!![2] بل وتجرأت هدى شعراوي على ما لم تتجرأ عليه امرأة مسلمة من قبل فسافرت إلى باريس وإلى أمريكا لدراسة شئون المرأة وأخذت تلقي بالتصريحات والأحاديث لمندوبي الصحف[3].

وتكتب صحيفة السياسة الأسبوعية مقالاً عن فتاة تركيا سنة ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م تصف فيه سفر باخرة اتخذتها وزارة التجارة التركية معرضاً عاماً في رحلة على نفقة الحكومة تتنقل بين موانىء أوربا الشهيرة. تقل خمساً وعشرين فتاة تركية جميلة، مقصوصات الشعور لا يكاد يميزهن الرائي من فتيات لندرة وباريس.. ونشر مراسل الصحيفة ما صرحت به أحداهن :

«ان المرأة التركية اليوم حرة، وإننا نعيش اليوم مثل نسائكم الانجليزيات. نلبس أحدث الأزياء الأورروبية والأمريكية ونرقص وندخن ونسافر ونتنقل بغير أزواجنا»[4].

وصحيفة المقتطف تكتب مقالا تثني على مصطفى كمال وتقرنه بواشنطن زاعمة أنه أكبر زعيم معاصر... وتشيد بالتطور الاجتماعي الذي طرأ على تركيا بسفور النساء واشتراكهن في المجتمعات مع الرجال ومشاركتهن الشبان في الدراسات الجامعية[5].

وفي المجال التعليمي حرص لطفي السيد والدكتور طه حسين واتباعهما على أن يكون التعليم مختلطاً في الجامعة فيه الذكور والإناث، واشتد الصراع في

(١) نفسه ج ٢ ص ٢٥٠/ الحاشية.
(٢) انظر قصيدة حافظ ابراهيم في وصف المظاهرة متهكما - ج٢ ص٨٧.
(٣) الاتجاهات الوطنية ج٢ ص ٢٥١.
(٤) الاتجاهات الوطنية ج ٢ ص ٢٥٥-٢٥٦ عن السياسة الأسبوعية عدد ١٧ يوليو ١٩٢٦م.
(٥) نفسه عن المقتطف عدد ابريل - نيسان ١٩٢٦م ص ٤١٠-٤١٣.

الجامعة من أجل ذلك وقد رفع بعض طلبة الكليات التماساً إلى مديرها وعمدائها سنة ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م يطلبون فيه إدخال التعليم الديني في الجامعة كما يطلبون الفصل بين الطلبة والطالبات. وكتب الرافعي ـ شيطان وشيطانة ـ ردّا على طه حسين وسهير القلماوي، كما كتب مقالاً حيا فيه طلبة الجامعة الذين رفضوا الاختلاط[1]. ولكن الانتصار كان لدعاة الاختلاط.

واستمرت المعركة مسعورة فسلامة موسى يغرق في الوهم والخيال حتى جعل وضع المرأة هو المسئول عن مشكلات مصر من أولها إلى آخرها[2]. واسماعيل مظهر جمع شبهاته القديمة وآراء غيره ونسقها في كتاب أسماه «المرأة في عصر الديمقراطية» وفيه[3]:

«لقد اتخذ الرجعيون الذين يرهبون التطور فرقاً من أوهام سلطت عليهم أو رغبة في بسط سلطانهم على النساء... من بضعة نصوص أشير بها إلى حالات قامت في عصور غابرة سبيلاً إلى استعباد النساء استعباداً أبدياً، لقد حضّت المرأة في ذلك العصر على أن تقرّ في بيتها وإن لا تبرج تبرج الجاهلية الأولى» ويقول:

«فلما جاء الإسلام ـ عطف إلى ناحية المرأة فاعتبرها نصف إنسان وأضفى عليها من الكرامة والاحترام ذلك القدر الذي لا يزال حتى الآن موضع انبهار كل المشترعين... غير أن خمسة عشر قرناً من الزمان كافية في الواقع لأن تهيىء العقلية الإنسانية إلى خطوات أخرى في التشريع للمرأة».

وتلاه خالد محمد خالد في كتابه: «الديمقراطية أبداً»: وكان حظ المرأة من ديمقراطيته شيئين[4]:

١ ـ حق المرأة في وقف تعدد الزوجات.
٢ ـ تأميم الطلاق على حد تعبيره.

---

(١) نفسه ج ٢ ص ٢٦١/ وانظر وحي القلم ج ٣ ص ١٨٤-١٨٨ تحت عنوان قنبلة بالبارود لا بالماء المقطر، وص ١٨٩-١٩٧ تحت عنوان شيطان وشيطانة.

(٢) العلمانية ـ سفر ـ ص ٦٣٧/ عن الأدب للشعب ص ٦٦-٦٧.

(٣) ص ١١٨.

(٤) انظر كتابه ص ١٦٤ ـ ١٦٥.

وعدّ حسين مؤنس الحجاب الإسلامي العائق الأكبر في سبيل انتماء مصر للغرب ذلك أنه ربطها بالمجتمعات الشرقية المتخلفة في حين أن المرأة المصرية القديمة كالمرأة الأوروبية الحديثة سواء بسواء وحضارتهما واحدة(١).

بل بعد أن تحقق السفور والاختلاط وسار شوطاً نرى كاتباً هو إبراهيم المصرى يقول: «الاعتقاد الشرقي الشائع بأن الرجل والمرأة متى التقيا فلابد أن ينهض الشيطان بينهما وينفث في نفسيهما سموم الرذيلة والشر، هذا هو سرّ تأخرنا. وهو من بقايا عصور الجهل والخوف والظلام»(٢).

وصدر سنة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٩م في تركيا قانون مدني على غرار قانون نوشاتيل المدني السويسرى فحرم تعدد الزوجات وقضى على الحجاب والحريم ونظرة الطلاق، وفي برهة وجيزة جعل من المرأة التركية شقيقة المرأة السويسرية وصنوها(٣).

فأصبحت المرأة التركية ترتدي أثواب السهرة العارية الكتفين والظهر كما لا تحجم عن ارتداء المايوه. . . وما من أحد يشكو من التفكك الخلقي» .

ومن مصر وتركيا امتد تأثير المعركة بالصحافة إلى البلاد العربية والإسلامية فيقول الشاعر العراقي جميل صدقي الزهاوي داعياً إلى خلع الحجاب(٤):

هزأوا بالبنات والأمهات	وأهانوا الزوجات والاخوات
هكذا المسلمون في كل صقع	حجبوا للجهالة المسلمات
إن هذا الحجاب في كل أرض	ضرر للفتيان والفتيات

وتأخرت الدعوة في الشام عن مصر حتى أن أول كتاب يتحدث عنها لم يصدر إلا سنة ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م بعد وفاة قاسم بعشرين سنة وهو الكتاب

---

(١) انظر مصر ورسالتها ص ٥١ ـ ٥٢.

(٢) الهلال عدد أول يناير ١٩٣٨م، ٢٩ شوال ١٣٥٦هـ ص ٢٦٨-٢٧٢ (مقال: بعد السفور. وانظر طعنه في الحديث الشريف: ما اجتمع رجل وامرأة إلا والشيطان ثالثهما، ولا عليه فهو نصراني ولكن اللوم كل اللوم على المسلمين/ انظر الاتجاهات الوطنية ج٢ ص٢٦١.

(٣) العلمانية ص ٦٤٢ عن الإسلام والغرب ص ١٨١.

(٤) العلمانية ص ٦٣٠/ عن ديوان الزهاوي ص ٣١٩.

الذي الفته ـ أو الف باسم ـ نظيرة زين الدين بعنوان «السفور والحجاب». وقد قرظه على عبد الرازق صاحب «الإسلام وأصول الحكم»[١].

وكتب الشيخ على الطنطاوي في مذكراته بعنوان:

امتهان الفضيلة يوم الاحتفال بالجلاء في سوريا[٢]: شهدت يوم الجلاء بنات السادسة عشرة وما فوقها يمشين في العرض بادية افخاذهن تهتز نهودهن في صدورهن تكاد تأكلهن النظرات الفاسقة... وشهدت بنتا جميلة زينت بأبهى الحلل والبست لباس عروس وركبت السيارة المكشوفة وسط الشباب. قالوا: انها رمز الوحدة العربية.

وأخذت صور هذا كله فنشرت في الجرائد وعرضت في السينمات، فازدادت جرأة الناس على نقض عرى الأخلاق، حتى رأينا صور ناس من كبارنا مع نسائهم عراة على البحر منشورة في المجلات. قالوا: انه يوم النصر يجوز فيه مالا يجوز في غيره...».

وكانت تونس أسبق بلاد المغرب إلى دعوة السفور فقد كتب الطاهر الحداد كتابه عام ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م: «امرأتنا في الشريعة والمجتمع» وفي الامكان أخذ نموذج لتأييد فكرته من المحاولة الفنية التي اشترك فيها محمود بيرم شاعراً وعلى الدعاجي راسماً. فقد قام الشاعر يؤرخ للمراحل التي قطعتها المرأة التونسية قبل أن تلقي الحجاب وذلك من ستة عشر بيتاً جسمت كل رباعية منها مرحلة من مراحل تطور الحجاب أبرز معانيها ووضحها على الدعاجي بأربعة رسوم ظهرت فيها المرأة في وضعيات متباينة[٣].

هذا وقد نشرت مجلة العربى في استطلاع لها عن تونس صورة للوحات الدعاية المنصوبة في الشوارع، فلوحة تمثل أسرة ترتدي الزي المحتشم وعليها إشارة (×) وأخرى تمثل أسرة متفرنجة متبرجة.

---

(١) العلمانية ص ٦٣٠.

(٢) من ذكريات الشيخ الطنطاوي / نشرت في مجلة الرسالة سنة ١٩٤٦م، الشرق الأوسط العدد ٢٣٤٠ ص ١٠ الخميس ٥ شعبان سنة ١٤٠٥هـ الموافق ٢٥/٤/١٩٨٥م

(٣) العلمانية ص ٦٣١ ـ ٦٣٢، انظر مجلة الفكر ـ تونس. ديسمبر ١٩٧٥م عدد خاص عن المرأة في عام المرأة.

والغريب أن القوانين التونسية تعاقب من يتزوج ثانية بالحلال وتبر ىء من يخادن بالحرام[1].

وفي المغرب الأقصى تمكن العهد الاستقلالي من أن يحقق في بضع سنوات ما لم يستطعه الاستعمار في عشرات السنين في هذا الميدان .

وفي الجزائر أوحت الثورة للنساء بالكفاح فخرجت العذارى المحاربات من بيوتهن ونزعن الحجاب لأول مرة منذ أن اعتنقت بلادهن الإسلام، وكذلك في فلسطين .

وبنجاح فكرة «تحرير المرأة» عمت الفوضى الاخلاقية العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه على تفاوت في ذلك وتولى الجيل الذي رباه المستعمرون تربية جيل جديد تقبل الانحلال وتآلفه، وحوربت أحكام الله على يد أبطال الاستقلال أكثر مما حوربت بأيدي المستعمرين ـ جيل (على حد تعبير الشيخ الغزالي[2]) يستحي من الانتساب للإسلام ويكره أن يُرى وهويقوم بشيءٍ من شعائره، يحب أن يراه الناس خارجاً من حانة ولا يحب أن يروه خارجاً من مسجد، ومن السهل عليه أن يوصف بأنه زنى بعشر نسوة لكنّ وجهه يسودّ لو قيل : تزوج من اثنتين، اما أن يفكر في تلاوة آيات من القرآن أويرجع إلى شيء من سنة رسول الله ﷺ فذلك لا يخطر له ببال .

وهكذا ظل الناعقون يصيحون في كل مكان ويسلكون كل اتجاه ـ فكرياً أم عملياً ـ حتى آل الأمر إلى الواقع المؤلم الذي عبر عنه أوفى تعبير جان بول رو بقوله :

«إن التأثير الغربي الذي يظهر في كل المجالات ويقلب رأساً على عقب المجتمع الإسلامي لا يبدو في جلاء أفضل مما يبدو في تحرير المرأة»[3].

والسلاح الفتاك الذي استخدم لتقويض المجتمعات الإسلامية ونقل الأوبئة الاجتماعية الغربية هو وسائل الاعلام من صحافة وإذاعة وسينما

---

(١) العلمانية ص ٦٤٣ .

(٢) كفاح دين ص ١٤٧ .

(٣) الإسلام في الغرب ص ١٧٨ .

وتلفـزيـون وفيـديـو. إلى جانب ذلـك يأتي التعليم المختلط والنوادي المختلطة والشـواطيء (البـلاجـات) المختلطة، وتأتي الأزياء الخليعة المستوردة من بيوت اليهود في الغرب وخاصة باريس. وتأتي موانع الحمل ووسائل الاجهاض، إلى جانب ذلـك يكـون الاختلاط الفاضح في دوائر الحكومة والمؤسسات وفي وسائل المواصلات وفي الشقق والمساكن وفي كل مكان في معظم اقطار العالم الإسلامي .

فقد افتتحت السينما الأولى بالقاهرة سنة ١٨٩٦م، ثم انتشرت في ارجاء العالم الإسلامي[١]، وافتتحت الخمارات في كل مكان حتى تغلغلت إلى الريف وفتحت دور البغـاء المـرخصـة من الحكومة في معظم العواصم الإسلامية، وتجرأ الناس على ارتكاب الموبقات والجهر بها باسم الحرية الشخصية[٢] .

وتحت مختلف دواعي المـدنيـة والـترفيه وأمثالها أدخل المستعمرون جيوشاً أخبث من جيـوش الاحتـلال العسكـرى وهي أنـواع من الممثلين والممثـلات وأمثـالهـا من البغـايـا والـراقصات وشجعوا إنشاء المسارح وفرق الغناء والتمثيل والمـراقص والمـلاهي المتنـوعـة، وكـانت الأجنبيـات أولاً ثم الـوطنيـات من غير المسلمات هن العنصـر الأسـاسي في هذا الغزو، فشجع ذلك المرأة المسلمة على السفور والتعري والاختلاط الماجن ثم التقليد في كل شيء. ولم يكن هذا تغييراً في القشـرة السطحيـة للمجتمع الإسلامي وانما كان زلزالاً رهيباً ومدمراً، ينسف بنيـان الأخـلاق من قواعـده، وكانت نتائجه غاية في السوء من شيوع الزنا والربا والمسكـرات والمخـدرات والتي أدت بدورهـا إلى تخريب إقتصادي بانتقال الثروة الـوطنيـة تبـاعـاً إلى أيدي الأعداء الأجانب من كل لون. وكان جزء كبير ينتقل إليهم عبر المراقص والخمارات وغانيات أوربا أو ساقطاتها[٣] .

---

(١) من الجدير بالذكر أن اليهود هيمنوا على الأوساط الفنية في مصر منذ زمن بعيد، فعائلة موصيري هي التي أسست شركة السينما عام ١٩١٥م باسم جوزي فيلم ومنذ عام ١٩٢٩م احتكرت هذه الشركة استيراد الأفلام الخام وبيعهـا وكـذلـك طبـع الـترجمة على الأفـلام الأجنبية التي كانت تستوردها، ثم توسعت الشركة بعد ذلك واقامت استوديو للانتاج السينمائى. (الإسلام والحركات الهدامة ـ معالي عبد الحميد حمودة ص٣٩)

(٢) الاتجاهات الوطنية ج ١ ص ٢٤٤ .

(٣) باشميل ـ اكذوبة الاشتراكية العربية ص ٢٠ .

ثم جاءت البلاد الإسلامية التي ادّعت الاشتراكية فأنشأت معسكرات الفتوة وزوّدت هذه المعسكرات بمجموعات ضخمة من الفتيات الجميلات قاموا بتجنيدهن خصيصاً إلى جانب الفتيان العزاب في هذه المعسكرات لإشاعة الانحلال والفساد بين الشباب.

وقد أفسح المجال عمداً للأقلام المسعورة والايعاز لها وتشجيعها بنشر التشكيك في الإسلام وكتابة البحوث والتحقيقات المختلفة التي تشيع البلبلة بين الطلبة والطالبات وتشجعهم على الانحلال والانفلات من قيود الفضيلة والتحفظ والاحتشام، وكذلك حطمت الاقلام الإسلامية وروقب أصحابها أو خدّر أصحابها بإرهابهم وتسليط حرب حامية عليهم من حروب الأعصاب. ثم الايعاز إلى الصحف السيارة المؤممة بأن لا تنشر لهم أي بحث مركز فيه تركيز على الدعوة الإسلامية ولهذا تجدها خالية تماماً من أي بحث إسلامي تستفيد منه الدعوة الإسلامية الصحيحة. ولا تجد فيها إلا من يروّج الإلحاد ويدعو للتحلل(١).

فلا عجب إذا سمعنا عن جرائم اجتماعية في العالم الإسلامي تضاهي تلك التي في أوربا وأمريكا من قتل واختطاف واغتصاب وتشرد. ولا عجب أن تنتشر الأمراض الاجتماعية الفتاكة الناشئة عن فقد كل من الجنسين خصائصه المميزة. وليس ما نشاهده من تخنث الرجال وترجل النساء إلا صورة من ذلك. ولا عجب أيضاً أن تتقوّض البيوت وتنهار الأسر ويصبح جنوح الأحداث مشكلة اجتماعية تعاني منها بلاد تسمى بلاداً إسلامية. ولا عجب أن نجد الروح الانهزامية الفارغة المحبة للتقليد والتي من أكبر مكونيها اعلامنا المرئي والمسموع والمكتوب.

إن التربية غير السليمة لا يمكن أن تنتج إلا جيلاً غير سليم، وهاهو الجيل المعاصر المنكود تتجاذبه الازدواجيات، والشهوات والشبهات وتمزقه التناقضات والغوايات وتغتاله النزوات المبهورة والاغراءات القاتلة، فلا يستطيع

---

(١) نفسه ص ٢٣.

لضعف عقيدته إلا أن يسلم نفسه ذليلاً لشياطين الجن والإنس ينهشون فكره وجسده ويلهبون ظهره بسياطهم حتى يسقط مشلولاً ممزقاً على مذبح الإباحية. فانتشرت ظاهرة تعاطي المخدرات بين الشباب هرباً من ـ مشاكل الحياة الذين تتراوح أعمارهم بين ١٨ ـ ٢٩ سنة، وازداد تعاطي الهيروين بعد الافيون والحشيش في مصر بشكل خاص[١] بعد عملية التطبيع مع الكيان الصهيوني بين أثرياء الطبقة الجديدة بعد سياسة الانفتاح، وفي أوساط الفنانين والفنانات ثم في أوساط طلاب الجامعة وأولاد الأثرياء وأعضاء النوادي المشهورة ـ فكثرت جرائم القتل والسرقة والتهريب[٢] واتخذت بيوت الفنانين والفنانات أوكاراً لتعاطيها وتوزيعها[٣].

وفي الخليج نشرت المسلمون تقريراً خطيراً عن انتشار المخدرات واستعمال الغراء بديلاً عن المخدرات في محاولات لهدم الكيان الجسدي للأمة بعد محاولات هدم الكيان الفكري لها[٤]. وكذلك العقاقير المنشطة والمهلوسة التي تأتي من أوربا[٥].

---

(١) انظر: الشرق الأوسط العدد ٢٣٤٠ ص ١٠ الخميس ١٩٨٥/٤/٢٥م ٥ شعبان سنة ١٤٠٥هـ.

بل ان الأدوية التي تصدرها الدوائر الأجنبية للبلاد الإسلامية تحوي مواد كيماوية تؤدي بمن يستعملها إلى الإدمان. فقد أذاع التلفزيون البريطاني ندوة عن كتاب أصدرته الدكتورة ديانا أستاذة الفارما كولوجي بكلية الطب في انجلترا بعنوان Bitter Pills أي الأقراص المرة. بينت فيه الدكتورة أن هذه الأدوية مصنوعة أساساً لتصديرها لشعوب العالم الثالث لتخديرهم وتأخيرهم...

ويشبه موقف شركات الأدوية شركات الانتاج الاستهلاكية كشركات الملابس والأطعمة والسجاير.

... ولننظر إلى الأدوية التي يزعمون انها تعيد الشباب أو تقوي الرجال. ٢٪ يستهلك في أوربا و٩٨٪ تستهلك في بلاد المسلمين!!. (الشرق الأوسط العدد ١٦٠١ الأحد ٤ رجب ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣/٤/١٧ ص ١٠

(٢) الشرق الأوسط ص ٢٠ الاثنين ٧ جمادى الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥/١/٢٨م

(٣) فعلى سبيل المثال قبض على ماجدة الخطيب وشقيقها لتعاطي المخدرات وتوزيعها. (الشرق الأوسط ص٢٠ الثلاثاء ٤ محرم ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥/١٠/٨م، والشرق الأوسط ص ٢٠ محاكمة ماجدة الخطيب الأربعاء ١ ربيع الأول ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥/١١/١٣م.

(٤) الشرق الأوسط ص ٧ الجمعة ١٩٨٥/٤/٢٦م.

(٥) الشرق الأوسط ص ٢٠ الاثنين ١٩٨٥/١/٢٨م.

وفي الـوقت الـذي تحرم فيـه اسرائيل بشدة المخدرات داخل المستوطنات تقوم بزراعتها وبيعها للعرب، فهي لها دور في مزارع المخدرات في جنوب وشمال لبنـان ودور في بيعـه وتـرويجـه وتهـريبـه، قال النائب العام المصري : «ان هناك مخططاً ارهـابيـاً لإفساد شباب مصر، ولذا يجب على الدولة أن تحسم هذا الأمر لأن السيـاح الاسـرائيليين يستغلون تطبيع العلاقات ويقومون بترويج هذه المواد السامة داخل البلاد»[1].

ورغم الانحـراف الـذي حصل للمجتمع الإسلامي في جميع أقطاره فقد بقي الإسـلام، وبقي علماؤه ينـيرون الطريق لهذا المجتمع المنحرف، وبالفعل بدأ العـد العكسي في طريق العـودة، فأصبحنـا نلمس هذه العـودة في الشبـاب والشـابـات بشكـل خاص وبـدأنـا نرى الحجـاب يعـود إلى بعض المسلمات. ودعـوات العـودة لا تفـتر ولا تهدأ رغم دواعي الانحـراف لأن الإسلام هو فطرة الإنسان السليمة[2].

---

(١) الشرق الأوسط ص ٢ ٢٦/١٠/١٩٨٥م (شجون عربية).

(٢) بين الله سبحـانـه وتعـالى معـالم السلوك الآدمي أو الـوضـع الـذي يجب على الإنسـان فعله بحكم هذه الأدمية، وعدم الاستجابة تخلّ بآدميته ويهبط به دركات بعضها دون بعض على قدر تخليه عن تلك الأوامر والنواهي حتى يلتحق بسـائـر الخـلائق الأخـرى التي تدب على وجه الأرض. قال تعالى : ﴿يابني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سؤآتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير، ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون﴾. (الاعراف: ٢٥).

فاللباس الذي يواري السوأة وفوقه الريش الذي يتجمل به الإنسان في لباس البدن أو في مقام الزينة والأثاث، كل ذلـك من أوضـاع بني آدم، كما أن من شأن أحـدهم أن يتجمـل بلباس التقوى يستر به عورة النفس والروح بعد ستره لسـوأة الجسـد والبـدن، ذلـك من آيـات الله في الخلق والتـدبير. أما النزع والتجريد وكشف السوآت فأوضاع شيطانية لا يصل إليها بنو آدم أو لا ينحدرون إليها إلا وقد أصاب الشيطان سوءة في نفوسهم وعقولهم. قال تعالى : ﴿إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾.

هذه الـولايـة توحي بعصـر سيـادة الشيطـان وطـاعته ونفاذ أمره. ونحن لا نشك أن الصرعات العقائدية التي تنطلق في ظل الجنس والمخـدرات والإبـاحيـة أو التي تطلق لها العنـان من عصـر الفرويدية التحررية حتى الآن، انها تعبد الشيطان بل أن بعض هذه الصرعات التي تعبده حقيقة تعيش في الوقت نفسه أحلام المخدرات وأوهام الجنس وفي مستنقعات العري والتكشف.

وجاء في الدعاء المأثور : «اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واختم بالصالحات آجالنا».

(من الشرق الأوسط ص ١٤ ـ حقيقة ورأي ـ د. عدنان زرزور ٢/١١/١٩٨٥م).



الفصل الثالث
واقع العالم الإسلامي من الناحية السياسية

تخلّى العرب والمسلمون عامة عن الدور المنوط بهم في قيادة البشرية وتوجيهها وهدايتها، فتداعت عليهم الأمم والشعوب لكي يظفر كل بما يريد وهم في جمود وضعف، ليس من بعده ضعف، ولقد بدأ الانحراف في تصرفات بعض الحكام المسلمين قديماً، غير أن نقض عروة الحكم لم يظهر إلا في العصر الحديث حين بلغ المسلمون قرارة الضعف وغاية التدهور، فقد كان الإسلام طيلة القرون السابقة أعمق في النفوس من أن يستبدل به أي منهج آخر، وكانت الجاهلية أحقر من أن تطاوله أو تطمع في أبنائه .

روى الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال : «لينقضنّ الإسلام عروة عروة فكلما انتقضت عروة يتشبث الناس بالتي تليها وأولهن نقضاً الحكم وآخرهن نقضاً الصلاة»[1] .

وقد أدرك الغربيون التي تولت حضارتهم قيادة الفكر البشري وتوجيه الحضارة الإنسانية أهمية الحكم في الإسلام فعملوا على ابعاد أحكامه وإلغاء الخلافة العقد الذي يجمع المسلمين ليتبعثروا بعد ذلك . كما أن خبراءهم لم يجمعوا في الشئون الإسلامية والعربية على شيء مثل اجماعهم على توقع الخطر من جانب الشعوب الإسلامية التي يرون مظاهر اتحادها وطلائع تكتلها حقيقة واقعة يصعب تجنبها، يجد القارىء هذا الإحساس واضحاً في كتاب «حاضر العالم الإسلامي» للوثروب ستودارد[2] . كما يجده في مقال الوزير الفرنسي المشهور هانوتو الذي ردّ عليه محمد عبده في مطلع القرن العشرين[3] . ويجده بشكل أكثر صراحة في كتاب إلى أين يتجه الإسلام الذي أشرف على نشره وجمع مواده المستشرق الانجليزي هـ. أ جب سنة ١٩٣٢م والذي اشترك في تحريره أساتذة متخصصون في الدراسات الإسلامية والشرقية من جامعات فرنسا

(١) المسند ج ٥ ص ٢٥١، والجامع الصغير ـ صحيح ـ.
(٢) انظر ص ٢١ ـ ٢٣ من حاضر العالم الإسلامي. وانظر ص ١٢-١٤ الجزء الأول.
(٣) الاتجاهات الوطنية ج ١ ص ٣٤٧ وما بعدها.

والمانيا وهولندا وانجلترا، وفيه يبرز عطف حكومات الاحتلال الغربية على كل مشاريع الحكومات الوطنية في الشرق الإسلامي والعربي منه خاصة التي من شأنها تقوية الشعوبية فيها وتعميق الخطوط التي تفرق بين هذه الأوطان الجديدة مثل الاهتمام بتدريس التاريخ القديم على الإسلام لتلاميذ المدارس وأخذهم بتقديسه، والاستعانة على ذلك بالأناشيد، ومثل خلق أعياد محلية غير الاعياد الدينية التي تلتقي قلوب المسلمين ومشاعرهم على الاحتفال به، ومثل العناية بتمييز كل من هذه البلاد بزي خاص ولاسيما غطاء الرأس - مما يترتب عليه تمييز كل منها بطابع خاص، بعد أن كانت تشترك في كثير من مظاهره[1]. كما قال مستر بلنت في كتابه «مستقبل الإسلام» بعد أن أبان أغراض حكومته الانجليزية وأمانيها في مستقبل الإسلام في فاتحة كتابه[2] :

لا تقنطوا فالدّر ينثر عقده ليعود أحسن في النظام واجملا

«أي أن هدم السلطنة العثمانية لا يضر بالمسلمين بل أن هذا العقد العثماني ينثر ليعود عقداً أحسن وأجمل. . . »

بقي العالم الإسلامي يمثل كتلة سياسية واحدة رغم ما أصابه من انحراف وجمود، ورغم ما أصابه من فرقة وتشتت، يتمسك بمفهوم الولاء والبراء الإسلامي، ويجمعه رمز الخلافة، والبيت الحرام. ويطلق على غير المسلمين الكفار، ولا يقبل الخضوع لهم، بل ويتحداهم رغم ضعفه وهوانه. وكانت قد إبتدأت فيه عوامل اليقظة الفعلية وكان من الممكن أن يستعيد ذاتيته ودوره في التوجيه العالمي وفي قيادة العالم عندما انبثقت من قلب الجزيرة العربية - منذ منتصف القرن الثامن عشر تقريباً (القرن الثاني عشر الهجري) - دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعيدة عن التحديات الخطيرة التي واجهها العالم الإسلامي كله من خلال النفوذ الأجنبي الزاحف وهذا ما أعطاها قوتها ومكّن لها وأتاح لها فرصة البقاء والتأثير كما زاد من قوتها وأثرها أنها انبعثت في مكان الدعوة الإسلامية، وأنها استهدفت كل المسلمين القادمين من مختلف انحاء العالم الإسلامي قاصدين بيت الله الحرام، ودعوتها إلى التوحيد أقوى علامات المقاومة

(١) انظر الاتجاهات الوطنية ص ١٤٠ - ١٤٢.

(٢) نفسه ج ١ ص ٢٥ / المسألة الشرقية لمصطفي كامل ص ١٩ - ٢٢.

للاستعمار والنفوذ الغربي والانحرافات في عالم الإسلام بحسبان أن الإسلام دعوة خالصة لا تقر بالعبودية إلا لله وحده متخطية جبرية التصوف والتواكل - وقد تحولت هذه الحركة إلى دولة عندما التقى الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالإمام محمد بن سعود في الدرعية وتعاهدا على نشر عقيدة التوحيد الخالصة وتطبيق شرع الله ومن ثم بدأ الجهاد في سبيل الله حتى عم التوحيد ربوع الجزيرة العربية وقد حرص الاستعمار على وأدها والقضاء عليها وحمل عليها الحملات وأوغر عليها صدر الدولة العثمانية التي رأت فيها خطراً عليها وعلى نفوذها، فتمكن محمد على باشا والى مصر من اسقاطها. ولكن الحركة لم تمت بل وسعت مداها وتأثر بها دعاة السلفية في الهند والعراق والشام ومصر والمغرب جميعاً، فكان من تلاميذها الألوسي الكبير في بغداد، وجمال الدين القاسمي في الشام وخير الدين في تونس وصديق حسن خان في بهوبال بالهند وأحمد بن عرفان الشهيد بالهند[1]. وهكذا سجلت الحركة يقظة إسلامية قبل قدوم نابليون بأكثر من ستين عاماً. وانبعثت منها السنوسية على يد محمد بن على السنوسي الذي تلقاها في مكة وكونت جيلاً قادراً على أن ينشر الإسلام في انحاء افريقيا ويشكل في الوقت نفسه كتائب للجهاد في سبيل الله في الجزائر وليبيا. وكان قد بدأ عمله الجادّ عام ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٢م بالبيضاء في الجبل الأخضر حتى توفي سنة ١٢٧٣هـ /١٨٥٦م. وبالدعوة السنوسية واصل الإسلام مدّه في افريقيا فأصبحت نواحي بحيرة تشاد مركزاً للإسلام في أواسط افريقيا ثم امتد عمل السنوسيين حتى بلغ النيجر الأدنى. وتأسست ممالك إسلامية مثل سلطنات رابح وأحمد وساموري.

حتى أن مسيو رودفر يرجن قال: «إن السنوسية هي المسئولة عن جميع أعمال المقاومة التي قامت ضد فرنسا في الجزائر وان السنوسية هي المدبرة لجميع نكبات فرنسا في الشمال الافريقي وفي السنغال... وهي العقبة في سبيل توسعنا الإقتصادي والسياسي داخل افريقيا وهي عائق في طريق أهدافنا في القارة الواقعة شمال خط الاستواء[2].

---

(١) الجندي - العالم الإسلامي والاستعمار ص ٢٥٥/ وانظر حاضر العالم الإسلامي. لوثروب.

(٢) نفسه ص ٢٦٣.

وقد تحولت الحركة كلياً إلى مقاومة عسكرية مسلحة عندما دخلت ايطاليا طرابلس الغرب عام ١٣٢٩هـ/١٩١١م.

كذلك برزت في السودان حركة ثالثة وهي حركة محمد أحمد ـ الحركة المهدية ـ وقامت حركته على الجهاد وتحرير مفهوم الإسلام من البدع والخرافات معاً، واستطاعت الحركة أن تواجه الحملات التي شنتها بريطانيا في ظل احتلال مصر (١٣٠٠ـ١٣١٦هـ/ ١٨٨٢ـ١٨٩٨م) وأن تسحق كل عمليات الغزو التي وجهت إليها[1].

وقد حاول المستعمر الغربي تشويه الحركات الإسلامية الثلاث وعمل على القضاء عليها جميعاً وعلى الحركات التي مثلها تقوم على أساس الإسلام في الحكم وتعلن الجهاد في وجه الغاصب. وعمد إلى إشاعة فكرة فصل الدين عن الحياة في العالم الإسلامي[2].

وقد ابتدأ الانحراف غير المقصود عن الحكم بالإسلام في جناحي العالم الإسلامي القويين ـ تركيا ومصر، من منطلق التخلص من جمود الفقه الإسلامي أمام التغيرات الحيوية الجديدة ومن توهم المسلمين بأن سبب تخلفهم هو عجزهم التنظيمي والإداري وان محاكاة أساليب الحياة الغربية جديرة بالقضاء على ذلك التخلف. وعلى هذا الأساس قامت الحركة المسماة حركة الإصلاح في جناحي العالم الإسلامي. ولمرونة المفهوم واتساعه صاحب حركة الإصلاح من سوء الفهم وغبش التصور مما أدّى آخر الأمر إلى سحق الشريعة الإسلامية باسم الإصلاح. فنشأت في تركيا حركة ثورية تطالب بالإصلاح الداخلي الذي تمثل في وضع حدّ لسلطة السلطان عبد الحميد المطلقة، وقد لمع اسم مدحت باشا[3] في حركة الإصلاح المرنة هذه فصمم على إيجاد دستور وفق الأحكام الغربية الصرفة بغية إرضاء الدول الأوروبية ليلقى الدعم والتأييد وذلك زمن السلطان عبد العزيز والسلطان مراد الخامس والسلطان عبد الحميد حيث تولى الصدارة

---

(١) الجندي ـ نفسه ص ٢٦٩ .

(٢) انظر ـ شكيب ارسلان في حاضر العالم الإسلامي ـ فصل عن قضية فصل الدين عن السياسة ج٣ ص ٣٥١ـ٣٦٤.

(٣) انظر على حسون (ولد مدحت عام ١٢٣٧هـ وتوفي عام ١٣٠١هـ في الطائف). ص١٦٣ .

في عهده تحت ضغط الدول الأوروبية ليفسح لهم المجال في نشر الأفكار الغربية فوضع دستوراً دعاه : قانون أساسي عام ١٢٩٤هـ استوحاه من الدستور البلجيكي ، فأصبح الدستور البلجيكي المعدل دستوراً للدولة الإسلامية العثمانية بعد أن كان الإسلام هو دستور الدولة . فلم ينفذه السلطان عبد الحميد ونفى مدحت باشا وقد ثبتت اتصالاته بالانجليز في وقت كان فيه دزرائيلي اليهودي رئيساً لوزراء بريطانيا . وأخذ عبد الحميد يدعم مركز الخلافة وتقوية الجامعة الإسلامية(١) . فقامت خلية جماعة الاتحاد والترقي في سلانيك كما سبق وان بيّنا التي عملت على اسقاط عبد الحميد واقصاء الشريعة الإسلامية من حكم تركيا ، ثم مصطفى كمال الذي قضى نهائياً على الشريعة الإسلامية في تركيا . وسار بتركيا مسيرة من يجعل الإسلام أجنبياً عن الحكومة التركية . وكان قادة حركة الإصلاح التركية من مختلف الميول والاتجاهات فضياء الدين وقع في يده كتاب ادمون ديمولان عن سر تقدم الانجليز السكسونيين ومن ثم اعتنق فكرة اللامركزية .

وأحمد رضا كان قد تعرف على اوغست كومت فاعتنق الوضعية إلى حدّ أنه اصر على تأريخ منشوراته بالتاريخ الخاص بالوضعيين وحذف التاريخ الهجري . وأمه نمساوية وأبوه كان يعرف باسم انجليزى على بك نظراً لميوله للانجليز وحبه لهم .

ونامق كمال كان وطنياً متأثراً بالنزعة القومية التي عاصرها أثناء إقامته في العواصم الأوروبية المختلفة(٢) :

واما مصطفى كمال فقد تمت صناعة بطولته بكل دقة والقى اليونان في البحر فكان على يديه انتهاء الخلافة واعلان العلمانية بل وصف الأمير شكيب أرسلان حكومته أنها : دولة مضادة للدين والحكومة البلشفية في روسيا سواء بسواء(٣) .

---

(١) نفسه ص ١٩٩ .

(٢) كشك ـ القومية والغزو الفكري ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣ .

(٣) حاضر العالم الإسلامي للوثروب ج٣ ص٣٥٨ .

والواقع أن مصطفى كمال قد خلق نموذجاً صارخاً للحكام في العالم الإسلامي بالتخلي عن أحكام الإسلام وكان لأسلوبه الاستبدادي الفذ[1]. أثره في سياسات من جاء بعده منهم. كما أنه أعطى الاستعمار الغربي والشيوعي مبرراً كافياً للقضاء على شريعة الإسلام.

أما في مصر :

فقد بدأ الانحراف عن الشريعة منذ زمن محمد على باشا. وفي عهد إسماعيل الذي كان هدفه الأكبر هو أن يجعل مصر قطعة من أوربا[2]. وأما في عهد الاحتلال البريطاني فقد لقي دعاة الإصلاح تشجيعاً من كرومر لأن هذا الإصلاح يحقق له هدفين :

فهو يشغل الرأي العام بما يُطرح على بساط البحث من مسائل وما يثار من مشاكل فينصرف عن الانسياق في تيار الكراهية للاحتلال الانجليزي.

ثم إن الإصلاح يدعم في الوقت نفسه حجة الاستعمار في أنه دائب على العمل لترقية مصر وإصلاحها. ولذلك أطلق كرومر حرية الصحافة في الكلام عن عيوب المجتمع ووسائل علاجه. ويساعد كرومر في دعوته عدد من النصارى بعضهم من الشام وبعضهم من مصر[3]. فأخذوا بمساعدة بعض العلماء والزعماء يعملون على حركة إلغاء الإسلام أو عزله عن شئون الحياة كلها.

وانشىء الحزب الوطنى الحر الذي نطقت باسمه جريدة المقطم الصريحة في ولائها للانجليز لا تستخفي ولا تداري[4]. وكذلك حزب الأمة الذي دعا إلى التحرر الفكري والتعاون مع الأوروبيين في كل مجالات الحياة ثقافياً وإقتصادياً وسياسياً وكان اللورد كرومر يسميهم حزب الشيخ محمد عبده ويعقد

---

(١) انظر أرمستر ونغ ـ الرجل الصنم.
(٢) الاتجاهات الوطنية ج ٢ ص ١٩٠.
(٣) الاتجاهات الوطنية ج ١ ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦.
(٤) نفسه ج ١ ص ٩٣.

عليهم الآمـال في مستقبـل مصر السياسي ويوصي ممثلي الاحتلال بأن يمنحوهم كل عون وتشجيع[1].

وكـان الانجليـز أيضـا يحتضنون في مصر كل مناهض للسلطان العثماني، وكـل معـارض للخديوي الذي يستمد وجوده الشرعي من ذلك السلطان وكل داع إلى الإصلاح الداخلي، لأنهم يريدون أن يضعفوا أثر العصبية الإسلامية في مستعمراتهم من ناحية، ولأنهم يريدون أن يشغلوا الناس عن التفكير في الجلاء[2]. فكانت سياستهم تدور حول خطتهم السياسية المشهورة : فرق تسد (Devide in order to conquer)[3].

وكانت بريطانيا عازمة على إلغاء الشريعة الإسلامية فوو تمكنها من البلاد غير أن كرومر رأى أن أفضل وسيلة لذلك هو تفريغ المحاكم الشرعية من محتواها بأن يتـولاهـا علماء : «ذوي طابـع تحرّري» تتم تربيتهم بإشرافه في معهد خاص لقضـاة الشـرع[4]. وأنشا مجلس شورى القوانين[5]. وأصبحت تشتد الدعوة في فصل السلطة الدينية عن السلطة المدنية أو فصل الدين عن الحياة وشئونها أسوة بأوربا[6]. واستغل كرومر صداقة الشيخ محمد عبده استغلالاً بشعاً مما دعا باحثاً أوربيا مثل جب لأن يقول : «. . . وهذا الرأي يعتبر لبنة في بناء الحركة المتمدنة أو خشبـة الخـلاص في حركة التحرر العلمانية»[7]. والواقع أن فتاوى محمد عبده وآراءه الجـريئـة جعلت أولئـك يعتـبر ونه من ركائز العلمانية في العالم الإسلامي، فقـد تجرأ على أضعـاف مفهـوم الـولاء والبراء، ودار الحرب ودار الإسلام، فقد أعلن جواز الاستعـانـة بالكفـار وأهـل البـدع والأهواء فيما ينفع المسلمين، حين استفتـاه بعض مسلمي الهنـد الـذين يدعـون إلى إنشـاء الجمعيات لتربية أيتام

---

(١) نفسه ج ١ ص ٩٥ .

(٢) نفسه ج ١ ص ١٠٨ .

(٣) نفسه ج ١ ص ١١٣ .

(٤) على غرار الكليـة التي أنشأتهـا النمسـا في سيراجيفو لتخريج القضاة الشرعيين كما ذكر الشيخ محمد عبده نفسه ج١ ص٣٤٧ .

(٥) انظر نفسه ج ١ ص ٢٦٥ .

(٦) نفسه ج ١ ص ٢٧٤ .

(٧) الاتجاهات الحديثة في الإسلام ص ٧٢ .

المسلمـين مستعينـين ببعض الأجـانب غير المسلمين[١]. فأوجد الشيخ بقصد أو بدون قصـد القـاعـدة التي ارتكـز عليهـا دعـاة الإصـلاح للتعلق بأذيال الغرب وإقصـاء الإسـلام عن توجيه الحياة. إذ ظلوا ينقضون الإسلام عروة عروة حتى أن المعـركـة بعـد ذلـك أصبحت تدور ضد قانون الأحوال الشخصية وهو البقية الضئيلة من آثار الشريعة الإسلامية.

هذا وقد عاصر الشيخ محمد عبده رجل آخر من دعاة الإصلاح في الشام هو عبد الرحمن الكواكبي (ت سنة ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م) وهو أول من نادى بفكرة فصـل الـدين عن الحيـاة بمفهـومهـا الأوربي الصريح فهو يقول في كتابه طبائع الاستبداد طبع سنة ١٣١٩هـ/١٩٠١م:

«ياقوم واعني بكم الناطقين بالضاد من غير المسلمين ادعوكم إلى تناسي الاسـاءات والأحقـاد، ومـا جنـاه الآباء والأجداد، فقد كفى ما فعل ذلك على أيـدي المثـيرين، واجلكم من أن تهتـدوا لوسـائـل الاتحـاد وأنتم المتنـورون السـابقـون. فبهـذه أمم اوستريا وأميركا قد هداها العلم لطرائق الاتحاد الوطني دون الـديني والـوفـاق الجنسي دون المذهبي والارتباط السياسي دون الإدارى. دعونا ندبر حياتنا الدنيا ونجعل الأديان تحكم الأخرى فقط، دعونا نجتمع على كلمات سواء: ألا وهي فلتحيـا الأمـة، فليحيـا الوطن، فلنحيا طلقاء اعزاء»[٢] وكان قد أصدر كتابه أم القرى سنة ١٣١٧هـ/١٨٩٩م وورد فيه آراء لم تخل من إشـارات مريبـة إلى موالاة الـدول المستعمـرة فقـد قال: «وكفتح أبواب حسن الطـاعـة للحكـومـات العادلة والاستفادة من إرشاداتها وإن كانت غير مسلمة، وسد أبواب الانقياد المطلق ولو لمثل عمر بن الخطاب»[٣].

واقتفى الأثـر عدد من الكتـاب والصحفيـين وغـيرهم يطـالبون بضرورة فصـل الـدين عن السيـاسة وابعاده عن واقع الحياة باعتباره الحل الوحيد لمشاكل الشرق، وكان لجهود المستشرقين ودسائس المبشرين أعظم الأثر في تحقيق ذلك.

---

(١) الاتجاهات - ص ٣٤٣ ويضيف الدكتور محمد محمد حسين بعد أن أصدر الفتوى مثل هذه الآراء قد تبدو في ظاهرها ولا بأس بها ولا غبار عليها بينما هي في حقيقة الأمر تدعو إلى مذهب التحرر...»

(٢) طبائع الاستبداد ص ١١٢ - ١١٣.

(٣) انظر كتاب أزمة العصر للدكتور محمد محمد حسين ص ١٨-٢٠ حول هذا الموضوع.

فتمكن المستعمرون عملياً من اقصاء الشريعة بل اسدال الستار على هذا الموضوع ، وزرعوا الأحزاب القومية والوطنية والاشتراكية المتباينة التي تتفق جميعها على شيء واحد هو عدم رفع شعار الإسلام أو الدعوة إلى تحكيمه .

وفي الوقت الذي أصبحت فيه مصر مؤهلة لقيادة العالم الإسلامي بعد سلخ تركيا عن الإسلام ، وكان الاستعمار يلمّ شعثه لمغادرتها ، ظهر كتاب علي عبد الرازق بوحي من المبشرين دعا فيه إلى فصل الدين عن الدولة بصراحة بأسلوب المستشرقين في تحوير الفكرة واقتطاع النصوص وتلفيق الواهيات وطريقة الباطنية في التأويل البعيد[1] ، كل ذلك ليدلل على أن الإسلام كالنصرانية علاقة روحية بين العبد والرب لا صلة لها بواقع الحياة .

وكان لكتابه آثار بعيدة فقد ترجم إلى اللغات الأجنبية وأصبح مرجعاً معتمداً للدراسات الإسلامية في الغرب . وظهرت كتاباتهم متأثرة به ، وهلّل له سماسرة الاستعمار من الكتاب والصحفيين باعتبار مؤلفه عالماً متحرراً متنوّراً ، ووضعه البعض على رأس مرحلة فكرية عصرية . في حين ووجه بمعارضة شديدة من المسلمين المخلصين[2] .

وقد وجدت الأحزاب السياسية في كتابه ضالتها المنشودة فلم تعد تتحرج من اعلان انتمائها للاتجاهات السياسية اللا دينية شرقيها وغربيها وبراءتها من الدين والمتدينين . وقد حاصرت الدوائر الاستعمارية الكتب التي ردّت عليه واهملتها وسائل الاعلام حتى لم يكد يظهر لها صدى عند غير القلة المخلصة .

ومن بين الكتاب الذين ساروا على هذا الطريق خالد محمد خالد في كتابه : «من هنا نبدأ» هدف فيه إلى ما قصده الشيخ علي من قبل ولكن بأسلوب أذكى وأحدث[3] .

---

(١) العلمانية - سفر - ص ٥٨٢ .

(٢) انظر الاتجاهات الوطنية ج ٢ ص ٨٥ - ٩٥/ وقد حوكم علي عبد الرازق أمام هيئة كبار العلماء فأصدرت حكمها في ٢٢ المحرم سنة ١٣٤٤هـ/ ١٢ أغسطس سنة ١٩٢٥م بإخراج الشيخ أحد علماء الأزهر من زمرة العلماء) .

(٣) انظر ردّ الشيخ الغزالي عليه في كتابه : «من هنا نعلم» .

ثم ظهرت أفكار كثيرة تبرر انتهاج الطرائق الغربية في الحكم واسهمت وسائل الاعلام ـ لاسيما الصحافة ـ في نشر وتعميم تلك الأفكار حتى استحكمت غربة الشريعة وخفت صوت المكافحين عنها، بل أصبح ـ في نظر الغالبية العظمى ـ رمزاً للرجعية والتأخر وسط ضجيج الدعوة إلى الإصلاح والتجديد وصخب الشعارات التي رفعتها الأحزاب القومية والوطنية والإقليمية والاشتراكية المتصارعة، فانسحب الإسلام من الحياة السياسية ليتخبط العالم الإسلامي وهيئاته السياسية في تجارب حكم جديدة، وترتب على ذلك انسحابه من ميادين الحياة الإقتصادية تماماً وسيادة المبادىء الرأسمالية والاشتراكية المتصارعة، كما انسحب تدريجياً من الحياة الاجتماعية كما سبق، وانزوى في ركن واحد من العالم الإسلامي هو منبعه الأصلي في جزء من شبه الجزيرة العربية، وغدت الأمة ضائعة تبحث عن ذاتها شاردة لا تدري إلى أين تسير كما أصبحت حقلاً للتجارب الفكرية الوضعية. وضاعت أصوات دعاة الإسلام وسط هذا الضجيج وحوربوا وطوردوا وضيّق عليهم بمختلف الأساليب، ولكن العدّ العكسي بدأ فأخذ كثير من اقطار العالم الإسلامي يتلمس طريقه نحو الإسلام بعد أن قطع أشواطاً في الضلال. ورحلة العودة هذه مملوءة بالصعاب تحتاج لعزائم الرجال والدعاة لشدة التغيرات التي أصابت المسلمين في مختلف ميادين حياتهم وغربتهم عن الإسلام وعن شريعة الإسلام. مما جعل جب يقول:

«... وكان طبيعياً أن يبقى الإسلام... وقد يكون الدين الرسمي للدولة ولكنه سليب الحقوق التشريعية، ونزل إلى مكانة الديانة المسيحية في الدول الأوروبية، وقد اختلف تطبيق هذا المبدأ بطبيعة الحال وفق ظروف كل إقليم»[1].

ونرى لزاما علينا أن نلخص آثار الاستعمار السياسية في العالم الإسلامي لتتضح صورة الواقع السياسي لبلاد الإسلام:

---

(١) وجهة الإسلام ص ٥١/ وانظر باشميل ـ اكذوبة الاشتراكية العربية ص ١٩-٢٣ في العمل لإقصاء الشريعة الإسلامية.

فقد خطا المسلمون خطوات واسعة في سبيل التحرر من الاستعمار وأفسدوا حلمه في البقاء الطويل، فاندلعت ثورات في الهند واندونيسيا ومصر والجزائر والمغرب وليبيا والسودان والتركستان والقوقاز واقطار افريقية الإسلامية فعمد الاستعمار إلى اساليبه المختلفة في إبقاء آثاره والحيلولة دون لقاء المسلمين ووحدتهم، فيثبت أوضاع المسلمين بعد رحيل الاستعمار كما هي بل وأشد انحرافاً عن منهج الإسلام وشريعته. ومن هذه الآثار التي تركها :

١ ـ اقتسم المستعمرون العالم الإسلامي فمزقوا وصلاته بين بريطانيا وفرنسا وايطاليا وروسيا وهولندة واسبانيا والبرتغال، وقد ترك كل منهم بصماته في الأقاليم التي تركها .

٢ ـ انتزع المستعمرون أقساماً من العالم الإسلامي وسلموها لغير المسلمين مثل فلسطين، واريتريا وصومال انفدي والصومال الغربي وقبرص ولبنان وكثير من الاقطار الإسلامية الواسعة داخل الاتحاد السوفييتي وأوربا الشرقية .

٣ ـ جزأ الاستعمار العالم الإسلامي واقام الحدود المصطنعة وأبقى لكل قطر مشكلة مع جيرانه بعد رحيله ليحول بين المسلمين والتعاون فيما بينهم ولن تعوزنا الأمثلة لذلك : الصومال مع جيرانه، العراق وإيران، سوريا وتركيا، مصر وليبيا، السودان وجيرانها التسع، المغرب والجزائر وتونس وموريتانيا، تنزانيا، نيجيريا، اندونيسيا وماليزيا، الهند وباكستان ثم بنغلادش والهند، كشمير، اليمن الشمالي والجنوبي وعمان، ومشكلة كل قطر مع الآخر مستعصية، لا يحلها إلا الإسلام الذي اقصي عن الساحة .

٤ ـ عمل الاستعمار على نشر لغته وتاريخه وعاداته في بلاد الإسلام وحارب اللغة العربية والثقافة الإسلامية، وشوه تاريخ الإسلام ليؤكد الطابع الإقليمي والوطني لكل قطر وليحول دون لقاء المسلمين .

٥ ـ عمل على نشر الحكم الفاسد في بلاد المسلمين، فحصر الوظائف في أيدي أعوانه وممثليه، وأشاع روح الفرقة بين أبناء البلد الواحد فعملوا على

الفصل بين العرب والمسلمين، وبين الترك والعرب وبين المسلمين والنصارى في بلاد الشام ومصر، وبين المسلمين والهندوس في الهند، وأثاروا الخلافات واستغلوها بين أهل السنة والشيعة. والعرب والبربر، وجمّد الاستعمار المجتمعات البدوية، وجمّد القبليات وحرص على عدم انصهارها في المجتمعات الكبرى، بل فرّق بين الريف والمدن والبادية، وخلق المشكلة الطائفية وغذاها وفرضها لتكون أداة سياسية له كما في لبنان وغيرها. وفتح أبواب التبشير للارساليات الاجنبية وساندها وضمن لها حرية الحركة والتمويل - ففي افريقيا وحدها يوجد مئة ألف مبشر ومبشرة بالإضافة إلى ما لهؤلاء من مدارس ومؤسسات ومستوصفات وصحف وغير ذلك[1]. وسهل الاستعمار استيراد أقليات دينية غريبة من الأرمن والأشوريين والنساطرة في المشرق العربي، واستقدم أجناسا غريبة من ملطيين ويونانيين ويهود في أقطار أخرى.

٦ - شجع الأحزاب القومية والوطنية والطائفية والإلحادية التي عملت على تمزيق البلاد بتناحرها وولائها للأجنبي، لتخدمه وتخدم مصالحه. واصطنع الزعماء في كل قطر إسلامي، وسرق الثورات وزرع الخوف في نفوس كثير من المسلمين. وجاءت أمريكا - الولايات المتحدة الامريكية - وروسيا لترث الاستعمار - فوضعت خطة سميت لعبة الأمم وتعني النشاط الذي بدأته وزارة الخارجية الامريكية في واشنطن بغية وضع المخططات المناسبة لبسط النفوذ الامريكي على بلاد العالم عن طريق السياسة والخداع بدل اللجوء إلى الحرب المسلحة، وبذلك يقترب المعنى من: التخطيط السياسي للصراع على مناطق النفوذ في العالم عن طريق الحرب الباردة[2].

يقول وزير المستعمرات البريطاني عام ١٩٣٨م:

«إن الحرب علمتنا أن الوحدة الإسلامية هي الخطر الأعظم الذي ينبغي أن نحذره ونحاربه، وليست انجلترا وحدها هي التي تلتزم بذلك، بل فرنسا أيضا...

(١) إحسان حقي - المسلمون أمام التحدي العالمي ص ١٣.
(٢) انظر - مايلز كوبلاند - لعبة الأمم - تعريف المترجم للعبة الأمم (ص ٦).

إن سياستنا تهدف دائماً إلى منع الوحدة الإسلامية أو التضامن الإسلامي، ويجب أن تبقى هذه السياسة كذلك .

إننا في السودان ونيجيريا ومصر ودول إسلامية أخرى ـ شجعنا وكنا على صواب ـ نمو القوميات المحلية، فهي اقل خطراً من الوحدة الإسلامية أو التضامن الإسلامي[1].

وأسفرت هذه الآثار عن إقصاء الشريعة الإسلامية عن ميدان الحكم في العالم الإسلامي وأصبح عدد دوله التي ظهرت بعد سقوط الخلافة العثمانية كبيراً[2]، وجميعها تعد من دول العالم الثالث الموصوف بالضعف والتخلف، وتقع هذه الدول في قارتي آسيا وافريقية ودولة واحدة في أوربا هي البانيا، هذا عدا عن الأقاليم الواسعة التي لا تزال ترزح تحت الاحتلال الأجنبي في الاتحاد السوفييتي وفلسطين وغيرها، والدول التي لا يشكل المسلمون فيها اغلبية تزيد على ٥٠٪ وقد اثبتنا ذلك فيما سبق وبيّنا أسماء هذه الدول والبلدان عندما بحثنا العالم الإسلامي فارجع إليه .

هذا وتتصف معظم الدول الإسلامية الحالية بالتبعية السياسية في مجال الحكم والإقتصاد والفكر، وهذا ما يجعل أوضاعها غير مستقرة وعرضة لأطماع المعسكر الشرقي والغربي على حدّ سواء، كما اتصفت بالعجز في مواجهة التحديات العنيفة التي يواجهها من الصليبية والصهيونية في البلاد العربية وافريقيا، والهندوسية في شبه القارة الهندية والشيوعية في تركستان والصين وأفغانستان، وسنعطي تفاصيل ذلك عند تعرضنا للقضايا الإسلامية المعاصرة إن شاء الله .

---

(١) من كتاب هموم داعية للشيخ محمد الغزالي.

(٢) وقد انشرحت صدور اعداء الإسلام لهذه التقسيمات واعتبروا التقسيم السياسي الذي طرأ على الإسلام بأنه سيمهد السبل لأعمال المدنية الأوروبية (أي عملية التغريب) فقالوا: «إذ من المحقق ان الإسلام يضمحل من الوجهة السياسية وسوف لا يمضي غير زمن قصير حتى يكون الإسلام في حكم مدينة محاطة بالأسلاك الأوروبية» (انظر الغارة على العالم الإسلامي ص ٩-١٠).



الفصل الرابع
واقع العالم الإسلامي في الناحية الاقتصادية

قام الإسلام في حلّ جميع مسائل الحياة على الفطرة، فلم يهمل جانباً من جوانبها ولا تجاهل حقيقة من حقائقها، فاقر في المسائل الإقتصادية للحياة الإنسانية جميع الأصول الفطرية التي قام عليها صرح إقتصادي إنساني ثابت لا تحتاج إلى تعديل فضمن حماية حياة الإنسان كل إنسان بنظام من التآخي يمقت الطفيلية والنهب في إطار من الأفكار والثقافة المستوحاة من صميم العقيدة الإسلامية التي تعدّ العمل الإقتصادي حفظاً للحياة[1]، وللنوع الإنساني. فقام الاقتصاد الإسلامي على أصول منها :

ـ إن المال كله لله والبشر مستخلفون فيه .

ـ وجوب تأمين الضروريات لكل فرد من مأكل وملبس ومسكن .

ـ تحريم أكل أموال الناس بالباطل في أي صورة من الصور كالرشوة والسرقة والغبن .

ـ تحريم الربا وأحل الإسلام محله القرض الحسن. واعتبر المرابي عدواً محارباً لله ورسوله لأنه يستغل حاجة الآخرين فيتحكم فيهم ويزرع بذور الحقد بين الناس[2] .

ـ تحريم الاحتكار والجشع والاستغلال والمكوس .

ـ النهي عن أن يكون المال دولة بين الاغنياء، فحارب الطبقية من أي نوع، ورمى إلى إقامة عدالة اجتماعية تخلو من الحقد والظلم. فهو لا يسعى لإفقار الغني بل يأخذ بيد الفقير ويرتفع به إلى مستوىً لائق من العيش ومن هنا يسود المجتمع الحب والتآلف بين الغني والفقير لا الصراع والحقد[3] .

---

(١) انظر مالك بن نبي ـ مفكراً إصلاحياً ص ٢٣٥ .

(٢) انظر ـ أبو الأعلى المودودي ـ الربا ص ٤٠ ـ ٤٥ .

(٣) كما في الأفكار الاشتراكية ـ فكرة صراع الطبقات ـ التي تولد الحقد الدائم بين الناس .

ـ الحث على الإنفاق ووجوبه إذا اقتضت الضرورة.

كما قرر الإسلام الحجر على السفهاء الذين يبذرون أموالهم في الوجوه غير المشروعة. فعلى الإنسان أن يحسن الخلافة في المال.

ـ كما قرر الإرث والوصية لتفتيت الثروة وعدم تجميعها في أيدي أناس معدودين[1].

ـ ولم يفصل الإسلام الحياة الإقتصادية عن الحياة الدينية والخلقية التي شرعها للناس، فإن الإنسان خلق لعبادة الله، وان ما في الأرض من ثمرات خلق ليكون معونة له على تلك العبادة، فالمسلم ينظر إلى كل شيء حوله من خلال شغله برسالته، فالله مورد حياته، ومصدر خيره وعونه، والناس إخوته يعنيهم من أمر رسالتهم مثل ما يعنيه، ويتنافسون فيها فلا يزيدهم التنافس إلا فرحاً وتعاوناً وألفة ومحبة. والمال إلى جانب ذلك فضله ليس هدفاً ولا غاية. ولا مجال له في نفوسهم المشغولة بغرضها إلا مجال الضرورة... وفي هذا يقول الإمام ابن تيمية: «إن الأصل أن الله تعالى إنما خلق المال اعانة على عبادته لأنه إنما خلق الخلق لعبادته»[2]، ولذلك فحياة المسلم وحدة كاملة متوازنة، فحسم الإسلام الشر بحذافيره واجتث نوابت الفساد من أصولها في نفسية المسلم.

ـ وحث الإسلام على السعي في طلب الرزق وأباح الملكية الفردية وبيّن الحلال والحرام ـ والفردية أحد عناصر التقويم الروحي الذي أريد لنفس الإنسان ليكون لكل فرد إحساسه الذاتي بالتكليف الذي القي على عموم الناس بعمارة الأرض ولتكون مسئوليته الخاصة عن ذلك التكليف. وحظر على المسلم الخبائث فحرم الخمر وأنواع المسكرات والمخدرات وسائر المنكرات والفواحش ولم يقتصر على تحريمها فقط بل حرم كذلك صناعتها وإعدادها والاتجار بها بيعاً وشراء... ولم يعد الإسلام البغاء مهنة ولا الرقص حرفة ولا الغناء من وسائل الكسب والمال الذي يأتي من هذه السبل لا يعد مالاً حلالاً بل

---

(١) وهذا يخالف الإرث الرأسمالي (والوصية) الذي يركز الثروة في أيدي عدد محدود من الناس.

(٢) السياسة الشرعية ص ٤٠/ وانظر الثروة في ظل الإسلام ـ البهي الخولي ص ٧٢ فما بعد.

جميع المكاسب التي تدر الربح على بعض الناس وتضر بالآخرين أو بالمجتمع البشري كالرشوة والسرقة والميسر وصنوف المقامرة وجميع المعاملات التي يخالطها الغبن والغش - يراها الإسلام جرائم يعاقب عليها. وهو يحرم احتكار الحبوب والأغذية والأمتعة التي تعد من حاجيات الناس ويمنع حبسها طمعاً في ارتفاع الأسعار فيفضي ذلك إلى الأزمات والضنك في المعايش، كما حرم طرق الكسب التي تفضي إلى النزاع والتخاصم أو التي يتعلق الربح والخسارة فيها بالحظوظ المجهولة، وليس للسعي فيها نصيب أو لا تكون بين المتبايعين بها أو المتعاقدين عليها حدود معلومة أو حقوق واضحة مرسومة. وبذلك لم يدع الإسلام الملكية الفردية حرة طليقة(١).

ولم يبيّن الإسلام بعد ذلك أسلوب الخطط الإقتصادية وضمان تحقيق هذه الأصول وكيفية التعامل المباح بين المؤسسات العامة والخاصة واشراف الدولة أو سيطرتها على الانتاج أو التجارة وما أشبه ذلك. فهي موكولة إلى اجتهاد ذوي الاختصاص من الأمة في حدود تلك الأصول التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان، فقد ترك الإسلام كما هو شأنه في كل ما يعرض له من الأمور البشرية - للفكر الإنساني وللجهود البشرية أن تبتكر في كل عصر ما يلزمها لتحقيق مصالحها.

والمال الذي يمتلكه المسلم يتصرف فيه صاحبه بطرق ثلاث:

- فإما أن يستهلكه في مرافق الحلال لا في الشهوات والسرف في الترف، فقد اشترط الإسلام الاعتدال والتوسط في المعيشة ولم يحل بين الإنسان وبين أن يعيش عيشة طيبة معتدلة. قال تعالى:

﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً﴾(٢).

---

(١) انظر الثروة في ظل الإسلام - البهي الخولي - ص ٧٧ - ٧٩.

(٢) سورة الاسراء الآية ٢٩.

وقال جلّ وعلا في صفات المؤمنين : **﴿والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾**(١) .

ـ وإما أن يستعمله في تجارة أو صناعة تعود عليه بالربح الحلال .

ـ وإما أن يدخره ـ والإسلام يكره كنز الأموال وإدخار الغني مالا يحتاج إليه في نفقاته ، ومن أراد أن يدخر فعليه الزكاة ٥ , ٢٪ سنويا ليوزع على الأصناف الثمانية الذين ذكرهم الله سبحانه وتعالى في الآية :

﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله﴾(٢) . وهذا حق وليس منّة . قال تعالى :

﴿والذين في أموالهم حق معلوم ، للسائل والمحروم﴾(٣) .

بمعنى آخر نرى الإسلام يبعد كل البعد عن النظام الرأسمالي الفردي الذي يعطي حرية العمل والكسب بأي وسيلة كانت . والحرية المطلقة في التصرف بالمال . وبعيد جداً من النظام الشيوعي والاشتراكي الذي يجعل الفرد سناً في دولاب لا أهمية له ولا اعتبار ، ويلغي ملكيته الفردية . إذ يضع الإسلام تصوراً إقتصادياً يقوم على أساس الكسب المشروع والانفاق المشروع ، ويوجه طرق الكسب وطرق الانفاق لما فيه صالح الجميع ، ويكون دور القائمين على شئون الإقتصاد دور الجامع الموزع لا المحتكرين الذين يقتصرون في الإنفاق على شهواتهم الخاصة .

وفي عهد جمود المسلمين تخلف نظامهم الإقتصادي كتخلفهم في جميع المجالات فكان الفقر والمرض والأمية والجهل متفشياً ، والتواكل باسم القناعة منتشراً ولكن بقيت فكرة التكافل الاجتماعي في المجتمع الإسلامي فكان الفقر والقناعة والايثار كل ذلك يجتمع في المجتمع الإسلامي المتخلف . ولم تنل

---

(١) سورة الفرقان الآية ٦٧ .

(٢) سورة التوبة الآية ٦٠ .

(٣) سورة المعارج الآية ٢٤ .

المصالح العامة شيئاً من الانفاق ومن ذلك أهمال العناية بالري والزراعة فكثرت الفيضانات، واهملت الطرق وشئون الأمن، فاستغل العيارون واللصوص الفرصة وشاركوا في نهب المحلات التجارية والبيوت وقام الأعراب بغارات على الريف ونهبوا المحاصيل، وتربصوا بقوافل الحجاج والتجارة، فعانى المسلمون فقدان الأمن والجوع وانتشرت الأوبئة، وخاصة بعد أن تغيرت طرق التجارة عن بلاد الإسلام .

وفي ظل هذه الأوضاع المتخلفة تمكن الاستعمار الغربي أن يبسط سلطانه على بلاد الإسلام ففرض نظامه الإقتصادي مع فلسفته ونظرياته الإقتصادية حتى لم تعد أبواب الرزق لتفتح إلا لمن يختار مبادىء هذا النظام الإقتصادي، فأكل المسلمون السحت أولاً، ثم محا من أذهانهم ما كان فيها من تمييز بين الحلال والحرام، وبلغ الأمر أنه لم يعد كثير من المسلمين يسلمون بتعاليم الإسلام حتى حرم فيها كثيراً من الطرق المشروعة أحلها نظام الغرب الصليبي الاقتصادي أو النظام الاشتراكي الشيوعي .

ومن أهم الآثار الاقتصادية التي خلفها الاستعمار في العالم الإسلامي في النواحي الاقتصادية وتركت بصماتها على الواقع الإقتصادي المعاصر :

١ ـ وجه الاستعمار موارد البلاد الإسلامية إلى مصالحه الخاصة، فشجع رؤوس الأموال الأجنبية على غزو البلاد واستثمار خيراتها، وأصبحت معظم الشركات أجنبية تدار لمصالح استعمارية، فقد أقام المؤسسات الاقتصادية والبنوك لتوظيف ذهب أوربا الذي طفحت به خزائن بنوكها في أواخر القرن التاسع عشر، وفتح الأسواق لمصنوعاتها ومنتجاتها وخاصة الاستهلاكية والترفيهية والكمالية، فأصبح لأفراد العالم الإسلامي ولع خاص بالاستهلاك التفاخري، ولهم جرأة عجيبة على الانفاق الاستهلاكي والتطرف فيه، وهذه نقطة قاتلة لإقتصاد المسلمين. ثم عمد الاستعمار إلى إقراض الأمراء والحكومات للسيطرة عليها وتكبيلها بالنفوذ الغربي وإيقاع ذوي اليسار في الديون للاستيلاء على أملاكهم وتحويل مختلف الأراضي والتجارات والأموال إلى البنوك الأجنبية .

٢ ـ احتكر الاستعمار التجارة الخارجية للبلاد الإسلامية ومعظم التجارة الداخلية، وعمد إلى توطن الأوروبيين في البلاد الإسلامية عن طريق التجارة كما فعل في الجزائر والهند واندونيسيا وافريقيا وتركستان، واوفد إلى البلاد العربية خاصة مئات الألوف من الأوروبيين ومعظمهم من اليهود فاستوطنوا فيها وتحكموا في اقتصادها وخاصة في أقطار المغرب العربي.

٣ ـ اتجه الاستعمار إلى محاربة الصناعة الوطنية في العالم الإسلامي ليضمن استمرار تبعية البلاد الإسلامية له إقتصادياً كما تتبعه عسكرياً أو سياسياً، وليضمن تصريف منتجات مصانعه فيها، واكتفى بتوجيه المسلمين إلى الاشتغال بالزراعة، زاعماً أن الصناعة تتطلب قدرة فنية لم يصلوا إلى درجتها بعد. وفي الزراعة شجع حاصلات معينة واحتكر تجارتها مثل القطن في مصر والسودان، والتمر في العراق، وزيت الزيتون في تونس والمغرب، والمطاط في اندونيسيا وماليزيا وزيت النخيل في نيجيريا والعنب في الجزائر وعمل على إقراض الفلاح بالربا الفاحش وجند المرابين والصيارفة وأصحاب الخمارات في مختلف القرى لسلب الأهالي. وهذا أيضا أدى إلى اعتماد البلاد الإسلامية على نمط وسلع وخدمات السوق الأوروبي والأمريكي وعدم القدرة إلى التحول عنها إلى غيرها. وهذا يجعلها تشتري السلعة بأي سعر. الأمر الذي استنزف الفوائض المالية الإسلامية نتيجة اقدام الغرب اقداماً متعمداً على زيادة اسعار صادراته بأكثر من زيادة اسعار النفط.

٤ ـ احتكر ثروات العالم الإسلامي المعدنية وبخاصة البترول[1] من البلاد العربية ونيجيريا واندونيسيا واذربيجان وايران، والقصدير من ماليزيا واندونيسيا ونيجيريا، والحديد في الجزائر وموريتانيا، والنحاس في بلاد القازاق. وقد ذهب المستعمر ولكن بقي استخراج معظم المعادن بيد الشركات الاستعمارية وفائدة ذلك تعود للمستعمر، إذ تنقل الفلزات إلى بلاده وتقوم صناعتها على أرضه أما البلاد التي انتجته وهي بحاجة إليه والأيدي التي عملت على

(١) وتمتد هذه الشركات كالأخطبوط في جسد العالم الإسلامي. فقد أعلنت شركة ستاندارد اوبل رابع الشركات البترولية الامريكية أنها حققت أرباحاً صافية قياسية تقدر بـ ٢,١٨ مليار دولار عام ١٩٨٤م مقابل ١,٨٦ مليار عام ١٩٨٣م. (الشرق الأوسط ص٥ الأربعاء ٢٣/١/١٩٨٥م).

استخراجه تتلقف صناعته وتأخذها بأسعار مرتفعة أو تتوق إليه ولا تستطيع شراءه .

٥ ـ شجع الاستعمار نظام الإقطاع الزراعي والطبقية وحرم السواد الأعظم من المسلمين أن يعيش في مستوى لائق لذا شاع الفقر والبؤس والتخلف والمرض في عالم الخيرات الوفيرة والموارد الكثيرة فأفقر دول العالم مسلمة حاليا ـ وإليك بعض الأرقام المذهلة (من كتاب الحرمان والتخلف في ديار المسلمين للدكتور نبيل صبحى الطويل)[١]

البلد		نسبة الفقر من السكان
نيجيريا		٥١٪
الصومال		٧٠٪
غانا	أكثر من	٥٠٪
سيراليون		٥٥٪
تنزانيا		٦٥٪
كينيا		٤٠٪
مصر		٢٨٪
اندونيسيا		٨٠٪
ماليزيا		٥٥٪
بنغلادش		٧٤٪[٢]
الهند		٥٦٪
الفلبين		٥٩٪
ايران		٣٨٪

(١) ص ٣٠ .

(٢) يقول : ان أكثر من نصف سكان بنغلادش البالغ عددهم ٩٢ مليونا من البشر يعيشون دون مستوى الكفاف ، وتنقل وكالة رويتر للأنباء ان عشرة بالمائة من سكان العاصمة داكا والبالغ عددهم ٢,٥ مليون نسمة هم من الشحاذين الذين يسهمون بنصيب في الجريمة والدعارة وتمثل النساء ٣٤٪ منهم وتتراوح أعمار ١٢٪ منهن بين ١٢-١٧ سنة (ص٢٧) .

هذا عدا البلاد المعدومة في منطقة حزام الجفاف الشديد من الرأس الأخضر غربا إلى الصومال شرقاً وهي جزر الرأس الأخضر، غمبية، مالى، النيجر، فولتا العليا، تشاد، موريتانيا، غينيا، غينيه بيساو، نيجيريا، الصومال، السودان، الحبشة، وكلها دول مسلمة معدمة(١)

وبالطبع فإن المرض يلازم الفقر ويزيد الفقير فقرا وجهلا وانحدارا في الأخلاق وتحللا من القيم ولقد أدرك المنصرون هذه الحقائق منذ زمن بعيد واتقنوا اللعبة وتفننوا في استغلال الضعف البشرى الظاهر في كثير من ديار الإسلام وحولوا عن طريقه اعدادا كبيرة عن دينهم .

«يذكر تقرير حديث من اندونيسيا انه خلال العقدين الأخيرين أي خلال عشرين عاما فقط ـ أنشأت الأقلية النصرانية هناك من المستشفيات ما فاق في عدده مؤسسات الأغلبية الساحقة من المسلمين، حتى ان جمعية الانجيل الثانية اعلنت عام ١٩٧٦م عن تنصير ٤٠٠,٠٠٠ شخص، وتلا ذلك نبأ وكالة اليونايتد برس أن ٣,٥ مليونا من المسلمين قد تنصروا خلال ثلاث سنوات .

وعمدت الجمعيات الاجنبية إلى استغلال هذا البؤس فتبنى الخواجا أندريه سابيه البلجيكي ٣٠٩٠٣ من أطفال المسلمين الصوماليين. ونشط جلب الصغار من افريقيا إلى الغرب وتعليمهم وتدريبهم ثم عودتهم بعد سنوات إلى مواطنهم الأصلية وهم يحملون في داخلهم علاقات ذات صبغة رسمية وتعاقدية مع الغرب ليكونوا دعاة مخلصين ينشرون معلوماتهم المغلوطة وغير الصحيحة عن الإسلام .

---

(١) تتلقى هذه الدول مساعدات من هيئة الأمم المتحدة وفي حين أنه في عام ١٩٧٩م صرف على القطط والكلاب الامريكية ٣,٢ مليار دولار، كانت ميزانية الامم المتحدة التي تساعد هذه الاقطار ٦٨٣ مليون دولار فقط.

ومن الجدير بالذكر أن امريكا تقدم ٢٢ . و٠٪ من ناتجها القومي كمساعدات وتكون مهينة وبها الكثير من الإذلال، بينما تقدم السعودية حوالي ٥٪ من ناتجها القومي [جعفر آدم حسين ـ عرض كتاب العالم الثالث ـ نظرة من الداخل ـ للكاتب البريطاني بول هاريسون]. (الشرق الأوسط الأربعاء ٢٨/٨/١٩٨٥م).

لقد خلف الاستعمار التفاوت العجيب بين فئات المسلمين وحافظ عليه المسلمون وشكلت ديارهم الجزء الأكبر من العالم الثالث في افريقيا وآسيا ـ الذي يسميه الغرب خداعاً الدول النامية(1). كتب الدكتور الطويل قائلا :

«لقد زرت وعشت أياماً وأشهراً في كثير من الحواضر الكبرى في ديار المسلمين لاغوس في نيجيريا سكانها ٤,٦ مليون نسمه، والقاهرة في مصر وفيها حوالي ٨ ملايين نسمة، وكراتشي في باكستان وفيها ٥ مليون نسمة، وجاكارتا في أندونيسيا وفيها حوالي ٦ ملايين نسمة، وداكا في بنغلاديش وفيها حوالي ٢,٥ مليون نسمة، ورأيت فيها جميعا التناقض المخيف بين من يملكون الملايين ومن لا يملكون شروى نقير، بين البيوت الفخمة والشوارع العريضة وبين الأكواخ الخشبية والطرق الضيقه، بين الحدائق الغناء في الأحياء السكنية الراقية وبين أكوام القمامة والأوساخ وتجمعات المياه الراكدة والحفر والحشرات والفئران على حواشي الحواضر الكبرى هذه وفي أحيائها القديمة، بين نظافة الثياب الأنيقة للفتية في الأماكن الموسرة والأجسام الممتلئة بل وربما

---

(1) توجد ثلاثة معايير تحدد الدول الأكثر فقراً في العالم : الأول : الدخل السنوي للفرد يقل عن ١٠٠ دولار سنوياً، الثاني : انخفاض نسبة المتعلمين أقل من ٢٠٪ من السكان، الثالث : انخفاض دخل الانتاج الصناعي عن ١٠٪ من إجمالي الناتج القومي .

وقد بلغ عدد هذه الدول في العالم عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ستة وثلاثون دولة مجموع سكانها حوالي ٣٠٠ مليون نسمة. ٣٦ دولة في افريقية و٩ دول في آسيا ودولة واحدة في امريكا اللاتينية .

والدول الافريقية تضم : بنين، وبوتسواتا، وبوركينا فاسو، وبروندي، والرأس الأخضر، وجزر القمر، وجيبوتي، واثيوبيا، وجامبيا، وغينية بيساو، وغينية الاستوائية، وليسوتو، ومالاوي، ومالي، والنيجر، واوغندا وجمهورية افريقية الوسطى، وتنزانيا، ورواندا، وساوتومي، وبرنسيب، وسيراليون، والصومال، والسودان، وتشاد، وتوجو.

وأما الدول الآسيوية : افغانستان، وبنجلاديش، وبوتان، ومالاديف، ونيبال، ولاوس واليمن الشمالي واليمن الجنوبي وساموا .

وفي أمريكا اللاتينية : هايتي .

وكانت ٣١ دولة تندرج في قائمة الدول الأقل تقدماً أثناء انعقاد مؤتمر باريس عام ١٤٠١هـ/١٩٨١م. وانضمت منذ ذلك الحين جيبوتي، وغينية الاستوائية وساوتومي وبرنسيب وسيراليون وتوجو إلى القائمة.

ومعظم هذه الدول كما هو واضح بلاد إسلامية للأسف. (الشرق الأوسط العدد ٢٤٨١ ص ٤ الجمعة ٢٨ ذو الحجة ١٤٠٥هـ/ ١٣/٩/١٩٨٥م).

المترهلة شحماً ودهناً من التخمة. . . وبين الاسمال والخرق البالية على الأجساد الضعيفة الهزيلة المريضة الجائعة ـ بين الفنادق الفخمة ذات النجوم الخمسة، وكثير منها للأجانب وبين المقعدين المعوقين من الشحاذين الفقراء صغاراً وكباراً. . . على أبواب هذه الأبنية الرائعة. يحدث كل هذا في ديار المسلمين والله تعالى يقول لهم: ﴿**المؤمنون والمؤمنات بعضهم لبعض أولياء**﴾[1]، وكان النبي ﷺ لا يترك شيئاً في داره إلا وزعه على الناس المحتاجين، وكان خلفاؤه الراشدون يحملون على أكتافهم أكياس الدقيق إلى الأرامل والمساكين، وكان عمر بن عبد العزيز يكفى الناس جميعاً حتى انهم لم يجدوا في عهده من يحتاج لمال زكاة أو صدقة. وفي العهد العباسي تعرف أن الحكومات المتعاقبة تعهدت بتقديم الرعاية الصحية المجانية للرعية جميعاً دون تمييز في الأديان والمذاهب. . .[2]

وكل ذلك طبعاً نتيجة لغياب النظام الإسلامي الاقتصادي وغير الاقتصادي.

٦ ـ ربط الاستعمار عملات العالم الإسلامي بعملته ـ فالبلدان التي خضعت للنفوذ الانجليزي، ربطت عملتها بالجنيه الاسترليني، والبلاد التي خضعت للنفوذ الفرنسي اخضعت عملتها للفرنك الفرنسي، وارتبطت كثير من العملات الإسلامية بالدولار الأمريكي حالياً.

ولكي يحافظ الاستعمار على بقاء تخلف البلاد الإسلامية وارتباطها به أطلق على العالم الثالث في افريقيا وآسيا ـ والذي يشكل في أكثره ديار المسلمين ـ نفاقاً وخداعاً: «الدول النامية» والخبث في هذا التعبير أنه يوحي بالحركة القائمة مع أن واقع هذه الدول هو العكس تماماً، ففيه استنقاع إقتصادي إن لم نقل

---

(١) سورة التوبة الآية ٧١.

(٢) الحرمان والتخلف في ديار المسلمين ص ٤٣.

تراجعاً وتأخراً[1] إذ كلما اشتد الارتباط وزاد الاستيراد زادت التبعية، وأثرت على العلاقات الاقتصادية بين بلاد المسلمين وعلى التكامل الاقتصادي وهذا يمنع من نمو الاقتصاد الإسلامي نمواً سوياً مستقلاً .

وترى الغرب يذيع دائماً ويملأ الأسماع عن المعونات الخارجية للدول النامية ومع ذلك فإنها لا تنمو بل تزداد فقراً على فقر، فهو يستهدف الابتزاز والكسب غير المشروع تحت ستار المساعدات التي تذهب معظمها إلى جيوب العملاء، ولقد عبّر رئيس إحدى الشركات الأمريكية في خطبة له عن سياسة الاحتكارات اليهودية الأمريكية والاستعمار الجديد بقوله :

«لقد حصلنا مقابل كل دولار انفقناه في السنوات الخمس الماضية على مختلف الأغراض خارج الولايات المتحدة على ٤,٦٧ دولاراً أي أن كل دولار ربح ٣,٦٧ دولاراً، أي أن نسبة الربح بلغت ٣٦٧٪» . وهي سرقة وابتزاز وليست عمليات اقتصادية سليمة[2] .

ويقول جورج وودز المدير السابق للبنك الدولي عن المعونات الإقتصادية : «إذا استمر الحال على هذا المنوال تكون كمية رؤوس الأموال الخارجة من الدول النامية أكثر من المبالغ التي دخلتها في فترة خمسة عشر عاماً، وذلك بسبب الفوائد المرتفعة»[3] .

ولعل أطرف الأمثلة عما تفعله المعونات الخارجية هو قصة صندوق النقد الدولي في مصر في اتفاق برامج التثبيت الإقتصادي الذي عقد مع البنك في جمهورية مصر العربية للفترة ما بين ١٩٧٨ ـ ١٩٨١م وكان الهدف المعلن لهذا البرنامج هو إخراج مصر من أزمتها الاقتصادية وتقليل نسبة عجز ميزانها التجاري . وفي الدراسة التي أجراها الدكتور رمزى زكي الخبير الأول في معهد

(١) انظر المقال القيم : العالم الثالث وقوانين التغير في التخلف المنهجي وتنمية التخلف بقلم عادل . م . ع . حسون أستاذ القانون الدولي والنظم السياسية ـ البلاغ العدد ٧٨١ ص ٥٦-٦٣ .

(٢) السعدني ـ مصطفى ـ الفكر الصهيوني ـ والسياسة اليهودية ـ مطابع الأهرام التجارية . القاهرة ١٣٩١هـ/١٩٧١م .

(٣) كتاب المعونات الامريكية والسوفيتية لروبرت ولتزر تعريب . د . صبحي الطويل ـ دار القلم ١٩٧٢م ص٨ .

التخطيط القومي المصري ظهر أن الصندوق دخل مصر عام ١٩٧٨م وهي مدينة بـ ٨٠٠٠ مليـون دولار. . . وخـرج الصندوق إياه منها عام ١٩٨١م وهي مدينة بأكثر من ١٨,٠٠٠ مليون دولار أي أن كل مواطن مصري كان مديوناً بـ ٤٢٢ دولاراً للعالم[١] والغريب أن دخل الفرد الواحد كان لا يتعدى ٤٦٠ دولاراً في السنة .

وتـذكـر دراسـة أخـرى ملخصـاً لواقـع الحيـاة الاقتصـادية في مصر تحت عنـوان : تضـاعف أعبـاء الـديـون ٧ مرات في أقل من ٦ سنوات وزيادة العجز التجاري ٤٠ مرة»[٢]. وهو ما يصلح مثلاً لمعظم أقطار العالم الإسلامي .

وبمنـاسبـة الـديـون الخارجية وتراكمها في كثير من الدول المسلمة عرض الـدكتـور صبحي الطـويـل بعض الأرقـام المذهلة التي تزايدت بصورة هائلة في الـعــقــد (١٣٩٠/ ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٠-١٩٨٠م) بحـيــث شكـلت في عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م أكثر من ٥٠٪ من إجمالي الناتج القومي . والديون في الغالب للدول الكبـيرة أو للمؤسسـات الـدوليـة الخاضعة لها . فيؤثر ذلك في سياسات الدول الفقيرة المدينة الداخلية والخارجية .

(١) الشرق الأوسط عدد ٢١ نوفمبر تشرين الثاني ١٩٨٢م ص٧.

(٢) جريدة الشرق الأوسط ـ السابقة ـ رسالة مكتب القاهرة بقلم عصام رفعت عام ١٩٨٢م .

تراكم الديون الخارجية لبعض دول العالم الإسلامي

الدولة	المبلغ بالدولار عام ١٩٧٠	النسبة المئوية من إجمالي الناتج القومي	المبلغ عام ١٩٨٠	النسبة المئوية
افغانستان	٤٥٤ مليون دولار	-	١٠٩٤ مليون دولار	-
باكستان	٣٠٥٩ مليون دولار	٣٠,٥٪	٨٨٧٥ مليون دولار	٣٤,٧٪
السودان	٣٠٨ مليون دولار	١٥,٣٪	٣٠٩٧ مليون دولار[1]	٣٧,٢٪
اليمن الجنوبي	٠٠١ مليون دولار	-	٤٩٩ مليون دولار	-
اندونيسيا	٢٤٤٣ مليون دولار	٢٧,١٪	١٤٩٤٠ مليون دولار[2]	٢٢,٥٪
موريتانيا	٢٧ مليون دولار	١٦,٨٪	٧١٤ مليون دولار	٣٩,٧

(١) بلغت ديون السودان عام ١٩٨٢م ٧٨٠٠ مليون دولار (النيوزويك الأمريكية عدد ١٦ أيار (مايو) ١٩٨٣م ص ٣٧. في حين بلغت ٩ مليارات دولار عام ١٩٨٥م. (الشرق الأوسط السبت ١٦/١١/١٩٨٥م ص٥). وهناك ٧٤٠ مليون دولار أقساط ديون مستحقة حتى عام ١٩٨٤م فقط لدول اسبانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا والدانيمارك والسويد وكندا وبريطانيا والنمسا وايطاليا وسويسرا والمانيا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية.

والديون كلها كانت نتاجاً لقروض من الخارج لم تستغل استغلالاً جيداً في أشياء منتجة فمثلاً: مصنع بورتسودان للغزل الرفيع وهو مصنع حكومي اكتمل انشاؤه عام ١٩٨٠م، ولكنه ظل معطلاً حتى عام ١٩٨٥م حتى حلت مشكلة إمداده بالكهرباء والماء، رغم ان هذا المصنع قرر إنشاؤه منذ السبعينات لتصدير غزل القطن السوداني، والآن السوق محتاج لهذه الغزول في السودان على حد قول السيد محمد عبد الله وزير المالية والتخطيط الإقتصادي السوداني في خطاب الميزانية لعام ١٤٠٦هـ. (الشرق الأوسط ـ السبت ١٦/١١/١٩٨٥م/ ربيع الأول ١٤٠٦هـ ص٥.

(٢) في حين كانت ديون اندونيسيا عام ١٩٦٦م ١٧١٩,٤ مليون دولار (اندونيسيا العدد ١٩/٧٤١/ ص٤) ولكنها بلغت عام ١٩٨٢م ٢٥,٠٠٠ مليون دولار (الأخبار القاهرية عدد كانون الثاني «يناير» ١٩٨٣م).

مصــــر	١٦٤٤ مليون دولار	٢٣,٨٪	١٣٠٥٤ مليون دولار[١]	٥١,٧٪
المغــرب	٧١١ مليون دولار	١٨٪	٧٠٩٨ مليون دولار	٣٨,٦٪
نيجيريـا	٤٧٨ مليون دولار	٦,٤٪	٤٩٩٧ مليون دولار[٢]	٥,٥٪
تــونس	٥٤١ مليون دولار	٣٨,٢٪	٢٩٥٥ مليون دولار	٣٣,٩٪
ســوريا	٢٣٢ مليون دولار	١٢,٨٪	٢٤٩٣ مليون دولار[٣]	٢٠,١٪
تركيـا	١٨٥٤ مليون دولار	١٤,٤٪	١٣٢١٦ مليون دولار	٢٢,٤٪
الجـزائر	٩٣٧ مليون دولار	١٩,٣٪	١٥٠٧٣ مليون دولار	٣٨,٧٪
السنغال	٩٨ مليون دولار	١١,٦٪	٩٠٦ مليون دولار	٣٤,٩٪

(١) وأصبحت ديون مصر عام ١٩٨٢م ١٩٢٠٠ مليون دولار حسب معلومات البنك الدولي للإنشاء والتعمير.

(٢) وبلغت ديـون نيجيـريـا في نهايـة عام ١٩٨٤م ١٧,٥ مليـار دولار وعـام ١٩٨٥م ٢٠ مليار دولار. وهذه الـديـون الخـارجيـة. امـا الـداخليـة فبلغت ٨ مليـارات ويمتص الـدين الخـارجي حوالي ٤٥٪ من مصـادر الدولة النيجيرية. (الشرق الأوسط الأربعاء ١٢ ذو الحجة ١٤٠٥هـ/ ٢٨/٨/١٩٨٥م ص٥).

(٣) وبلغت ديون سورية عام ١٩٨١م ٣٩٠٠ مليون دولار. (جريدة الرأي ١٩ فبراير «شباط» نقلاً عن وكالة الصحافة الفرنسية.

وقد بدأت أزمة الديون العالمية تطفو على الساحة الدولية منذ عام ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م حيث بدأت تترك آثارها الواضحة على الدول النامية المدينة نتيجة للتمويل المستمر لجزء كبير من خيراتها إلى العالم الصناعي لتسديد الديون المتراكمة عليها والفوائد المستحقة، وهي طريقة لاستنزاف خيرات هذه الدول بشكل يجعلها مصدراً للمواد الأولية الرخيصة، وسوقاً لمنتجاتها الصناعية. ووصل حجم هذه الديون إلى ٩٠٠ بليون دولار[١].

وبلغ إجمالي الديون الخارجية المتراكمة على دول جنوب الصحراء في افريقيا عام ١٩٨٥م حوالى مئة بليون دولار منها ٢, ٦٠ بليون دولار للبنوك التجارية و٥, ١ بليون لصندوق النقد الدولي، و٨ بليون للبنك الدولي. وتواجه معظم هذه الدول صعوبة شديدة في تسديد هذه الديون أو دفع الفوائد المستحقة عليها، كما تواجه صعوبات مماثلة في إعادة جدولة هذه الديون أو في الحصول على قروض جديدة[٢].

كما قدر إجمالي ديون الدول النامية مع نهاية عام ١٩٨٥م ٩٧٠ بليون دولار كما ذكرته مصادر إقتصادية في العاصمة الأمريكية[٣].

وقد طرحت أمريكا في كلمة وزيرها بيكر - وزير الخزانة - (كما قالت جريدة التايم) برنامجاً لحل مشاكل ديون العالم الثالث وذلك في المؤتمر المشترك الذي عقده البنك الدولي وصندوق النقد الدولي في مدينة سيئول عاصمة كوريا الجنوبية - وذلك بزيادة الأموال المتاحة للدول المدينة بمبلغ ٢٩ ألف مليون دولار على مدى الثلاثة أعوام المقبلة من البنوك التجارية والبنك الدولي. وأن يتولى البنك الدولي دوراً أكثر فعالية في معالجة مشكلة الديون، وأن يؤمن قروضاً طويلة الأجل، أي تريد أمريكا زيادة قروض البنك وتوسيعها، وتريد منه

(١) الشرق الأوسط - أزمة الديون العالمية - بقلم د. محمد سالم الصيان/ ٣٠ محرم ١٤٠٦هـ/ ١٤/١٠/١٩٨٥م. ص٤.
(٢) الشرق الأوسط العدد ٢٥٤٥/ السبت ٤ ربيع الأول ١٤٠٦هـ/ ١٦/١١/١٩٨٥م. ص٥.
(٣) أخبار العالم الإسلامي العدد ٩٢١/ ٢٥ رجب ١٤٠٥هـ/ ١٥/٤/١٩٨٥م.

التعاون مع البنوك التجارية الأخرى العالمية لتأمين الأموال اللازمة . ويعتقد بيكر أن البنك الدولي وبنك التنمية الأمريكية يستطيعان فيما بينهما أن يؤمنا ٥٠٪ من الاحتياجات للدول النامية[1] . ولا يخفى ما في هذا المشروع من خطة امريكية لزيادة تبعية دول العالم الثالث لأمريكا، وسيطرتها عليها .

ولو تتبعنا حلقة الديون المفرغة للدول النامية نجد أنها تتلخص في زيادة أعباء المديونية - يؤدي إلى - الاهتمام بزيادة صادراتها من المواد الخام الأولية - يؤدي إلى - زيادة العرض العالمي من هذه المواد (إضافة لحالة الركود الإقتصادي العالمي) - يؤدي إلى - انخفاض أسعارها العالمية - يؤدي إلى - نقص في حصيلة الصادرات من العملات الصعبة - يؤدي إلى - عدم القدرة على سداد المديونية السنوية - يؤدي إلى - إعادة جدولة هذه الديون مع تزايد الأعباء نتيجة لعقوبات الفوائد الإضافية الناتجة من التأخر في السداد - يؤدي إلى - الاتجاه إلى مزيد من الاقتراض - يؤدي إلى - زيادة أعباء المديونية .

وتشترك حكومات بعض الدول النامية في توسيع هذه الحلقة من جراء الاندفاع غير المخطط إلى سلاح المديونية وتقرّبه بقصد أو بدون قصد إلى حبل وريدها لتجهز بالتالي على آمال التنمية الاقتصادية التي تنشدها ولتزداد فقراً على فقر وتتسع تبعاً لذلك الفجوة بينها وبين الدول المتقدمة .

وقد لخص الدكتور محمد سالم سرور الصبان أستاذ الاقتصاد المساعد بجامعة الملك عبد العزيز بجدة أسباب ذلك[2] في العوامل التالية :

١ - ارتفاع أسعار الفائدة العالمية .

٢ - أمد الكساد الاقتصادي العالمي .

٣ - تزايد الحماية الجمركية في الدول الصناعية .

٤ - تراخي أسواق المواد الأولية .

---

(١) الشرق الأوسط - الأحد ٢٠/١٠/١٩٨٥ ص١٠ .

(٢) الشرق الأوسط ٣٠ محرم ١٤٠٦هـ/ ١٤/١٠/١٩٨٥م .

٥ ـ شغل دول العالم الثالث في نزاعات جانبية .

٦ ـ هروب رؤوس الأموال الوطنية .

٧ ـ إهمال تنمية مختلف القطاعات .

وغاب عن بال الدكتور السبب الرئيسي وهوغياب النظام الاقتصادي الإسلامي واهتزاز الشخصية المسلمة .

وقد قدر المصرف الألماني الغربي دوينستر بنك حاجة البلدان النامية (وهي إسلامية في معظمها) إلى القروض في السنوات الخمس (١٩٨٥-١٩٩٠م) بما يتراوح بين ١٨٠ إلى ٢٤٠ بليون دولار. وارتفعت فوائد القروض بين عام ١٩٧٨ و١٩٨٤م من ١٩ بليون إلى ٧٠ بليون دولار[١].

٧ ـ حرم الاستعمار العالم الإسلامي من إقامة شبكة مواصلات تربطها ربطاً وثيقاً رغم تجاورها وسهولة ربطها ليكرس تمزيقها وتفريقها وحاجتها إليه . وكل ما اهتم به من مواصلات كانت لخدمة أغراضه الاستعمارية من مواطن الانتاج إلى الموانيء أو أماكن التصدير كما هو الحال في أقطار المغرب العربي - تونس والجزائر والمغرب وموريتانيا ، ونيجيريا ، والسودان ، ومصر والعراق ، وايران والهند .

فعجزت دول البلدان الإسلامية في عهد استقلالها عن استيعاب معنى التخطيط والإحاطة بمفهومه الواسع وما يمكن أن يؤدي إليه من نتائج وتشابه انتاجها ، فأدى ذلك إلى تنافسها رغم ما تتمتع به هذه البلدان من تكامل إقتصادي .

هذا الواقع الاقتصادي المحزن للعالم الإسلامي وبقاء أثر الاستعمار في بلاد الإسلام أمر طبيعي في ظل غيبة النظام الاقتصادي الإسلامي ، وهذا التخلف الذي يعاني منه عالم الإسلام لا يتحمل الإسلام وزره بل هو في الحقيقة عقوبة مستحقة من الله على المسلمين لتخليهم عن نظام الإسلام لا لتمسكهم به كما يزعم الزاعمون .

---

(١) الشرق الأوسط ـ السبت ١٩٨٤/١٢/٢٩م . ص٥.

قال تعالى : ﴿**ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى، قال رب لما حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى**﴾[1].

وقال سبحانه وتعالى : ﴿**وأن لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا**﴾[2].

وهكذا فقد العالم الإسلامي مكانته وتلاشت قوته وانهارت دعائمه، وسقطت مكانته الأولى ومشت سكة الأجنبي في حقله[3]. باستمرار الاستعمار الفكري والثقافي الأجنبي بعد الاستقلال السياسي إلى اليوم بمختلف التيارات والعقائد والنظريات الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية، فكانت تأثيراً متصلاً بالتأثير السابق أيام الاستعمار في القادة والساسة وأصحاب الرأي والمشرّعين وفي الفرد المسلم بأسلوب التربية، في هذه البلاد الإسلامية، فظلوا على ولائهم للعلمانية، وتلمسوا في تشريعاتهم القضائية والإدارية مراجع القانون الفرنسي والانجليزي والشيوعي والاشتراكي . . . الخ، فأصيبت الأمة بالهوان ولعل ذلك تصديق للنذير النبوي الذي رواه ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي ﷺ قال :

«يامعشر المهاجرين خمس خصال إن ابتليتم بهن ونزلن عليكم ـ أعوذ بالله أن تدركوهن : لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشت فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله ورسوله إلا سلط عليهم عدو من

(١) سورة طه الآيات ١٢٤ ـ ١٢٦ .
(٢) سورة الجن الآية ١٦ .
(٣) من أقوال المبشر زويمر سنة ١٩١١م في مؤتمر لكنو. وكان رئيسا للمؤتمر. ـ المبشر زويمر ومفترياته ـ حاضر العالم الإسلامي ـ للأمير شكيب ص ١٨١-١٨٢ .

غيرهم فيأخذ بعض ما في أيديهم، وما لم يحكموا بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم»[1].

وهذا الحديث يلخص بالفعل واقع العالم الإسلامي من جميع النواحي. فالأمراض الاجتماعية التي انتشرت في المجتمع الإسلامي والتي استقدمها من الغرب وانحرافاته، والجفاف الذي يغزو أراضي المسلمين وامتداد التصحر في أقطاره، والخوف من الحكام وفقدان الثقة بين الحاكم والمحكوم والتحديات الخارجية العاتية - الصليبية والشيوعية والصهيونية والهندوسية والخلافات المستفحلة المستحكمة بين الأقطار الإسلامية، والحروب التي تنشب بينها والتي لا تجد من القوى الكبرى عملاً يوقفها أو يحدّ منها، بل تجد تشجيعاً وتأييداً لتستمر تستنزف طاقة الأمة البشرية والمادية وتعمق الاقليمية والقومية والعداء بين أطراف النزاع. هذا هو واقع الأمة الإسلامية باختصار بيّنه هذا الحديث الشريف.

(١) أخرجه ابن ماجة والطبراني في الكبير.



الباب الثالث

القضايا الإسلامية المعاصرة

الفصل الأول : قضية فلسطين.
الفصل الثاني : الفلبين.
الفصل الثالث : فطاني.
الفصل الرابع : المسلمون في الهند ومأساة كشمير.
الفصل الخامس : المسلمون في أفريقيا وقضية أريتريا.
الفصل السادس : المسلمون في الاتحاد السوفييتي.
الفصل السابع : المسلمون في الصين.
الفصل الثامن : المسلمون في قبرص.
الفصل التاسع : أفغانستان.
الفصل العاشر : أندونيسيا.
الفصل الحادي عشر : المسلمون في أوربا الشرقية.



الفصـــل الأول
قضيـــة فلسطـــين

تقـع فلسطـين في غرب قارة آسيـا وهي تطل على البحر الأبيض المتوسط ويحدها شمالا لبنان وجنوبا خليج العقبة، وفي جنوبها الغربي تقع مصر كما يحدها شرقـا سوريـا والأردن وغـربـا البحـر المتوسط، فهى تحتل موقع القلب من العالم الإسلامي، وهي صلة الوصل بين شقّي العالم الإسلامي في آسيا وأفريقيا، وهي الطـريق الطبيعي الـذي يصل البحر المتوسط بالسهول الداخلية وصحاري شبه الجزيرة العربية إذ تكون الجزء الجنوبي الغربي من بلاد الشام.

مسـاحتهـا حوالى ٢٧٫٠٠٠ كم٢ بما فيهـا الضفـة الغـربيـة وقطاع غزة. وتنقسم فلسطين إلى المناطق الطبيعية التالية:

١ ــ **السهـول السـاحليـة**: ولفلسطـين سـاحـل طويـل يمتـد من رأس النـاقـورة في الشمال إلى رفح في الجنوب، ويلي الشاطىء سهل يسمى: السهل السـاحلي الفلسطيني يتراوح عرضـه بين ١٨ و١٦ كم، تزرع فيـه الفـواكـه والحمضيات والخضر، ومن مدن الساحل: عكا وحيفا ويافا وغزه وكلها موانىء مهمـة، وقـد بنى اليهـود مدينة تل أبيب التى جعلوها عاصمة مؤقتة لهم شمالى مدينة يافا. وفي داخل السهل مدن: طولكرم والرملة واللد وخان يونس والمجدل.

٢ ــ **الجبال والهضاب**: ويلي السهل الساحلي إلى جهة الشرق الجبال التالية:

أ ــ **جبـال الجليـل**: وفيهـا مدينـة صفـد أعلى مدن فلسطـين. ومـدينة الناصرة التي نشأ فيها المسيح عليه السلام وقضى معظم حياته فيها.

ب ــ **جبال نابلس**: وفيها مدينة نابلس بين جبلي جرزيم وعيبال.

جـ ــ **جبل الكرمل**: ويتجه إلى الشمال الغربي من جبال نابلس وينتهي على شاطىء البحر عند حيفا.

د ــ **جبال القدس** : وأعلاها جبل الطور وفيها مدينة بيت المقدس - القدس أهم مدن فلسطين والتي فيها المسجد الأقصى وقبة الصخرة، وقد بنى اليهود بجوارها مدينة القدس الجديدة ونقلوا إليها عاصمتهم من تل أبيب بعد احتلال القدس القديمة عام ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

هـ ــ **جبال الخليل** : وفيها مدينة خليل الرحمن ويقال أن فيها قبره عليه السلام.

و ــ **هضبة النقب** : وهى القسم الجنوبى من فلسطين، تشكل مثلثا يقع رأسه على خليج العقبة ويحتل جميع الأراضى الواقعة بين غزة والخليل وشبه جزيرة سيناء والأردن وجنوب البحر الميت، وتقدر مساحة النقب بنصف مساحة فلسطين تقريبا، ومن أهم مدنه بئر السبع.

٣ ــ **منطقة الأغوار** : وهى المنطقة الشرقية من فلسطين، يخترقها نهر الأردن مع بحيراته الحولة وطبرية، وبحيرة لوط (البحر الميت) وهى جزء من حفرة الانهدام الآسيوي الأفريقي الذي يمتد من جبال طوروس شمال سوريا إلى خليج العقبة والبحر الأحمر وأفريقيا الشرقية حتى هضبة البحيرات الكبرى.

ينبع نهر الأردن من جبل الشيخ وتتحد فروعه فيمر فى بحيرة الحولة ثم في بحيرة طبرية ثم ينتهي في البحر الميت بطول ٢٢٥كم.

وأشهر الأغوار: غور طبرية وبيسان في الشمال، وغور أريحا في الجنوب وتمثل مدينة أريحا والبحر الميت أخفض بقعة على سطح الأرض، إذ يبلغ الانخفاض ٤٩٢ مترا عن سطح البحر. ومدينة أريحا شمال البحر الميت يقال إنها أقدم مدن العالم وفيها قصر هشام بن عبد الملك وهى مشتى جميل.

أما الجزء الممتد من البحر الميت إلى خليج العقبة فيسمى وادى عربه بطول ١٨٠ كم.

فلسطين في التـــاريخ[1] :

كانت شبـه الجـزيرة العربية الشريان الذي يمد البلاد المجاورة لها العراق والشـام ومصـر بدمـاء جديـدة، فقـد خرجت منهـا موجـات بشرية: الاشورية والأكـاديـة إلى العـراق، والأمـوريـة والآرامية والكنعانية إلى الشام، وتوجهت قبائل أمورية إلى بلاد ما بين النهرين (العراق) وأسست مدينة بابل وهى الأسرة البـابليـة، كما خرجت قبيلة آراميـة من بلاد الشـام إلى جنـوب العـراق والخليج العربي وهى قبيلة كلدى التى أقامت الدولة الكلدانية وجددت بابل.

وقـد سكن الكنعـانيـون ساحل بلاد الشام في الألف الثالث قبل الميلاد، وأطلق عليهم في الساحل الشمالى اسم: الفينيقيين. في حين أطلق على القسم الجنوبي أرض كنعان.

واهتم الكنعانيون بالزراعة فدعيت بلادهم الأرض التي تدر لبنا وعسلا. وبنـوا المـدن ومنهـا: أريحـا، وأسـدود، وبـير السبـع وعسقلان وبيسان ونابلس (شكيم) والخليـل (أربـع) والقـدس (يبـوس) وكـان اليبـوسيـون أهم بطـون الكنعانيين فبنوا مدينة القدس وأطلقوا عليها أورسالم أى مدينة سالم، كما أطلقوا عليها اسم يبوس.

وكانت اللغة كنعانية ـ عربية قديمة ـ وهى لا ريب تختلف عن لغة القرآن الكريم التي نتحدث ونكتب بها اليوم ـ لقدمها ورغم ذلك فإن هنالك شبها بينها وبين اللغة العربية الحديثة.

---

(١) انظر: مصطفى مراد الدباغ ـ بلادنا فلسطين.
ول ديورانت ـ قصة الحضارة ـ طربين أحمد وزميله ـ تاريخ الحضارات القديمة.

الغزوات العابرة لأرض كنعان :

أولا : العبرانيـون :

في حوالى الألف الثـاني ق . م انتقـل إبراهيم عليه السلام من أور بالعراق فعـبر نهر الفـرات إلى حلب ومنهـا إلى أرض كنعـان ، ثم هاجـر إلى مصر ومعه زوجتـه (سـاره) التى أهـدى إليهـا فرعـون مصر جارية تسمى (هاجر) فتزوجها إبراهيم عليه السلام لأن سارة كانت لا تنجب فأنجب من هاجر إسماعيل عليه السلام الجد الأعلى لنبينا محمد ﷺ . وقد أنجبت سارة بعد ذلك اسحق الذي أنجب بدوره يعقـوب المسمى بإسـرائيـل . وأنجب يعقوب الأسباط الذين تركوا أرض كنعـان لما أصـابهـا القحـط وأقاموا في مصر حينما صار يوسف عليه السلام على خزائن أرضها ، وتكاثر بنو إسرائيل في مصر ، وتعرضوا لأذى فرعون فنجاهم الله منـه ، وخـرجـوا مع موسى عليـه السـلام قاصـدين الأرض المقدسة ولكنهم نقضـوا العهـد وفسقـوا فضـرب عليهم الله سبحـانـه التيه أربعين سنة في سيناء خرجـوا بعـدهـا إلى أرض كنعـان فدخلوها من جهة الشرق حوالى عام ١١٨٩ ق . م بقيادة يوشع بن نون بعد وفاة موسى عليه السلام واستطاعوا احتلال بعض الأماكن من أرض كنعان وعاشوا فيها أسباطا متفرقين .

تولى القضـاة أمـور العـبرانيـين بعـد وفـاة يوشـع وفى عهـدهم اختلط العبرانيون بالكنعانيين فتعلموا لغتهم وتعلموا الزراعة وسكنى المدن وعبدوا آلهتهم .

ثم اتحـد العـبرانيـون وكـونـوا دولة حوالى عام ١٠٢٥ ق . م ، وكان أول ملوكهم شاوؤ ل أو طالوت . واشتهر من ملوكهم :

أ ــ داود عليـه السلام (١٠٠٠ـ٩٦٠ق . م) الذي ملك يبوس (القدس) من اليبـوسيـين وجعلهـا عاصمـة له ، وانتصـر على الفلسطينيـين وقتـل ملكهم جالوت وأنهى أمرهـم .

سليـمان عليـه السـلام (٩٦٠ـ٩٣٠ق . م) الـذي وردت قصتـه في سورة النمل وتعدت دعوته إلى الإسلام حدود الشام فامتدت إلى اليمن .

وبعد وفاة سليمان عليه السلام انقسمت مملكة العبرانيين إلى قسمين :-
أ ــ مملكة الشمال ـ إسرائيل ـ وعاصمتها السامرة .
ب ــ مملكة الجنوب ـ يهوذا ـ وعاصمتها القدس .

وكانت علاقتهما عدائية وتقلصت كل منهما إلى أن قضى على الدولة الشمالية الأشوريون بقيادة سرجون الثانى عام ٧٢٢ق . م ، وقضى على المملكة الجنوبية نبوخذ نصر الكلدانى عام ٥٨٦ق . م وأحرق القدس وهدم هيكل سليمان وسبى العبرانيين إلى بابل وبذلك زالت دولة العبرانيين من الوجود وعادت أرض كنعان عربية وفي بابل وضع أحبار العبرانيين المشنا والجمارا لشرح التوراة ، فكانت أصول الديانة اليهودية التلمودية المحرفة المتعصبة البعيدة كل البعد عن شريعة موسى عليه السلام .

ثانيا : الفلسطينيون :

تعرضت بلاد اليونان وجزر بحر ايجه لغارات البرابرة اليونان ، فهربت قبيلة (بلست) من جزيرة كريت وغزت أرض كنعان واستقرت في السهل الساحلي الجنوبي الغربي من يافا إلى غزة . وسمى هذا الجزء باسمهم : فلسطين . وقامت بينهم وبين العبرانيين معارك طويلة انتهت بانتصار العبرانيين بعد أن قتل داود جالوت كما ورد في القرآن الكريم وانتهى بذلك دور الفلسطينيين من التاريخ نهائيا ، ولكن بقى الاسم على جزء من أرض كنعان إلى أن شملها كلها في العصور الحديثة .

ثالثا : الفرس :

استطاع كورش الفارسى (٥٥٨ـ٥٢٨ق . م) احتلال بلاد الشام وضمها إلى دولته ـ فارس ـ عام ٥٣٨ق . م وكانت زوجته استير اليهودية ، فقدم له اليهود مساعدات في فتحه بابل والشام ومصر، فسمح لمن يريد العودة من اليهود إلى أرض كنعان . . وانتهى الاحتلال الفارسي عام ٣٣٢ق . م .

رابعـــا : اليونـــان :

قام الاسكندر المقدوني الكبير بالاستيلاء على بلاد الشام عام **٣٣٢**ق . م وطـرد الفـرس. ولمـا قام النـزاع بين قادته بعد وفاته : انتيغونس الكبير وسلوقس وبطليمـوس ـ أصبحت أرض كنعـان مسرحا لنزاع البطالسة في مصر والسلوقيين في الشام. وقد حاول اليونانيون نشر الحضارة اليونانية (الهيلينيه) في أرض الشام فأنشأوا المـدن والمـدارس والمسـارح والمعـابـد، لكن التأثـير اليوناني ظل سطحيا ومحصـورا في المـدن الكبـيرة وخصـوصـا الساحلية منها، أما غالبية السكان فقد احتفظـوا بتراثهم وعـاداتهم ولغتهم، وبينـما كانت اللغـة اليـونانية هى الرسمية ظلت السريانية هى لغة عامة الناس.

خامسا: الرومـــان :

استطـاع القـائـد الروماني بومبى أن ينهي احتلال اليونان لبلاد الشام عام ٦٣ق . م وبقى الرومان يحكمونها إلى أن أنقذها الإسلام عام **٦٣٦**ب . م ويهمنا من زمن الرومان أمور منها :

١ ــ ظهور المسيح عليه السلام في أرض كنعان زمن الامبراطور اغسطس قيصر ـ مهـد المسيحيـة وقلبهـا، حيث تحولت فيـها بعـد إلى النصرانية بعد أن اعتنق قسطنطـين النصـرانية واتخذها الدين الرسمى للرومان حيث انحرفت من الوحدانية إلى التثليث.

٢ ــ وقـوف اليهـود ضد المسيحيـة مع الوثنية الرومانية. ثم حاولوا الثورة على الرومان عام ٧٠م فقاد القائد الروماني تيطس حملة دخلت القدس وأعمل فيها النهب والحرق والقتل، وشرد اليهود في أجزاء الأرض.

وحاول اليهود الانتفاضة مرة أخرى عام **١٣٥**م زمن الامبراطور هادريان فقـاد حملة بنفسـه وقضى على وجـود اليهود نهائيا في فلسطين ومنعهم من دخول القدس ودعاها ايلياء كابيتولينا. وتعتبر هذه السنة نهاية للوجود اليهودى في أرض كنعـان ففيهـا انتهت علاقة اليهود بفلسطين سياسيا وسكانيا أى أنه كان الخروج الأخير وبقيت محرمة على اليهود حتى الفتح الاسلامي أي خمسة قرون.

الفتح الإسلامي لفلسطين :

ظهرت أهمية القدس في الإسلام عندما أسرى بالرسول ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى السماء جسداً وروحاً فارتبطت هذه الأرض ارتباطا كاملا بالكعبة وبالمسجد النبوى في المدينة، والإسلام هو خاتمة الرسالات السماوية فهو الوريث لأرض الأنبياء والمرسلين، كما كانت القدس قبلة الإسلام الأولى، والمسجد الأقصى الذي بارك الله حوله تشد إليه الرحال، كما تشد إلى الحرمين الشريفين مكة والمدينة فقد ورد في الصحيحين:

«أن رسول الله ﷺ قال: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى».

وقد بدأت غزوات وسرايا الرسول ﷺ إلى أرض الشام فكانت غزوة دومة الجندل عام ٥هـ وسرية مؤتة عام ٧هـ وغزوة تبوك عام ٩هـ، ثم أخيرا بعث أسامة الذي أنفذه أبو بكر رضى الله عنه.

وبعد القضاء على حركة الردة جهز أبو بكر الجيوش وأنفذها لفتح الشام وكان قائد جبهة فلسطين عمرو بن العاص وشهدت هذه الأرض المعارك الحاسمة أجنادين وفحل واليرموك، ثم تم فتح بيت المقدس وتسلمها الخليفة عمر بن الخطاب بنفسه من صفرونيوس بطريرك القدس عام ١٦هـ. وصدرت العهدة العمرية ونص فيها على أن لا يسكن ايلياء أحد من اليهود. فأصبحت بلاد الشام بما فيها أرض كنعان أرضا عربية إسلامية واستمرت على هذا الحال دون انقطاع إلا فترة الحروب الصليبية حيث استطاع الصليبيون أن يقيموا مملكة نصرانية في بيت المقدس في القرن السادس الهجري بعد أن قتلوا سبعين ألفا من المسلمين داخلها. ولكن المجاهد صلاح الدين الأيوبي أجلاهم عنها في ٢٧ رجب عام ٥٨٣هـ بعد أن انتصر عليهم في موقعة حطين الشهيرة قرب بحيرة طبرية في ٢٥ ربيع الثاني عام ٥٨٣هـ وانتهى دور الصليبيين كما بينا ذلك فكانوا من الغزوات العابرة، ولن يكون حظ الصهيونية الحديثة بمساعدة الغرب الصليبى والشيوعي أفضل من مصير الصليبيين باذن الله.

فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار[1] :

تعـود الجـذور التـاريخيـة للحـركة الصهيونية إلى القرن التاسع عشر حين اقـترن النشـاط الاستعـماري الـواسـع بضغـط هائل على الطبقات الوسطى في البلدان الاستعـماريـة مما دفـع الطبقـات اليهـوديـة إلى البحث عن حل لازمتها خارج حدود مجتمعاتها وسرعان ما وجدت الحل في الفكرة الصهيونية التي تطابق فيهـا الحـل مع المصـالـح الاستعـمارية ، كما لقيت الصهيونية تأييدا وتشجيعاً من الرأسماليين اليهود الكبار.

كانت الـدول الأوربيـة قد فرضت على الدولة العثمانية الضعيفة ما عرف باسم : الامتيـازات الأجنبيـة التي كانت منحـة أيـام قوة الدولة ثم أصبحت غلاّ يطـوّقهـا في ضعفهـا ، بحيث بات المقيمـون الأجانب دولة داخل دولة لا تسري عليهم القـوانـين والضـرائب العثـمانيـة . واستتبـع ذلك إقدام هذه الدول على الالتزام بسياسة ثابتة هدفها الحفاظ على المصالح التجارية في المنطقة تحت ستار حمايـة الأقليـات الـدينيـة ، ففـرضت فرنسـا حمايتها على النصارى الكاثوليك ، وروسيـا على النصـارى الارثـوذكس ، وأعلنت بريطـانيـا حمايتهـا للدروز والبر وتسنت واليهود في سوريا وجبل لبنان وفلسطين .

وكان من جرّاء ذلك أن أقامت بريطانيا أول قنصلية غربية في القدس عام ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م وجهت معظم جهـودهـا ونشـاطها لحماية الجالية اليهودية في فلسطين . فكانت مسألة حماية اليهود الشغل الشاغل للقنصلية البر يطانية في القدس[2] . والواقع أن القضية تخطت مسألة حماية اليهود في فلسطين إلى تحقيق أهدافها في الشرق التي يمكن تلخيصها في[3] :

١ ــ تأمين المواصلات البر يطانية إلى الهند والشرق الأقصى .

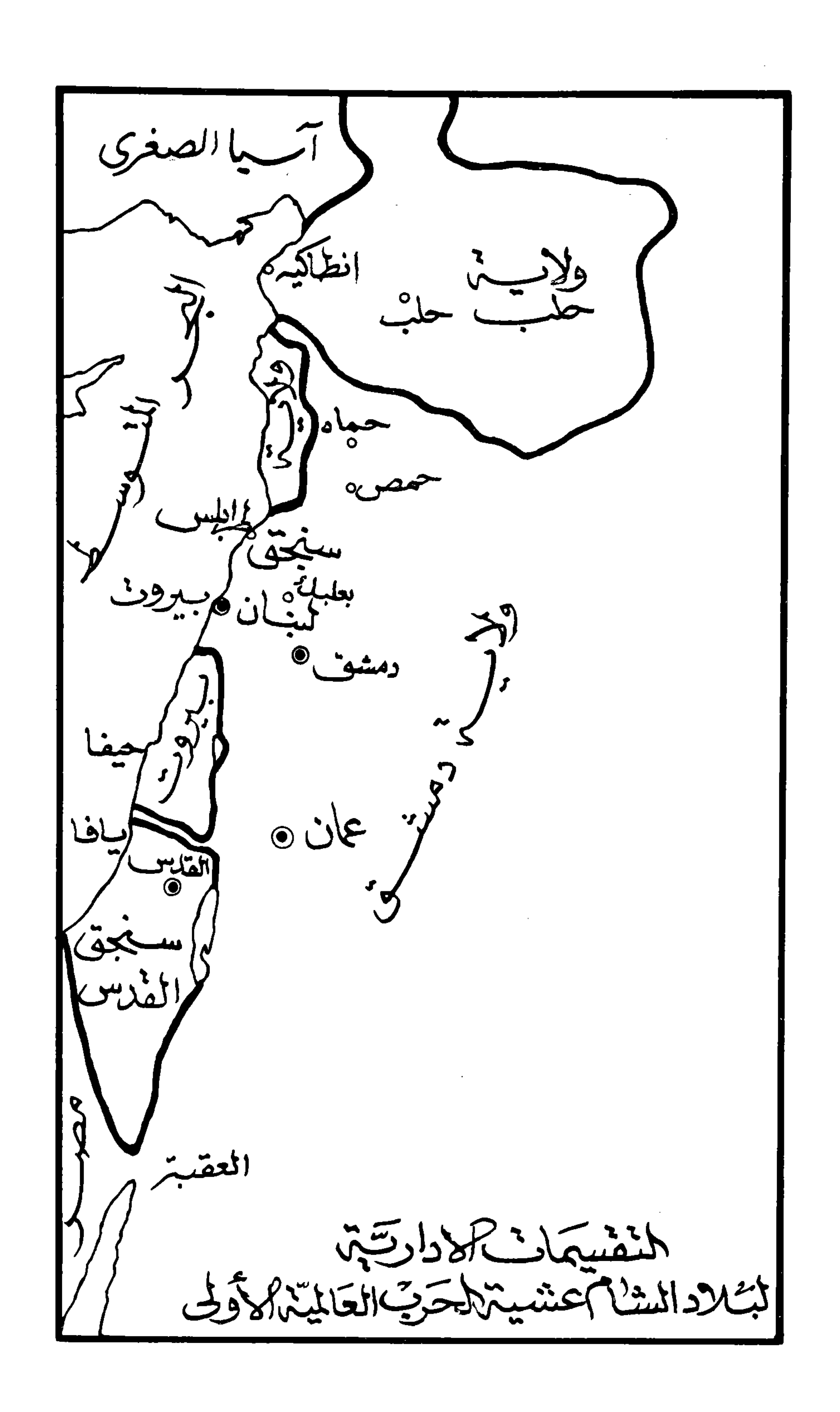
٢ ــ ابعاد أية قوة كبر ى عن هذه المنطقة وجعلها مجالاً بريطانيا بحتا .

---

(١) انظر د. أحمد طربين ـ فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار .

(٢) البرت هامسيـون ـ القنصليـة البر يطـانية في القدس وعلاقتها بيهود فلسطين (١٨٣٨-١٩١٤م) الجزء الأول ـ ص٣٤ من المقدمة طبع ١٩٣٩م .

(٣) النشاط الصهيوني ـ د. عبد الرحيم أحمد حسين ـ ص١٩ .



آسيا الصغرى
ولاية
حلب حلب
انطاكيه
حماه
حمص
طرابلس
سنجق
بعلبك
لبنان
بيروت
دمشق
حيفا
يافا
عمان
القدس
سنجق
القدس
العقبة
مصر
التقسيمات الادارية
لبلاد الشام عشية الحرب العالمية الأولى

٣ ـ منع ظهور أي قوة كبيرة محلية وضربها إذا ما ظهرت.

٤ ـ الحرص البريطاني على استمرار الملاحة في قناة السويس بعد فتحها في عام ١٨٦٩م انطلاقا من حرصها على تأمين المواصلات إلى الهند والشرق الأقصى.

٥ ـ تأمين الامداد النفطي والحصول على أكبر قدر من الأرباح منذ اكتشافه في أوائل القرن العشرين من المنطقة.

وقد رافق تأمين هذه الأهداف رغبة بريطانيا في استقرار المنطقة إما بالتعاون مع أهلها إن أمكن ذلك أو إخضاعهم وجعلهم عاجزين عن مقاومة وجودها بالقوة أحيانا وبوسائل غيرها أحياناً وذلك حسب الظروف التي تواجهها في المنطقة.

فالجالية اليهودية كانت صغيرة جداً لا تتجاوز تسعة آلاف وسبعمائة نسمة موزعين بين القدس والجليل وصفد وطبريا حسب تقرير نائب القنصل البريطاني نفسه[١]. وكان الهدف استقدام جاليات يهودية لأسباب ودوافع استعمارية بيّنها بوضوح الفايكونت بالمرستون رئيس وزراء بريطانيا في رسالة بعث بها إلى سفيره في استنبول يوم ١١ أغسطس ١٨٤٠م يشرح فيها المنافع السياسية والمادية التي تعود على السلطان العثماني من جراء تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين يقول:

«إن دعوة الشعب اليهودي إلى فلسطين بدعوة من السلطان تحت حمايته تشكل سداً في وجه مخططات شريرة يعدها محمد على أو من يخلفه». [٢] بل حاول بالمرستون اغراء السلطان العثماني عبد المجيد قبول الفكرة[٣].

ولم تكن أفكار بالمرستون في هذا الصدد خاصة إذ تبناها بعده أبرز رجال السياسة الاستعمارية البريطانية من أمثال شافتر بري وديزرائيلي وجوزيف تشمبرلن وتشرشل وبلفور وغيرهم. ولاشك بأن شق قناة السويس واحتلال

---

(١) د. عبد الوهاب الكيالي ـ تاريخ فلسطين الحديث ص ٥.

(٢) نفسه ص ٢٧.

(٣) ملف وثائق فلسطين/ وزارة الإرشاد القومي/ القاهرة/ ١٩٦٩م ج١ وثيقة رقم ١٣ ص٤٧.

بريطانيا لمصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كان له أعمق الأثر في تفكير الساسة الانجليز الاستراتيجي بالنسبة لأهمية فلسطين وضرورة السيطرة عليها وبالتالي إلى تزايد الحماس لفكرة إقامة مستعمرة يهودية تحت الحماية البريطانية في فلسطين.

ولقد سبقت مبادرة بالمرستون في تشجيع فكرة الاستيطان اليهودي ظهور الحركة الصهيونية، بل سبقت ظهور كتابات رواد الفكر الصهيوني أنفسهم ومن المحتمل أنه تأثر بمحاولة نابليون استغلال عطف اليهود في العالم عند حصاره لعكا ١٢١٤هـ/١٧٩٩م حثهم فيه على الانضواء تحت رايته لإعادة بناء مجد اسرائيل الضائع في القدس. ووصفهم بأنهم الورثة الشرعيون لفلسطين[١].

وقد مرت الهجرة الصهيونية في مراحل هي:

أولا: مرحلة التسلل اليهودي إلى فلسطين: **١٢٨٧-١٣١٥هـ / ١٨٧٠-١٨٩٧م**:

ظهرت في هذه الفترة محاولات فردية ممثلة شخصيات سياسية بارزة أو منظمات متناثرة في مناطق شتّى من العالم تنادى بعودة اليهود إلى فلسطين خلاصاً من الظلم الذي تعرض له اليهود في العالم وخاصة في أوربا بعد سيطرة الروح القومية فيها. ومن أشهر هذه الدعوات دعوة ليون بينسكر **(١٨٢١-١٨٩١م)** في كتابه التحرير الذاتي: فقد قال: «إن اليهود ليسوا أمة حية بل هم غرباء في كل مكان وأن التحرير المدني والسياسي لليهود غير كافيين لرفعتهم في نظر الشعوب، والعلاج الوحيد للمشكلة اليهودية يكمن في تدويلها وخلق قومية يهودية لشعب يعيش على أرض خاصة به».

ولم يشترط أن تكون فلسطين مركزاً لتجمع اليهود.

وقد روجت لآرائه جمعيات أحبّاء صهيون التي انتشرت في روسيا في أعقاب عام **١٣٠٠هـ/١٨٨٢م** وشارك بينسكر في جهودها[٢].

---

(١) خيري حماد ـ الصهيونية ص ١١ .

(٢) فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار .

وكــان للبــارون ادمـونـد دى روتشيلد جهـود كبـيرة في سبيـل مسـانـدة الصهيـونيــة فأنشأت عام ١٣٠١هـ/١٨٨٣م الجمعيــة اليهـوديـة للاستعـمار بفلسطين أو ـ بيكا ـ[١] بغرض تنظيم عملية تملك اليهود للأراضي في فلسطين أو استيطـانهم لها. وكـانت بيكـا تبيـع الأراضي لليهـود شريطـة ألّا تبـاع مرة ثانية للمسلمين. وتحت ستار التابعية العثمانية بدأ هذا التسلل اليهودي إلى فلسطين ومع هجرات كثير من المسلمين من اضطهاد روسيا القيصرية.

وفي عام ١٨٩٥م/١٣١٣هـ أصـدر اليهـودي النمسـاوى هيرتسـل كتاباً بعنوان: الدولة اليهودية قرر فيه:

«إن المسألـة اليهـوديـة ليست مسألة اجتماعية أو دينية بل هي مسألة قومية لايمكن حلها إلا عن طريق تحويلها إلى قضية سياسية عالمية تتم تسويتها على يد الـدول الكـبرى مجتمعـة. ويعنى هذا بالتحديد أن يمنح اليهود السيادة فوق رقعـة من الأرض كافيـة لتلبيـة متطلبـات إقـامة دولة قومية على أن يترك الباقي لليهود أنفسهم.

ولكي يحقق اليهود هدفهم اقترح هيرتسل إنشاء جمعية يهودية تقوم بتنظيم اليهـود وتعبئتهم وشـركـة يهوديـة على غرار الشـركـات الاستعـمارية الكبرى في المستعمـرات الأوربيـة في آسيا وأفريقية تقوم بتوطين المستعمرين واستغلال موارد البلاد والسيطرة عليها[٢].

وكـان صدور هذا الكتـاب بمثـابـة نقطـة تحّول في الحركة الصهيونية فقد اعتـبرت المشكلة اليهـوديـة مشكلة قوميـة، وحلّهـا يكمن في تحويلها إلى قضية عالمية تفرض على مجالس الأمم المتحضرة حيث ينادى زعماء اليهود بتكوين دولة يهودية. ولم يعلن هيرتسل في كتابه عن اختياره النهائي للدولة المقترحة.

وتمكنت الصهيـونيـة في هذه الأثنـاء من استـمالـة الأوربيـين لأفكـارهـا:

---

(١) نفسه.

(٢) الكيالي ص ٣٤.

فالمتـدين النصـراني الأوربي دخلت إلى نفسـه فكـرة شعب الله المختـار وأرض الميعـاد وهـو يؤمن كنصراني بالعهد القديم، وأما غير المتدين فرغب أن يتخلص من استغلال اليهود وجشعهم ومكرهم عن طريق تأييد الصهيونية في البحث عن أرض يتجمعون فيها، فتستريح أوربا منهم. انظر إلى قول وزير خارجية قيصر روسيا وهيرتسل يحدثه ويطلب منه تشجيع الهجرة «إننا نعطي مثل هذا التشجيع على الهجرة بأن نركلهم بأقدامنا»[1].

وأمـا الحكـومـات الاستعـمارية فقد أيدت الصهيونية عن طريق استعداد الأخـيرة لتكـون خادمـة للاستعـمار وعن طريق المسـاعـدات والقـروض المـالية للحكومات الاستعمارية التى قامت بها البيوتات المالية اليهودية الكبيرة.

ثانيـا: مرحلة وضوح الهدف الصهيوني **١٣١٥-١٣٣٣هـ / ١٨٩٧-١٩١٤م**:

بدأت هذه المـرحـلة بمؤتمـر بازل (بـال) بسـويـسـرة عام **١٣١٥هـ/١٨٩٧م**، وهـو المؤتمـر الصهيـوني الأول الـذي نجـح هيرتسـل في عقده، وضم **٢٠٤** مندوبين يمثلون جمعيات صهيونية متناثرة في أرجاء مختلفة من العالم. وقد حدد المؤتمر أهداف الصهيونية بما يلي:

«إن غايـة الصهيـونيـة هو خلق وطن للشعب اليهودي في فلسطين يضمنه القانون العام»[2] وقد ووفق على برنامج هذا المؤتمر.

ومن الممكن تلخيص قراراته في:

١ ــ وضـع هذا المؤتمـر برنـامج الحركة الصهيونية التى تتمثل في استعادة أرض مملكة إسرائيل بحدودها التاريخية وإعادة تكوين الشعب اليهودي في وطنه القديم.

٢ ــ وضـع المؤتمـر أسس المنظمـة الصهيـونيـة العـالميـة وربطها بواسطة منظمات محلية ودولية تتلاءم مع القوانين المتبعة في كل بلد.

٣ ــ وأوصى المؤتمر بالتدابير التالية لتحقيق الأهداف الصهيونية:

---

(١) جارودي ـ اسرائيل ـ ص ٧٢ عن كتاب ا. شورافي ـ تيودور هرتزل ـ باريس ١٩٦٠م ص٣٠٢.

(٢) الكيالي ص ٣٥.

أ ــ العمل على استعمار فلسطين بواسطة العمال الزراعيين والصناعيين اليهود ووفق أسس مناسبة.

ب ــ تقوية الشعور والوعي القومي اليهودي وتغذيته.

جـ ــ القيام بالسعي لدى الحكومات المختلفة لتأييد كفاح اليهود لتحقيق أهداف الحركة الصهيونية.

د ــ تنظيم العناصر اليهودية وتوثيق الروابط بينها بإنشاء المؤسسات المحلية والدولية وفقاً للقوانين المتبعة في كل بلد[1].

ووضع هذا المؤتمر شعار العلم اليهودي والنشيد القومي اليهودي وتأسست الهيئات الصهيونية التنفيذية وصندوق الائتمان اليهودي لشراء الأراضي.. وبناء عليه أصبح لفظ صهيوني يعبر عن كل من يعتنق المبادىء التي وضعت في هذا المؤتمر ويكتتب سنويا بمقدار شيكل واحد ـ نصف دولار.

وهكذا صاغ هيرتسل الأفكار الصهيونية في حركة سياسية ذات طابع عالمي وأصبح المنظم الذي لا يلحق به كلل أو اعياء للحركة الصهيونية وداعيتها ومندوبها السياسي[2]، مشيعاً أن اليهود أمة يمثلون قومية وأسطورة الجنس الواحد[3]، ومردداً الحقوق التاريخية[4] والأسطورة التوراتية[5]. وكان هيرتسل قد قال في أعقاب هذا المؤتمر: «لو أردت أن أختصر مؤتمر بازل في كلمة واحدة ـ وهذا ما لن أفعله صراحة ـ لقلت في بازل أسست الدولة اليهودية. ولو أعلنت ذلك اليوم لقابلني العالم بالسخرية والتهكم، ولكن بعد خمس سنوات على وجه الاحتمال، وبعد خمسين سنة على وجه التأكيد سيرى هذه الدولة جميع الناس»[6].

---

(١) الكيالي ص ٣٥.

(٢) خيري حماد ـ الصهيونية ص ٣١.

(٣) انظر هذه الاسطورة ـ جارودي ـ اسرائيل الصهيونية السياسية ص١٠٥.

(٤) انظر نفسه ص ٣٣ ـ ٨١.

(٥) انظر نفسه ص ٨٢ ـ ١٠٢، وص ١٠٥.

(٦) مذكرات تيودور هرتزل الكاملة ج ٢ ص ٢٤/ نيويورك ١٩٦٠م.

وفي المؤتمر الصهيوني الثاني سنة ١٣١٦هـ/١٨٩٨م أقر المؤتمرون:

تشكيل لجنة استعمار فلسطين وإنشاء المصرف الاستعماري اليهودي ليكون الأداة المالية للحركة الصهيونية وللشركة اليهودية المنشودة، وقد جعل هرتزل مقر المصرف والمؤسسات الصهيونية الأخرى في انكلترا لأنه رأى أن ظروفها العامة ومخططاتها الاستعمارية ومواقف ساستها تحتم تبنيها الكامل للحركة الصهيونية(١).

وأخيراً فهناك بعض الملاحظات على مؤتمر بال الصهيوني لابد من ايرادها:

١ ــ اختار المؤتمر تعبير «وطن قومي» وهو تعبير غامض قد يعني أكثر من معنى، وذلك عن عمد، واستمرت الصهيونية في استعمال الألفاظ الغامضة تعمية للأبصار عن الأهداف الحقيقية حتى تقطع فيها خطوات وتتمكن منها. وقد أثر عن هرتزل أنه قال:

«يجب ألّا يعار كبير التفات إلى الألفاظ فإن الشعب اليهودي سيقرأها [الدولة اليهودية]»(٢).

٢ ــ أصبحت الحركة الصهيونية كدولة يهودية موزعة بين حكومات العالم، فاللجنة التنفيذية كانت السلطة التنفيذية، والمؤتمر الصهيوني كان المجلس النيابي، وكانت المنظمة الصهيونية العالمية المفوض الذي يتحدث باسم يهود العالم، فأصبح كل يهودي صهيوني شاء أم أبى.

٣ ــ وضع المؤتمر قرارات سرية أظهرتها فيما بعد بروتوكولات حكماء صهيون في ضمنها اشعال حرب عالمية، والسيطرة على العالم اقتصادياً وفكرياً تمهيداً للسيطرة اليهودية على العالم. وقد تغلغل النفوذ الصهيوني في أوربا بالفعل ولم يصبح في المجتمع الأوربي صوت حقيقي يرتفع في وجه الصهيونية كي يحدّ من أحلامها، وسيطرت على محترفي السياسة في أوربا وأمريكا حتى أنها تمكنت في آخر الأمر أن تنتزع موافقتهم على إنشاء وطن قومي لهم في فلسطين. فأصبحت الصهيونية تركز عداءها ضد العالم الإسلامي وحده، وكانت الدولة

(١) الكيالي ص ٣٧.

(٢) مذكرات هرتزل.

العثمانية هي زعيمة المسلمين، وفلسطين من أملاكها، فاتبعت الصهيونية معها الأساليب التالية:

أ ـ **أسلوب الاغراء**: فقد قابل هرتزل السلطان عبد الحميد مستعملاً أسلوب الرشاوي مع الوسطاء والمسئولين الأتراك(١)، ووساطة الدول الأوروبية وخاصة المانيا، وقدم له التماساً لتحقيق المطامع اليهودية وعرض عليه تسديد ديون الدولة العثمانية جميعها وخمسة ملايين جنيه ذهب لجيبه الخاص مقابل السماح لليهود باستيطان فلسطين كرعايا للدولة العثمانية. فرفض السلطان طلبه، وكان قد عرف ألاعيب الصهيونية(٢)، واتبع خطوات ايجابية ليحول دون تسلل اليهود إلى فلسطين بأن فصل سنجق القدس عن ولاية دمشق، واتبعه للباب العالي رأساً، ومنع بقاء الزوار اليهود أكثر من ثلاثة شهور في القدس. وبذلك حدّ من تسللهم.

ب ـ **أسلوب التهديد**: فقد عمدت الصهيونية إلى تهديد الدولة العثمانية عن طرق الدول الاستعمارية الأوروبية ـ وخاصة النمسا ثم بريطانيا والمانيا، وحاولوا الحصول على العريش وشبه جزيرة سيناء وجزيرة قبرص كما عرض عليهم اوغندة وليبيا والعراق وموزمبيق والكونغو ومدغشقر(٣). وقد وافق كرومر المعتمد البريطاني في مصر على منح الصهيونية العريش وشبه جزيرة سيناء وقابل هرتزل المستشار القانوني للحكومة المصرية بهدف الإعداد للتعاقد على استعمار سيناء والعريش لمدة ٩٩ سنة، ولكن المشروع فشل بجهود الدولة العثمانية.

---

(١) خيري حماد ـ الصهيونية ـ ص ٤٠.

(٢) راجع ص ١٠٤ ـ ١٢٠ من هذا الكتاب.

وفي احدى المرات قال السلطان: «أنصح الدكتور هرتزل ألا يتخذ خطوات أخرى في هذه الطريق، فإني لا استطيع أن أتنازل عن قدم مربعة واحدة من هذه الأرض (أرض فلسطين) لأنها ليست أرضي وإنما هي أرض شعبي، شعبي الذي حارب في سبيل هذه الأرض وسواها بدمه، دع اليهود يحتفظون بملايينهم، فإذا انفكت دولتي فإن اليهود قد يحصلون على فلسطين بدون مقابل، ولكنهم لن يصلوا إليها إلا على اشلاء أجسامنا بعد تمزيق أوصالها، إنني لا استطيع أن أوافق على إجراء التجارب الجراحية على أجسام أبناء شعبي الأحياء». (النص عن يوميات هرتزل ـ خيري حماد ـ الصهيونية ص٤١، أنور الجندي ـ الإسلام والعالم المعاصر ص٤٢١).

(٣) انظر خيري حماد ص ٤٤ ـ ٤٥.

جـ ـ أسلوب التآمر ضد الدولة العثمانية ـ وذلك :

(١) بتشويه سمعة السلطان عبد الحميد واتهامه بالرجعية والاستبداد حتى أصبح ممقوتاً حتى عند شعبه لما تملكه الصهيونية من شبكات وسائل الاعلام .

(٢) بمحاولة إثارة النعرات القومية داخل الدولة العثمانية عن طريق الجمعيات الماسونية التي انضوى إليها بعض الشباب العرب والاتراك في باريس وبقية أوربا . فظهرت فكرة القومية التركية (الطورانية) وفكرة القومية العربية ، وتمكنت جمعية الإتحاد والترقي من إزالة السلطان عبد الحميد ، وكانت فيها عناصر الدونمة (يهود سالونيك) عام ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م كما سبق[١] .

وقد سمحت جمعية الاتحاد والترقي بعد نجاحها بهجرة اليهود إلى فلسطين إلى أن ضج العرب المسلمون في مجلس المبعوثان ، وبعض الصحف في فلسطين ، فاغلقوا الصحف ، وتظاهروا بالعودة إلى أسلوب السلطان عبد الحميد بشأن الهجرة اليهودية ، فعاد أسلوب التسلل ولكن بحماية المسئولين هذه المرة وتسهيلاتهم من جمعية الاتحاد والترقي التركية . فارتفع عدد اليهود من خمسين ألفاً عام ١٣١٥هـ/١٨٩٧م إلى ٨٥ ألفاً عام ١٣٣٣هـ/١٩١٤م من أهل فلسطين الذين بلغ عددهم ٦٨٩ ألفاً حسب تقديرات السلطات العثمانية .

وأخيراً فلنا أن نتساءل لماذا اختارت الصهيونية فلسطين بالذات مادام عرض عليها أوغندة ، مدغشقر ، موزمبيق ، الكونغو وغيرها ؟

يجيبنا على هذا ناحوم غولدمان رئيس المؤتمر اليهودي العالمي في خطاب ألقاه في مدينة مونتريال في كندا عقد عام ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م :

«كان في امكان اليهود أن يحصلوا على اوغندة أو مدغشقر أو غيرهما ، ليقيموا في أي منها وطناً يهودياً ، ولكن اليهود لا يريدون سوى فلسطين ، لا لإعتبارات دينية ، أو لأن التوراة قد أشارت إليها ، أو لأن مياه البحر الميت تستطيع أن تعطي عن طريق التبخر ما قيمته خمسة آلاف مليون من الدولارات

---

(١) انظر ص ١٠٤ ـ ١٢٠ من هذا الكتاب .

من المعادن والأملاح، أو لأن تربة فلسطين الجوفية تحتوي على كميات من البترول تبلغ عشرين ضعف احتياطي البترول في الامريكتين ـ بل لأن فلسطين هي ملتقى الطرق بين أوربا وآسيا وافريقيا، ولأنها المركز الحقيقي للقوة السياسية العالمية، ولأنها المركز العسكري الاستراتيجي للسيطرة على العالم»(١).

وهكذا تطابقت المصالح الاستعمارية مع أهداف الحركة الصهيونية في هذا الاختيار الاستراتيجي الهام. ولأن القائمين على أمر الحركة الصهيونية يدركون ان اقتران اسم فلسطين بالدين اليهودي يساعد في جذب اليهود للحركة الصهيونية وللهجرة إلى فلسطين في آن واحد.

ثالثا: مرحلة المناورات الخفية الماكرة ـ العمل المراوغ ـ **١٣٣٣ـ١٣٣٧هـ/ ١٩١٤ـ١٩١٨م**:

وهذه هي فترة الحرب العالمية الأولى، وكانت الدول المتحاربة:

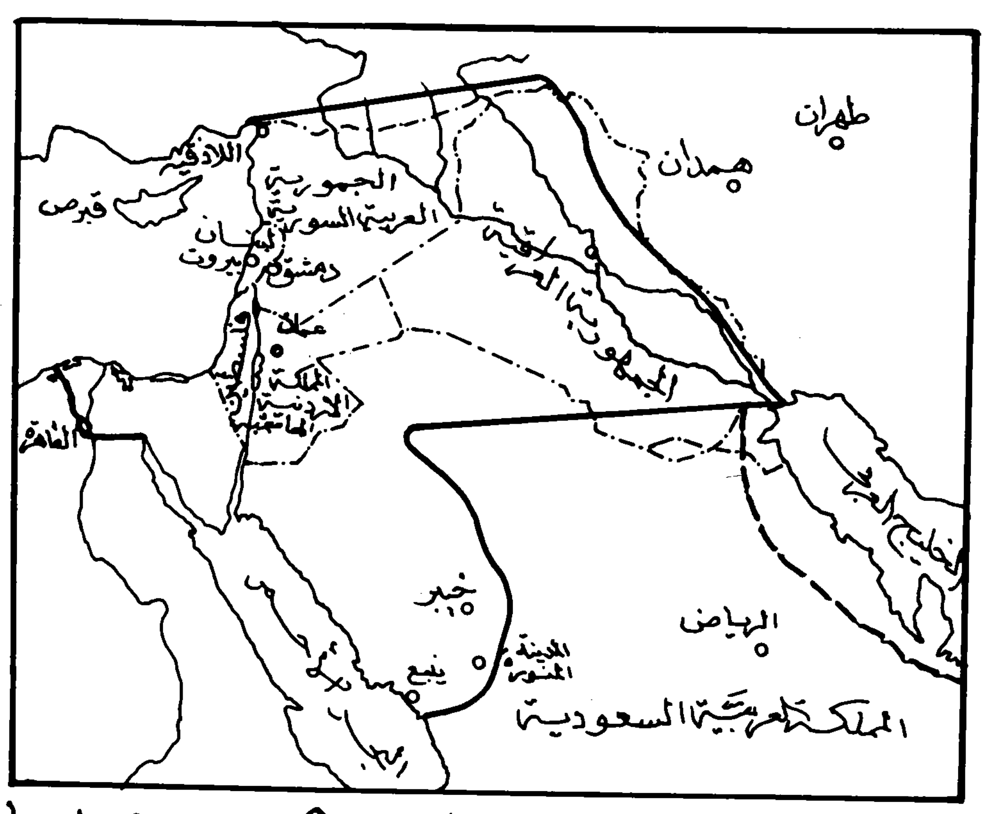
أ ـ الحلفاء: بريطانيا وفرنسا وروسيا، وانضمت إليهم ايطاليا ثم الولايات المتحدة، في حين انسحبت روسيا من الحرب بعد ثورة اكتوبر الشيوعية عام **١٣٣٦هـ/١٩١٧م**:

ب ـ دول الوسط: وهي المانيا والنمسا وانضمت إليهما جمعية الاتحاد والترقي التركية.

وقد استطاعت الصهيونية أن تمدّ نفسها كالأخطبوط بين مختلف هذه الدول المتحاربة عن طريق الجاسوسية والأموال والدعاية فأخذت من كل منها وعوداً، في حين كانت تتظاهر بالحياد ونقلت مقرها الرئيسي من برلين إلى كوبنهاجن عاصمة الدنمرك المحايدة(٢). ونجحت في روسيا نجاحاً كبيراً جداً إذ أزالت الحكم القيصري وقام الحكم الشيوعي عام **١٩١٧م** وكان معظم من تزعم الحركة الشيوعية من اليهود الصهاينة(٣)، كما نجحت في إسقاط الخلافة

---

(١) خيري حماد ـ الصهيونية ـ ص ٧١.
(٢) المالكي ص ٩٣.
(٣) انظر الشيوعية وليدة الصهيونية ـ ص ٩٥.



البلاد الإسلامية التي يطمع اليهود في الاستيلاء عليها
« إسرائيل الكبرى من الفرات إلى النيل »

العثمانية كما سبق[1] وشجع القوميون الأتراك الهجرة اليهودية إلى فلسطين في هذه الفترة فكانت الصهيونية لا تتردد في التحدث إلى أي فرد باللغة التي تناسبه حتى ولو كان من أشد المناهضين للسّامية أسوة بسياسة هرتزل مؤسسها الذي كتب في يومياته قائلاً : سأقول للقيصر الألماني ـ دعونا نرحل ـ فنحن مختلفون عنكم . ولا يسمح لنا بأن نندمج في أهل بلادكم ثم إننا غير قادرين على ذلك[2] . وكان نجاحها كبيراً في نيل عطف بريطانيا ثم تسخيرها لنيل أغراضها ، فعند بداية الحرب قدم هربرت صموئيل أحد أقطاب الصهيونية الانجليز مذكرة إلى الحكومة البريطانية عرض فيها مشروعاً لتأسيس دولة يهودية في فلسطين تحت اشراف بريطانيا يأوي إليها ثلاثة أو أربعة ملايين من اليهود المشردين في أوربا قائلا : «وبذلك نكون قد أقمنا بجوار مصر وقناة السويس دولة جديدة موالية لبريطانيا»[3] . فتمكنت من الحصول على وعد بلفور من بريطانيا وهو بمثابة شهادة زواج غير شرعي بين الاستعمار البريطاني والحركة الصهيونية على حساب مستقبل الإسلام والمسلمين في فلسطين . وهذا نصه :

«عزيزي اللورد روتشيلد : يسرني جداً أن أنقل إليكم باسم حكومة جلالة الملك هذا التصريح المشوب بالعطف على الأماني اليهودية الصهيونية الذي رفع إلى الحكومة ووافقت عليه :

إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى إقامة وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي ، وسوف تبذل أقصى جهدها لتحقيق هذه الغاية ، هذا مع العلم أن حكومة جلالة الملك لن تفعل شيئاً ينطوي على أي مساس بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية في فلسطين ، ولا بحقوق اليهود أو بمركزهم السياسي الذي يتمتعون به في غيرها من البلاد»[4] .

ولقد اتسم هذا التصريح كما ترى بأفكار سياسية استعمارية ماكرة قصد بها الغموض والتضليل ، من كلمات العطف ، وإقامة وطن قومي للشعب اليهودي ،

(١) انظر ص ١١٣ من هذا الكتاب .

(٢) جارودي ـ اسرائيل ـ ص ٧٠ ـ ٧١ عن يوميات هرتزل ـ الجزء الثاني ص٢٧/ الترجمة الفرنسية .

(٣) البرت هامسيون ج٢ .

(٤)انظر د. محمود منسي . وعد بلفور .

واعتبار غير اليهود طوائف في فلسطين، ويعتبر هذا من أغرب الوثائق الدولية في التاريخ إذ منحت بموجبه دولة استعمارية أرضاً لا تملكها إلى جماعة لا تستحقها على حساب من يملكها ويستحقها، وقد أقدمت على هذه الجريمة قبل أن تتقدم جيوشها بمساعدة حلفائها من العرب الذين قادهم فيصل ولورنس إلى فلسطين. ويكفي أن نذكر أن المستر بيفن وزير خارجية بريطانيا بعد ذلك بثلاثين عاما عبر عن مدى التناقض الذي يشتمل عليه هذا التصريح بقوله: «إنه كان في الواقع يتضمن شيئين متناقضين: تشجيع الهجرة إلى فلسطين ثم حماية السكان الأصليين ضد المهاجرين. إنها مغالطة تاريخية وفكرة استعمارية ماكرة»[1].

وأحضر وايزمن لحظة إصدار تصريح بلفور لوزارة الحرب البريطانية مذكرة جاء فيها: «عندما نقدم اقتراحنا فإننا نعهد بمصيرنا القومي والصهيوني لوزارة الخارجية البريطانية ولحكومة الحرب الامبراطورية آملين أن يُنظر إلى المشكلة على ضوء المصالح الإمبراطورية والمبادىء التي يدافع عنها تحالف الوفاق»[2].

بل وأعلن وايزمن حقيقة تصريح بلفور بقوله: «اننا اتفقنا مع الحكومة البريطانية على تسليم فلسطين لليهود خالية من سكانها العرب»[3].

ودخل الجنرال اللنبي القائد الإنجليزي القدس في الحادي عشر من كانون الأول عام **١٣٣٦هـ/١٩١٧م** بعد أقل من ستة أسابيع من اعلان وعد بلفور وصرح قائلاً: «اليوم انتهت الحروب الصليبية»[4] معبراً عن حقده الصليبي، ومؤكداً الرابطة بين وعد بلفور وبين الحروب الصليبية أو الارتباط بين الصهيونية والاستعمار. قالت بربارة توخمان الكاتبة اليهودية في كتابها التوراة والسيف:

---

(١) نفسه.
(٢) جارودي ـ اسرائيل ص ٧٣ من كتاب حاييم وايزمن المحاكمة والخطأ لندن ١٩٥٠م ص ٢٥٢.
(٣) شفيق الرشيدات ـ فلسطين تاريخاً وعبرة ومصيراً ص ٥١.
(٤) أنور الجندي. العالم الإسلامي ص ٤٣٩.

«وهكذا دخل الجنرال اللنبي إلى القدس عام ١٩١٨م فنجح حيث كان ريتشارد (ريكاردوس قلب الأسد) قد أخفق ولولا ذلك الانتصار لما كانت إعادة اسرائيل إلى أرض الميعاد قد أصبحت حقيقة واقعة، وكذلك لم يكن بإمكان اللنبي أن ينجح لولا محاولة ريتشارد، أي لو لم تكن النصرانية قد أقامت في الأصل الأساس الذي يحمل النصارى على التعلق بالأرض المقدسة. إن من غريب التهكم أن يكون اليهود قد استعادوا موطنهم إلى حدّ ما بفعل الدين الذي أعطوه للأميين»[١].

وهكذا تتكشف أوجه الصراع بين النصرانية واليهودية في محاولة السيطرة على الإسلام، وتبدو براعة الصهيونية في نقل الكرة من قدم إلى قدم حتى تصبح في حوزتها.

الدوافع التي دفعت بريطانيا للسير في المخططات الصهيونية :

١ ـ مصالح بريطانيا السياسية والاستراتيجية في البلاد الإسلامية :

فقد هدفت بريطانيا إلى كسب هدف استراتيجي يخدمها في الشرق الإسلامي بإيجاد تجمع يهودي في فلسطين تحت السلطة البريطانية يؤمن الطريق المؤدي إلى الهند ـ درة التاج البريطاني ـ والسيطرة على قناة السويس ويمنع قيام وحدة بين المسلمين في آسيا وافريقيا، ويشغل العالم العربي والعالم الإسلامي، ففي عام ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م أخذت بريطانيا تدرس عن طريق رؤوس الاستعمار ومفكريه الوسائل الكفيلة لتفادي انهيار الامبراطورية فكان مشروع كامبل باترمان رئيس وزارة حزب الأحرار الحاكم في بريطانيا آنذاك الذي اعتبر الجسر البري الضيق الذي يصل آسيا بافريقيا ويمر فيه قناة السويس هو مكمن الخطر، فلابد من العمل على تجزئة المنطقة وتخلفها ومحاربة اتحاد سكانها وضرورة فصل الجزء الإفريقي من الآسيوي بإقامة حاجز بشري قوي وغريب على الجسر البري كقوة حليفة للاستعمار[٢].

---

(١) أنور الجندي ـ العالم الإسلامي المعاصر.

(٢) انظر شفيق الرشيدات ـ فلسطين تاريخاً وعبرة ومصيراً ص ٤٥.

كما كتب ل. سى أري من وزارة الحربية والذي أصبح فيما بعد وزيراً للمستعمرات مذكرة أكد فيها : «ان فلسطين ومصر تشيران من الوجهة الاستراتيجية معاً. ففلسطين ليست حاجزاً ضرورياً أمام قناة السويس وحسب بل ان أي دفاع عن قضية فلسطين تكون قاعدته الرئيسية من الناحية الأخرى في القنطرة... وفلسطين جغرافياً وعملياً تقع في قلب الأمبراطورية البريطانية»(١).

وكانت الصهيونية تدرك ذلك فركزت عليه، فوصفت الموسوعة البريطانية نفسها وعد بلفور بأنه محاولة من جانب بريطانيا لإسكان اليهود الذين تشدهم إلى بريطانيا أقوى الروابط والمصالح في فلسطين ليتولوا حماية مداخل قناة السويس والطريق إلى الهند(٢) ويقول آخر بناة الاستعمار البريطاني - تشرشل - في مذكراته(٣) والتي كتبها منذ عشرات السنين :

«إذا اتيح لنا في حياتنا وهو ما سيقع حتماً أن نشهد مولد دولة يهودية لا في فلسطين وحدها بل على ضفتي نهر الأردن معاً تقوم تحت حماية التاج البريطاني وتضم نحواً من ثلاثة ملايين أو أربعة ملايين من اليهود، فإننا سنشهد وقوع حادث يتفق تمام الاتفاق مع المصالح الحقيقية للإمبراطورية البريطانية»(٤).

ويقول سايد بوتام الخبير العسكري لصحيفة المانشستر جارديان في كتابه انجلترا وفلسطين موضحاً العلاقة بين الفكرة اليهودية في سلب فلسطين من المسلمين ومصالح بريطانيا في الشرق الأوسط :

«اليهود هم الفئة الوحيدة المهيأة لاستعمار فلسطين - فهم دون غيرهم - باستطاعتهم أن يقيموا شرقي البحر الأبيض المتوسط نفوذاً جديداً مرتبطاً بهذا البلد (بريطانيا) وسيشكلون درعاً لحماية مصالحنا في الشرق ووسيطاً بيننا وبينه

---

(١) المالكي ص ١١٨.
(٢) خيري حماد - الصهيونية - ص ٧٥.
(٣) عرّبها خيري حماد.
(٤) خيري حماد - الصهيونية - ص ٧٨.

وسيكونون حضارة متميزة عن حضارتنا ولكنها ستكون مشبعة بأفكارنا ومبادئنا السياسية[1].

وتجد الصهيونية تحاول جاهدة أن تؤكد هذا الوهم لدى بريطانيا ـ فوايزمن يقول في حديث للورد روبرت سيسيل : «إذا كانت فلسطين يهودية فسيكون في هذا ضمان لإنجلترا من ناحية قناة السويس»[2].

وقد التقت سياسة وايزمن الذي طالب بامتيازات للصهاينة وبمنح اليهود أراضي الدولة لكي يوطن فيها ما بين أربعين ألفاً وخمسين ألفاً من المهاجرين سنوياً بتأييد اورسبي غور على الفور. وكان هذا الاستعماري البريطاني يميل إلى تشجيع العناصر غير الإسلامية من أوروبية ويهودية على استعمار المنطقة في ضوء الافتراض بأن الإسلام هو الخطر الرئيسي . كما كان يميل إلى تشجيع فكرة إنشاء دويلات طائفية لتفتيت وحدة المسلمين وبعثرة قواهم أمام أوربا النصرانية والصهيونية .

ولما كانت المنظمة الصهيونية قد أمنت العنصر البشري المطلوب للمراكز الأمامية في فلسطين وذلك في حرب أوربا ضد الإسلام ـ «فإن من مصلحة بريطانيا أن تساعد المنظمة الصهيونية وأية منظمة أخرى قد تتعاون معها في التطوير العملي للاستعمار اليهودي في فلسطين» . ولهذا نرى لماذا كانت الصهيونية وسياسة تصريح بلفور القائمة على أساس اعطاء اليهود وطناً قومياً في فلسطين أمراً مفروغاً منه في نظر اورجسبي غور وغيره من الشخصيات السياسية البريطانية الرئيسية[3].

٢) تدهور الموقف الحربي للحلفاء أثناء الحرب العالمية الأولى[4]، فبدا للحكومة الانجليزية ان تستميل الرأي العام الأمريكي لعلها تقنع الولايات المتحدة بالاشتراك في الحرب إلى جانب الحلفاء، وللصهيونية تأثير كبير على

---

(١) الشرق الأوسط/ رسالة اليوم من ابراهيم مهدي اسماعيل قراءة ثالثة في وعد بلفور/ ص١٨ الأربعاء ١٣/١١/١٩٨٥م.

(٢) جارودي ـ اسرائيل ص ٧٣ عن كتاب وايزمن ـ ميلاد اسرائيل ـ ط٣ باريس ١٩٥٧م.

(٣) المالكي ص ١٣٣ .

(٤) انظر الوضع الحربي للدول المتحاربة/ بيير رونوفن ـ تاريخ القرن العشرين ص ٥١ـ٦٠.

هذا الرأي العام في الولايات المتحدة، فعملت على السير في المخططات الصهيونية فضمنت بذلك جماعات اليهود القوية العالمية التي تبسط سيطرتها على أسواق المال لا في نيويورك فقط بل في نواحي كثيرة من انحاء العالم وحملها على مناصرة قضية الحلفاء[1]، وبالفعل فقد تحولت الحرب لصالح الحلفاء بدخول الولايات المتحدة الحرب عام ١٩١٧م .

٣) مشكلة استخراج الأسيتون : والأسيتون مادة تستخدم كمذيب للبارود فلا تطلق دخاناً، وقد تمكن الدكتور وايزمن من استخراج هذه المادة بعد أن كانت عمليات الاستخراج قد عجزت عن الوفاء باحتياجات معامل وزارة الحربية بعد أن نجحت الغواصات الألمانية في فرض حصار بحري محكم على الجزر البريطانية، ولم يترك وايزمن عملية الإشراف على انتاج الاسيتون لغيره، فقد أرسل أحد تلاميذه الصهاينة وهو هربرت سبيكمان للإشراف على العمل في كندا، وبذلك ضمن أن يظل هو صاحب الفضل الأول والأخير في انتاج هذه المادة الاستراتيجية وقد رفض وسام الشرف الذي قدم له وطلب أن تفعل الحكومة البريطانية شيئاً لشعبه. وطالب بمنح اليهود أراضي الدولة في فلسطين بعد ذلك وتشجيع الهجرة اليهودية بمعدل اربعين ألفاً إلى خمسين ألفاً فأيده اورجسبي السياسي الاستعماري البريطاني على الفور .

رابعاً : مرحلة العمل الصهيوني الانجليزي لتهويد فلسطين ١٣٣٧-١٣٥٨هـ/ ١٩١٨-١٩٣٩م :

في هذه المرحلة تمكنت الصهيونية والاستعمار من اسقاط الخلافة العثمانية والغائها . ووقعت البلاد العربية في الشام والعراق بعد أن جزئت في قبضة الاستعمار الانجليزي والفرنسي، وتبنت دول الحلفاء كلها وعد بلفور، وضربوا بوعودهم للعرب عرض الحائط، وأصبح وعد بلفور الموجه الذي تسترشد به السياسة البريطانية .

(١) فشر - تاريخ أوربا ص ٥٣٢ .

وانشغل في هذه الفترة كل قطر عربي وإسلامي بمشاكله الخاصة، ومعاناته، فانفردت الصهيونية والانجليز في فلسطين، فقد تم التوقيع عام ١٣٣٨هـ/١٩١٩م في مؤتمر فرساي (مؤتمر الصلح) على ميثاق عصبة الأمم. وفي المادة (٢٢) من هذا الميثاق نص يعرف بصك الانتداب[١]. وفي معاهدة سيفر سنة ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م انحلت الدولة العثمانية ولم يبق للأتراك إلا مدينة القسطنطينية مع ضاحيتها والقسم الأعظم من شبه جزيرة الأناضول أي آسيا الصغرى، ووضعت سورية الشمالية تحت الانتداب الفرنسي أي تحت النفوذ الفرنسي، وأصبحت سورية الجنوبية والعراق وشرق الأردن منطقة نفوذ انكليزي[٢]. وبدلت معاهدة سيفر بمعاهدة لوزان عام ١٩٢٣م على أثر انتصارات مصطفى كمال ولم تبدل هذه المعاهدة شيئا فيما يتعلق بالبلاد العربية[٣]

وفي مؤتمر سان ريمو سنة ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م تم اقتسام بلاد الشام والعراق بين بريطانيا وفرنسا وتبنت دول الحلفاء وعد بلفور علناً. وأصبحت فلسطين تحت الانتداب البريطاني مع الالتزام بتنفيذ وعد بلفور. وأقر مجلس عصبة الأمم هذا الانتداب عام ١٣٤١هـ/١٩٢٢م بموجب صك الانتداب الذي نص في ديباجته إقرار وعد بلفور، كما نصت بنوده على تشجيع الهجرة اليهودية. فقامت بريطانيا بدورها في تهويد فلسطين بحماس شديد. ومن أهم ما عملته في هذا السبيل:

١) تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين:

فوصل عدد اليهود من ٥٥ ألفاً عام ١٣٣٩هـ/١٩١٩م إلى ١٠٨ آلاف عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م و٣٠٠ ألفاً عام ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م و٦٥٠ ألفاً عام ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م[٤]، فرأى أهل فلسطين سيول الغرباء تغمر بلادهم دون أن يستطيعوا وقف هذه السيول[٥].

---

(١) انظر شفيق الرشيدات ص ٧٧ ـ ٧٨.

(٢) رونوقن ج ١ ص ١٠٨.

(٣) نفسه ص ١٤٢.

(٤) خيري حماد ـ الصهيونية ص ٧٦/ بينما كان عددهم عند إعلان تصريح بلفور سنة ١٩١٧م خمسين ألفاً أي حوالي ٥٪ من السكان (انظر جارودي ـ اسرائيل ص١٣٨).

(٥) انظر المالكي ص ٦٧، ٧٩.

٢) تشجيع انتقال حيازة الأرض إلى اليهود :

فقد منحت السلطات البريطانية أجزاء كبيرة من أراضي الدولة الصالحة للزراعة مثل منطقتي بيسان والبيرة وقيصرية[١]، بطلب من وايزمن وتأييد من السياسي البريطاني اورجسبي غور[٢]. كما وجهت المنظمة اليهودية الضغط للحصول على قرض بمليوني جنيه استرليني يجمع تحت رعاية عصبة الأمم المتحدة وتضمنه الحكومة البريطانية وذلك لشراء المزيد من أراضي الدولة التي ستخصص للاستعمار اليهودي والهيئات الزراعية[٣]. ووضعت بريطانيا الفلاحين المسلمين في فلسطين في ظروف غاية في القسوة تجبرهم على ترك أراضيهم أو بيعها، كما ساعدت الحدود المصطنعة والاغراءات المالية الصهيونية على أن يبيع الملاكون خارج فلسطين أراضيهم داخل فلسطين كسهل مرج ابن عامر (الذي كان يملكه اغنياء بيروت وتجارها أمثال : عائلات بترس وسرسق وتويني ومتىّ فرح وسليم الخوري)[٤]ووادي الحوارث والحولة وغيرها، وقد استخدمت بريطانيا القوة في طرد المزارعين المسلمين من هذه المناطق وإحلال المستوطنات اليهودية مكانهم. فحصل الصهاينة في الفترة (١٣٤٠-١٣٤٤هـ/ ١٩٢١-١٩٢٥م) على ٢٦٠ ألف دونم من ملاكين مقيمين خارج فلسطين[٥]. واما من أهالي فلسطين فحصلوا على نسبة ضئيلة معظمها من العائلات النصرانية : كسار، روك، خوري وحنا وغيرهم. واما الأراضي التي باعها الفلاحون المسلمون فكانت تكوّن نسبة ضئيلة جداً من الأراضي التي بيعت[٦]، ورغم ذلك فإن اليهود استطاعوا أن يملكوا حتى عام ١٩٤٨م ٦٪ فقط من مساحة فلسطين ولكن هذه النسبة تساوى ٢٠٪ من مجموع مساحة الأراضي الزراعية .

---

(١) المالكي ص ١٩٩ .
(٢) نفسه ص ١٣٣ .
(٣) نفسه ص ٢٣٠ .
(٤) نفسه ص ٤٥ .
(٥) نفسه ص ٢٥٤ .
(٦) الكيالي ص ٥٨ .

٣ ـ اعـترفت بريطـانيـا بالـوكـالـة اليهـودية شريكة في تنفيذ المخططات فأصبحت دولـة داخـل دولـة، كما عملت السلطـات الـبريطـانيـة على تهويـد الإدارات الحكومية بجعلها في يد اليهود أو الانجليز المعروفين بتعصبهم للصهيونية .

٤ ـ عيّنت بريطـانيـا هربـرت صمـوئيـل السيـاسي البريطاني الصهيوني المتعصب أول مندوب سامي في فلسطين عام ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م ليشرف بنفسه على تنفيذ الجريمة وكان يشغل عام ١٣٣٥هـ/١٩١٦م منصب وزير الداخلية واتخـذ معـاونيـه من اليهـود وعلى رأسهم اليهـودي بنتـوليش الـذي تولى وضـع القـوانـين والإشراف على السلطة التنفيذية لحقوق الانتداب البريطاني[١] وفتح مع زمـلائـه اليهـود باب الهجـرة على مصـراعيه حتى يمكن اليهود من السيطرة عليهـا، فكـان تعيينـه ضربـة قويـة لمسلمي فلسطـين ففي أعقاب القيام برحلة شاملة كتب الجنـرال بولـز يقول : «انهم مقتنعون بأنه سيكون متحيزاً للصهيونية وأنه يمثل حكومة يهودية لا بريطانية»[٢] .

٥ ـ اعـترفت بريطـانيـا باللغـة العـبريـة لغـة رسمية إلى جانب العربية والانجليزية، ومنحت اليهود حق الإشراف على شئون تعليم اليهود، بينما ظلت شئون المسلمين في أيدي الموظفين الانجليز واليهود، وافتتح بلفور نفسه الجامعة العبرية سنة ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م في القدس .

٦ ـ منحت بريطـانيـا الصهـاينـة امتيازات المشاريع الهامة في فلسطين : كمشروع روتنبرغ للكهرباء، وتجفيف بحيرة الحولة، ومشروع البوتاس .

موقف المســـــلمين :

لم يوافق العــرب والمسلمـون على وعـد بلفـور، ولكن مواقفهم اتسمت بالتهـاون والتخاذل، وذلك لانشغالهم بقضاياهم ومعاناتهم الهجمة الاستعمارية الشـرسـة، ولغمـوض وعـد بلفـور وعدم ادراكهم أبعاده، أما أهل فلسطين فقد

---

(١) الشيوعية وليدة الصهيونية ص ٩٩ .

(٢) المالكي ص ١٥٨ .

كانـوا أكثـر المسلمـين ادراكـاً لأبعـاد التصريح واكتووا بنار التهويد، فقاموا بعدة انتفاضات تعبر عن شعورهم بالخطر الصهيوني وكانت مطالبهم تنصب على[1]:

١ ـ العدول عن تجربة الوطن القومي اليهودي في فلسطين .

٢ ـ إيقاف الهجرة اليهودية إيقافاً تاماً .

٣ ـ منع انتقال الأراضي العربية إلى اليهود .

٤ ـ منح فلسطين الاستقلال أسوة بالبلدان الأخرى وعلى نفس الشروط .

وكـان التيـار الإسـلامي قوياً في حركات أهل فلسطين، وكثيراً ما ناشدوا مسلمي الهند للتنبه إلى الاخطار اليهودية على فلسطين[2]. ومن أهم هذه الحركات :

١ ـ حركـة عام **١٣٤٠**هـ/ **١٩٢١**م : على إثـر تصـريحات تشرشل وزير المستعمـرات البـريطانية آنذاك الموالية للصهيونية، وقد بدأت انتفاضة المسلمين في مدينـة يافـا ثم امتـدت إلى سائـر المـدن الفلسطينيـة، فلجأت بريطـانيا إلى سيـاسـة التهـدئـة واتبـاع أسلوب تشكيـل اللجان للتحقيق، التي كانت تتقدم بتوصيات تتضمن حرصها على مصالح أهل فلسطين، ثم لا تلبث بريطانيا أن تعود إلى سياستها القائمة على التهويد .

٢ ـ حركة البراق عام **١٣٤٨**هـ/ **١٩٢٩**م : إثر اعتداء اليهود على حائط البـراق، بأن تظـاهـر اليهـود قربـه، ورفعـوا العلم الصهيـوني وأنشـدوا النشيد الصهيــوني ـ الهـاتكفـا ـ وشتمـوا المسلمـين[3] فهب المسلمـون يدافعـون عن مقـدسـاتهم، وسقـط **١٣٣** قتيلاً و**٣٤٠** جريحاً من اليهود، و**١١٦** شهيداً و**٢٣٢** جريحـاً من المسلمـين. وكـانت إصـابـات المسلمـين بأيـدي القـوات العسكرية

---

(١) انظر نفسه ص ١٦٥ .

(٢) انظر مذكرات هربرت صموئيل ـ لندن سنة ١٩٤٥م ص١٦٨ .

(٣) المالكي ص ٢٣٦، تقرير لجنة شو ص ٥٣ .

البريطانية، كما قدمت بريطانيا ألف نسمة ٩٠٪ منهم مسلمون إلى المحكمة، وحكمت بإعدام ٢٦ شخصاً بينهم يهودي واحد[1]. وتم إعدام عطا الزير ومحمد جمجوم وفؤاد حجازي يوم الثلاثاء ١٧ حزيران ١٣٤٦هـ/ ١٩٣٠م في سجن عكا، حيث خلدهم الشاعر إبراهيم طوقان في قصيدته الرائعة - الثلاثاء الحمراء[2].

وفي عام ١٣٥٢هـ/ ١٩٣١م استغلت الصهيونية الاضطهادات النازية لليهود في المانيا فأخذت تضغط على الحكومة البريطانية لإيواء يهود وسط أوربا في فلسطين وتدفقت الهجرات فقام المسلمون والعرب بعقد عدة مؤتمرات أهمها المؤتمر الإسلامي بمناسبة الاسراء والمعراج في القدس، اشترك فيه جماعة من الحركة العربية والإسلامية ومثلت فيه ٢٢ بلداً وكان الحاج أمين الحسيني ومولانا شوكت على الزعيم الهندي لولب هذا المؤتمر، وقد حضره وفد من مسلمي البوشناق ضم وزيراً والمفتي الأكبر، وممثلون لمسلمي جاوه وتركستان وغير ذلك من البلاد، ورغم العقبات التي اعترضت هذا المؤتمر فقد خرج بمقررات ناجحة تشجب الاستعمار والصهيونية وهي[3]:

١ - وضع دستور للمؤتمر يجعل المؤتمر منظمة دائمة، تجتمع دورياً، وتوجد لها مؤسسات تابعة في جميع انحاء العالم الإسلامي، ويحدد لها اهدافاً سامية، نابعة من عظمة الإسلام وتاريخه.

٢ - إنشاء جامعة إسلامية كبرى في القدس تسمى: جامعة المسجد الأقصى. وتأليف دائرة معارف إسلامية.

٣ - الدفاع عن فلسطين لأهميتها بالنسبة للعالم الإسلامي، وشجب السياسة البريطانية.

٤ - تشكيل شركة إسلامية لإنقاذ أراضي فلسطين.

---

(١) المالكي ص ٢٤٠، تقرير لجنة شو ص ٦٥.

(٢) المالكي ص ٢٤١، ديوان إبراهيم طوقان.

(٣) ناجي علوش - المقاومة العربية في فلسطين ص ٧٢ - ٧٣.

٥ ـ تسليم سكة حديد الحجاز إلى هيئة إسلامية، لانها ملك للمسلمين .

٦ ـ استنكار السياسة الاستعمارية الروسية في بلاد تركستان والتتر، والطليانية في ليبية والإفرنسية في سورية ولبنان والمغرب العربي، والانجليزية في مصر والسودان وجزيرة العرب .

كما أظهر مسلمو الهند وسيلان وبورما تضامنهم مع جهاد أهل فلسطين واعلنوا يوم ١٦ أيار من كل عام يوماً للتضامن مع شعب فلسطين[١]. وتلقت السلطات البريطانية معلومات سرية عام ١٣٥٠هـ/١٩٣١م تتعلق بمخطط إسلامي يرمي إلى انقاذ الأقطار العربية ولاسيما فلسطين وسوريا من الحكم الأجنبي، ودلت التقارير الدولية أن الأمير شكيب أرسلان كان قائد هذه الحركة، وكان على اتصال بجميع كبار الزعماء العرب والأقطار الإسلامية. ودلت هذه المعلومات أيضاً على أن الحاج أمين الحسيني ومولانا شوكت على مشتركان في هذا المخطط الذي يقوم على تنظيم عصابات مسلحة في كل من شرقي الأردن ووادي سرحان وصحراء سيناء للعمل في كل من سوريا وفلسطين في وقت واحد[٢]. وهكذا كانت قضية فلسطين تكتسب الطابع الإسلامي .

٣ ـ حركة الشيخ عز الدين القسام سنة ١٣٣٤هـ/١٩٣٥م

الشيخ عز الدين سوري المولد هاجر إلى حيفا عام ١٣٤٠هـ/١٩٢١م بعد انهيار الثورة السورية ضد الفرنسيين، وكان قائداً بارزاً، انضم إلى جهاز التعليم في المدرسة الإسلامية بحيفا، وأخذ يثير روح الجهاد في جميع الحركات، وانضم إلى جمعية الشبان المسلمين وتولى قيادتها عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م. تجوّل في قرى شمال فلسطين واستثار روح الجهاد ضد الانجليز واليهود على السواء، وفي عام ١٩٣٥م أرسل إلى المفتي أمين الحسيني طالباً إعلان الثورة في الجنوب في نفس الوقت الذي يعلنها هو في الشمال، وقيل ان الحاج أمين أجابه بأنه يؤثر

---

(١) المالكي ص ٢٦٣ ـ انظر وثائق المقاومة الفلسطينية ص ١٧١ .

(٢) المالكي ص ٢٦١، ٢٦٧، عن تقرير البوليس الفلسطيني ـ الحركة الإسلامية العربية الثورية ١٩٣١/٥/٢١م.

التوصل إلى حلّ سياسي على اللجؤ إلى ثورة مسلحة[1]. فقاد الشيخ القسام الحركة بنفسه عام ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م واستشهد في احراج يعبد قرب مدينة جنين. وكان معظم مجاهدي فلسطين من تلامذته واعضاء في تنظيماته[2].

٤ ـ الثورة الفلسطينية الكبرى : ١٣٥٥ـ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٦ـ١٩٣٩م :

تدفق سيل الهجرة اليهودية من شرعية وغير شرعية (حسب مفهوم السلطات البريطانية الحاكمة) بعد قرارات مؤتمر براغ الصهيوني الذي دعا إلى فتح أبواب فلسطين أمام هجرة غير محدودة بالنظر إلى ما يعانيه يهود المانيا من اضطهاد النازية، فزاد ذلك الطين بلة وصبّ الزيت على النار المشتعلة فقام المسلمون بمظاهرات عامة عام ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م وانتفاضات قوية في مختلف مدن فلسطين تصدت لها القوات البريطانية بشدة[3]. ثم كانت حركة الشيخ عز الدين القسام التي أثارت المشاعر الإسلامية وحركتها، فبدأ الناس باضراب استمر ستة شهور وهو أطول اضراب عرفه التاريخ، ثم تحول إلى حركة مسلحة شملت كل انحاء فلسطين واشترك فيها مجاهدون من مختلف البلدان العربية والإسلامية.

ومن أبرز قادة هذه الحركة المسلحة فوزي القاوقجي الذي كان قد بدأ حياته كضابط في الجيش العثماني أثناء الحرب ثم عمل مع الفرنسيين بعد الحرب فحصل على وسام من أعلى الأوسمة الفرنسية لخدماته في المخابرات ولكنه انضم إلى الثورة السورية عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م وحكم عليه بالاعدام إلا أنه هرب إلى الحجاز حيث عمل مستشاراً للملك عبد العزيز آل سعود ثم ما لبث أن التحق بالجيش العراقي واستقال عام ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م ليتسلم قيادة الثورة الفلسطينية[4].

---

(١) صبحي ياسين ـ الثورة العربية الكبرى في فلسطين ص ٢١.

(٢) المالكي ص ٢٩٣.

(٣) المالكي ص ٢٨١ ـ ٢٨٣.

(٤) نفسه ص ٣١٧.

وسعيد العاص والشيخ محمد الأشمر وكانا قد وصلا خلال الأسبوع الأول من أيلول عام ١٩٣٦م نتيجة مساعي المفتي، واستشهد العاص في تشرين الأول سنة ١٩٣٦م[١].

وقد عجزت بريطانيا بوسائلها القمعية وقواتها العسكرية بقيادة الليفتنانت جنرال ديل من القضاء على هذه الحركة، فلجأت إلى مناشدة الزعماء العرب بالتدخل، وبالفعل تدخل الملوك والأمراء العرب واوقف أهل فلسطين الثورة وانهوا الاضراب بعد أن ناشدهم الزعماء في ذلك «والاعتماد على النيات الطيبة لصديقتنا بريطانيا العظمى التي اعلنت أنها ستحقق العدالة»[٢] وكانت الفوائد التي جناها الصهاينة والانجليز من هذه المناشدة :

أ ـ وفرت بريطانيا على نفسها جندها ومعداتها .

ب ـ حولت اتجاه القضية من الاتجاه الإسلامي إلى اتجاه عربي .

جـ ـ أتاحت الفرصة لاعادة التخطيط والتقاط الأنفاس للتوثب إلى مرحلة قادمة . فأرسلت لجنة ملكية برئاسة اللورد بيل انتهت إلى تقريرها سنة ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م إلى أن أفضل حل هو تقسيم فلسطين إلى دولتين : عربية : وتنضم إلى شرق الأردن، وأخرى يهودية . إلى جانب منطقة ثالثة تشمل القدس وبيت لحم مع ممر إلى البحر عند يافا يتضمن اللد والرملة تظل تحت الانتداب البريطاني .

رفض أهل فلسطين التقسيم وناشدت اللجنة العربية العليا الحكام العرب والعالمين العربي والإسلامي بالتضامن مع أهل فلسطين وأبلغت الرفض لعصبة الأمم .

واحتج الصهاينة على الحدود التي رسمها المشروع واعتبروها غير مرضية، ولكن وايزمن وافق عليها، وفي مقابلة مع اورجسبي غوروعد : «بأن يبذل كل ما في وسعه لحمل المؤتمر الصهيوني على الموافقة على التقسيم،

(١) نفسه ص ٣١٨ .

(٢) الكيالي ص ٣٢١ عن تقرير لجنة بيل ص ١٠١ .

ومساعدة البريطانيين على إجلاء العرب عن منطقة الجليل ونقلهم إلى شرق الأردن» وقال وايزمن : ان الفرنسيين أيضا يعطفون على فكرة التقسيم وإقامة دولة يهودية باعتبارها قلعة للديمقراطية الغربية تبنى في الطرف الشرقي من البحر الأبيض المتوسط(١).

عقدت بريطانيا مؤتمراً شهده العرب واليهود والحكومات العربية : مصر والمملكة العربية السعودية واليمن والعراق وشرق الأردن ـ وقد وضع العرب شروطهم للتسوية على الأسس التالية :

أ ـ وقف الهجرة اليهودية .

ب ـ منع انتقال الأراضي إلى أيدي اليهود .

جـ ـ قيام دولة مستقلة بأكثرية عربية ترتبط مع بريطانيا بمعاهدة تضمن الحقوق السياسية والمدنية لليهود .

د ـ أن تكون اللغة العربية الرسمية والعبرية هي لغة ثانية في مناطق الكثرة اليهودية فقط .

لم توافق بريطانيا والصهيونية على ذلك، وكانت الحرب العالمية الثانية على الأبواب، وبدأت بريطانيا نفسها تحس بالخطر الصهيوني وأرادت التخلص من المشكلة فأصدرت الكتاب الأبيض عام ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م عدلت فيه عن مشروع التقسيم ووضحت سياسة الحكومة ـ ومن بنوده(٢) :

أ ـ تحديد الهجرة اليهودية بـ ٧٥ ألفاً من اليهود كل عام تنتهي عام ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٤م.

ب ـ تحديد انتقال الأراضي إلى اليهود، وترك ذلك للمندوب السامي .

جـ ـ تمنح البلاد الاستقلال بعد ١٠ سنوات .

كانت معظم البنود الواردة في الكتاب الأبيض يكتنفها الغموض والإبهام شأن التصاريح البريطانية والصهيونية عادة، وقد أعلنت بريطانيا عزمها على

(١) الكيالي ص ٣٣٢ .

(٢) انظر د. صلاح العقاد ـ المشرق العربي المعاصر ص ٢٢٨، ود. عبد الرحيم أحمد حسين ـ النشاط الصهيوني ص ٣٢.

تنفيذ هذه البنود رضي العرب واليهود أم سخطوا .

وكـان من نتـائـج هذا التصـريح على أهل فلسطين أن أوجد خلافات في الـرأي بين القيـادات الفلسطينية بالنسبة لسياسة بريطانيا، كما أوجد اختلافاً في الرأي بين القيادات العربية الأخرى، وهو أمر يتفق مع رغبات بريطانيا ورغبات الصهيونية[1] لتتمكنا من التخطيط لخطوة أخرى .

خامسـاً : مرحلة العمـل لإقـامـة الـدول الصهيـونيـة الفعليـة ١٣٥٨ـ١٣٦٨هـ/ ١٩٣٩ـ١٩٤٨م :

نددت الصهيونية بالكتاب الأبيض[2]، ولجأ اليهود إلى العنف والإرهاب في مقـاومتـه داخـل فلسطـين، فقـامـوا بثـورة أخـذت فيها العصابات اليهودية الإرهـابيـة مثـل شتـير ن والأرغـون تغير على الثكنات العسكرية والمستودعات والمطـارات الـبر يطـانية، كما أخذت تنسف دور الحكومة ودوائر البوليس والمرافق العـامـة، وقتلت عدداً من الضبـاط والجنود البر يطانيين، واغتالت اللورد موين وزيـر الـدولـة الـبر يطانية في القاهرة[3]. وكانت بريطانيا تعامل اليهود في الوقت نفسه كالطفل المدلل دون أن تلجأ إلى العنف في قمع حركاتهم كما كانت تعمل مع المسلمين من أهل فلسطين !

وقـامت الصهيـونية من ناحية أخرى بحملة دعائية وسياسية ضد الكتاب الأبيض في بريطانيا ذاتها وفي الولايات المتحدة الأمريكية والدوائر الاستعمارية، واستغلت في ذلـك الـدعـاية اللاّ سامية واضطهاد اليهود على يد الحزب النازي بزعـامـة هتلر في المانيا، والحزب الفاشي في ايطاليا، وطالبت بفتح أبواب الهجرة اليهـوديـة إلى فلسطين أمام النازحين اليهود المشردين ! ولم تتورّع الصهيونية عن اتخاذ أي أسلوب مهما كان نوعه من أجل تحقيق أغراضها، كإغراق السفينة باتريا عام ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م وادعـاء الانـتـحـار الجـماعي والـسفينـة ستر ومـا ١٣٦١هـ/١٩٤٢م وتصوير حكومة بريطانيا بأنها تقف في وجه اليهود المنكودين وضد العودة إلى وطنهم الموعود !! لاكتساب الرأي العام الانجليزي والأمريكي :

(١) النشاط الصهيوني ص ٥٠ .

(٢) النشاط الصهيوني ـ (ردود الفعل الصهيوني) ـ ص ٣٢ ـ ٤٣ .

(٣) انظر ـ أحمد طربين ـ فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار .

واهتمت الصهيونية أثناء ذلك بالتجنيد والتدريب العسكري فأقامت قوة عسكرية تابعة للوكالة اليهودية باسم الهاجاناه، وحملوا بريطانيا على تأليف فيلق يهودي ليحـارب إلى جانب الحلفـاء، فزودتهم بريطـانيـا بالأسلحـة الحـديثـة والـدبـابات والعتاد الحربي، ودربتهم أثناء الحرب أحسن تدريب، حتى قدرت القـوات الصهيـونيـة المحـاربـة في فلسطـين عام ١٩٤٧م بسبعين ألفاً مسلحين بأحـدث الأسلحـة. هذا بالإضافة إلى قوة البوليس اليهودي المركزية التي كانت تخضـع للإدارة الـبر يطـانيـة، وقـد بلغ عدد هذه القـوة ألفـين. وفي مقابل هذه الصـورة لم يكن في فلسطـين في ذلـك الـوقت أيـة منظـمات عسكـرية مسلحة أو جماعـات مسلحـة مسلمة كما أثبتت ذلك صراحة لجنة التحقيق الانجلو أمريكية في تقريرها عام ١٣٦٦هـ/١٩٤٦م في معرض المقارنة بين قوة العرب وقوة اليهود في فلسطين.

واتجهت الصهيـونيـة في جهـودهـا إلى الـولايات المتحدة، فركزت عليها سيـاسيـاً وإعـلامياً، وكما التقت الأهداف الصهيونية والبر يطانية سابقاً، التقت أهـداف الصهيـونيـة مع أهـداف الولايات المتحدة زعيمة الاستعمار الجديد التي تخلت عن سياسة العزلة التي انتهجتها بين الحربين، وأخذت تحاول أن تحلّ محل بريطـانيـا وفرنسا وايطاليا في استعمار البلاد الإسلامية، فعقدت الصهيونية مؤتمر بلتيمـور الصهيـوني في امريكا عام ١٣٦١هـ/١٩٤٢م الذي اتخذ قرارات تعادل قرارات بال في اهميتها ومنها:

١ ـ ضرورة قيـام سريـع للدولـة اليهـوديـة في فلسطـين كجـزء من العالم الديمقراطي الجديد.

٢ ـ رفض الكتـاب الأبيض لعـام ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م والضغـط على بريطانيا لإلغائه.

٣ ـ اطلاق الهجرة اليهودية واستيطان فلسطين تحت اشراف الوكالة اليهودية.

٤ ـ إنشاء جيش يهودي خالص يحارب إلى جانب الحلفاء.

ولأهميـة قرارات هذا المؤتمـر صرح ابن غوريـون في خطـاب ألقـاه في تل أبيب سنة ١٣٦١هـ/١٩٤٢م بقوله :

«إن الصهيـونيـة انتهت من وضـع خططهـا النهائية لإعلان فلسطين دولة يهوديـة ، وان اليهـود لا يستغنـون عن أي قسم منهـا ، حتى ولـو كان قمم الجبال وأعماق البحار»(١) .

فقد أتمت الصهيونية وبنجاح كبير ربط اليهودية الأمريكية أيضا بالقضية الصهيونية ، واستطاعت الوصول إلى أهدافها في أمريكا بفضل حملات التجهيل والتحـايـل والتـزييف ، نفـذتهـا الصهيـونيـة على أعلى المستـويـات الامريكية وأدناها ، ويعود سكوت المسئولين الامريكيين عن الدعاية الصهيونية إلى أسباب سيـاسيـة بالـدرجـة الأولى والتي تكمن في طبيعـة الانتخـابـات الامريكية ودور الصهيونية الخطير فيها ، وتأثير الصهيونية في الانتخابات كان ولا يزال يُعزى إلى :

١ ـ المال الصهيوني وهو عصب الانتخابات وعمودها الفقري .
٢ ـ وسائل الدعاية والاعلام ومعظمها تملكه الصهيونية أو تشرف عليه .
٣ ـ تنافس الحزبين الأمريكيين على اكتساب أصوات الأقليات .

فكسبت الصهيـونيـة (كـما هي عادتهـا) معظم معـاركها بواسطة الإعلام التضليـلي وأسـاليبـه المخططـة المـدروسـة . فتمكنت من كسب الـرأي العـام الأمريكي الشعبي والكونغرس والحكومة(٢) .

ويجب أن نلفت الانتباه في هذا المجال أنه ليس بصحيح وصف الجماعات الصهيونية بالمتطرف والمعتدل والوسط ، لأنهم جميعاً :

أ ـ يتفقون في نهاية الأمر على إنشاء الدولة اليهودية وطرد المسلمين .

ب ـ يبـدّلـون مواقفهم حسب مقتضى الحال ، فخلافهم ليس من حيث المبـدأ وإنـما تبـاين وجهـات نظرهم على الوسائل الأكثر جدوى ، وهذا يتيح لهم

---

(١) شفيق الرشيدات ـ فلسطين ـ ص ١٥٣ .
(٢) انظر ـ أحمد طربين ـ فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار.

التوزع والانتشار على مختلف الفئات والجهات والتأثير فيها وتوجيهها لمصالحها الخاصة .

لذلك ألقت الولايات المتحدة بثقلها إلى جانب الصهيونية ، فألغيت بنود الكتاب الأبيض عام ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م بعد أن تجمدت طيلة فترة الحرب العالمية الثانية ، وخاصة فيما يختص بالهجرة وتحديدها . ويمكن أن توضح السياسة الصهيونية نحو الهجرة على النحو التالي[١] :

١ ـ انتقاء الشباب اليهود القادر على حمل السلاح وإقناعهم بالهدف الصهيوني .

٢ ـ التركيز على هجرة الأطفال بدعوى الإنسانية ، والهدف هو تربية هؤلاء الأطفال تربية صهيونية محضة حتى يشبوا صالحين عسكرياً ومعنوياً ومستعدين للدفاع عن الهدف الصهيوني .

٣ ـ اتجهت إلى يهود البلاد العربية وحققت نجاحا عام ١٣٦١هـ/١٩٤٢م .

٤ ـ استخدمت الضغوط وتزييف الحقائق من أجل اجبار الشباب اليهودي الذين التحقوا بجيوش الحلفاء على دخول فلسطين .

وحاولت أمريكا بزعامة روزفلت أن تحقق الدولة اليهودية على أيدي بعض الزعماء العرب فاجتمع بالملك عبد العزيز آل سعود يوم ١٩٤٥/٢/١٤م في مؤتمر يالطا ، وحاول اقناعه بذلك ، فرفض الملك عبد العزيز رفضاً قاطعاً وقال له : «أعطهم أرض الألمان الذين اضطهدوهم»[٢] . وكذلك حاول تشرشل معه نفس المحاولة فأجابه الملك عبد العزيز : «إن ما طلبه تشرشل لا يتعلق بمساعدتنا لبريطانيا ، إنه خيانة للرسول وللمسلمين ولا أستطيع الإذعان أو أخذ أي خطوة في هذا الاتجاه» .

---

(١) النشاط الصهيوني ص ١٠٦ ـ ١٠٧ .

(٢) النشاط الصهيوني ص ٣٠٨ ـ ٣٠٩ .

وطالب ابن سعود وقف الهجرة اليهودية واختيار بريطانيا بين صداقة العرب ونضالهم ضد الهجرة اليهودية حتى الموت. فكان موقفه يمثل الموقف الإسلامي الذي لا يقبل بتأسيس الكيان الصهيوني[1].

واندفع ترومان الرئيس الامريكي الذي خلف روزفلت في تأييد الصهيونية وممارسة الضغط على الحكومة البريطانية من أجل الإذعان للمذكرة اليهودية التي قدمت سنة ١٩٤٥م وتتضمن :

١ ـ إعلان الدولة اليهودية .

٢ ـ الترخيص للوكالة اليهودية بالاشراف التام على الهجرة ليتحقق الانقلاب العنصري الذي يعتبر الأساس في تحقيق الخلاص القومي اليهودي (على حدّ تعبيرهم) وذلك :

أ ـ بتهجير جميع يهود العالم إلى أرض التجمع اليهودي ـ فلسطين .

ب ـ نزوح غير اليهود عن ـ فلسطين[2] .

وكان أول مظهر لتدخل أمريكا الفعلي تأليف لجنة تحقيق بريطانية ـ امريكية عام ١٩٤٦م أوصت في تقريرها بالسماح لمائة ألف يهودي بالدخول إلى فلسطين في الحال، وإصدار بيان صريح بأنه لن تتكون في فلسطين دولة عربية أو يهودية وتبقى حكومة الانتداب إلى أن يتسنى عقد اتفاق توضع بموجبه فلسطين تحت وصاية الأمم المتحدة[3] .

ثار العرب على هذه التوصيات وعقدت الجامعة العربية مؤتمر بلودان عام ١٩٤٦م فعقدت بريطانيا مؤتمر لندن في نفس العام لتجمع بين العرب واليهود باشرافها فقرر وزراء الخارجية العرب عدم الجلوس مع اليهود على مائدة واحدة أو الاعتراف بحق الولايات المتحدة للتدخل في موضوع فلسطين أو قبول أي مشروع يهدف إلى التقسيم، ورغم ذلك فقد قدمت بريطانيا مشروع موريسون للتقسيم إلى أربع مناطق إدارية هي :

---

(١) نفسه ص ٣١٢.

(٢) انظر طربين ـ فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار.

(٣) النشاط الصهيوني ص ١٠٨ .

(١) المنطقة اليهودية : وتشمل معظم الأراضي التي حل فيها اليهود حتى ذلك الحين .

(٢) القدس : وتشمل القدس وبيت لحم والأراضي القريبة منهما .

(٣) النقب .

(٤) المنطقة العربية .

ولم يوافق العرب واليهود على هذا التقسيم وانتهت مهمة بريطانيا في التمكين لليهود فنقلت القضية إلى الأمم المتحدة وأعلنت أنها تتخلى عن مهمة الانتداب على فلسطين وأنها ستنسحب بقواتها من فلسطين يوم **٢٥** مايو **١٩٤٨**م/ **١٣٦٧**هـ.

وعرضت القضية على هيئة الأمم المتحدة عام **١٣٦٦**هـ/**١٩٤٧**م فاقترحت التقسيم على النحو التالي :

١) الدولة العربية : تتألف من الجليل الغربي ومنطقة نابلس الجبلية والسهل الساحلي الممتد من اسدود في الجنوب إلى الحدود المصرية .

٢) الدولة اليهودية : وتتألف من الجليل الشرقي ومرج ابن عامر والقسم الأكبر من السهل الساحلي ومنطقة بئر السبع التي تضم النقب .

٣) توضع منطقة القدس وضواحيها تحت نظام الوصاية الدولية .

٤) تنال الدولتان استقلالها بعد مرحلة انتقال مدتها عامان تستمر بريطانيا خلالها في حكم فلسطين تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة .

٥) قبول **١٥٠** ألف مهاجر في الدولة اليهودية المقترحة بمعدل خمسة آلاف مهاجر في كل شهر .

في سبيل تحقيق المطامع الصهيونية قضى مشروع التقسيم هذا بأن تكون مساحة القسم المخصص لأهل فلسطين **١٢** ألف كم٢ يقطنها **٦٦١** ألفاً منهم **١١** ألفاً من اليهود فقط، ويملك فيها اليهود **١٠٠**كم٢ فقط، أما مساحة القسم المخصص لليهود فقد قدرها المشروع بنحو **١٤** ألف كم٢ يقطنها **٩٩٠** ألفاً منهم

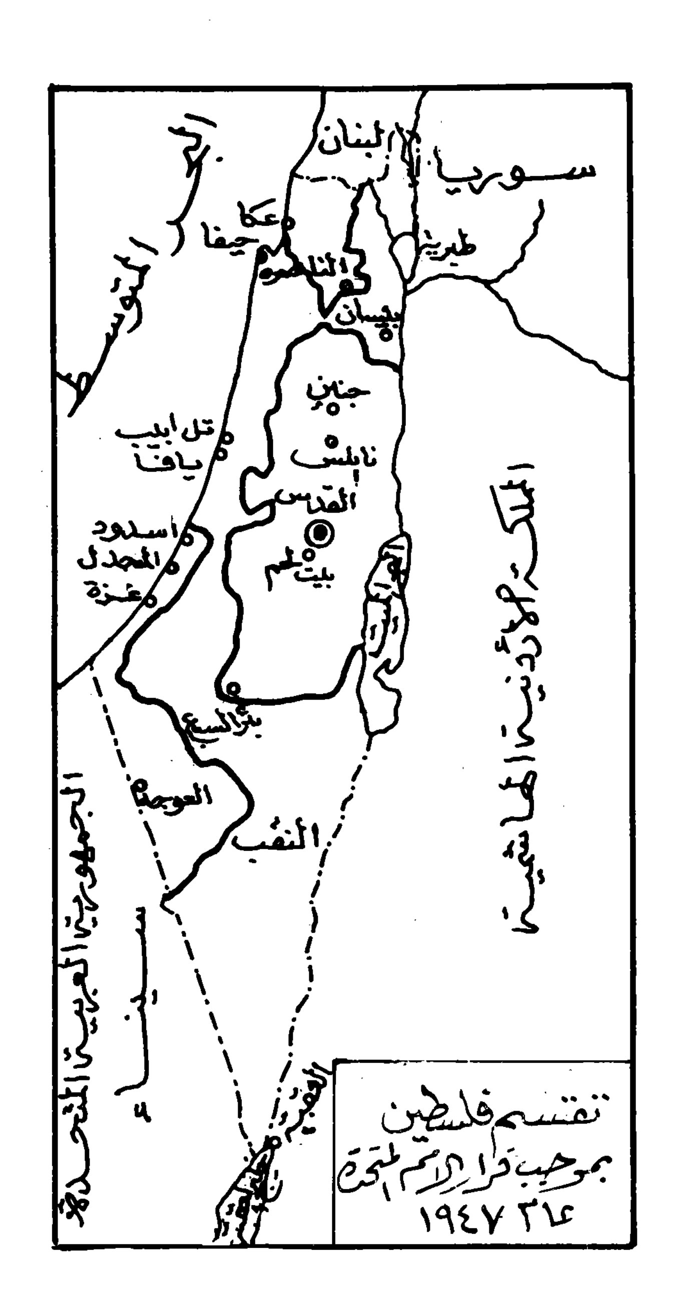
٤٩٠ ألفاً من اليهود و٤٨٩ ألفاً من العرب والباقي من جنسيات مختلفة ولا يملك اليهود منها إلا ثلث أراضيها فقط .

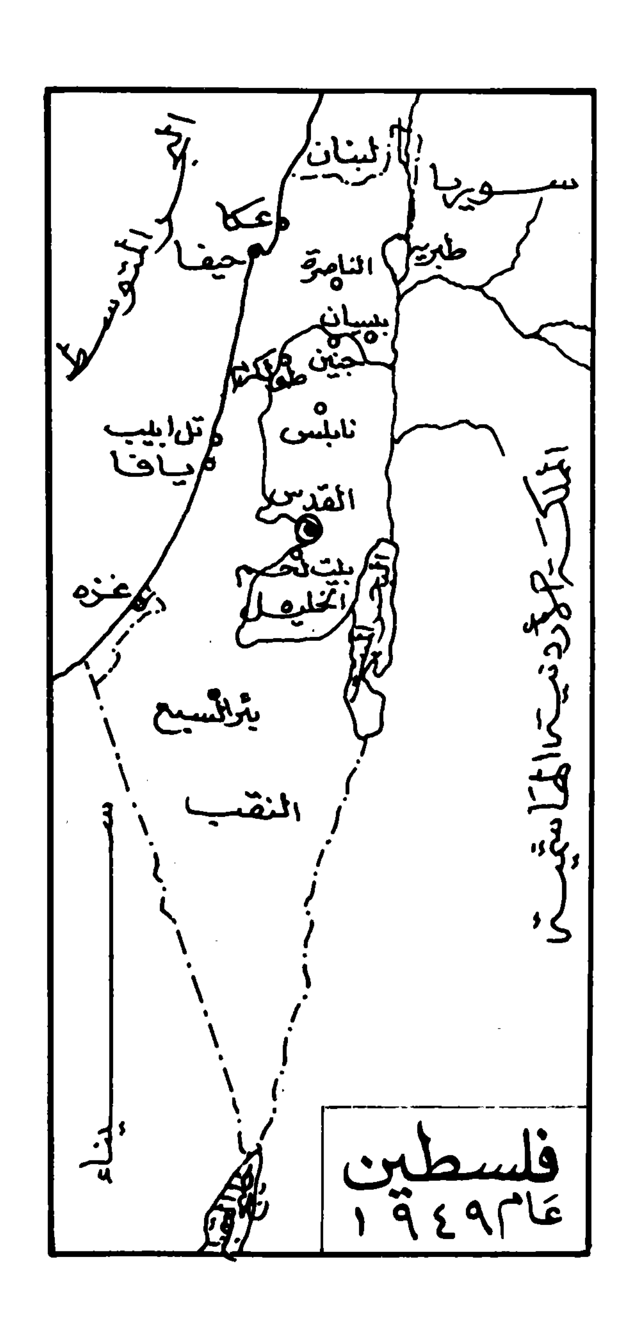
كان لقرار التقسيم وقع سيء على البلاد العربية والإسلامية وعلى مسلمي فلسطين بصفة خاصة، أقبل بعدها الشباب المسلم على التطوع وتدفقوا على فلسطين واعتمدت الأموال اللازمة للانفاق، وقامت مصادمات عنيفة بين العرب واليهود في شتى أنحاء فلسطين أسفرت عن مئات القتلى والجرحى فسارعت الوكالة اليهودية إلى مجلس الأمن تعرض شكواها ضد الحكومات العربية متهمة إياها بالتآمر ضد التقسيم وذلك بتدعيمها القتال الجاري في فلسطين طالبة أن ينفذ التقسيم بالقوة .

وفجأة أعلنت بريطانيا من جانبها إنهاء الإنتداب على فلسطين في ١٤ مايو ١٩٤٨م وأخذت تجلو بطريقة تساعد اليهود على تثبيت أقدامهم في المدن الكبرى وفي القبض على زمام الأمر فيها بالإستيلاء على المطارات والمرافق العسكرية والمنشآت الهامة، فقد كانت تجلو أولا من الأحياء المسلمة في تلك المدن لتمكن اليهود من احتلالها، وتمنع في الوقت نفسه دخول أية امدادات إليها فحدثت مجازر كمجزرة دير ياسين على مرأى ومسمع من السلطات البريطانية التي لم تحرك ساكنا لانقاذ أهلها العزل من السلاح، وقد أدت هذه المجازر إلى نزوح أفواج المسلمين إلى شرق الأردن وسوريا ولبنان مخلّفة وراءها كل ما تملك من مال وعقار .

وفي منتصف ليلة ١٥/٥/١٩٤٨/١٣٦٧هـ غادر المندوب السامي فلسطين، وأعلن بن جوريون قيام دولة اسرائيل واعترفت بها الولايات المتحدة بعد لحظات من قيامها، كما اعترف بها الاتحاد السوفييتي وأعقب ذلك اعتراف كافة دول أوربا الغربية وأرسلت الجمعية الوطنية بفرنسا تحية الاخاء إلى اسرائيل .

وهكذا نجحت الصهيونية باستخدام بريطانيا والولايات المتحدة في خطوتها الأولى، وقامت دولة اسرائيل المسخ على أقدس بقعة من أرض الإسلام .


سوريا
لبنان
البحر المتوسط
عكا
حيفا
طبرية
الناصرة
بيسان
جنين
نابلس
تل ابيب
يافا
القدس
بيت لحم
اسدود
المجدل
غزة
بئر السبع
العوجا
النقب
المملكة الأردنية الهاشمية
الجمهورية العربية المتحدة
سيناء
العقبة
تقسيم فلسطين
بموجب قرار الأمم المتحدة
١٩٤٧



لبنان
سوريا
البحر المتوسط
عكا
حيفا
طبرية
الناصرة
بيسان
جنين
نابلس
تل ابيب
يافا
القدس
بيت لحم
الخليل
غزه
بئر السبع
النقب
سيناء
المملكة الأردنية الهاشمية
فلسطين
عام ١٩٤٩

سادساً : مرحلة تثبيت الدولة اليهودية ١٣٦٨-١٣٨٧هـ/ ١٩٤٨-١٩٦٧م :

رفضت البلاد العربية الاعتداء الصهيوني فدخلت الجيوش العربية أرض فلسطين من الأردن وسوريا ولبنان والعراق ومصر والمملكة العربية السعودية وكانت قوات الجهاد المقدس بقيادة الشهيد عبد القادر الحسيني طليعة العمل النضالي قد أجبرت ١١٥ ألف يهودي على الاستسلام في مدينة القدس نتيجة حصارهم باحتلال مضيق باب الواد واقفاله، وقام أفرادها بعدة معارك ونصبوا الكمائن للقوافل اليهودية والانجليزية، كما قامت فرق التدمير بنسف العديد من المنشآت والمباني اليهودية، وقد ساند الجهاد المقدس جيش الانقاذ الذي كلف بإنشائه الفريق طه الهاشمي واللواء اسماعيل صفوت والقائد فوزي القاوقجي من الضباط والجنود المتطوعين من البلدان الإسلامية المختلفة .

ولما دخلت القوات العربية إلى فلسطين لم يتجاوز عددها العشرين ألفا تقدمت في مناطق عربية في الغالب ولكنها جوبهت بمقاومة عنيفة عندما تحركت إلى المناطق اليهودية، وعلى الرغم من سوء التخطيط والفساد والضغط الأجنبي على الحكومات العربية التي كانت مصائرها في يد الاستعمار فقد حققت هذه الجيوش بعض النجاح فتعرضت الدول العربية للضغط الهائل من الدول الكبرى وخاصة أمريكا وبريطانيا وحملها على قبول الهدنة في ١١/٦/١٩٤٨م فتمكن اليهود من تحسين موقفهم العسكري بالحصول على الاسلحة الثقيلة والطائرات والمتطوعين في حين طبق الحظر الكامل على الدول العربية[1] . فلما استؤنف القتال في ٩/٧/١٩٤٨م أصيبت الجيوش العربية التي التزمت جانب الدفاع بالإنتكاسات المتوالية رغم البطولة التي أبداها أهل فلسطين والمتطوعون المسلمون، فقبلت الدول العربية الهدنة الثانية في ١٨/٧/١٩٤٨م التي

---

(١) ومثل ذلك كان كلوب باشا الانجليزي هو الذي يقود القوات الأردنية ـ ويقول الميجر جنرال جيمزلنت الذي تقوم دار كوليتر بنشر كتابه الجديد الذي يؤرخ فيه لسير حياة جنرال سيرجون غلوب «ان كلوب لم يكن يرغب للفيلق العربي أن يجابه الاسرائيليين في ميدان المعركة، وبالتالي يظهر العرب في الجانب الخطأ!! فقد كان هدفه أن يستولي اليهود بصورة ملائمة على المساحات المخصصة لهم بموجب قرار التقسيم . . » . (الشرق الأوسط ص ٨ الخميس ٨/٣/١٩٨٤م)

استفادت منها اسرائيل فائدة كبيرة، فقد دخل اليهود بعدها مصر ولبنان فكانت عدة تطورات في المواقف منها :

١) اتفـاقـات هدنـة رودس مع كل من مصـر ولبنان والأردن وسوريا عام ١٩٤٩م وقـد سيطـرت اسرائيل بموجبها على ٧٧٪ من أراضي فلسطين عوضا عن ٥٦٪ من الأراضي التي خصصت لليهــود بمـوجب مشـروع التقسيم، كما أعطت اسـرائيـل فرصـة البنـاء والتنظيم بأن نصت على وجـود مناطق مجردة من السـلاح بين سوريـا واسـرائيـل، والأردن واسـرائيـل، ومصـر واسرائيل، ولقد اتصف العرب بتقيدهم الكامل بتلك الاتفاقات والاحترام لها، أما اسرائيل فقد خرقتها في مناسبات عديدة .

٢) أصـدرت الـدول الاستعـمارية الثلاث : الولايات المتحدة الامريكية وبـريطـانيـا وفرنسا في ٢٥/٣/١٩٥٠م التصريح الثلاثي بضمان حدود اسرائيل والمحـافظـة على كيـانهـا الصهيوني ضد أي خطر محتمل يتهددها كما قامت تلك الدول بدعم اسرائيل اقتصاديا وعسكريا من أجل خدمة المصالح الاستعمارية في المنطقة العربية أما روسيا فأمدتها بأهم من ذلك بالعنصر البشرى المدرب على القتال .

٣) العــدوان الثـلاثي على مصـر عام ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م : ففي هذا العـام اعلن الـرئيس المصـري تأميم قنـاة السـويس، فقـامت بريطـانيـا وفرنسا واسرائيل بغزو الأراضي المصرية، ويهمنا في هذا العدوان نتائجه التي منها :

أ ـ حاولت أمريكا أن تحل محل بريطانيا وفرنسا مدعية الحق في ملء الفراغ الذي حدث في المنطقة بعد تقلص النفوذ البر يطاني والفرنسي، ومستندة إلى أنها ساعدت مصر في الضغط على اسرائيل وبريطانيا وفرنسا بوجوب الانسحاب .

ب ـ وضعت قوات الطـواريء الـدولية على الجانب المصري من الحدود بين اسـرائيـل ومصـر لتحـول دون وقوع الحرب بين الطرفين، وقد أدى هذا إلى توقف النشـاط الفـدائي في قطـاع غزة وإلى فتـح خليـج العقبـة أمـام المـلاحـة الاسـرائيليـة والاتصال بإفريقيا وكلها مكاسب ثمينة لاسرائيل فقد صرح موشي

ديـان قائـد العـدوان الاسرائيلي على سيناء بعد انسحاب قواته قائلاً : «إن فتح خليج العقبة يعدل في أهميته قيام اسرائيل عام ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م»[1].

جـ ـ أتاحت الفرصة للشعارات الثورية والتقدمية والقومية أن تملأ أسماع المنطقـة بوسـائـل الاعـلام المختلفـة فتقلصت الاتجـاهـات الإسـلامية واتهمت بالرجعية وهوجمت بعنف وملأ الضجيج كل مكان .

٤) معـركـة الميـاه : رغبت الـدولـة اليهـودية بتحـويـل مياه نهر الأردن وتوصيلها إلى النقب لتوفير مصدر للمياه يساعد على استيعاب مهاجرين جدد، فعقد مؤتمر قمة عربي في كانون الثاني عام ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م وقرر المؤتمر إنشاء القيـادة العـربيـة المـوحـدة ومنظمـة التحرير الفلسطينية وهيئة فنية تعد دراسات تهدف إلى تحويل روافد نهر الأردن منعاً لليهود من إتمام مشروعهم .

وبدأ اليهود بمشروعهم فعقد مؤتمر قمة ثان في الاسكندرية في ايلول من نفس العـام وكـانت قراراتـه بالإضـافـة إلى الـترحيب بقيـام منظمـة التحـريـر الفلسطينية ممثّلة للشعب الفلسطيني إقرار إنشاء جيش التحرير الفلسطيني .

وكـانت النتيجـة أن نجحت الـدولـة اليهـودية في تحويل مياه نهر الأردن، وبدأت تتجه القضية إلى الاقليمية الضيقة .

وفي هذه المـرحلة نجحت القـوى اليهـوديـة عام ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م في الحصـول على وثيقـة من الفـاتيكـان تبرئهم من مسئولية دم المسيح عليه السلام (على زعم النصـارى) فاكتسبوا التأييد الديني النصراني الكاثوليكي للاحتلال، وانضمت الكنيسـة الكـاثوليكية إلى البر وتسنت في تأييد حق اليهود المزعوم . كما تمكـن الـيـهـود من الاسـتـحصـال على وثيقـة ثانيـة من الفـاتيكـان عام ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م تتضمن الإرشـادات لتنفيذ النصوص التي وردت في الوثيقة الأولـى وهي الإرشـادات التي تدعـو النصـارى للتعمق في استيعـاب وتفهم الطقـوس اليهـوديـة، واعتبـار اليهود اخوة، والتأكيد على المباديء المشتركة بين الديانتين وليس على المتناقضات بينهما. وتمثّل ذلك الاعتراف الواقعي للفاتيكان بالكيـان اليهـودي وتمثـل في صور متعـددة من أخصهـا استقبـال البـابا للرؤساء

(١) القومية في ميزان الإسلام ص ٢٩٠ .

والـوزراء اليهـود. وتعهـد البـابـا بالتـوقف عن النشاط التبشيري بين اليهود في فلسطـين المحتلة. ومن أثـر الإرشـادات أن الكنيسة تؤيد اعتبار اليهود: شعب الله المختار.

وفي عام ١٩٨٥م كانت وثيقـة ثالثـة تؤكـد على أن يتفهم الكـاثـوليـك ويتعلمـوا الأوامـر الفـريـدة التي تجمـع بين الكنيسـة الكـاثوليكية واليهود الذين اختارهم الله للتمهيد لعودة السيد المسيح (على زعمهم) ولم يتبقّ إلا الاعتراف الدبلومسي[1].

سابعـا: مرحلة التوسع اليهودي: ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م ـ ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م:

تعمدّ اليهود إثارة التوتر على الحدود السورية، وكانت الشعارات القومية والاشتراكية والثورية على أشدها في مصر وسوريا، وتعرضت مصر للانتقادات لوجـود قوات الطـواري الـدولية، فطلبت من الأمم المتحدة سحبها، ثم اغلقت خليـج العقبـة في وجه الملاحة اليهودية في ٢٢ آيار ١٩٦٧م ففاجأ اليهود الطيران العـربي في مصـر وسـوريـا والأردن بضربة قاضية في الساعات الأولى من يوم ٥ حزيـران عام ١٩٦٧م، واحتلوا سينـاء وقطـاع غزة من مصر والجولان من سوريا والضفـة الغـربيـة من الأردن، وسميت هذه الحـرب المذلة بحرب الأيام الستة. ومن أهم نتائجها:

أ ـ أثبتت فشل الشعارات التي ملأت الدنيا ضجيجاً من قومية واشتراكية وثـوريـة وغـيرهـا. وأكدت أن نجاح الأمة يتمثل في عودتها إلى أصالتها، وإلى دينها. فهي تمثل في الحقيقة منعطفاً نحو إدراك الأمة لذاتها.

ب ـ زادت من غرور العسكـريـة اليهـوديـة ومن ثقـة الصهيونية بخطتها الرامية إلى تكوين دولة اليهود الكبرى من الفرات إلى النيل بما فيه شمال الحجاز والخليج العربي.

وفي ٢٢ تشرين الثاني عام ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م اتخذ مجلس الأمن الدولي القرار رقم (٢٤٢) والذي ينص على انسحاب القوات الاسرائيلية من الأراضي التي احتلتهـا في حرب عام ١٩٦٧م، وعلى إنهـاء حالـة الحـرب بين العـرب

(١) الدعوة ـ العدد ١٧ ـ دلهي الهند ـ ١٥ محرم ١٤٠٦هـ/ ١/ ١٠/ ١٩٨٥م ص ٣-٤.

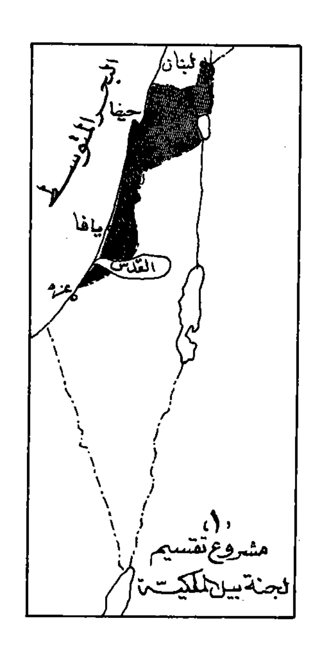
واسـرائيـل، واحـترام سيـادة ووحـدة أراضي كل دولـة وحقها في العيش بسلام ضمن حدود آمنـة ومعـترف بها، وعلى ضمان حرية الملاحة في الممرات الدولية، وعلى تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين .

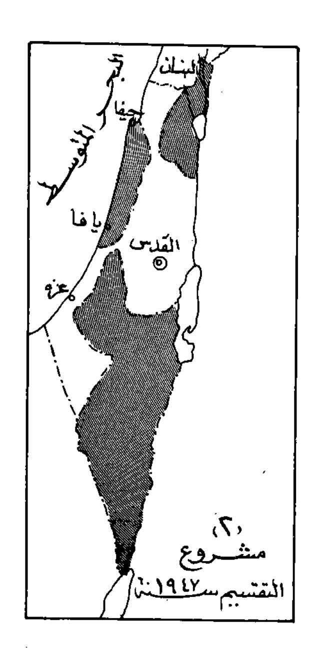
ورغم أن القرار كله في صالح اليهود فقد رفضوه واعتبروا أن ما وصلوا إليه من حدود هو الحدود الآمنة الطبيعية، وأقاموا على الضفة الشرقية لقناة السويس ما عرف بخط بارليف، كما أقاموا على الجبهة السورية تحصينات وخنادق مماثلة .

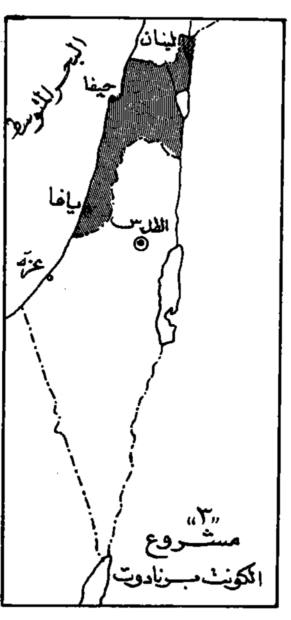
وحـاولت اسـرائيـل إزالـة المسجـد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين لإقامة الهيكل المزعوم على أنقاضه، فقد هرع الحاخام شلومو غورين حاخـام الجيش الصهيـوني إلى ساحـة المسجد الأقصى سنة **١٩٦٧**م مصطحباً مجمـوعـة من مسـاحي سلاح الهنـدسـة في الجيش، وأخـذ المقاييس ليحدد وفق توراته المزعومة مكان قدس الأقداس الذي سيبنى عليه الهيكل اليهودي، فحدد المكـان الـذي يقـع تحت قبـة الصخرة المشرفة، ودعا اليهود منذ ذلك الوقت إلى التحول إلى الصخرة عن حائط البراق للصلاة فيها لا للبكاء على الحائط، كما دعا إلى إقامة كنيس يهودي في ساحة المسجد الأقصى .

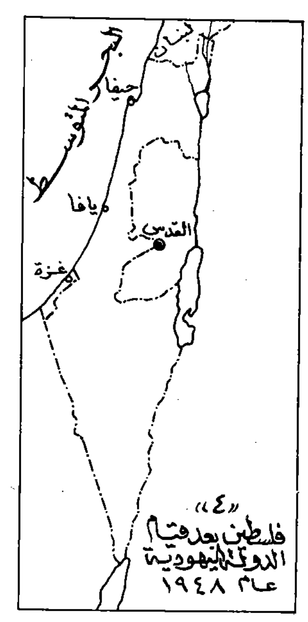
وحـرق المنـبر يوم **٢١** أغسطس (آب) **١٩٦٩**م . كما حاول بوئيـل ليرنـر عضو حركة جوش امونيم المنبثقة من حركة كاخ التي يتزعمها مائير كاهانا تدمير مسجـد الصخـرة المشرفة بوضع قنابل موقوتة بجانب حوائطه . وبعدها قام ثمانية من الشبـان اليهـود الذين ينتسبون إلى الليكود الأرهابي باقتحام الحرم الشريف والاعتـداء على المصلين بمسـاعـدة قوات الاحتلال المعسكرة على باب الحرم . كما قام الأرهـابي ألن جولـدمـان بإطـلاق مدفعـه الـرشـاش صوب المصلين الساجدين في الحرم الشريف . وقامت مجموعة ارهابية أخرى تطلق على نفسها اسم مجموعة أبناء يهوذا بمحاولة نسف الصخرة بالديناميت . وتم تخطيط اعضاء التنظيم الارهابي اليهودي بمشاركة ضباط مسئولين في الجيش والحكومة بمحاولة قصف الحـرم القـدسي بطـائـرات سلاح الجـو الصهيـوني(١) . هذا عدا عن

(١) الشرق الأوسط / ص ٢ (الأربعاء ٥ ذو الحجة سنة ١٤٠٥هـ/ ٢١/٨/١٩٨٥م).









مشاريع تقسيم فلسطين

«مقارنة»

الحفريات المستمرة تحت الحرم. وتقوم حملة مكثفة يهودية تقوم بها المنظمات اليهودية في امريكا لجمع التبرعات بدعوى إعادة بناء المعبد اليهودي مكان قبة الصخرة ووصلت التبرعات إلى أكثر من عشرة ملايين دولار، وانضم إليهم بعض النصارى المتعصبين لتأييد المشروع[1].

وكان لابد من صنع الزعيم الذي يتولى تركيع الأمة واستسلامها وهي تهلل وتكبر بنشوة النصر، فكانت حرب رمضان عام **١٣٩٣**هـ/ ٦ تشرين الأول «اكتوبر» عام **١٩٧٣**م فقامت القوات المصرية باقتحام خط بارليف وعبور القناة، وقامت القوات السورية باجتياز خط وقف اطلاق النار.

ولقد دارت على الجبهتين معارك ضارية استخدمت فيها كل أسلحة الحرب الحديثة، وأمدت الولايات المتحدة اسرائيل على عجل بجسر جوي متصل من الأسلحة الحديثة المتطورة، وحدث تسلل من ثغرة الدفرسوار على الجبهة المصرية، وتسلل آخر وصل إلى قرية سعسع السورية.

وأعلن وقف اطلاق النار في **٢٢** تشرين الأول عام **١٩٧٣**م فاستفادت اسرائيل كعادتها من توسيع الثغرة، ففصلت الأمم المتحدة بين القوات يوم **٢٨** تشرين الأول عام **١٩٧٣**م.

ولنا عدة ملاحظات على هذه الحرب:

١) كانت حرب رمضان أول حرب مارس فيها العرب الهجوم وانتزعوا فيها المبادأة من اسرائيل واستخدموا عنصر المفاجأة والمباغتة ضد العدو.

٢) أعادت هذه الحرب إلى القوات العربية ثقتها بنفسها بعد أن اهتزت أثناء وبعد حزيران وقضت على اسطورة جيش اسرائيل الذي لا يقهر.

٣) دخلت هذه الحرب فكرة الإسلام والتجمع ـ فقد حارب على الجبهة السورية قوات من المغرب والعراق والأردن والسعودية، وعلى الجبهة المصرية قوات من السودان والجزائر وفلسطين.

---

(١) المسلمون العدد ٣٧ ص ٤ ٥ صفر ١٤٠٦هـ/ ١٩ اكتوبر ١٩٨٥م.

٤) استخدم ولأول مرة البترول كسلاح فعال في المعركة، فقد قطعت الدول العربية البترول عن الولايات المتحدة ودول أخرى أيدت المجهود الحربى الاسرائيلي وكان المحرك الفعال للنقطتين الثالثة والرابعة هو المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية .

وكانت هذه النتائج ايجابية لولا ما كان يبيت في الظلام من صنع البطل - السادات - والذي أسفر عن تطورات عجيبة في القضية نوجزها فيمايلي :

أ - في كانون الثاني عام ١٩٧٤م تم توقيع اسرائيلي مصرى لفصل القوات وقد انشئت منطقة عازلة تمتد عشرة كيلومترات عرضا شرقي قناة السويس وتفصل بين الجيشين، وكذلك وقع اتفاق مماثل على الجبهة السورية ووضعت قوات الطواريء الدولية في المناطق العازلة بين الجبهتين .

ب - في ايلول عام ١٩٧٥م وقع اتفاق مصرى اسرائيلي جديد انسحبت بموجبه اسرائيل من أجزاء أخرى من سيناء واستردت مصر آبار أبورديس، كما تعهدت اسرائيل ومصر بعدم الالتجاء إلى التهديد وعدم استخدام القوة لمدة ثلاث سنوات كما سمح للبواخر غير الحربية المتجهة إلى اسرائيل والقادمة منها بالمرور في قناة السويس .

جـ - أعلن الرئيس المصري أنور السادات أنه يزمع القيام بزيارة اسرائيل لتحقيق السلام العادل الشامل وتمت الزيارة للقدس في ١٩ تشرين الثاني ١٩٧٧م، ٩ ذي الحجة ١٣٩٧هـ وكانت من أكثر أحداث التاريخ إثارة لاستغراب الرأي العام الإسلامي والعالمي .

د - التقى مناحيم بيغين رئيس وزراء اسرائيل بالرئيس المصرى في الاسماعيلية في ١٩٧٧/١٢/٢٥ وتم الاتفاق بينهما على تشكيل لجنتين احداهما عسكرية والأخرى سياسية لحل المشكلات بينهما وتوالت الاجتماعات بين الطرفين .

وفي غمرة هذه اللقاءات كانت اسرائيل تقوم :

(١) بمهاجمة الأراضي العربية في لبنان واجتاحت مناطق واسعة منه

مستخدمة ٣٠ ألف جندى تدعمهم أحدث الآليات وسلاح الجو المتطور لتصفية المسلمين والفلسطينيين في لبنان .

(٢) ببناء المستعمرات في المناطق المحتلة .

(٣) بممارسة الضغط والإرهاب لأهل الضفة الغربية والقطاع وعمليات الإبعاد .

هـ ـ اتفاقيات كامب ديفيد :

ومع شيوع روح الاستسلام في الأمة الإسلامية والقبول بالأمر الواقع وتجرع الهزيمة وتفسخ المجتمعات الإسلامية والانحراف العقيدي الخطير والفراغ الذي تعيشه الجماهير وانقسام الدول الإسلامية بسبب من انتماءاتها السياسية الدولية تحقق الإنجاز الأكبر الذي لم تكن لتحلم به إسرائيل ألا وهو توقيع إتفاقات كامب ديفيد وإنهاء حالة الحرب مع العدو الصهيوني والقضاء على عقدة العداء له وما تبع ذلك من تطبيع العلاقات وتبادل التمثيل الدبلوماسي وفتح الحدود بين البلدين لكافة المبادلات السياحية والتجارية والإعلامية .

والصهيونية بما تملك من وسائل مادية وتقنية وبما لديها من مراكز قوى سياسية دولية ومن خلال خبراتها التاريخية في فن الغزو الحضاري والتخريب الفكري والنفسي للأمم والشعوب التي تشهد بها بروتوكولات حكماء صهيون سيكون خطرها على الإسلام والعالم الإسلامي أشد بكثير من الخطر العسكري .

والحقيقة أن الردّ الاسلامي والعربي لم يكن بحجم المأساة، بل ان إسرائيل وجهت صفعة جديدة إلى المسلمين بعد ذلك حين أعلن بيغن أن القدس عاصمة إسرائيل إلى الأبد.

بدأ مؤتمر كامب ديفيد أعماله بحضور كارتر رئيس الولايات المتحدة

والسادات وبيغين من ٥ إلى ١٧ أيلول ١٩٧٨م، واتفق الأطراف الثلاثة في نهاية المفاوضات على وثيقتي كامب ديفيد[١]:

الوثيقة الأولى : إطار السلام في الشرق الأوسط :

أ ـ الضفة الغربية وغزة :

ينبغي أن تشترك مصر واسرائيل والأردن وممثلو الشعب الفلسطيني في المفاوضات الخاصة بحل المشكلة الفلسطينية بكل جوانبها ولتحقيق هذا الهدف فإن المفاوضات المتعلقة بالضفة الغربية وغزة ينبغي أن تتم على مراحل ثلاث :

(١) تتفق مصر واسرائيل على إقامة حكم ذاتى لسكان الضفة الغربية وغزة .

(٢) تتفق مصر واسرائيل والأردن على وسائل إقامة سلطة الحكم الذاتي المنتخبة في الضفة وغزة، وقد يضم وفدا مصر والأردن فلسطينيين من الضفة الغربية والقطاع أو فلسطينيين آخرين، وسيتم انسحاب قوات اسرائيلية وستكون هناك اعادة توزيع للقوات الاسرائيلية التي ستبقى فى مواقع أمن معينة .

(٣) ستبدأ الفترة الانتقالية ذات الخمس سنوات عندما تقوم سلطة حكم ذاتي في الضفة الغربية وغزة، كما ستجرى المفاوضات لتحديد الوضع النهائي للضفة وغزة ولإبرام معاهدة سلام بين اسرائيل والأردن في نهاية الفترة الإنتقالية .

(ب) مصر واسرائيل :

(١) تتعهد مصر واسرائيل بعدم اللجوء للتهديد بالقوة أو استخدامها لتسوية النزاعات، وان أي نزاعات تتم تسويتها بالطرق السلمية لما نصت عليه المادة ٣٣ من ميثاق الأمم المتحدة .

---

(١) الحركات القومية في ميزان الإسلام ـ منير محمد نجيب ص ٢٧٦-٢٩٣ .
اتفاق كامب ديفيد واخطاره ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية .
العالم الإسلامي والمكائد الدولية ص ١٢٩-١٣٩ .

(٢) توافق الأطـراف من أجـل تحقيق السـلام فيـما بينهم على التفـاوض بإخـلاص بهدف توقيـع معـاهـدة سلام بينهم خلال ثلاثـة شهور من توقيع هذا الإطـــار بينـما تتم دعـوة الاطـراف الأخـرى في النـزاع للتقـدم في نفس الـوقت للتفـاوض وإبـرام معاهدة سلام مماثلة، وان إطار إبرام معاهدة السلام بين مصر واسـرائيـل سيحكم مفاوضات السلام بينهما وستتفق الأطراف على التشكيلات والجدول الزمني أو تنفيذ التزاماتهم في ظل المعاهدة .

(٣) على الموقعين أن يقيموا فيما بينهم علاقات طبيعية كتلك القائمة بين الـدول التي هي في حالـة سلام ويجب أن تشتمـل الخطـوات التي تتخـذ في هذا الشأن على :

أ ـ اعتراف كامل .

ب ـ إلغاء المقاطعات الإقتصادية .

(٤) تنسحب القـوات الإسـرائيليـة من سينـاء على مراحل خلال ثلاث سنوات على أن تبقى مجردة من السلاح .

(٥) وضع قوات دولية بين الطرفين على الجانب المصرى .

الوثيقة الثانيــــــة :

في ٢٦/٣/١٩٧٩م وقـع الـرئيس المصـري ومناحيم بيغين وجيمى كارتر معاهدة السلام المصرية الاسرائيلية في البيت الأبيض، وقد ألقى كل منهم كلمة بهذه المنـاسبـة وأسقط السادات الفقرات التي تتعلق بحقوق الشعب الفلسطيني من خطابه المعد مسبقا بهذه المناسبة وأهمّ ما شملته المعاهدة :

(١) تنتهي حالة الحرب بين الطرفين ويقام السلام بينهما عند تبادل وثائق التصديق على هذه المعاهدة .

(٢) تسـحـب اسـرائـيـل قواتهـا المسلحـة إلى ما وراء حدود مصـر الدولية ـ على مراحل ـ.

(٣) تتمـركـز قوات دوليـة في المنـاطق المحـددة ولا تنسحب إلا بقـرار من

مجلس الأمن أو موافقة الطرفين .

(٤) إقامة العلاقات الطبيعية بينهما ويتضمن ذلك : الاعتراف الكامل والعلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية وإنهاء المقاطعة الاقتصادية والحواجز المفروضة على الأفراد والسلع .

(٥) تتمتع السفن الاسرائيلية والشحنات المتجهة منها وإليها بحق المرور الحرّ في قناة السويس ومداخلها .

(٦) يعتبر الطرفان أن مضيق تيران وخليج العقبة من الممرات المائية الدولية المفتوحة لكل الدول .

(٧) يتعهد الطرفان بعدم الدخول في أي التزام يتعارض مع هذه الاتفاقية .

(٨) يقر الطرفان بأنه في حالة وجود تناقض بين التزامات الأطراف بموجب هذه المعاهدة وأي من التزامها فإن الالتزامات الناشئة عن هذه المعاهدة تكون ملزمة ونافذة .

هذا وقد شملت المعاهدة عدداً من الملاحق التوضيحية .

ومهما اختلفت وجهات النظر في هذه الاتفاقيات فإنها تجمع على أمور منها :

١) لم تتحقق السيادة الكاملة لمصر على سيناء، فتمركز القوات العسكرية كمايلي :

أ ـ ألّا تتمركز أكثر من فرقة واحدة (ميكانيكية أو مشاة) من القوات المسلحة المصرية داخل منطقة تبعد قرابة خمسين كم شرق خليج السويس وقناة السويس .

ب ـ تتمركز فقط قوات الأمم المتحدة والشرطة المدنية المسلحة بالأسلحة الخفيفة لأداء المهام العادية للشرطة داخل المنطقة التي تقع غرب الحدود الدولية وخليج العقبة في مساحة يتراوح عرضها بين ٢٠ و ٤٠ كم .

جـ ـ أن تتواجد في المنطقة في حدود ٣ كم شرق الحدود الدولية قوات

إسـرائيليـة عسكـريـة محدودة لا تتعـدى أربـع كتـائب مشاة ومراقبون من الأمم المتحـدة تلحق وحـدات دوريـات حدود لا تتعدى ثلاث كتائب بالبوليس المدني للمحافظة على النظام في المنطقة التي لم تذكر آنفا .

ويجوز أن تقام محطات للإنذار المبكر لضمان بنود الاتفاق[1] وتتمركز قوات الأمم المتحدة في المناطق التالية :

أ ـ في جزء من المنطقة التي تقع في سيناء إلى الداخل لمسافة ٢٠ كم تقريباً من البحر المتوسط وتتاخم الحدود الدولية .

ب ـ في منطقـة شرم الشيـخ لضـمان حركة المرور بمضائق تيران ، ولا يتم إبعـاد هذه القـوات ما لم يوافق مجلس الأمن التـابع للأمم المتحدة على مثل هذا الإبعاد بإجماع أصوات الأعضاء الخمسة الدائمين[2] .

٢) لم يحصـل الشعب الفلسطيني المسلم على أي من حقـوقـه وتحـوّل موضـوع الضفـة الغـربيـة وغـزة من فكرة الدولة إلى فكرة الحكم الذاتي ضمن وحـدة الـتراب الإسـرائيلي وهذا ما أعلنه بيغن في اليوم الثاني لتوقيع المعاهدة أن الحكم الـذاتي يشمـل الأشخـاص لا الأرض خاصة وأن نصوص المعاهدة كان أقصى ما قالته في هذا الصدد هو البحث في مصيرها بعد مرور خمس سنوات بين الأردن وفلسطـين ومصـر (وستجـري المفاوضات لتحديد الوضع النهائي للضفة الغـربيـة وغزة وعلاقاتهما مع جيرانهما ولإبرام معاهدة سلام بين اسرائيل والأردن بحلول نهاية الفترة الانتقالية) .

وأما القدس بلد المعراج وأولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين فلم يرد لها ذكـر إطـلاقـاً في المعـاهدة . في الوقت الذي يعلن فيه المسئولون اليهود في كل منـاسبـة أن القـدس عاصمـة اسـرائيـل إلى الأبـد ، بل واتخـذوا بذلك قرارهم الرسمي من الكنيست الاسرائيلى باعتبار القدس العاصمة الأبدية لإسرائيل[3] .

---

(١) القومية في ميزان الإسلام ص ٢٨٤ .

(٢) نفسه . وانظر الكتاب : تقييم سياسي لقرارات كامب ديفيد الصادر عن المركز الإسلامي في آخره وحلقة الدراسات الإسلامية والعالمية .

(٣) القومية في ميزان الإسلام ص ٢٩٣ .

٣) حققت المعاهدة كثيراً من أهداف إسرائيل التوسعية: بضمها القدس، والجولان، واستمرار احتلالها الضفة الغربية وغزة، واطلقت يدها في لبنان وقامت بغزوه وظهرت الأزمة اللبنانية المستفحلة حيث تتقاتل فيه أطراف عديدة عجيبة أكثر ضحاياها من أهل السنة اللبنانيين والفلسطينيين(١).

ومن المكاسب الإسرائيلية الأخرى:

إنهاء حالة الحرب بين مصر واسرائيل. وقيام علاقات طبيعية وودية بين الدولتين. والاعتراف الكامل وإقامة العلاقات الدبلوماسية والإقتصادية والثقافية، وإنهاء المقاطعة الإقتصادية وتأمين حرية الملاحة الكاملة للسفن الاسرائيلية في القناة. وتعهد الطرفين بعدم الدخول في أي التزام يتعارض مع نصوص هذه المعاهدة وتموين اسرائيل الكامل بحاجتها من البترول، بعد أن فقدت البترول الإيراني(٢).

وقد أدىّ ذلك إلى انعزال حكومة مصر عن العالم العربي والعالم الإسلامي وموالاتها لليهود. والغريب أن يذاع باسم علماء الأزهر بيان بتأييد معاهدة الصلح جاء فيه تشبيه هذا الصلح المشئوم بصلح الحديبية. مخالفاً بذلك فتوى لعلماء الأزهر قبل ٢٤ سنة في ١٨ جمادى الأولى عام ١٣٧٥هـ هذه الفتوى كانت حاسمة في أن الصلح مع اسرائيل لا يجوز شرعاً قالوا فيها: «إن الصلح مع إسرائيل لا يجوز شرعاً لما فيه من إقرار الغاصب على الاستمرار في غصبه والاعتراف بحقية يده على ما اغتصبه، وتمكين المعتدي من البقاء على عدوانه، فلا يجوز للمسلمين أن يصالحوا هؤلاء اليهود الذين اغتصبوا أرض المسلمين. . . بل يجب عليهم أن يتعاونوا جميعاً على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأجناسهم لردّ هذه البلاد إلى أهلها وصيانة المسجد الأقصى مهبط الوحي ومصلى الأنبياء الذي بارك الله حوله، وأن يعينوا المجاهدين بالسلاح وسائر القوى على الجهاد في هذا السبيل، وأن يبذلوا فيه كل ما يستطيعون حتى تطهر البلاد من آثار هؤلاء الطغاة المعتدين، ومن قصر في هذا أو فرط فيه أو خذل

---

(١) انظر: الشرق الأوسط ص ١ و٢ الأربعاء ٥ ذو الحجة ١٤٠٥هـ/ ٢١/٨/١٩٨٥م. وص١، ص٢ الأحد ٢ ذو الحجة ١٤٠٥هـ/ ١٨/٨/١٩٨٥م.

(٢) الحركات القومية في ميزان الإسلام ص ٢٩٢.

المسلمين أو دعا إلى ما من شأنه تفريق كلمة الأمة وتشتيت الشمل والتمكين لدول الاستعمار والصهيونية، فهو في حكم الإسلام مفارق جماعة المسلمين، وقد أشار القرآن أن موالاة الأعداء انما تنشأ عن مرضى القلوب يدفع أصحابها إلى هذه الذلة التي تظهر بموالاة الأعداء قال تعالى: **﴿فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسرّوا في أنفسهم نادمين﴾**[1].

وكان من نتائج ما يسمى بعملية التطبيع بين مصر واسرائيل: أن أطلقت يد اسرائيل كعنصر يهدد المنطقة طويل الذراع، فقد ضربت المفاعل النووي العراقي سنة ١٩٨١م لخطره على الدولة اليهودية على حدّ تعبير بيغن. وضربت مقر منظمة التحرير الفلسطينية في حمام الشط بتونس وقتلت عدداً من الفلسطينيين والتونسيين ودمّرت عدداً من المساكن، بتأييد من أمريكا الضالعة معها في ٢٥ محرم سنة ١٤٠٦هـ ومحاولة تصفية الإسلام في لبنان وخاصة بين الفلسطينيين[2].

كما نشطت الصهيونية في بناء المستوطنات بالضفة الغربية فكشفت خطة لإقامة ٤٤٠ مستعمرة حتى عام ١٩٩٠م وان غالبية هذه المستوطنات عسكرية وقواعد للمجندين، في حين بلغت هذه المستوطنات حتى أول عام ١٩٨٥م (٢٥٣ مستوطنة) فوق أراضي تسمح بتوسيع البناء فيها في المستقبل. وبلغت نسبة الأراضي المصادرة حتى عام ١٩٨٥م ٤٤٪ من أراضي الضفة الغربية[3].

وحصلت اسرائيل على مساعدات كبيرة من امريكا بحجة السلام هذا فقد قدمت امريكا ١٥٠٠ مليون دولار في مساعدات إقتصادية إضافية عاجلة وملحة لاسرائيل، في حين قدمت لمصر ٥٠٠ مليون دولار، و٢٥٠ مليون دولار للأردن. وصرح ريغان أنه يتعين على اسرائيل ومصر والأردن أن تقوم بدور

---

(١) راجع نص الفتوى في مجلة الأزهر ج ٦ مجلد ٢٧/ عدد جمادي الآخرة سنة ١٣٧٥هـ من ص ٦٨٢-٦٨٦.

(٢) الشرق الأوسط ١٨ محرم ١٤٠٦هـ/ ، ٢٠ محرم ١٤٠٦هـ.

(٣) الشرق الأوسط ص ٣ الاثنين ٢٣ ربيع الثاني ١٤٠٥هـ/ ١٤/١/١٩٨٥م العدد ٢٢٣٩.

حيوي من أجل السلام في الشرق الأوسط مقابل حصولها على مساعدات مالية من الولايات المتحدة[1].

كذلك ازداد غرور اليهود فازدادت في الأعوام الأخيرة ظاهرة الكاهانية (أي حزب كاخ ـ هكذا) التي يتزعمها الحاخام الارهابي مائير كاهانا والذي ينادي بطرد جميع العرب من الأراضي المحتلة. وقد دأب منذ أن هاجر إلى الأراضي المحتلة سنة **١٩٧٢**م على وصف العرب بالكلاب المنفرين وهدد باستخدام العنف ضدهم لإخراجهم من إسرائيل، وتجد دعوته صدى في الكنيست الاسرائيلي[2].

ونشطت عمليات التجسس الإسرائيلية في مصر في ظل التطبيع بمساعدة المؤسسات الثقافية الامريكية، وبالأخص المركز الثقافي الامريكي ومركز البحوث الاجتماعية بالجامعة الامريكية ومركز البحوث الامريكي. واكتشفت شبكة تجسس في نهاية عام **١٩٨٤**م كانت تعمل في مصر منذ عام **١٩٨٢**م، وقد طلبت امريكا التكتم من مصر على قضية التجسس هذه[3]. كما نشطت اسرائيل بتهريب المخدرات إلى مصر في محاولة لامتصاص اقتصادها، وتدمير شبابها تحت اسم السياحة والزيارات الودية[4].

وبالمقابل كانت هناك ردود فعل مصرية كبيرة ظهرت واضحة في معرض الكتاب الدولي في القاهرة، حيث أعلنت الجماهير المصرية رفضها لاشتراك إسرائيل وحرقوا علمها، ورفعوا اللافتات: «فلسطين إسلامية، جند محمد قادمون»[5].

وارتفعت الأصوات وطالبت بالكف عن هذه السياسة ورافق ذلك بعض حركات العنف من اغتيال السادات إلى حرق العلم الإسرائيلي في ذكرى تبادل البعثات الدبلوماسية بين مصر وإسرائيل إلى مقاطعة الجناح الإسرائيلي في

---

(١) نفسه ص ٢ الأحد ٢ ذو الحجة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥/٨/١٨م.

(٢) نفسه ص ١ العدد ٢٤٦٥/ ١٢ ذو الحجة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥/٨/٢٨م.

(٣) نفسه ص ٣ الأربعاء ١٩٨٥/٨/٢١م عن صحيفة الشعب المصرية.

(٤) راجع الواقع الاجتماعي في العالم الإسلامي.

(٥) الشرق الأوسط ص ١ الأحد ٣ جمادي الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥/٢/٣م العدد ٢٢٥٩.

معرض الكتاب عام ١٩٨٤م، إلى إصابة الدبلوماسي الإسرائيلي زئيف كيدا في القاهرة بجروح يوم ٥ يونيو سنة ١٩٨٤م واغتيال البرت اتراتشي الملحق الإداري في سفارة إسرائيل بالقاهرة وإصابة زوجته وسكرتيرته في المعادي يوم الثلاثاء ٤ ذو الحجة سنة ١٤٠٥هـ/ ٢٠/٨/١٩٨٥م[1]. إلى حصد عدد من السياح اليهود برشاش أحد الجنود المصريين بعد حادثة حمام الشط في تونس .

وبالمقابل ازدادت حركات أهل الضفة والقطاع، كدليل على أن الوجود اليهودي لا يمكن أن يكون مقبولاً لدى المسلمين، مهما بلغ من قوته ونفيره وجبروته، فهو كيان مصطنع يستمد عناصر بقائه من الخارج فروسيا تمده بالرجال والقوى البشرية، وامريكا تمدّه بالمال والسلاح وأوربا الصليبية كذلك .

فإذا كانت بريطانيا قد وضعت أسس دولة اليهود ويسرت السبيل لقيامها وتشريد المسلمين من أهل فلسطين، فإن الولايات المتحدة الأمريكية قدمت لإسرائيل وسائل حياتها وأسس دعمها وقوتها لتظل أداة العدوان والقهر لخدمة المخططات الاستعمارية. فقد قدمت خلال السنوات العشر الأولى من قيامها ما يقرب من مليار دولار، وأنشئت جمعيات أمريكية خاصة لتقديم الهبات لاسرائيل، وسهلت طرح سندات القرض الإسرائيلي داخل الولايات المتحدة وبعض دول أوربا وأمريكا اللاتينية وكان دخل اسرائيل من هذا المورد حوالي ٥٦٢ مليون دولار. كما ضغطت الولايات المتحدة على ألمانيا الاتحادية لدفع تعويضات قيمتها نحو ٨٢١ مليون دولار تعويضا عن الأضرار التي الحقها النازي باليهود. وامدت الولايات المتحدة إسرائيل بكل أنواع الأسلحة الحديثة حتى التي تستخدم لأول مرة في أمريكا ذاتها في الوقت الذي فرضت حظراً على توريد الاسلحة إلى الدول العربية. وقفزت المساعدات من ٥, ٢٢١ مليون دولار زمن ترومان إلى ١١٧٦ مليون دولار في فترة نيكسون الأولى (١٩٦٩-١٩٧٢م). ثم إلى البلايين في عهد ريغان. في حين لم ينقطع تزويد روسيا الشيوعية للكيان الصهيوني بالعنصر البشري. وأما تأييد فرنسا لإسرائيل

---

(١) الشرق الأوسط ص ١ الأربعاء ٥ ذو الحجة ١٤٠٥هـ/ ٢١/٨/١٩٨٥م. العدد ٢٤٥٨.

فمعروف وهناك نوع من التعاون النووي بينهما[1]، عندما زار فرنسوا متيران سوريا كان أغرب ما في كلامه في مؤتمره الصحفي أنه لم يطلب جلاء اسرائيل عن الأراضي السورية المحتلة في الجولان، ولو من حيث المبدأ على الأقل أو المجاملة للبلد المضيف، بل تلفظ بالكلام الذي فحواه أن على الطرفين: «ايجاد الحل لهذه المشكلة»[2].

ويظهر أن امريكا جادة كل الجدّ في المحافظة على الكيان الصهيوني فمن خطاب هارولد سوندرز مساعد وزير الخارجية الامريكية أمام اللجنة الفرعية للشرق الأوسط التابعة للجنة العلاقات الدولية في مجلس النواب الامريكي واشنطن ١٩٧٨/٩/٢٨: «... لقد كان توفير الدعم لاسرائيل آمنة حرة ديمقراطية في الشرق الأوسط وسيظل سمة دائمة في السياسة الخارجية الامريكية، بل انه التزام أدبي من جانب دولتنا كما انه اهتمام استراتيجي، وأنا واثق بأن علاقات الصداقة التي تربط دولتنا ستزداد قوة باتفاقيتي كامب ديفيد.

فلإسرائيل كما لأية دولة الحق أن تعترف الدول المجاورة لها مباشرة وجميع الدول الأخرى بها وتقبلها وعلاوة على ذلك لاسرائيل كما لأية دولة الحق في العيش بأمان ـ أمان ينبع من قوتها الذاتية وبأسها. ومن التعاون والنية الحسنة لدى جاراتها، ومن الاجراءات الأمنية الحازمة المتفق عليها بينها.

إن اتفاقيتي كامب ديفيد تعملان من أجل تحقيق هذه الاهتمامات الجوهرية لإسرائيل أكثر من أي اجراء آخر منذ قيام دولة اسرائيل الحديثة... فهما تحققان آمالاً للشعب اليهودي تمنى تحقيقها منذ قرون طويلة، وهي العيش بسلام في دولة خاصة به في أرض آبائه واجداده، ضمن حدود آمنة ومعترف بها وليأخذ مكانه الحق في المجتمع الدولي»[3]، وكما قال الرئيس كارتر: لقد صادق الرئيس السادات زعيم احدى اعظم الأمم في العالم دون إكراه وبأعلى درجة من الحماسة على هذا الطموح العظيم لإسرائيل»[4].

---

(١) انظر الشرق الأوسط ص ٣ السبت ٢٣ ربيع الأول ١٤٠٥هـ ١٩٨٤/١٢/١٥م. العدد ٢٢٠٩. عن صحيفة لوكونيد بان دي باريس الفرنسية.

(٢) الشرق الأوسط ـ رأي الشرق الأوسط ـ ص ٩ الأحد ١٩٨٤/١٢/٢م.

(٣) وأين أرض آبائه وأجداده هو؟ فهو يعيش في الأرض التي اغتصبها من الهنود الحمر!.

(٤) اتفاق كامب ديفيد ص ٣٧ ـ ٣٨.



الفصل الثاني

المسلمون في الفلبين ـ عذراء ماليزيا

عذراء ماليزيا مجموعة من الجزر يزيد عددها على ٧١٠٠ جزيرة تنتشر في مياه المحيط الهادي في شرقي آسيا بين الجزر الاندونيسية والجزر اليابانية. بعضها كبير معروف مثل جزيرة لوزون في الشمال، وجزيرة مندناو في الجنوب، وبعضها صغير مجهول لا يكاد يعرفه إلا ساكنوه، ومنها ما اتخذ له اسم حيث قطنه البشر، ومنها ما لم يسمّ بعد لأنه لا يقيم عليه الإنسان وعبارة عن رؤوس جبلية بارزة في وسط اليمّ، ويمكن تقسيمها إلى ثلاث مجموعات من الجزر هي :

١ ـ جزيرة لوزون وما حولها، وهي المنطقة الشمالية .

٢ ـ جزيرة سيبو وما حولها وهي المنطقة الوسطى ويتمركز فيها المسلمون .

٣ ـ جزيرة مندناو، وما حولها وهي المنطقة الجنوبية ويتركز فيها المسلمون بالإضافة إلى جزر بالاون وصولو[١].

وتصل مساحة هذه الجزر إلى ٣٠٠ ألف كم٢. تكوّن مورو الاسلامية ٣٨٪ من هذه المساحة.وتعتبر امتداداً لجزر اندونيسيا، ويجاورها من الشرق خانق محيطي عظيم يمتد بطولها عبر المحيط الهادي، لذا فهي واقعة ضمن نطاق القوس المعروف بالحزام الناري في المحيط الهادي، الذي يتعرض لهزات أرضية من آن لآخر أو ثوران بركاني[٢].

تقع هذه الجزر ضمن إقليم المناخ الموسمي، ويمارس أهلها الزراعة، فهي حرفتهم الرئيسية، وتليها تربية الدواجن والحيوانات ثم صيد السمك، وأهم المحاصيل : الأرز وجوز الهند والقنب وقصب السكر ونخيل الزيت والمطاط والمانجو والموز والأناناس، وفيها ثروة غابية تمتد في الجزر كلها، وتنتج الذهب والفضة والحديد والنحاس وغيرها من الخامات المعدنية، كما يعتبر البحر مصدراً مهماً من مصادر الرزق لأهل الفلبين .

---

(١) انظر البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة. انظر حاضر العالم الإسلامي ج١ ص٣٥٩.

(٢) حسن أبو العينين ـ آسيا الموسمية ص ٤٠.

أطلق الاسبان على هذه البلاد ـ اسم الفلبين ـ باسم ملكهم فيليب الثاني الذي ارسل القائد سجاستا وحملته على تلك الجزر[1]. في حين كان العرب المسلمون يطلقون عليها عذراء ماليزيا لأن أغلب سكانها من أصل ماليزي .

سكان الفلبين

ينتمي السكان إلى جماعات متعددة، ومن ثم تعدّدت اللهجات ومن الممكن أن نجمعهم في عنصرين :

(أ) عنصر قديم : وهم من : (١) النجريتو ـ الأقزام الآسيويين ـ ذوي اللون الأسود، والقامة القصيرة، والجسم الصغير، وهم جماعات بدائية تعيش في الغابات وفي المناطق المنعزلة ولا دين لهم .

(٢) والأندونيسيين : ذوي اللون الأبيض، وقامتهم أطول قليلاً من سابقيهم .

(٣) والملايو القدماء : ووصلها هؤلاء تباعاً قبل ميلاد المسيح عليه السلام .

(ب) العنصر الثاني عرف باسم المورو : الذين قدموا من الملايو على شكل موجتين حملت الثانية منهما الإسلام، وتوزعوا في البلاد وسكنوها .

وقد أطلق عليهم الاسبانيون هذا اللفظ (المورو) إذ شبهوهم بمسلمي المغرب والأندلس لانتمائهم إلى دين الإسلام[2]. وينتشرون حالياً في ثلاث عشرة ولاية في الجنوب والغرب، وهم ينتمون إلى جماعات : ماجوندناو، وتاوسج، ومارنواوا، وسامالا، وسالوان، وساو، وياكان، وبارجاو، وجامابونا، وسيبوجوى، وبلاواني[3].

---

(١) حسين مؤنس ـ الإسلام الفاتح ص ٥٩ .

(٢) كان لفظ الموروس شائع الاستعمال في الكلام على المسلمين وأهل المغرب منهم خاصة وكان هذا هو اسم قبيلة مغربية بربرية عرفها الرومان وحاربوها في المغرب، ومن ذلك اللفظ أتت تسمية العرب والمسلمين بهذا الاسم عند الاسبان. ثم الانجليز والفرنسيين (حسين مؤنس ـ الإسلام الفاتح ـ ص٥٩).

(٣) نشرة معهد شئون الاقليات المسلمة ص ٤/ محرم ١٣٩٨هـ.

وبلغ عدد سكان الفلبين عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ٤٨,٤٠٠,٠٠٠ نسمة فيهم ٥,٥ مليون مسلم على الأرجح يشكلون ثُمن السكان[١]. في حين أن ماركوس رئيس الفلبين أعلن عام ١٩٧٥م أن عدد السكان المسلمين ثمانية ملايين يشكلون ٢٢٪ من السكان[٢] وهذا يدل على تناقص عدد المسلمين بسبب الإبادة والتهجير التي يتعرض لها المسلمون في تلك البلاد .

ويتكلم أهل الفلبين أكثر من ٧٨ لغة أهمها التالوج التي تنتشر في مانيلا وما حولها[٣]، وتتجه النية لأن تكون اللغة الرسمية، وفي كل لغة موجودة ألفاظ عربية واسبانية وهندية وصينية وانجليزية. واما المسلمون فيتكلمون لغتين خاصتين بهم تعرفان باسم : لغة موروو وهما لغة ايرانون وتاوسوغ وتكتبان بالحروف العربية، وتعدّ اللغة العربية الثانية عندهم بعد الانجليزية التي لا تزال لغة البلاد الرسمية[٤].

دخول الإسلام :

سيطر المسلمون في القرن الثالث الهجري على التجارة البحرية بين مصر والهند وماليزيا والصين، وأقاموا مناطق استيطان متعددة على شواطيء الهند وغرب شبه جزيرة الملايو، وسيطروا على تجارة نانهي (في بحر الصين الجنوبي) واستوطنوا كانتون في الصين، واختلط المسلمون من عرب وهنود كجرات مع أهالي تلك البلاد بالزواج والتجارة، فأخذ الإسلام يشق طريقه ببطء في تلك الأقطار عن طريق الاقناع، ولما أسلم بعض السكان المحليين أحسوا أنهم جزء من أمة سامية حملتهم إلى مستوى رفيع بين أمم العالم، وان من واجبهم حمل هذه الدعوة، إلى أقوامهم، كما استمر سيل الدعاة من بلاد العرب ومن الهند .

وجاء سقوط بغداد عاصمة دار الإسلام سنة ٦٥٦هـ على يد المغول، فهاجر عدد كبير من المسلمين إلى جنوب شرق آسيا فازدهرت الدعوة الإسلامية

---

(١) جريدة الاهرام القاهرية ٤/٤/١٩٧٥م. وقد يبلغ أكثر من ٧ ملايين كما ذكر عبد الباقي أبوبكر، وأراضيهم تشكل ٣٨٪ من مساحة الفلبين. المجتمع الكويتية العدد ٦٠٠ ص٣١.

(٢) محمد عبد القادر أحمد ـ المسلمون في الفلبين ص ٤٢ .

(٣) نفسه ص ٤٥ .

(٤) محمد عبد القادر عوده ـ المسلمون في الفلبين ص ٤٥ .

ونشطت في الملايو وسومطرة وجاوة وجزر مولوكى وبورنيو وعذراء ماليزيا . ومع نهاية القرن السابع الهجري كانت المقاطعات الساحلية لشمال سومطرة قد أصبحت إسلامية كلها ، وقام حكام هذه المقاطعات وخاصة مقاطعة باساي بنشر الدعوة بقوة وحماسة ، فعمّ الإسلام ملقا نتيجة لذلك ، وأصبحت مع باساي المركز الإسلامي الرئيسى في جنوب شرق آسيا يفد إليها طلاب العلم المسلمون من جاوة ثم يعودون للقيام بالدعوة الإسلامية في مختلف جزر الشرق الأقصى ، وكان يحيطها ـ أي ملقا ـ هالة من الإعجاب تبديها السلطنات الإسلامية المحيطة بها نظراً لاستقامتها على الإسلام وتقوى وصلاح أهلها وحكامها معاً ، فقد كتب عنها نينغ شنغ لان الصيني سنة ٨١٩هـ/١٤١٦م يقول : «إن الحاكم والشعب مسلمون ، متمسكون بحرص ودقة بتعاليم الإسلام»(١) فقامت ملقا بنشر الإسلام في الشرق الأقصى بما فيها الفلبين التي وصلها أيضا عن طريق سومطرة وجزر المولوكاس وبورنيو حيث كان يعيش سكانها الأصليون شبه عراة في حياة جاهلية يعبدون الأصنام ، فوصلها التجار المسلمون والدعاة ، وهاجر إليها عدد من بلاد الإسلام واستوطنها ، فعبر الإسلام بذلك إلى جزيرة صولو وانتشر في ماجيندناو ولانا في الجنوب وتقدم إلى لوزون في الشمال في الوقت نفسه(٢) وازداد انتشاره عن طريق مصاهرة الأسر الحاكمة وإسلام الأمراء المحليين .

وهناك ضريح في بودداتو بجزيرة صولو جنوب الفلبين يحمل تاريخ ٧١٠هـ هـ مما يوحي بأن التجار والدعاة وصلوا إلى هذه البلاد قبل هذا التاريخ بكثير ، وأول داعية معروف وصل صولو هو شريف الأولياء كريم (المخدوم) وهو عربي جاء عن طريق الصين حوالي عام ١٣٥٠م(٣) الذي تمكن من كسب السلطان محمد شاه وشعبه في ملقا إلى الإسلام ثم أبحر إلى جزر صولو واستقر في قاعدتها القديمة «يوانا» وبحسن دعوته دخل كثير من أهلها الإسلام ولقي منهم تقديراً عظيماً ، وقد توفي ودفن في جزيرة سبوتو .

(١) قيصر أديب مخول ـ الإسلام في الشرق الأقصى ص ٢٨ .

(٢) نشرة معهد شئون الاقليات ص ٤ / محرم ١٣٩٨هـ/ حسين مؤنس ـ الإسلام الفاتح ـ ص٥٨ .

(٣) قيصر أديب مخول ص ٦٧ .

وخلفه الداعية أبوبكر وهو عربي أيضاً، بدأ عمله كسلفه في ملقا ثم سافر إلى بالمبانغ في بورنيو، كما انتقل إلى بروناي، ووصل صولو حوالى عام ٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م. فبنى عدداً من المساجد ونجح في الدعوة نجاحاً كبيراً، وزوجه سلطان ماجنداناو المسلم من ابنته وجعله ولياً لعهده، فلما ورث العرش نظم القوة العسكرية لأهل جزر صولو أشد رجال عذراء ماليزيا(١). فتكونت إمارات وسلطنات إسلامية هناك أهمها:

١ ـ إمارة صولو الإسلامية وقد شملت ارخبيل صولو وجزيرة باسيلان وبالوان وبعض الجزر المجاورة، وقد أسسها الأمير ريا باجندار الذي جاء من سومطرة إلى مندناو وباسيلان ثم استوطن صولو.

٢ ـ إمارة ماجيندناو ـ وجمعت جزيرة مندناو التي فيها أكبر تجمع إسلامي، وما حولها.

٣ ـ إمارة مانيلا ـ عاصمة الفلبين الحالية ـ في لوزون وما جاورها من مناطق.

٤ ـ إمارات إسلامية صغيرة تابعة للإمارات السابقة أو منفصلة عنها.

التحدي الصليبي ؛ الاسباني والبرتغالي:

وبينما كانت تلك الجزر تعيش في هدوء إذ بجموع الصليبيين من البرتغاليين والأسبان تداهمهم من الشرق والغرب. وكان البرتغال والأسبان قد نقلوا ميدان الحروب الصليبية من البحر الأبيض المتوسط في الغرب إلى المحيط الهندي والمحيط الهادي في الشرق.

وأول قوة برتغالية وصلت المنطقة كانت بقيادة البوكرك البرتغالي الذي احتل ملقا سنة ٩١٧هـ/١٥١١م وصاحب ذلك حقد صليبي ونشاط تبشيري مركّز، فأثار ذلك ردة الفعل عند المسلمين وأصبح الأرخبيل كله ميداناً للصراع الإسلامي الصليبي، فهاجر عدد كبير من العلماء إلى سومطرة وجاوة وأدت هذه الهجرة بدورها إلى ازدياد الحماس الديني ونشاط الدعوة للإسلام، وهكذا يمكن

---

(١) حسين مؤنس ـ الإسلام الفاتح ـ ص ٦١.

تشبيه سقوط ملقا بسقوط بغداد إلى حد ما، فكلا الحادثين أحيا النشاط الإسلامي وبعثه فكراً وعملاً .

وكانت سيطرة المسلمين على البحار قد زالت بعد هزيمة الأسطول الإسلامي في معركة ديو البحرية سنة ٩١٥هـ/١٥٠٩م أمام البرتغال، ولكن الهزيمة لم تؤثر على قوة انتشار الإسلام وتوسعه في ماليزيا والمشرق، فقد اختار التجار المسلمون آتشيه شمال سومطرة مركزاً لهم فأصبحت شمال سومطرة مرة أخرى دعامة الإسلام هناك وازدهرت آتشيه وقويت لدرجة استطاعت معها أن تتحدى ملقا التي أصبحت برتغالية .

وفي سنة ٩٢٨هـ قويت الدعوة الإسلامية في بورنيو وتشكلت الإمارة الإسلامية القوية في برونى وحملت على عاتقها مع آتشيه حركة الصراع الإسلامي ضد البرتغاليين والأسبان .

ووصلت آتشيه في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين أوجها وكانت أهم قناة نقلت الدعوة الإسلامية إلى جاوا والشرق الأقصى من مراكز الإسلام في الهند وشبه جزيرة العرب ومصر، ووصلها المتطوعة من مصر يجيدون استعمال الأسلحة النارية، فقوى الإسلام هناك وأصبحت لأهمية موقعها الجغرافي على مفترق طرق التجارة الإسلامية مركزا هاماً للدراسات الإسلامية وامتازت بسمعتها العطرة حيث التقوى والالتزام المخلص بحدود الإسلام ومحاربة البدع. وكانت بالإضافة إلى ذلك محطة لكل الحجاج الماليزيين (بما فيهم أهل الفلبين) الذاهبين إلى بيت الله الحرام، فتفاخر أهل آتشيه بمركزهم هذا

وسموا بلادهم : «عتبة الديار المقدسة»[1] :

وتولى بروني[2] السلطان هارون الذي أخذ على عاتقه مقاومة الغزو البرتغالي واستطاع ابنه باب الله سلطان ترنيت أن يدمر كل ما أنجزه المبشرون البرتغاليون عام ٩٨٣هـ .

أما الأسبان الذين توجهوا غربا في كشوفهم الجغرافية بعد معرفتهم كروية الأرض فقد اعتقدوا أن سيرهم هذا يقودهم إلى شرق بلاد المسلمين فيحدقون بالمسلمين في المشرق مثلما أحدقوا بهم في المغرب، فعرفوا أمريكا، وفي عام **٩٢٣هـ/ ١٥٢١م** وصل ماجلان عذراء ماليزيا واصطدم بالمسلمين عندما أراد فرض سيطرته ونشر عقيدته فقتل في جزيرة ماكيتان من جزر سيبو فتابع من نجا من اتباعه طريقهم حتى عادوا إلى اسبانيا .

ثم سيرت اسبانيا بعد ذلك أربع حملات قتل أفرادها جميعاً لأن الريح كانت تدفعهم نحو الجزر الجنوبية حيث يكثر المسلمون هناك[3] .

ثم جردت اسبانيا حملة كبيرة رافقتها القساوسة في محاولة لتنصير المسلمين استقرت في جزيرة سيبو وقاوم حاكم مانيلا (عاصمة لوزون) الاسبان بشجاعة وضراوة وكان ابن أخ لأحد سلاطين بروني وابن عم السلطان سيف الرجال

---

(١) قيصر أديب مخول ص ١٧ .

(٢) وبروني اليوم سلطنة إسلامية تقع في جنوب شرق آسيا، وهي جزء من جزيرة بورنيو التي تقع على بحر الصين، ومساحتها ٢٢٢٦ ميلاً مربعاً وعدد سكانها ٢٣٠,٠٠٠ نسمة، تعتمد في دخلها على البترول (حوالي ٥ مليارات دولار سنوياً) بالإضافة إلى الصيد وقطع الأخشاب باعتبارها منطقة استوائية غنية بالغابات الكثيفة. ولغتها الأساسية الانجليزية، في حين أن اللغة القومية هي المالاوية .

وسكان بروني مسلمون يولون مكانة خاصة للقرآن الكريم والدارسين في الأزهر، فمن أبنائها عام ١٩٨٥م ستين أزهريا يتولون المناصب العليا فيها، وسلطانها حسن البلقيع منذ سنة ١٩٦٧م . وقد زارتها بعثة مصرية للآثار في أطار التعاون الإسلامي الثقافي بين مصر وبروني، وتوصلت البعثة إلى أن دخول الإسلام كان في القرن الرابع عشر الميلادي لوجود آيات قرآنية على بعض القطع الأثرية التي عثر عليها، وبعض الآيات مكتوبة على شواهد بعض القبور في السلطنة. (الشرق الأوسط - ص١٣ الاثنين ١٤ جمدي الأولى سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥/٢/٤م العدد ٢٢٦٠).

(٣) البلدان الإسلامية والاقليات المسلمة ص ٦٠٧ - ٦٠٨ .

سلطان برونى الذي صد الاسبان عن برونى عام (٩٨٥ و٩٨٨هـ/ ١٥٧٧ و١٥٨٠م).

وباحتلال الاسبان لمانيلا وتهديدهم لأماكن استيطان المسلمين وبناء مستعمرات جديدة مكانها على يد ليكاسبى سنة ٩٧٩هـ/ ١٥٧١م توقف توسع الإسلام في القسم الشمالي من أرخبيل الفلبين، واعتبر الاسبان معركتهم مع مسلمي الفلبين في مانيلا امتداداً لمعاركهم مع المسلمين في الأندلس، فقد كتب أحد الاسبان سنة ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م: «عندما نزل جنود ليكاسبي في مانيلا في مكان هو الآن موقع حصن سانتياغو وهو مفتاح مانيلا وجدوا مقاطعة مسلمة يحكمها الراجا ماتندا بمساعدة ابن أخيه الراجا سليمان، وكان هذا الأخير يحبذ سياسة الحرب والمواجهة...»

وحتى تكون الصورة مماثلة تماماً لما كان في غرناطة، سمّي ليكاسبي مسلمي الفلبين «الموروس»[1].

وفي عام ٩٧٣هـ/ ١٥٦٥م حصل ليكاسبي إذناً من فيليب الثاني باسترقاق المسلمين لأنهم يدعون لعقيدة محمد... كما أعطيت الأوامر عام ٩٨٦هـ/١٥٧٨م للكابتن استبان رودريكودي نيكروا بتهديم المساجد ومنع إعادة بنائها في صولو ومندناو.

وأدرك المسلمون الأهداف الصليبية فتعاونوا في الوقوف في وجه الهجمة الصليبية فقاومت سلطنة صولو وسلطنة ماجندناو الغزو الأسباني ووصلتهما الامدادات من بورنيو وجزر مولوكي، كما استعانت آتشيه بمصر وحصلت على المتطوعة، فكتب فرانسيسكو دى سندى حاكم الفلبين الاسباني سنة ٩٨٦هـ/١٥٧٨م للسلطان سيف الرجال في بورنيو يطلب منه التوقف عن إرسال الدعاة إلى الفلبين وأواسط بورنيو، وأن يقبل في بورنيو مبشرين كاثوليك. وعندما قرىء الكتاب على السلطان غضب غضباً شديداً ولم يزد على قول كلمة واحدة: كافر»[2].

(١) قيصر أديب مخول ص ١٤٧.

(٢) نفسه ص ١٤٢.

وظل الحرب سجالاً بين الاسبان ومسلمي الفلبين ثلاثمائة عام، وكانت سفن المسلمين المسلحة تقوم بمهاجمة السفن الأسبانية وتأسر الآلاف من الاسبان وتبيعهم في سوق الرقيق كرّد فعل لما فعله الأسبان والبرتغال لاستعباد المسلمين وتنصيرهم[1].

وكانت سياسة الاسبان التي اعلنها «دى سندي» تقوم على سحق الإسلام وتنصير المسلمين، ولكنهم أدركوا بعد هذه القرون استحالة ذلك، فاعترفوا عام ١٢٥٢هـ/١٨٣٦م باستقلال سلطانهم في صولو، ولكنهم عادوا واستولوا على حاضرة البلاد عام ١٨٧٤م، فلجأ المسلمون إلى القيام بالغارات فكان حكم الأسبان اسمياً فقط[2]، فكتب بلتزار جير ودييه (وهو ممن اشتركوا في غزو الفلبين سنة ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م إلى الحاكم الاسباني العام عام ١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠م إقترح إتباع سياسة قبول الواقع الإسلامي، وهي الطريقة الوحيدة لوقاية النفوذ الاستعماري من الانهيار[3].

كان المسلمون يمدّون جنوب الفلبين بدماء جديدة وينشرون الإسلام، فقد كتب دي سندي إلى ملك اسبانيا في حزيران عام ٩٨٤هـ/١٥٧٦م يثبت له أن مسلمي بورنيو هم الذين كانوا ينشرون الإسلام في الفلبين وقال في رسالته ان اخضاع سلطان آتشيه وبروني في بورنيو قد يوقف إرسال الدعاة إلى الفلبين .

ولكن هذا الأمر اختلف بعد السيطرة الهولندية على جزر الهند الشرقية والسيطرة الانجليزية على ماليزيا، فقد تمكن الأوروبيون من عزل مسلمي الفلبين ـ تقريباً ـ عن بقية العالم الإسلامي بالقرصنة البحرية وبيع الأسرى المسلمين في أسواق النخاسة. وهذا تسبب في ضعف المسلمين وتأخرهم. ورغم ذلك فقد بقيت إمارتان إسلاميتان في جنوب الفلبين هما : إمارة صولو وإمارة ماجندناو تجاهدان الغزوات الصليبية المتوالية، ولم يستطع الاسبان سوى السيطرة على بعض المناطق الساحلية وقليل من المدن. ولكنهم نجحوا في عرقلة

---

(١) حاضر العالم الإسلامي ـ الامير شكيب ـ ج١ ص ٣٦٢.
(٢) نفسه ج ١ ص ٣٦٢ .
(٣) مخوّل ص ١٤٤ ـ ١٤٥ .

انتشار الإسلام في الشمال ودحره، وبقي المسلمون في الجنوب يحافظون على عقيدتهم وملامح الحضارة الإسلامية خلال الفترة الطويلة من الاستعمار والحروب .

الحكم الأمريكي للفلبين :

هزمت امريكا اسبانيا هزيمة ساحقة في المياه الفلبينية، فاضطرت اسبانيا إلى بيع الفلبين لأمريكا عام ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م بمائتي مليون دولار. فخلفت الولايات المتحدة اسبانيا في استعمار تلك الجزر، وأصدرت قانوناً يقضي بأن جميع رخص امتلاك الأرض غير المصدق عليها من اسبانيا تعتبر ملكية عامة، وهذا معناه أن أراضي المسلمين تصبح ملكاً للحكومة الامريكية لأن اسبانيا لم تحكم المسلمين. فتدفقت الهجرات الصليبية إلى الجنوب بسبب هذا القانون[١] وخاصة بعد أن صدر قانون آخر يبيح لكل مهاجر امتلاك ٤٤ هكتاراً من الأرض، بينما المواطن الأصلي في الجنوب يحق له أن يمتلك ٤ هكتارات من الأرض فقط. وأعطي الحق لكل شركة في امتلاك (١٦٠) هكتاراً، فجاء النصارى بأسماء شركات وهميّة لامتلاك أراضي المسلمين[٢].

وحاول الأمريكيون تنصير المسلمين واستخدموا الإكراه، فلم يتغير موقف المسلمين، وقاوموا بالقوة، واستمر القتال (٣٨) عاماً قتل فيها عدة آلاف من المجاهدين وتمادى الغزاة فشنوا على المسلمين حرب الجراثيم فاجتاحت أوبئة الكوليرا والجدري والطاعون جزيرة مندناو وأرخبيل صولو في وقت واحد سنة ١٣٢١هـ، وتساقط الناس بالمئات والألوف، وانتقل الوباء إلى جزر مجاورة، وبلغ عدد ضحايا الأوبئة أكثر من ٢٠٠ ألف على حسب التقارير الغربية نفسها، وأهمها تقرير لجنة تافت، وأدركت أمريكا عبث المحاولات فلانت وعقدت معاهدة مع المسلمين احترمت دينهم وأسلوب حياتهم، وتكونت لهم

---

(١) مجلة المجتمع الكويتية - محاورة مع عبد الباقي أبوبكر - العدد ٦٠٠ ص٣٠ .

(٢) نفسه ص ٣١ .

دولة تحت الإدارة الامريكية وازدهرت المدارس[1]. وبذلك استطاعت الولايات المتحدة دخول المناطق الإسلامية، ولكن الحاكم العام الأمريكي «فرانك مورفي» جعل المسلمين تابعين لوزارة الداخلية الفلبينية سنة **١٣٥٤**هـ في الفترة الانتقالية التي سبقت الاستقلال.

وفي عام **١٣٦٢**هـ/**١٩٤٣**م احتل اليابانيون المناطق الإسلامية من الفلبين، وقاوم المسلمون الغزاة الجدد، فتعرض المسلمون إلى حملات إبادة على يد اليابانيين.

وبعد الحرب العالمية الثانية اعلنت الحكومة الامريكية استقلال الفلبين عام **١٣٦٦**هـ/**١٩٤٦**م وسلمت زمام الأمور لحكومة نصرانية على رأسها رئيس من الكاثوليك، فاهتم القساوسة بإثارة الحكومة على المسلمين[2]. فكتب على المسلمين بالفلبين الجهاد مرة أخرى. وصدر قرار ضم جنوب الفلبين الإسلامي إلى هذه الحكومة من جانب أمريكا.

وكان مجلس النواب الفلبيني قد ضم نائبين مسلمين، كما ضم مجلس الوزراء وزيراً مسلماً واحداً، وشمل مجلس الشيوخ عضواً واحداً مسلماً، وأخذت الحكومة الكاثوليكية تضغط على المسلمين فتراجع الإسلام في مندناو ولم يبق له من مناطقه القديمة إلا جنوبها وأرخبيل صولو وجزيرة بالوان. وتوزع عدد من المسلمين في مناطق متناثرة وخاصة حول مانيلا العاصمة. وتناقصت نسبة المسلمين في البلاد، فقد كانت **٥٥**٪ تناقصت على أيدي الاسبان إلى **٤٠,٥**٪، وعلى أيدي الامريكيين إلى **٣٢**٪ وعلى أيدي اليابانيين إلى **١٧,٥**٪ وعلى يد الحكومة الصليبية الجديدة في عهد الاستقلال إلى **١٢**٪، فعددهم عام **١٤٠٠**هـ حوالي **٥,٥** مليوناً من أكثر من **٤٦** مليوناً[3].

وكان المسلمون يسيطرون على **٩٢**٪ من مجموع مساحة مندناو فتضاءلت هذه الملكية إلى **٣٥**٪، وتعمل الحكومة الآن على تجريد المسلمين من أراضيهم

(١) الأمير شكيب ـ حاضر العالم الإسلامي ـ ج١ ص ٣٦٣.

(٢) حسين مؤنس ـ الإسلام الفاتح ـ ص ٦٠.

(٣) انظر عذراء ماليزيا ـ د. مصطفى مؤمن. ونشرة لجبهة تحرير مورو سنة ١٤٠٠هـ عن وضع المسلمين في الفلبين.

كليةً وتـوطـين المـزارعـين النصـارى وزيادة عدد اللاجئين والمشردين بدعم من امـريكـا واليـابان لحكومة الفلبين بمختلف الوسائل والاساليب . ولا عجب في ذلك فلأمريكا ٥٠ قاعدة ومطاراً معظمها في المناطق الإسلامية .

وقـد تأخـر المسلمـون نتيجـة الظـروف التي مرت عليهم علمياً واجتماعياً وفكـريـاً ولكن مع مطلع القـرن العشرين بدأ اتصالهم بالعالم الإسلامي وخاصة بالـدولـة العثـمانيـة وبمصـر، عنـدمـا دعـا السلطان عبد الحميد لفكرة الجامعة الإسـلاميـة فزارها مبعوث منه عام ١٣٣١هـ ثم تتابع عليها الزوار المسلمون من سوريا والأزهر بمصر .

وأسس المسلمـون الجمعيات التي عملت على تدريس العلوم الإسلامية واللغـة العـربية وإصدار المجلات . فانتعشت أحوالهم اثر الحرب العالمية الأولى (١٣٣٣ـ١٣٣٧هـ/ ١٩١٤ـ١٩١٨م) . وأمـام هذا التطـور الملمـوس استمرت حركة صليبية قامت بها أمريكا للعمل ضد المسلمين بالتنصير والتهجير .

واقع المسلمين في الفلبين في عهد الاستقلال عام ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٦م إلى عام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م:

اشتـد التحـدي الصليبي الكاثوليكي بعد الاستقلال بشن هجمات إبادة جماعية على المسلمين، كما جاء في عريضة منظمة تحرير شعب المورو المرفوعة إلى لجنة حقوق الإنسان اتهمت فيها حكومة الفلبين بقتل وجرح ما لا يقل عن مائة ألـف مسـلم، وشـردت نصـف مليـون واغتصبت مليـون هكتـار من أرض المسلمـين، وحـرقت البيـوت والمسـاجد والمدارس[1]، وجاء في الكتاب الأبيض الـذي قدمـه المسلمـون إلى حكومة الفلبين عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م : «ان عدد المـذابـح والحـوادث الـداميـة التي ارتكبت ضد المسلمين في جنوبي الفلبين بلغ ٤١٧ حادثة في ثلاث سنوات[2].

وبـالمقـابـل اشتـد وعي المسلمين في الفلبين وشعورهم بالانتماء إلى الأمة الإسـلاميـة الكبـيرة وظهـر هذا التجـاوب أثناء العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م، فقد ألفوا لجاناً للتطوع لمساعدة العرب المسلمين . وعندما

(١) نشرة معهد شئون الاقليات المسلمة . محرم ١٣٩٨هـ/ ص ٥ .

(٢) تقرير مقدم من جبهة تحرير مورو لمنظمة المؤتمر الإسلامي .

زارت جولـدا مائـير الفلبين سنة ١٩٦٤م احتج المسلمون على هذه الزيارة وقال النائب المسلم في البرلمان : «إذا لم تطرد الحكومة هذه السيدة فسنتولى طردها». وقـامت المظـاهـرات العـدائية في انحاء الفلبين، مما جعلها تختصر زيارتها وتخرج بعد أقل من ٢٤ ساعة .

وفي عام ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م أعـدوا كتـائب خاصـة للجهـاد ضد اليهود وعقب مأساة عام ١٩٦٧م كان أبا ايبان يطوف بالعالم يبر ر ما حدث منهم، فلما وصـل الفلبـين كانت المظـاهرات تحاصر المطار حتى حالت دون خروجه فاضطر لاستخدام الطائرة الهليوكبتر لتنقله إلى القصر الجمهوري، ولم يستطع الوصول إلى الجامعة ليلقي المحاضرة التي كانت مقررة له ضمن برنامج زيارته[١].

فاشتدت الهجمة الصهيونية عنفاً، وعمل الكاثوليك بمساعدة البابا على تنصيرهم وتهجيرهم وبموافقة الدول الأجنبية وخاصة امريكا. وزحف نصارى الشـمال نحـو أراضي المسلمـين في جزر منـدنـاو وبـالاوان وصـولـو بغية طردهم واحتلال أراضيهم.

وبـالإضـافـة إلى الأحـزاب السيـاسيـة النصرانية الكاثوليكية في الفلبين نشأت منظمات كاثوليكية محظورة قانونياً ولكنها تلقى التعاطف من قبل السلطات الحكـوميـة ورجـال الأمن والشـرطـة مثـل - **منظمـة ايـلاجـاس** - (أي الفئران) الإرهـابيـة. وقـد وجـدت هذه المنظمـة تأييـداً من اسـرائيـل فزودتهـا بالخـبراء والأسلحـة، وتـدرب أفـرادهـا على العمليات الإرهابية. وأخذت هذه المنظمة الخطـيرة منـذ ١٣٩١هـ/١٩٧١م تقتـل المسلمـين وتحـرق بيـوتهم ومساجدهم ومدارسهم وتهدد زعماءهم ليقبلوا تنصير المسلمين. وقد فضح النواب المسلمون تواطؤ حكومة ماركوس (الذي تولى رئاسة الفلبين منذ سنة ١٣٧٥هـ/١٩٦٥م) وأولئـك الفئـران المسلحـين، واعـترف أحـد قادتهم أمـام لجنة التحقيق التابعة لمجلس الشيـوخ الفلبيني سنـة ١٣٩١هـ/ بأنهم يتلقـون تدريبـات عسكـريـة ومعـونـات ومؤن من الحكومة، كما اعترف قائد الشرطة إن هناك ٣٥ ألف رجل من عصابات إيلاجاس المسلحة في مناطق المسلمين بجزيرة مندناو.

---

(١) المسلمون العدد ٣٠ ص ٢٢ (المورو ٨ ملايين مسلم يواجهون المحن في جزر الفلبين).

وهنـاك منظمـة **جيفـا الإرهـابيـة**: وهي الجنـاح العسكـري السـري للجمعيات الكاثوليكية العلنية، وتتلقى معونات من الكنيسة الكاثوليكية ولديها امكـانيـات كبـيرة ومخـازن للسـلاح وصيـادين للتـدريب على القتـال النظامي والشعبي. وقـد أطلع سيرجيـوعثـمانيـة (المنـافس لماركـوس) الصحـافـة سنـة ١٣٨٨هـ على صلات ماركوس بهذه المنظمة الإرهابية.

كوّن المسلمـون الجمعيـات نتيجـة تعـرضهم للقهـر والاعتـداء والتنصير فأنشأوا **جمعيـة المسلمـين الفلبينيـة** في مدينـة مانيلا سنة ١٣١٥هـ، وجمعية إقامة الإسـلام في مدينـة ماداوي سنـة ١٣٥٥هـ، وجمعيـة أنصـار الإسـلام، وتقـدم الإسـلام، وهـدايـة الإسـلام، ومؤتمر الإسلام، والنهضة الإسلامية، والتربية الإسلامية، والمؤتمر الإسلامي، وجمعية مسلمي صولو(١).

وفي عام ١٣٨٩هـ/١٩٧٢م أخـذت حكـومـة ماركـوس تستخدم طريق تهجير المسلمين بالقوة وإحلال النصارى بدل المسلمين، وتقيم الحكم النصراني في محافظـات المسلمـين، فخـرجت إلى حيـز الوجود «**جبهة تحرير بنجاسا مورو الـوطنيـة**» برئاسة نور ميسواري الأستاذ الجامعي للعمل على إقامة دولة إسلامية مستقلة عن باقي الجـزر الفلبينيـة الكـاثـوليكيـة، فأعلن الأحكـام العـرفيـة في الجنـوب، وتـدفقت الجيـوش إلى أقاليم المسلين، فبلغ تعداد جيش الحكومة في الجنـوب ربـع مليـون جنـدي، وارتكب النصارى أفظع الجرائم من قتل جماعي وإحـراق الأحيـاء، وانتهاك الأعراض والحرمات. وصمد المسلمون بقوة في وجه الفظـائـع وتحصنـوا في الغـابـات والجبـال، ونال بعضهم قسطاً من التدريب في معسكرات خارج البلاد، ويقدر عدد جيشهم بثلاثين ألفاً. وقد أرسل ميسواري رسـائـل إلى الأمم المتحدة وإلى رئيس الفلبين، وعرضت القضية الفلبينية على مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية الأول عام ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م في جدة، وكشف الملك فيصل رحمه الله النقاب عن أحداث الفلبين ونبه العالم إلى خطورة الوضع وما يتعرض له المسلمون في جنوب الفلبين، من إرهاب وقمع واضطهاد فانتـدب المؤتمـر لجنـة وزاريـة ربـاعية من وزراء خارجية كل من المملكة العربية

---

(١) البلدان الإسلامية والاقليات ص ٦٠٨ .

السعودية وليبيا والصومال والسنغال لتقصي الحقائق، وبعد مساعي عدة جلست جبهة مورو على مائدة المفاوضات مع كارميلو بربير ووزير الدفاع في الحكومة الفلبينية حيث مثّل ماركوس في طرابلس الغرب سنة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، وأعلن وقف إطلاق النار وإعطاء المسلمين الحكم الذاتي في ١٣ ولاية حيث يكون لهم حكومة ومجلس نيابي ومدارس ومحاكم شرعية، ويجري استفتاء عام وما إلى ذلك من بنود الاتفاق. وجرى التصديق على هذه الاتفاقية من قبل اللجنة الرباعية التي شكلها المؤتمر الإسلامي[1]. وكان عبد الباقي أبو بكر الأمين العام للعلاقات الخارجية لجبهة مورو الإسلامية ممثلاً للجبهة في جميع المفاوضات والمؤتمرات الإسلامية منذ إنضمام الجبهة إلى منظمة المؤتمر الإسلامي كعضو مراقب دائم سنة ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م[2].

ولم يكن الاتفاق في واقعه سوى مناورة استهدفت كسب الوقت من أجل القضاء على حركة الجهاد الإسلامية في جنوب الفلبين، فقد أراد ماركوس أن يتم وقف إطلاق النار ثم ينظم استفتاء لإقرار وضع معين في جنوب الفلبين. ولكن جبهة مورو قاطعت هذه الانتخابات التي قرر لها عام ١٩٧٧م على اعتبار أنها لا تعطي للمسلمين نفوذاً حقيقيا ثم عاد الصراع العسكري من جديد، ومن ثم لجأ ماركوس إلى المناورات فقد أعطى المسلمين استقلالاً داخلياً بسيطا لا يذكر مع تمسك السلطات العسكرية بزمام الأمور سنة ١٩٧٩م وزار الحبيب الشطي أمين المؤتمر الإسلامي مدينة مانيلا سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م في محاولة لاقناع الحكومة بتنفيذ اتفاقية طرابلس[3]، وأعلن رفع الأحكام العرفية عن البلاد عام ١٩٨١م ولكن الحقيقة والواقع هو رفع الأحكام العرفية عن المناطق غير الإسلامية، أما المناطق الإسلامية فقد ظلت تحت الأحكام العرفية. وبلغ عدد المعارك التي خاضتها جبهة تحرير مورو عام ١٤٠٠هـ (٧٩) معركة .

ومن أكبر المناورات التي لجأ إليها ماركوس عام ١٩٨١م بهدف ابعاد القضية عن الصعيدين الإسلامي والدولي واعتبارها نزاعا داخليا محليا وليس

---

(١) نشرة معهد الأقليات المسلمة. ربيع الأول سنة ١٣٩٨هـ.

(٢) مجلة المجتمع الكويتية العدد ٦٠٠، ١ ربيع الأول ١٤٠٣هـ. ص٢٨.

(٣) نشرة معهد شئون الأقليات المسلمة. ربيع الأخر سنة ١٤٠٠هـ.

إسـلاميـا حتى تفقـد حسـاسيتهـا وخطـورتها هي لجوؤ ه إلى انشاء لجنة وساطة للاتصـال بالمجـاهـدين وقادتهم تحت ستار إيجاد حل سلمي للنزاع القائم وذلك ليتحقق له إيجـاد صلح منفـرد دون إشراك منظمة المؤ تمر الإسلامي . . . وكذلك تضليـل الـرأي العام العالمي وإيهامه بأن المسلمين لا يريدون بديلا عن الحكومة الحـاليـة ، فاستخـدم في تنفيذ هذا المخطط الأسلوب الاستعماري : فرق تسد ، مستغـلا أوضـاع المسلمين السيئة في الفلبين لعزل المجاهدين وإظهارهم بمظهر المتـآمـرين على الـوطن . فرفض المجـاهدون المفاوضات التي اخترعها ماركوس وألفتهـا بطـانتـه ومثّلتهـا الفئـات المنـافقـة من المسلمـين ، واشـترطوا أن تكون المفـاوضـات مباشرة بين المجاهدين والحكومة الفلبينية دون تدخل لجنة الوساطة التي ألفهـا ماركـوس ، وأن يكـون ذلـك تحت إشـراف منظمـة المؤ تمر الإسلامي وعلى أسـاس اتفـاقيـة طرابلس وان تعقـد المفـاوضـات في احـدي العـواصم الإسـلاميـة وذلـك حفـاظاً على معالم القضية الإسلامية . وأمام اتضاح سوء نية ماركـوس تجاه القضيـة ومنـاوراتـه المفضـوحـة أعلن الأمـين العام لمنظمة المؤ تمر الإسلامي (الحبيب الشطي) إيقاف مثل هذه المفاوضات مع الرئيس الفلبيني .

وكثـيراً ما خدع الـرئيس الفلبيني الـرأي العـام الإسلامي والعالمي بإقامة بعض المساجد أو المدارس والمؤ سسات الإسلامية التي توجهها الحكومة وتشرف عليهـا ليغطي ما تقـوم به حكـومتـه من حرب إبـادة المسلمين وتصفيتهم ، حيث يفتخر بأن الفلبين هي الدولة الوحيدة ذات الأغلبية النصرانية في آسيا ، وقد زاره بابا الفاتيكان عام ١٩٨١م كدليل على اهتمام الصليبيين بهذه الدولة التي يريدها البـابـا منطلقـا للكـاثـوليكيـة وللتبشير في آسيا . فحكومته تتعاون مع القساوسة بتـدريس المسلمـين في مدارس نوتـر يديم وهي مدارس تنصـير يـة لتنصير أبناء المسلمين مع حرمانهم من انشاء مدارس خاصة بهم . كما يقوم الجنود الفلبينيون بالزواج من المسلمات بالقوة لتكوين جيل نصراني أو نصف نصراني على الأقل[١] .

---

(١) مجلة المجتمع العدد ٦٠٠ ص ٣١ .

وعملت حكومة ماركوس على تفريق كلمة زعماء جبهة تحرير مورو فظهر انشقاق بين رجالها، حيث أعلن مسئول العلاقات الخارجية للجبهة سلامات هاشم استقلاله من الجبهة مع بعض مؤيديه فسارعت الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي في محاولة مخلصة لتصفية الخلافات وتقريب وجهات النظر. هذا فضلا عن ظهور طائفة شيوعية يسارية تظهر بمظهر الحريص على الحرية وعلى الإسلام وهي في الواقع تتجه بكل كيانها إلى موسكو وتعمل من أجل احتواء حركة الجهاد والاتجاه بها وجهة شيوعية الحادية من أجل القضاء على الإسلام والمسلمين. وباسم الخطر الشيوعي حصلت حكومة ماركوس على مساعدات امريكية هائلة لاستخدامها ضد المسلمين، وأخذت الصحف الفلبينية تنشر أخبار الاشتباكات مع المجاهدين على انها معارك بين الحكومة والشيوعيين[1].

وقد تعاونت العناصر الصليبية المتعصبة مع الخبراء اليهود والقوى الاستعمارية الصليبية ضد مسلمي الفلبين فقام زعماء الصهاينة بزيارات الفلبين، فقد قامت غولدا مائير أيام كانت وزيرة خارجية اسرائيل بزيارة الفلبين وتعهدت في تلك الزيارة بأن تقدم اسرائيل للفلبين معونات مادية ومعنوية وخبراء في مجال الشرطة والجيش. وكانت شروط هذه المعونات تنص على اجبار المسلمين على ترك دينهم واستخدام كافة الأساليب من أجل تحقيق هذا الأمل الغالي لدي أعداء الإسلام. وبذلك فإن عمليات الإبادة وحملات التنكيل الجماعي تتطور ووصلت مرحلة أكثر تعقيداً وأكثر سفوراً.

وفي مؤتمر وزراء الخارجية للدول الإسلامية الخامس عشر الذي عقد في صنعاء لعام ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م شارك وفد من الجبهة الوطنية لتحرير مورو برئاسة نور ميسوارى بصيغة مراقب، ووجهت الجبهة نداء إلى المؤتمر تناشدهم فيه العمل على انهاء الاستعمار الفلبيني لوطنهم، كما طالبت بعرض مشكلة مورو على حركة عدم الانحياز وعلى الأمم المتحدة إضافة إلى مطالبتها بمساعدات مالية وفنية وإنسانية.

(١) مجلة المجتمع الكويتية العدد ٧٠٨ السنة ١٥ الثلاثاء ٢٠ جمادي الآخرة ١٤٠٥هـ/ ١٢ مارس ١٩٨٥م ص ٣٨-٣٩.

كما قال ميسواري أن عدد أفراد شعب بانجاسامورو الذين يعيشون حالياً في ارخبيل الفلبين يتراوح بين **١٣** و**١٤** مليون نسمة وهو يتجاوز تقديرات حكومة مانيلا بكثير[١].

ومما يؤسف له أن أجهزة الاعلام من إذاعات وصحف في بعض البلدان الإسلامية تتجاهل المجازر التي تقوم بها الحكومة الفلبينية بل انها تشيد بهذه الحكومة وتتحدث عن إصلاحات ماركوس وانجازاته. رغم ما تقوم به الدوريات السعودية من مجلات شهرية وأسبوعية وجرائد يومية بمعالجة هذه القضية وابعادها كقضية إسلامية. وما تقوم به رابطة العالم الإسلامي من دور كبير في تنبيهها لهذه القضية ودعمها.

وخير ما يمثل حال المسلمين في الفلبين تصريح السيد سلامات هاشم رئيس جبهة تحرير مورو الإسلامية ومنه :

«ان وضع المسلمين في الفلبين اليوم خطير جدا حيث يتعرضون لأبشع أنواع الظلم والاضطهاد من قبل السلطات الفلبينية والتي تقوم بمحاولات القضاء على مسلمي الفلبين بشتى الوسائل ومنها الحملات العسكرية المكثفة التي تستخدم فيها القوات المسلحة الفلبينية أجهزتها الحديثة من طائرات ودبابات وبحرية، ومنها الحرب الثقافية لمحاولة تضليل أبناء المسلمين وتشكيكهم في عقيدتهم ومنها الحرب الاجتماعية بهدف نشر الفساد والإفساد في وسط المجتمع الإسلامي في المنطقة الجنوبية التي يتركز فيها المسلمون ومنها الحرب السياسية التي تهدف إلى عزل المسلمين الواعين عن ممارسة حقوقهم السياسية واسناد جميع المناصب إلى النصارى وإلى المسلمين السياسيين الذين لا يهتمون بأمر إخوانهم المسلمين وحصارهم إقتصادياً . . .

ومنه العمليات الإرهابية التي تقوم بها العناصر النصرانية بالتواطؤ مع القوات المسلحة الحكومية . . .

---

(١) جريدة الشرق الأوسط الأحد ١ ربيع الثاني ١٤٠٥هـ/ ٢٣/١٢/١٩٨٤م العدد ٢٢١٧.

وقد قدمت الفلبين بين عامي (١٣٩٢-١٤٠٤هـ/ ١٩٧٢-١٩٨٤م) :

- ٣٠ ألف شهيد معظمهم من النساء والأطفال وكبار السن .
- استرقاق ستة آلاف مسلمة على أيدي الجنود الفلبينيين .
- تشريد أكثر من مليوني مسلم .
- فرار حوالي ٣٠٠ ألف نسمة واضطرارهم إلى الهجرة إلى البلاد المجاورة - ولاية صباح التابعة لماليزيا .
- إحراق ٣٠٠ ألف منزل من بيوت المسلمين .
- احراق ٦٠٠ مسجد و ٣٠٠ مدرسة .
- تدمير مئة قرية ومدينة إسلامية .
- اغتصاب معظم أراضي المسلمين الخصبة .
- تدمير أكثر من ٥٠٠ مسجد للمسلمين .

وقد أدت تلك العمليات الإرهابية والمحاولات المستمرة للقضاء على المسلمين بشن الحملات العسكرية إلى انتشار الفقر والجهل والأمراض بين المسلمين، مما جعلهم فريسة لحملات التبشير والشيوعية - وللمؤثرات الثقافية والاجتماعية والإقتصادية[1] .

ورغم ذلك بقيت شعلة الإيمان متوهجة فالمجاهدون يسيطرون على جميع المناطق الإسلامية ماعدا بعض المدن . وسارعت بعض الدول العربية بتقديم المساعدات التعليمية للمسلمين في الفلبين فهناك حوالي ٣٠ مدرساً من الأزهر، وعدد كبير من المدرسين من المملكة العربية السعودية وتساهم رابطة العالم الإسلامي في ذلك .

---

(١) البلاغ - الأحد ٢٣ ربيع الأول ١٤٠٥هـ/ ١٦ ديسمبر ١٩٨٤م العدد ٧٧١ ص ٢٦ . وقد ذكر عبد الباقي أبوبكر أن الشهداء بلغوا ١٣٥ ألف مسلم من المدنيين وان ماركوس اعترف بأنه قتل سنة ١٩٨٠م ٦٠ ألفا من المسلمين بينما قال رئيس القوات العسكرية بأن عدد القتلى من المسلمين بلغ ٧٥ ألفا. (المجتمع العدد ٦٠٠ ص٣١).

وبقيت في المنـاطق الإسـلاميـة مئات المدارس الابتدائية والمتوسطة وعشر مدارس ثانـويـة وست كليـات إسلامية ضمن جامعة إسلامية، وتحاول الحكومة جاهـدة أن تضم هذه المؤسسـات التعليمية إليها، وهي تدار بجهود ذاتية. ومن المؤسسـات التعليميـة: معهـد منـدنـاو العربي الإسلامي وتتبعه **٣١٦** مدرسة ومعهـد ماداواي الإسـلامي وتتبعـه **٥٢** مدرسة وكلية فكاسم في مدينة مداراوي ويتبعهـا العـديـد من المعـاهد وتقدم تعليماً باللغة العربية، ويضاف إليها جامعة الفلبين الإسلامية وكانت تسمى معهد كامل الإسلام، ولها فروع في عدة مدن.

وبـالفلبـين مركـز الملك فيصـل للدراسـات العربية والإسلامية، ويوجد ضمن جامعـة منـدنـاو، وهناك المدرسة التجريبية لتعليم اللغة العربية التي تتبع مركز الملك فيصل[١].

وعنـدمـا زار الدكتور عبد الله نصيف الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي جنـوب الفلبـين وزار معهـد أمـين الشـريف استقبله عدد من المسئولـين بينهم السلطـان اسـماعيـل لاود مؤسس المعهـد الـذي يضم ٧٠ طالبا وطـالبـة من المسلمـين واستقبله المسلمـون استقبالاً حافلاً، وزار معهد مندناو العربي وحضر مجلس القرآن الكريم والحديث النبوي بقاعة المحاضرات بالجامعة، وأعاد افتتاح مسجد باب الرحمن الذي بني في الفلبين قبل اربعمائة سنة، ووجد في مدينة دراكا أربعة عشر مدرسة إسلامية و**٢٥** مسجداً وعددها **٣٠** ألف نسمة كلهم مسلمون[٢].

ويقدر عدد المساجد بالفلبين بحوالي **٢٥٠٠** مسجد[٣]. وهذا دليل على استمرار شعلة الإيمان متوهجة في تلك البلدان المجاهدة.

---

(١) انظر ـ نشرة معهد الاقليات المسلمة. ربيع الأول سنة ١٤٠٠هـ. ومحمد عبد القادر أحمد ـ المسلمون في الفلبين ـ ص١٩٧.

(٢) أخبار العالم الإسلامي الاثنين ٢٥ رجب ١٤٠٥هـ/ ١٥/٤/١٩٨٥م العدد ٩٢١.

(٣) محمد عبد القادر عودة ـ المسلمون في الفلبين ـ ص١٩٧.

وقد أعلن الدكتور يوسف علاء الدين لقمان رئيس منظمة تحرير جزر (مين سوفالا) الإسلامية في جنوب الفلبين بأن جزر (مندناو وصولو وباسيلان وتا ويتاوى وبالاوان) جزر إسلامية دينها الإسلام وحزبها حزب الله، ومذهبها هو مذهب أهل السنة والجماعة وليس للحكومة الفلبينية حق التدخل في شئونها. وأضاف إن هذه الجزر التي تتبع المنظمة جزء لا يتجزأ من الوطن الإسلامي الكبير، كما أن شعبها المسلم جزء من الأمة الإسلامية. كما أعلنت المنظمة عن استعدادها للتعاون مع رابطة العالم الإسلامي والجامع الأزهر ومنظمة المؤتمر الإسلامي. وانها تؤيد الجهاد الذي دعا إليه الملك فهد بن عبد العزيز[١].

هذا وقد سقط ماركوس وغادر البلاد إلى أمريكا، ووصلت كورازون أكينو المعارضة لسياسة ماركوس إلى الحكم، ولم يتغير وضع المسلمين رغم الوعود التي أطلقتها لهم، بل استمرت في اسلوب ماركوس المراوغ، وسياسة فرق تسد بإيجاد الصدع بين جبهة تحرير مورو الإسلامية بزعامة سلامات هاشم، وجبهة تحرير مورو الوطنية بزعامة نورميسواري. ولا تزال منظمة المؤتمر الإسلامي ورابطة العالم الإسلامي تبذلان جهدهما للإبقاء على وحدة الصف والتنسيق بين الجبهتين في اجتماعات مستمرة في جدة بالمملكة العربية السعودية، حيث بدأت بوادر الشرخ بين الجبهتين تظهر بحدة[٢].

وتمت مباحثات بإشراف أمين عام رابطة العالم الإسلامي بين وفد جبهة تحرير مورو الإسلامية ووفد حكومة الفلبين في ٢٠/٩/١٩٨٦م في مقر الرابطة بجدة. واتفق على بدء الحوار مع اكينو في الفلبين(٣). تحت إشراف الرابطة والله غالب على أمره.

---

(١) المسلمون – العدد ٤٦ ص ٤ /٩ ربيع الآخر ١٤٠٦هـ/ ٢١ ديسمبر ١٩٨٥م.

(٢) نشرة جبهة تحرير مورو الإسلامية ٢٥ ذي الحجة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦/٨/٣٠م.

(٣) Saudi Gazette Monday September 22. 1986.

عذراء ماليزيا - الفلبين

الفصـــل الثالث

المسلمون في شبه جزيرة الهند الصينية
وقضيـــة فطـــاني

الهنـد الصينيـة شبـه جزيـرة كبـيرة تقـع بين الصين والهند وتضم الأقطار التالية في جنوب شرق آسيا[1]:

١ ــ بورمـــا ومساحتها ٦٧٨ر٠٣٣ كم٢.
٢ ــ تايــلانـــد ومساحتها ٥١٤ر٠٠٠ كم٢.
٣ ــ كمبوتشيـا ومساحتها ١٨١ر٠٣٥ كم٢.
٤ ــ فيتنام الشمالية ومساحتها ١٥٨ر٧٥٠ كم٢.
٥ ــ فيتنام الجنوبية ومساحتها ١٧٠ر٩٠٦ كم٢.
٦ ــ الملايــو ومساحتها ٣٣٢ر٦٣٣ كم٢ [2].
٧ ــ لاوس ومساحتها ٢٣٦ر٨٠٠ كم٢.

فتكون مساحة شبه الجزيرة جميعها: أكثر من مليونين كم٢.

وهي موسميـة المـلامح في مناخها وتتساقط أمطارها في معظم شهور السنة وخـاصـة في فصـل الصيـف[3] ويعمـل أهلهـا بالـزراعـة وخاصة: الأرز الغذاء الـرئيسى للسكـان، والـذرة والمطاط والقطن والتوابل، وبالصيد البحري وتربية الحيوانات وقطع الأخشاب لانتشار الغابات[4].

والهنـد الصينيـة أصعب البلاد مواصلات، لارتفاع جبالها وقحولة بعض أراضيها، ووجود الغابات الكثيفة[5].

---

(١) عن الأطلس العربي العام ص ٢.
(٢) هذه المساحة تشمل الملايو وبقية أجزاء اتحاد ماليزيا.
(٣) حسن أبو العينين ـ آسيا الموسمية ص ٣١٨.
(٤) نفسه ص ٣١٩.
(٥) حسين مؤنس ـ الإسلام الفاتح ـ ص ٣٢.

وسكـان هذه الأقـاليم صينيـون وسيـاميون عدا شبه جزيرة الملايو بما فيها ملقـا التي يسكنهـا شعب يختلف كل الاختـلاف عن الصينيـين والسيـاميين وهو شعب المـلايـو[1]. والمـلايـو من الأقطـار الإسلامية تمثل القاعدة الرئيسية لمملكة ماليزيا الغنية بانتاج المطاط والتوابل والأخشاب الغالية، وفيها اليوم أكبر مناجم القصـديـر في الـدنيـا، والبـتر ول. ولغتهم المـالاويـة تكتب بالحروف العربية، وتتمسـك بدينهـا الحنيف، ويـرأس حكـومتها ملك منتخب هو رمز وحدة البلاد وإسـلامهـا، وضمت إليهـا عند إنشاء ماليزيا: سلطنتا صباح وبروناي في شمال شبـه جزيـرة بورنيـو، وكلهـا سلطنـات إسلامية، وسنغافورة التي انفصلت عنها وكوّنت لنفسها جمهورية قائمة بنفسها[2].

دخول الإسـلام إلى الهنـد الصينيــة :

بالنسبـة للمـلايو: فقد عرف المسلمون ملقا من زمن بعيد وأطلقوا عليها اسم بلاد كله، أو كله بار، ولفـظ بار الـذي يكثـر استعماله في المحيط الهندي هو لفـظ «بـر» العـربي محرفـا[3]، وكانت الملايو تحوى ممالك وإمارات كثيرة أشهرها ملقـا وتقـع في الشـمال وتمتـد من السـاحـل إلى الساحل، وقد هاجر إليها الهنود التـاميـل الـذين أسلمـوا من زمن بعيـد فكانوا أول من حمل الإسلام إليها[4] مع التجار والدعاة من الهند وشبه جزيرة العرب الذين سكنوا ملقا نفسها واستجاب لهم الناس بالإسلام، ومن الدعاة سيدي عبد العزيز التاجر والداعية العربى من أهـل جدة الـذي وفـد إلى ملقا في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي وأقنع ملكها بالـدخـول في الإسـلام، وأقبـل الملك على العـربيـة يتعلمها ويشاركه في ذلك زوجتـه وأولاده الثـلاثـة الـذين سماهم: راجا معظم شاه وراجا محمد شاه وراجا سليـمان شاه[5]. فكـانت تلك الخطـوة هي الحـاسمة التي جعلت من الملايو دار

(١) نفسه ص ٣١ .
(٢) حسين مؤنس ص ٥٧ .
(٣) نفسه ص ٥٤ .
(٤) نفسه ص ٥٥ .
(٥) نفسه ص ٥٥ .

إسلام لأن معظم إمارات شبه الجزيرة تبعت ملقا في دخول الدين الحنيف حتى عم بلاد الملايو كلها.

وهناك داعية آخر يسمى عبد الله وهو عربى قدم إلى إمارة قويدة وتقع في شمال شبه الجزيرة اقنع ملكها حوالى ٩٠٧هـ ١٥٠١م - الراجا - بالدخول في الإسلام فأسلم، وبنى المساجد، وجعل في كل مسجد أربعين من أحسن القومة والدعاة، وحثهم على العمل على توسيع رقعة الإسلام في البلاد حتى عمّها، وطلب من سلطان آتشيه في شمال سومطرة الكتب عن الإسلام فأجيب إلى طلبه. ولم يزد احتلال البرتغاليين لملقا إلاّ تمسكا بالإسلام(١).

أما برمانيا (بورما): فهي البلاد المجاورة للبنغال، فبعد أن انتشر الإسلام في البنغال انتقل بالتجارة والدعاة إلى ما يليها شرقاً وخاصة زمن الدولة الخلجيّة، وأصبح إقليم أراكان اسلاميا، ومن أرض الإسلام، ومنه امتد الإسلام إلى برمانيا وكان مملكة قائمة بذاتها.

وبرمانيا هذه بلاد أنهار كبيرة أهمها الايراوادي والميكونج، وهي بلاد أحراش وغابات كثيفة، أنشأ فيها التجار ومعهم الدعاة مراكز العمران والمساجد وسط الأحراش على ضفاف النهرين. وقد كسب الإسلام كثيراً من السكان رغم التحدي البوذي العنيف، ونشأت جماعات قوية من المسلمين في المدن والقرى ولكنها لم تصل درجة ملقا، ومن أشهر الدعاة في برمانيا الداعية المشهور «سيد يوسف الدين» الذي غادر وطنه بغداد إلى بلاد السند لنشر الإسلام، ثم انتقل إلى البنغال، وواصل الدعوة والنجاح، ثم دخل مع قوافل التجار إلى برمانيا وسيام، وأنشأ عددا من المساجد، ويعتبر إلى هذا اليوم أشهر شخصية إسلامية في الهند الصينية(٢).

كان القرن التاسع عشر الهجري أزهى عصور انتشار الإسلام في أراكان ففي سنة ٨٣٥هـ اعتلى عرش أراكان زايواك شاه واهتم بالإسلام، فازدهرت

---

(١) نفسه ص ٥٦.

(٢) حسين مؤنس - الإسلام الفاتح - ص ٣٧.

الـدعـوة الإسـلاميـة في بورمـا، وتعـاقب على عرش أراكـان العديد من الملوك المسلمـين وتأسست مدينـة استانا بدر الدين وتسمى بدار بدر على ساحل خليج البنغـال، واستمـر ازدهـار الإسـلام إلى أن جاء الغـزو الـبر يطـاني لبـورما سنة ١٣٠٣هـ وضمهـا للهنـد ثم فصلهـا سنـة ١٣٠٦هـ. ثم استقلت بعـد الحرب العـالميـة الثـانية وأصبحت منطقة أراكان بأغلبيتها المسلمة ضمن بورما، يخضع المسلمـون فيهـا للسلطـة الـوثنية التي تحكم البلاد، وهنا بدأت مرحلة شاقة من اضهاد المسلمين ببورما[1] وخاصة بعد قيام الحكم الشيوعي عام ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.

فقد عمد الشيوعيون إلى إحراق المساجد ومنع الآذان للصلاة، وبطشوا بالمسلمين وعذبوهم أينما وجدوا، وادّعوا أن المسلمين الذين يبلغون حوالى (٥) ملايـين نسمـة من جماعـات الـرهنجين أنهم ليسوا من مواطنى بورما، للتخلص منهم، فطبقت بورمـا عليهم قوانـين الهجرة وتم تسجيلهم كأجانب حتى تضفي السلطات على إبادتهم صفة قانونية، فكثرت حوادث الطرد والقتل الجماعي، في عمليـة أسمتهـا السلطـات البـورمية ـ عملية التنين ـ، فزاد عدد المهاجرين إلى بنجـلاديش على نصف مليـون لاجىء[2]. وقـد أشـارت الصحف العالمية إلى الحـالات السيئـة التي وصـل إليهـا الـلاجئـون المسلمـون من بورمـا وتـوجهت بنغـلاديش بنـداء إلى هيئـة الأمم المتحـدة للتـدخـل للمساعدة في حل مشكلة الـلاجئـين من مسلمي بورمـا، فتـدخلت رابطـة العـالم الإسـلامي وعـدد من الحكومات العربية، فخففت بورما من حملتها على المسلمين مؤقتاً، ووقّعت مع بنجلاديش اتفاقية دكا سنة ١٣٩٨هـ من أجل عودة اللاجئين من مسلمي بورما إلى أوطانهم فى أراكان[3].

---

(١) نشرة معهد الأقليات المسلمة جمادى الآخر سنة ١٣٩٨هـ.

(٢) البـلاغ العـدد ٧٧٢، ١ ربيـع الآخـر سنة ١٤٠٥هـ/ ٢٣ ديسمبر ١٩٨٤م، المسلمون العدد ٤٤/ ٢٥ ربيع الأول ١٤٠٦هـ/ ٧ ديسمبر ١٩٨٥م. وأنظر حول مآسي المسلمين في بورما الاشتراكية مؤلفه ولاية حسين بن الشيخ عبد الخالق البرماوي طبع كراتشي ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

(٣) نشرة شئون الأقليات المسلمة جمادى الأولى سنة ١٤٠٠هـ/ وربيع الآخر سنة ١٣٩٩هـ، وجريدة الندوة ٢٢ ربيع الأول سنة ١٤٠١هـ.

إلا أنها عادت من جديد لممارسة الارهاب والتعذيب، فأغلقت المدارس الاسلامية وصادرت المجلات والصحف الخاصة بالمسلمين، وتمّ تأميم أوقاف المسلمين، وحجزت جوازات سفر أبناء المسلمين ولم يسمح لهم بالسفر إلّا بإذن من السلطات البورمية وبعد توضيح أسباب السفر، ورفض تعيين المسلمين في الوظائف القيادية، وهدمت وأغلقت المساجد في قرى كوين وساندونيه[1].

ولقد طالبت الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي في مذكرتها لمؤتمر القمة الإسلامي الثالث بالبحث عن حل سلمي لمشكلة الرهنجيين، وظهرت جبهة تحرير مسلمة هي جبهة روهنجة التي تطالب بالحكم الذاتي في شمال أراكان ضمن دولة بورما»[2].

وفي فيات نام بقسميها: وصل الإسلام عن طريق الزحف البطيء من تايلند، وعن طريق التجار والدعاة من نواحى الهند وإيران وشبه جزيرة العرب الذين قدموا واستقروا في مدن الساحل، فنشروا الإسلام خاصة بين جنس التجام أو التشام، وهم أناميون في الأصل، سكنوا السواحل والطرف القصي الجنوبي من شبه جزيرة الهند الصينية الذي يسمى يُتنكن ثم الأراضى المتصلة بملقا[3] وقد انتشرت المساجد في بلادهم وأنشأوا دولة التجام الكبيرة وعرفت باسم دولة الشامبا على الشاطىء الشرقي للهند الصينية أي في إقليم انام، ولكنها كانت قصيرة العمر[4] لأن البوذيين ناصبوهم العداء.

ويعاني المسلمون حالياً في فيات نام بقسميها ما يعانيه المسلمون في بقية أقطار شبه جزيرة الهند الصينية. ولازالت بقايا المسلمين الأناميين تعيش في أعداد صغيرة ويعيشون في مجموعات متماسكة قوية ناجحة ومرهوبة الجانب، وهم على الجملة أنجح أهل الهند الصينية في التجارة وشئون المال، ومهرة في

---

(١) المسلمون العدد ٤٤/ ٢٥ ربيع الأول سنة ١٤٠٦هـ/ البلاغ العدد ٧٧٢ ١ ربيع الآخر ١٤٠٥هـ.

(٢) المسلمون العدد ٤٤، البلاغ العدد ٧٧٢.

(٣) حسين مؤنس ص ٣٢.

(٤) نفسه ص ٣٣.

شئون الزراعة وصيد السمك ومعظمهم من أهل السنة والقليل من الشيعة، وكثير منهم يحملون لقب الحاج ومساجدهم كثيرة وصغيرة، وهي تبنى في الغالب من الخشب على نشز من الأرض وتفرش بالحصر، وتستعمل لتعليم الصغار وتحفيظهم القرآن الكريم[1].

أمـا كمبوتشيـا (كمبوديا) :

فهي الأراضي التي تحدها فيتنام من الشمال الشرقي والشرق والجنوب الشرقي، ولاوس من الشمال، وتايلاند من الشمال الغربي والغرب وتطل على خليج سيام من الجنوب الغربي، وسكانها يتكوّنون من جماعات تشام والخمير، وغالبية التشام يعتنقون الإسلام، غير أن الخمير فرضت لغتها وحضارتها على المنطقة. وقد زحف إليها الاسلام من تايلاند، كما وصلها من السواحل عن طريق التجار والدعاة فتكونت مملكة التشام الاسلامية (السابقة الذكر) القصيرة العمر. وقد عاش المسلمون في أمن وسكينة في كمبوتشيا قبل الاستعمار الفرنسي وعند رحيله عام **١٣٧٣**هـ، وبعد ذلك، إلى أن تعرضت البلاد لمصير مؤلم تحت ضغط النظام الشيوعي (الهومير) الخمير الحمر الذين توصلوا إلى الحكم عام **١٣٩٥**هـ، فبدأوا عملية استئصال الأقلية المسلمة، فأخذ المسلمون يفرّون بدينهم إلى ماليزيا وتايلاند، وتناقص عددهم من (**٧٠٠**) ألف سنة **١٣٩٥**هـ إلى (**٢٠٠**) ألفا فقط عام **١٣٩٨**هـ[2].

فقد قامت الحكومة الشيوعية سنة **١٣٩٦**هـ بشن الهجمات على الجماعات المسلمة وقتلت قادتهم كشيخ الإسلام في كمبوتشيا ـ عبد الله إدريس ـ وطردوا المسلمين من قراهم، فاضطرهم ذلك إلى الهجرة أو اللجوء إلى مناطق العزلة، وهدموا المساجد، ومنعوا المسلمين من استخدام لغتهم، وحرقوا كتب التراث الإسلامي، ومنعت السلطات الشباب المسلم ممن تزيد أعمارهم عن خمسة عشر عاما من الإقامة مع والديهم وأجبروا على الإقامة في معسكرات الشباب الوثنية حتى يضعفوا إيمانهم بالدين[3].

---

(١) نفسه ص ٣٦ .

(٢) نشرة الأقليات المسلمة جمادى الآخرة سنة **١٣٩٨**هـ.

(٣) نشرة الاقليات المسلمة ربيع الأول **١٣٩٨**هـ، وجمادى الآخرة سنة **١٣٩٩**هـ.

هذا ويعيش المسلمون في بورما وتايلاند وكمبوديا ولاوس وفيتنام بقسميها في محنـة ومعـانـاة واضطهـاد ومطـاردة. وتلك مشكلة كبـيرة من مشاكل المسلمين المعاصرة. وسنتحدث بنوع من التفصيل عن:

مشكلة فطاني - القطر الإسلامي - في ظل الحكومة البوذية - تايلاند:-

فتـايـلانـد «سيام» هي إحدى دول جنوب شرق آسيا في شبه جزيرة الهند الصينيـة تبلغ مسـاحتهـا ٥١٤٫٠٠٠كم٢. واشتق اسمهـا من اسم الجماعـات البشـريـة التي تسكنهـا، ويسمـون بالثـاي أو التـاي وهم يطلقون على أرضهم اسم: «موانج تاي» أي أرض الأحرار، وكانت تعرف باسم سيام، وتغير الاسم سنـة ١٣٠٠هـ إلى تاى، وأصبحت تعـرف بمملكـة تايـلاند(١). سنة ١٩٠٢م وعاصمتها بانكوك. وعدد سكانها سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ٤٧٫١٧٣٫٠٠٠ نسمـة(٢)، يدين معظمهم بالبـوذيـة ويكـوّن المسلمـون ربـع السكـان في حين تقدرهم بعض المصادر الغربية بأقل من مليونين وهذا الرقم يخالف الاحصاءات الـرسميـة على الـرغم من أنهـا تقلل من عددهم هي الأخـرى، ويتجمعون في منطقتـين رئيسيتـين: فطـاني وحول بانكوك. ويعود معظمهم في كلا المنطقتين في أصـولهم إلى فطـاني فقـد نقلوا إلى بانكـوك ومـا حولهـا قسراً من فطاني أو أسروا خلال الحـروب الطـويلة التي نشبت بين فطـاني وحكـومـة تايلاند. وكان نقلهم محاولة من أجل تفتيت قوة المسلمين وإذابة المنقولين منهم في المجتمع البوذي.

ومنـاخ تايـلاند موسمي مداري غني بأمطاره التي تتساقط في معظم شهور السنـة وتـزداد غزارتها في الصيف غير أن القسم الأوسط منها شحيح الأمطار(٣). وهي ثالثة دول العالم في انتاج المطاط بعد أندونيسيا وماليزيا.

وكـان الإسـلام قد أثـر تأثـيراً كبـيراً بين أهـالي سيام من البوذيين ودخله بعضهم وأطلق عليهم اسم: السمسم، وقـد حمله الـدعـاة والتجـار من العرب والفـرس والتـامـول الهنـود. ولكن يعـزى أهم توسـع للإسـلام في تايـلاند إلى

---

(١) حسن أبو العينين - آسيا الموسمية ص ٣٠٧ - ٣٠٨.

(٢) The Europa year book Vol.2 P. 1544

(٣) آسيا الموسمية ص ٣١٠.

هجـرات أهـل المـلايو التي بدأت في نهاية القرن الرابع عشر الميلادى[1] فوصلها الإسـلام عن طريق فطـاني، وعن طريق منطقـة يونـان في الصين لاسيما في عهد الامبراطور المغولي قبلاي خان.

وللمسلمـين بتـايـلاند مجلس إسلامي وشيدوا العديد من المساجد فيوجد فيهـا ما بين ١٨٠٠ إلى ٢٠٠٠ مسجـد ومصلى، منهـا ١٣٤ مسجداً في بانكوك وحـدهـا ولقـد بنت الحكـومـة مسجدا مركزيا في فطاني سنة ١٣٨٤هـ، وآخر في بانكـوك وهنـاك مخطـط لبنـاء مثـل هذا المسجـد في الـولايـات الأخـرى ترضية للمسلمـين، وقـد عطّل هذا المخطط. وتنخفض نسبة التعليم الإسلامي لأبناء المسلمين في تايلاند فتصل في الشمال إلى ٥٠٪ للبنات و٦٠٪ للذكور، وشيدت كليـة إسـلاميـة في وسـط البـلاد[2]. واجمـالاً يعاني المسلمون النقص في التعليم والإقليم الإسلامي الذي يتعرض للضغط البوذي هناك هو:

فطـــاني :

وهي المنطقـة الـواقعـة في جنوب تايلند مجاورة ماليزيا، وهي جزء من شبه جزيرة الملايو، اقتطعته تايلند وضمته إليها، وهي منطقة موسمية زراعية وتستفيد من ثروتهـا الغـابيـة والبحـريـة. يبلغ عدد سكانها أكثر من ثلاثة ملايين نسمة، وتزيد نسبة المسلمين على ٨٠٪ يتحدثون اللغة المالاوية ويكتبونها بحروف عربية.

بدأ الإسـلام بدخـولـه إليهـا في القـرن الثـالث الهجـري على يد التجار المسلمين عندما كان المسلمون سادة البحار، وأخذ الدعاة يصلونها مع التجار من ماليـزيـا وسـومطـرة وشبـه جزيـرة العـرب لاسيـما الحضارمة، وأسس المسلمون المـوانىء على سواحـل فطـاني ففشا الاسلام بين سكانها حوالى القرن الخامس الهجــري، وازداد انتشـاراً عن طريق ملقـا في القـرن التـاسـع الهجـري حيث أصبحت جزءاً من ديار الاسلام، تكونت فيها الإمارات والسلطنات الاسلامية بعد أن أسلم ملكها اندراسراي. وتقدمت في جميع نواحي الحياة. وبلغت أوجها

(١) أرنولد ـ الدعوة إلى الإسلام ـ ص ٤١٥.

(٢) نشرة معهد شئون الاقليات المسلمة ربيع الأول سنة ١٤٠٠هـ.

في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين حيث ظهر فيها كثير من العلماء، وأصبحت مركزاً ثقافياً إسلاميا هاما في جنوب شرق آسيا، وضمت المناطق الواقعة في جنوب تايلاند وهي: ناكهن، ثامرات، وبكتالانج، وسونكلا وكرابي، وكان لها علاقات تجارية مع كثير من الدول الأوربية - (البرتغال - هولنده وانجلترا) واليابان، وقد سمح لهؤلاء جميعاً بإقامة مراكز تجارية في العاصمة فطاني.

التحدي البوذي لفطاني :

أصاب فطاني ما أصاب العالم الإسلامى من ضعف وتمزق، فطمعت فيها تايلند البوذية، فحاولت احتلالها عام ٩١٧هـ، واضطرتها فطاني على الانسحاب، ثم حاولت عام ١١١٢هـ/ ١٧٠٠م مرة أخرى فاحتلت المناطق الملاوية شمال الولايات الفطانية الحالية وحتى ممركرا وهي ناكهين، ثامرات، وبكتالانج، وسونكلا، واستمر الزحف التايلندي بطيئا، فاحتلت فطاني نفسها عام ١٢٠١هـ[١].

وسرعان ما اشتعلت ثورات المسلمين قوية عام ١٢٠٢هـ بقيادة الأمير تنكوعلم الدين الذي أعلن استقلال فطاني وتواصلت المعارك، فقام ملك تايلند بتعيين داتو فنكلان وزير بحرية فطاني سابقا حاكما على الاقليم ولكنه أعلن استقلال فطاني أيضاً عام ١٢٢٣هـ[٢]. واستمر النزاع ففي عام ١٢٤٧هـ قامت ثورة قوية وعنيفة في فطاني ولكنها فشلت أمام هجمات القوات التايلندية، ونكلت هذه القوات بالفطانيين، فهدمت ديارهم وضربت البلاد، وقتلت العديد من المسلمين ونقلت ١٤٠ ألف من الأسرى إلى العاصمة بانكوك، وزجوا بهم في السجون ووزعوا على الأراضى الحكومية ليعملوا فيها بالسخرة[٣]، وبقصد إذابتهم في المجتمع البوذي مع الزمن وقسموا فطاني إلى ولايات صغيرة ووضعوا بجانب كل أمير فطاني مستشاراً تايلندياً ليكون رقيباً عليه[٤] وهذا ما يدعى بسياسة فرق تسد.

---

(١) محمود شاكر - فطاني - ص ٣٨.

(٢) المسلمون - العدد ٣٧ السبت ٥ صفر ١٤٠٦هـ/ ١٩ أكتوبر ١٩٨٥م.

(٣) نفسه ص ٢ .

(٤) نفسه .

وفي عام ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م طمعت تايلند أكثر مستغلة الهجمة الصليبية الشرسة على بلاد الأسلام فقضت نهائياً على سلطنة فطاني وأبعدت آخر سلاطينها المسلمين تنكو عبد القادر قمر الدين، وعيّنت حاكماً بوذياً عليها[١] وأصبحت تمارس سياسة الدمج وتدّعى أنها من بلادها، وتمركزت قوات تايلندية في المناطق الإسلامية[٢] وعمّت الفوضى الإقليم، وتعاون الانجليز الذين كانوا في الملايو مع السلطات التايلندية على اخماد ثورات المسلمين وسدّ الطرق في وجوههم في الوقت الذي كانت بريطانيا تعدهم فيه بالتخلص من الحكم التايلندي. وسمحت علناً ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م بابتلاع فطاني في سياسة منها لتفتيت المسلمين وإحلال النكبات بمسلمي فطاني بأيد غير نصرانية[٢]. وأعلنت تايلند عن دمج فطاني بتايلند.

وفي عام ١٣٥١هـ تغير نظام الحكم التايلندي إلى ملكي دستوري، وتقدم الفطانيون بمطالبهم للسلطات الجديدة ومنها تعيين حاكم واحد على المقاطعات الأربع في فطاني[٣] يكون من أهل البلاد، وأن يعين ٨٠٪ من موظفي الحكومة من المسلمين، وأن تكون اللغة المالاوية، ويتم الاعتراف بالشريعة الإسلامية، ويتكون مجلس إسلامي له صلاحيات واسعة.

ورفضت حكومة تايلند هذه المطالب فقامت ثورة ١٣٥٢هـ. وعندما اشتعلت الحرب العالمية الثانية احتلت اليابان البلاد، فاستعانت بريطانيا بالأمير محمود محيي الدين زعيم فطاني لطرد اليابانيين، ووعدتهم كعادتها بالاستقلال بعد أن تنتهى الحرب[٤]. ومرة أخرى نكث البريطانيون بوعودهم ووضعوا موارد فطاني تحت تصرفهم، في حين أعادوها هي إلى البوذيين.

ورفع الحاج محمد سولونج رئيس الهيئة التنفيذية للقضاء الإسلامي بفطاني مطالب الفطانيين إلى هيئة الأمم المتحدة، ولكن قبضت عليه تايلند، وحكمت

---

(١) محمود شاكر ـ فطاني ص ٣٩.

(٢) محمود شاكر ـ المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص ١٣٥.

(٣) وهي مقاطعة فطاني، سونكلا، جالا، بنفنارا.

(٤) محمود شاكر ـ فطاني ص ٤٥/ المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص ١٣٥.

عليـه السلطـة وعلى زمـلائه بالسجن لمدة ٣ سنوات ثم أفرج عنهم واغتيلوا سرّا ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م، وأغـرقت جثتـه مع أحـد أبنـائـه في بحر الصين الجنوبي - لإخفاء الجريمة[١] - على شاطيء منطقة سونكلا.

وأخـذت تايلنـد بتنفيـذ ما يسّمى بسيـاسـة الاستيعاب أو الاندماج وهي تهدف إلى تدمير ومحو الشخصية الفطانية المسلمة. فارتفعت نسبة غير المسلمين بفطاني، في حين أبعد كثير من المسلمين في أجزاء تايلند.

أمـام هذه السيـاسـة التـايلنـديـة تكـونت عدة منظمات وأحزاب سياسية لمواصلة الكفـاح عام ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م فألقي القبض على الـزعـماء، وقامت بتهجـير أعـداد كبـيرة أخـرى من البـوذيين إلى فطاني لإذابة الشخصية المسلمة والعمـل كجـواسيس على المسلمـين[٢]، واغتصبت أخصب أراضي المسلمـين وأعطتها لهؤلاء البوذيين، وسيطرت على التعليم ونشرت اللغة السيامية بدلاً من لغـة المـلايـو لغـة أهل فطاني بل وأغلقت الكتاتيب التي يتعلم بها أبناء المسلمين الإسـلام، واشـترطت اللغـة التـايلنـديـة للحصـول على الوظائف الحكومية، وعزلت فطاني من العالم الخارجي ونشرت المعابد البوذية بين أقاليم المسلمين.

ولجأت إلى تحريف آيـات القـرآن الكـريم والحـديث الشريف في الترجمة التـايلندية، وعمدت إلى حرق القرى ونشر الرعب والخوف، واتهمت المسلمين بالشيوعية لتبر ر القبض على من تريد.

وأمـام هذه الظـروف وحّـد المسلمـون جهـودهم فتكـونت منظمـة حركة التحرير الوطني وتضم جناحين: جناح مدني يشمل التنظيم والإعلام حيث قام بإرسـال مذكـرات وتقـاريـر إلى المؤتمرات والمنظمات المؤيدة لحركات الجهاد من أجل تقرير المصير كما قام بتنظيم الشعب الفطاني وتوعيته وجناح عسكرى: على شكـل قوات فدائيـة منظمة ومسلحة وبدأ أعماله منذ سنة ١٣٨٩هـ وحرّر بعض قرى فطاني وأخذ في مهاجمة القوات التايلندية وقامت بعمليات واسعة في أنحاء البلاد.

---

(١) نفسه ص ١٣٥.

(٢) المسلمون العدد ٣٧ ص ٢.

وحضـرت وفـود منظمة حركة التحرير مؤتمرات خارجية الدول الإسلامية وقابلت زعماء الدول الإسلامية وشرحت القضية، وأصبحت هذه القضية إحدى القضـايـا الإسـلاميـة عنـدمـا وافق المؤتمـر السـادس لوزراء الخـارجيـة للدول الإسـلاميـة المنعقـدة بجـدة سنـة ١٣٩٥هـ على ادخـال القضيـة ضمن قضايا الأقليات الإسلامية في برامج المؤتمر وقدم مذكرة شرح فيها القضية.

هذا وقـد تمركـز جيش التحـريـر الفطـاني في جبـال بودرو الشـاهقة وبين الغابات والأدغال المتشابكة. وتتلخص مطالب الفطانيين في:

١ ــ المطالبة بالاحتفاظ بشخصيتهم بإعلان إسلامهم والدعوة له.

٢ ــ النطق والكتابة بلغتهم المالاوية وبالأبجدية العربية.

٣ ــ البقاء على زيهم الإسلامي والمحافظة على ثقافتهم.

٤ ــ حكم بلادهم بأنفسهم.

كما يمكن إجمال السياسة التايلاندية في فطاني فيما يلي[1].

١ ــ عملت الحكـومـة البوذية على تهجير المسلمين وتذويبهم في المجتمع البوذي الوثني.

٢ ــ عملت على محو الطـابـع الإسلامي من البلاد بإرغام المسلمين على اتخاذ الأسماء والألبسة والتقاليد البوذية واستعمال اللغة التاهية (لغة تايلاند).

٣ ــ عملت على توطين البوذيين في المناطق الاسلامية وبنت لهم أكثر من سبعين مستوطنة يسكنها حوالي ١٨٥ ألف بوذي.

٤ ــ بنت القـواعـد العسكـرية في فطاني ولاسيما القرى القريبة من جبال بودرو مركز عمليات المجاهدين المسلمين.

٥ ــ قامت بتصفيـة العلماء والـدعـاة جسـديـاً، كما فعلت بالحـاج محمد سولنـج وابنـه ورفـاقـه عام ١٩٥٤م، واغتالت الداعية الإسلامي الكبير الشيخ عبـد الـرحمن داود ثابت مديـر مدرسـة العلوم الإسـلاميـة بجـالا سنـة ١٩٧٧م واغتـالـت عام ١٩٨١م عبـد الكريم جاد فكريان على باب المسجد بفطاني، كما

---

(١) انظر ـ محيي الدين القضماني ـ صفحات من حاضر العالم الإسلامي ـ ص ١٢٦-١٢٧.

اغتالت بعده بأسبوعين الداعية الإسلامي الشيخ محمد لطيف حسن المبعوث من قبل دار الافتاء السعودية[1]، واغتالت الأستاذ انجي حسين سكرتير مجلس الشئون الإسلامية بولاية فطاني وغيرهم، وأصبحت مسألة شبه عادية أن تقوم السلطات التايلندية بإحراق الأحياء الإسلامية والقتل الجماعي، ففي حادث بشع قامت القوات التايلندية بحرق (١٠٠) شاب مسلم في إقليم فطاني بالبنزين، وقتلت العديد من علماء الدين[2]. حتى صرح رئيس البوليس في جنوب تايلاند ذات مرة: «أن حياة المسلم لا تساوي سوى **٢٦** سنتاً فقط»[3]. (أي قيمة الرصاصة).

٦ ــ حاولت ادخال الضلالات والشبهات على تعاليم الإسلام السمحة بنشر التأويلات والتفسيرات الخاطئة في الكتب المقررة في المدارس الحكومية، وفي الترجمة التايلاندية للقرآن الكريم. وقامت بتوزيع تسجيلات دعائية أعدها عملاؤ هم من قاديانيين وبهائيين على المساجد والقرى. ومن هذه الضلالات استخدام الآيات القرآنية:

﴿**وأطيعوا الله، وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم**﴾. ففسروا «أولى الأمر منكم» بالحكومة البوذية، فيجب على المسلمين الفطانيين طاعة المسئولين في الحكومة التايلاندية، ومن لم يطع الحكومة يعتبر من العصاة المتمردين الذين يجب حربهم، وهم من المبغوضين عند الله سبحانه وتعالى.

كما تقول النشرات والتسجيلات البوذية: «إن الدين البوذي والدين الإسلامي سواء بسواء لوجود مبادىء وتعاليم مشتركة، وان كلمة الكفار الموجودة في القرآن الكريم لا تنطبق على البوذيين التايلنديين الآن، وإنما الكفار في عهد الرسول ﷺ فقط». ووزعت الحكومة الكتب من تأليفات القاديانيين مثل إبراهيم القرشي القادياني في بانكوك[4].

---

(١) مجلة البلاغ العدد ٦٨٩ ص ٥٤.

(٢) المسلمون العدد ٣٧ ص ٢. جريدة الندوة ٢٢ ربيع الأول سنة ١٤٠١هـ.

(٣) مجلة البلاغ ص ٥٦ العدد ٦٨٩.

(٤) مجلة المجتمع ص ٢٦.

٧ ــ حرمت المسلمين من ثروات بلادهم، كما حرمتهم من المراكز الهامة والوظائف الحكومية وكافة الحقوق التي يتمتع بها المواطنون عادة، وعرّضتهم لألوان الذل والقهر والاستعباد.

٨ ــ حرصت حكومة تايلاند على توثيق صلاتها باليهود، للاستفادة منهم في محاربة المسلمين، فقد زار موشى دايان وزير الدفاع الإسرائيلى السابق تايلاند عام ١٩٧٥م ونظم اتفاقات مع قادة القوات المسلحة هناك لتدريب الجنود البوذيين على حرب العصابات ومواجهة مجاهدي فطاني المسلمين[١].

٩ ــ حاولت إضعاف موقف حركة التحرير الفطانية وعزلها عن المسلمين تمهيداً لضربها.

فقد تم انتخاب ٦ أعضاء من المسلمين للبرلمان، وعيّن ثلاثة أعضاء مسلمين سنة ١٣٩٥هـ، كما شغل مسلم وظيفة نائب وزير. وفي انتخابات سنة ١٣٩٦هـ تم انتخاب (١٤) عضوا من المسلمين منهم (١١) عضوا من جنوب تايلاند (فطاني)، وعين مسلمان في وظيفتي نائب وزير والهدف إيهام المسلمين باستجابة مطالبهم[٢]، فلا داعى لتأييد المجاهدين أو الانضمام إليهم.

هذا وقد امتنع أكثر المسلمين من ارسال أولادهم إلى المدارس الحكومية لفقرهم ثم لأن هذه المدارس يعلم فيها مدرسون وثنيون يدرسون الديانة البوذية مادة إجبارية في المرحلتين الابتدائية والثانوية، كما أن الحكومة تفرض اللغة التاهية التايلاندية مما قلل عدد المسلمين الذين يتابعون دراستهم الجامعية، فأدّى ذلك إلى انتشار الجهل والفقر والمرض بين المسلمين وهي البيئة التي تبيض فيها الشيوعية وتفرّخ، فانخرط بعض أبناء المسلمين في الحزب الاشتراكى الذي يقوده زعماء الشيوعية في تايلاند وماليزيا، أو في الأحزاب العلمانية والقومية، خاصة بعد أن سقطت دول الهند الصينية (فيتنام ولاوس وكمبوديا) في قبضة الشيوعية. ورغم هذه التحديات فقد بقيت شعلة الجهاد متوهجة وأدركت

---

(١) المسلمون العدد ٣٧ ص ٢.

(٢) جريدة الندوة ٢٢ ربيع الأول ١٤٠١هـ.

تايلاند أن جهودها العسكرية لقهر المسلمين قد باءت بالفشل فعينت الجنرال مسابوت كوردفول قائدا عاما للقوات المسلحة التايلاندية عام ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م وهو واحد من أكثر خبراء مكافحة حرب العصابات في العالم كفاءة وخبرة، ورسمت خطة سميت: خطة تحت المظلة الباردة وهي خطة متكاملة تشتمل على نواحي عسكرية وسياسية وإدارية وثقافية تهدف إلى هزيمة المنظمة المتحدة وجناحها العسكرى نفرا وتصفية القضية الفطانية، وأسند تنفيذ هذه الخطة عام ١٩٨٢م للجنرال هارون لينانوند القائد العسكرى للمنطقة العسكرية الرابعة التي تشمل فطاني. وتستند الخطة إلى أربع نقاط أساسية هي:

١ ــ ضمان الأمن والسلام في منطقة الحدود التايلندية ـ الماليزية.

٢ ــ تكثيف الجهود من أجل نشر اللغة (التاهية) الرسمية بين سكان فطانى المسلمين بتدريس الدين الإسلامي في المدارس الدينية الاسلامية وفي المدارس الابتدائية والاعدادية بالتاهية.

٣ ــ تصفية القوى المقاومة للوجود التايلاندي في فطاني.

٤ ــ الإصلاح الإداري في فطاني وتحسين العلاقة بين الموظفين الحكوميين والمسلمين، وتصفية استغلال المسئولين لوظائفهم.

وفي الوقت نفسه وجهت ما لا يقل عن عشرين ألفاً من الجنود، وآلاف أخرى من القوات المساعدة للقضاء على المجاهدين، متبعة الاسلوب الاستعماري التقليدي المتمثل في أسلوب: «فرق تسد»، فحشدت القوى المرتبطة بها كحركة الكشافة القروية، وأئمة المساجد الذين يتلقون الرواتب من الحكومة، والشخصيات التقليدية الذين يرتبط وجودهم ونفوذهم بوجود الاحتلال.

ولتنفيذ الخطة فقد قدّمت بعض التنازلات الثقافية والإدارية في الوقت الذى تعمل على تشديد قبضتها على البلاد ـ فقد تعهدت بتدريس الدين الإسلامي في المدارس التايلاندية، وهذا يعنى أن قرار تدريس الدين الإسلامي

في المدارس الرسمية سوف يكون حبراً على ورق وذلك لعدم وجود هيئة تدريسية لأن التعليم الدينى في فطاني كان يتم باللغة الملاوية المتداولة في فطاني، والقرار يتطلب التدريس باللغة التاهية التايلاندية.

كما أعلنت تايلاند مشروعاً لتطبيق القوانين الإسلامية في فطاني عام ١٩٨٢م ويتضمن هذا المشروع:

١ ـ على إدارة الشئون الإسلامية في وزارة العدل التايلاندي المتعاون مع الأئمة المسلمين حول مسائل النكاح والطلاق والتوريث العمل بنصوص القوانين الإسلامية وتطبيقها على المسلمين.

٢ ـ يشترط على الذين يعيّنون لمنصب القضاء الحصول على الشهادة المتوسطة التايلاندية.

٣ ـ تسوية منصب القاضي مع نظيره التايلاندي.

٤ ـ تسري هذه القوانين في منطقة فطاني.

ويعتبر هذا المشروع تطوراً إيجابياً حققه المسلمون بدماء الآلاف من أبنائهم، إلّا أنه يحمل بذور الفشل باشتراطه على القاضى المسلم الحصول على الشهادة التايلاندية المتوسطة، ومن المعلوم أن الدين الإسلامي يتم تعلمه وتعليمه باللغة الملاوية والعربية، ويندر وجود الحاصلين على هذه الشهادة من بين علماء فطاني، ومعنى هذا أن الحكومة ستجد الموالين لها في منصب القاضي المسلم(١).

واستمرت تايلاند في سياستها الرامية إلى إضعاف حركة الجهاد، فأصدرت الحكومة قراراً ببدء حملة لتغيير أسماء المسلمين بأسماء بوذية. فقد قال تاكينج ساج المشرف على تغيير الأسماء: «إن المسئولين الحكوميين في المناطق الاسلامية ملزمون بالقيام بزيارات للمدارس لإقناع كل مسلم بتغيير اسمه، وحث المدرسين في المدارس على إقناع طلابهم من المسلمين بتغيير أسمائهم والتركيز في ذلك على التلاميذ في سن الرابعة إلى الرابعة عشرة».

---

(١) الرائد ـ العدد ٦٥ جمادى الآخرة ١٤٠٣هـ/ نيسان ـ ابريل ـ ١٩٨٢م ص ٣٠-٣٢.

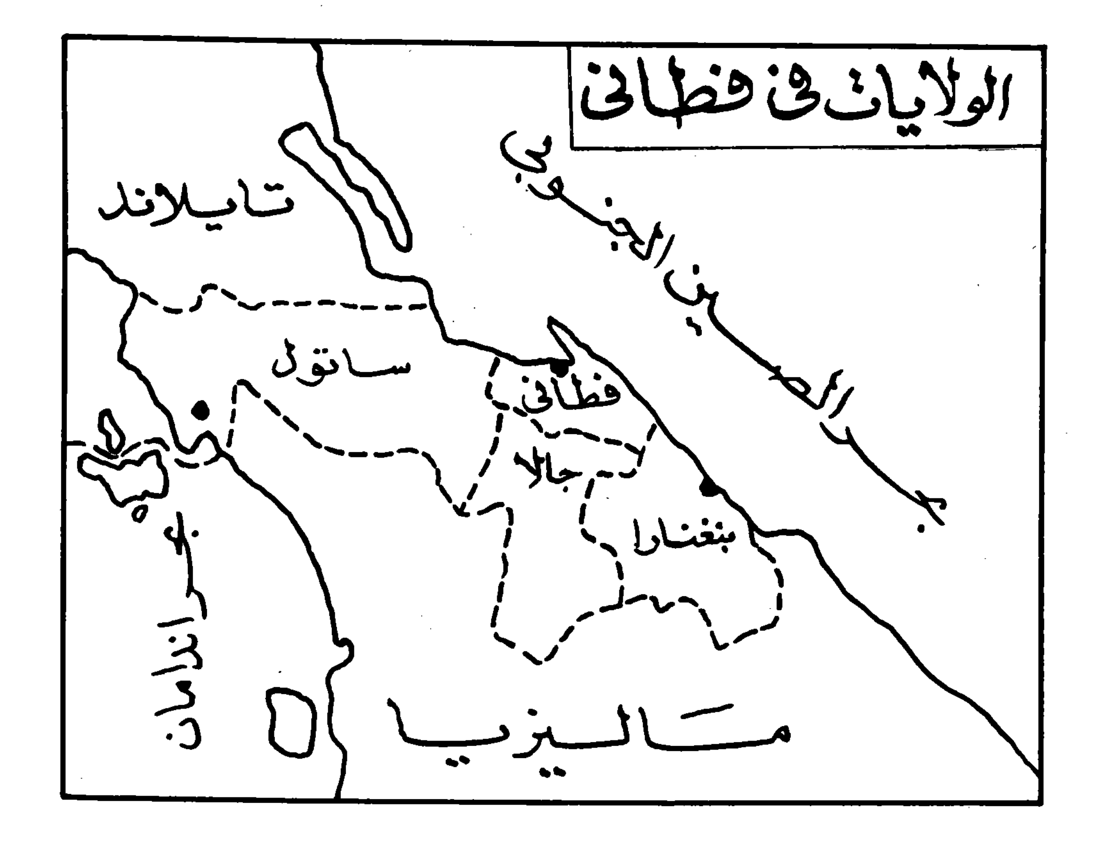
وقد جاءت هذه الحركة بعد موجة من التشويه والتضليل قامت بها السلطات وأعوانها مثل :

ـ تحريف آيات القرآن الكريم والحديث الشريف في الترجمة إلى اللغة التايلاندية .

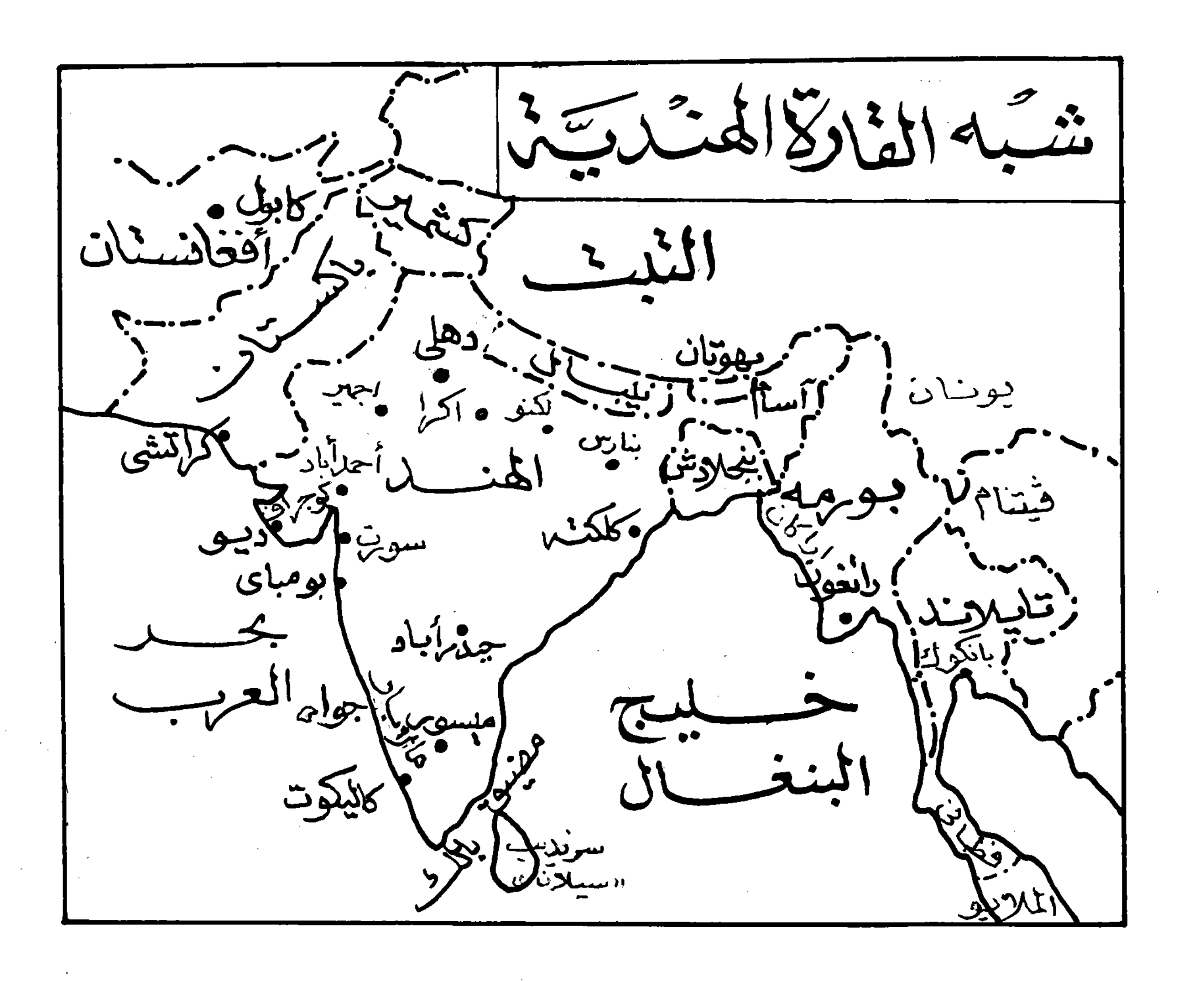
ـ ترويج الاشاعات والاتهامات المضللة التي تدّعي أن الحركات الإسلامية هي حركات شيوعية هدامة . وأن العناصر الثائرة ماهم إلّا قراصنة لا يبغون سوى إشاعة الفوضى في البلاد .

ـ قامت الحكومة بالاستيلاء على الأراضي الخصبة من المسلمين وسلمتها للبوذيين[1] .

هذا ولا زال جهاد الفطانيين المسلمين يواجه القوى الباغية . .



(١) المسلمون العدد ٣٧ السبت ٥ صفر ١٤٠٦هـ.



شبه القارة الهندية
التبت
كشمير
كابول
أفغانستان
باكستان
دهلي
نيبال
بهوتان
آسام
يونان
أجمير
أكرا
لكنو
بنارس
بنجلادش
كراتشي
أحمد أباد
كوجرات
الهند
بورمه
ڤيتنام
ديو
سورت
كلكته
أراكان
رانغون
بومباي
تايلاند
بانكوك
جدر أباد
بحر العرب
ميسور
خليج البنغال
كاليكوت
سرنديب
سيلان
فطاني
الملايو

الفصل الرابع
المسلمون في شبه القارة الهندية
« ومأساة كشمير »

الهند شبه قارة مترامية الأطراف تقترب مساحتها من خمسة ملايين كم^2 موزعة كالتالي(1):

١ ـ جمهورية الهند ومساحتها ٣,٢٨٠,٠٠٠ كم^2.

٢ ـ جمهورية باكستان ومساحتها ٨٠٣,٠٠٠ كم^2.

٣ ـ جمهورية بنغلادش ومساحتها ١٤٢,٧٧٦ كم^2.

٤ ـ كشمير وجامو ومساحتها ٢١٧,٩٣٥ كم^2.

٥ ـ مملكة بهوتان ومساحتها ٤٧,٠٠٠ كم^2.

٦ ـ مملكة نيبال ومساحتها ١٤٠,٧٩٧ كم^2 (2).

---

(١) سعيد الصباغ ـ الأطلس العربي العام .

(٢) مملكة نيبال قلما يسمع بها بسبب موقعها المنعزل ووعورة تضاريس أرضها، فهي توجد بين ثنايا جبال الهمالايا الوعرة، تجاورها التبت من الشمال، وتحدها الهند من الشرق والجنوب والغرب، وفيها أعلى قمة جبلية في العالم هي قمة افرست (٨٨٤٨م)، وعاصمتها مدينة كتمندور، وتتميز بالبرودة الشديدة. سكانها أكثر من ١٥ مليون نسمة، ٤٪ مسلمون، ويحتمل أن عدد المسلمين وصل إلى ٧٠٠ ألف .

وصلها الإسلام عن طريق كشمير من الغرب وعن طريق الهند والبنغال من الجنوب بالدعوة والتجارة، وكان أول غزو إسلامي لها في القرن الرابع عشر الميلادي، فقد هاجم السلطان شمس الدين حاكم البنغال وادي كتمندور في وسط نيبال، فزاد ذلك من صلة المسلمين بهذه البلاد وخاصة في عهد الملك المغولي أكبر حيث ارسلت في عهده البعثات الإسلامية، واسهم التجار في نشر الدعوة واستوطنوا مناطق عديدة من البلاد، وأغلب المسلمين في غرب البلاد قرب الهند وبنغلادش، وهناك جالية عربية قديمة. وفي عام ١٤٠٢هـ زار وفد من مسلمي نيبال المملكة العربية السعودية. وردّ الزيارة وفد من الجامعة الإسلامية.

Journal Institute of Muslim, M.affairs Vol 3, 1981. وانظر جريدة الجزيرة ٢٧/٦/١٤٠٢هـ.

٧ ـ جزيرة سيلان ومساحتها ٦٥,٦١٠ كم٢ [١].

وتعيش في الهند أجناس متعددة من البشر، وفيها مختلف ماعرفه الإنسان من فنون وآداب، وما اعتنقه من مختلف العقائد منذ أن انحرف عن التوحيد حتى هداه الله إليه، وفيها الأجواء المتباينة من الصقيع القطبي وثلوجه بالهيمالايا إلى قيظ المناطق الاستوائية، ولكن يهيمن عليها المناخ الموسمي إذ يسقط ٨٠٪ من أمطارها على الأقل في فصل الصيف، كما أنها تحتوي على صنوف الطير والحيوان والنبات والمعدن ما يصلح لأن يكون إجمالاً لما بالعالم كله منها[٢].

وأشهر ما تزرعه الهند الأرز والذرة البيضاء والقمح والقطن والجوت وقصب السكر وفستق العبيد والكتان والشاي[٣]. وتغطي الغابات حوالي ١٢٪ من مساحة البلاد منها ـ الهيفيا ـ المطاط ـ وجوز الهند (النارجيل)[٤]، كما تمتلك أكبر قطيع من الأبقار في العالم، ولكنها أقل قطعان العالم انتاجاً بسبب معتقدات الهنادكة، فهي تعاني الضعف والهزال وسوء الاستغلال[٥].

---

(١) جزيرة يفصلها عن الهند مضيق بالك وعرضه نحو ٤٠ كم، وعاصمتها كوالالامبور وعدد سكانها حوالي ١٥ مليون نسمة منهم ١٠٪ مسلمون. وكان العرب قد عرفوها باسم جزيرة سرنديب، ثم عرفت باسم سيلان، ومنذ عام ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م عرفت باسم سريلانكا نسبة للحزب الحاكم وتعني البلد الجميل. وكانت مركزا تجاريا هاما قصده الباحثون عن الثراء من التجار والمغامرين والرحالة لوجود الحجارة الكريمة كالياقوت والعقيق والزمرد واللؤلؤ، بالإضافة لوجود التوابل.

دخلها الإسلام في القرن الأول الهجري مع التجار والدعاة وأخذ ينتشر فيها سلماً. إلى أن تعرضت للغزو البرتغالي الصليبي سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م الذي أباد قرى إسلامية بأكملها، وخلف الهولنديون البرتغاليين سنة ١٠٦٩هـ/١٦٥٥م فقاموا أيضا بمطاردة المسلمين الأمر الذي دفعهم للجوء إلى المناطق الداخلية في الجزيرة، ولما احتل الانجليز الجزيرة سنة ١٢١١هـ/١٧٩٦م شجعوا البوذيين وبعثات التبشير فزادت التحديات على المسلمين فانعزلوا وانقرض كثير منهم وقل عددهم وأصابهم الفقر والجهل. واستمر الانجليز حتى سنة ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م حين استقلت الجزيرة، فانتعش المسلمون وعادت صلاتهم بالمسلمين ولكنهم تعرضوا حاليا لضغط التاميل والتبشير.

والتاميل هم الأقلية التي تلي في عددها المجموعة السنهالية الأغلبية الرئيسية في البلاد، وبدأت ثورتهم للاستقلال بشمال الجزيرة سنة ١٩٨٣م، وتبلغ نسبتهم حوالي ١٩٪ من أهل البلاد، ووقع المسلمون بين شقي الرحا.

البلدان الإسلامية ص ٥٠٢، مجلة العربي العدد ٣٢١، المسلمون العدد ٣٥ ص٢.

(٢) الساداتي ـ تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندو باكستانية وحضارتهم ص ٣.

(٣) د. عبد المنعم الشرقاوي ـ ملامح الهند وباكستان ص ٢٠، حسن أبو العينين ـ آسيا الموسمية.

(٤) وصفه ابن بطوطة بأنه «أغرب الأشجار...» تحفة النظار في غرائب الأمصار ج١ ص١٦٧.

(٥) حسن أبو العينين ـ آسيا الموسمية.

وأقــدم من سكن الهنـد قوم سود لهم سمات الأجنـاس الحـاميّـة، قطنـوا الغـابـات، ثم غزاهـا الـدراوديـون والثمول من الطورانيين أو من العراق، وهم أقدم من سكن الهند في التاريخ ومنهم أغلب سكان شبه القارة اليوم، ثم توالت موجات الآريين البيض، فأخضعوا الدراوديين والثمول في الألف الثانية ق. م[1].

وقـد خشي الـبراهمة من الآريـين اختلاط قومهم بعناصر الهند الأخرى، فوضعـوا نظـامـاً طبقيـاً صارماً، وتطورت فكرة الهندوكية مع الوقت لتصبح فكرة فلسفيـة من أهم مظـاهـرها وجود روح عالمية واحدة تشمل الكون والمخلوقات، والاعتقـاد في تنـاسـخ الأرواح ونظـام الطبقـات، وطبقـاً للفكـرة الهنـدوكية فإن المجتمع ينقسم إلى الطبقات التالية[2]:

١ ـ طبقـة رجـال الـدين: الـبراهمة أو الـبرهمن أو الكهـان ـ وهم أعلى الناس درجة.

٢ ـ طبقـة الحكـام والمحاربين: الكشتر يين ـ الذين يشرفون على الأمور الإدارية والعسكرية من النبلاء وعليهم أن يتعلموا ويقدموا القرابين ويحملوا السلاح.

٣ ـ طبقة التجار: (الويش أو الفيشية) وتشمل التجار وعليهم أن يتّجروا ويجمعوا المال وينفقوا منه.

٤ ـ طبقة الزراع والصناع والعمال ـ الشودرا ـ وعليهم خدمة الطوائف السابقة.

وأخـيراً فهنـاك طبقة الباريا وهم المنبوذون وقوامهم بعض القبائل الوطنية وأسرى الحرب، أو أصحاب المهن الحقيرة فتضم الكناسين والجزارين والجلادين والحدادين ومن إليهم.

---

(١) الساداتي ص ٧، البلدان الإسلامية، عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام في الهند.

(٢) انظر إحسان حقي ـ مأساة كشمير المسلمة ص٣١ـ٣٥، عبد المنعم النمر ص٢٨، أحمد شلبي ـ مقارنة الأديان ج٤ ص٥٧ الساداتي ص٨.

وقـد جاء في الفقـرة (٣١) من البـاب الأول من منـوسمـرتي (أهـم كتب الهنـادكـة المقـدسـة) قولـة : «ولسعـادة العـالم خلق براهما الـبراهمة من وجهه، والكشتريين من ذراعيه، والويش من فخذيه، والشودرا من قدميه»[١]. فرسمت الهندوكية لكل طائفة من الطوائف حدوداً لا تتعداها، وأطلقت في الوقت نفسه أيدي البراهمة من كل قيد، وجعلت لهم زعامة الناس جميعاً، وهذا يذكرنا بفكرة اليهود في قولهم : «نحن أبناء الله واحباؤه».

وقـد ناوأ البـوذيـون البراهمة، فعمل البراهمة على تقويض صرح البوذية وأفلحوا في دحرها فانتقلت إلى بورما والصين والتبت واليابان[٢].

كما ظهـرت الـديـانـة الجينيّـة كثـورة على النظـام الطبقي داعية إلى قهر النفس، فالحيـاة لعنـة على زعمهم وعلى المـرء أن يتخلص منهـا بنعمة الانتحار البطيء جوعـاً[٣]. وأخـيراً جاء الإسـلام لينقـذ ملايـين الهنود من الظلمات إلى النور، ويخفف من غلواء الهندوكية !

وفي الهند حوالي ٢٥٥ لغة مشتقة من أربع مجموعات كبرى، ويتفرع عنها أكثـر من ثلاثـمائـة لهجـة، وأشهرها السنسكريتية والأوردية التي تكتب بالحروف العـربيـة وألفـاظهـا مزيج من العربية والسنسكريتية والفارسية والتركية، واللغة التاميليّه، والبنغالية[٤].

طرق وصول الإسلام إلى الهند :

وصل الإسلام إلى شبه القارة الهندية بالطرق التالية :

أولاً : طريق الفتح والجهـاد :

ففي عهـد عمـر بن الخطـاب رضي الله عنـه وصل المسلمون إلى ساحل الهنـد الغـربي تانـه (بـومبي) وبهـروج عام ١٥هـ[٥]. وبـدأ فتح السند في عهد

(١) د. عادل حسن غنيم وزميله ـ تاريخ الهند الحديث ص١١٦.
(٢) إحسان حقي ـ مأساة كشمير ص٣٥، حقي ـ باكستان بين ماضيها وحاضرها ص١١٦.
(٣) تاريخ الإسلام في الهند ص٤٩ وص٥٠.
(٤) حسن أبو العينين ـ آسيا الموسمية ص١٧٤.
(٥) البلاذري ـ فتوح البلدان ص ٦٠٧، مسعود الندوي ـ الدعوة الإسلامية في الهند ص٣.

عثمان بن عفان رضي الله عنه(١)، وتم في عهد الوليد بن عبد الملك (٨٥-٩٦هـ) بأن عهد الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق إلى الشاب محمد بن القاسم الثقفي فتح السند، فقام بفتحها سنة ٩٣هـ. وعمر المساجد في مدنها للعمل على نشر الإسلام، فبنى في الديبل (كراتشي) مسجداً جامعاً كان أول مسجد بني في هذه المنطقة، ومصّرها وأنزلها أربعة آلاف من الجند المسلمين، وأقام في الملتان مسجداً جامعاً ومصّرها أيضاً وأسلم خلق كثير، وقد أحبّ أهل السند محمد بن القاسم لرفعه راية العدل الإسلامي(٢)، ففتح قلوبهم للإسلام وهيأهم له. ففي خلافة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ) كتب إلى ملوك السند دعاهم إلى الإسلام وقد بلغتهم سيرته وعدله فدخلوا دين الله أفواجاً(٣) وأصبحت السند معقل الإسلام في شبه القارة الهندية وقاعدته ونقطة انطلاقه. وقد مصّر عمرو بن مسلم الباهلي مدينة المحفوظة ومدينة المنصورة في السند (بين سنتي ١١٢-١٢١هـ)(٤) في عهد هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ). وبقيت المنصورة أعظم مدينة عربية إسلامية في السند لمدة ثلاثة قرون. وامتد منها الإسلام في جميع أجزاء شبه القارة الهندية كما سيأتي.

ثانياً: عن طريق التجارة:

كانت العلاقات التجارية قائمة بين العرب وسكان سواحل جنوب الهند وسيلان منذ آلاف السنين قبل الإسلام، وكانت الجاليات العربية تقيم في هذه السواحل تمارس التجارة بين شبه جزيرة العرب وشبه جزيرة الهند وغيرها، فلما سمع هؤلاء بإسلام شبه الجزيرة العربية أسلم بعضهم زمن النبي ﷺ، وأخذت هذه الجاليات تلعب دوراً كمراكز تبليغ الدعوة الإسلامية بطريقة غير مباشرة، فوصل الإسلام بذلك سواحل مالابار وسواحل اقليم السند مبكراً(٥).

---

(١) عندما توجه حكم عمرو بن التغلبي إلى مكران، البلاذري - فتوح البلدان ص٦٠٧.

(٢) انظر البلاذري - فتوح البلدان ص٤٢٤، اليعقوبي ج٢ ص٢٧٧، الطرزي ج١ ص٢٢١.

(٣) فتوح البلدان ص ٤٢٥ - ٤٢٧.

(٤) فتوح البلدان - ج٣ ص٥٤٣، الشيال: تاريخ أباطرة المغول ص١٣.

(٥) «أهدى ملك الهند إلى رسول الله ﷺ جرة فيها زنجبيل فأطعم أصحابه قطعة قطعة. انظر الحاكم - المستدرك ج٤ ص١٣٥. وانظر عبد المنعم النمر ص٦١، الطرزي ج١ ص٣٣٩.

وكـان لهؤلاء التجـار نفـوذ كبـير في سواحل الهند فكان الحكام يعاملونهم معـاملة طيبـة وبـاحـترام بالـغ، ورفـدت هذه الجاليات جاليات مسلمة أخرى جديـدة قدمت إلى المـدن السـاحلية إبتداء من القرن الأول الهجري إلى القرن الـرابـع الهجري حيث نشطت التجارة بسيطرة المسلمين على البحار، فزاد نفوذ العرب المسلمين في تلك السواحل الهندية، فزاد بذلك انتشار الإسلام بها، وقد ارتفعت نسبـة العـرب في بعض منـاطق الهند الساحلية إلى ٢٠٪، وكانت هذه الـزيـادة تعـود أيضـاً إلى زواج العـرب المسلمـين من نسـاء تلك البـلاد، وكثرة الإنجاب، وكان أولادهم منهن، يعاملون كمعاملة العرب المسلمين فيزداد عدد المسلمين ويزداد بذلك انتشار الإسلام بين أهل البلاد[١]، ولا يزال كثير من أهل مالابار إلى اليوم يعتزون بانتسابهم إلى العرب المسلمين !.

ثالثـــا : عن طريق الدعاة والأمراء المحليين :

ازداد علماء الإسـلام ولاسيـما في القـرن الخـامس الهجـري في الهند زيادة كبيرة فأخذ هؤلاء على عاتقهم عبء الدعوة إلى الإسلام في جميع أرجاء الهند فأدخلوا الكثير من أبناء البلاد في دائرة الإسلام. وقد سار الدعاة جنباً إلى جنب مع المجـاهـدين ومـع التجـار، ولم يتركـوا بقعة من الهند إلاّ ودخلوها، وكثيراً ما أقنعـوا الأمـراء المحليـين بالإسـلام فكان ذلك يعني دخول عدد كبير من الناس الإسـلام، وكـان الـدعـاة قد بدأوا بالسـاحـل ثم انتقلوا إلى الداخل في هضبة الدكن، واستقرت جماعات عديدة من العرب في الدكن[٢].

الدول المسلمة في الهنـــــد :

في بدايـة القـرن الـرابع الهجري بدأت روح التشيع تسري في السند من الهند، فقدم إليها القرامطة من البحرين وفارس وكونوا دولة إسماعيلية في الملتان حوالي سنـة **٣٧٥**هـ، إلى أن قضى عليهـا الغـزنـويـون سنـة **٤٠٢**هـ[٣]، وبدأ

---

(١) الطرزي ج ١ ص ٣٤١.

(٢) انتشار الإسلام ص ٣٠٠ - ٣٠٣.

(٣) الطرزي ج ١ ص ٣١٠.

ظهور الدول الإسلامية في الهند. التي أسهمت كثيراً في نشر الإسلام في شبه القارة جميعها. وعلى ذلك فإن الهند لم تعرف الوحدة إلّا في ظل المسلمين. ومن هذه الدول:

أولاً: الدولة الغزنويـــــة:

ومن أشهر سلاطينها السلطان محمود بن سبكتكين (**٣٨٧-٤٢١هـ**) **٩٩٦-١٠٣٠**م الذي نذر نفسه للجهاد فقاد سبع عشرة حملة إلى الهند فقضى فيها على الفرق الضالة والمضللة من رافضة وقرامطة وغيرهم، ووطد حكم الإسلام في البنجاب ودهلي ولاهور، وعمل على نشر الإسلام هناك، كما ضم كشمير إلى ملكه سنة **٤٠٧**هـ/**١٠١٦**م[١]. فكانت فتوحاته بداية حقبة جديدة في تاريخ شبه القارة الهندية أصحابها من المجاهدين المسلمين ولكن ليسوا من العرب. وقد وفق محمود في جميع غزواته وكان يرسل بأخبار انتصاراته إلى الخليفة في بغداد فتعمها الأفراح ومن وراءها من البلدان الإسلامية. وأنعم عليه الخليفة العباسي بلقب يمين الدولة وأمين الملة[٢]. وبعد عودته إلى غزنة أمر ببناء جامع في غزنة قال عنه ابن الأثير لم يسمع بمثله، وأنفق عليه ما غنمه في هذه الغزاة في بنائه.

وقد اهتم الغزنويون إجمالاً بنشر الإسلام في الهند فأقاموا المساجد في المناطق المفتتحة وتركوا الدعاة ليعلموا أهلها أمور الدين. ومن أمثلة ذلك أن محمود الغزنوي عندما فتح بهاطية سنة **٣٩٥**هـ، استخلف بها من يعلم من أسلم من أهلها ما يجب عليهم تعلمه [٣].

وفي نهاية العصر الغزنوي اضطر الغزنويون أمام الغوريين إلى التخلّي عن عاصمتهم غزنة ونقلوا دولتهم إلى الهند واتخذوا من لاهور عاصمة لهم، وبذلك يمكننا اعتبار الدولة الغزنوية أول الدول الإسلامية التي قامت في الهند.

---

(١) الشيال ص ١٤.
(٢) البداية والنهاية ج١٢ ص٢٩، الكامل لابن الأثير ج٧ ص ٢٨٢-٢٨٣.
(٣) ابن الاثير ـ الكامل. ج٧ ص ٢٨٤.

ثانياً : الدولة الغـــــورية :

استطاع محمد الغوري الإستيلاء على السند ودهلي والبنغال وبهار بين سنة (٥٨٨-٥٩٧هـ) واتخذ دهلي قاعدة لحكومته الإسلامية في الهند، فبدأ على يديه الحكم الإسلامي في شمال الهند بأكمله على أساس راسخ وطيد، وصار للمسلمين دولة مرهوبة الجانب وسيعة الرقعة عظيمة السلطان[١] وذلك بعد أن قضى على القرامطة والاسماعيلية الذين أثاروا الفتن والاضطرابات في البلاد، وأضعف الراجبوتيين الهنود[٢]. قال المؤرخ الفرنسي رينه غورسه : «إن شهاب الدين الغوري أسس ملكاً عظيماً ثابتاً وطيداً تعاقبت عليه الدول الإسلامية التي جاءت بعده من ترك وأفغان وطفلوقيين وسادات وتيموريين، وكان دستور هذا الملك وحدة الدولة»[٣].

ثالثاً : دولة المـمــــاليك :

اغتال الباطنية السلطان محمد الغوري سنة ٦٠٢هـ. فنصب غلامه قطب الدين آيبك نفسه سلطاناً على الهند، وكان أميراً لدهلي من قبل الغوري. فأقرّ الأمن من البنغال شرقاً إلى آخر حدود البنجاب غرباً، وحرص على إقامة العدل بين الناس مع حسن معاملته للهنادكة، وعمل على نشر الإسلام، فبنى مسجدين كبيرين أحدهما بدهلي والآخر بآجمير[٤].

وفي عهد خلفه ألتمش (٦٠٧-٦٣٣هـ) توثقت صلة الهند بالعالم الإسلامي فقصدها علماء العراق والحجاز وإيران وتجّارها، وكانت هذه الزيارات تبعث في صدور مسلمي الهند مسرّات لا حدّ لها، لأن أكثرية هؤلاء المسلمين كانت من الهنادكة أو البوذيين الذين هداهم الله للإسلام فوجدوا إخواناً يحبونهم[٥].

---

(١) الساداتي ص ٩٣.
(٢) نفسه ص ٨٧ .
(٣) نقله عبد المنعم النمر ص١٠٣ .
(٤) الساداتي ص ٩٤.
(٥) نفسه ص ٩٨ - ٩٩، حقي - تاريخ شبه القارة الهندو باكستانية ص١١٠ .

وقـد خلف التمش وزيـره بلبن الـذي لقّب بألـغ خان أي السيد الأعظم (٦٦٤ـ٦٨٦هـ/ ١٢٦٦ـ١٢٨٧م) الــذي اشتهــر بأنـه أقـام العـدل وأنصف الضعيف واستعان على ضبط الأمور في مملكته الهندية الواسعة بشبكة محكمة من العيـون توافيـه بكـل ما كان يجري في البـلاد وأحـوال عماله، وألزم نفسه ورجاله بالتمسـك الشـديـد بآداب الإسـلام وفضائله، وأنشأ أولاده عليها، ودفع رعيته إلى التحــلّي بها، ورعى العلماء والأدبــاء، مع برّه الشـديـد بالنـاس جميعـاً من مسلمــين وهنـادكـة[١]. فقـد حاول التشبّـه بعمـر بن الخطـاب رضي الله عنـه وبعمـر بن عبـد العـزيـز[٢] وتـدفّق العلماء على الهنـد في عصره لانتهاء الخلافة العبـاسيـة في بغـداد سنـة ٦٥٦هـ، وقـد أبقى هو اسم الخليفة ـ على العملة ـ وسمىّ نفسه ناصر أمير المؤمنين .

رابعاً : الدولة الخلجيـــــة (٦٨٩ـ٧٢٠هـ/ ١٢٩٠ـ١٣٢١م) :

وهي الـدولـة الإسـلامية الثانية التي تركّز سلطانها في الهند وحدها، وكان لجلال الدين فيروز ملكهم (الذي تولى عرش دهلي عام ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م) وهو في السبعين من عمره) أثر كبير في إسلام عدد كبير من المغول بعد أن هزمهم[٣].

أمـا علاء الـدين الخلجي (٦٩٥ـ٧١٥هـ/ ١٢٩٥ـ١٣١٦م) فقد كادت فتـوحـاتـه تشمل شبه القارة الهندية بأكملها، فكان ذلك أول حدث من نوعه في تاريخ الهند، إذ كان الجنوب في منأى عن كل ما يجري في شمال البلاد، وقد طبق علاء الدين تحريم الخمر والربا في جميع أجزاء الدولة، وأدت رقابته على الأسواق والأسعار مع تشدده في معاقبة مدلّسي التجار إلى أن عمّ اليسر والرخاء البلاد[٤].

وقد شجع الخلجيون الناس على اعتناق الإسلام[٥] بأن سنّوا عادة تقديم الشخص الــذي أسلم حديثاً إلى السلطـان حيث كان يكسـوه كسـوة حسنـة

(١) الساداتي ص ١١٠ .

(٢) ضياء الدين برني ـ تاريخ فيروز شاهي ص ٣٩ (بالفارسية) .

(٣) الساداتي ص ١١٤ .

(٤) تاريخ فيروز شاهي ص ٢٦٣ بالفارسية .

(٥) انظر ابن بطوطة ج ٣ ص ١٩٧ ، أرنولد ـ الدعوة إلى الإسلام ص٢٩٠ .

ويعطيه قلادة وأساور من ذهب على قدره. وجاهدوا جهاداً دائباً لرفع لواء الإسلام عالياً في شبه القارة الهندية.

خامساً: الدولة التغلقية (٧٢٠-٨١٧هـ/ ١٣٢١-١٤١٤م):

ومن أشهر سلاطينها: محمد تغلق (٧٢٥-٧٥٢هـ) الذي تمكن من حكم الهند كاملة[١]. وجدد الأواصر بالخلافة العباسية بالقاهرة، وكان على صلة بتلامذة الشيخ ابن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ) ومنهم الشيخ عبد العزيز الأردبيلي[٢]، ووفد إلى بلاطه جموع من علماء العراق وخراسان وفارس وبلاد ما وراء النهر، وأنشأ الكثير من دور الشفاء وملاجيء العجزة ووالى الإشراف عليها بنفسه. وقد وفد إلى بلاطه الرحالة ابن بطوطة[٣].

وأما خلفه فيروز تغلق (٧٥٢-٧٩٠هـ) فقد وثّق صلاته بدار الإسلام وأعلن أنه يتولى السلطنة بتفويض من الخليفة العباسي أمير المؤمنين، الذي لقبه سيد السلاطين[٤]. واهتم بالزراعة فجدّ في حفر الآبار والقنوات فعمّ الرخاء حتى ليقال بأن ضفتي الغنج (Ganga) كانتا عامرتين بسلسلة من القرى المتصلة بعضها ببعض وبينها مزارع نضرة، وبنى خمسين سداً وشقّ نهراً للريّ في جنوب غرب البنجاب طوله ١٥٠ كم، وأكثر في بناء المساجد والمدارس والمشافي والحمامات وأوقف عليها أوقافاً كثيرة بحيث أنها كانت مجانية لمن يريد العلم أو التداوي أو الاستجمام، وتمسك بقواعد الشرع وتوفير العدالة لرعاياه، وقضى على فتنة وحدة الوجود، وما ينشأ عنها من الضلالات التي استولت على قلوب المتصوفة[٥].

اضطرب الأمر بعد وفاة فيروز تغلق فتمكّن تيمور لنك من غزو دهلي سنة ٨٠١هـ ودخلها[٦]، فأدّى ذلك إلى تفكّك الدولة الإسلامية في الهند وانفصلت

---

(١) مسعود الندوي الدعوة الإسلامية في الهند ص ٢٨، حقي - تاريخ شبه القارة الهندوباكستانية ص١٠٣.
(٢) مسعود الندوي - الدعوة الإسلامية في الهند ص٢٨.
(٣) انظر الرحلة ج٢ ص٤٤.
(٤) مسعود الندوي - الدعوة في الهند - ص٤٢.
(٥) نفسه ص ٢٩ - ٣٦.
(٦) الساداتي ص ١٥٣.

أغلب ولاياتها عن دهلي[1] مثل مالوه والكجرات وجونبور والبنغال والدكن وكلها إمارات إسلامية تنافست في العمران والعلم فظهرت نهضة علمية واسعة باللغات العربية والفارسية والسنسكريتية، وأدى ذلك إلى زيادة انتشار الإسلام بين الهنادكة انتشاراً واسعاً .

سادساً: الأسرة اللودهية في سلطنة دهلي (٨٤٩-٩٣٢هـ/ ١٥٢٥م):

أفغانية الأصل ومن أشهر من حكم دهلي منها : اسكندر شاه (٨٩٣-٩٢٣هـ/ ١٤٨٨-١٥١٧م) وكان عالماً فاضلاً محبا للعلم والعلماء تقلّصت في ظلّه العادات الجاهلية، أنشأ مدينة آجرا الحالية، اشتهر بالعدل وتوفير الأقوات وضبط أسعارها وكان يأمر بين الحين والحين بإحصاء الفقراء والمعوزين ويمنح كل واحد منهم ما يكفيه من المؤن ستة شهور، كما عمل على نشر الإسلام في ربوع البلاد فهدم بعض المعابد الهندوكية[2].

سابعاً : الدولة المغولية :

تأسست على يد بابر المغولي بعد أن دخل دهلي عام ٩٣٢هـ/١٥٢٥م بعد موقعة باني بت الحاسمة[3] حيث قضى على اللودهيين وجلس على عرشهم في آكرا وانتصر على الراجبوتيين ومن أعماله :

(١) أمر بمسح كثير من الأراضي وشقّ كثيراً من الطرق ليربط بين مختلف أجزاء بلاده وكان أهمها تعبيد الطريق الطويل الذي يربط بين كابل وآكرا وإقامة منارات به ليهتدي بها السابلة ومنازل للمسافرين والدواب كما أقام البساتين والحدائق[4].

٢ - حضّ عمّاله على إجراء العدل بين السكان جميعا من مسلمين وهنادكة .

---

(١) نفسه ص ١٦١ - ١٦٨ .

(٢) نفسه ص ١٨٥ .

(٣) نفسه ص ٢٤٧ ، الشيال ص ٢٨ .

(٤) الساداتي ص ٢٧٢ - ٢٧٥ .

٣ ـ اقتنى مكتبة قيّمة خاصة به كان عليها قيّم يدعى عبد الله كتابدار .

وفي عهد خلفه همايون بن بابر (٩٣٧ـ٩٦٤هـ) تمكن شير خان سورى أحد الزعماء الأفغان واسمه الأصلي فريد أن يحكم الهند وان يطرد همايون من الهند سنة (٩٤٧ـ٩٥٢هـ)(١) ويعتبر **شير شاه** هذا من بين أمراء المسلمين العظام الذين عرفتهم الهند، فنظم الخراج والإدارة. واهتمّ بأمر الجيش فجعل تحت إمرته جيشا قوامه ٢٠٠ ألفا التزم بدفع نفقاتهم من بيت المال. ونشرهم في كافة أنحاء البلاد وعهد إليهم بحراسة الحقول والمحافظة على أرواح الناس ومتاعهم. ونهض بالبريد ونظمه وحسّن الطرق حتى أنشأ ما يزيد طوله على الألفين من الأميال المعبّدة، وأقام على جانبيها الاشجار ذات الظّلال وأنشأ بها الكثير من محطات المسافرين ومنازل الدوابّ وأباحها للمسلمين والهنادكة على السواء. واعتنى بالعلم والعلماء وطلاب العلم وأنشأ كثيراً من المدارس والمساجد ورتّب الأجور والمكافآت للمعلمين والطلبة على السواء وفتح كثيراً من المطاعم في أنحاء متفرقة بالهند وأباحها بالمجّان للفقراء والمعدمين من أهل البلاد جميعاً مسلمين وهنادكة(٢) .

وبقي همايون في المنفى إلى أن عاد عام ٩٦٢هـ إلى دهلي بمساعدة شاه فارس الشيعي طهماسب وتخلص من خلفاء شير شاه ليقضي نحبه سنة ٩٦٣هـ(٣). فبدأ التأثير الشيعي في البلاد(٤).

وتولى أكبر / جلال الدين أكبر بن همايون ٩٦٣ـ١٠١٣هـ/ ١٥٥٦ـ١٦٠٥م فظهرت في زمنه البدع وانساق فيها وأصيب بالغرور والعتوّ وجرّأه على سياسته المعادية للإسلام وبدعه بعض علماء عصره(٥) فادّعى الألوهية وأجبر الناس على أن يكون سلامهم بينهم «الله اكبر» ويعنى نفسه وأوجب السجود لنفسه بدل السلام، وألغى التاريخ الهجرى وأحلّ محلّه تاريخ

(١) الشيال ص ٦١.

(٢) الساداتي ص ٢٩٤.

(٣) الساداتي ص ٢٩٩، الشيال ص ٥٤ تاريخ الهند الحديث ص٨٦.

(٤) مسعود الندوي ص ٥٦.

(٥) الندوي ص ٦١ ـ ٨٦، الشيال ص ١٠٩ ـ ١١٠ وانظر الساداتي ص٣١١ وص ٣٢٥ـ٣٣٧ عن تقريب الهنادكة والمذهب الإلهي.

جلوسه على العرش وسماه التاريخ الإلهي ومنع ذبح البقر وحلّل الخمر وأباح بيعها على مرأى ومسمع من الناس، وأباح التعامل بالربا والمقامرة وشجّع السفور والخلاعة وأفتى بجواز نكاح المتعة كما تقول الشيعة ومنع الصلاة والأذان في دار الشورى الملكية (ديوان خانة) وحظر على الناس أن يصوموا شهر رمضان ومنعهم من أداء فريضة الحج. وأباح للناس أن يأكلوا لحوم النمر والخنازير والضّواري.

وقد قامت علاقات بين دولة أكبر والبرتغاليين الذين سيطروا على جوا بساحل الهند وسمح لهم ببعث إرساليات نصرانية إلى البلاد.

ورغم ذلك فإن عصره من أزهى عصور الإسلام في الهند، فقد كانت الهند تعجّ بالعلماء والفقهاء والمرشدين والمعلمين وكانت دعائم الإسلام قوية وثابتة الأركان ويدخل الهنادكة الإسلام أفواجاً، ووقف في وجه بدعته الشيخ عبد الحق الدهلوي (٩٥٨-١٠٥٢هـ) الذي أحيا علم الحديث في شمال الهند وقدم السنّة[1]. ونزل ميدان الجهاد الشيخ أحمد السرهندي[2] الذي ظهرت آثار دعوته زمن جهانكير بن أكبر (١٠١٤-١٠٣٧هـ/ ١٦٠٥-١٦٢٧م) فبايعه خلق كثير على متابعة السنة واجتناب البدعة وطفق الأعيان والأمراء يرجعون إلى الإسلام ويثوبون إلى رشدهم ولمّا سجنه جهانكير اهتدى المسجونون إلى الله وأقلعوا عن الجريمة فأمر بالافراج عنه واستجاب لطلباته فأصدر أمراً: بتحريم السجود للملك تعظيماً له، وأبطل التاريخ الأكبري وألغى معظم القوانين المعارضة للتعاليم الإسلامية وحصلت نهضة إسلامية جديدة انتعشت زمن شاهجهان (١٠٣٧-١٠٦٨هـ) الذي كان قد بايع الإمام السرهندي على اجتناب المعاصي واطّراح المآثم وهو بعد أمير[3]. فجعل شعاره: «الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب» وامحت بدعة شعار «الله اكبر». وحرّم السجود للسلطان وحرّم التطاول على مقام الخلفاء الراشدين عند شيعة بلاده. وقضى

---

(١) مسعود الندوي ص ١٠١.

(٢) مسعود الندوي ص ١١٩، الشيال ص١١٨، الجندي - العالم الإسلامي ص٢٩٣.

(٣) مسعود الندوي ص ١٠٣.

على نشاط البرتغاليين الذين عاثوا فساداً وقضى على تجارة الرقيق التي كانوا يزاولونها ولكنه أعطى الإنجليز بعض الامتيازات التجارية[1].

وبلغت النهضة الدينية الذروة في عهد خلفه : أورنكزيب عالمكير[2] (١٠٦٨-١١١٨هـ) محمد محيي الدين. الذي قضى أيامه على خير ما يقضيها مسلم تقي يحفظ القرآن ويصوم أغلب أيامه حتى لا يتردد وأعنف المعارك تدور من حوله في أن ينزل عن دابته فيؤدي الصلاة في وقتها باطمئنان وخشوع بالغين وكأنه يقيمها بالمسجد الجامع أو في داره. وقضى على البقية الباقية من البدع الأكبرية[3]. وبلغ من حرصه على تحقيق العدل لرعاياه أنه أصدر أوامر مشددة لقضاته في كافة أنحاء شبه القارة الهندية بأن يتوافروا على دراسة قضايا الناس ومشاكلهم مع سرعة الفصل فيها بالجلوس خمسة أيام في كل أسبوع بدلا من يومين على الرسم السابق.

وجعل من نفسه قدوة لغيره فلم يلبس إلا بسيط الثياب وعاش على ما كان يكتسبه من نسخ القرآن الكريم وكان يبعث ببعض هذه النسخ هدية منه إلى الحرمين الشريفين وألّف بأمره وإشرافه موسوعة مهمة تحمل أقوال الفقه الحنفي في المذهب وهي المعروفة بالفتاوى الهندية أو العالمكيرية[4].

وقد قام بتأديب قراصنة البرتغال والمتمردين في عهده وحدّ من نفوذ الإنجليز الذي أخذ يتزايد على يد شركة الهند الشرقية الإنجليزية.

وحين اشتدّ به الداء أوصى رجاله أن يقيموا له جنازة بسيطة عند وفاته وأن يسرعوا بدفنه في أقرب مقابر المسلمين ولا يزيدوا في ثمن كفنه على خمس روبيات كان قد كسبها من صنع الطواقي وبيعها، وأن يتصدقوا على الفقراء بثلاثمائة روبية كانت هي كل ما يملكه وما تبقى له من دخله من نسخه للقرآن الكريم وبيعه[5].

---

(١) الساداتي ص ٣٦٥ ـ ٣٦٧.

(٢) الساداتي ص ٤١٢ ـ ٤١٤، مسعود الندوي ص١٢٠، الشيال ص١٦٤.

(٣) مسعود الندوي ص ١٢٣ ـ ١٢٥.

(٤) طبعت في مصر عام ١١٨٢هـ وهي من المراجع المهمة في الأحوال الشخصية.

(٥) الساداتي ص ٤١٤.

الإنجليز يتسللون إلى الهنـــــد :

وشهـدت الـدولـة الإسـلامية المغـولية التفكـك والإنحـلال بعـد وفاة اورنكزيب عام ١١١٨هـ/١٧٠٧م . فتعرضت دهلي للغزو الإيراني على يد نادر شاه زمن السلطـان محمـد شاه[١] (١١٣١-١١٦١هـ/ ١٧١٩-١٧٤٨م) . كما تعـرضت مرة أخـرى لغـزو أحمـد ابـدالي شاه الـذي دخلهـا أيضـا عام ١١٧٠هـ/١٧٥٧م برجاله الأفغان[٢] .

واستفـاد الانجليـز من هذا الصـراع فاستطـاع كلايف مديـر الشـركـة الانجليـزيـة أن يهزم المسلمـين في معـركـة بلاسي[٣]أول المعـارك الحـاسمة بين المسلمـين والانجليـز ١١٧٠هـ/١٧٥٧م وانتصـر الانجليـز بخيـانة جعفر خان حاكم البنغال والعملاء من الهندوس .

لقـد وصـل الانجليز الهند كتجار، إذ منحت اليزابيث الأولى شركة الهند الشرقية امتيازاً عام ١٠٠٩هـ/١٦٠٠م للتجارة الإنجليزية في الهند والأقطار المجـاورة[٤] . وكـان جهـانكـير قد تميز بملاطفته للنصارى فاستغلّ المستعمرون سماحته فقصد أرضه نفر من التجار الهولنديين والبر يطانيين والفرنسيين ، ووصل وليم هوكنـــز الهنـد عام ١٠١٧هـ/١٦٠٨م فكـان أول بريطـاني يظهـر في آجـرا ويلتقي بالسلطان حاملاً رسالة من الملك جيمس الأول[٥] ، فرحب به السلطان ولكنـه عاد دون أن يحقق أهـدافـه ، بقي وليم هوكنز سنتين في الهند يحاول مقابلة السلطـان جهـانكـير فلم يظفـر بما يريـد ، فتضرع أن يأخذ كتاباً منه يحمله إلى انجلترا فرد عليه الوزير الأول قائلاً :

«انه مما لا يناسب قدر ملك مغولي مسلم أن يكتب كتابا إلى سيد جزيرة صغيرة يسكنها صيادون»[٦] ، ثم وصل توماس رو مبعوثاً من ملك الانجليز عام

---

(١) نفسه ص ٤٢٧ .

(٢) نفسه ص ٤٢٩ .

(٣) نفسه ص ٤٣٣ .

(٤) دور السجلات الهندية ص ١١ .

(٥) نفسه .

(٦) عبد المنعم النمر ص ٢٠ .

١٠٢٤هـ/١٦١٥م واستطاع بلباقته أن ينال مكانة لدى السلطان فصار للشركة مصانع في سورات بالقرب من بومبي وفي أماكن عدة[١]. وكسب التجار الانجليز امتيازات أخرى أخذت تزداد على مرّ الزمن ومازالوا يدعمونها بالخبث والدهاء ويثبّتونها بالغدر والخيانة حتى وضعت بريطانيا أيديها على شبه القارة بأكملها .

وفي عام ١٠٤٩هـ/١٦٣٩م استطاعوا استئجار أرض من حاكم تشانديرى أنشأوا فوقها قلعة عام ١٠٥٠هـ/١٦٤٠م سموها قلعة القديس جورج[٢] (حيث توجد مدراس الحالية) وكانت هذه القلعة أول حجر وضع في بناء الامبراطورية الانجليزية. وكانت تنظر الدولة المغولية إلى الانجليز نظرتهم إلى تاجر لا يخشى بأسه .

وفي عام ١٠٥٤هـ/١٦٤٤م منحت الشركة إذناً بإنشاء مصنع في البنغال وأن يعطى تسهيلات تجارية .

وفي عام ١٠٦٢هـ/١٦٥١م حصلت على إذن بتأسيس مصانع في هوجلي ووكالات في باتنا وقاسم بازار وداكا وبالاسور .

وفي عام ١٠٧٩هـ/١٦٦٨م تسلمت الشركة ميناء بومباى الهام من الملك تشارل الثاني .

وفي عام ١٠٨٣هـ/١٦٧٢م حصلت على فرمان من حاكم البنغال المغولي يعفي الشركة من دفع الرسوم الجمركية .

وفي عام ١١٠٢هـ/١٦٩٠م قام أحد موظفي الشركة ويدعى جوب تشارنوك بإنشاء مدينة كلكتا. وتوالت الامتيازات للشركة وأخذت الشركة تعمل بهدوء وحزم لإنعاش حالتها الإقتصادية المادية وللقضاء على الإقتصاديات الهندية بوسائلها الخبيثة المخطّطة .

---

(١) دور السجلات الهندية ص ١١٢ .

(٢) نفسه ص ١١٣ .

وفي عام ١١٢٧هـ/١٧١٥م مرض السلطان فروخ سيار وأشرف على علاجه طبيب إنجليزي يدعى هاملتون وصدر فرمان عام ١١٢٩هـ/١٧١٧م يكافئه بإعفاء البضائع التابعة للانجليز من التفتيش والضرائب ويهب لهم ٣٨ قرية حول كلكتا فأخذ البر يطانيون يتحولون تدريجياً من التجارة إلى الفتح، يساعدهم في ذلك الفوضى والارتباك والضعف والتخاذل، والهنادك يعملون في ركابهم ويتآمرون معهم على الدولة الإسلامية. فكانت معركة بلاسي سنة ١١٧٠هـ/١٧٥٧م السابقة الذكر.

وبعد فترة وجيزة من المعركة تولت شركة الهند الإشراف على الإدارة المالية للبنغال (الديواني) فضمن البر يطانيون السيطرة الفعليّة على أغنى أقاليم الهند قاطبة وأصبحت الشركة سياسية وعسكرية تضاهي في قوتها أعظم الامبراطوريات وأوسعها في التاريخ، واندفعت في نهب ثروات الهند فعرفت تلك الحقبة بفترة السلطة غير المسؤولة وحصل البر يطانيون نتيجة ذلك على كميات هائلة من الأموال شحنت إلى أوربا لحساب الشركة وموظفيها وصارت تحصل على المبالغ اللازمة لابتياع السلع الهندية من الشعب الهندي نفسه. وانتزعت الشركة من عميلها مير محمد قاسم حاكم البنغال اعترافاً بالتنازل عن ثلاثة مناطق من البنغال لتكون اقطاعاً للشركة تستثمرها لتستعين بها على تأليف جيش تضعه تحت تصرفه إذا ما احتاج إليه ومعنى ذلك أن الشركة ألّفت جيشا بمال الهنود ورجالهم لتحاربهم به .

وفي عام ١١٧٧هـ/١٧٦٤م هزم الانجليز المسلمين في معركة بكسر وقد أسفرت عن اتفاقية مع السلطان شاه عالم تنص على إعطائهم حقّ الإشراف المالي على الولايات الشرقية وعلى ولاية كرناتك في الجنوب الهندي وغيرها من المناطق. وتعهد الانجليز مقابل ذلك بأن يدفعوا للسلطان خراجاً سنوياً من الولايات الشرقية بهار واوريسا والبنغال قدره ٢,٦ مليون روبية. وبعبارة أصحّ اعترف السلطان بسلطانهم على هذه الاقاليم أي بيعها بيعاً باتاً لهذه الشركة

التي أصبحت دولة قائمة بذاتها لها جيشها وإدارتها ومنظماتها. ولم يكن السلطان يستطيع غير ذلك .

وتصدى أمير ميسور حيدر علي للانجليز في الجنوب (١١٧٧-١١٩٧هـ/ ١٧٦٣-١٧٨٢م) وهزمهم هزائم متعددة. وكذلك ابنه تيبو سلطان (أسد ميسور) من بعده (١١٩٧-١٢١٤هـ/ ١٧٨٢-١٧٩٩م) وتمكن لورد ويلزلي أن يحطّم قوى أسد ميسور عام ١٢١٤هـ/١٧٩٩م. كما اخضع بونا رأس الإمارات المرهتهية عام ١٢١٨هـ/١٨٠٣م.

واستمر البريطانيون في أساليبهم في تفريق الكلمة وتشتيت الشمل وإلقاء العداوة والبغضاء بين الناس واستثمار كل خلاف لابتلاع مناطق جديدة وكانوا يكثرون من عقد المعاهدات التي لم تكن عندهم إلا قصاصات ورق تنفع لجلب الخير لهم ودفع الضر عنهم ولكنها لا تقيدهم بقيد ولا تلزمهم بعهد. فأصبحوا بذلك عام ١٢٧٣هـ/١٨٥٦م السادة الفعليين لكل انحاء الهند تقريبا فقد استطاعوا أن يقضوا بمهارة وحذر على كافة السلالات الكبيرة في الهند وأزاحوا ورثتها إلى أماكن بعيدة عن مراكز حكمها السابقة .

أدرك المسلمون أن لا بقاء لهم مع الانجليز وقد أصبحوا يواجهون ثالوثا قوياً : الانجليز والهندوس والسيك. فقاموا بثورتهم العامة الشاملة عام ١٢٧٤هـ/١٨٥٧م. عندما أعلن لورد كيننغ (١٢٧٣-١٢٧٨هـ/ ١٨٥٦-١٨٦١م) أن سلطان دهلي بهادر شاه (وهو البقية الرمزية لسلطان الإسلام في الهند) هو آخر شخص يسمح له بحمل لقب سلطان من الأسرة المغولية وآخر من يحق له عقد مجالس سلطانية وسكنى القصر السلطاني. فنزل هذا الإنذار نزول الصاعقة على الهنود لأنهم كانوا يعتبرون السلطان على ضعفه رمز وحدة الهند ورمز السلطة الإسلامية .

فثار الجند في ميرته وأخذوا يقتلون الانجليز رجالاً ونساء وشيوخاً وأطفالاً وأشعلوا النار في منازلهم، وامتدّت إلى دهلي وطارت الأنباء في الهند تحمل البشرى بقرب الخلاص، وثار الجند في كل مكان وتحولت الثورة إلى حرب

تحريرية قادها الأمراء والفقهاء المسلمون، واشترك فيها الشيوخ والرجال والنساء. ولم تستطع بريطانيا استعادة نفوذها إلا عن طريق الخيانة والرشوة، فبدأوا بدهلي وأسروا السلطان بهادور شاه في الحصن الأحمر، ثم أخذوا يستولون على المدن الرئيسية التي كانت فيها المقاومة قوية ومنظمة. ورافقت أعمالهم العسكرية أعمال انتقامية وحشية وأخذوا الناس بالشبهات فساقوا آلافاً من الناس إلى المحاكم التي حكمت عليهم بالموت بعد العذاب الأليم، فيقول أحد الكتاب الانجليز: «ان ما ارتكبه جنودنا من ظلم ووحشية ومن حرق وتقتيل لا نجد له مثالاً في أي عصر»[1].

وحاكم الانجليز السلطان بهادور شاه محاكمة صورية عجيبة ونفوه إلى بورما حيث توفي في رانجتون عام **١٢٧٩**هـ/**١٨٦٢**م. وأعلنت بريطانيا تولي التاج البريطاني لحكومة الهند في إعلان نوفمبر (تشرين الثاني) سنة **١٢٧٥**هـ/**١٨٥٨**م. وانتهت السيادة الإسلامية على شبه القارة.

سياسة الانجليز تجاه المسلمين في الهند:

منذ أن وطئت أقدام المستعمرين الانجليز أرض الهند وهم يتبعون سياسة واحدة لا يحيدون عنها، تتمثل في كسر شوكة المسلمين في البلاد، باعتبارهم العدو الوحيد المناهض لأساليبهم الاستعمارية، فقد أعلن الحاكم البريطاني اللورد النبرو: «ان العنصر الإسلامي في الهند عدو بريطانيا اللدود، وان السياسة البريطانية يجب أن تهدف إلى تقريب العناصر الهندوكية إليها لتساعدهم في القضاء على الخطر الذي يتهدد بريطانيا في هذه البلاد».

فاشتد الانجليز في هجمتهم على المسلمين بعد إنهاء الثورة، واستولوا على أراضيهم، ففقد المسلمون أملاكهم الواسعة ولم يبق لهم سوى **٥**٪ من أراضيهم التي كانوا يملكونها من قبل، وسدّت في وجوههم أبواب الرزق في الدواوين وصودرت أملاكهم.

---

(١) الشيال ص ١٥٠ وما بعدها.

وقررت الحكومة الانجليزية مناهج للتعليم في مدارسها تنفر المسلمين من ارتيادها إن أرادوا أن يبقوا مستمسكين بعقائدهم ، فأخذوا في التخلف عن الهندوس كثيراً ، وعاشوا في شقاء لم تعرفه الإنسانية في أحلك عصورها .

وضيّقوا الخناق على العلماء وحملة الدين .

واتخذوا الهند سوقاً احتكارية لبريطانيا ، فشجعوا صناعاتها على حساب الصناعة الهندية المحلية .

وملك الانجليز المزارع الكبيرة ، وانتشرت المجاعات وفقدت الهند وخاصة المناطق الشمالية الإسلامية حوالي ٩٪ من سكانها في خطة للحكومة حتى لا تقوم للمسلمين قائمة(١) .

وأكثر الانجليز من الحملات التبشيرية لمحاربة الإسلام ، وقد أخذت هذه تقذف الإسلام بسهام الإنتقادات والإعتراضات لتحدّ من انتشار الإسلام بين الهندوس .

وروّج الانجليز الإلحاد والفساد بتصدير الحضارة الغربية للقضاء على أخلاقيات الإسلام ومثله ، ونشروا الخلاعة والمجون والإباحية . ووسّعوا الخرق بين المسلمين والهندوس وغيرهم من طوائف الهند ، بتشجيع الأحزاب القومية والعلمانية ، وشجّعوا الحركات المناهضة للإسلام وخاصة الحركة القاديانية التي تمثلت في شخصية ميرزا غلام أحمد القادياني الذي عمل على محاربة مبدأ ختم النبوة . وحارب الجهاد وألغى وجوبه ، وعمل على الأمر بطاعة الانجليز والولاء لهم(٢) .

وعمل الانجليز جهدهم على تشويه تاريخ المسلمين بالهند ، وقلب صورته للأجيال .

---

(١) هذه هي السياسة الاستعمارية الغربية ، التي لا تريد إلا مصلحتها ، فتفتعل المجاعات لإحكام سيطرتها على العباد ، بتكوين طبقة تدين بوجودها للمستعمر تنفصل إنفصالاً عن أمتها وتشن ضدها الحرب العوان ، طبقة طفيلية لا يتيسر لها البقاء إلا ببقاء المستعمر وهيمنته . قارن ذلك بالحكم الإسلامي للهند الذي استمر ألف سنة ، كانت إذا انتشرت المجاعة فتح الحكام المسلمين المطاعم المجانية في جميع أرجاء الهند للمسلمين والهندوس على السواء فتمر المجاعة بسهولة ، ودون أن تؤثر على كيان المجتمع .

(٢) انظر عبد الله سلوم السامرائي في كتابه القيم ـ القاديانية والاستعمار الانجليزي وانظر ـ القاديانية لإحسان إلهي ظهير .

في ظل هذه الأوضـاع السيئـة للمسلمـين ظهر سير أحمد خان الذي لعب دوراً هامـاً في سيـاسـة المسلمـين في الهنـد في الفـترة (١٢٧٥-١٣١٦هـ/ ١٨٥٨-١٨٩٨م) فقـد سعى سعيـه لإصلاح ذات البين بين المسلمين والحكومة الانجليـزيـة، وأسس عام ١٨٧٥م جامعـة عليكـرة بمساعدة الانجليز وبعض الشخصيـات الإسـلاميـة المـواليـة لهم وعلى رأسهم أغـاخـان لتزويد المسلمين بالأسلحة الجديدة من الثقافة والعلوم الغربية واللغات الأجنبية، وقد لجأ وأعوانه أحيـانـاً إلى تحريف الكتـاب الكـريم لما يوافق آراءهم ونظـريـاتهم فشجبـوا الجهاد[١]. ومن آرائه السياسية التي ركز عليها :

١ ـ ان الهند هي شبه قارة وليست دولة .

٢ ـ ان المسلمين والهندوس يشكلون أمتين لا أمة واحدة .

٣ ـ ان الانفصال بين المسلمين والهندوس أمر حتمي .

ولـذلـك حارب فكرة حزب المؤتمر الوطني الهندي . التي كانت فكرة رجل انجليزي هو مستر ألن هيوم وعرضها سنة ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م على اللورد دفرن فاهتم بها واعتقد أنه من خلال احتضان هذا التنظيم تستطيع الحكومة أن تقف على وجهـة نظـر الـرأي العـام الهنـدي وتجعـل منـه صمام أمن فناقش خطته مع القيـادات الهنـديـة واجتمـع المؤتمر الهندي لأول مرة تحت رئاسة بترجيا المحامي البنغالي . وقد أخذ حزب المؤتمر هذا يميل إلى العصبية الهندكية وإحياء القومية الوثنية القديمة ويصبغ أعماله بصبغة الديانة البرهمية وبعث اللغة السنسكريتية . ويعلن الولاء التام للحكومة البريطانية أولاً ويكيل لها ولأعمالها في الهند المديح والثناء[٢] .

---

(١) أخذ سير أحمد خان (واتباعه) يبدي في الدين بآراء حديثة له تتفق وعقليته واتجاهه وزاد فأقدم على تفسير القـرآن متخـذا من عقله هو أسـاسـا لهذا التفسير غير ملتزم للألفاظ ودلالتها ولا لما أجمع عليه علماء المسلمين على مرّ الزمن فأنكر الجنة والنار والملائكة والجن وأخذ يشتم الأئمة الفقهاء ويستهزىء بالمحدثين وبالشعائر الإسلامية . (عبد المنعم النمر ص ٤٥) كما يقـول المؤرخ الهنـدي العليكـري السيـد طفيـل أحمـد في كتـابـه (هندستان كاروشن) أي المستقبل المضيء ص١٧٣ برغم تعصبه لجامعته ومؤسسها .

كما قرر في تفسيـره : أن القـرآن نزل على الـرسول ﷺ بالمعنى فقط ثم صاغ الرسول ألفاظه من عنده . (عبد المنعم النمر ص ٤٥) .

(٢) عبد المنعم النمر ص ٥٣ .

واشتـــدت مطـالبـة الهنـود بالقـوميـة الهنـديـة وبلغت أوجهـا بين عامي (١٣٢٣-١٣٢٧هـ/ ١٩٠٥-١٩٠٩م). وبعد عام ١٣٢٩هـ/١٩١١م انضوى فيهـا القـادة المعتـدلـون مع الغلاة. ومن الغلاة الهندوس المتعصب تيلاك الذي تعتبره الهند الحاضرة أحد الرواد في بناء الهند الحديثة[1].

فبدأت فكرة الانفصال بين المسلمين والهنادكة وغذاها المفكرون الانجليز منـذ البـدايـة لتخدم أغراضهم فويلفريد سكاوبن بلنت الكاتب الشهير والذي جال الهنـد أيـام لورد ربن اقـترح في كلكوتا ١٣٠١هـ/١٨٨٣م أن توضع جميع الأقاليم الكائنة في شمال الهند تحت حكومة إسلامية وتوضع أقاليم الجنوب تحت حكـومـة هنـدوسيـة وتظـل بريطـانيا تمارس سلطاتها في الإدارة والحكم مستمدة التأييد اللازم لها من القوات البريطانية المتمركزة في كل اقليم .

وبدأت هذه الأفكار تتسرب إلى المفكرين المسلمين في الهند فعبد الحليم شرار ((١٢٧٧-١٣٤٣هـ/ ١٨٦٠-١٩٢٤م) الـروائـي والصحفي البـارز بدأ يحس منـذ عام ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م بأن تقسيم الهنـد هو الحـل الـوحيـد لمشكلة المسلمين والهندوس .

وأمـا الطـاف حسـين ـ حالي ـ الـذي كتـب قصيـدة مسـدس عام ١٢٩٧هـ/١٨٧٩م تحت عنـوان المـد الإسـلامي وجـزره من ٢٨٠٠ بيت وركز على نهضـة المسلمـين في شبـه القارة فقد حذر المسلمين من الديمقراطية الغربية وبين لهم أنها ستنتهي بهم إلى أن يصبحوا غرباء في أرضهم، وقال في شعره :
وداعاً لك ياجنة الهند الدائمة الخضرة فنحن الأجانب
قد مكثنا طويلاً في هذه البلاد ضيوفاً عليك

وتم في عام ١٣١١هـ/١٨٩٣م تأسيس ندوة العلماء وفتحت أبوابها لكل من يريـد المشـاركـة فيهـا من المؤمنـين بالله ورسـوله. وأسس هؤلاء العلماء دار العلوم التابعة للندوة ١٣١٦هـ والغاية منها ألّا تتسع شقة الخلاف بين المتجددين والجـامـدين، وتعهـدهـا شبلى النعماني الذي كان قد ساعد أحمد خان في انشاء عليكـرة وكـان أشد حرصاً منه في الحفاظ على التراث الفكري الإسلامي وأشد

(١) عبد المنعم النمر ص ٥٧ .

إيماناً بأهمية هذا التراث وعمل على بعث تاريخ الإسلام . وكشف أخطاء جرجي زيدان في كتابه التمدن الإسلامي ودعا إلى مخطط جديد للتربية والتعليم بين مسلمي الهند وحاول تنفيذه في دار العلوم ودعا إلى تدريس اللغة العربية كلغة حية للقرآن .

واجه المسلمون الاحتلال البريطاني بإرادة صلبة ورفضوا العلم في مدارس الإرساليات التبشيرية البريطانية وأنشأوا مدارسهم بنقودهم القليلة وأنشأوا الكليات، ثم برزت جمعياتهم من تحت حراب الاحتلال فكانت جمعية علماء الهند في امبالا والبنجاب ولها فروع في مختلف البقاع مهمتها المزدوجة هي :

١ ـ مكافحة حركة اريا سماج التي شجعها البريطانيون بالدعوة إلى تخليص الجنس الآرى وهي حركة تدعو إلى الوثنية القديمة شبيهة بالدعوات التي أثاروها ـ في مصر بالفرعونية وفي لبنان بالفينيقية وفي المغرب بالبربرية ـ .

٢ ـ إرسال دعاة يعلمون المسلمين المتأخرين .

وبرزت جمعية حماية الإسلام في كل مدينة تعنى بتعليم المسلمين (ومركزها في لاهور) تعمل على دحض الافتراءات والشبهات الموجهة للإسلام والعناية بأيتام المسلمين .

كما برزت عشرات من الجماعات والمدارس والمعاهد، (مثل ديوبند، الجامعة الملية، دار العلماء، الجامعة العثمانية . .) .

ولما كانت بريطانيا حريصة بالقضاء على علماء المسلمين أو تحويلهم عن القيم الأساسية لمفاهيم الإسلام الجوهرية وخاصة مفهوم الجهاد وترابط الدين والمجتمع ـ لذا عمدت إلى أن تحول بين العلماء والقادة الذين فهموا الإسلام فهماً صحيحاً دون قيادة المسيرة، ونجحت في إقصائهم وحجبهم عن مكان الصدارة والقيادة، فالذي حمل لواء الرابطة الإسلامية كانوا ممن تخرجوا من الكليات العصرية ولم يكن لهم سابق علم ولا معرفة بالإسلام ومبادئه ونظمه الخالدة. شأن السياسيين الذين تصدروا بعد الحرب الأولى للقيادة في اندونيسيا وفارس وتركيا وافغانستان والعالم العربي .

ومن المفكـرين الـذين أسهمـوا في إيقـاظ المسلمين محمد إقبال الذي بلغ غايـة القـوة والعمق في الدعوة إلى ايقاظ المسلم وشجب نزعة الجبر ية والتصوف فقـد درس في كليـة من الكليـات العصرية ثم سافر إلى أوربا ودرس في كمبردج وبرلين ونال الدكتوراه في الفلسفة وتعاطى المحاماة بعد رجوعه مدة من الزمن ثم تركهـا، اشتهـر بقـرض الشعـر ونشـر دواوين عديـدة باللغتين الفارسية والأردية ضمنها آراءه في السياسة والحضارة الغربية ودسائس الأوربيين ومكايدهم. وحث المسلمين على الاستمساك بعروة الدين وعدم الانخداع بأباطيل الغرب المموهة وأظهر رأيه في مؤتمر الرابطة الإسلامية ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م بتأسيس دولة مسلمة في الناحية الشمالية الغربية من الهند ووقف موقفا صلباً إزاء القاديانية ومؤسسها غلام أحمد الذي ادّعى النبوة.

بدأت فكـرة تحريـر الهنـد واستقـلالهـا عنـد المسلمـين فألفت الجمعيـة الإسـلاميـة العـامـة الـرابطـة الإسـلاميـة لعموم الهند[1] في لكنو (بومباى) عام ١٩٠٦م بزعامة محمود الحسيني واستمرت تعمل سرا عشر سنين إلى أن اكتشفها الانجليـز فأمـروا محمود الحسيني أن يغادر الهند وقبضوا على أعوانه : أبو الكلام أزاد، حضرت مهانى، ظفر الله خان، محمد على، شوكت على.

وتأسست جمعيـة الخـلافـة لانقـاذ الخـلافـة من الاعـداء الطـامعين عام ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م برئـاسـة غلام محمـد فتـو، وميـان محمد حاجي خان الذي تسلل لها غاندى وجعل يشير عليها باستئلاف الهنادكة فقبل الأعضاء نصحه عن حسن نيـة ونـدبـوه للسعي إلى ذلـك. ثم نصحهم بالانضـمام إلى الكونجرس (حـزب المؤتمـر) فانضمت إليـه جمعيـة الخلافة وتبعتها بقية الأحزاب الإسلامية المعروفة اعتمادا على الثقة بغاندى. وعقد المؤتمر سنة ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م حيث عرض الأعضـاء المسلمـون فكـرة استقلال الهند بدل : إصلاح حالة الهند التي كان يتبناها المؤتمر.

ولمـا أظهـر المؤتمـر نيـاتـه وتعاونه مع الانجليز انفصلت جماعة عظيمة من المسلمـين وكبـار زعـمائهم عنه عام ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م ولم يبق فيه إلا أبو الكلام

---

(١) انظر بير زاده ص ١٠٧، حاضر العالم الإسلامي ج٤ ص ١٨٧.

آزاد وشرذمة من أتباعه وأعضاء جمعية العلماء الشهيرة. فبدأت الحملات بين الفريقين. وحث هذا الأمر المسلمين على الحلم بدولة إسلامية في الهند تضم المسلمين وقفز إلى الزعامة القومية المسلمة عام ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م محمد على جنه، الذي نشأ نشأة إفرنجية خالصة بين طائفة من الإسماعيلية، والذين أجابوه لدعوته كانوا من الذين غذوا بلبان الثقافة الغربية وتخرجوا في الكليات العصرية وكل ما قاموا به من الحفلات والمؤتمرات جاءت على غرار الجمعيات السياسية العصرية لا تجد عليها مسحة من الدين أو الطابع الخلقي الإسلامي الذي يميزها عن غيرها من خصال غير المسلمين(١).

وأصبحت الرابطة المسلمة تضم أعوان الاستعمار والشيوعية وأنصار الكماليين ودعاة القومية المتطرفة والوطنية الجغرافية والإسلام الجغرافي ممن اتسم بسمة المسلمين وتسمى بأسمائهم ـ فنزعت نزعة التفرنج والإلحاد والزندقة واتّحدت كلمة الصحف المنتسبة إليهم على الطعن في العلماء والزراية على حملة الدين والسخرية من شعائر الإسلام وعدم الاكتراث لأوامر الشرع ونواهيه(٢).

وفي عام ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م انتقل جزء من الحكم في المقاطعات الهندية إلى الأهالي وتبوأ الوطنيون مناصب الوزارة والإمرة في سبع مقاطعات من الهند، فكان ذلك بمثابة انفجار البركان لأنه كشف به عن عورات الهنادك وظهرت نياتهم تجاه المسلمين، فنبه أبو الأعلى المودودي لذلك واجتمع ٧٥ رجلا في أول شعبان ١٣٦٠هـ/١٩٤١م بمدينة لاهور وأسسوا الجماعة الإسلامية وانتخب أبو الأعلى المودودي أميراً لهذه الجماعة للسير على المناهج الإسلامية .

ولما أصبح جناح زعيماً للرابطة الإسلامية لعموم الهند عام ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م طالب بتقسيم الهند وشهد عام ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م عددا كبيراً من المشروعات والمقدمات التي تدعو إلى إقامة دولة أو دول إسلامية. واجتمعت اللجنة العاملة للرابطة الإسلامية لعموم الهند عام ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م وقررت معارضة مشروع الإتحاد الفدرالي الذي تضمنه قرار

---

(١) مسعود الندوي ـ الدعوة الإسلامية في الهند ص ٢٥١ .

(٢) نفسه ص ٢٥٥ .

حكومة الهند عام ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م ودعت إلى تقسيم البلاد إلى هند إسلامية وهند هندوسية .

وفي ٢١ مارس آذار عام ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م تم صياغة قرار لاهور بإنشاء الدولة الإسلامية ـ باكستان ـ في الهند . ثم جعل هذا القرار مبدأ وعقيدة للرابطة الإسلامية . وتتابعت الأحداث حتى تم التقسيم عام ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م بموجب قرار استقلال الهند الذي نص على أن الدولة التي تضم الأراضي الإسلامية ستعرف باسم باكستان والهندوسية باسم الهند .

ولما أدرك الهنادكة أن لا مفر من التقسيم بدأوا يعتدون على المسلمين في كل مكان يقتلون الشيوخ والنساء والأطفال ويهتكون الأعراض ويهدمون المنازل ويحرقونها ، وعندما اختار نائب الملك ـ نهرو ليكون نائب رئيس الوزراء عام ١٣٦٦هـ/١٩٤٦م وأهمل الرابطة وزعيمها جناح ، حمل جناح على هذا التصرف حملة شعواء ودعا المسلمين للاحتجاج عليه برفع أعلام سوداء على بيوتهم ومتاجرهم كاحتجاج صامت على تولى الهندوس السلطة فارتفعت ملايين الأعلام السوداء في كل مكان فكان هذا كافياً لتجدد الاضطرابات فكثرت المذابح الطائفية التي ذهب ضحيتها عشرات الآلاف من المسلمين وانتاب الفريقان نوبة هستيرية فأخذوا في التذبيح والتقتيل من غير عاطفة إنسانية في كلكتا وبهار والأقاليم المتحدة ، ومثل بجثث القتلى وارتكبت الفظائع .

وانتصرت فكرة التقسيم وخرج المسلمون بقسمة ضيزى وتكونت باكستان[1] من قسمين شرقي وهو البنغال وعدد سكانه ٤٢ مليونا آنذاك

(١) أن المعنى الحرفي لكلمة باكستان هو أرض الأطهار ، وهي مؤلفة من كلمتين باك وستان (نشأة باكستان ـ بير زادة ص ٤١) .

وقد اشتقت من الحروف الأولى لكل من البنجاب ، اقليم الحدود الشمالي الغربي (الذي يسمى اقليم الأفغان) كشمير ، سند ، ونهاية بالوشيستان ، ويزعم البعض أن مقطع ستان مأخوذ من بالوشيستان وبانغيستان وهو اسم شعبي شائع لبنغال إلا أنه ليس ثمة دليل يؤكد ذلك . وهي اسماء أجزاء من الهند يستوطنها أغلبية ساحقة من المسلمين . (بير زاده ص٤٣) .

وأول من وضع هذا الاسم هو تشودرى رحمة علي عام ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م نشأة باكستان ـ (بير زاده ص٤٥) . واقترنت بقرار لاهور عام ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م الذي أقرته الرابطة الإسلامية . (بير زاده ص٥١) .

ومساحته ١٤٢,٧٧٦ كم٢، وغربي وهو ولايات الحدود الشمالية الغربية وبلوخستان والسند والبنجاب الغربية وعدد سكانه آنذاك نحو ٣٣ مليونا، ومساحته ٨٠٣,٠٠٠ كم٢. يفصل بينهما حوالي ٢٠٠٠ كم من أراضي هندستان ولم يكن سبيل للاتصال بينهما إلا طريق البحر وتبلغ مسافته نحو ٤٨٠٠ كم. وبقي في هندستان أقلية إسلامية كبيرة العدد ـ حوالي ٥٠ مليونا ـ آنذاك.

واستمرت المذابح التي حمل لواءها السيخ وعلى رأسهم تاراسنغ وعصابته مهاسبها (أي الجمعية الوطنية العظمى) الهندوكية المتعصبة. ففي الوقت الذي كان فيه زعماء المسلمين أعضاء الرابطة المسلمة يقيمون الإحتفالات والمهراجانات في وسط العاصمة ـ كراتشي ـ فرحاً بالاستقلال وسروراً بتسلّم مقاليد الحكم ـ كانت الحرمات تنتهك في مدن البنجاب الشرقية وقراها وتهدم المساجد وتحرق المصاحف وتداس بالأقدام وكان شعار السيخ في هتافهم: «الموت للباكستان» ولما كان المسلمون قلة في البنجاب الشرقي فقد افترسهم السيخ إلا القليل من فرّ إلى الباكستان. ويؤخذ مما نشرته الصحف غير الإسلامية أن مذابح المسلمين في باتيالا عاصمة ولاية السيخ بلغت مالا يقل عن ١١٤ ألف إنسان.

وعملت جمعية مهاسبها الهندوكية على إثارة الشعور وإلهاب حماس الجماهير بنشر ألفاظ نارية سرعان ما تسرى كالنار بين جموع الغوغاء ـ فقد عزم المسلمون على تكريم شهدائهم في ٣٠ أغسطس ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م فأذاعت الجمعية منشوراً جاء فيه:

«تذكّروا يوم ٣٠ أغسطس فهو يوم الشهداء... انه يوم يجب عليكم أن تقتلوا فيه كافة المسلمين وكذلك أطفالهم ونساءهم، كما يجب عليكم أن تضعوا نصب اعينكم الاستيلاء على دورهم عنوة، واشعلوا النيران في كل مكان واجعلوها مستعرة حتى تبيد محلات المسلمين، ولكن حذار فقد تتسرب إلى أماكن الهندوس والسيخ»(١).

(١) من مأساة دهي ص ١٢، ١٣. عبد المنعم النمر ص ٢٥٩.

وكان المسلمون منتشرين في كل مكان بالهند فكانوا في أي مكان بين فكي الأسد وصيداً سهلاً للعابثين. وتحمل المسلمون في دهلي النصيب الأوفى من هذه المأساة إذا استثنينا ما حدث بالبنجاب فقد كانت دهلي عاصمة الدولة الإسلامية في الهند وفيها مسلمون كثيرون لهم متاجرهم ودورهم ومصالحهم ومساجدهم وأحياؤ هم التي ينفردون بها أويكثرون فيها وتضم كثيراً من الآثار الإسلامية الرائعة، وكان من نتيجة التقسيم أنْ خَلا جهاز الشرطة الهندي من الرجال المسلمين ضباطا وجنودا وكذلك الجيش فقد جردوا من عملهم فاختل الميزان وقاد السردار باتيل من زعماء حزب المؤتمر ونائب رئيس الوزراء حملة الحقد على المسلمين وكان وزيراً للداخلية وفي يده صمام الأمن ووصف الجماعة الأرهابية راشتر يا سويك سنغ الهندوكية المتعصبة بأنهم ليسوا مجرمين وإنما هم وطنيون متعصبون لوطنهم. فاقترفوا الإفساد والتقتيل وقاموا بأعمال السلب والنهب في حين كان رجال البوليس يراقبون الجرائم فلا يتدخلون لقمع العدوان بل كانوا يسهمون فيه أحياناً. واعترف غاندى في إحدى خطبه أن ١٣٧ مسجداً في دهلي القديمة والجديدة دنسها السيخ والهندوس ووضعوا في بعضها الأصنام والتماثيل. وقد وقع في دهلي وحدها ما يقرب من ثلاثين ألفاً من المسلمين غير المصابين بإصابات مختلفة، غير مئات الآلاف الذين وقعوا ضحايا في القطارات الذاهبة إلى باكستان.

وفي ٣٠ ينايـر عام ١٩٤٨م أغتيل غاندي في نيودلهي، فقد اعتبره الإرهابيون حجر عثرة في طريق تنفيذ مخططاتهم.

كان إلى جانب المستعمرة التي قسمت والتي كان يحكمها الانجليز حكماً مباشراً (٥٦٥) إمارة هندية، يطلق عليها الهنود اسم (رياست) وإذا كان الأمير مسلماً سمي (نواب) وإذا كان هندوكيا سمي (راجا أومهراجا). وكانت هذه الإمارات تسيطر على ٤٥,٣٪ من مساحة شبه القارة الهندية[1]. وأعطيت هذه الإمارات (وبخبث من المخططين الانجليز) الحق في الانضمام إلى إحدى الدولتين، وقد تم ذلك فعلاً فطويت صفحات هذه الإمارات بصورة آلية إلا

(١) مجلة الأمة ـ العدد ٣٢ السنة ٣، شعبان ١٤٠٣هـ أيار (مايو) سنة ١٩٨٢م.

أربعاً منها كان لها وضع خاص وهي كبورتهله، وجوناكده، وحيدر آباد ـ الدكن، وكشمير.

فإمارة كبورتهله كانت إمارة صغيرة أميرها هندوكي و٦٥٪ من سكانها مسلمون، فخشي هذا الأمير أن يطالب المسلمون بالإنضمام إلى باكستان فأعمل فيهم السيف، فقضى على من قضى وشرّد من شرّد بمساعدة الحكومة الهندوسية، وضمّ الإمارة إلى هندستان.

وأما إمارة جوناكده: فهي الأخرى كانت صغيرة وأميرها مسلم وأكثرية أهلها هنادكة، فاختار أميرها الانضمام إلى باكستان فاحتجت الهند وأرسلت الجند فاقتحموها، واستولت عليها الهند وفر أميرها ملتجئاً إلى باكستان.

وأما إمارة حيدر آباد: ـ دكن ـ فقد كانت دولة كبيرة مساحتها **٢٢٠** ألف كم٢، وكان عدد سكانها يزيد على **٢٠** مليون نسمة، وعلى الرغم أن أكثرية الناس كانوا هنادكة، فأميرها مسلم، وكان محبوباً عند الجميع، وكان قد أسس هذه الإمارة السلطان المسلم علي قطب شاه، ولقب سلطانها باسم «نظام». وكانت شبه مستقلة تصدر عملة خاصة وطوابع خاصة[١].

واستعملت الهند كل أنواع الضغط لإجبارها على التنازل عن استقلالها فحاصرتها اقتصادياً وارسلت إليها عصابات مسلحة تتحرش بها، وعملت على إثارة الهنادكة من الداخل حتى انه لم يسع تشرشل المعروف بعدائه للمسلمين إلّا أن يصرح فى مجلس العموم بقوله:

«إن الحصار الذي تفرضه هندستان على إمارة حيدر آباد حصار شرس، ويشبه من وجوه كثيرة الحصار الذي فرضه الاتحاد السوفييتي على مدينة برلين، فقد قطعت هندستان عن حيدر آباد حتى العقاقير الطبية والأجهزة الصحية، ومعدات المستشفيات»[٢].

وطالبت حيدر آباد باستفتاء حر تحت إشراف الكومنولث البريطاني، ومحكمة العدل الدولية أو لجنة مؤلفة من دولة محايدة، ولكن نهرو رفض قائلا:

---

(١) مجلة الأمة العدد ٣٢ السنة ٣ ص ٣٧.

(٢) نفسه ص ٣٧.

«إن الهند لن تغامر بقبول الإستفتاء، أما إذا كانت حكومة حيدر آباد تَرغب في الاستفتاء، فعليها أن تنضمّ إلى هندستان أولاً، ثم يستفتى الشعب بالانضمام أو عدمه».

وأخيراً قامت الهند بغزو الإمارة عام ١٣٦٨هـ / ١٩٤٨م أثناء اجتماع مجلس الأمن لمناقشة قضية حيدر آباد، مدّعية أنها تقوم بعملية بوليسية لتأديب العصاة[١]. فطويت صفحة الإمارة وطوي معها تاريخ إسلامي حافل بالمآثر والفداء والتضحية.

وأما إمارة كشمير فسنتناول مشكلتها بشيء من التفصيل.

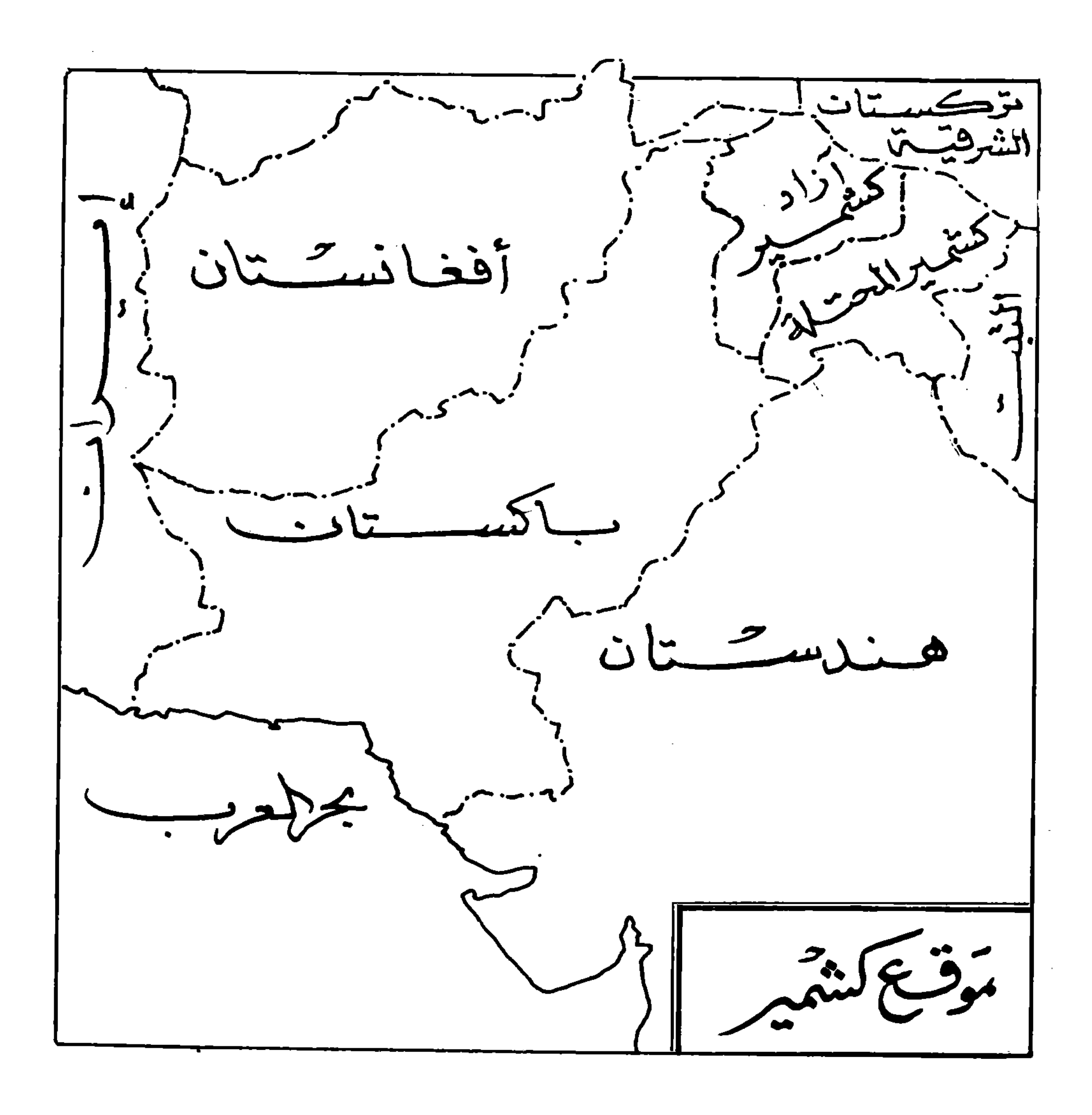
قضية كشمير

تقع كشمير في الشمال الشرقي من باكستان، وتحيطها باكستان من جزء من شمالها الغربي ومن غربها ومن جزء من جنوبها الغربي، وتحدها الصين الشعبية من جزء كبير من شمالها ومن شرقها ومن جزء صغير من جنوبها الشرقي، وتحدها هندستان من جزء من جنوبها.

مساحتها ٢١٧و٩٣٥كم²، وعدد سكانها حالياً حوالي تسعة ملايين نسمة، تبلغ نسبة المسلمين أكثر من ٩٠٪، والباقي من الهندوس والسيخ والبوذيين[٢]. وكانت تشمل حتى وقت تقسيمها على ثلاثة مناطق هي: جمو وكشمير ومناطق الحدود.

وهي بلاد جبلية فيها سهلان أو واديان هما وادي جمو ووادي كشمير طيبة المناخ كثيرة الأنهار والغابات وأنهارها الكبيرة هي السند وجليم وجناب وهي الأنهار التي تنساب إلى باكستان وترويها، وهي أجمل بلاد العالم من حيث مناظرها الطبيعية ومناخها بارد وتغمر بعض مناطقها الثلوج شهوراً طويلة من

(١) نفسه ص ٣٨.
(٢) مجلة المجتمع الكويتية ـ العدد ٦٠٦ ـ.



السنة، وفواكهها وخضارها غزيرة. وأخشابها تمثل ثروة طبيعية هامة، وتربى في مراعيها أعداد كبيرة من الماعز الكشميري المشهور بصوفه الكشميري الثمين. وتم اكتشاف الياقوت فيها عام ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م. عدا معادنها الثمينة الأخرى[1].

(١) مجلة المجتمع الكويتية العدد ٦٠٦ ص ٣٢.

فهي فى موقع جغرافي حساس من وجهة النظر الاستراتيجية ذلك لأنها تضم الممرات والثغرات فى المرتفعات الشاهقة الوعرة، وأنها تحكم التحركات على الطرق ومحاور الاتجاهات بين أرض الهند وشبه القارة بصفة عامة وبين أرض التبت من وراء الجبال شمالا، وكأنها بذلك أحد الأبواب التى تقيم الصلة بين الهند وآسيا.

وصول الإسلام إلى كشمير :

وصلها الاسلام مبكراً فى أواخر القرن الأول الهجري وفتحها هشام بن عمرو التغلبي والي السند فى عهد أبي جعفر المنصور (١٣٦ـ١٥٨هـ)[١]. وزاد انتشار الإسلام في عهد المعتصم ٢١٨/٢٢٧هـ وتمكن فيها فى مستهل القرن الرابع عشر الميلادى عندما وصلها داعية اسمه بابل أمكنه أن يقنع أحد حكامها باعتناق الإسلام فسمى نفسه صدر الدين فكان أول حاكم مسلم لكشمير. واستفحل الإسلام على يد الداعية سيد علي الهمذاني الذى وصلها حوالى عام ٧٢٩هـ / ١٣٨٨م من فارس. وصحبه فى هجرته تلك أكثر من ٧٠٠ داعية مسلم. وأصبحت جزءا من الدولة الإسلامية الهندية منذ عام (٧٤٠هـ ـ١٣٩٩م)[٢]. وقامت بدورها فى نشر الإسلام وحمله إلى التبت على يد تجارها وقد وصل الإسلام التّبت أيضا عن طريق يونان.

ولما ضعفت دولة الهند الإسلامية استطاع أن يسيطر السيخ على كشمير بزعامة المهراجا رانجيت سنك عام ١٢٢٤هـ / ١٨٠٩م.

وهزم الانجليز السيخ عام ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م وأبقوا عميلهم كولاب سنغ الهندوكى أميراً على كشمير المسلمة مقابل ٧,٥ مليون روبية ثمناً لولايته دفعها للحاكم البريطاني لمدة مائة عام. كما تقرر فى معاهدة أمريستار عام ١٢٦٣هـ / ١٨٤٦م على أن يعترف بالسيادة البريطانية عليه مثلما حدث فى سائر الإمارات[٣]. فبدأت مأساة كشمير وبدأ الظلم يعمّ أهلها فعلى الرغم من

(١) حسن ابراهيم ــ تاريخ الاسلام ج ٢ ص ٢٥١.
(٢) مسعود الندوي ــ الدعوة الاسلامية ص٣٢٩.
(٣) البلدان الاسلامية ص ٢٦١.

خيراتها الكثيرة وامكاناتها الواسعة أصبحت فى أسوأ حال بسبب طغيان كلاب سنغ وخلفائه.

حال المسلمين في ظل حكم كولاب سنغ :

كان حكم كلاب سنغ مضرب المثل فى الضرائب التعسفية والقوانين الجائرة وسوء معاملة الرعية.

وكان عبء هذه الضرائب يقع بصفة مباشرة وغير مباشرة على المسلمين بصفتهم أغلبية السكان بل كان الحاكم يفرض على المسلمين ضرائب خاصة كالضرائب التى فرضها على الأضحية التى يضحى بها المسلمون فى عيد الأضحى.

وكان يسمح لغير المسلمين بحمل الأسلحة بغير ترخيص، أما المسلمون فلا يحملونها إلا بتصريح يحصلون عليه بشق الأنفس. وكان ذبح البقر ممنوعاً فى الإمارة.

وإذا اعتنق الهندوسى الإسلام يفقد كل حقوقه فى الميراث، بينما إذا ارتد المسلم عن دينه تترك له كل أملاكه، وكانت نسبة غير المسلمين فى الوظائف تصل إلى ٨٠٪ وأما الجيش فكان ٨٥٪ من غير المسلمين. وكانوا يستوردون الجنود من خارج الولاية لأن غير المسلمين فى الولاية لا يسدون العدد الكافى. فى حين كان يضطر المسلمون إلى الانضمام للجيش الهندى البريطانى.

وكان اسم المسلم مرادفا لإسمي الحطاب أو السقاء، ويعهد إليه بكل نوع من الأعمال الحقيرة القذرة، فى حين كان الهندوكي محترماً فى أنظار المجتمع.

المقاومة الإسلامية لسياسة السيخ : يعتبر الشاعر الدكتور محمد إقبال أحد أبناء كشمير، وكان لفلسفته دور كبير فى بعث روح الإيمان والجهاد لدى المسلمين فى كشمير، فدارت أول معركة بين المسلمين والهندوس في

١٣/٧/١٩٣١م في مدينة سرينكر سقط فيها آلاف المسلمين بين قتيل وجريح[١].

ونظراً لهذه المظالم بدأ المسلمون يعملون على ايجاد تنظيم لهم يطالب بحقوقهم فكان : المؤتمر الإسلامى لعموم جموكشمير بزعامة الشيخ محمد عبد الله / الملقب بأسد كشمير وشودرى غلام عباس. وعقد دورته الأولى عام ١٩٣٢م برئاسة الشيخ محمد عبد الله وبرزت مطالب المسلمين فى ايجاد هيئة تشريعية شعبية لهم تنظر فى مصالح الناس. . فاضطر المهراجا أن يوافق على تكوين الجمعية التشريعية على أن تكون مجرد هيئة استشارية وأفرج عن المعتقلين وفيهم تشودرى غلام عباس رئيس المؤتمر منذ ١٩٣٤م. واستمر نفوذ المؤتمر فى ازدياد حتى أحرز عام ١٩٣٨م ٢٠ مقعدا من ٢١ واتخذ موقف النقد للحكومة لإهمالها مصالح الرعية.

وفى عام ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م تألفت هيئة جديدة سميت : حزب المؤتمر الوطنى وانضم إليه بعض الزعماء المسلمين ومنهم الشيخ محمد عبد الله الذى كان من قبل أحد زعماء المؤتمر الاسلامى، واتخذ هذا الحزب شعاراً : خدمة مصالح الشعب وبالتالى خدمة المسلمين.

ووجدت الرابطة الاسلامية لعموم الهند صدى لها فى كشمير واستقبل المسلمون فيها دعوة جناح بانشاء دولة باكستان بحماس وترحيب.

وفى عام ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٤م وجه حزب المؤتمر الوطنى وحزب المؤتمر الاسلامى دعوة للسيد محمد على جنه رئيس الرابطة الاسلامية لزيارة كشمير حيث قوبل بحماس بالغ وظهر التقارب بينه وبين حزب المؤتمر الاسلامى. فأقلق هذا زعماء حزب المؤتمر الهندى والمهراجا. وأضعف مركز الشيخ محمد عبد الله أمام الأغلبية المسلمة. فتقرب المهراجا من الشيخ واختاره وزيرا ففقد هو وحزبه ما بقى لهما فى نفوس المسلمين الكشميريين من ثقة واحترام، ولعل هذا ما دفع الشيخ محمد عبد الله للقيام بحركته عام ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٦م ضد المهراجا وطالبه بترك كشمير لشعبها يحكمها ويتولى أمرها. وعرفت حركته باسم :

(١) انظر مأساة كشمير لإحسان حقي.

«حركة انزحوا عن كشمير» على غرار حركة حزب المؤتمر الهندى ضد بريطانيا : «انـزحـوا عن الهند» ، فاعتقله المهراجا وحكم عليه بالسجن تسع سنين . وحاول نهرو التدخل فمنعه المهراجا هرى سنغ من دخول سرينكر فاضطر للرجوع .

ولكن بعـد أن أعلن تقسيم الهنـد عام ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م أخـرجـه من السجن بنـاء على طلب نهرو وعينـه رئيسـاً للجنـة الطوارىء فى الولاية . وأعلن رفضـه الاستقـلال على أسـاس إسـلامي وانـه يفضل الشكل الوطني القومي ، فحملت جماعته اسم المؤتمر القومي لجامو وكشمير . بينما ظل زعماء حزب المؤتمر الإســلامى وعلى رأسهم شودرى غلام عبــاس فى السجن . وأعلنــوا تمسكهم بمبـادىء الإسـلام وأن الجهـاد الإسلامي هو الطريق للاستقلال بلا مهادنة ولا مسـاومـة . فاتفق الشيـخ والمهـراجـا ونهـرو على منـاهضـة فكـرة ضم كشمـير لباكستان . وزار المهاتما غاندي كشمير ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م لعقد الصفقة مع المهراجا .

أمــا المؤتمــر الإســلامي فقــد عقـد مؤتمـراً عام ١٣٦٧هـ في سرينكـر عاصمـة كشمـير واتخـذ قرارا أعـرب فيه عن ارتياحه وسروره لقيام دولة باكستان ـ وأعلن أنـه من المحتم وجـوب انضمام الولاية (جمو وكشمير) إلى باكستان . كما احتفل المسلمون بيوم باكستان ١٤ أغسطس ورفعوا الأعلام الباكستانية معبرين بذلك عن رغبتهم فى الإنضمام لها .

ولجأ الأمـير هري سنـغ الـذى تواطأ مع الهند حقداً على المسلمين وخوفا منهم إلى الحيلة فأخـذ يؤجـل قراره الحـاسم من يوم إلى آخـر فحـلّ يوم ١٥ أغسطس ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م وهـو آخـر يوم محدد لتقـريـر المصـير دون أن يحدد موقفـه ، ولما أراد المسلمـون الاحتفـال بيـوم باكستـان أمر بتمزيق الأعلام التى رفعـوهـا وأغلق جميـع الصحف الموالية لباكستان . وتابع سياسة العسف والشدة وان ارتبـط مع البـاكستـان فى نفس اليـوم بميثاق انتقلت بمقتضاه إلى باكستان الـواجبـات والمسؤوليـات التى كانت تضطلع بها حكـومـة الهند البريطانية قبل التقسيم فى الـولايـة فيما يتعلق بالمواصلات والبريد والبرق . كما تظاهر بأنه يريد أن يقف موقف المحـايـد بين الهنـد وباكستان ولكنه في حقيقة الأمر كان لا يرغب

إطـلاقـاً في أن يعلن انضمام الولاية لباكستان وأخذ فى تقوية الحاميات العسكرية المكونة من السيخ والهندوس فى المناطق الاسلامية وأصدر أمراً في أواخر شهر يوليو ١٩٤٧م يقضى بأن يسلم المسلمـون أسلحتهم للبـوليس. فانفجر المسلمون فى ثورة في منطقـة بونـج بقيـادة السـردار محمـد ابـراهيم خان فأصدر المهراجا الأمر بالقبض عليـه فتمكن من الهـرب إلى باكستـان وفى مدينـة مورى وضـع أساس حركة تحرير البلاد وهى الحركة التى تمخضت بعد ذلك عن مولد «آزاد كشمير» أو كشمير الحرة.

واستمـر المهـراجـا فى سيـاسـة القمـع والشدة ضد المسلمين حتى أنه بدأ القضـاء عليهم بالجملة فاحتجت باكستان وتبودلت عدة برقيات شديدة اللهجة وفى الـوقت نفسـه استمـرت الإبـادة الجـماعية للمسلمين على يد الجند الهنادكة والسيخ فأبيد ٢٣٧,٠٠٠ مسلم على بكرة أبيهم، وفر أكثر من مليون إلى باكستان[1]. فهب رجال قبائل الحدود الشمالية لنصرة إخوانهم واستطاعوا هزيمة الأمـير وقـواتـه حيث كونـوا حكـومـة آزاد كشمـير عام ١٩٤٨م، وفر الأمير من العاصمة سير ينكر إلى مقاطعة جمو ومن هناك كتب إلى الهند يطلب منها النجدة وإرســال جيش لصــد الـزاحفـين وإخمـاد ثورة الشعب وأعلن فى هذا الكتـاب انضمامه للهند. فقبلت الهند بالطبع انضمامه وأرسلت القوات الهندية بالطائرات فى نفس اليـوم وتـوالت الامـدادات ونجحت القـوات فى إسكات الشعب وصد الـزاحفـين وتثبيت حكم المهـراجـا، ومـا كادت تنقضي بضعـة شهور على هذه الغارة الوحشية حتى كانت القوات الهندوكية قد اقتربت من حدود باكستان التى أرسلت بقواتها إلى آزاد كشمير وهكذا ظهرت مشكلة كشمير.

وأمـام الحـاح الـرأى العام الباكستانى فى دخول القوات النظامية المسلحة حدود كشمـير لم يسـع جنـاح وليـاقت علي خان إلّا الاقـتراح على الهنـد ايقاف القتــال بضغــط من الفيلد مارشــال كلود أوكنلك واصـدار بلاغ مشـترك من الحـاكمـين العـامّين للحكومتين بإجراء استفتاء تحت تصرف الحكومتين. ولكن حكـومـة الهنـد رأت أن كشمـير أصبحت جزءاً لا يتجـزأ من بلادها فاذا أجرى

(١) انظر أبو الأعلى المودودي ـ قضية كشمير ص٥٨.

استفتـاء فالهنـد هى التى تقـوم به وتقـدمت بشكوى إلى مجلس الأمن تشكو من تشجيع الباكستان رجال القبائل لإثارة الفوضى فى بلادها. وأرسل مجلس الأمن لجنـة عرفت باسم لجنـة الأمم المتحـدة لهنـدوستـان وباكستان وأصدرت اللجنة قرارين عام ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م و١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م ينصان على ثلاث مواد[1]:

١ ـ وقف القتال وتعيين خط له.

٢ ـ تجريد الامارة من السلاح.

٣ ـ اجراء استفتاء حر محايد تحت اشراف هيئة الأمم لتقرير مصير الامارة وانضمامها إلى الهند أو باكستان.

وعلى هذا الأســاس توقف القتــال فى ١/١/١٩٤٩م وتعـين خط وقف اطلاق النار فى ٢٧/٧/١٩٤٩م. ولم تحل المشكلة لأن الهند لا تريد التخلى عن كشمـير مهما تكن رغبـات أهلهـا. وتوالى المندوبون من قبل مجلس الأمن دونما فائـدة. واتخـذت الهنـد من الشيـخ محمـد عبـد الله حجـة وعينتـه رئيسـاً لوزارة كشمـير. ولما وافق على الاستفتـاء عزلتـه ووضعته فى السجن عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م وعينت مكانه بخشي غلام محمد الذى أخذ يعمل مع دهلي فى تقويض استقـلال كشمـير، فأعلن نهرو ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م الغـاء اتفـاقيـة الاستفتـاء وأعلن بالنيـابـة عن أهالي كشمير انضمام الولاية إلى الهند. على أساس سياسة الأمر الواقع التى تتغلب على الكلام والنظريات والحقوق. وهى السياسة التي آثرت الهند انتهاجها من أول الأمر تماما كسياسة اسرائيل فى فلسطين.

وبلغ الأمر في مندوب الهند المستر كريشنا مينون عام ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م فى مجلس الأمن وفى خطبته الرسمية فى المجلس أن أشار إلى مصير المسلمين فى الهنـد ومـا يمكن أن يتعـرضـوا له من الشعب الهنـدوسى لو ضمت كشمـير لبـاكستـان. وكـان هذا الكلام يحمل تهديداً أو تلويحاً بالتهديد ـ أمام أكبر هيئة دولية فى العالم ـ لمصير المسلمين فى الهند وهو أنهم معرّضون لحملة انتقام بشعة من الهندوس والسيخ لو اتخذ مجلس الأمن قراراً بضم كشمير لباكستان.

---

(١) حقي ـ مأساة كشمير المسلمة ص ١٢٤.

أخـــرج الشيــخ محمـــد عبــد الله من السجن عام ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م ولم يلبث طويلا حتى أعيد إلى السجن لمطالبته بالإستفتاء. وخرج مع صحبه عام ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م وذهب فى رحلة مع زميله أفضـــل بيـــك إلى المغـــرب عام ١٩٦٥م يشـرحـان القضيـة فلما عادا قبضت عليهـما الحكـومة الهندية وأودعتهما السجن وأوعـزت إلى حكـومة كشمير بإلقاء القبض على زعماء جبهة الإستفتاء فقبضت على مئـــات منهم والقتهم فى السجـون[1]. وقبضت هنـدوستـان على ناصيـــة الحكم فى كشمـــير ومـــدت سلطـــانهـــا إلى كل ناحيـة فأنـزلت العلم الكشمـير ي ورفعت مكـانه العلم الهندي على بناية المجلس النيابى فى سرينكر وغيرت ألقاب بعض كبار الموظفين وصرح الوزير الهندى ناندا عام ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م :

لقد ضمت كشمير نهائياً وبلا رجعة إلى هندوستان وأصبحت جزءاً منها وقال: انه لم يعد أى معنى لتقرير المصير[2].

وعقب على هذا القول كل من شاستر ى رئيس وزراء هندستان وشافان وزير الدفاع قائلين مثل قوله وهددا بمعاقبة كل من يصر على غير هذا القول بل وطالبا بضم آزاد كشمير إلى الهند.

بعـد حملة الاعتقـالات ١٩٦٥م أضربت البلاد احتجاجاً على تصرفات الحكـومـة الهنـديـة وقامت مظاهرات تطالب بالإفراج عن المعتقلين، واشتبكت القـوات الهنـدية بالمتظاهرين وقتلوا الكثير من الأهالى وألقوا جثثهم فى نهر جيلم لكى لا يعـــرف عدد القتلى. وفـــرضت رقـابـة شديـدة على الأنبـاء. وانقلب العصيان هذا إلى ثورة، وأنشئت لجنة باسم اللجنة الثورية وأعلنت بطلان جميع الإتفـاقيـات التي عقـدتهـا حكـومـة الهند مع حكومة كشمير العميلة. وأعلنت الحـرب على الهنـد لتحـريـر كشمير، واستنجدت بجميع الحكومات والشعوب المحبـة للسـلام ليمدوا إليها أيدي المساعدة. فشنت الهند حرب إبادة فى كشمير وباغتت باكستان بهجوم سريع عام ١٩٦٥م لتعزل كشمير. فعقد مجلس الأمن جلسة طارئة وطلب من الفريقين الكف عن القتال ووعد باتخاذ ما يمكن اتخاذه

(١) حقي ــ مأسة كشمير المسلمة ص ١٦٩.

(٢) حقي ــ مأساة كشمير المسلمة ص ١٧٠ ـ ١٧١.

من اجراءات لتسوية المشاكل السياسية التي ينطوي عليها النزاع من غير أن يذكر القضية الكشميرية (سبب النزاع)وهذا محاولة من أمريكا وروسيا تجميد القضية[1]. واعقب ذلك اتفاقية طشقند عام ١٩٦٦م، وبقيت كشمير المسلمة تُعاني تحت الحكم الهندوسي، ولكن أصبح لها بعض الامتيازات الخاصة في الدستور الهندي، فقامت الحكومة المركزية في الآونة الأخيرة بتدبير مؤامرة لتغيير الحكومة المحلية بصورة تتفق مع مصالحها بالمنطقة وهذا أمر خطير سيء على رأي الشيخ سيد عبد الله البخاري[2] الكشميري.

أما كشمير الحرة (آزاد كشمير) ــ فتصل مساحتها إلى ٤٠٪ فقط من مساحة كشمير الكلية، وعاصمتها مظفر آباد في الشمال الغربي من كشمير، وأصبحت تمثل مسلمي كشمير لها جيشها وحكومتها المحلية ماعدا أربع وزارات تتبع الحكومة الباكستانية إدارياً وهي: الخارجية والدفاع والمالية والمواصلات.

وبالرغم من كل المؤامرات التي حيكت ضد الحركة الإسلامية فيها إلّا أن الشيخ غلام عباس ومن معه استطاعوا أن يصمدوا أمام تلك المحاولات، وفي عام ١٩٦٧م توفي الشيخ غلام فانتخب الشيخ سردار عبد القيوم رئيساً للحركة الاسلامية في كشمير. حيث فاز في أول انتخابات في تاريخ كشمير الحرة سنة ١٩٧٠م فأصبح أول رئيس لكشمير الحرة.

وفي عام ١٩٧١م حكم باكستان ذو الفقار علي بوتو بفكره الإشتراكي، فلم يواجه السردار عبد القيوم مباشرة، وعقد مؤتمر اسلامي برئاسة السردار كان من نتائجه:

١ ــ إصدار فتوى بتكفير جماعة القاديانيين.

٢ ــ تطبيق الحدود في شارب الخمر والزاني والسارق. وكذلك تطبيق قوانين الزكاة.

٣ ــ كرّم الشيخ عبد القيوم علماء المسلمين في كشمير، فجعلهم القضاة في المحاكم والمفتين في القضايا الاسلامية، ومنحهم صلاحيات كبيرة، وأنشئت

(١) أبو الأعلى المودودي ـ قضية كشمير ص٦٦.

(٢) المجتمع الكويتية العدد ٦٨٩ ص ٣٣.

المدارس والمعاهد والمكتبات الاسلامية والمساجد وتوفرت الكتب الاسلامية.

٤ ــ أصبحت العطلة الأسبوعية الجمعة بعد أن كانت الأحد، وأصبح يوم الخميس يوماً لتدارس القرآن الكريم.

٥ ــ أصبحت هناك محطتان للإذاعة تبث البرامج الاسلامية بصورة مركزة.

وبعد ذلك بدأت المواجهة بين الشيخ عبد القيوم وعلي بوتو، فاعتقل الشيخ وألقي في السجن وبقي في سجنه إلى أن أفرج عنه بعد أن أطيح بعلي بوتو بعد سنتين من اعتقاله، فعادت الحركة الاسلامية تعمل لإعادة الحياة إلى سابق عهدها في آزاد كشمير (١).

ويتوفر في آزاد كشمير التعليم المجاني للمرحلة الجامعية بعكس كشمير المحتلة، وتوجد فيها جامعة كبيرة وضخمة مركزها الرئيسي مظفر آباد عاصمتها، وتدرس اللغة العربية كمادة أساسية في جميع المراحل الدراسية الابتدائية إلى الجامعة. وهناك إقبال شديد لفهم اللغة العربية بين شباب كشمير.

ذيول التقسيم :

نشأت باكستان فى ظروف صعبة يكفي أن نتصور قيام دولة جديدة بكل أجهزتها الضرورية فى ظرف سريع فقد كانت دهلي هي العاصمة قبل التقسيم والمدن الكبرى كلها تقريبا كانت من نصيب الهند، ولم تكن كراتشي في عداد هذه المدن مثل بومبي أو كلكتا ــ وقد انتقل الجهاز الحكومي إليها ليواجه مصاعب الدولة الجديدة وضرورياتها. وفي الوقت نفسه جابهت هذه الدولة الجديدة الناشئة ظروف تدفق اللاجئين الذين بلغوا نحو سبعة ملايين وما يحتاجه هذا العدد من توفير الاقامة له وحل مشاكله.

وقد رسمت الحدود دون اعتبارات اقتصادية فالأراضي والمدن التي كانت من نصيب الباكستان لم يكن لها من الثروة المعدنية ولا من المراكز الصناعية مثل

---

(١) المجتمع الكويتية العدد ٦٠٦ ص ٣٣.

ما كان للهند بل كانت شبه خالية تقريبا من ذلك، وهذا من أساليب الانجليز الذين أهملوا المناطق الاسلامية وركزوا الجامعات والمكتبات وعمليات إنشاء الطرق وكل مظاهر العمران الهامة في المناطق التي تسكنها أغلبية هندوكية وهذا ما لاحظه نهرو ولعله أهم أسباب موافقة نهرو على التقسيم على أمل أن لا تحيا باكستان وتكون الهندوكية قد تخلصت من المسلمين ولعل هذا ما قصده الانجليز حين خططوا خطوط الحدود.. فقد قال نهرو:

«وإذا رسم التقسيم بحيث يفصل ما بين المقاطعات التي تقطنها أكثرية هندوسية أو أكثرية اسلامية فعندئذ تشتمل المقاطعات الأولى (الهندوسية) على الجزء الأعظم من الثروة المعدنية والمناطق الصناعية وهكذا فان المقاطعات الهندوسية لن تعاني كثيرا من وجهة النظر هذه».

ومن الناحية الثانية فان المقاطعات الاسلامية سوف تكون متخلفة اقتصاديا وعاجزة ماليا فى أكثر الأحيان، مقاطعات لن تستطيع الحياة بغير مقدار كبير من المساعدات الخارجية[1].

وفى الوقت نفسه بقيت للهند الرقعة الواسعة وبقيت لها دواوين الحكومة المجهزة ووسائل مواصلاتها وجيشها بكافة أسلحته وموانيها ومطاراتها وكل مقومات الدولة. وأهم من ذلك كله بقيت الحياة تسير كما هي بنظامها المعهود وقوانينها المعروفة فاستأنفت الحياة دون شعور كبير بنقص أو حاجة.

والباكستان كما ذكرنا منطقتان متباعدتان فهذا الوضع هو أحد الأوضاع الشاذة والصعبة فى تكوين الدولة الجديدة وسير حياتها فهو وضع يتخلف عنه متاعب عديدة للدولة من حيث الحكم والدفاع والاقتصاد والاتصال المباشر بين سكان الدولة الواحدة.

ويشكل الجزءان فى الواقع دولتين منفصلتين عملاً وزمناً وفكراً لا يربطهما إلّا الإسلام وهو أقوى الروابط لقيام الأمة وقد قامت الدولة الجديدة على أساسه لتجابه تعصباً دينياً آخر وفي هذا المجال اعتمدت باكستان الغربية على الروح

---

(١) عبد المنعم النمر ص ٣٤٠.

الإسـلامي لتـوطيـد الصلة بين الشطـرين دون أن تلجأ إلى تدعيمهـا بالدعاية والجهد أو تكافح أعداءها.

لقد كان ينتظر المسلمون أن يعيشوا في ظل دولة إسلامية تحافظ على تنفيذ أحكـام الاسـلام بحـذافيرها ولكن الأمور جرت على غير ما يحبونه إذ بينما كانوا ينتظـرون دولـة اسـلاميـة تصـان فيها الأخلاق وتمنع المنكرات ويرتفع فيها اسم الإسلام عالياً دون سواه وإذ بهم يرون أنفسهم ولم يتغير عليهم شيء إلاّ الأسماء في الـوقت الـذي أخـذت فيـه الأيـدي الغريبة تمتد إلى البلاد والمؤامرات تحاك. فالقـائمـون على الحكم كانـوا مسلمـين ومـا كانوا يعرفون عن الإسلام إلاّ شيئاً يسـيراً، وكـانـوا سيـاسيين ومثقفين ثقافة عصرية، فأقاموا باكستان على أساس القومية الاسلامية(١).

كان الإستعـمار الإنجليـزى قد عمـل أثناء حكمه على إحياء لغات محلية لتكـون لغـات قوميـة كما شجع لغته لتكون اللغة الرسمية فى الهند، فأحيا اللغة السنسكـريتيـة والبنغـاليـة إلى جانب الأوردية على حساب الفارسية والعربية. فكان للبنغال لغة اقليمية لها آدابها وصحفها ومجلاتها وبالتالى فقد كانت فى غنى عن الصحف الأورديـة وهكـذا فان تبـادل المعلومـات والآراء بين الشطرين كان وقفـاً على رجـال الحكومة دون الشعب إلا طبقة معينة من القوم لها ثقافة خاصة وحريصة على دوام الصلة بين الشطرين.

وعنـدمـا قبـل البنغاليون التخلي للأوردية لتكون لغة الدولة الرسمية كان ذلك لكى يقيموا دولة إسلامية فإذا بالباكستان كغيرها من الدول وليس الإسلام هو العنصـر المميـز لها وبمعنى آخـر فقـدت مقـومـاتها الأصلية التى قامت على أسـاسهـا ولجأت إلى الغرب كغيرها تستمد منه دستور حياتها فأضاعت رأسمالها ولم تحصـل على شيء أفضـل ـ ومادامت القضية أصبحت قومية وليست فكرية دينية فليس هناك ما يبر ر بقاء الجزئين.

---

(١) المجتمع الكويتية في حديث مع الشيخ خليل الحامدي أحد قادة الجماعة الاسلامية ورئيس دار العروبة في باكستان ـ ص ٣٩ ـ العدد ٧٢٠ السنة ١٥ الثلاثاء ٨ جمادى الأولى ١٤٠٥هـ/ ٢٩ يناير ١٩٨٥م.

انظـر قول محمـد علي جنـاح عام ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م أمـام المجلس التشريعي مخاطباً أبناء قومه : «إنكم سوف ترون مع مرور الزمن بأن الهنادكة لن يكونوا هنادكة والمسلمين لن يكونوا مسلمين ولست أقصد بذلك الناحية الدينية لأن العقيـدة شيء شخصي وإنـما أقصـد القـوميـة وأعني بذلك أن باكستان لن تكون دولة دينية يتولى أمورها علماء دين مهمتهم دينية بل ستكون دولة باكستانية يتولى أمورها باكستانيون وعندنا كثير من غير المسلمين وكلهم باكستانيون.

بل ذهب زعماء المسلمين إلى أبعد من ذلك فتنازل حزب الجامعة الشعبية الإسـلاميـة فى البنغـال عن كلمـة إسلامية وأصبح الحزب يسمى حزب الجامعة الشعبية فقط إرضاء للهنادكة[1].

فانهـارت بذلـك أحـلام المسلمـين فى الهنـد بعـد أن تحركـوا ونـزحوا إلى باكستـان فى تحرك عظيم يشـدهم بريق الفكـرة الإسـلامية التى طغت على كل شيء ولعلها كانت مدعاة لدعوة تحاول بها خلق وتجسيد فعلي لدولة إسلامية أكبر تضم شمـل العـالم الإسـلامي. وبقيت معـانـاة المسلمـين فى الهند ومأساتهم فى كشمـير. واستمـرت الهنـد تقلق حكومة باكستان تمثلت فى حروب شنتها عليها عام ١٩٤٨م وعام ١٩٦٥م وأخيرا عام ١٩٧١م.

وفى الـوقت نفسـه عمـدت الهندوكية إلى أساليب مختلفة لفصل باكستان الشرقية عن الغربية.

ولتنفيـذه استعـان الهنـادكـة بالحـزب الشيوعي وبحزب عوامي اليساري برئـاسـة الشيـخ مجيب الرحمن. واغتنمت ظروف البلاد وعوامل الإنفصال المتوتر فقـامت بغـزو البنغـال عام ١٩٧١م وانتهت الحـرب بانفصـال بنغـلاديش عن باكستان ثم اعلان جمهورية بنغلاديش[2].

ومن الطـريـف أن جميـع القـادة الـذين كان لهم دور أسـاسي فى تقسيم باكستان وسلخ باكستان الشرقية عن الغربية لاقوا حتفهم فى ظروف غير طبيعية.

---

(١) د. إحسان حقي ــ باكستان بين ماضيها وحاضرها ص ٢١٨.

(٢) انظر حقي ــ باكستان بين ماضيها وحاضرها ص ٢٦١ وما بعد.

كان أول هؤلاء مقتلا هو الشيخ مجيب الرحمن الذى تزعم العمل السياسي من أجل فصل بنغلاديش عن باكستان وقد قتل فى حركة **١٥** أغسطس (آب) **١٩٧٥**م . وأعدم فى باكستان ذو الفقار علي بوتو بعد إدانته بجريمة قتل . وكذلك قتل ضياء الرحمن رئيس وزراء بنجلاديش السابق الذى ابتدأ العمليات العسكرية التى استهدفت فصل بنجلاديش . ومن المفارقات أن ضياء الرحمن لم يقتل فى داكا بل فى مدينة تشيتا غونغ التى أعلن منها بنفسه قيام دولة بنغلاديش عام **١٩٧١**م .

وأما أنديرا غاندى فقد لقيت مصرعها بأيدي حرّاسها من السيخ وهى التى كان لها الدور الأول والأكبر فى أحداث انقسام باكستان وأرسلت جيشها من أجل تحقيق هذا التقسيم .

وجدير بالذكر أن أربعة آخرين كان لهم الدور الفعال فى الحركة التى قادها مجيب الرحمن وهم نذر الاسلام وتاج الدين وأبو المنصور وقمر الزمان قتلوا جميعا فى السجن على يد مجموعة من الضباط الذين قاموا بانقلاب **١٥** أغسطس آب **١٩٧٥**م وهى الحركة التى استطاع ضياء الرحمن أن يستغلها ليتولى الحكم دون أن يكون مشتركاً فيها[١] . كما قتل ضياء الرحمن خلال محاولة انقلاب عام **١٩٨١**م قادها عبد الستار الذي انتخب فى نوفمبر (تشرين الثاني عام **١٩٨١**م)، وهو زعيم الحزب القومي البنغلاديشي (المعارضة)، وأطيح به أيضاً في (مارس) آذار عام **١٩٨٢**م بعد أربعة أشهر فقط من انتخابه ، وقاد الانقلاب ـ الرئيس الحالي الجنرال حسين ارشاد[٢] .

وضع المسلمين في الهندستان من عام ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م ـ ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م :

استمرت الأحزاب الهندوكية المتعصبة والمنظمات الإرهابية توالي اعتداءاتها على المسلمين في داخل الهند الذين يزيد عددهم على مائة مليون نسمة[٣] ، وقد نظمت هذه الأحزاب والمنظمات نفسها تنظيماً عسكرياً ودربت الهنادكة على

(١) الشرق الأوسط العدد ٢١٦٥ ، الخميس ٨ صفر ١٤٠٥هـ/ ١/١١/١٩٨٤م .

(٢) الشرق الأوسط ص ٥ . ٦/١٠/١٩٨٥م .

(٣) نشرة معهد الأقليات ـ ربيع الأول ١٤٠٠هـ .

استعمال السلاح الناري والسلاح الأبيض بهدف إبادة المسلمين أو ترحيلهم. فأخذت تشن غاراتها على المسلمين مستغلة الأعياد الهندوكية في إثارة الإضطرابات الطائفية[1]. ومستغلة بعض المسلمين الذين خلعوا الاسلام من رقابهم للسخرية بالمسلمين كمهر النساء وحميد دلوائي[2].

وقد بلغت غارات المنظمات المتطرفة على المسلمين ما بين عامي ١٩٤٨ و١٩٧٠م بموجب الاحصاءات الرسمية وكما جاءت في الصحف الهندوكية ذاتها ٥٩٢ غارة[3]. كما شهدت مناطق المسلمين حتى سنة ١٩٨٥م ٢٠ ألف حادث دموي منذ الاستقلال حسب الاحصاءات الرسمية، بينما تشير الاحصاءات غير الرسمية إلى أكثر من ذلك بكثير يتعرض فيها المسلمون للقتل والاعتقالات والنهب وهتك الأعراض بصورها البشعة على أيدي رجال الشرطة الحكومية الهندية، في حين تصورها الصحف بأنها اضطرابات طائفية[4]. ومن هذه الإعتداءات مجزرة أحمد آباد التي نظمها حزب جان سنغ عام ١٩٧٠م والتي ذهب ضحيتها ١٥ ألف مسلم باعتراف أنديرا غاندي نفسها والتي ارتكب فيها الهنادكة أفظع عملية لا إنسانية إذ قبضوا في جملة ما فعلوا على ٣٠٠ إمرأة مسلمة وحرقوهنّ بالنار وهنّ أحياء[5]. ومنها مذبحة آسام الشهيرة وقد بلغ عدد القتلى المسلمين فيها ٥٠ ألف نسمة على أيدي الهنادكة من أعضاء الحكومة المركزية[6]. ووقع ٥١٠ حوادث شغب في الفترة ١٣٩٧هـ ـ ١٣٩٨هـ. فقتل فيها العديد من المسلمين[7]. وفي عام ١٣٩٩هـ تعرّض المسلمون إلى عمليات إبادة وتدمير بشعة وبعلم السلطات الحاكمة في مدينة حمشيد بور في ولاية بيهار[8].

---

(١) الدعوة العدد ١٧، ١٥ محرم ١٤٠٦هـ ١/١٠/١٩٨٥م ـ دلهي ـ الهند.

(٢) الدعوة العدد ١٦، ٢٩ ذو الحجة ١٤٠٥هـ/ ١٥ سبتمبر ١٩٨٥م ـ دلهي ـ الهند.

(٣) حقي ــ باكستان بين ماضيها وحاضرها ص ١٩٠.

(٤) المجتمع العدد ٦٨٩ ص ٣٣.

(٥) باكستان بين ماضيها وحاضرها ص ١٩١.

(٦) المجتمع العدد ٦٨٩ ص ٣٣.

(٧) نشرة معهد الأقليات صفر ١٣٩٨هـ.

(٨) نشرة معهد الأقليات ربيع الأول ١٤٠٠هـ.

ودأبت الحكومة على الاستيلاء على المباني والمساجد والأراضي الإسلامية الوقفية وتحويلها إلى ملاعب أو طرق أو مرافق حكومية أخرى، فالحكومة تحظر على المسلمين الصلاة في بعض المساجد القديمة وتمنعهم من ترميمها وتجديدها خلال فترة معينة، ثم تصدر أوامرها بعد ذلك بسلب تلك المساجد وهدمها وإنشاء مبان حكومية مكانها. وحتى المسجد الجامع في دلهي لم يسلم من ذلك فقد استولت هيئة الاسكان الحكومية على قطع أرضية حول الجامع تقدر قيمتها بخمسمائة مليون روبية بدون مقابل. كما هدمت الهيئة جميع المباني والأسواق الوقفية التي كانت تحيط بالجامع كمصدر استثماري ثابت للأنشطة التي يقوم بها الجامع.

وصدر قانون وافق عليه أعضاء البرلمان الهندي سنة ١٩٨٤م يعطي الحكومة حق التصرف في إدارة أوقاف المسلمين. كما يعطي الحق للحكومة في ترشيح المدير العام للأوقاف الإسلامية بالهند والذي يعتبر رأيه نهائياً في كل ما يتعلق بشئون الأوقاف، كما رسمت خريطة لمدينة دلهي سوف تتحول بموجبها العديد من المساجد والمقابر والمباني الاسلامية إلى ملاعب وطرقات ومرافق حكومية. وهكذا فالأوقاف الاسلامية في خطر لم تشهد مثله عبر تاريخها المديد[١].

وتستخدم الحكومة الهندوسية المقررات الدراسية لتشويه مبادىء الإسلام فقد ورد في الصفحتين ٢١٧ ـ ٢١٨ من الكتاب المقرر في مادة الحضارة تشويه متعمد لصورة الرسول ﷺ، حيث يصوّره هذا الكتاب المقرر في المدارس الحكومية الهندية بأنه عليه الصلاة والسلام كان قاطع طريق، وانه اقتبس مفاهيم الاسلام من اليهودية، وهذه صورة واحدة فقط من بين مئات الصور البشعة التي تصور بها تعاليم الاسلام في المقررات الهندية الحكومية. وعندما يحتج المسلمون على هذه الاتهامات لمبادىء دينهم يكون جزاؤهم الاعتقالات والسجون[٢].

---

(١) المجتمع ـ العدد ٦٨٩ ص ٣٣، السنة ١٥ الثلاثاء ٦ صفر ١٤٠٥هـ/ ٣٠ اكتوبر ١٩٨٤م.

(٢) نفسه ص ٣٣ في لقاء مع الشيخ سيد عبد الله البخاري.

كما وأن الحكومة الهندية لا تعين في المناصب الحساسة في الدولة المسلمين بل تلجأ إلى تعيين أو ترشيح بعض المسلمين في مناصب تشريفية عالية لا تأثير لها على السلطة مثل منصب رئيس الجمهورية (الذي شغله ذاكر حسين)، وإذا تم تعيين مسلم في منصب حساس مثل منصب وزير أو سفير فيتم اختياره من المحسوبين على السلطة والمسلمين بحكم شهادة الميلاد فحسب، فهم يسيئون إلى الاسلام والمسلمين أكثر من غيرهم[1].

وتعمد حكومة الهند من أجل الحدّ من زيادة عدد المسلمين في الهند إلى التعقيم الإجباري للرجال. كما تحاول جاهدة تغيير القوانين الاسلامية الشخصية بحجة إدخال التعديلات عليها[2].

أما المسلمون في الهند فقد صبروا وقاوموا ما وسعتهم المقاومة، ووقفوا يصدون تحديات التمييز العنصري، وتقاوم الجماعة الاسلامية ومؤسسها الشيخ أبو الأعلى المودودي ما وسعتها المقاومة، واستعانت بالرابطة الاسلامية والهيئات والمنظمات الاسلامية التي طالبت حكومة الهند بوقف المذابح التي يتعرض لها المسلمون في الهند[3]. وأنشأ المسلمون العديد من الجمعيات والهيئات الإسلامية التي تنتشر في أنحاء البلاد، وتزاول أنشطة مختلفة لصالح المسلمين مثل إقامة المدارس والجامعات والهيئات الخيرية، وإصدار الصحف والمجلات، والاهتمام بالتعليم من أبرز الأنشطة بالجمعيات والهيئات الاسلامية بالهند:

فتوجد: دار العلوم ـ ديوبند ـ افتتحت عام ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٧م. وتصدر مجلتين هما دار العلوم بالأردية، ودعوة الحق بالعربية.

وتوجد مدرسة مظاهر العلوم في ولاية سهارنبور ـ اترابراديش ـ وأسست عام ١٢٨٣هـ/ . ودار العلوم في مدينة لكنو وتتبع ندوة العلماء وتصدر العديد من

---

(١) نفسه ص ٣٢.

(٢) الدعوة ـ دلهي ـ الهند العدد ١٧، ١٥ محرم ١٤٠٦هـ/ والعدد ١٦ ص ٨، ٢٩ ذو الحجة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥/٩/١٥م.

(٣) نفسه ص ١٣٨ ـ ١٤٢.

المجـلات مثـل الـرائـد باللغـة العـربيـة والبعث الاسـلامي بالعربية . ومدرسة الإصـلاح وتتبـع جمعيـة ندوة العلماء ، والـرحمانية في مدينة مونجير بولاية بيهار ، والمـدرسـة العليـا النظـاميـة في مدينة لكنو . ودار العلوم الاشرقية في مدينة نانديز قرب بمبـاي وهي أقـدم المـدارس العـربية ، والجامعة الحسينية في مدينة رانديز ، والجامعة العربية الاسلامية في ولاية سورت . وروضة العلوم ومدينة العلوم وسلم السـلام ومـدرسة كيرالا في جنوب غربي الهند وجامعة دار السلام في مدينة عمر آبـاد ومـدرسـة البـاقيـات الصـالحـات والمدرسة الجمالية في جنوب شرقي الهند ، والجامعة الاسلامية النظامية والجامعة العثمانية ـ في حيدر آباد ـ الدكن .

كما أن هناك الجامعة الاسلامية في عليكرة وهي أبرز الجامعات العصرية ، والجـامعـة الاسلامية الملّية في دهلي ، ومعظم نفقات هذه الجامعات والمعاهد من الأوقاف وتبرعات المسلمين[1] .

وهنـاك دور للتأليف والنشـر مثـل : دائـرة المعـارف العثـمانيـة ـ حيدر آباد الـدكن . ومنهـا قسم التحقيق والطبـع ، والمطـابع قسم عربي وقسم انجليزي . ودار المصنفـين ـ أعظم جره ـ أسسـه العـلامـة شبلي النعماني . وندوة المصنفين في دلهي ـ أنشأتهـا جماعـة من متخرجي دار العلوم . ومكتبة الجامعة الملية الاسلامية (دلهي الجديدة)

كما تحوي الهند مكتبات شهيرة مثل :

مكتبة رضا الشعبية ــ ولاية اترابراديش بمدينة رام بور . وفيها ١٦,٠٠٠ مخطـوطـة بالعربية والفارسية والأوردية ، ومخطوطات باللغة السنسكريتية والهندية والتركية والبشتو والجوجرانية والتاملية ولغة تلحو .

ومكتبـة خدابخش للعلوم الشـرقيـة في مدينـة بتنـا بولايـة بيهـار . وتضم مخطوطات نادرة باللغة العربية والفارسية . ومخطوطات بالأردية والتركية ، وكتب مطبوعة[2] .

---

(١) انظر ــ عبد الحليم الندوي ــ مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية في الهند ـ دلهي الجديدة ـ مطبعة نوري المحدودة مدراس ١٣ (الهند) . ص ٥-٩٣ .

(٢) نفسه ص ١١٠ ــ ١٣٤ .

العلاقات الهندية الاسرائيلية :

هنـاك شبـه كبـير بين أفكار البراهمة والفلسفة التلمودية وفكرة شعب الله المختـار. وبعـد ثلاثـة شهور من اغتصاب اسرائيل لفلسطين (١٩٤٨م) أعلنت الهنـد اعـترافهـا بدولـة اسـرائيل على أساس سياسة الأمر الواقع التى انتهجتها الدولتان. فقال نهرو فى البرلمان الهندي :

«انـه من البـديهي أن نعـترف بواقـع قائم وهـو أن اسـرائيـل دولة قائمة» ونتيجة لأقواله صدر هذا البلاغ عام ١٩٥٠م :

«لقـد قررت الحكـومـة الهندية الإعتراف بدولة اسرائيل». وعلق الناطق الرسمى باسم الحكومة الهندية تعقيباً على هذا البلاغ بقوله :

«ان دولة اسرائيل موجودة في الواقع منذ سنتين ومما لاشك فيه أنها خلقت لتبقى وقد عملت الهند طوال هاتين السنتين الماضيتين بتعاون قائم مع اسرائيل».

وأنشأت اسـرائيـل بعد ذلك وبصورة رسمية قنصلية عامة فى مدينة بمبى وقـد أثبتت هذه القنصليـة بعـد وقت قليـل من تأسيسهـا على أنهـا حصن قوى للتعاون الهندى الاسرائيلى وكانت تعمل بهدوء تام لتحقيق أعظم قدر ممكن من تمتـين الـود والصـداقة بين البلدين. فى حين أن الهند تدعي بأنها مجرد قنصلية أو مركزاً تجاريا.

وفى مؤتمر باندونغ اقترح جواهر لال نهرو اشراك دولة اسرائيل بهذا المؤتمر معتمداً فى تقديم اقتراحه على القول بأن اسرائيل دولة معترف بها من قبل الأمم المتحدة وأنها مرتبطة بعلاقات دبلوماسية مع عدد من البلاد الأفريقية والآسيوية.

ولمـا عرض موضـوع ادراج فلسطين فى المؤتمر هب نهرو غاضباً وقال : انها لجرأة من قبـل العـرب أن يناقشوا القضية الفلسطينية فى هذا المؤتمر الذى لم تدع إليه اسرائيل أو ليس وجود اسرائيل فى غرب آسيا حقيقة؟ أفلا يكفي انها لم تدع إلى المؤتمر.

وقـد وثقت الهنـد صلاتهـا بالعـرب على حسـاب باكستـان فقد صرحت أنـديـرا غانـدي فى خطـاب لها فى حفـل أقيم فى تونو فونتو ٢٥ نيسان ١٩٦٢م/ ١٣٨٢هـ وكان أكثر حاضريه من الهنود اليهود فقالت :

«لقـد أسيء فهم سيـاسـة الهنـد إزاء اسـرائيـل فإذا كنا لم نتبادل السفراء فذلك لأننا قد رأينا أن ذلك يضر بمصالحنا ومصالح اسرائيل معاً بسبب الموقف العربي ومسلمي باكستان».

وصـرح الـزعيم الهنـدوكي كامـات فى الـبرلمـان الهنـدي ١٧ نيسان عام ١٩٦٤م/ ١٣٨٤هـ فقال: «أن سياسة الهند نحو العرب ليست منبعثة من حبنا للعرب بل من اعتبارات سياسية لخداع العرب».

وفى مجال التعاون العسكري: عقد الجانبان الهند واسرائيل اتفاقية تعاون ذري بينهما عام ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م. ولتسهيل التعاون العسكري عين ضابطان اسرائيليان فى وزارة الدفاع الهندية، واشترت الهند من اسرائيل كميات كبيرة من السلاح عام ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م. كما ذهب قائد الجيوش الاسرائيلية المدرعة فى سينـاء اريـل شارون إلى دهـلي عام ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م لشـراء قطـع غيـار للطـائـرات الاسـرائيليـة الفـرنسيـة الصنـع من نوع ميستير واورغان وقطع غيار للدبابات الفرنسية.

وفى عام ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م أمـدت اسـرائيـل الإنفصـاليـين البنغاليين بكميـات كبـيرة من السـلاح أرسلتهـا باسم مسـاعدات إلى حكومة بنغلاديش العاملة فى كلكته.

وقـد درب أفـراد العصـابـات الهنـديـة على أعـمال الشغب والثورات فى اسرائيل وخاصة عصابات حزب جان سنك الارهابي الهندي، وزيارة زعماء هذا الحزب إلى اسرائيل مستمرة لا تتوقف ولا تنقطع، وفي افتتاحية لصحيفة الحزب عام ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م : نددت بمـوقف العـرب من اسـرائيـل وقـالت: لقد عرف عن اسـرائيـل انها لا تطمع ببوصة من أرض العرب ــ بل كل ما تريده هو السلام ـ وانه لمن دواعي الاشمئزاز حقاً بأن تمنع مصر اسرائيل من استعمال قناة السويس بحجة أنها فى حالة حرب مع العرب منذ ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م إن هذه

لحماقة يجب أن تنتهي وعلى العرب أن يقبلوا باسرائيل كواقع راسخ وأن يتعلموا التعـايش معهـا» . والصحـافـة الهنـديـة تتحيـز لاسرائيل أكثر من الاسرائيليين أنفسهم . ومازالت الهند تتعامل تجاريا مع العرب واسرائيل على حد سواء .



الفهـــارس

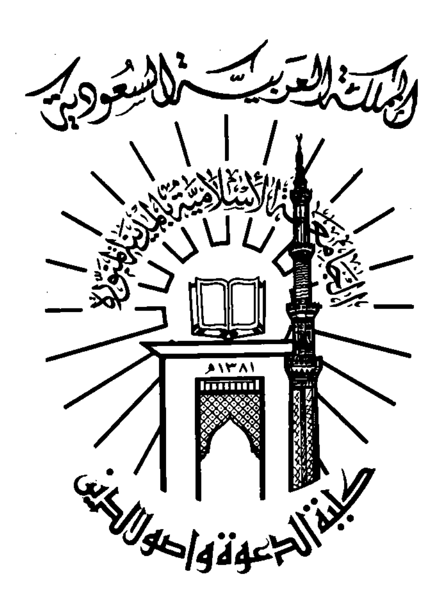


فهرس الجزء الأول[1]

(١) الفهارس التفصيلية في نهاية الجزء الثاني.

تمت بحمد الله الطبعة الأولى
١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م

مطابع الجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة

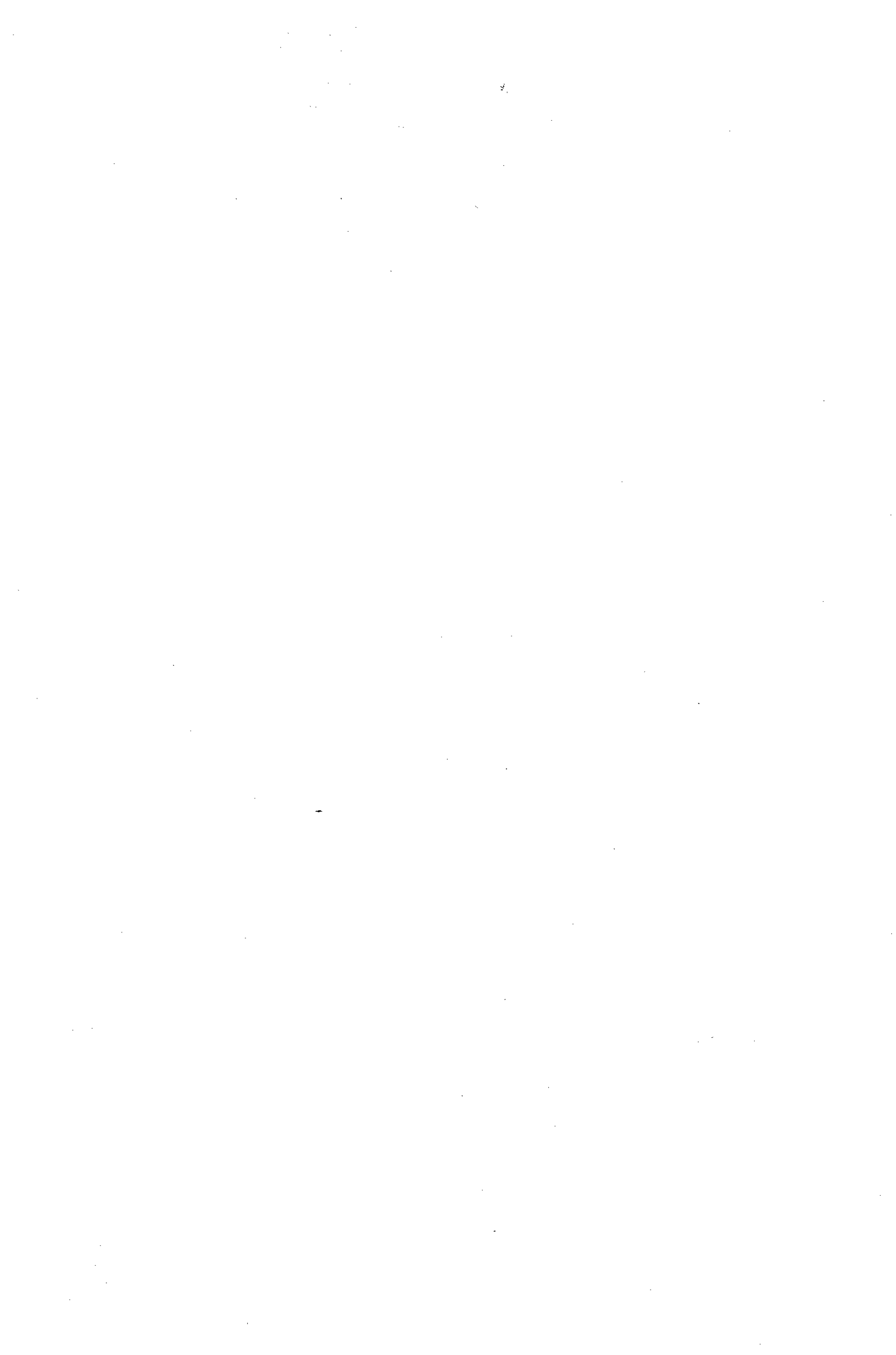


حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة

د. جميل عبد الله محمد المصري
أستاذ مساعد بالجامعة الإسلامية
المدينة المنورة - كلية الدعوة وأصول الدين

الجزء الثاني

الطبعة الأولى
١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م



الفصــل الخامس

قـارة أفريقيا ومشكلة أريتريا

أفـريقيـة هي القـارة الـوحيدة التي يمكن تسميتها بالقارة المسلمة من بين قارات العـالم وكـل شيء يشـير إلى أن الإسـلام هو دين المستقبل فى هذه القارة وأنها قارة المستقبل للإسلام.

تبلغ مســاحـة أفـريقيـا ٣٠ مليـون كم٢ فهي بذلـك ١/٥ مسـاحـة الكـرة الأرضية، ومعظمها من ديار الاسلام، وعدد سكانها أكثر من ٤٠٠ مليون نسمة نسبة المسلمين أكثر من ٦٠٪ ويسير انتشار الإسلام فيها بخطى واسعة حاليا.

تتكون هذه القارة من هضبتين كبيرتين ـ هضبة شمالية وتمتد من المحيط الأطلسي حتى البحـر الأحمـر ومنهـا: الصحراء الكبرى وبلاد السودان وبعض المرتفعات مثل جبال تيبستي وبعض المنخفضات مثل القطارة والفيوم.

وهضبـة جنـوبيـة وهي أكثـر ارتفـاعـاً من الهضبـة الشـماليـة ومن أهم مرتفعاتها: هضبة الحبشة شرقي أفريقية. وهضبة البحيرات الكبرى في وسطها.

واسم القارة الحالي حديث فقد كانت تسمى قديما ليبيا وكانت مقسمة إلى عدة منـاطق رئيسيـة ثم أطلق عليهـا فى العصـور الوسطى أثيوبيا أي قارة السود وهى كلمة مشتقة من اليونانية ثم استعملت فى التعبير عنها كلمة أفريقية وكانت تشـير لدى القـدماء إلى منطقة تونس حيث «رأس أفرى» الذي سمّي نسبة إلى قبيلة من الـبر بـر، وقـد اشتقت الكلمـة من تعبـير قديم عن المغـارة أو الكهف أيضـا، وكـان أهـل المنطقة يسكنون ما يشبه المغارات، ثم استخدم العرب هذا المصطلح محوراً فصار أفريقيا.

وتخصصت ليبيا وأثيوبيا للتعبير عن المنطقتين الجغرافيتين المعروفتين بهذين الإسمين بينما استخدمت كلمة أفريقيا «للتعبير عن القارة جملة» ومن أهم ملامح هذه القارة التي أسهمت في عزلتها في العصور القديمة والوسيطة :

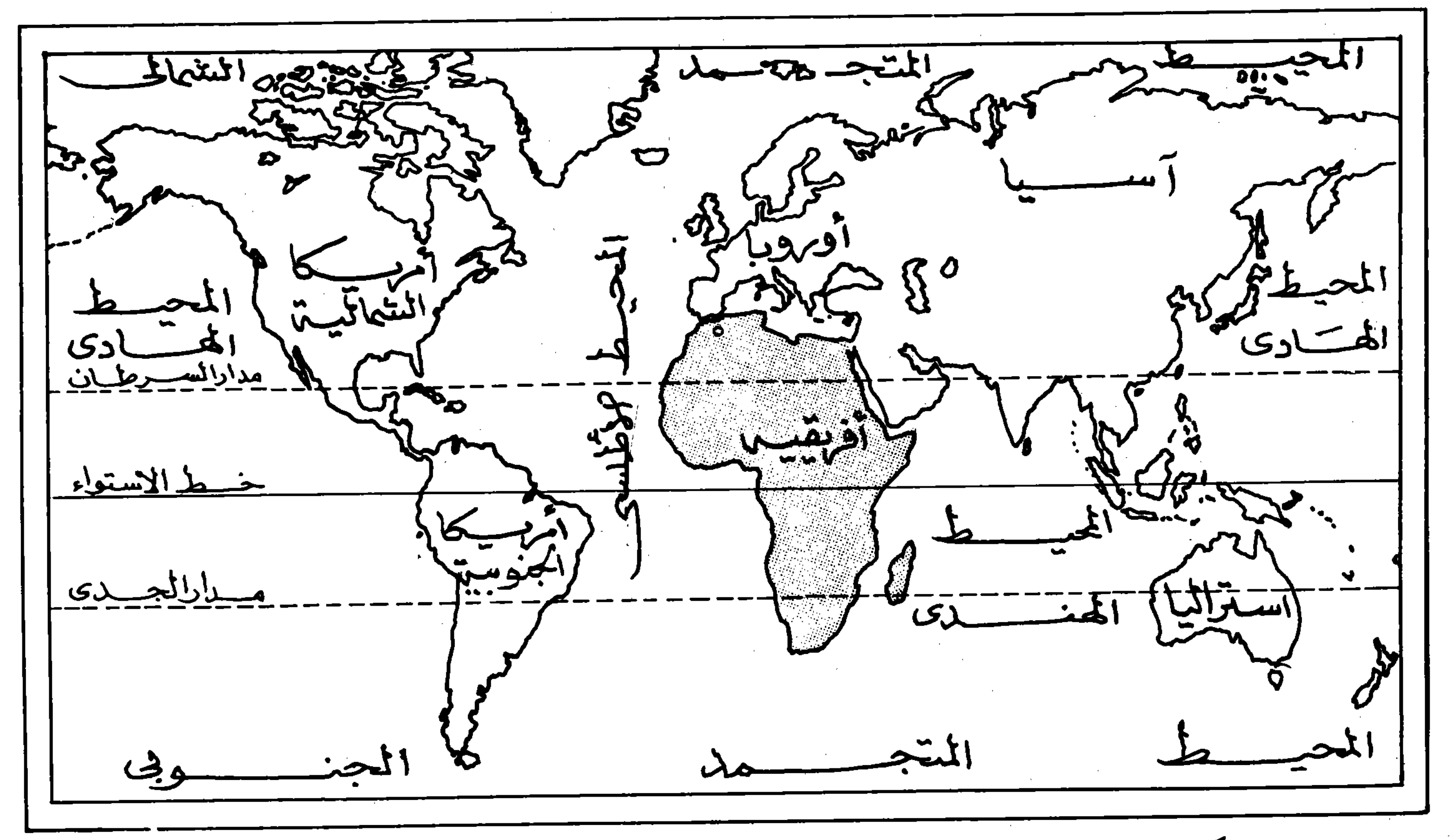
١ ــ يقسمها خط الأستواء إلى قسمين شمالي وجنوبي فتمتاز أفريقية الإستوائية بغاباتها الكثيفة وشدة حرارتها ورطوبتها دون تمييز بين الفصول.

٢ ــ قصر سواحل القارة بالنسبة لمساحتها ــ بمعنى آخر قلة تعاريج السواحل. الأمر الذي يؤدي إلى قلة الرؤوس والخلجان ويترتب عليه قلة الموانئ الطبيعية والموانئ في العادة هي المنافذ التي تطل منها القارة على العالم الخارجي ويمد العالم الخارجي بصره منها للقارة.

٣ ــ امتداد معظم جبالها على السواحل مما يؤدي إلى عزل الداخل، وإلى ضيق السهول الساحلية ويضاف إلى ذلك أن هذه السهول الساحلية فى جملتها ذات ظهير فقير تؤدي إلى مناطق صحراوية أو شبه صحراوية أو غابات كثيفة يصعب اختراقها. فتزيد من العزلة داخل القارة.

٤ ــ قلة الجزر القريبة من الساحل : والجزر عادة وأشباه الجزر يمكن اتخاذها كمناطق ارتكاز تنفذ إلى الداخل، وأفريقية إجمالا كتلة واحدة خالية الأطراف تقريباً. وباستثناء بعض الرؤوس الصغيرة التى تفصلها عن بعضها مسافات شاسعة فى غرب القارة وبعض الجزر الساحلية فى الشرق مثل زنجبار وبمبسة لا تكاد تلعب هذه المناطق دوراً حيويا فى تاريخ القارة. وهذه الظاهرة التى تنفرد بها القارة الأفريقية تعود أساساً لصغر مساحة الجزر الأفريقية نسبيا باستثناء جزيرة مدغشقر التى رغم اتساعها فانها بعيدة جداً عن الساحل الأفريقى ويلعب تيار موزمبيق دوراً فى عُزلتها عن اليابس.

٥ ــ قلة صلاحية أنهارها للملاحة : فرغم كثرة أنهارها وغزارة مياهها كنهر النيل والنيجر والكونغو والزمبيزى والسنغال إلا أن هذه الأنهار تنتهى إلى البحر بدلتات كثيرة الفروع والمستنقعات والسدود أو مساقط مائية. وتكثر فيها الجنادل والشلالات مما يعيق الملاحة، ويحرم أفريقية من أن تصبح هذه الأنهار كشرايين تؤدى إلى الداخل.



موقع إفريقيا من العالم وخط الاستواء والمدارين

٦ ـ اتساع صحاريها : فمعظم أفريقية يقع في المناطق المدارية ففي الهضبة الشمالية يمر مدار السرطان وفي الجنوبية مدار الجدي. فتتسع الصحارى فهناك الصحراء الكبرى فى الشمال التى تصل مساحتها إلى ١٠ ملايين كم٢ أي ثلث مساحة القارة، وصحراء كلهاري فى الجنوب وهذا يؤدي إلى قساوة المناخ وشيوع مناطق الجفاف وإلى العزلة.

دخول الإسلام إلى أفريقية :

١ ـ طريق باب المندب : وعن هذا الطريق انتشر الإسلام فى القرن الأفريقى وشرق أفريقية وكانت معرفة العرب بساحل أفريقية الشرقية قديمة ولازال الشاطي الأفريقي يحمل أسماء من الجنوب العربي فى مناطق مصوع وعصب وما وراءها فى الداخل فقد استقر كثير من المهاجرين والتجار العرب(١) واختلطوا بأهالي البلاد وأدخلوا وسائل الري وأساليب البناء وتنظيم عملية تربية الحيوانات، وكان الأثر اللغوي أقوى من أي أثر آخر تركه عرب الجنوب فى شرق أفريقيا. كما حصلت هجرة مرتدة إلى شبه الجزيرة العربية حيث عبر الأحباش البحر من اكسيوم إلى اليمن وأغلبهم كان من المهاجرين العرب الأوائل وقد حاولوا الوصول إلى الحجاز بزعامة ابرهة ـ عام الفيل ٥٧١م ـ. وهدم الكعبة فى مكة رمز تجمع العرب، تعصباً لنصرانيته، وقد عاقبهم الله عقوبة عاجلة كما جاء فى سورة الفيل.

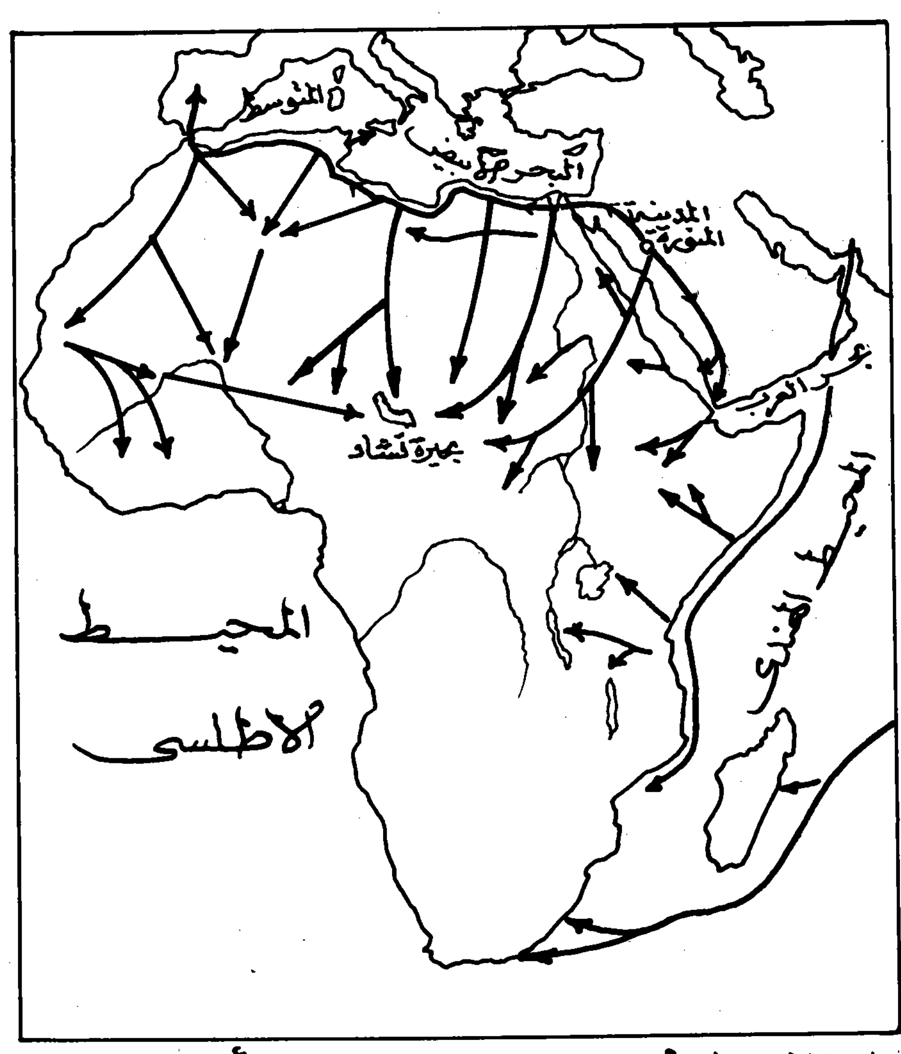
وعندما دعا الرسول ﷺ الناس إلى الاسلام فى مكة ووقفت قريش وقفتها المعروفة من الدعوة أذن لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة فكان الصحابة الطليعة الأولى من حملة الإسلام إلى أفريقية.

واستمرت السفن الإسلامية بعد أن قامت دولة الإسلام وضمت شبه الجزيرة تحمل بين الحين والحين بعض الذين طاب لهم الاستقرار بالساحل الأفريقي للإتجار فزاد عدد الوافدين وزادت العلاقات مع الداخل والتوغل فيه

---

(١) سبنسر ترمنجهام ـ الاسلام في شرق افريقيا ـ ترجمة وتعليق محمد عاطف النوادي ط ١/ ١٩٧٣ ص ٧٣.

وأصبحت للعرب المسلمين إمارات عربية فى هذه السواحل لها اتصال بالجماعات العربية فى شبه الجزيرة العربية وبالتجار والقبائل فى القارة الأفريقية.



طرق إنتشار الإسلام فى قارة أفريقية

وفى زمن عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ) هاجر بعض الأمويين إلى شرق أفريقيا. وعاشوا بها وكان هذا الاستقرار قد حدث بهدوء وبدون قوة أو عنف ولا يذكر لنا التاريخ حروبا أو معارك وقعت بين المهاجرين والسكان الأصليين وأثر الاسلام فى شرق أفريقيا حتى اللغة السائدة أصبحت لغة أفريقية عربية (اللغة السواحلية). وقد زار ابن بطوطة فى القرن الرابع عشر الميلادى كلوة وممبسة ومقديشو ودهش لما كانت عليه هذه المدن من تنظيم ومن حالة الرخاء السائدة فى هذه المناطق. ووصف الشوارع المنظمة التى رآها ومنازل العرب المبنية هناك من الحجارة والمونة ذات النوافذ الخشبية المزينة بالنقوش المحفورة، كما كانت للمنازل حدائق غناء، وشاهد المساجد المزينة بالنقوش. كما وصف اختلاط العرب بالسكان(١).

وقد استطاع الأئمة فى عُمان على الخصوص أن يمدوا سلطانهم على سواحل الصومال وأقاموا فيها إمارات تابعة لهم. وظلّ سلطانهم قوّياً فى كلوة ومافيا وبمبا وزنجبار حتى النصف الثانى من القرن التاسع عشر حين بدأت الدول الأوروبية تلتهم أملاك سلطان زنجبار.

٢ ـ طريق البحر الأحمر(٢): لم يكن البحر الأحمر عقبة كبيرة فى وجه الانتقال بين شاطئيه الشرقى والغربى فكان أقليم الحجاز على صلة بالشاطيء الأفريقى قبل الاسلام، وقويت هذه الصلة بعد ظهور الاسلام كمعبر قريب إلى الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج. وقد زادت هذه الأهمية فى عهد الحروب الصليبية عندما كانت الموانىء الشمالية مهددة بالغزو فازدهرت من أجل ذلك كميناء عيذاب الذى قال عنه ابن جبير:

ورمنا فى هذه الطريق (إلى عيذاب) إحصاء القوافل الواردة والصادرة فما تمكن لنا ولاسيما القوافل العيذابية المتحملة لسلع الهند الواصلة إلى اليمن ثم من اليمن إلى عيذاب، وأكثر ما شاهدنا من ذلك أحمال الفلفل، فلقد خيل لكثرته أنه يوازي التراب قيمة.

---

(١) رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ٢٦٩ وص ٢٧٩.

(٢) راجع ـ صراع القوى العظمى حول القرن الافريقى ص ٧٦/ الجغرافيا التاريخية لحوض البحر الأحمر ص ٩.

ومن عجيب ما شاهدناه بهذه الصحراء أنك تلتقي بقارعة الطريق احمال الفلفل والقرفة وسائرها من السلع مطروحة لا حارس لها تترك بهذا السبيل إما لأعباء الإبل الحاملة لها أو غير ذلك من الأعذار وتبقى بموضعها إلى أن ينقلها صاحبها مصونة من الآفات على كثرة المارّ عليها من أطوار الناس»[1].

٣ ــ طريق سيناء : وسيناء معبر يربط آسيا بأفريقية وكانت دائما فى جميع العصور جزءاً متمّماً لوادى النيل الأدنى وأحد الطريقين الرئيسيين اللذين كانت تأتي منهما الهجرات إلى وادي النيل (والطريق الثانى هو باب المندب وشرق أفريقية فعن طريقها دخلت القوات الاسلامية من فلسطين بقيادة عمرو ابن العاص، لتحرر مصر من الجاهلية، ثم برقة وطرابلس وأفريقية (تونس) والمغرب الأوسط (الجزائر) والمغرب الأقصى (المغرب) من النفوذ الرومانى وتم كل ذلك فى القرن الأول الهجرى[2]. وأصبح شمال أفريقيا بأكمله ضمن ديار الاسلام وقاعدة من قواعده الهامة انطلق إلى الجنوب عبر الصحراء بالتجارة والدعوة.

كما كانت شبه جزيرة سيناء طريق هجرة العرب الشماليين إلى أفريقية من مضر وربيعة ثم هجرات بنى هلال وسليم وبين هذه القبائل قبائل يمنية وأشهرها جهينة وبلي التى اتجهت نحو الجنوب إلى صعيد مصر وسهول السودان الشمالى وغرب النيل فأدى ذلك إلى تقريب شمال أفريقيا ووادي النيل. وظهرت الحواضر الإسلامية المشهورة :

الفسطاط والقاهرة والاسكندرية وطرابلس وبرقة والقيروان وتونس ووهران وفاس ومراكش.

٤ ــ الطرق الداخلية لانتشار الاسلام :[3]

أ ــ إلى غرب أفريقية : عن طريق المغرب، فيقال بأن الأمويين أرسلوا

---

(١) رحلة ابن جبير ص ٦٣.

(٢) انظر الفتح والاستقرار العربي في شمال افريقية والاندلس د. عبدالواحد زتون طه. تاريخ المغرب الكبير ج ٢ د. السيد عبدالعزيز سالم ـ العصر الاسلامي الافريقيون والعرب للدكتور العمري.

(٣) انظر جغرافية الاسلام في افريقية د. عبدالعزيز كامل.

جيشاً إلى غانا من جهة مراكش (١١٦-١٣٣هـ) وان قلة من هذا الجيش بقيت وتأثـرت بمعتقـدات أهـل غانة وان بقيت محافظة على الإمتيازات العنصرية ثم وصل الإسلام عن طريق التجار وهجرات العرب والبر بر حتى أصبح موجوداً فى كل قريـة وكـل مدينـة فظهـرت دولـة غانـا الاسـلاميـة فى ما يسمى اليـوم مالى وموريتانيا وأجزاء أخرى من أفريقية الغربية ــ التى وثقت صلاتها بديار الاسلام والخلافة العباسية[1]. واتسع انتشار الإسلام في غرب أفريقية على يد المرابطين في القرن الخامس الهجري.

ب ــ بلاد السودان : وسلك الإسلام إليها الطرق التالية[2] :

١ ــ من مصر إلى النوبة إلى البرنو إلى بلاد الهوسا.

٢ ــ من طريق الحبشة إلى اليوروبا والأشانتي.

٣ ــ من شمال أفريقية عبر الصحراء إلى حوض النيجر الأوسط والغربي.

وقـد مثلت منطقـة تشـاد نقطـة اللقـاء الإسلامي القادم من المشرق ومن المغـرب. وتكـونت دول إسـلاميـة شهـيرة[3] مثل : دولة البرنو والكانم، ودولة

(١) وقد ضمت ما يسمى اليوم - جمهورية مالي وموريتانيا.

انظـر: امـبراطـوريـة غانـا لابراهيم طرخان، وافريقية العربية في ظل الاسلام لنعيم قداح، موسوعة التاريخ الاسلامي ج ٦ - أحمد شلبى -.

(٢) انظر: امبراطورية البرنو لابراهيم طرخان، وافريقيا الغربية لطرخان ص ٦٥.

(٣) فدولة البرنو والكانم دولة افريقية عمرت حوالي تسعة قرون، وكان عصب قوتها الاسلام، والعربية لغتها الرسمية في شتى نواحي الحياة، قامت في السودان الأوسط ومهدها منطقة بحيرة تشاد وامتدت في بعض فتراتها إلى ما بين النيل والنيجر، واقامت هذه الدولة مدرسة لها كلية بالفسطاط ينزل بها وفودهم أثناء الحج وطلب العلم (انظر: طرخان - امبراطورية كانم - البرنو إفريقيا الغربية ص٤٤ المواعظ والاعتبار ج٢ ص٣٦٥ صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٨١).

أما دولة مالي فامتدت في السودان الغربي بين نهر النيجر والمحيط الأطلسي، واشتهرت باسم التكرور، وإلى هذه الـدولـة يعـود فضل انتشار الاسلام في بلاد الهوسا في القرن الثامن الهجري. وأشهر ملوكها منسا موسى، وتقدر مسـاحـة دولتـه بمسـاحـة كل دول غربي أوروبا مجتمعة. (طرخان - افريقية الغربية ص ٢٦، ٧٧/ وانظر: موسوعة التاريخ الاسلامي - أحمد شلبي ج ٦)=

مالي، ودولة صنغي والحوصا والفولاني. وكلها ارتبطت بعلاقات قوية مع ديار الإسلام وخاصة مصر والمغرب والأندلس. كما ظهرت فيها حواضر إسلامية كانت مراكز للعلم والثقافة مثل: كانو، وجني وتمبكتو، وفلاته، وجوبير، ومالي.

٥ ـ طريق المحيط الهندي: وقد سلكها التجار والدعاة من الجنوب العربي وعمان وفارس والهند ـ كما وصل الاسلام فى الوقت الحاضر إلى شرق أفريقيا وجنوبها بواسطة المسلمين الهنود والماليزيين والأندونيسيين، ونشطت الدعوات الخارجة على الاسلام كالدعوة الاسماعيلية والقاديانية فى كينيا وتاتزانيا وجنوب أفريقية[١] عن هذه الطريق وعلى الإجمال فقد اتسم تقدم الاسلام في أفريقيا بالطابع السلمي التجاري بصفة عامة[٢].

= وأما دولة صنغي فمن أشهر ملوكها سني علي ت سنة ٨٩٨هـ/١٤٩٢م واسكيا الاكبر ٨٩٩-٩٣٦هـ/١٤٩٣-١٥٢٩م، وقد أقامت هذه الدولة علاقات وثيقة مع الدولة العثمانية (طرخان ـ افريقية الغربية ص ١١٣-١١٤).

وأما دولة الحوصا فقد ظهرت في السودان الغربي. ومركزها مدينة كانو الاسلامية الشهيرة. وخضعت هذه الدولة للفولانيين (انظر: طرخان افريقية الغربية، وموسوعة التاريخ الاسلامي ج ٦).

وأما دولة الفولاني فقد اشتهرت بظهور الزعيم المصلح الشيخ عثمان دان فودي الفولاني ١١٦٨-١٢٣٣هـ ١٧٥٤-١٨١٧م، الذي نجح في اخضاع جميع بلاد الحوصا، وضم عاصمة البرنو، وقام بأمر الدعوة في افريقية الغربية والسودان. (طرخان ـ افريقية الغربية ص ١٣١-١٣٩، موسوعة التاريخ الاسلامي ج ٦).

(١) ترمنجهام ـ ص ١٩٨.

(٢) صراع القوى العظمى حول القرن الافريقي ص ٤٠.

العقبات التى وقفت فى وجه الاسلام فى داخل أفريقية فى العصور الحديثة :

١ ــ العزلة التى فرضت على القارة فى عهد الإكتشافات الجغرافية :

عمد البرتغاليون والاسبانيون إلى الاحاطة بالعالم الاسلامى تمهيدا لضربه فى الداخل فاستطاعت البرتغال أن تصل رأس بوجادرو وجزر ماديرا ومجموعة جزر أزورس فكانت أوّل مستعمرات برتغالية في ما وراء البحار. كما حصلت أسبانيا على جزر كناريا.

واستمرت البرتغال فى حركتها فوصلت الرأس الأبيض وإلى نهر السنغال ثم سيراليون عام ٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م وإلى ساحل غانا سنة ٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م ثم إلى مصب الكونغو ووصل دياز إلى رأس العواصف (رأس الرجاء الصالح عام ٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م)، ووصل دى جاما موزمبيق. وهاجم الميدا كلوة المدينة العربية الإسلامية الزاهرة فاستولى عليها بعد قتال عنيف فى الشوارع والطرقات وداخل المنازل وفوق سطوحها، كما دخل مدينة موزمبيق الاسلامية وفعل بها فعله بكلوة سنة ٩١٤هـ/ ١٥٠٨م فتمكن البرتغاليون الإحاطة بسواحل أفريقية فحجزوا داخلها عن المد الاسلامى وانشغل المسلمون بمواجهة هذا الخطر. واشتغل البرتغاليون بتجارة الرقيق ونافسهم فيها الفرنسيون والانجليز والهولنديون حتى الدانيمارك منافسة غير شريفة، وحققت هذه التجارة لأوروبا أرباحا خيالية وأصبحت هذه السلعة هى الأساس الذى بنت عليه تلك الدول الاستعمارية اقتصادها ورخاءها.

وكان الأسبان قد اتجهوا إلى جزائر الهند الغربية واستقروا واشتغلوا بالزراعة وخاصة الدخان وقصب السكر ثم القطن، واحتاجوا لذلك للأيدي العاملة، فحصل المقاولون البرتغاليون على عقود مع الأسبان يتيح لهم توريد أعداد من الرقيق تراوحت بين ٥٠ و٨٠ ألفا سنويا إلى المزارع الأسبانية. كما بلغ عدد الرقيق الأفارقة فى البرتغال فى نهاية الربع الأول من القرن السادس عشر أكثر من عدد المواطنين البرتغاليين. وكان الرقيق يعامل أسوأ معاملة واستغلت الأسلحة النارية للقنص البشري فسمى بعض المؤرخين فى أفريقيا القرن السادس عشر عصر البنادق.

ويقدر عدد ما وصل إلى المستعمرات الأوروبية كلها بأربعين مليونا خلال ١٠٩١/١٢٠١هـ ١٦٨٠/١٧٨٦م وإذا قدرنا أن ما وصل فعلا كان نصف ما خرج من أفريقيا بسبب صعوبات النقل والأمراض والمعاملة القاسية لأدركنا أي كسح تعرضت له القارة الإفريقية خلال هذا القرن، فقد خسرت قرابة ثمانين مليوناً من أبنائها في هذا القرن فقط ويقدر البعض العدد بما لا يقل عن مائة مليون كما بلغ في بعض القول على مدى خمسة قرون نحو ٥٠٠ مليون نسمة فأدى إلى الفقر في الأيدي العاملة والإنتاج وإلى انهيار العديد من الإمارات الأفريقية[١]. فأصبحت الكشوف الأوروبية في أفريقيا نهباً وسلباً والسلب صار استرقاقاً جماعياً.

وتعاونت الكنيسة مع المستعمرين وأعلنت أنها ستعمد العبيد المرسلين إلى أمريكا وراح مندوبها يجلس على مقعده الرخامي على الشاطيء فيُعمد العبيد ويقبض نصيبه من رسوم التصدير التي أصبحت مورداً هاماً من موارد الكنيسة[٢]. كما أسهم الفلاسفة بنصيب في تجارة الرقيق فيقول مونتيسكيو ١١٠١هـ - ١١٦٩هـ (١٦٨٩-١٧٥٥م) : «ان لنا حقاً مكتسباً في اتخاذ الزنوج عبيداً. وان شعوب أوروبا بعد أن أفنت سكان أمريكا الأصليين لم يعد أمامها إلا أن تستعبد شعوب أفريقيا لكي تستخدمها في استغلال هذه الأقطار الفسيحة، فما هذه الشعوب إلا عناصر سوداء البشرة من قمة الرأس إلى أخمص القدم، ولا يمكن أن الله جلت قدرته وهو ذو الحكمة السابغة يضع روحاً طيبة في مثل هذا الجسم الحالك السواد»[٣].

وكان التنافس بين الشركات الأوروبية في هذه التجارة يدفعها إلى أن تضع كل شركة علامة خاصة على رقيقها كما توسم الماشية، وكانت هذه السمة حرقاً في مكان خاص من أجساد الرقيق. وبقيت هذه القارة تنتهك حرمتها وتدمر مقدساتها وتفسد أخلاق حكامها وأهليها وتشوه حياتها الاجتماعية وتنهار صناعاتها

(١) الافريقيون والعرب للعمري ص ٩٩.

(٢) زاهر - رياض - الاستعمار الأوروبي لافريقية ص ١٣٨.

(٣) شلبي ج ٦ ص ٤٣٧ عن كتاب روح القوانين، والعمري ص ٩٦.

حتى غرق جزء كبير منها فى غياهب الظلمات والجهل ولم تفق منها تماماً حتى الآن[1].

ولما ألغت بريطانيا الرق عام ١٢١٨هـ-١٨٠٣م هدفت إلى ضرب الاقتصاد الأمريكى بعد أن استقلت أمريكا سنة ١١٩٠هـ-١٧٧٦م وكانت زراعة القطن فيها قائمة على أكتاف الزنوج، وكان ذلك مما يساعدها على أن تنتج انتاجا رخيصا لا يقوى الانتاج الانجليزى على منافسته ثم ان بريطانيا بعد أن فقدت أمريكا اتجهت إلى أفريقية وأرادت أن تحتفظ باليد العاملة فيها لتكون هذه اليد فى خدمة الاستعمار البريطانى. كما أرادت بريطانيا وهى تتظاهر بالدفاع عن الانسانية ومحاربة الرقيق ـ أن تتسلط على مقدرات أفريقية باسم مقاومة تجارة الرقيق. فقد راحت تعقد المعاهدات مع السلاطين والزعماء لتقضى على هذه التجارة وتولت جيوشها مكافحة هذا الداء، وأتخذت ذلك وسيلة لتتسلط على القارة ولتمد نفوذها الاستعمارى فأصبح لها السلطان داخل البلاد فحكمت على الأفريقي بالرق فى بلاده وكان قبل رقيقاً خارج هذه البلاد[2].

وكان للرق نتائج هامة على أفريقية :

١ ـ إذ لما تحرر الأفريقى وترك بلا تجارب وبدون تعليم (بعد قرون من العبودية فى جو من القذارة والجوع والتبعية والخوف) كان لابد أن يظهر منه أحياناً العجز أو الاهمال، ولما كان قد اعتاد على عدم الملكية فإننا نراه بعد التحرر لا يعبأ بالملكية ويبدّد ما بيديه، ولم يكن له تحت نير العبودية أسرة وأولاد.فأصبح بعد التحرر يضيق بمسؤليات الأسرة والأولاد. والعجيب أن الرجل الأبيض أصبح يعدّ هذه الصفات طابع الزنجى ويحسبها عاراً فيه ونسي أنه هو الذى غرس هذه الصفات فى الزنجى وأنه الذى حرمه سبيل الحياة الشريفة والفكر السليم.

وبالنسبة للإسلام كانت الخسارة مضاعفة إذ أن هؤلاء تحت ضغط السيد الأبيض نسوا تراثهم الاسلامى وجاء بعدهم أولادهم وأحفادهم فلم يعرفوا من الإسلام ولا اسمه، فقد كان استرقاق المسلم يعنى حسبانه من الوثنيين ومعاملته

---

(١) انظر: الافريقيون والعرب ص ٩٣-٩٧، شلبي ج ٦ ص ٤٣٥.

(٢) شلبي ج ٦ ص ٤٤٧.

على هذا الأساس. وكان الاستعمار حريصاً أن يخلع الأفريقى من ماضيه فكان لا يجمع فى مكان واحد بالأرض الجديدة رقيقين يتكلمان لغة واحدة أو يربطهما دين واحد أو أروقة واحدة لأن عزل الأفريقى عن ماضيه كان أساساً لحياة الرق أرادها الرجل الأبيض للرجل الأسود[1]. كما وجدت الحساسية فى نفس الأفريقى تجاه كل ما هو أجنبى وحاولت أوروبا منذ وضعت أقدامها فى القارة ازاحة العناصر العربية ومحاربتها لأنها اعتبرتها عائقاً أو حائلاً دون الإنفراد بأفريقية جنوب الصحراء، خاصة بعدما وجدت أن هذه العناصر أقامت تجارة ذات رواج فى الأقاليم التى وصلت إليها وأن علاقتها بالأفارقة علاقة حسنة وتعاون ينتج عنه انتشار الاسلام، فأخذت أوروبا والهيئات التبشيرية والإدارات الإستعمارية توحي دائما للأفريقيين بأن العرب هم أرباب النخاسة وهم تجار الرقيق الذين ساقوا أجدادهم بالسياط ومما يؤسف له أن نجد بعض الأفريقيين يردد هذا القول حتى اليوم. وهو من عوائق طريق الدعوة.

٢ ـ الأمراض وطبيعة الأرض : فقد كانت الأمراض من أكبر العقبات التى عاقت من انتشار الاسلام فى العصور الوسطى كما عاقت المستكشفين فى العصور الحديثة، كالجدرى والملاريا ومرض النوم الناتج عن ذبابة التسى التسى. فابتلعت أفريقيا الكثير من الروّاد والمستكشفين والدعاة وضمتهم إلى جوفها واحداً أثر واحد.

كما وقفت الغابات الإستوائية الكثيفة وهضبة البحيرات الكبرى وجبال دراكنزبرج وغيرها من الجبال الممتدة على الساحل فى وجه الدعاة والتجار فحدّت من انتشار الاسلام وتوغله نوعاً ما.

٣ ـ الاستعمار الأوروبى الحديث : أوجدت الثورة الصناعية فى أوربا حوافز قوية دفعت عجلة الاستعمار، ذلك لأن الإنقلاب الصناعى أدى للإنتاج الكبير الذى يفيض كثيراً عن استهلاك الشعوب المنتجة والذى يسعى حثيثاً

---

(١) شلبي ج ٦ ص ٤٤٧.

لايجاد أسواق جديدة للتصريف بالإضافة إلى أنه خلق الحاجة الماسة باستمرار للمواد الخام . فظهرت فكرة تأسيس الشركات التجارية (الاستعمارية) التي كانت مقدمة لتدخل الحكومات ولتكوين المستعمرات فأصبحت أفريقا هدفاً للاستعمار لاستغلالها وامتصاص خيراتها . واشتد التنافس بين الدول الاستعمارية على أفريقيا . فعقد مؤتمر برلين ١٣٠٢-١٣٠٣هـ ١٨٨٤-١٨٨٥م ورسم هذا المؤتمر الأساس الذى يقوم عليه الإستعمار فى أفريقيا، فاجتمع فى ١٥ نوفمبر سنة ١٨٨٤م مندوبو أربع عشر دولة ذات المصالح (حسب زعمها) فى إفريقيا أو ذوات المستعمرات فى العالم فى برلين . وأخذ المؤتمر بوجهة النظر الألمانية التى بمقتضاها يصبح للدول الأوروبية إذا استقرت على شاطىء أفريقية الحق فى التوغل فى الداخل فيما وراء القطر الذى تحتله ، ويمكنها أن تمد حدود ممتلكاتها إلى أن تلتقى بمنطقة مجاورة يشملها نفوذ استعمارى آخر بشرط أن تخطر الدول الأخرى الموقعة على اتفاق برلين بالمعاهدات التى تبرمها مع المسئولين فى المنطقة . كذلك قرر المؤتمر أن الوضع فى أفريقيا يجعل القوة هى التى تفرض إرادتها على الحق والقانون وتتصدرهما . فاشتد السباق فى أفريقيا للحصول على المزيد من الممتلكات ونالت بريطانيا وفرنسا حصة الأسد .

واضطرت هذه الامبراطوريات الاستعمارية بعد الحرب العالمية الثانية ان تسلم بحق الشعوب التى حكمتها فى الماضى قسرا واتجهت إلى أسلوب الإستعمار غير المباشر وخاصة الثقافي والإقتصادي . وظهرت أمريكا وريثة للدول الاستعمارية تعتمد على المساعدات والقواعد العسكرية والانقلابات فى تقوية نفوذها فى دول أفريقية . كما تسلل النفوذ السوفييتي الروسي عن طريق الأحزاب الاشتراكية والدعاية الثقافية والمساعدات العسكرية وكذلك تسللت الصهيونية إلى هذه القارة .

ومن المشكلات التى خلّفها الاستعمار في قارة أفريقية :

أ ــ مشكلة الحدود بين الدول الأفريقية : وهى من أعنف المشكلات التى خلفها الاستعمار فى القارة الأفريقية ، فهى فى معظمها خطوط مستقيمة تتمشّى مع خطوط الطول والعرض وكان ذلك نتيجة التنافس الاستعمارى وترتب

على ذلـك نتـائـج خطيرة فهناك مثلاً قبائل إفريقية رعوية لازالت تحترف الرعي ولا تستطيع أن تدرك معنى الحدود السياسية التى تعرقل أو تمنع ارتياد قطعانها للمراعي[1]. والظاهرة التى تلفت النظر هى أن القارة الأفريقية تعتبر من أطول القـارات من حيث الحـدود السيـاسيـة بالنسبة لمساحتها[2]، فالأقسام الحالية فى القارة تمثل التوسع السياسي لكل قوة إستعمارية فى حدود التوازن بين مجموع هذه القـوى[3] ولـذلك لا تمثل هذه الوحدات أوطاناً أو أمماً حقيقية بل مجرد رقع، تثير النعـرات العنصـريـة والخـلافـات المحلية والإقليمية ووصل الأمر حدّ الاشتباك المسلح، واستعـان كل فريق بإحـدى الكتلتين فأخذت مخالب الاستعمار الجديد تنشب أظفارها في لحوم الشعوب الأفريقية.

ب ـ مشكلة التخلف الإقتصادى : رسمت الدول الاستعمارية سياستها الاستعـماريـة على أسـاس توجيه البلاد الأفريقية لخدمة مصالحها فظلت الدول الأفـريقيـة بعـد استقـلالهـا تشكـو من آثار التبعية الاقتصادية التى رَزَحَتْ تحتها سنـوات. فمازالت الكثـير من المـواد الخـام المعـدنيـة (كالماس والذهب والفضة والنحـاس والكـبر يت والـرصـاص والبتر ول) تصدر إلى أوروبا وأمريكا كمواد خام من موانيء التصـديـر التى أعـدت لذلـك. كذلـك مازال الكثير من البلاد الأفـريقيـة حتى اليوم عاجزا من أن يصدر أي شيء سوى محصول أو محصولين. وقد أدى الإرتباط بالسوق الرأسمالى أن ارتفعت باضطراد أسعار السلع المصنعة التى تصـدرهـا الدول الصناعية بينما انخفضت باستمرار أسعار المواد الخام التى تستوردها هذه الدول من أفريقيا.

وأمـا المسـاعـدات المـاليـة التى تقدمها هذه الدول الأفريقية فقد اتجهت لخدمـة حاجـات النمـو من ناحيـة نقـل الخـامات واستيراد المصنوعات واستثمار القروض بعيداً عن خدمة الهدف الحقيقي المطلوب وهو التصنيع الثقيل وبذلك لم تنطلق الدول الأفريقية فى طريق الاستقلال الاقتصادي ومازالت للاحتكارات

---

(١) فيليب رفله ص ١٠٦.

(٢) جمال حمدان ـ افريقيا الجديدة ص ٦٩.

(٣) شوقي الجمل ـ الوحدة الافريقية ص ٧.

الأجنبية اليد الطولى فى تحديد معالم تطورها . ومازالت عمليات التنمية تتسم بطابع التخلف الشديد . ولازالت تعاني هذه الدول قلة الخبرة الفنية فى مختلف المجالات كالمساحين والمهندسين والأطباء والمدرسين فتعتمد على الدول الكبر ى لتزويدها بالفنيين الذين يمثلون خليطاً عجيباً من الخبراء الأجانب الألمان والإنجليز والفرنسيين والبولنديين والتشيك والأمريكان والروس .

كما أن الأستعمار لم يشجع على تكوين رأسمال وطني الذي يمثل العمود الفقرى فى مد السكك الحديدية والتليفونات وغير ذلك من المشاريع الهامة اللازمة للتنمية وهذا يسبب طلب المعونات والقروض الأجنبية فتنال الشركات الأجنبية كثيراً من الامتيازات .

وقد ارتبطت الاقتصادات الأفريقية باقتصاديات الدول الاستعمارية السابقة فالدول التى تحررت من فرنسا مازالت تعيش فى دائرة الفرنك ونقدها مرتبط بالسياسة النقدية الفرنسية ويخضع لتطوراتها . والمصارف والبيوت المالية فى أغلبيتها الساحقة مؤ سسات أجنبية أو فروع لمؤ سسات قائمة فى الدول التى كانت تفرض سلطانها على القارة .

أما المواصلات فلم يدعم المستعمرون وسائل النقل إلا بما يتفق وأهدافهم ورغباتهم فى استنزاف ثروات القارة ـ فالشلالات لم تستغل فى توليد الطاقة الكهربائية إلا فى أضيق الحدود. والسكك الحديد كان هدفها خدمة مصالح الاستثمارات الأجنبية فقط بغض النظر عن التكامل الاقتصادي والحضاري للمستعمرة الواحدة[1] . ويلاحظ على العموم أن شبكة المواصلات الحديدية فى القارة تنتشر فى أقاليم الاستيطان الأوروبي أو تسخر لخدمة الاستغلال الاقتصادي ومقاييس السكك الحديدية ليست واحدة مما يجعل كل دولة فى شبه عزلة عن جيرانها .

وعندما أصاب الجفاف أسهمت هذه العوامل كلها فى وجود مشكلة المجاعة وقلة الغذاء فى أفريقية من موريتانيا إلى النيجر ومالى والفولتا العليا وشمالي نيجيريا وشمال ووسط أثيوبيا وفى هذه الجهات يعتمد السكان على

(١) محمد رياض وكوثر عبد الرسول ـ الاقتصاد الافريقي ص ٥١٣ .

الـرعي والـزراعـة وكـلاهما يعتمـد على الغيث فأصبـح ما يزيد على **٢٥** مليونا يعيشـون المجـاعـة . وانتشـرت بينهم الأمراض كالتيفوئيد والدوسنتاريا والحصبة والالتهـاب المعـوي والكـوليرا . وتعدت الأزمة سكان البوادي إلى الحواضر لأن سكان الصحراء والريف القريبين من المدن هجروها ورحلوا إلى المدن بحثاً عن الغـذاء وأصبحـوا يشكلون بطـالـة ظاهرة فى أديس ابابا وأسمرة ومصوع ونيامي وزنـدر وبـاماكو وغيرها . وقد فقدت هذه الدول جل ثروتها الحيوانية التى كانت تمثل معظم الصادرات .

جـ ــ مشكلة التخلف الاجتماعي : وذلك عن طريق :

١ ــ انتشـار العـادات والتقـاليـد والمعتقـدات البالية ــ الخرافات ــ مثل عبادة أرواح السلف عند البانتو، ونظام الطوطمة، وعادة تشويه الأسنان وعمل الشلوخ والندوب فى الوجه . والمعتقدات متعددة ومتباينة فبعض القبائل فى شرق أفريقية مثلا تمتنع عن استخدام روث البهائم كسماد فى الزراعة وتعتقد أن ذلك يؤثر على ثروتهم الحيوانية، ومن الخرافات مثلا أن بعض النساء يشربن من الماء الـذى يعلق به الطمي على زعم انـه يزيـد فى خصـوبتهن ولـه أثر على إنجاب الأطفال . وقد ازداد الأفارقة تمسكاً بهذه الأوهام فى ظل الاستعمار.

٢ ــ أسهم الإستعـمار فى تفكيـك الروابط القبلية والأسرية ونشأ فى بعض البلدان الأفريقية نظام الطبقات أو انقسام المجتمع إلى طوائف متنافرة .

د ــ مشكلة انخفاض المستوى الثقافي والعلمي : ويمكن أن نجمل أهم نواحى مستوى التعليم التى خلفها الاستعمار فيما يلي :

١ ــ غلبة الأمية : فلم يؤخذ بمبدأ الالزام فى التعليم فى المرحلة الأولى ولم يتوفر من المدارس الأولية والابتدائية ما يكفي لاستيعاب جميع الطلاب الأفريقيين .

٢ ــ الفلسفـة الاستعـمارية فى التعليم : فقـد استهـدف التعليم ربـط الأجيـال النـاشئـة بمفـاهيم خاطئة وقيم فاسدة تشيد بقوة المستعمر وتهدف إلى

تعميق الولاء لمنطقه وأساليبه والتقليل من قيمة الحضارات والثقافات الوطنية[1].

٣ ــ الخدمات التعليمية : تركزت في كثير من الاحيان للجمعيات التبشيرية : فقد أصبحت أفريقية ميداناً للتبشير الذي يهيء للإستعمار فنشط المبشرون الكاثوليك مع الاستعمار البرتغالى . وفى أواخر القرن السابع عشر وخلال القرن الثامن عشر أخذت الجمعيات التبشيرية البروتستانتية تظهر للوجود وكانت بريطانيا أسرع الدول إلى تنظيم هذا النشاط ففى سنة ١٢١٠هـ/ ١٧٩٥م تألفت جمعية لندن التبشيرية بمعاونة التجار فى لندن وبدأت عملها فى الهند والصين ثم امتدت إلى كل مكان من العالم تمتد إليه التجارة البريطانية ومنها أفريقية لاسيما بعد أن وجّه المستكشفون الذين اتجهوا إلى هذه القارة نشاط رجال الدين إلى بذل بعض الجهد فى هذه القارة الواسعة وكان ارسال دافيد لفنجستون إلى قارة أفريقية مظهراً من مظاهر التفات هذه الجمعية إلى أفريقية وتكونت أكثر من جمعية تبشيرية فى الجهات التى اكتشفها لفنجستون منها : بعثة الجامعات التبشيرية إلى وسط أفريقية سنة ١٢٧٨هـ/ ١٨٦١م وجمعية الكنائس الاسكتلندية سنة ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م وجمعية الكنيسة التبشيرية ونافست فرنسا بريطانيا فى هذا الميدان فأسست جمعية باريس التبشيرية سنة ١٢٤٤هـ/ ١٨٢٨م بمعاونة ملوك فرنسا من أسرة البوربون . كما أسست هولندا الكنائس الاصلاحية يؤيدهم البوير من سكان جنوب أفريقيا . فقام الكاثوليك بتأليف جماعة الآباء البيض سنة ١٨٨٦م بارشاد الكاردينال لافيجيري الذى دعا إلى النشاط الفرنسى فى ميدان الاستعمار وقد بدأت كلها فى الشمال الأفريقى ثم فى روديسيا الشمالية وكانت جماعة الآباء الكاثوليك فى كندا أكبر مشجع لهؤلاء الآباء في عملهم . وانتهى أمر هذا التنافس الكاثوليكي البروتستانتى إلى اقتسام الحقل الأفريقي بين أكثر من بعثة[2].

٤ ــ تعدد اللغات المستعملة فى البلد الواحد وعدم استخدام اللغة العربية فى البلدان الاسلامية مما أدى لانتشار لغة المستعمر وهذه من العوامل

---

(١) انظر: راشد البراهي ـ مشكلات القارة الافريقية السياسية والاقتصادية .

(٢) زاهر رياض ـ استعمار افريقيا ص ١٠٤ ، وانظر: العالم الاسلامي لأنور الجندي ص ٤١٦ . والغارة على العالم الاسلامي ا . ل شاتليه ص ٣٧ .

التى حدت من انتشار الاسلام .

ومن الأمثلة على ذلـك أن اوغنـدا وصلت اللغات التى تذيع بها اذاعتها عام ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م إلى ثمانى عشرة لغة .

هـ ــ مشكلة التمييز العنصري : بين المسئولين وأهالي أفريقية :

وتـاريـخ هذه المشكلة طويل حافل بالآلام والآثام ، بدأ بتجريد القارة من بنيها السود بالرق ، ثم وضح في شمال أفريقيا في منطقة النفوذ الفرنسي وخاصة في الجزائر بحرمان أهل البلاد من الوظائف الحكومية وأعمال الإدارة فيما عدا الأعمال الثانوية وما تدفعه حكومات الاحتلال من مرتبات ضئيلة ومحاربة الاسلام واللغة العـربيـة ، واقتطـاع المحتلين وعمـلائهم وصنـائعهم أخصب الأراضي وأكثرها انتـاجـاً ، وكـذلـك التفـرقـة فى المعـاملة بقـوانـين ما وراء البحار بين المستوطنين الأوروبيين وأهل البلاد .

ووضـح الاضطهـاد العنصري بين السـود في سائـر المستعمـرات على اختـلاف ألـوان الحكـام في تشغيـل العـمال السـود في المنـاجم والمصانع والمزارع والغـابـات بما يعـادل عشـر أجر العامل الأوروبي وبحرمانهم من نور العلم ومن وسائل العلاج والعناية الصحية وبانتزاع أخصب الأراضي واقطاعها للأوروبيين المستـوطنـين وبمنعهم إمـا بحكم القـانـون أو بنـاء على الأمـر الواقع والتصرف العمـلي من ارتيـاد مدن البيض ومسـاكنهم ومتاجرهم ومقاهيهم وأماكنهم العامة ووسـائـل المواصلات والجامعات الخاصة بهم ، وبوضع تشريعات خاصة بالسود فحسب تصب جام غضب المستعمـر عليهم وتقيـدهـم في أصفاد التأخر وتحرمهم الحقوق السياسية وأهم الحقوق المدنية(١) .

واستمـر هذا التمييـز في روديسيـا الجنـوبيـة (زمبـابوي) إلى أن انهار بعد نضـال طويـل تحقق فيه النصر للأغلبية الأفريقية . وبقيت أفريقيا الجنوبية حيث تتجـاهـل الأقليـة البيضـاء كيـان الأغلبيـة وحقـوقهـا وتستعمل وسائل البطش البـوليسي والعسكـري بما يشبـه أسلوب الكيـان الصهيوني في فلسطين المحتلة .

---

(١) الافريقيون والعرب ـ د. أحمد سويلم العمري ص ١٠٠ .

فقد اقتبست جنوب أفريقية من اسرائيل وسائل قمع وتمييز وزعزعة استقرار عديدة : قوانين الطوارىء التي تقضي بالاحتجاز لمدة طويلة من دون محاكمة، وبإبعاد قطاعات من السكان قسراً عن ديارهم والتمييز في ميزانيات التعليم والصحة وغيرهما، واقتبست أيضاً سياسة التعقب الساخن عبر حدود الدول المجاورة ضد المناهضين لنظامها العنصري . فكانت ولاتزال تشن غارات عبر انجولا وموزمبيق لضرب قواعد ثوار المؤتمر الوطني الإفريقي بزعامة مانديلا . وتحظر على العمال السود البقاء في مدن البيض بعد ساعات العمل والإستغلال[1] .

ومن الجدير بالذكر أن المسلمين في جنوب أفريقية وعددهم ٤٠٠ ألف مسلم يشتركون في تأييد السود فتعرضوا لذلك للمضايقات الكثيرة[2] .

ويمكن أن نضيف إلى هذه المشكلة ـ مشكلة التمييز العنصري ـ ما حاوله الاستعمار من بث الكراهية وخلق التوتر ضد المسلمين والأفارقة في شرقي القارة بصفة خاصة بالمذكرات التي كتبها لفنجستون المبشر المتعصب الذي حمّل العرب وزر الرق دون أن يذكر دور الغرب والكنيسة من الفظائع في تجارة الرق[3]. وكان من حصيلة ذلك مجزرة زنجبار كأحد النتائج .

و ـ مشكلة الصهيونية : استغلت الدولة الصهيونية امتدادها إلى البحر الأحمر ووجود ميناء إيلات كمركز رئيسى للاتصال بأفريقية عبر خليج العقبة الذي ضمنت قرارات مجلس الأمن حمايته طيلة الأعوام بين **١٣٧٦-١٣٨٧هـ ١٩٥٦-١٩٦٧م**، ثم المعاهدة الأخيرة بين اسرائيل ومصر. فبذلت قسطاً مضاعفاً للنفاذ إلى قلب أفريقيا، سياسياً واقتصادياً وثقافياً . وأقامت علاقات وثيقة مع عدد كبير من الدول الأفريقية عن طريق زعماء هذه الدول والمؤسسات التبشيرية والاستعمارية وأصحاب رؤوس الأموال ومدراء المشاريع الزراعية والصناعية والتجارية[4] فأخذت تلعب دوراً رئيسياً فى أحداث القارة، فأسهمت

---

(١) الشرق الأوسط ص ٨ الأربعاء ١٩٨٥/٨/٢١م .

(٢) المسلمون ـ العدد ٣٧ ص٤ ٥ صفر ١٤٠١هـ ١٩ أكتوبر ١٩٨٥م .

(٣) زاهر رياض ـ كشف القارة الافريقية ص ٢٤٢ .

(٤) مأساتنا في افريقية ص ٤٠ .

عناصر صهيونية في مجزرة زنجبار سنة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٣م، وفي حركة انفصال بيافرا في نيجيريا ١٣٨٧-١٣٩٠هـ ١٩٦٧-١٩٧٠م وفي حركات جنوب السودان، ونجد اليهود في الكونغو يسيطرون على تجارتها وبعض صحافتها والبضائع الاسرائيلية تغرق البلاد[1]. وانشأت اسرائيل في غانا شركة النجمة السوداء للنقل البحري وأشرفت على معهد البحرية الغاني، وأسهمت في إنشاء مدرسة الطيران الحربية الغانية، وفي السنغال انشأت منظمة الشبيبة السنغالية عام ١٣٨٣هـ ١٩٦٣م على غرار منظمة الناحال وقام سبعة ضباط اسرائيليون عام ١٣٨٢هـ ١٩٦٢م بتدريس مرشدين على إنشاء مستعمرات زراعية في أدغال ساحل العاج وأسسوا مدرسة عسكرية عام ١٣٨٣هـ ١٩٦٣م[2] وفي نفس السنة وصل سفير اسرائيل إلى تشاد فأثار ذلك عنف المسلمين واحتجاجهم فأدى ذلك إلى اخراج جميع الوزراء المسلمين من مناصبهم ونفي وزير التربية واعتقال قاضي القضاة ثم نفيه واعتقال وزير الدولة ورئيس الجمعية الوطنية ووزير العدل وعدداً من الشخصيات[3]. وفي موزمبيق تدخلت اسرائيل بخبراتها لتطبيق أساليب برتغالية ضد الاسلام ــ باستخدام القوة العسكرية والبوليسية ضد الزعماء المسلمين وتعطيل الدراسات الاسلامية ومنع استعمال اللغة العربية ووضع جميع نظم التعليم بين يدي المبشرين الكاثوليك، وعزل جميع المسلمين في موزمبيق عن الاتصال بالعالم الاسلامي[4]. فاتخذت عصبة مسلمي موزمبيق بعض الخطوات الفعالة لتجنب الكارثة[5]. وفي السودان البلد العربي المسلم : كان بروفيسور ليبون اليهودي عميد كلية الآداب في جامعة الخرطوم سابقاً قد ذكر في محاضرة القاها في أروقة الجامعة ــ أن السودان ستطور تطوراً ملحوظاً في عام ٢٠٠٠م وستكون هناك مراكز عديدة للذرة تحت إدارة

---

(١) مجلة حضارة الاسلام - السنة السابعة عدد (٥).

(٢) ححضارة الاسلام السنة ١١ عدد ٦، ٧.

(٣) حضارة الاسلام السنة ٨ العدد ١ عن رسالة لمواطن تشادي / مأساتنا في افريقية ص ٦٠-٦١.

(٤) المجتمع السنة (٥) العدد ١ أيلول ١٩٦٥م عن الميثاق الاسلامي السودانية مأساتنا في افريقية ص ١٢٨.

(٥) حضارة الاسلام - الاسلام في موزمبيق. السنة (٧) العدد ٤.

الاسرائيليين، هذا في الجزء الشمالي من السودان أما الجزء الجنوبي فإنه سينفصل وينضم إلى دولة تنشأ يومئذٍ واسمها دولة أواسط أفريقيا[1]. وفي أثيوبيا سنبين الأثر الصهيوني فيما بعد.

هذا وقد حدّ من الأثر الصهيوني في أفريقيا بعد عام ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م إثر نجاح دعوة التضامن الاسلامي، ليعود بشكل أشدّ بعد توقيع معاهدة كامب ديفيد وسياسة التطبيع مع مصر!.

ومن الجدير بالذكر أن الصهيونية تبدأ طريقها من فوق فتبدأ نفوذها بالرؤوس من الزعماء وأرباب المال وكبار المثقفين دون أن يكون للشعوب رأي حول الموضوع ثم تنساب كالأفعى هادئة ناعمة إلى القواعد، تدعمها الماسونية التي تشكل في ظلالها أكبر وأعظم انفتاح على الاتجاهات الوطنية التحررية والإنسانية[2] فتسهم مع الاستعمار الجديد والتبشير والشيوعية في محاصرة الحركات الإسلامية وتضييق الخناق على المسلمين بالتجويع والإرهاب والقتل والإفناء. ومن يقف من الزعماء الأفارقة بإخلاص ضد المطامع الصهيونية سرعان ما يطاح برؤوسهم كما حدث للداعية المسلم أحمدو بللو ورفيقه أبي بكر تفاوه باليوه في مطلع عام ١٣٨٦هـ ١٩٦٦م وكما حدث لعيدي أمين في أوغندا، وذلك من أجل عزل الجماهير الأفريقية عن الاتصال المباشر بالإسلام، وكان أحمدو بللو قد كتب يحذر من مخاطر السياسة الصهيونية في إفريقيا يقول: «إن التغلغل الصهيوني في بعض الدول الأفريقية سيكون له الأثر الخطير بين أفراد الشعوب الأفريقية[3].

ح ـ مشكلة النصرانية والتبشير: وهي مرتبطة ارتباطاً بالاستعمار وملازمة له، فقد بدأت البعثات التنصيرية أولى خطواتها نحو أفريقية خلف الاستعمار واستمدت منه العون والسلطة وشجعها الاحتلال لتثبت نفوذه. ومن ورائها مؤسسة الاستشراق التي هي المصنع الذي يعدّ الشبهات والطعون ويقدمها

---

(١) مأساتنا في افريقية ص ٥٩ عن جريدة الميثاق الاسلامي السودانية الأعداد ٥١، ٥٢، ٥٣. تموز ١٩٦٥م.

(٢) مأساتنا في افريقية ص ٤١.

(٣) نفسه ص ٥٠-٥١.

للعـاملين في حقـل التبشير لنشرها وإذاعتها[1]. وقد جندّ النصارى كل طاقاتهم التبشـير يـة والمـاديـة والعلميـة بالتنسيق الكامل بين الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي وغيرهما من الهيئات التنصير ية من أجل تحقيق مطامعهم في تنصير القارة مع نهايـة هذا القـرن. وقـد أكـد هذا العزم مجلس الكنائس الأفريقية المنعقد في نير وبي عام ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م، ثم مؤتمـر الكنـائس العـالمي الـذي انعقـد في نفس المدينة عام ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م، ولذا فإن المبشرين ينتشرون في أعداد غير معقـولـة في أنحـاء إفـريقيـة[2]، فقد بلغوا في عام ١٩٨٥م/ ١٤٠٦هـ أكثر من ١١٣ ألف مبشر، شعارهم: «افريقية كلها مسيحية عام ٢٠٠٠م»[3]. يشرفون على تعليم أكثـر من خمسـة ملايـين طالـب. كما بلغت المستشفيـات التى أقامتها الارسـاليـات أكثـر من ٥٠ مستشفى[4]. وارتفعت قيمة الدعم المالي للمبشرين فبلغت ٣,٥ ألف مليـون دولار سنـوياً. ووصل عدد المدارس اللاهوتية لتخريج المبشرين والقسس فى إفريقيا إلى ٥٠٠ مدرسة بالإضافة إلى عشرين ألف معهد كنسي في أنحاء القارة. وكلها تعدّ المبشرين إعداداً خاصاً[5]. ونشط الفاتيكان في حملة التبشـير هذه برعـايـة البـابا الذي قام بثلاث زيارات خلال خمسة أعوام (عـام ١٩٨٠م، ١٩٨٢م و١٩٨٥م) ذرع فيهـا افريقيا شرقاً وغرباً، وفي الزيارة الأخيرة تحدّث إلى ٨٠ ألف شاب مسلم بملعب الدار البيضاء بالمغرب. ودشّن كتـدرائيـة القـديس بولس بأبيدجان التي تتسع لثمانية آلاف شخص وهي أوسع معبد نصراني في افريقية ولا يجاوزها في العالم إلّا الفاتيكان[6].

---

(١) التبشير والاستعمار ـ عمر فروخ والخالدي.

(٢) انظر بالتفصيل: الصواف: رحلاتي إلى الديار الاسلامية ق ١ إفريقية المسلمة ص ٦٣٢. التبشير والاستعمار لفروخ وخالدي ص ٢٦٥، والمخططات الاستعمارية للصواف ٢٦٢-٢٦٣، وجمال حمدان: الاسلام في افريقية، ومجلة المجلة نوفمبر ١٩٦٣م.

(٣) المسلمون العدد ٤٦ السبت ٩ ربيع الأخر ١٤٠٦هـ/ ٢١ ديسمبر ١٩٨٥م.

(٤) مجلة رابطة العالم الاسلامي ص ٤٢ العدد ١٢ السنة ٢٣ صفر ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

(٥) انظر اعترافات مبشر سابق وهو القس الكامير وني ريفيران بجيا جولير الذي اسلم وأصبح اسمه موسى محمد ـ والحاصل على دكتوراه في اللاهوت ـ المسلمون العدد ٤٦ ص ١٣.

(٦) الشرق الأوسط ـ قضية ورأي ص ١٢، ٢٤ محرم ١٤٠٦هـ/ ٨/ ١٠/ ١٩٨٥م.. بقلم مفتي تونس.

وقد استقبل على اثر هذه الزيارة الملك الحسن الثاني الأسقف لورديسانس سكرتير المجمع المقدس للدعاية المسيحية ورئيس البعثة الاسقفية للجمعيات الخاصة بتقديم المساعدات، وقد أحضر رسالة للملك من البابا بول الثاني أكدّ فيها بأنه يعلم أن الكنيسة ستواصل رسالتها في المغرب مذكراً باللقاء الذي تم بينه وبين ملك المغرب في الفاتيكان وعبّر عن أمانيه الطيبة بالسعادة والرفاء للمملكة المغربية[1]

هذا وأشارت مجلة الأزهر (على سبيل المثال) إلى أن في السودان ما لا يقل عن ٥٠٠ جمعية لها فروعها في كل مكان ويعيش القوامون عليها في بحبوحة من العيش في الغابات وغيرها، ولديهم من وسائل التبريد والتدفئة والمواصلات البرية والبحرية والجوية ما يوجد، وقد خلقوا جيلاً مثقفاً بثقافة جعلته يخالف الاسلام، وهناك الكنيسة الإيطالية في مدينة واوعاصمة مديرية بحر الغزال ذات النفوذ الواسع والسلطان الممتاز حتى لكأنها قطعة من فاتيكان روما[2].

هذا ويوفر للمبشرين كل شيء من فيلات وسيارات وخدم وحرس وبسخاء، وحيثما توجه المبشر وجد كل المساعدات، فهم يملكون الطائرات والفنادق وكل شيء ولا يتم تفتيش المبشر في المطارات، وإذا ذهب إلى أي مكان ونزل في أي فندق وجد من ينتظره ويقدم له كل شيء[3].

وتقوم بعض البعثات التبشيرية بعقد العقود مع بعض الأسر مستغلة المجاعات حالياً، فتقدم مساعدات عينية مقابل أن تختار طفلاً من أطفال الأسرة دون الخامسة تربيه على حسابها تربية نصرانية، ثم يعاد إلى البلاد ليستخدم في الأغراض التنصيرية، كما حصل في السنغال وسنغور شاهد على ذلك منذ زمن بعيد[4].

والملاحظة العابرة إلى القارة الافريقية تفيد أن هناك مجموعات نصرانية تسيطر على معظم عناصر الثروة في افريقيا بما في ذلك بعض الدول المسلمة

(١) مجلة الرابطة العدد ١٢ ص٤٢.

(٢) مجلة الأزهر شوال ١٣٧٧هـ، أنور الجندي ـ التاريخ الاسلامي المعاصر ص ٤٥.

(٣) المسلمون العدد ٤٦، ٩ ربيع الآخر ١٤٠٦هـ/ ٢١ ديسمبر ١٩٨٥م ص ٣.

(٤) التبشير والاستعمار ص ٣ وص ٢٤٦، عن روز اليوسف العدد ١٨٤٧ ٤/١١/١٩٦٧م ص ٢٦.

كالسنغال وارتيريا والحبشة وتانزانيا وموزمبيق[1].

ط ـ مشكلة الشيوعية : دخلت القوى الشيوعية العالمية الروسية والصينية وأذنابها حلبة الصراع في افريقية بكامل امكانياتها وأجهزتها، مستغلة للوصول الى أهدافها حركات التحرير الوطنية الحاقدة على الاستعمار، بشكله القديم لتقع فريسة للاستعمار الشيوعي الجديد. ونتيجة لذلك دخلت بعض الدول الافريقية تحت النفوذ الغربي وانحازت أخرى إلى الكتلة الشيوعية، وإلى جانب الصراع السياسي والعسكري يحتدم صراع آخر اقتصادي وثقافي وفكري بتوجيه من مراكز القوى العالمية التي تبذل في سبيل الفوز بهذه القارة ألوف الملايين من الدولارات.

وتغلغلت الشيوعية فكرياً في أقطار كثيرة من القارة الافريقية، ودخل بعضها النفوذ الشيوعي الفعلي كانغولا عام ١٩٧٥م، والصومال التى أعلنت الاشتراكية العلمية فلسفة سياسية لها منذ تسلم سياد بري الحكم بمساندة الجيش والشرطة عام ١٩٦٩م[2]. وكذلك أعلنت أثيوبيا الاشتراكية العلمية فلسفة لها وتواجدت فيها روسيا مع أعوانها من الكوبيين والالمان الشرقيين عسكرياً منذ عام ١٩٧٧م[3]. وكذلك تركز الوجود السوفييتى في موزمبيق وبوسوانا وزامبيا[4] وليبيا.

وتقوم في جنوب السودان حركة غزو صليبي يقوده جون قرنق الذي فرض قيادته على كل الجهات المقاتلة في جنوب السودان وتبنى طرحاً ماركسياً اشتراكيا على السودان بأكمله، وجعل منطقة هجماته من داخل الحدود الأثيوبية، وسمّى حركته الجيش الشعبي لتحرير السودان[5]. وهذا يجعل حركته خطيرة جداً ومن التحديات التي تشترك فيها الصليبية والشيوعية التي تعارض أي نظام اسلامي

(١) أنور الجندي ـ معالم التاريخ المعاصر ص ٤٣.

(٢) صراع القوى ص ١٥١، المسلمون العدد ٣٦ السبت ٢٨ محرم ١٤٠٦هـ ١٢ أكتوبر ١٩٥٥م.

(٣) صراع القوى ص ١٥١.

(٤) الجندي ـ معالم التاريخ المعاصر ص ٤٥.

(٥) الشرق الأوسط ص ١ الأربعاء ٥ ذو الحجة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥/٨/٢١م العدد ٢٤٥٨ والشرق الأوسط ص ٦ الجمعة ١٩٨٥/١٠/١١م.

ومن المعلوم مثلاً أن جون قرنق النصراني درس في أمريكا وتدرب في إسرائيل ويقود ثورة ماركسية في جنوب السودان. فتدبر؟.

بل وتخشـــاه. وكـانت المشكلة قد بدأت عام ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م واتخـذت بعـداً جديداً على يد الشيوعية.

هذا وقد شمل الاستعمار الأوروبي افريقية كلها ولم ينجُ منه إلّا دولتان وهما:

١ ـ ليبـيريـا: إحـدى دول ساحـل غربي افريقيا، التي أعيد لها بعض الأرقاء السود من أمريكا بعد تحرير الرق، وكانت البداية تأسيس مدينة مونروفيا في سنـة ١٢٣٧هـ/ ١٨٢١م[1] على السـاحـل ثم التـوغـل نحـو الداخل على حسـاب الـدولـة الاسـلامية التي نشأت في مرتفعات فوتاجالون في غينية حالياً. وحتى الآن تتركـز السلطـة في أيـدي الامـيركـيـين السـود النصـارى رغم أنهم يشكلون أقليـة ضئيلة لا تتجـاوز ٥٪ من جملة السكـان[2] وحـرمت منهـا الأقلية المسلمة والتي تكاد تصل إلى حدّ ثلث السكان. ولذلك لم تمتد لها يد المستعمر.

٢ ـ أثيـوبيـا: التي مثلهـا المفكرون بسفينة نصرانية وسط محيط اسلامي فبسـط لها الاستعـمار يد الحـماية ومنحها تأييده وأشركها في الغنيمة بأن أضاف لها مسـاحـات واسعـة من الأرض الاسلامية (كأريتريا ومساحتها ١٢٤,٣٢٠كم٢ وهـرر ومساحتها ٢٥٤,٨٠٠كم٢، وبالي ومساحتها ١٢٨,٣٠٠كم٢، وسيدامو ومساحتها ١١٦,٧٠٠كم٢) في حين أن مساحة أثيوبيا كلها حالياً ١,٢٢٣,٦٠٠كم٢ أي أنها أضافت من البلاد الاسلامية ما يعادل ٥١٪ تقريباً من مساحتها الكلية، فتمكنت بذلك من الوصول إلى البحر الأحمر بعد أن كان يحيط بها من الجنوب والشرق بما يسمى بممالك الطراز الاسلامي.

وأثيوبيا في حقيقتها بلاد إسلامية تحكمها أقلية نصرانية متعصبة، إذ يمثل المسلمون ٦٠٪ من سكانها عامة[3]، وهي مقسمة إلى اثني عشرة مقاطعة يحكم كلًا منها أمير، وتنقسم المقاطعات إلى ٧٤ قسماً إدارياً يحكمها ٨٨٨ حاكماً ليس فيهم مسلم واحـد، كما يعـاني المسلمـون من أسـوأ تمييـز عنصـري في التعليم،

---

(١) البلدان الاسلامية ص٦٤٦.

(٢) مأساتنا في افريقيا ص ١٠٢.

(٣) ويقال ان نسبتهم تبلغ ٧٠٪ من سكان البلاد/ اخبار العالم الاسلامي الاثنين ١٨ رجب ١٤٠٥هـ.

وتحتل الكنيسة القبطية أراضيهم تدريجياً حتى وصلت إلى ٩٠٪ من المساحة الكلية للأراضي الزراعية في أثيوبيا.

وعاصمة أثيوبيا اليوم أديس أبابا ولغتها الرسمية هي الأمهرية[١]، وأثيوبيا كلمة يونانية تعني الوجه المحروق أو صاحب الوجه الأسود وهي تشمل جميع الأفارقة السود، وكانت سلطة النصارى لا تتجاوز الأمهرا وشوا وجوجام، وأطلقوا عليها اسم أثيوبيا في عهد الملك يكونو أملاك سنة ٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م الذي ربطت الكنيسة نسبه بسليمان عليه السلام بأسطورة تستنكرها المصادر التاريخية والدينية ولكن الدول النصرانية دعمت هذه الدولة النصرانية وهذه الفكرة. وتخلت عن كلمة الحبشة[٢] لاعتقادها أنها تعني الاختلاط ويوحي بانتفاء الاصالة والتماسك عنها، وذلك لتبر ر مخططاتها التوسعية لاخضاع شعوب البلدان المجاورة. فقد أمر الملك يوحنا بتعبئة عامة ثم أعلن حرباً صليبية على المسلمين وقد وصفه غوردون باشا فقال:

« إنه مثلي متعصب في الدين، إنه يشعر أنه يحمل رسالة، وانه سوف يحققها، تلك الرسالة هي أن ينصّر جميع المسلمين »[٣].

وأما خلفه منليك (١٣٠٧-١٣٣٢هـ) (١٨٨٩-١٩١٣م) مهندس التوسع الأثيوبي وصاحب التوسعات فقد كتب إلى جمعية بريطانية يحضها على مساعدته قائلاً: « إن زيلع وعدن تقع تحت أيدي المسلمين ولا أستطيع الإقتراب منها ».

وسرعان ما وجدت عبارته تجاوباً في الدوائر السياسية والكنيسة الأوروبية، فحصل على الدعم السياسي والمادي وبخاصة الأسلحة الحديثة التي حسمت الأمر لصالحه في نهاية الأمر[٤]، وخاصة من بريطانيا التي منحت منليك أوجادين

---

(١) محمد عوض - الشعوب والسلالات الافريقية ص ٢٥٠.

(٢) الحبشة والحبشات كانت تطلق على القبائل العربية المهاجرة من الجزيرة العربية عامة ومن اليمن والجنوب العربي خاصة في القرن السابع ق. م. وقد قامت مملكة الحبشة (اكسيوم) في هضبة تيجري المجاورة لاريتر يا (انظر: فتحي غيث ص ٣٩-٤٠) انظر: حسن محمود - الاسلام والثقافة العربية في افريقيا.

(٣) ترمنجهام ص ١٢١، التبشير والاستعمار ص ٢٤٥.

(٤) صراع القوى العظمى حول القرن الافريقي ص ٦٥.

سنة ١٨٨٩م نظير معاونة أثيوبيا العسكرية لبريطانية في إخماد الثورة المهدية بالسودان[١]. كما قدمت منطقة هود الصومالية هدية أخرى للحبشة عام ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م. عدا أريتريا وغيرها من الأقاليم الاسلامية. وكما زعمت الصهيونية أن لها حقاً تاريخياً في فلسطين فقد زعمت أثيوبيا أن لها حقوقاً تاريخية. وقد أعلن رئيس وزرائها في خطابه أمام مؤتمر تأسيس منظمة الوحدة الأفريقية عام ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م أن أثيوبيا استمرت ثلاثة آلاف عام في الماضي وان حدودها كانت تمتد إلى البحر الأحمر وسواحل المحيط الهندي، بينما لم تكن هناك دولة تسمى الصومال. وهذا الإدّعاء هو الذي وصفه مارجري برهام في كتابه الشهير أثيوبيا عام ١٣٦٨هـ ١٩٤٨م بأنه إدّعاء يمّثل إهانة للتاريخ وتجاوزاً للحقائق التاريخية وتجاهلاً للواقع السياسي والديني، فإن الحقائق التاريخية تقول أن الأحباش النصارى لم يكن الجنوب بالنسبة لهم يصل حتى نهاية القرن التاسع عشر إلّا لتخوم مملكة أكسيوم بالقرب من حدود أريتريا شمالاً. بل أن العاصمة أديس أبابا لم تكن لهم إلّا في نهاية ذلك القرن، وما جاء توسعهم إلّا تحت حماية وتشجيع الدول الأوروبية النصرانية[٢].

ومن أشهر الأقاليم الاسلامية التي ضمتها ـ اقليم هرر الشهير وفيه مدينة هرر عاصمة الإسلام ومدينة العلم والمآثر والمساجد ومركز الاشعاع لشعوب القرن الافريقي المسلمة. أنشأها التجار العرب المسلمون في القرن الأول الهجري وسطع نجمها كحاضرة إسلامية للممالك والإمارات الاسلامية التي تعاقبت عليها، وقد خضعت للحبشة سنة ١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م وحوّل جامعها إلى كنيسة في عهد هيلاسي لاسي بمساعدة الأوروبيين[٣].

ويتركز المسلمون في أثيوبيا في ٧ محافظات أو أقاليم إدارية ضمن ١٤ محافظة تنقسم إليها البلاد حالياً. وهذه الأقاليم هي[٤]:

أريتريا وعدد سكانها الكلي حوالي أربعة ملايين نسمة

---

(١) نفسه ص ١٢١.

(٢) صراع القوى العظمى ص ٧٢-٧٣.

(٣) ابراهيم عبدالله ـ ماح ـ الهزيمة الثالثة ص ١٠٧.

(٤) المسلمون العدد ٤٦ ص ٧. السبت ٩ ربيع الآخر ١٤٠٦هـ/ ٢١ ديسمبر ١٩٨٥م.

وجوندر وعدد سكانها الكلي ٢,١٦٦,٠٠٠ نسمة.
وهرر وعدد سكانها الكلي ٣,٢٩٧,٠٠٠ نسمة.
وتيجري وعدد سكانها الكلي ٢,٢٨١,٠٠٠ نسمة.
وللو وعدد سكانها الكلي ٢,١٥٦,٠٠٠ نسمة.
وشاوا وعدد سكانها الكلي ٦,٧١٢,٠٠٠ نسمة.
وسيدامو وعدد سكانها الكلي ٢,٩٦٦,٠٠٠ نسمة.

ويبلغ عدد سكان أثيوبيا حسب الاحصاء الرسمي الأخير لعام ١٩٨٢م ٣٢,٧٧٤,٠٠٠ نسمة. ومعدل زيادة السكان ٢,٥٪ سنوياً. فيكون عددهم حوالي ٤٣ مليوناً عام ١٩٨٥م، نسبة المسلمين أكثر من ٦٠٪.

وسنتناول قضية اريتريا بالتفصيل من بين قضايا المسلمين في أثيوبيا.

قضيــة اريتريــا

موقــع اريتريا :

تتمتع اريتريا بموقع استراتيجي ممتاز، فهي تقع شرقي افريقية ممتدة على البحر الأحمر على مسافة ١٠٠٠كم، ويفصلها هذا البحر عن شبه جزيرة العرب. وتجاورها السودان في الشمال والغرب وأثيوبيا في الجنوب وجيبوتي في الجنوب الشرقي، كما تمتلك جزراً كثيرة في البحر الأحمر عددها نحو ١٢٦ جزيرة أكبرها جزيرة دهلك، وعدداً من الخلجان الهامة.

ومساحتها ١٢٤,٣٢٠كم٢. وكانت تعرف عند المسلمين بأسماء متعددة منها : الطراز الاسلامي[١] وبلاد الزيلع، وبلاد الجبرته، وعدل، وأريتريا[٢]. وقد اشتق اسمها هذا من الاسم القديم للبحر الأحمر: «سينوس ارتريوس» كما عرفت باسم ميدري بحري أي البلاد المطلة على البحر، وسمي حاكمها «بحر

---

(١) وقد ذكر المقريزي أن ممالك الطراز هي : أوفات، ودوارو، وأربيني، وهدية، وشرخا، وبالي، وداره، وأعظمها أوفات (الإلمام من بأرض الحبشة من ملوك الاسلام ص ٦).
(٢) فتحي غيث ص ٤٥.

نجش» أي ملك الأقليم المطل على البحر، كما عرفت باسم بلاد «البوغوص»، وأطلق عليها ميدري جيلَتي أي أرض الأحرار[1].

وهي تقسم إلى الأقسام الطبيعية التالية :

١ ـ السهول الساحلية والغربية : والساحلية منها تطل على البحر الأحمر ضيقة في الشمال ومتسعة في الجنوب[2]. وتضم مقاطعات : كرن، بركة ـ الساحل. وتقوم فيها الزراعة وتضم ٥٤٪ من المساحة الكلية و٣٣٪ من مجموع السكان.

٢ ـ الهضبة : وهي تنحدر ببطء شمالاً إلى محافظة كرن حتى يبلغ انحدارها أقصاه في منطقة طوكر في السودان، بينما تنحدر انحداراً شديداً إلى السهول الساحلية. وتضم مقاطعات سراي، اقلي قوازي، حماسين وتضم ٤٦٪ من المساحة الكلية، و٥٦٪ من مجموع السكان.

وأسمرة هي عاصمة اريتريا وتقع في الهضبة بمديرية حماسين. ومن أشهر مدنها الأخرى: عصب ومصوع. وقد اختفت معظم المدن والمراكز والقرى، وأصبحت مهجورة من جراء القصف الأثيوبي المستمر بالطائرات والمدفعية الثقيلة الذي يهدف إلى إجبار المواطنين على ترك أراضيهم.

ويزيد السكان على أربعة ملايين نسمة حسب تقديرات جبهة التحرير الاريترية، ٨٠٪ منهم مسلمون. والباقي من النصارى الأقباط، ولغتهم الرسمية العربية والتجرينية. والعربية هي لغة الثقافة بالنسبة للمسلمين منذ عهد بعيد[3].

دخول الإسلام إلى اريتريا والحبشة :

ارتبطت اريتريا والحبشة إجمالا باليمن فى تاريخها ارتباطاً كبيراً فقد كانت اليمن مصدر هجرات العرب إلى الحبشة التى اكتسبت لسانها السامي الحالي.

---

(١) انظر فتحي غيث ص ٣١٧/ مجلة العربي محرم ١٣٩٨هـ.

(٢) انظر: سعودي ـ افريقيا ص ٢٧٠.

(٣) فتحي غيث ص ٥٩/ مجلة العربي محرم ١٤٠١هـ/ المسلمون في العالم ص ١١٨.

ومن أقدم الممالك الحبشية[1] مملكة اكسيوم فى هضبة تيجرى ظهرت فى القرن الأول الميلادى واتخذ ملكها عيزانا (أذينة) لقب نجاشي أي ملك الملوك واعتنق المسيحية على مذهب كنيسة اليعاقبة فى مصر على يد الشقيقين فروفتيوس وايديسيوس عام ٣٥٠م. وقد تمكنت هذه الدولة من احتلال اليمن وحاولت هدم الكعبة تعصباً للنصرانية عام الفيل الذى شهد مولد رسول الله ﷺ، وبعد بعثة الرسول الكريم ﷺ أذن للمسلمين بالهجرة إلى أرض الحبشة وأكرم النجاشي وفادتهم وكان أول من أسلم من أهل هذه البلاد وعندما راسل ﷺ الملوك والأمراء سنة ٦هـ. أرسل كتاباً إلى نجاشي الحبشة.

وفتح المسلمون دهلك سنة ٨٤هـ. فى عهد عبد الملك بن مروان وشاطىء مصوع وعدوليس وبنوا القلاع والحصون وأمنوا الطرق للتجارة فازدهرت البلاد وازدادت هجرة العرب إلى تلك المنطقة وانتشر الاسلام فى شرق افريقيا عن طريق الدعوة والتجارة والمصاهرة وكان للخليفة هارون الرشيد اهتمام خاص بساحل افريقية الشرقي فدفع الكثير إلى الهجرة إلى هناك. وظلت الهجرات الدينية تتدفق طوال العصور الوسطى طلباً للاستقرار أو التجارة أو الدعوة. ثم وصل الاسلام الحبشة عن طريق اريتريا. فقد سلك الاسلام إلى الحبشة طريقين:

الأول: من مصر مخترقا البحر الأحمر فى السفن أو محاذياً ساحله فى البر مخترقة ديار البجة متجهة إلى اريتريا حيث قام البجة الذين امتدت ديارهم من شمال الحبشة حتى حدود مصر بدور الوسيط فى المبادلات التجارية بين مصر الاسلامية والحبشة كما انتشرت القبائل العربية هناك من بلي وقيس عيلان وجهينة وأولاد كاهل واختلطت بالبجة وصاهرتهم فانتشر الإسلام بينهم منذ القرن الأول الهجرى كما آوت جماعة من الأمويين إلى أرض البجة وأقامت فيها فاصطبغت البجة بالصبغة العربية الاسلامية وأخذوا يمدون الاسلام إلى الحبشة عبر اريتريا[2].

(١) فتحي غيث ص ٣٩.

(٢) حسن محمود ـ الاسلام والثقافة العربية ص ٢٠. وانظر ابن بطوطة ج ٢ ص ٢١٩.

الثاني : الطريق بين بلاد العرب والحبشة عبر البحر الأحمر فوجدت جماعات إسلامية قوية فى دهلك وسواكن وباضع وزيلع وبربرة وتكونت ممالك الطراز الاسلامى وكان ملوك الأمهرة النصارى يقومون بغارات مستمرة على هذه الممالك واستعانوا بالصليبيين الأوروبيين وخاصة البرتغال[1].

ومن أشهر من قاد الصراع الاسلامى ضد الصليبية الامهرية والبرتغال الشيخ أبوعبد الله الزيلعى، وجمال الدين عبد الله بن يوسف ثم برز الامام أحمد ابن ابراهيم أمير عدل الملقب بالقرين أو الأشول الذى اجتاح مملكة الحبشة بأسرها (**٩٣٥-٩٥٠هـ**) (**١٥٢٨-١٥٤٣م**) بمساعدة الدولة العثمانية واستطاع أن يقتل كريستوفر دى جاما ابن المكتشف المشهور عام **٩٤٧هـ/ ١٥٤١م** بوادى الدناكل فى اريتريا.

وقد توالت الامدادات البرتغالية للنصارى فاستشهد الامام أحمد عام **٩٤٩هـ ١٥٤٣م**. متأثرا بجراح أصيب بها ومع ذلك فقد استقرت دعائم الإسلام فى جميع أجزاء الحبشة[2] (وخاصة بين قبائل الجلا) ولكن احتل البرتغاليون شواطىء اريتريا وفى الوقت نفسه شقت قبائل الجالا الزنجية المسلمة طريقها إلى قلب الهضبة الأثيوبية حيث لاتزال الأماكن التى استوطنوها باقية إلى الوقت الحاضر.

وتمكن الاسطول العثمانى من هزيمة البرتغاليين سنة **٩٦٢هـ/ ١٥٥٤م**. بقيادة سنان باشا فاستولى العثمانيون على مصوع وسواكن وباقي سواحل البحر الأحمر وطردوا البرتغاليين إلى غير رجعة.

واستمر الحكم العثمانى لاريتريا حتى سنة **١٢٦٣هـ/ ١٨٤٦م**. حين انتقلت إلى حكم والي مصر محمد علي باشا وبقيت تابعة للإدارة المصرية إلى عام **١٢٠٣هـ/ ١٨٨٥م** حين احتلتها ايطاليا.

استقر الإسلام في اريتريا والحبشة وكان المسلمون أكثر حيوية ونشاطاً من النصارى اذ التزم كل مسلم بتعليم أولاده القراءة والكتابة فى الوقت الذى كان

---

(١) فتحي غيث ص ٣٩.

(٢) أرنولد ص ١٣٨، انظر حسن محمود ص ٤٦١-٤٦٢، فتحي غيث ص١٥٤.

فيـه أبنـاء النصـارى لا يتعلمـون إلا عندما يزمعون القيام بأعمال الكهنوت[1]. فتقـدم الاسـلام وملك المسلمـون ناصية التجارة ونعموا بأملاك واسعة وسيطروا على مدن كبيرة وأسواق هامة وظفروا بنفوذ قوى على جمهرة الناس وقد لوحظ فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر أنه عندما يراد شغل منصب من المناصب التي تتطلب أمانة فى الحبشة كان يقع الإختيار دائماً على شخص مسلم.

وحـدث عام ١٢٩٦هـ/ ١٨٧٨م. ان اشتـدت الهجمـة الصليبيـة على مسلمي الحبشـة فعقـد الملك جون مجمعـاً ضم رجـال الكنيسـة الحبشية وقرروا الإقتصـار على دين واحـد فى كافـة أنحـاء المملكـة فألـزم المسلمين بالتسليم فى خلال ثلاث سنـين والـوثنيين فى خلال خمس سنين ثم تخلى عن ذلك وأذاع بعد أيـام انـذاراً لكـل المـوظفـين المسلمـين أن يختاروا فى خلال ثلاثة أشهر بين قبول التعميـد أو التخـلي عن منـاصبهم. وقـد أدى هذا التنصير الإجبارى إلى زيادة البغضاء والعداوة فى نفوس الاحباش المسلمين والوثنيين نحو النصرانية[2].

اريتريا فى ظل الاحتلال الايطالى :
١٣٠٣-١٣٦٠هـ/ ١٨٨٥-١٩٤١م

يعـود النفـوذ الايطـالي في شرق إفـريقيـا إلى النشـاط التبشـيري فى هذه الجهـات وأشهـر المبشرين القس جيوزيف سابيتو الذي وفد إلى مقاطعة تيجري عام ١٢٥٤هـ/ ١٨٣٨م. واقـترح أن يكـون لايطـاليـا ميناء على البحر الأحمر واستطـاع أن يتصـل فيما بعد بشيخ قبيلة رهيطة وغيره من مشايخ القبائل وزعماء الدناكل ووفق إلى استئجار جهات واسعة من خليج عصب باسم شركة روباتينو ورفع عليها العلم الايطالى[3] فاحتج رضا باشا محافظ سواحل البحر الأحمر فلم تقم إيطاليا بإجراء فعلي لاحتلال المنطقة حتى سنة ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م أي بعد

---

(١) أرنولد ص ١٣٩.

(٢) أرنولد ص ١٤١.

(٣) الجمل ص ٣٥٥/ انظر حراز رجب ـ التوسع الايطالي في شرق افريقيا.

سقـوط مصـر بيد الانجليز، فاشترت الحكومة الإيطالية ميناء عصب من الشركة الإيطالية مقابل ٤١٦,٠٠٠ ليرة وأصبحت ركيزة للتوسع فى الساحل الافريقي[١].

وبتشجيـع بريطـانيـا مدت سلطـانهـا شمالاً وجنـوبـاً فاحتلت بيلول عام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م بعـد انسحـاب القـوات المصرية ثم قامت بغزو مصوع بأن سيرت سفنهـا الحـربيـة عبر قناة السويس بتشجيع من بريطانيا عام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م وأجـبرت وكيـل محافظة مصوع المصري على مغادرتها وتوغلت القوات الايطـاليـة فيـما يلي مصـوع غرباً ومدت سلطانها شمالا حتى وصلت ١٠٠ ميل جنوب شرق سواكن وجنوباً حتى أصبحت المناطق التى احتلتها متاخمة لما احتله الفرنسيون ومقابلة لباب المندب.

وفى عام ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٩م. احتلت ايطـاليـا كرن وأسمـرة أي معظم مناطق تيجري وأصبحت بذلك تتحكم فى الطرق الجبلية المؤدية إلى الحبشة[٢] فتكونت مستعمرة اريتريا واتخذت أسمرة عاصمة لها بدلاً من مصوع. وعقدت اتفـاقيتـين مع بريطـانيا اعترفت فيها بريطانيا بدائرة نفوذ إيطالية تمتد من ساحل اريتريا وتنتهى على ساحل المحيط الهندي فى الصومال الذى عرف بالايطالي كما سمحت لايطـاليـا باحتلال كسلا مؤقتاً على أن تبقى حقوق مصر فى هذا الميناء محفـوظـة دون مسـاس فاحتلتـه إيطـاليـا بالفعل عام ١٣٨٢هـ/ ١٨٩٤م ووقع اختيـار بريطـانيـا على الجهـات المقـابلة لعـدن فأجـبرت مصر عام ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م على إخـلاء بربـرة وبلهـار وزيلع واحتلتهـا وكونت ما سمي بالصومال البريطاني والغريب أن مصر ظلت تدفع مرتب نائب القنصل الإنجليزي الذى يكلف بإدارة هذه الجهـات وكـذلـك الاضافة السنوية التى كانت تدفعها للدولة العثـمانيـة فى مقـابل ضم زيلع ومصوع وسواكن لها حتى بعد إخلائها كخطةمن بريطـانيـا لإضعـاف الخزينة المصرية كما أجبرت بريطانيا مصر أيضا على إخلاء هرر عام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م وسـمـحت لمنليـك ملك شوا بالـزحف عليهـا

(١) الجمل ص ٣٥٦.

(٢) زاهر - رياض - تاريخ اثيوبيا ص ١٢٣.

فاستولى عليها ولاتزال بيد الأحباش حتى اليوم . كما غنمت فرنسا ما سمي بالصومال الفرنسي (جيبوتي) وأصبح هم الدول الاستعمارية بريطانيا وفرنسا وايطاليا تثبيت مناطق نفوذها في الصومال الذى أصبح ممزقاً إلى أربعة أجزاء لها وللحبشة[1] .

ولما هزمت إيطاليا فى معركة عدوة عام ١٣١٤هـ . عام ١٨٩٦م . أمام الحبشة عقدت معاهدة بين إيطاليا وأثيوبيا أنهت الحرب واعترفت باستقلال أثيوبيا استقلالا تاماً وعينت بموجبها الحدود بين اريتريا وأثيوبيا[2] وكان مما عمق العداوة بين اريتريا والحبشة ما قام به منليك من تعذيب الأسرى الاريتريين الذين شاركوا مع الايطاليين فى معركة عدوة حيث قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف .

السياسة الإيطالية في اريتريا :

لجأت ايطاليا إلى ضرب القبائل الاريترية بعضها ببعض ودفعت السكان بعيداً عن المدن والمناطق الخصبة وعملت على تهجير الايطاليين إلى هذه البلاد واستيطانها وبدأت برنامجاً طويلاً لغرض استثمارها بدأت تنفيذه عام ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م وتركزت معظم التجارة فى منطقة أسمرة وما حولها ومدت خطاً حديدياً يمتد من مصوع إلى أسمرة بطول ١٢٠كم بدأ العمل فيه سنة ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م وتم عام ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م . واتجه المستعمرون إلى الإنتاج الزراعي ولذا عجزت المستعمرة عن أن تكون سوقاً للمنتجات الايطالية فأصبحت عبئاً على الخزانة الايطالية وكانت مقاومة المسلمين الاريتريين مستمرة فى وجه السياسة الايطالية الأمر الذي جعل الحبش والمستوطنين يعيشون في ذعر مستمر وقلق دائم .

وحاول الايطاليون القضاء على الاسلام واللغة العربية ولكنها لم تنجح فى ذلك .

---

(١) صراع القوى العظمى ص ٦٤ .

(٢) زاهر ـ رياض ـ تاريخ اثيوبيا ص ٣٧١ .

اريتريا تحت الحكم الانجليزى :
١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م ـ ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م

وقفت ايطاليا الفاشية بزعامة موسوليني إلى جانب ألمانيا النازية فى الحرب العالمية الثانية فاتجه الحلفاء بكل قواهم لمساعدة أثيوبيا التى استولى عليها موسولينى وكان موسوليني فى سياسة منه لاستمالة المسلمين فى أثيوبيا قد صرح ببناء المساجد فأعادوا إصلاح وترميم المساجد الموجودة فى المدن الاسلامية القديمة مثل مصوع وغيرها من المدن الساحلية وقاموا ببناء مسجد أديس أبابا الكبير وبنوا المساجد فى مختلف المدن الاسلامية الأخرى من الأوقاف الاسلامية التى أطلق الايطاليون لها حرية العمل كما قامت الحكومة بتعيين القضاة الشرعيين لتطبيق الشريعة الاسلامية وأدخل تدريس اللغة العربية فى المدارس الاسلامية وأنشئت فى جيما التى كانت من مراكز المسلمين العظيمة كلية دار العلوم الاسلامية للتخصص فى الفقه[1].

ولم يكتفِ الانجليز بإعادة حبشة هيلاسلاسى ولكن منحوها كل تأييد ومساعدة على اعتبار أنها مخلب القط للاستعمار الصليبي فى افريقيا واتجهوا إلى خلق منفذ لها على البحر الأحمر، بعد أن استطاعت قوات الحلفاء ومعها هيلاسلاسي وبجهاد الفرقة السودانية من دخول أديس ابابا عام ١٩٤١م . وأعلن إيدن فى نفس العام «أن بريطانيا ترحب بعودة الدولة الأثيوبية المستقلة والاعتراف بحقوق الامبراطور هيلاسلاسى فى العرش وأن الحكومة البريطانية تقدر ما أبداه الامبراطور من حاجة البلاد إلى المعونة الخارجية وترى أن مثل هذه المعونة والتوجه فى الميادين الاقتصادية والسياسية يجب أن تشملها الاتفاقات الدولية عند عقد الهدنة وتؤكد بريطانيا أنه ليس لها أية اطماع اقليمية فى الحبشة وان العمليات العسكرية التى تقوم بها القوات البريطانية سوف تتم بالتفاهم مع الامبراطور وينتهي عملها عندما يسمح الموقف بذلك[2]. وأخذ الامبراطور يعمل فى هدوء وبراعة لكي يعيد المسلمين على ما كانوا عليه فى السابق من

---

(١) ترمنجهام ص ١٣٧، ٢٧٩/ فتحي غيث ص ٢٨٠.
(٢) فتحي غيث ص ٢٨٨.

حرمان وإهمال وظلم ويرخى عليهم ستاراً كثيفاً من النسيان يحجبهم عن العالم ويحجب العالم عنهم فى الوقت الذى كان يعمل فيه على إظهار نفسه بمظهر الحاكم المتسامح بل المفرط فى تسامحه، وعاونته على ذلك أجهزة الاعلام الغربية التى تسيطر على إعلام العالم(١).

واتبع طريقة إثارة الخلافات القبلية والطائفية والعنصرية بين المسلمين، كما عمل على توسيع أسباب الشقاق والخلاف بينهم واذا لمسوا بادرة احتجاج من مسلم أنزلوا به أنواع المعاملة من تشريد وحرمان وسجن ثم اغتيال إذا استدعى الأمر ذلك وهذا هو الواجب الأول على الحكام الذين كان يعينهم الامبراطور على مختلف مقاطعات الدولة(٢).

وسيطرت بريطانيا على اريتريا فواجهت تدهوراً اقتصادياً متعمداً لسوء الإدارة البريطانية واضطراب الأمن وتشجيع عمليات الإرهاب والنهب الواسعة وذلك من أجل أن تعدها للضم إلى الحبشة وعملت على اثارة الخلاف بين طوائف السكان وقسمتها إلى مناطق على أساس الدين والثقافة فجعلت اللغة العربية والتجرينية لغة التعليم فى المناطق الاسلامية التى تضم أغوردات وكرن ونقفه، واللغة الانجليزية فى المناطق النصرانية التى ضمت الهضبة والشواطيء، واقترحت على هيئة الأمم المتحدة تقسيم اريتريا على هذا الأساس، كما قامت أثيوبيا بالدعاية لضم اريتريا إليها وبذلت الأموال عن طريق الكنيسة وشجعت قيام حزب اريتري يؤيدها باسم (حزب الاتحاد مع أثيوبيا) كان معظم اعضائه من النصارى اتبع أساليب التهديد والاغتيال والتظاهر والدعاية لضم اريتريا إلى أثيوبيا، فأسس المسلمون فى مواجهته حزب الرابطة الاسلامية الاريترية واختير محمد ابراهيم سلطان علي أمينا عاما له وهدفه استقلال اريتريا ووحدة أراضيها، كما نشأت عدة أحزاب صغيرة تحالفت فيما بعد لتكون الكتلة الاستقلالية الاريترية، وقد أنشأت هذه الأحزاب الصحف العربية والتجرينية.

---

(١) نفسه ص ٢٩٩.

(٢) فتحي غيث ص ٣٠٢.

فرض على ايطاليا معاهدة سنة ١٩٤٧م تنازلت بمقتضاها عن جميع مستعمراتها فى افريقية (اريتريا - ليبيا - والصومال) وعرضت قضية اريتريا في هيئة الأمم المتحدة وطالبت المملكة العربية السعودية والأرجنتين بالاستقلال الفوري لها فى حين تقدمت بريطانيا بمشروعها للتقسيم فهزمت عند التصويت عليه.

ونوقشت القضية عام ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م. وفاز المشروع الامريكي الذى يقضى باتحاد أثيوبيا واريتريا تحت التاج الأثيوبي على أن يكون لاريتريا حكم ذاتي وسلطات تشريعية وتنفيذية وقضائية ويقتصر اختصاص الحكومة الاتحادية على شؤون الدفاع والخارجية والمالية والمواصلات وعلى أن يضم المجلس الاتحادي عدداً متساوياً من الاريتريين والأثيوبيين يجتمع مرة كل سنة على الأقل لإسداء النصح والمشورة فيما يتعلق بشؤون الاتحاد وعلى أن تكفل الحكومة الاتحادية لجميع المواطنين التمتع بالحقوق والحريات الأساسية دون تمييز من حيث اللغة والدين والجنس.

وتضمن المشروع الأمريكى أيضا إيفاد مندوب من الأمم المتحدة بمساعدة خبراء يعينهم السكرتير العام للأمم المتحدة لإعداد مشروع للدستور الاريتري وقد صدق الامبراطور هيلاسلاسى على نصوص الاتحاد الفيدرالي سنة ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م[1].

وانسحبت بريطانيا وانطوت اريتريا تحت الاتحاد الفيدرالي وقد علق المندوب السوفييتى على ذلك بقوله: «إن مشروع الاتحاد يعتبر زواجاً ضد إرادة أحد الطرفين وانه زواج لا يسمح بالطلاق» وكان كثير من الوفود أعربوا عن تأييدهم لاستقلال اريتريا ولم يختلفوا إلا بالنسبة للوسائل وفترة الانتظار ولكن الضغط الأمريكي كان شديداً فقد بذلت أمريكا جهودها للربط بين اريتريا وأثيوبيا على الرغم من معارضة الشعب الاريتري مقابل إقامة القواعد العسكرية الأمريكية في اريتريا.

---

(١) فتحي غيث ص ٣٣٤.

خطوات التسلط الأثيوبى على اريتريا :

بعد إعداد الدستور وانتخاب الجمعية التمثيلية الاريترية ورئيساً للوزراء سلمت الإدارة البريطانية السلطة رسمياً للحكومتين الاريترية والاثيوبية ورفع العلم الأريتري إلى جانب العلم الاثيوبى وعُيِّن النصارى في المناصب الهامة، وكان عدد النواب فى الجمعية التمثيلية ٦٨ نائبا نصفهم من المسلمين والنصف الثاني من النصارى مع أن ٨٠٪ من السكان مسلمون وعندما شُكلت إدارة للحكومة شُغلت بنحو ٩٠٪ من النصارى نتيجة تواطؤ الانجليز مع الحكومة الأثيوبية. وقد فرض هيلاسلاسي نفسه كرئيس فعلي لأريتريا وتدخل في كل شأن من شئون الدولة الداخلية ضارباً بالدستور عُرْض الحائط فأوقف الصحف وحل الأحزاب والاتحاد العام لنقابات العمال واستولى على حصة اريتريا فى الجمارك وخنق الاقتصاد الاريتري وأفقر الشعب بكل الوسائل.

وفى عام **١٣٧٣**هـ/ **١٩٥٣**م. اتخذت الجمعية التمثيلية قراراً بأغلبية ساحقة طالبوا فيه رئيس الوزراء إنذار الحكومة الاثيوبية بوجوب إعطاء الضمانات اللازمة لسيادة دستور الإتحاد فقدم تدلا بايرو رئيس الوزراء النصرانى استقالته واستقال معه حليفه علي موسى واداي رئيس الجمعية التمثيلية وانتخب البرلمان (الذي خضع كثير من اعضائه لمؤامرات الامبراطور) اسفها ولد ميكائيل رئيسا للوزراء مقابل انتخاب إدريس محمد آدم رئيساً للجمعية التمثيلية ولكنه أُقيل بعد عشرة أشهر لكونه من الكتلة الاستقلالية واستبدل به حامد فرج الموالى لأثيوبيا ولم تُجْدِ الإحتجاجات التى قدمها ممثلو الأحزاب السياسية فى الأمم المتحدة، فقد استمرت أثيوبيا فى عملية إلغاء الإتحاد خطوة بعد خطوة وزيفت الجمعية الاريترية وأصبحت ألعوبة فى يد رئيس الوزراء الذى عمد إلى إنزال العلم الاريترى وألغى السفارات الاريترية ومارس الإرهاب بواسطة الجيش الاثيوبي وتركز الأمر على محو اللغة العربية واعتقال القيادات الشعبية لمناهضة الإسلام مناهضة فعالة. وإزاء ذلك شكل الشعب الاريتري وفداً إلى البلاد العربية والجامعة العربية وهيئة الأمم المتحدة ليشرح لها مأساة اريتريا برئاسة إدريس محمد وفى عام ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م. أعلنت جبهة تحرير اريتريا الثورة

المسلحة وانتقلت إلى جبال اريتريا بسبعين مقاتل، ثم أخذ العدد يتزايد حتى أصبح ٤٠ ألف مقاتل[١]. فكان رد الحكومة أن أعلن الامبراطور عام ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م. أن اريتريا جزء لا يتجزأ من أثيوبيا وأنه لن يتخلى عنها بأي حال من الأحوال وظلت الثورة مشتعلة وبدأت المسألة تتعقد وانشغلت الدول العربية عن اريتريا فقد كان هناك ود عميق بين هيلاسلاسي وجمال عبد الناصر فضعفت الأصوات التى تساعد العرب المسلمين ضد هيلاسلاسي في أثيوبيا[٢] واستغل منظمة الوحدة الافريقية التى اتخذت مقرها أديس أبابا كطاقية إخفاء لإخفاء بشاعة أعماله ضد المسلمين في اريتريا والصومال الغربي وتيجري وغيرها من أقاليم المسلمين في أثيوبيا[٣].

ومن الجدير بالذكر أن أمريكا تعهدت بدفع كل مصاريف إنشاء منظمة الوحدة الافريقية من خزانتها الخاصة[٤] كما أن ٥٠٪ من مساعداتها الخارجية لدول افريقيا ذهبت إلى الحبشة وحدها لضرب الاسلام هناك[٥]

الثورة الاريترية وتطوراتها :

نزح عدد كبير من سكان اريتريا إلى البلاد الاسلامية المجاورة بسبب البطش الأثيوبى فقام فريق منهم عام ١٣٧٨هـ. بتنظيم حركة التحرير الاريترية فى بورسودان برئاسة محمد سعيد ادريس الذى أنشأ جبهة التحرير الاريترية سنة ١٣٨٠هـ. وفي العام التالي ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م أعلن حامد إدريس عواني رحمه الله الثورة ضد الاحتلال الاثيوبي واعتصم مع رجاله في الجبال وقام العلماء وخطباء المساجد بدعوة المسلمين إلى الجهاد. وتم تزويدهم بكميات من السلاح اشترتها الجبهة من الأقطار المجاورة بأموال التبرعات. وبدأ إنشاء الجيش بالفعل منذ عام ١٣٨٤هـ، ولقيت الثورة دعماً مالياً وعسكرياً من

(١) مجلة العربي محرم ١٣٩٨هـ.

(٢) أحمد شلبي ج ٦ ص ٧٦٠.

(٣) انظر مأساتنا في افريقية ص ٢٤-٢٥.

(٤) نفسه ص ٢٨.

(٥) نفسه ص ٣٠.

بعض الأقطار العربية فحققت انتصارات كثيرة وسيطرت على كل الريف الأريتري . ولكن الثوار انقسموا بفعل تسلل العناصر الشيوعية فتكون المجلس الثوري بدلاً من المجلس الأعلى للجبهة ، وقوات التحرير الشعبية ، وقوات التحرير الاريترية ، ومجموعة اسياس أفورقي ومعظمها من النصارى ، فاشتعلت الحرب الأهلية سنة **١٣٩٢**هـ[1] . فأعطت الفرصة لظهور القيادات النصرانية والشيوعية ، وبدأ انحسار التيارات الاسلامية منذ عام **١٣٩٥**هـ/ **١٩٧٥**م ، حيث عقد المؤتمر التنظيمي الثاني العام لجبهة تحرير اريتريا الذي أكد على استخدام اللغة العربية وتوحيد فصائل المقاومة واستخدم في وثائقه العبارات الاشتراكية ، ورغم ذلك فقد امتدت عملية التحرير إلى المدن فبلغت المدن المحررة عام **١٣٩٧**هـ/ **١٩٧٧**م أربع عشرة مدينة .

واستمرت انشقاقات المنظمات إلى أن توصلت الفصائل : (قوات التحرير الشعبية وجبهة التحرير الاريترية واللجنة الثورية) إلى اتفاقية جدة للوحدة الاندماجية عام **١٤٠٤**هـ/ **١٩٨٣**م بجهود بذلتها المملكة العربية السعودية والسودان . وأقر المجلس الوطني الاريتري عام **١٤٠٥**هـ/ **١٩٨٥**م وثائق التنظيم تحت اسم جبهة التحرير الاريترية (التنظيم الموحد) وانتخب عثمان صالح سبسي رئيساً للجنة التنفيذية للجبهة وأصدر المجلس بعد تشكيله عدداً من القرارات والتوصيات أهمها :

١ ــ عقد المؤتمر الوطني الأول للتنظيم (الموحد) في يناير (كانون الثاني) عام **١٩٨٦**م .

٢ ــ دمج الأجهزة المختلفة التي كانت تابعة للفصائل .

٣ ــ الاهتمام بأسر الشهداء صحياً واجتماعياً وجرحى الحرب .

٤ ــ أوصى بأهمية الحوار مع الجبهة الشعبية الاريترية وهي الجبهة التي يتزعمها اسياس أفورقي النصراني . وتشير الدوائر إلى توصل النظام الاثيوبى

---

(١) مجلة العربي ١٣٩٨هـ/ نشرة معهد الأقليات المسلمة محرم ١٣٩٨هـ .

(٢) جريدة المدينة ١٤ جمادى الثانية ١٤٠٣هـ/ ملحق خاص عن اريتريا .

الشيوعي إلى اتفاق معه لإنهاء الحرب بين الفريقين لإعادة اريتريا إلى اثيوبيا ثانية، الأمر الذي يدعم ضرورة الإصرار على إسلامية التحرك[1]

٥ ـ أوصى بقبول مبدأ المفاوضات مع اثيوبيا دون شروط مسبقة للوصول إلى حل سلمي عادل.

٦ ـ تأييد منظمة التحرير الفلسطينية.

وبإعلان الوحدة تنتهي سلسلة من الإنشقاقات استمرت خمسة عشر عاماً.

وقد اعتبر التنظيم الجديد الكفاح المسلح الذي بدأه حامد عواني عام ١٩٦١م هو بداية الثورة.[2].

ومن أبرز ملامح قضية الاسلام في اثيوبيا الكفاح المشترك فكما ظهرت جبهة تحرير اريتريا ظهرت جبهة تحرير الأوجادين وأخرى في قلب اثيوبيا وهي جبهة تحرير التيجري في شمال وسط الهضبة الحبشية وبدأت جولتها مع المجلس العسكري الحاكم فى اثيوبيا، لتؤكد طبيعة الوضع المتدهور داخل الحبشة[3].

المسلمون في اريتريا تحت ظل الحكم الشيوعي الاثيوبي : ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م ـ ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م :

في عام ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م قام انقلاب في اثيوبيا وأجبر الامبراطور هيلاسلاسي على التنازل، ثم أعلن اثيوبيا جمهورية اشتراكية، وأعلن قادة الانقلاب (كعادة الثورات الشيوعية) أن من مبادئهم احترام القوميات وحل مشاكل البلاد، وخاصة مشكلة اريتريا. واتجهت الأنظار إلى الصلح، وتقدم السودان باقتراح لوقف اطلاق النار وفتح حوار عاجل بين الجانبين. ولكن سرعان ما تبيّن أن قادة الانقلاب الحمر ليسوا بأقل من هيلاسلاسي وبقوى الاتحاد السوفييتي هذه المرة.

---

(١) مجلة الدعوة آب ١٩٨٤م/ ٦ صفر ١٤٠٤هـ/ دلهي ـ الهند العدد ٢٠ السنة الخامسة.

(٢) الشرق الأوسط ص ٣ الاثنين ١٩٨٥/١/٢٨م.

(٣) جريدة الرياض ١٤٠١/٤/٢٧هـ/ وجريدة المدينة المنورة ١٤٠٢/٨/٨هـ.

وكانت قد اشتدت هجمات المجاهدين الاريتريين وحرروا أربع عشرة مدينة حتى عام ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م و٩٠٪ من أرض اريتريا، فاستعان المجلس العسكري الحاكم بالروس، فعملت روسيا على إعادة بناء الجيش الاثيوبى وتحديثه ومده بالأسلحة الحديثة في ظل أضخم جسر عسكري مدّه السوفييت فى تاريخ العالم ابتداء من الصواريخ إلى الطائرات الميج (٢١، ٢٣)، إلى الدبابات الثقيلة، وتولت كوبا وألمانيا الشرقية مع السوفييت بناء تنظيم عسكري موازٍ للجيش وهو «ميلشيا الشعب الثورية التي بلغ عددها في فترة من الفترات ربع مليون مسلح»[١]. كما تدفقت على اثيوبيا موجات كثيفة من الجنود الكوبيين والخبراء العسكريين السوفييت وخبراء الأمن الألمان الشرقيين. وقالت التقديرات المحايدة: إن الكوبيين وصلوا إلى ٢٥ ألف جندي، وعدد السوفييت ما بين ١٥٠٠ و٢٠٠٠ خبير، وجاء نفس العدد تقريباً من المانيا الشرقية[٢].

فتغير ميزان القوى وشهد عام ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٧م هجوماً اثيوبياً، وحملات متتابعة على مراحل لاستعادة المواقع التي خسرتها الشيوعية في اريتريا والصومال - وسميت هذه العملية بعملية النجم الأحمر - نفذها منجستومريام بالخبراء الروس، وبدأت منذ أوائل عام ١٩٧٨م بغارات جوية مكثفة على مدن الصومال وعلى مواقع الثوار، فأخرجت الصومال من القتال. وكانت الفترة ما بين أغسطس ١٩٧٨م وفبراير ١٩٧٩م هي أقسى فترات الحرج السياسي والعسكري للاريتريين، مثلما كانت أقصى مراحل النصر العسكري والسياسي للاثيوبيين، فاستعاد الجيش الاثيوبي سيطرته الفعالة على أهم المناطق الاريترية المحرّرة وخاصة المدن الأساسية والطرق الهامة، ودخلت الثورة مرحلة من الكمون[٣] من جديد يسودها الصراع الداخلي كما سبق. وكان من نتيجة

---

(١) صراع القوى العظمى في القرن الافريقي ص ١٤٥.

(٢) نفسه ص ١٥٠.

(٣) نفسه ص ١٨٢.

ذلـك تشـريـد أكثـر من مليـون اريتر ي معظمهم في السودان . وتشريد أكثر من مليون لاجيء صومالي إلى الصومال[1] .

وخـلا الجـو للنظام الشيوعي الذي رسم محددات لطمس الوجود الاريتر ي مثل : إلغاء اللغة العربية والتجرينية ، وإجبار التلاميذ والأطفال على الـدراسـة باللغـة الأمهـريـة[2] ، وأسهم في حدة المجـاعة التي تعانيها البلاد بل وافتعلهـا النظـام الشيـوعي في بعض الجهات الاسلامية . ومنع النظام الشيوعي وصول المساعدات إلى البائسين الجياع في اقليم اريتر يا وتيجري ، وسمّم الآبار في اقليم اوجادين . والغريب أن المساعدات المادية يتم تحويلها لشراء الأسلحة ، والمساعدات الغذائية يتم بيعها من قبل الجيش الاثيوبي[3] في السوق السوداء . أمـا روسيـا فقـد ذكـرت صحيفـة وول ستر يت جورنـال الأمريكية ـ انها زودت أثيـوبيـا بأسلحـة تبلغ قيمتهـا أكثر من ألفي مليون دولاراً بينما لم تزد المساعدات الإنسانية على قيمة ثلاثة ملايين دولاراً من الأرز[4] .

وقد أقدم النظام الشيوعي الأثيوبي على حجز شحنات المساعدة من مواد غذائيـة وطبيـة المرسلة إلى ضحـايـا الجفـاف والمجاعة ، ودمرّ المصادر الطبيعية وأحرق القرى والمزارع وشرد أبناءها . ومن أمثلة الاستيلاء على المعونات[5] :

ـ استـولت السلطـات عام ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م على سفينـة اسـترالـيـة محملة بالمواد الغذائية في ميناء عصب .

ـ أصـدرت السلطـات قوانـين وتعليـمات في مدن اريتر يا الرئيسية (التي تحت سيطرتها) تعامل الذين يلقى القبض عليهم وهم يغادرون المدن وبحوزتهم أكثـر من كيلو غرام واحـد من السكـر أو خمسـة كيلو غرامـات من الحبوب كأنهم

---

(١) انظر أخبـار العـالم الاسـلامي العـدد ٩١٤، الاثـنين ٦ جمادى الثـانية ١٤٠٥هـ. ٢٥ فبراير ١٩٨٥م، والعدد ٩٢١. الاثنين ٢٥ رجب ١٤٠٥هـ عن أوضاعهم .

(٢) الشرق الأوسط ص ٣ ١٥ جمادى الأولى ١٤٠٥هـ.

(٣) الشرق الأوسط ص ٣ ١٩٨٥/١/٢٥م .

(٤) الشرق الأوسط الثلاثاء ١٩ ربيع الأول ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤/١٢/١١م العدد ٢٢٠٥ . والخميس ٨ صفر ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤/١١/١م العدد ٢١٦٥/ عن ليموند الفرنسية .

(٥) عن تقرير دولي ـ الشرق الأوسط ص ٧ الخميس ١٩٨٥/٩/١٦م، عن مجلة الايكونومست البر يطانية في عددها ١٥ حزيران (يونيو) ١٩٨٥م .

مجرمون ــ كمهربي الأسلحة للقوات الأريترية .

ــ دفعت أجزاء من رواتب الجنود الاثيوبيين بالحبوب ليتسنى بيعها بأثمان مرتفعة في السوق السوداء. فالمعونات تذهب إلى الجنود ورجال المليشات الذين يدعمون النظام .

ونختتم هذا الفصل بفكرة موجزة عن علاقة اثيوبيا بالدولة الصهيونية في فلسطين :

نرى في اثيوبيا أوضح الأمثلة لتعاون الصهيونية والنصرانية والشيوعية لضرب الاسلام والمسلمين. فقد كان هيلاسلاسي[1] (سبط يهوذا) يدّعي بفخر واعتزاز انتسابه للدم اليهودي، ويطبع على رايات بلاده ذات الأكثرية المسلمة: «أسد يهوذا». وفي نص الدستور الاثيوبي الذي صدر عام ١٩٥٥م في المادة الثانية ما يلي : «تظل السلطة الامبراطورية متصلة في سلالة هيلاسي لاسي الأول حفيد الملك سهلا سلاسي الذي ينحدر بدون انقطاع من أسرة منليك الأول ابن ملكة أثيوبيا ملكة سبأ والملك سليمان ملك بيت المقدس. وشخص الامبراطور مقدس لا منافس لسلطته ولا نزاع في حكمه، وتقع على الامبراطورية مسئولية حماية المذهب الأرثوذكسي»[2].

فباسم الأصل العرقي المشترك الموهوم وثق صلاته بالدولة الصهيونية، فقامت عام ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م بعثة صهيونية برئاسة مدير المخابرات بزيارة اريتريا، استقدمت اثيوبيا على أثرها أربعين ضابطاً اسرائيلياً لتدريب الجيش

---

(١) ولد عام ١٨٩١م واسمه الأصلي تفري ابن الرأس ماكونين ـ وكلمة هيلاسي لاسي في الأمهرية تعني قوة الثالوث. ملك اقليم شوا قبل منليك، وكان الامبراطور ليج اياسو وهو ابن محمد علي ملك الوالوجالا قد أعلن اسلامه (ترمنجهام ص ١٣) ونفى عن نفسه أي صلة بالأسرة السليمانية وأخذ يبني المساجد وحث الناس على الجهاد أثناء الحرب العالمية الأولى، فأذهلت المفاجأة رجال الكنيسة فتعاونوا مع الانجليز وفرنسا وايطاليا لإقصائه عن العرش، فتم عزله سنة ١٩١٧م، وأعلن المطران تنصيب زاوديتو ابنة منليك امبراطورة، وتعيين تفري وصياً على العرش ووليا للعهد (وسجن ليج اياسو وقتله هيلاسي لاسي سنة ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م). وارغم تفري الامبراطورة على منحه لقب نجاشي سنة ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م، وتولى العرش بعد وفاتها عام ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م وسمى نفسه ملك الملوك الامبراطور هيلاسي لاسي الأول ـ (فتحي غيث ص ٢٦٩-٢٦١).

(٢) شلبي ج ٦ ص ٧٦٢.

الاثيوبي على حرب العصابات. كما قام الضباط اليهود بتدريب طلبة الكلية البحرية على حرب العصابات في جبال قندع استعداداً لمعارك برية وبحرية ضد اريتريا. كما اشترك الضباط اليهود في صفوف الجيش الاثيوبي أثناء الحرب مع الصومال[1].

وتمكنت عدة شركات صهيونية من تأسيس مراكز لها في أديس أبابا وفروعها في اريتريا لاحتكار السوق وتصريف المنتجات اليهودية، فحصلت شركة انكودي اليهودية للحوم مثلاً على مشروع سبأ الزراعي في تسنا وعلي قدر[2]. كما حصلت عام ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م على خمسين ألف هكتار هدية من حكومة الامبراطور لإسرائيل بعد أن نزعتها من أصحابها المسلمين بالقرب من ضفاف نهر ستيت الكبير النابع من جبال اريتريا. وأهدت حكومة الامبراطور عشرين ألف هكتار لشركة اسرائيلية لتربية المواشي وزراعة الخضار. وألفي هكتار لشركة أناجن الاسرائيلية في منطقة عياش. كما منحت الدولة الصهيونية حق احتكار صيد السمك في البحر الأحمر حيث تعمل في ميناء مصوع الاريتري المسلم، وتشحن الأسماك بدون أي معاملات أو رسوم جمركية[3].

وفي عام ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م حشدت أثيوبيا قوات عسكرية على الحدود الشرقية للسودان بقصد اشغالها عن التدخل الفعال ضد اسرائيل. وأرسلت نجدة غذائية مستعجلة إلى اليهود تتكون من ١٥ ألف بقرة[4].

وكانت أمريكا عنصر ربط مشترك آخر (بعد لعبة الأصل العرقي المشترك) بين اسرائيل واثيوبيا[5] فمن خلال اثيوبيا نجحت اسرائيل في الحصول على تسهيلات عسكرية وبحرية في السواحل والجزر الاريترية المطلة على باب المندب والتى تحتلها اثيوبيا خاصة في مينائي عصب ومصوع وفي ارخبيل جزر دهلك التي أقامت عليها اسرائيل تحت الغطاء الاثيوبي مراكز مراقبة واتصال وربما مجموعات عمل عسكرية محدودة بالإضافة إلى تدعيم الطيران الاسرائيلي

(١) مجلة المسلمون ـ مجلد ٨ عدد ٨/ مأساتنا في افريقيا ص ٦٣-٦٤.

(٢) المسلمون مجلد ٩ عدد ٢، ٣.

(٣) حضارة الاسلام السنة السابعة عدد ١ / مأساتنا في افريقيا ص ٦٦.

(٤) حضارة الاسلام السنة الثامنة عدد ١و٢/ مأساتنا فى افريقية ص ٦٧.

(٥) صراع القوى العظمى حول القرن الافريقي للعمري ص ١٠٣.

ليصل مدى قوته الضاربة حتى باب المندب إذا ما زود بالوقود في الجو، وردّدت بعض المصادر أن اثيوبيا سهلت لاسرائيل التواجد فى جزيرتي جبل الطير وأبو عبل اليمنيتين في مدخل باب المندب بعد أن احتلتهما أثيوبيا، وأقامت عليهما منارات بحرية ونقاط إنذار واستطلاع ومراقبة[1].

وفي عهد هيلاسي لاسي أيضاً قام بإعطاء اليهود الاثيوبيين قوة سياسية لا حدّ لها، واهتم بدعم منطقة «جندور» التي تعتبر المركز الرئيسي لليهود الاثيوبيين اقتصادياً. وفي عهده ازداد وجود قبائل الفلاشا التي تركزت في هذا الاقليم في القرن التاسع عشر[2].

هذا في عهد بطل الوحدة الافريقية ورئيس منظمة الوحدة الافريقية هيلاسي لاسي أسد يهوذا، فهل اختلف الوضع في زمن الحكم الشيوعي الاثيوبي؟. لقد استمرت العلاقات قوية والتعاون تام بين النظام الشيوعي والصهيونية فحصل منجستومريام على السلاح الصهيوني مقابل السماح بترحيل يهود الحبشة (الفلاشا) في عملية قامت بها الصهيونية سميت (عملية موسى) بمساعدة أمريكا[3] وبعلم رئيس جهاز أمن الدولة السوداني ورئيس المخابرات الأميركية بواشنطن[4]. ويذكر أن اسرائيل أعطت أسلحة لاثيوبيا عام **١٤٠٤**هـ/ **١٩٨٤**م ما قيمته **٢٠** مليون دولار بالإضافة إلى الأسلحة وقطع الغيار التي أخذت كغنائم في جنوب لبنان أثناء الغزو عام **١٩٨٢**م[5]. واستمر مريام رئيساً لمنظمة الوحدة الافريقية كخلفه، ومن العجيب أن يكون هو المشرف على اجتماعات مختلف وفود المجموعات السياسية الاحدى عشرة المختلفة في تشاد في مؤتمر مصالحة في أديس أبابا ــ تلك الحرب التي ابتدأت عام **١٤٠٤**هـ/

---

(١) نفسه ص ١٠٢.

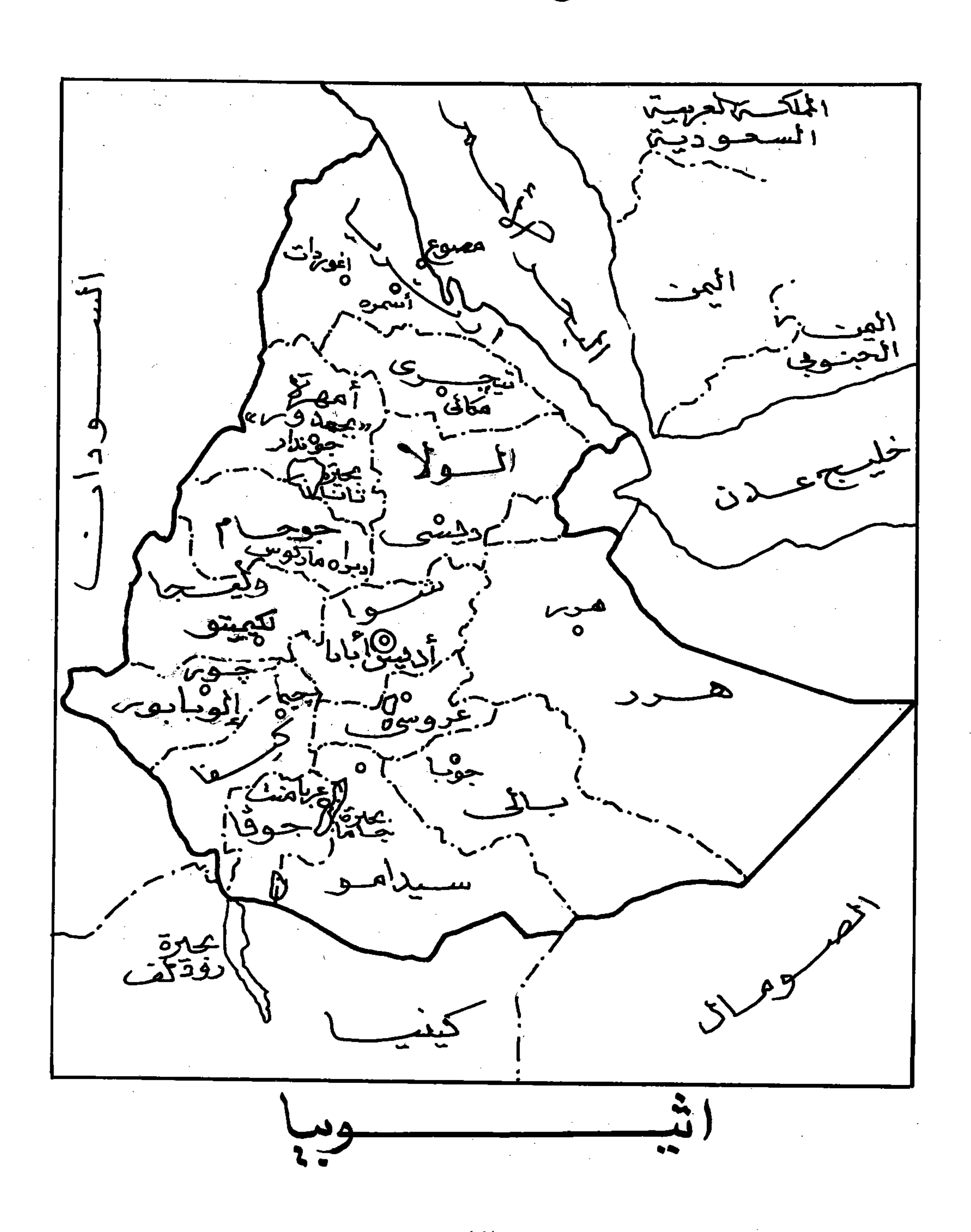
(٢) المسلمون العدد ٤٦ ص ٦.

(٣) مجلة المجتمع العدد ٧٠٠ السنة ١٥ ص ٢٨ وص ٤٠/ ٢٤ ربيع الآخر ١٤٠٥هـ/ ١٥ يناير ١٩٨٥م.

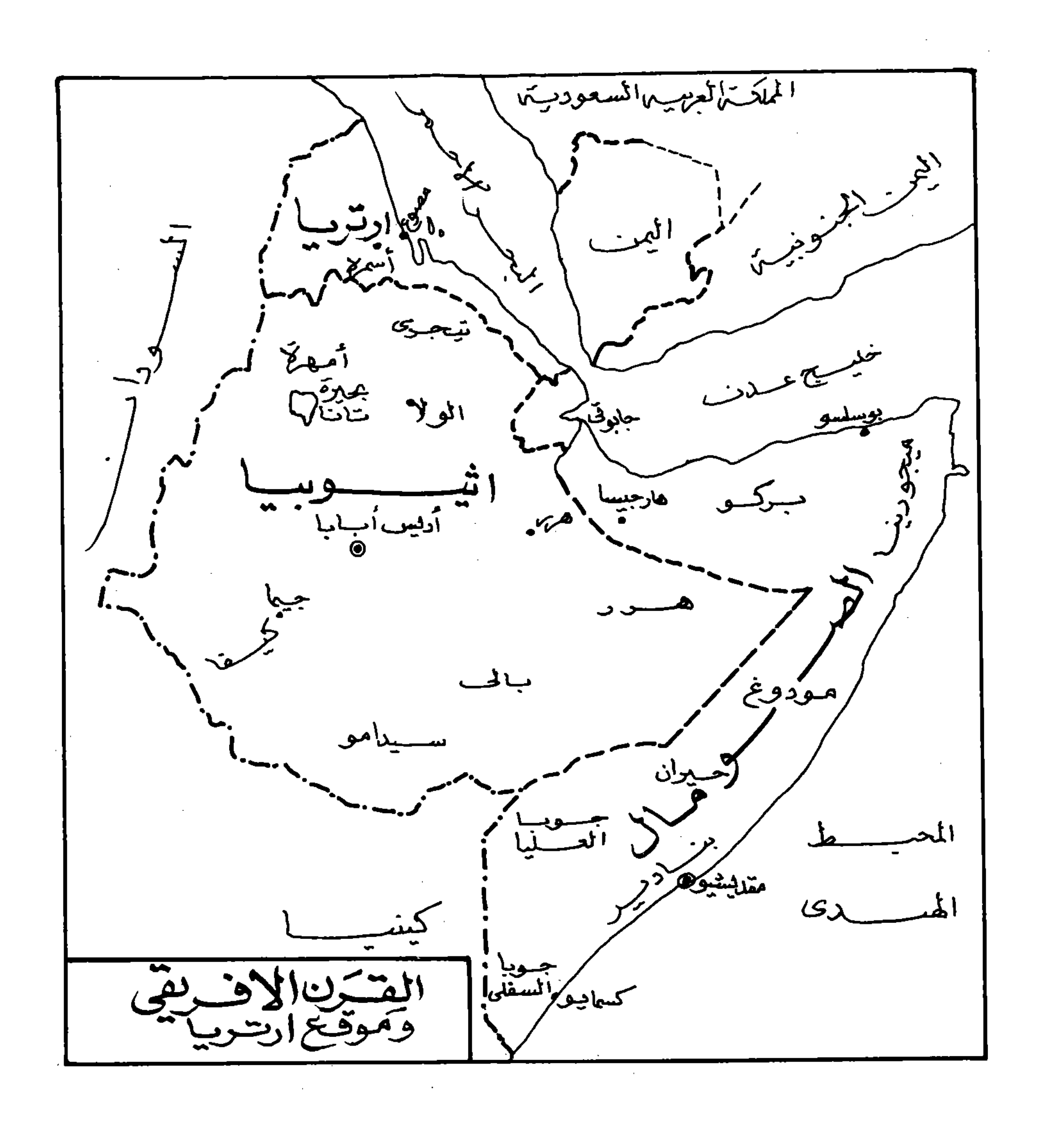
(٤) الشرق الأوسط العدد **٢٥٤٢** الأربعاء ١ ربيع الأول ١٤٠٦هـ/ **١٣/١١/١٩٨٥**م، والعدد **٢٥٢٦** الاثنين **١٤** صفر ١٤٠٦هـ/ ٢٨/١٠/١٩٨٥م.

(٥) مجلة المجتمع العدد (٧٠٠) ص ٤٠.

١٩٨٤م ولاتـزال مستمـرة إلى هذا التاريخ (١٤٠٦هـ). ولكنها لعبة الأمم التي توجهها الدول الكبرى دون وازع من تقوى أو شعور بالإنسانية.



اثيوبيا



القرن الافريقى
وموقع ارتريا

الفصـــل الســـادس

المسلمون في الاتحاد السوفييتي

إن ما يسمى اليوم بالإتحاد السوفييتي هو أوسع بلاد العالم مساحة، إذ تبلغ مساحته ٢٢,٤ مليون كم٢ أي سدس مساحة اليابسة موزعة على قارتي آسيا وأوروبا، فهو يحوي ثلث مساحة قارة آسيا ونصف مساحة أوروبا.

وأما روسيا الأصلية : فهي تلك المنطقة التي تقع في الركن الشمالي الشرقي من أوربا والتي سكنها الشعب الروسي من الشعب السلافي وكانوا ثلاثة أقسام :

أ ـ الروس الكبار : وانتشروا حول موسكو وهي مركزهم.

ب ـ الاوكران : وانتشروا في الجنوب الغربي حول مدينة كييف حاضرتهم.

جـ ـ الروس البيض : وانتشروا في الغرب وحاضرتهم متسك.

وهذه البلاد الروسية الأصل لا تزيد على ١,٥ مليون كم٢. أما المناطق الشرقية والشمالية والجنوبية فيما يسمى روسيا الأوروبية اليوم فقد كانت قبائل قليلة العدد تنتقل فى ارجائها، وكان الروس وتلك القبائل يدينون بالوثنية، إلى أن تنصر الملك فلاديمير سنة ٩٨٨م على المذهب الأرثوذكسي.

ويتكون الاتحاد السوفييتي الحالي من خمس عشرة جمهورية فيها ست جمهوريات يشكل المسلمون أغلب سكانها، ويضم البلدان التالية :

١ ـ روسيا الأصلية وهي زعيمة الإتحاد والمتسلطة عليه.
٢ ـ سيبريا وتتبع جمهورية روسيا.
٣ ـ بلاد حوض الفلغة.
٤ ـ شبه جزيرة القرم.
٥ ـ بلاد القفقاس.

٦ ــ تركستان الغربية .

وجميع هذه البلدان دخلها الاسلام ، وكوّنت جزءاً من دار الاسلام ، بعضها من القرن الأول الهجري ، وبعضها بعد ذلك بكثير . وأما الأقاليم النصرانية التي شملها التوسع الروسي فضئيلة المساحة فقيرة الموارد وهي : اوكرانية ، واستونيا ولاتفيا ولتوانيا[١] . وفيما يلي نبذة عن دخول الاسلام إلى هذه البلدان :

دخول الاسلام إلى روسيا الأوروبية وحوض الفلغة :

انتشر الاسلام في روسيا الأوروبية في فترتين زمنيتين :

١ ــ على يد البلغار في القرن الرابع الهجري الذين اعتنقوا الاسلام على يد الدعاة والتجار المسلمين الذين كانوا يتاجرون فى الفراء وسائر السلع التي كانوا يحصلون عليها في البلاد الشمالية . وقد أرسل إليهم الخليفة المقتدر العباسي **٢٩٥ـ٣٢٠هـ ٩٠٨ـ٩٣٢م** قائده أحمد بن عباس ويعرف بابن فضلان ليقوم على تثبيتهم على الدين وتعليمهم مبادىء الاسلام وشعائره . ويعد ابن فضلان من أوائل الرحالة الجغرافيين المسلمين إلى تلك الديار، وقد وصف تلك الرحلة بعد عودته وصفاً دقيقاً تعدّ من المصادر الأولى في تاريخ وجغرافية روسيا ــ وقد وصف الروس بأنهم : «أمة همجية ، شقر الشعور، زرق العيون ، قباح الوجه ، أهل غدر، وأقذر الأمم ، وانهم أشرّ خلق الله ــ ضخام الأجسام ، مستهترون بالخمر يشربونها ليلاً ونهاراً ، وهم أقذر خلق الله لا يستنجون من غائط ، ولا يغتسلون من جنابة» . وكذلك وصفهم من بعده : ابن رستة والمسعودي وابن بطوطة[٢] .

ولم يستطع البلغار جذب الروس الوثنيين إلى الاسلام لأنهم لم يقيموا مجتمعهم على أساس الاسلام فبقوا متأخرين . ولذلك اختار الروس بزعامة فلاديمير النصرانية على المذهب الأرثوذكسي عام ٩٨٨م .

(١) الغزالي ــ الاسلام في وجه الزحف الأحمر ص ١٠٩ .
(٢) ابن بطوطة ج١ ص٣٨٠ .

٢ ــ على يد التتار : من القبيلة الذهبية التي أسسها جوجي بن جنكيز خان، واسلم أميرها بركة خان (٦٥٤ـ٦٦٥هـ) ١٢٥٦ـ١٢٦٧م، فأصبح حوض الفلغة بأكمله إسلامياً، وحاضرته مدينة السرا على ضفاف الفلغة. وظهر من هذه الأسرة محمد اوزبك (٧١٣ـ٧٤١هـ) ١٣١٣ـ١٣٤٠م الذي اشتهر بحماسه لنشر الاسلام بين الأهلين، وامتدت دولته من شمال بحر آرال إلى مصب الفولغة مع امتداد إلى الغرب حتى بلاد القرم. فوطّد أركان الاسلام في البلاد التي كانت تحت سلطانه، ويقال إنه وضع خطة لنشر الاسلام في كافة أرجاء روسيا ولكنها لم تنجح، وأظهر التسامح العجيب مع النصارى ورجال دينهم ما لا شبيه له[١]. (إلّا من مسلم طبعاً). يظهر ذلك في العهد الذي منحه للمطران بطرس عام ٧١٣هـ/ ١٣١٣م، الأمر الذي جعل البابا يوحنا الثاني والعشرون يرسل له عام ٧١٨هـ/ ١٣١٨م يشكره على ما أظهر من عطف على رعاياه النصارى، فبقيت النصرانية الدين القومي للشعب الروسي. ويؤدي الجزية للمسلمين.

وقد زار ابن بطوطة البلاد وذكر محمد اوزبك فقال عنه: «وهذا السلطان عظيم المملكة شديد القوة، كبير الشأن، رفيع المكانة، قاهر لأعداء الله، أهل قسطنطينية العظمى، مجتهد في جهادهم، وبلاده متسعة، ومدنه عظيمة منها الكفا، والقرم والماجر وأراق، وسرداق وخوارزم. وحاضرته السرا، وهو أحد الملوك السبعة الذين هم كبراء الدنيا وعظماؤها»[٢].

وتحدث عن مدينة السرا فقال :

«ومدينة السّرا من أحسن المدن متناهية الكبر في بسيط من الأرض تغصّ بأهلها كثرة، حسنة الأسواق، متسعة الشوارع، وركبنا يوما مع بعض كبرائها وغرضنا التطواف حولها ومعرفة مقدارها، وكان منزلنا بطرف منها، فركبنا غدوة فما وصلنا لآخرها إلّا بعد الزوال، فصلينا الظهر وأكلنا طعاماً، فما وصلنا المنزل إلّا عند المغرب، ومشينا يوماً في عرضها ذاهبين وراجعين في نصف يوم، وذلك

---

(١) انظر أرنولد ــ الدعوة إلى الاسلام ــ ص ٢٧٢.

(٢) تحفة النظار ــ رحلة ابن بطوطة ج١ ص٣٦٧.

في عمارة متصلة الدور لا خراب فيها ولا بساتين، فيها ثلاثة عشر مسجداً لإقامة الجمعة . . . وأما المساجد سوى ذلك فكثير جداً»[1].

وكذلك وصف مدينة استراخان (الحاج طرخان) ومدينة بلغار[2].

وكانت إمارتا موسكو وكييف النصرانيتين تدفعان الجزية للتتار المسلمين.

وعلى ذلك فكان في روسيا ثلاث ديانات :

١ ــ الاسلام : ويدين به التتار وهم يحكمون البلاد ويدعون للإسلام.

٢ ــ النصرانية : ويدين بها الصقالبة الروس ولهم امارتان موسكو وكييف ويدفعون الجزية للمسلمين.

٣ ــ الوثنية : ويدين بها بعض قبائل الروس وبعض القبائل الأخرى.

تجزأت دولة التتار الواسعة فاستحالت قوتها ضعفاً وأخذت المناطق الخاضعة تتمرد عليها بالانفصال، فاستقلت إمارة موسكو ورفضت دفع الجزية عام **٨٨٥**هـ/ **١٤٨٠**م، وأسست دولة قوية بزعامة إيفان الثالث (٨٦٧-٩١١هـ) **١٤٦٢-١٥٠٥**م[3]. بعد أن بقيت تدفع الجزية **٢٤٠** عاماً للتتار المسلمين.

استطاعت الدولة البيزنطية التي وقفت في وجه الاسلام فترة طويلة أن تثير في الصقالبة الروس الروح الصليبية، وتدعوهم للإنتقام من التتار المسلمين إخوان العثمانيين الذين هددوا بيزنطة ثم قضوا عليها نهائياً عام **١٤٥٣**م. فأعلن إيفان الثالث الحرب الصليبية واعتبر موسكو وارثة للامبراطورية البيزنطية، وتمكن من هزيمة أحمد خان سلطان قازان مستغلاً انقسام مملكة بركة خان المغولي إلى ثلاث دويلات هي القرم وقازان واستراخان، وأخذت موسكو تنتقص دار الاسلام في روسيا شيئاً فشيئاً، وقام البابا يحث فاسيلي الثالث أمير موسكو بإشعال حرب مقدسة ضد المسلمين، ولكن فاسيلي ترك هذه المهمة لولده إيفان الرابع الذي سمي (بالرهيب) بسبب ما ألحق بالمسلمين من قتل وذبح وأذى

---

(١) تحفة النظار ج١ ص٣٩٣-٣٩٤ .

(٢) نفسه ج١ ص٣٧٩ ، وص٣٧٤ .

(٣) انظر أوربا العصور الوسطى ــ د. سعيد عبد الفتاح عاشور ـ ص ٦٥٩-٦٦١ .

بتوجيه من البابا . وقام بغزو الأقاليم الاسلامية في روسيا فاحتل خانية قازان الاسلامية التي كانت مركزا لحضارة إسلامية عريقة زاهرة[1] عام ٩٦٠هـ/ ١٥٥٢م وضمها إلى دولته ، فكانت أول البلاد الاسلامية التي وقعت تحت براثن الاستعمار الروسي بعد ستين سنة من سقوط غرناطة في الأندلس . واتبعها في نفس العام أرض الجوفاش وبلاد ماري وموردوف ، ثم دخل مدينة اوفا عاصمة بشكيريا عام ٩٦٣هـ/ ١٥٥٥م كما احتل خانية استراخان (الحاج طرخان) وضمها عام ٩٦٥هـ/ ١٥٥٧م ، واستولى على بلاد الادمورث عام ٩٦٨هـ/ ١٥٦٠م ، وهكذا ضم الأراضي الاسلامية التي تقع بين موسكو وجبال الادمورت من جهة الشرق ، وبحر الخزر من جهة الجنوب ، ولم يبق من روسيا الأوروبية إلّا بعض الأجزاء وشبه جزيرة القرم التي ضمتها روسيا عام ١١٩٨هـ/ ١٧٨٣م .

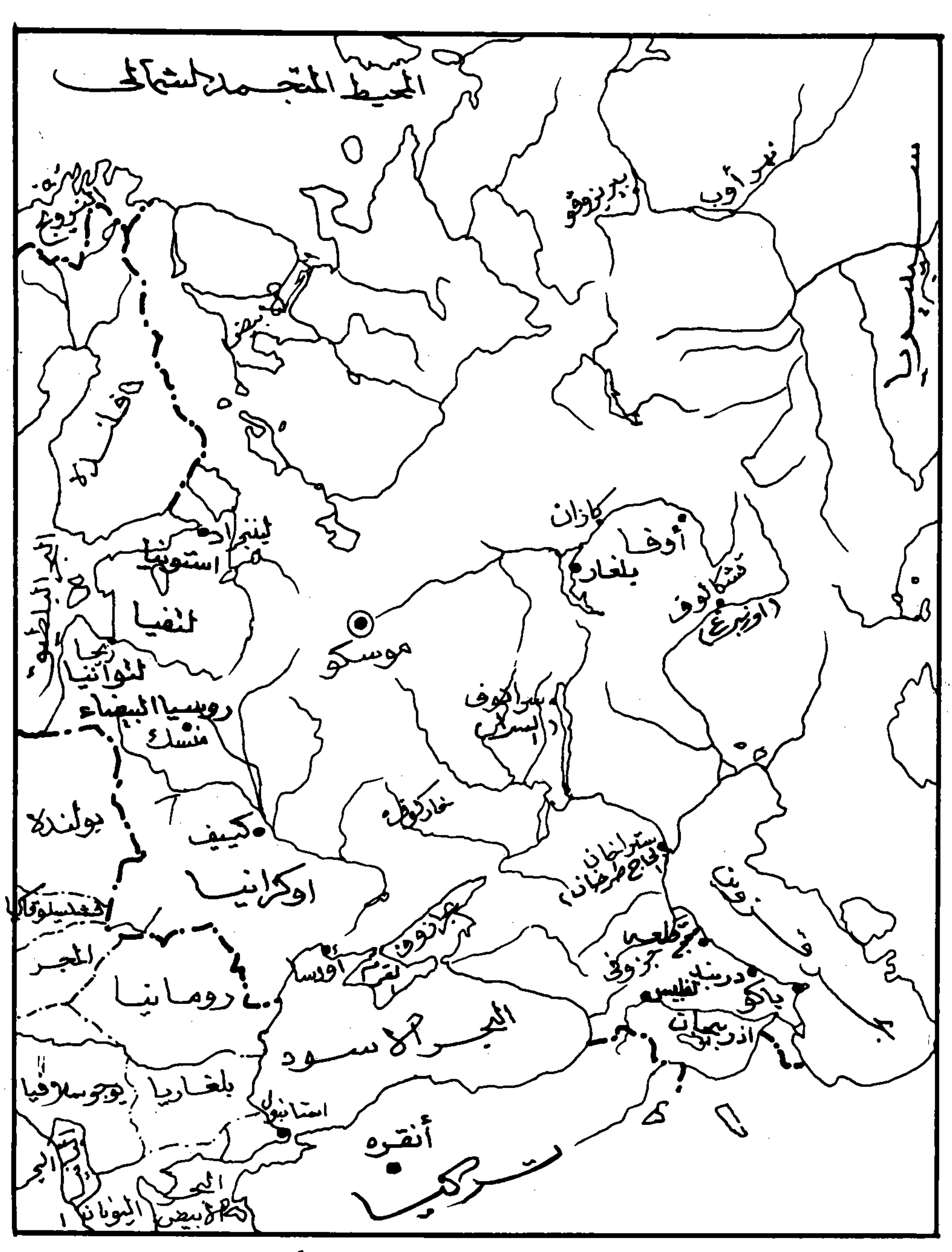
ولاتزال آثار الماضي الاسلامي ماثلة في عدد من الجمهوريات ذات الاستقلال الذاتي ، والتي ترتبط بمدينة موسكو وهي :

١ ــ جمهورية باشكيريا : إحدى الجمهوريات السوفياتية ، تحكم ذاتياً ، وتقع في جنوب جبال الأورال ، وتنتسب إلى شعب الباشكير أحد الشعوب التركية ، وصلها الإسلام مبكراً في العصر العباسي الأول ، ويعتنقون جميعاً الاسلام وأغلبهم أحناف[2] ، وقد قام الباشكير بدور هام في نشر الاسلام بين الشعوب المجاورة بسبب موقعهم المتوسط بين قارتي آسيا وأوربا . ومساحة هذه الجمهورية ١٤٣,٦٠٠كم٢ ، وعدد سكانها حوالي ٤ ملايين نسمة عام ١٤٠٢هـ . ٦٠٪ منهم مسلمون ، رغم هجرة الكثير من الروس إليها بسبب غناها ، وتهجير الباشكير خارج ديارهم . وقد عمل الروس على زعزعة عقيدتهم فقاموا بعدة ثورات أشهرها عام ١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م ، على إثر عدة قوانين ترغم السكان على التحول إلى النصرانية ومعاقبة كل من ينتسب في تحويل نصراني إلى الاسلام بالأشغال الشاقة لمدة عشر سنوات ، واخمدت الثورات بشدة

---

(١) المسلمون في الاتحاد السوفييتي ص ٢٧ .

(٢) The Ency of Islam No I I P 1076



جمهوريات الاتحاد السوفيتي الأوروبية

وقسوة، كما أصدرت كاترين الثانية عدة قوانين سنة ١١٩٢هـ/ ١٧٧٨م لتقييد حرية العبادة، فقاوم الباشكير ونشطوا في الدعوة سرّاً واسلمت على أيديهم بعض القبائل(١)، وبقيت الباشكير اسلامية فقد وجد فيها عام ١٣١٥هـ ١٥٥٥ مسجداً و٦٢٢٠ مدرسة إسلامية، وكانت صلاتها ببلاد الاسلام كبيرة فمنهم علم الدين الباشكيري نائب السلطان قلاوون في سوريا، كما جند المماليك عدداً منهم، وظلوا على علاقة بالدولة العثمانية(٢).

وانشئت جمهورية باشكيريا في ظل الشيوعية عام ١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م، فدخل الباشكير المسلمون مرحلة جديدة من التحدي، فهدم العديد من المساجد والغيت المدارس الاسلامية، فتحدوا ذلك وأصبحت أوفا عاصمتهم مركزاً يلتقي فيه المسلمون في روسيا ومقراً للإدارة الدينية لمسلمي القسم الأوروبي من الاتحاد السوفييتي ومسلمي سيبيريا منذ سنة ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٣.

٢ ــ جمهورية تتاريا: إحدى الجمهوريات السوفياتية في حوض الفلغة شرقي روسيا الأوروبية على حدود باشكيريا.

وتبلغ مساحتها ٦٨,٠٠٠كم٢، وسكانها حوالي ٤ ملايين نسمة، وتزيد نسبة المسلمين فيها على ٦٥٪ على الرغم من كثرة الروس المستوطنين، وتنتسب لشعب التتار المسلم الذين نقلوا الاسلام إلى شمال أوربا فوصلت الدعوة بجهودهم إلى روسيا الأوروبية وفنلندا وبولندة وشبه جزيرة اسكندنافيا عامة(٣).

احتلها إيفان عام ٩٦٠هـ/ ١٥٥٢م(٤) وأجلى أهلها عن قازان العاصمة ليحل محلهم الروس، ولكنهم تمسكوا بعقيدتهم وصمدوا لتحدي قياصرة روسيا طيلة أربعة قرون، فضربوا مثلاً رائعاً في الصمود للتحديات والاعتزاز بالاسلام، ولايزال هذا الشعب رغم تشتته في أنحاء مختلفة يمثل الاسلام دين الأغلبية في جمهورية تتاريا رغم تهجير كثير من الروس إليها.

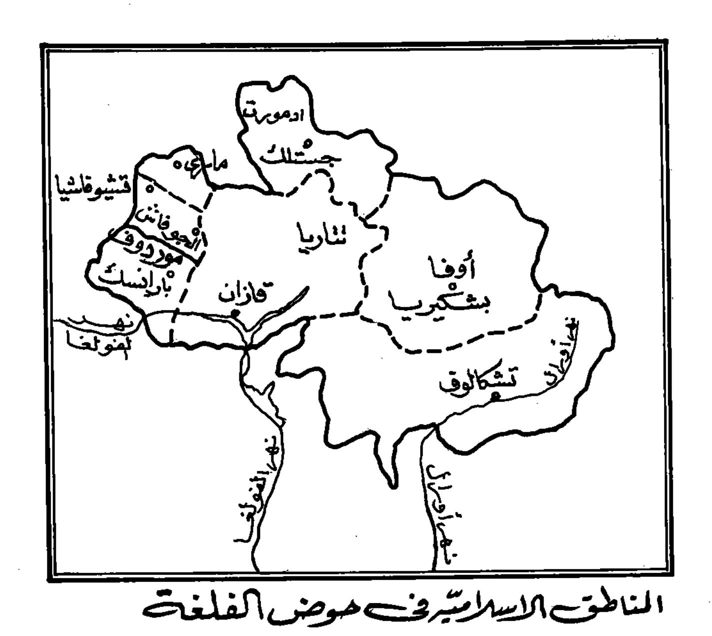
---

(١) أرنولد ــ الدعوة إلى الاسلام ص ٢٨٧ وانظر ص ٢٨٠ عندما صدر قانون حرية الأديان عام ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م فنشطوا في الدعوة علناً.

(٢) The Ency P 1076

(٣) انظر أرنولد ص ٢٧٣.

(٤) الكتاني ــ المسلمون في المعسكر الشيوعي ص ٥٦.



المناطق الاسلامية في حوض الفلغة

وقد كانت قازان العاصمة ذات جامعة اسلامية بها سبعة آلاف طالب في مستهل القرن العشرين ومطابع تخصصت بطباعة المصاحف والكتب الدينية وكان فيها مدارس ومكتبات اسلامية، وكان دورها الاسلامي يزيد على دور دمشق والقاهرة واستنبول، وقد حافظت على طابعها هذا حتى بعد الثورة الشيوعية، وكانت ترسل الدعاة إلى مختلف البلاد الخاضعة لروسيا القيصرية وخاصة إلى سيبريا وخاصة بعد صدور قانون حرية التدين في روسيا **١٣٢٣**هـ/**١٩٠٥**م[١].

وبعد أن استولى السوفييت على الحكم واجه التتار حرباً قاسية على معتقداتهم فأغلقت المدارس الاسلامية، ودمرت المكتبات والمطابع الاسلامية في قازان فواجهوا ذلك بالتحدي وقدموا العديد من الشهداء، حتى أولئك الذين تعاونوا مع الشيوعيين في البداية مثل سلطان علي اوغلي (عالياف) الذي نادى بتوحيد المسلمين في روسيا في كيان دولة واحدة تتحد مع السوفييت على مستوى

---

(١) الكتاني ـ نفسه ـ ص٧١ ، أرنولد ص ٢٨٢ .

واحد، فقبض عليه سنة ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م، واعدم في سنة ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م(١).

ويعتبر النفط من أهم موارد جمهورية تتاريا ويستخرج من حوض كاما الذي أطلق عليه اسم: باكو الجديدة(٢).

٣ ــ جمهورية الجوفاش (تشوفانيا): وتقع في حوض الفلغة غرب تتاريا. مساحتها ١٨,٣٠٠كم٢ وعدد سكانها حوالي ١,٥ مليون نسمة، وصلها الاسلام عن طريق البلغار في القرن الرابع الهجري، ثم عن طريق التتار والتجار المسلمين، احتلها إيفان الرابع عام ٩٦٠هـ/ ١٥٥٣م، واتجهت إليها الإرساليات التبشيرية ودعمتها السلطة القيصرية، وعمّد جميع المسلمين بالعنف والإكراه وخاصة زمن الامبراطورة حنة(٣). وعندما أعلنت حرية الأديان عام ١٣٢٣هـ أعلنوا جميعهم الاسلام.

أنشئت جمهوريتهم سنة ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م، ومر المسلمون فيها بفترات من الاضطهاد والتشتت، وتبلغ نسبتهم حالياً حوالي ٥٨٪.

٤ ــ جمهورية ادمورث: تشغل السفوح الغربية من جبال الآرال، وانتشر الاسلام بين سكانها بجهود الباشكير والتتار، ومساحتها ٤٢,١٠٠كم٢ و٦٠٪ من سكانها مسلمون. احتلها الروس عام ٩٦٨هـ/ ١٥٦٠م وحاولوا فصلهم عن جيرانهم المسلمين كي لا يتأثروا بهم، وحرم عليهم بناء المساجد في قراهم(٤). واطلق عليهم الروس اسم الكلاب المختونين. ولما أعلنت حرية الأديان عام ١٩٠٥م ظهرت في قراهم الاسلامية المساجد، وجاءت الشيوعية تتمم ما بدأته القيصرية وأعلنوا بها جمهورية سنة ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م(٥).

٥ ــ جمهورية موردوف: وتقع في الجنوب الغربي من الجوفاش (تشوفانيا) في حوض الفلغة، ومساحتها ٢٦,٢٠٠كم٢، وسكانها حوالي المليون

(١) نفسه ص ٥٨.
(٢) البلدان الاسلامية ص ٧٣٦.
(٣) أرنولد ــ الدعوة إلى الاسلام ص ٢٧٨-٢٨٠.
(٤) نفسه ص ٢٨١-٢٨٢.
(٥) البلدان الاسلامية ص ٧٣٩، المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ــ محمود شاكر ص ٦٧.

نسمة وعاصمتها سارانسك، ونسبة المسلمين فيها ٥٥٪. وصلها الاسلام عن طريق الدعاة من البلغار ثم التتار، وخضعوا لروسيا سنة ٩٦٠هـ/ ١٥٥٣م وحاول الروس تنصيرهم، واضطروا للتظاهر بذلك، ثم اعلنوا العودة للاسلام عندما اعلنت حرية الأديان سنة ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م. وتأسست جمهوريتهم عام ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م[1]، ويتبعون الإدارة الدينية لمسلمي روسيا الأوروبية.

٦ ـ جمهورية ماري: إحدى جمهوريات حوض الفلغة، شمالي تتاريا والجوفاش. ومساحتها ٢٣,٨٠٠كم٢، وسكانها أقل من مليون نسمة ٦٠٪ مسلمون وعاصمتها ماري. وصلها الاسلام عن طريق الباشكير والتتار. واحتلها الروس عام ٩٦٠هـ/ ١٥٥٣م، واهملوها، وساموا سكانها الاضطهاد. أعلنت جمهوريتهم في ظل الشيوعية سنة ١٣٥٥هـ/ ١٩٦٣م[2].

٧ ـ جمهورية شكالوف (اورنبرج): في حوض نهر آرال، وتبلغ مساحتها ٨٥,٠٠٠كم٢، ويقدر عدد سكانها ٢ مليون نسمة، ونسبة المسلمين ٥٣٪. وقد وصلها الاسلام عن طريق الدعاة والتجار من التتار والقوزاق، وعاصمتها اورنبرج (شكالوف) ومن مدنها الهامة اورسك، وكلتاهما تقعان على نهر آرال.

وتعد اورنبرج مدينة ذات ماضي اسلامي زاهر، اشتهرت بالصناعة، وبالكتب الدينية والتاريخية التي تبحث في تاريخ التتار. وقد عقد فيها المؤتمر الأول والثاني للقيرغيز (الكازاخ) سنة ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م[3].

٨ ـ شبه جزيرة القرم: القرم شبه جزيرة تمتد من البر الأوروبي في البحر الأسود شرقي أوروبا، ويربطها باليابس برزخ ضيق في شمالها تمر عبره خطوط المواصلات. وتحيط بها مياه البحر الأسود من الجنوب والغرب. وتبلغ مساحتها ٢٦,١٥٠كم٢.

وصلها الاسلام عن طريق التتار في عهد القبيلة الذهبية الذين استقروا في المنطقة عام ٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م[4] وكانوا قسماً من دولة المغول، وبعد انحلال

---

(١) المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص ٦٧.

(٢) البلدان الاسلامية ص ٧٣٩.

(٣) Journal Institute of Moslim Mionority Affairs 1980 ـ البلدان الاسلامية ص ٧٤٠.

(٤) الدعوة إلى الاسلام ـ أرنولد ـ ص ٢٧٦.

دولة المغول كونت القرم دولة تحت حكم اسرة كيراي منذ سنة ٨٣٦هـ/ ١٤٢٧م وقويت ومدت نفوذها باسم الدولة العثمانية وبلغت قوتها أن امارة موسكو دفعت لها الجزية السنوية في عهد السلطان محمد كيراي في النصف الأول من القرن العاشر الهجري، بل هاجمت موسكو وانتقمت منها لما فعلته بالمسلمين التتار في البلاد الشرقية سنة ٩٧٩هـ/ ١٥٧١م[١]. وحكموا مقاطعة الدونتز من روسيا الجنوبية، ولكن الروس انتصروا عليهم وانتزعوا الأراضي الشمالية عام ١٠٩١هـ/ ١٦٨٠م وهذا ما جعل العثمانيين ينزلون إلى شبه الجزيرة واتخذوا لهم مراكز في جنوبها، وتسلموا مضيق (كرش).

ولما أصاب العثمانيين الضعف قام الروس بغزو شبه الجزيرة سنة ١١٤٩هـ/ ١٧٣٦م و١١٥٠هـ/ ١٧٣٧م و١١٥١هـ/ ١٧٣٨م، واستولوا عليها نهائياً سنة ١١٤٦هـ/ ١٧٨٣م. وأصدرت الامبراطورة كاترين الثانية مرسوماً أعلنت فيه ضمّ الإمارة[٢] إلى الامبراطورية الروسية متعهدة للمسلمين بضمان حقوقهم فى أملاكهم وحرياتهم الدينية[٣] ــ ولم يكن هذا الوعد إلّا تضليلاً ــ فقد صادرت الحكومة بعد سنوات خيرة أراضي أهلها ووزعتها على النبلاء وطردوا ٥٠٠ ألف مسلم. وأصدرت قوانين تحرم الدعوة إلى الاسلام، وتعاقب من يقوم بها بالأشغال الشاقة. ثم تدفقت سيول المهاجرين الروس الأوروبيين. وهكذا وجد المسلمون أنفسهم يطردون من أراضيهم الخصبة إلى الأراضي القاحلة في وسط شبه الجزيرة. وأصبح تاريخ هذا الشعب التتري في القرم خلال ما يزيد على مائة عام عبارة عن سلسلة طويلة من الهجرة الجماعية اليائسة تحت أشد حالات البؤس والتعاسة، هلك خلالها الألوف المؤلفة مرضاً وجوعاً، وكانت نتيجة ذلك أن أصبح هذا الشعب أقلية في وطنه أمام كتلة روسية تفوقه ثروة وحيوية[٤].

(١) جريدة عكاظ ١٢ ربيع الأول سنة ١٤٠١هـ.
(٢) أرنولد ــ الدعوة إلى الاسلام ص ٢٧٦. انظر المسلمون في الاتحاد السوفييتي ص ٣٠.
(٣) جريدة عكاظ ١٢ ربيع الأول سنة ١٤٠١هـ، البلدان الاسلامية ص ٧٤١.
(٤) المسلمون في الاتحاد السوفيتي ــ تعريب إحسان حقي ص ٣١.

ونشط تتار القرم في استعادة كيانهم منذ صدور قانون حرية العقيدة في روسيا سنة ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٥م، وحتى استيلاء السوفييت على الحكم سنة ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م، واستقلوا أثناء الثورة الشيوعية، واجريت الانتخابات في البلاد واجتمع مجلسها الوطني ووضع دستوراً للبلاد. ولكن الشيوعيين نجحوا في العودة بعد مقاومة عنيفة لجأوا فيها إلى حرب التجويع والحصار القاسي، فأهلكوا ما يقرب من ستين ألفاً جوعاً حسبما نشرت جريدة الازفستيا الروسية في عددها الصادر بتاريخ ٢٥ تموز (يوليو) ١٩٢٢م، في تقرير للرفيق كالينين وقتلوا مائة ألف وعملوا على نقل زهاء خمسين ألفاً[١]، ولما دخلوها نصبوا بالاكون المجري اليهودي رئيساً للبلاد، وهدموا المساجد والمعاهد، فلم يبق من ١٥٥٨ مسجداً بالقرم إلّا بضعة مساجد. وبدأ عدد السكان بالتناقص.

وفي عام ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م إتجه الشيوعيون إلى جعل شبه جزيرة القرم موطناً ليهود روسيا، ولما احتجت حكومة القرم أعدم رئيس جمهوريتها وأعضاء حكومته، ونُفي أربعون ألف مسلم إلى مجاهل سيبريا.

ولما غزا الألمان المنطقة إبان الحرب العالمية الثانية انهزم أمامهم الفيلق القرمي ثم استسلم وتعداده ١٨ ألفاً تخلّصاً من الروس ظناً منهم بأن الألمان أفضل منهم، ولم يدر بخلدهم أن الكفر ملة واحدة، فقد نزع الألمان سلاحهم وساقوهم ١٥٠ كيلومتراً سيراً على الأقدام دون طعام، فسقط بعضهم من شدة الاعياء ثم سجنوا في جامعة بناؤ ها قلعة من قلاع العصور الوسطى، لا يصل إليها النور، ومنع عنهم الطعام بحجة نقص المواد الغذائية عند الألمان، فبدأوا يتساقطون جوعاً إلى أن أكل بعضهم بعضاً، واخرج الألمان البقية الباقية وقتلوهم رمياً بالرصاص، ولم ينج منهم سوى ثلاثة شاء الله لهم الحياة حتى تصل إلينا أخبار هذه الكارثة الأليمة[٢].

وعلى الرغم من هذه الكارثة فقد اتهم الروس السكان بأنهم عملاء للألمان يجب محاكمتهم، فدخلوا العاصمة باغجة سراي سنة ١٣٦٢هـ/

(١) البلدان الاسلامية ص ٧٤٢.
(٢) انظر: المسلمون في وجه الزحف الأحمر ص ١٣٤-١٣٥، المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص ٧١.

١٩٤٣م وبـدأوا بطمس معـالم الاسـلام فيهـا حتى المسـاجد الأثرية مثل جامع (خـان) وجـامع (يازار) وجامع (اصما قويو) وغيرها . وجمعوا المصاحف الكريمة وأحرقوها في الميادين العامة وقتلوا من السكان ما يقرب من نصف مليون ، وأجلوا البـاقي عن بلادهم ، وأعلن مجلس السـوفييت الأعلى إلغـاء جمهورية تتار القرم من الوجود ، وضمّت إلى جمهورية اوكرانيا السوفيتية .

وأخـذ تتـار القـرم يهيمـون في مجاهل سيبريا ويطالبون بالعودة إلى وطنهم وشعـر الـروس أن بعض المنفيين من تتار القرم يعودون إلى بلادهم دون إذن من السلطـات الـروسيـة ، فأرسلوا رجال الأمن يخربون البيوت التى قطنها العائدون فوق رؤوسهم . واقتادوا من نجا من الموت منهم إلى السجون . ورفضوا طلبات الذين طلبوا العودة[1] .

وفي عام ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م قرر مجلس السـوفيـات براءة تتـار القـرم من تهمة التعاون مع الألمان وألغى قرار الاتهام السابق بعد فوات الآوان[2] .

المسلمون فى سـيبريا :

يطلق اسم سيبريا على كل الأراضي الواقعة بين أوربا في الغرب والمحيط الهادي في الشرق ، وبين التركستان والصين في الجنوب والمحيط المتجمد الشمالي في الشمال . فهو إقليم واسع المساحة يبلغ ١٢,٧٦٥,٠٠٠كم^{٢} وباردة متجمدة تبلغ درجـة الحـرارة فيهـا ٥٠°م تحت الصفـر ، وقـد وصفها كثير ممّن نفوا إليها : الجحيم البـارد ، أو الـزمهـريـر ، ويستخـرج منهـا حالياً البترول والغاز الطبيعي والفحم الحجري ، بكميات كبيرة ، وهناك مناجم الذهب التي تحاول السلطات الشيوعية التكتم على هذه الثروة الصفراء .

ورغم اتسـاعهـا هذا فليست لها جمهـوريـة لها استقـلال ذاتي كبعض الجمهوريات الأخرى ، بل هي إقليم يتبع جمهورية روسيا الاتحادية لتظل منفى لمعـارضي السيـاسـة الشيوعية وللمسلمين الذين نقلوا إليها قسراً . فتتبع الإدارة

(١) المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص ٧٢ .

(٢) البلدان الاسلامية ص ٧٤٢ ، جريدة عكاظ ١٢ ربيع الأول سنة ١٤٠١هـ .

المـركـزية في موسكو مباشرة. ولا يزيد عدد سكانها على **٢٥** مليون نسمة، منهم **٢,٥** مليوناً من المسلمين[١].

كانت سيبريا جزءاً من الدولة المغولية التي أسسها باطو بن جنكيز خان، وصلها الاسلام بواسطة الدعاة من أهل بخارى وقازان الذين شقوا طريقهم إلى تلك البـلاد وعـاشـوا مع أهلها. ولما اعتنق المغول الاسلام وتحمسوا له أصبحت سيـبر يـا بلاداً اسلامية. وكوّن فيها المسلمون إمارة عاصمتها سيبير (تحريف من صابـري) تولّى أمـرهـا أحـد أمراء القبيلة الذهبية عام **٩٧٨هـ/ ١٥٧٠م**. وقد بذل الخان قصارى جهده ليدخل رعاياه الاسلام وأرسل في طلب الدعاة والعلماء من بخارى ليساعدوه في مهمته التي لقيت كثيراً من النجاح.

ولما زحف الروس شرقاً تمكنوا من احتلال سيبريا الغربية، ودخلوا سيبير عاصمـــة كوتشم خان عام **٩٨٨هـ/ ١٥٨٠م**، وقـــد رفض الخـان الاستسـلام عندما عرض عليه الروس بعد أن انهار جيشه أن يقبل الاحتلال الروسي ويعيش ملكاً تابعاً لهم، وقال قولته:

«لا أقبل عيش الأسير ولا موت الذليل، ولست احزن لفقد أملاكي وإنما حزني من أجـل أولئـك التعسـاء الـذين وقعـوا تحت نير الاستعبـاد الـروسي»، واستمـر يقـاتـل حتى استشهـد، كما استشهـد من بعـده ابنه السلطان علي[٢]. وسيطر الروس بذلك على سيبريا بعد حرب دامت **٥٦** سنة.

وعلى الرغم مما لقيه المسلمون على أيدي الروس من اضطهاد فقد توالى قدوم الـدعـاة إلى سيـبر يـا من بلاد ما وراء النهـر وخـاصة بخارى ومن قازان. فنشروا الاسلام بين قبائل التتار الضاربة بين نهري اوبي ورافده نهر ارتيش والتي يطلق عليهـا اسم باريـا عام **١١٥٨هـ/ ١٧٤٥م**.[٣] فعمهـا الاسلام، وأنشأ شعراؤهم قصائد تضم قواعد الاسلام وتحكي بطولات عظماء المسلمين الفاتحين[٤].

---

(١) انظر الكتاني ص **٥٣** وص ٦٣.

(٢) المسلمون في وجه الزحف الأحمر ص ١١١.

(٣) المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص ٧٦، وانظر: انتشار الاسلام ص ٢٨٤.

(٤) انتشار الاسلام ص ٢٨٤.

وقد قامت بعض الحركات الاسلامية في سيبر يا منها ثورة عام ١١٨٦هـ/ ١٧٧٣م التي اضطرت القياصرة الروس لإرسال جيوش ضخمة لاخضاعها .

وهناك مصدر آخر للدعوة الاسلامية في سيبر يا تمثل في الجماعات المسلمة الـذين نفـاهم الـروس القيـاصـرة أو السوفيات ، فلقد نقلوا مثلاً الكثير من تتار القرم وحوالي مليون وثلاثمائة وخمسين ألفاً من مسلمي آسيا الوسطى إلى سيبر يا فدعم ذلك الاسلام[1] .

وتتبـع سيـبر يـة الإدارة الدينية لمسلمي روسيا الأوروبية وسيبر يا ومركزها مدينة اوفا في بشكير يا .

المسلمون في بلاد القفقاس :

قفقـاسيـا هي البـلاد الـواقعـة بين البحر الأسود وبحر الخزر شاملة جبال القوقاز وسفوحها الشمالية والجنوبية التي تعد الحدّ الفاصل بين أوربا وآسيا ، وقد ضمت هذه المنطقـة مزيجـاً من الشعـوب انصهرت فيما بينها واحتفظت الجماعات الحـربيـة التي تحصنت بالجبـال بلغتهـا وعـاداتهـا وحـافظت على كيانها وعرفت بالشجاعة والإقدام والقوة .

وقـد قامت في هذه الجبـال حكـومـات محليـة مثل حكومة القوشحة وسط المـرتفعـات عرفت في المصادر العربية باسم حكومة اللان ، كما أسس الداغستان دولـة في السفـوح الشـرقيـة للجبـال اسماها المسلمون حكومة السرير، كما اطلق المسلمون على الجبال اسم القبق والقبج والقبجوق والقفجاق منذ عهد الخلفاء الراشدين[2] .

وتبلغ مسـاحـة قفقاسيا ٣١٤,٤٠٠كم٢ ويسكنها أكثر من ١٥ مليوناً هم مجمـوعـة من القبـائـل أهمهـا : الجـراكسة والشاشان والقوشحة ، والداغستان ، إضافة إلى الكرج والأرمن والكرد . وكل هذه البلاد كانت من ديار الاسلام .

---

(١) الكتاني ــ المسلمون في المعسكر الشيوعي ص ٥٣ .
(٢) المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص ٧٨-٧٩ .

فقد وصلها الاسلام عن طريق الفتح والدعاة في القرن الأول الهجري . فقد أغار عليها عياض بن غنم عام ١٨هـ، ثم فتح سراقة بن عمرو أذربيجان وتابع فتوحاته لنشر الاسلام وكان على مقدمة جيشه الذي سار نحو الباب (باب الأبواب ـ دربند حالياً) عبد الرحمن بن ربيعة، وعلى رأس الجيش الذي سار نحو الداخل حبيب بن مسلمة الفهري فى أواخر عام ٢٢هـ. واعتنق بعض السكان الاسلام وأولهم القوموق في تلك المرحلة المتقدمة من الزمن، ووضعت الجزية عن الذين اشتركوا في القتال مع المسلمين بناء على طلب ملكهم شهر بزار. وقد تركز الاسلام في العهد الأموي على يد حبيب بن مسلمة الفهري ومحمد بن مروان ومسلمة بن عبد الملك.

وبعد أن ضعفت الدولة العثمانية والفارسية أخذت روسيا بالتوسع في بلاد القفقاس فضمتها بالتدريج بعد جهاد مرير من أهلها يشهد بهذا الجهاد كارل ماركس نفسه ومن عباراته: «ياشعوب العالم، ليكن قتال القوقازيين من أجل حرياتهم درساً لكم»[1].

وقد قسمها الشيوعيون إلى أربعة عشر قسماً من أجل امكانية السيطرة عليها وتتداخل هذه الأقسام. والمناطق الجبلية التي يمكن أن تكون مركزاً للتمرد أكثر الأجزاء عدداً وصغراً. وهذه هي الأقسام:

أ ــ ولايات ذات حكم ذاتي هي:

١ ــ الأديغة وتتبع روسيا.

٢ ــ قارتشاي الشركسية وتتبع روسيا.

٣ ــ أوستينا الجنوبية وتتبع جورجية.

٤ ــ قره باخ وتتبع آذربيجان وتقع في وسطها.

ب ــ جمهوريات ذات حكم ذاتي في شمال القوقاز وهي:

١ ــ داغستان ـ تتبع روسيا.

٢ ــ شاشان انجوشيا وتتبع روسيا.

٣ ــ قابرديا ـ بلكاريا ـ وتتبع روسيا.

---

(١) الاسلام في وجه الزحف الأحمر ص ١١٤.

٤ ــ أوستينا الشمالية وتتبع روسيا .
٥ ــ ابخاريا وتتبع جورجيا .
٦ ــ آجاريا وتتبع جورجيا .
٧ ــ ناختيشفيان وتتبع أذربيجان .

جـ ــ جمهوريات اتحادية في جنوب القوقاز وهي :
١ ــ أذربيجان .
٢ ــ جورجية .
٣ ــ أرمينية .

وسنتكلم عن كل من هذه الأجزاء باختصار :

١ ــ الداغستان : تشمل بلادهم الجزء الشمالي من بلاد شروان، وتشرف على بحر قزوين، وتتحكم بممر قفقاسيا الشرقي (باب الأبواب)، ومعنى الداغستان أرض الجبال. ومساحتها ٥٠,٣٠٠ كم^2، وعدد سكانها أقل من ٢ مليون نسمة وعاصمتها محج قلعة. ومن أبرز مدنها دربنت (دربند) التي عرفت في التاريخ الاسلامي باسم باب الأبواب لأنها تشرف على الممر السهلي الذي يعتبر باباً بين قارتي آسيا وأوروبا.

وينتمي السكان إلى قبائل القوموق أول من أسلم في عهد الخلفاء الراشدين، والآندي والداغستان وجميعهم يعتنقون الاسلام[١].

وصل المسلمون باب الأبواب عام ٢٠هـ. ووقع صلح مع عمرو بن سراقة وشهر بزار ملك باب الأبواب وفيه أن يقاتل أهلها في صفوف المسلمين عوضاً عن الجزية فأتخذها المسلمون مركز انطلاق حملاتهم لنشر الاسلام في بلاد الخزر وباقي بلاد اللان وارمينيا. ثم توطد الاسلام في هذه البلاد في العهد الأموي في ولاية مروان بن محمد الذي أعاد استيطان المسلمين بالمنطقة مما أثر في الدعوة الاسلامية وتثبيتها في منطقة داغستان. وتبعت دار الاسلام زمن العباسيين والعثمانيين.

---

(١) البلدان الاسلامية ص ٧٤٥.

ولما أعلنت روسيا حمايتها على بلاد الكرج المجاورة لداغستان قاتلوا الروس بشراسة بقيادة الإمام الملا محمد الملقب بالغازي محمد، والذي ألحق بالقوات الروسية بعض الهزائم، إلى أن استشهد عام ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م فخلفه الأمير حمزة الخنزاجي فرفع راية الجهاد حتى استشهد بعد عام، فتولى الإمام الشيخ شامل راية الجهاد تلميذ القاضي محمد في بطولة نادرة ووقف في وجه الروس خمسة وعشرين عاماً حتى إذا اضطر لترك المدن والحصون والقلاع لاذ بالجبال يناوشهم لمدة عشر سنوات أخر، وفي عام ١٢٧٦هـ/ ١٨٥٩م استسلم الأمير شامل لروسيا بعد أن حشدت له جيشاً عدده ٣٠٠,٠٠٠[١] وخرج إلى تركيا، ثم إلى المدينة المنورة حيث مات ودفن في بقيعها عام ١٢٨٩هـ/ ١٨٧١م[٢]. وتم احتلال روسيا لبلاد الجركس عام ١٨٦٣م وابتدأت هجرتهم المشؤومة.

واضطهد الداغستانيون في ظل الحكم القيصري، وفي العهد السوفييتي أعلن قيام جمهورية الداغستان سنة ١٣٤٠هـ. وأصبحت ذات حكم ذاتي تتبع روسيا. يشكل المسلمون أغلبية السكان، وفي الداغستان الإدارة الدينية لمسلمي شمال القفقاس ومقرها مدينة بيوناسك في جنوب غرب العاصمة محج قلعة وقد تقلص عدد المساجد من أكثر من ألف مسجد إلى سبعة وعشرين مسجداً[٣].

وكانت لغتهم تكتب بالحروف العربية، فاستبدلت بالروسية، كما كانوا يتكلمون العربية إلى جانب لغتهم[٤].

٢ ـ تشاشان انجوشيا: تقع في القسم الشمالي الشرقي من جبال القوقاز. ومساحتها ١٩,٣٠٠كم^{٢}. وسكانها أقل من ١,٥ مليون نسمة وعاصمتها جروزني. وتشتهر بالصناعات النفطية[٥].

---

(١) تاريخ القوقاز ص ٩ ت جونا توقه، يوسف عزت باشا، وتعريب خوسنوفه عبد الحميد غالب بك.

(٢) انظر: محمود شاكر ـ قفقاسيا ص ٦٠.

(٣) مجلة العربي ٢٥٤ صفر سنة ١٤٠٠هـ.

(٤) عبد الفتاح عبادة ـ انتشار الخط العربي ص ٤٦.

(٥) البلدان الاسلامية ص ٧٤٦.

وصلها الاسلام قبل قرنين من الزمن . وتمسك السكان بدينهم تمسكاً قوياً ازعج الروس . ودافع الشاشان والانجوش من أجل استقلالهم من سنة (١٢٥٦هـ إلى ١٢٦٧هـ) وبعد هزيمتهم نقل الروس الكثير منهم من معاقلهم الجبلية في جبال القوقاز إلى مناطق أخرى . وهاجر عدد كبير منهم إلى تركيا (بلغ ٤٠٠ ألفاً) . وسادتهم فترة من الاستقرار بعد إعلان حرية العقيدة سنة ١٩٠٥م .

ولما استولى السوفييت على البلاد فصل الاقليم عن جيرانه وأصبح ذاتي الحكم ، واتهموا بمساعدة الغزو الألماني في الحرب العالمية الثانية فنفت روسيا عدداً كبيراً منهم إلى قازاخستان ، وغيرها ، والغيت جمهوريتهم . وفي عام ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م أعيدت الجمهورية مرة أخرى بعد تبرئتهم من تهمة التعاون مع الألمان فعاد معظمهم إلى بلادهم . ورغم هجرات الروس الكثيرة إلى البلاد فنسبة المسلمين هناك ٧٤٪[1] ويتبعون الإدارة الدينية لشمال القوقاز وداغستان ومقرها محج قلعة .

٣ ــ قابرديا ــ بلكاريا : إحدى جمهوريات شمال القوقاز. وتحمل اسم مجموعتي السكان اللتين يتكون منها سكان البلاد . ومساحتها ١٢,٣٠٠كم٢ . وسكانها حوالى ٧٥٠ ألف نسمة . وصلها الاسلام مبكراً في القرن الثاني الهجري . وظلت تحت الحكم الاسلامي حتى استولى عليها قياصرة الروس سنة ١٢٢٨هـ ١٨١٣م . ولشدة المقاومة لم تتم السيطرة عليها إلاّ في نهاية القرن التاسع عشر.

وأعلنت بلادهم جمهورية ذاتية الحكم . ونسبة المسلمين ٥٩٪ يتبعون الإدارة الدينية لمسلمي شمال القوقاز وداغستان في محج قلعة[2] .

٤ ــ أوستينا الشمالية : تقع في النطاق الشمالي من جبال القوقاز وتبلغ مساحتها ٨,٠٠٠كم٢ ، وسكانها أكثر من نصف مليون نسمة ، وأرضها جبلية .

---

(١) البلدان الاسلامية ص ٧٤٧.

(٢) البلدان الاسلامية ص ٧٤٩.

ونسبة المسلمين حوالي ٥٣٪[١]. وقد وصلها الاسلام منذ وقت مبكر حيث عرفوا عند المسلمين بالـلان وغزاها المسلمون في فتح بلاد الخزر والكرج. واحتلها الروس سنة ١١٩٩هـ/ ١٧٨٤م[٢]. وفي ظل الحكم الشيوعي أسست جمهوريتهم سنة ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م ويتبعون الإدارة الدينية لمسلمي شمال القوقاز.

٥ ـ أبخاريا: جمهورية ذات حكم ذاتي تتبع جورجيا، وتقع في شمالها الغربي على ساحل البحر الأسود. ويطلق عليها أيضاً (لابازه). (أو الأباظة) ومساحتها ٨,٦٠٠كم٢. وسكانها حوالي نصف مليون نسمة. وينتشر الاسلام بين جماعات الابخار بنسبة عالية وينتمون إلى جماعات الشركس[٣].

٦ ـ آجاريا: وتوجد على ساحل البحر الأسود بين جورجيا وتركيا. ومساحتها ٣٠٠٠كم٢. وسكانها حوالي نصف مليون نسمة. وعاصمتها مدينة باطوم على ساحل البحر الأسود وهي ميناء بتر ولي هام. وأغلب سكان آجاريا مسلمون. ضمتها روسيا نتيجة مؤتمر برلين عام ١٢٩٥هـ[٤].

٧ ـ ناختيشفيان: وتقع على حدود تركيا وايران. وتكوّن جزءاً من جمهورية أذربيجان رغم أن جمهورية ارمينية تفصل بينهما. ومساحتها ٥,٥٠٠كم٢. وعدد سكانها أقل من ٢٠٠ ألف نسمة. دخلها الروس عام ١٢٤٤هـ وأصبحت تتبع أذربيجان عام ١٣٤٣هـ[٥].

٨ ـ ولاية الأوديغا: إحدى ولايات القوقاز ذات حكم ذاتي. وتبلغ مساحتها ٧,٦٠٠كم٢. وسكانها أقل من نصف مليون نسمة. وأهم موانئها سوخي على البحر الأسود. ويتكون سكانها من عناصر شركسية وتتارية يدينون بالاسلام، وعناصر مهاجرة من روسيا الأوروبية[٦]. وقد تأسست مقاطعتهم عام ١٣٤١هـ. وتقدر نسبة المسلمين بـ ٨٠٪ من جملة السكان.

(١) نفسه ص ٧٤٩.
(٢) المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص ١٠٣.
(٣) محمود شاكر ققفاسيا ص ٧٠، المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص ٩٨.
(٤) انظر: المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص ٩٩، ققفاسيا ص ٧٠.
(٥) نفسه ص ٩٤.
(٦) البلدان الاسلامية ص ٧٥٠، المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص ١٠٦.

٩ ــ ولاية قارتشاي الشركسية : إحدى ولايات شمال القوقاز، مساحتها ١٤,١٠٠كم[٢]، وسكانها ٣٧٠,٠٠٠ نسمة. وعاصمتها شركسك. وصلها الاسلام مبكراً في القرن الثاني الهجري أثناء فتح المسلمين لارمينية وبلاد الخزر. وحكم التتار ثم الفرس والعثمانيون هذه المنطقة إلى أن استولى عليها قياصرة الروس وأمام قسوتهم فر الشركس من موطنهم أو نقلوا إجبارياً إلى مناطق أخرى فأصبحت نسبتهم في هذه الولاية ١٢,٧٪ فقط. والاسلام دين الأغلبية حيث يشكلون ٨٠٪ من عدد السكان. ويتبعون الإدارة الدينية لمسلمي شمالي القوقاز في محج قلعة(١).

١٠ ــ أوستينا الجنوبية : ولاية من ولايات القفقاس تتبع جورجية، وتوجد في شمال جورجيا وسط جبال القفقاس. مساحتها ٣,٩٠٠كم[٢]. وسكانها حوالي ١٥٠ ألفاً ومعظمهم من الشركس المسلمين. وقد ضمت إلى روسيا نتيجة مؤتمر برلين عام ١٢٩٥هـ، وتأسست المقاطعة سنة ١٣٤١هـ(٢) حيث فُتّت المنطقة إلى جمهوريات صغيرة.

١١ ــ ولاية قره باخ : وتقع ضمن جمهورية أذربيجان في وسطها. ومساحتها ٤٤٠٠كم[٢]. استولى عليها الروس عام ١٢٤٤هـ. وأصبحت مقاطعة تتبع أذربيجان عام ١٣٣٢هـ(٣).

١٢ ــ جمهورية أذربيجان : إحدى الجمهوريات الاسلامية الست بالاتحاد السوفياتي ذات اتحاد فدرالي. في جنوب شرق بلاد القفقاس. وعاصمتها باكو على بحر قزوين من كبريات مدن السوفيات، وترجع باكو إلى القرن الهجري الثالث وتنقسم إلى منطقتين : قديمة : تضم مساجدها ومحلاتها التجارية التقليدية ولهذا القسم ملامح اسلامية. وحديثة : وتوجد باكو بالقرب من مناطق البترول وهذا اعطاها أهمية نفطية ويصلها خط أنابيب بميناء باطوم على البحر الأسود.

---

(١) المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص ١٠٥، البلدان الاسلامية ص ٧٥٠.

(٢) المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص ٩٩، قفقاسيا ص ٧١.

(٣) نفسه ص ٩٥.

تبلغ مساحتها ٨٦٦٣٠كم[٢]. وعدد سكانها أقل من ٧ ملايين نسمة يتكونون من الأذربيجانيين ونبستهم ٧٤٪ والروس ١٠٪ والأرمن ١٠٪ والجورجيين ٣٪ ولغتهم تركية وإلى جانبها الروسية. والغالبية مسلمون.

وصلها الاسلام مبكراً في عهد عمر بن الخطاب، فقد عقد عتبة بن فرقد صلحاً مع المرزبان حاكم المنطقة، ثم فتح حذيفة بن اليمان اردبيل صلحاً سنة ٢٥هـ. وبدأ انتشار الاسلام وخاصة بعد أن عمل الاشعث على استيطان المسلمين في أردبيل فنزحت عليها عشائر من مصر والشام وتحولت أردبيل إلى مركز اسلامي في عهد عثمان بن عفان وبنى مسجدها الجامع سنة ٣٦هـ واستوطنتها قبائل من الأزد. وعمّها الاسلام زمن الأمويين وخاصة على يد الجراح بن عبد الله الحكمي الذي قاد الجيوش الاسلامية لغزو الخزر في شمالي أذربيجان. وازدهرت فيما بعد مدن اسلامية غير اردبيل مثل مدينة ورثان وبرزند. وانتشرت اللغة العربية. واتخذت في عهد أبي جعفر المنصور قاعدة لمد الاسلام إلى الشمال. وبقيت جزءاً من أرض الاسلام.

وفي سنة ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م دخل جنود روسيا القيصرية أذربيجان بالاتفاق مع بريطانيا.

ولما قامت الثورة الشيوعية احتل الحلفاء مدينة باكو سنة ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م واعترفوا بحكومة حزب المساواة التي قامت بأذربيجان، ثم انسحب الحلفاء واعلن السوفيات قيام نظامهم في باكو سنة ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م. فأصبحت جمهورية سوفياتية. ودخلت الاتحاد سنة ١١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م.

وكانت لغة الأذري تكتب بحروف عربية فاستبدلت بالروسية. وهي تنتمي إلى اللغات التركية(١).

وتبلغ نسبة المسلمين ٧٨٪ من السكان وهم الأذربيجانيون والتاليش أما الأرمن والكرج فنصارى، وأما الروس الذين أصبحوا يكوّنون ١٤٪ من السكان

(١) عبد الفتاح عبادة ــ انتشار الخط العربي ص ٤٤، تقويم البلدان الاسلامية ص ١٤٢.

فدخلاء[1]. وقد تقلص عدد المساجد في ظل النظام الشيوعي من الآلاف إلى ١٦ مسجداً فقط[2] ونقص عدد المدارس بل أصبحت في حكم المنتهية وفي باكو الإدارة الدينية الاسلامية لأذربيجان وما وراء القفقاس ويرأسها مفتي شيعي ونائبه مسلم سني. وللإدارة نفوذ محدود[3].

١٣ ـ جمهورية جورجية: إحدى الجمهوريات الاتحادية السوفياتية. مساحتها ٧٠,٠٠٠كم². تشمل السفوح الغربية لجبال القوقاز. وعاصمتها مدينة تفليس. ويسكنها حوالي خمسة ملايين نسمة يشكل المسلمون **١٩٪** منهم فقط.

وكانت هذه البلاد تعرف ببلاد الكرج، وكانت أولى خطوات الاسلام نحو هذه المنطقة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفي عهد عثمان رضي الله عنه، بقيادة حبيب بن مسلمة الفهري. وقد ثبت الاسلام في هذه المنطقة في العهد الأموي وخاصة في ولاية محمد بن مروان. واطلق على هذه المنطقة في العهد العباسي اسم الثغور لمواجهتها للروم. ثم ظهرت أسرة محلية تعرف باسم البطارقة حكمت معظم منطقة الرحاب (التي تشمل أذربيجان وأرمينية وأران) بما فيها جورجية واعترفت الدولة العباسية بإمارة هذه الأسرة المسلمة. حيث بقي حكمهم حتى مجيء السلاجقة الذين بسطوا نفوذهم على منطقة الرحاب في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري[4]. وبقيت هذه البلاد ضمن ديار الاسلام في العهد المغولي والأتراك العثمانيين.

ولما ضعفت الدولة العثمانية بسطت روسيا حمايتها على جورجية عام ١١٩٨هـ ثم اضطرت للخروج نتيجة حرب الداغستان، ولكنها عادت ثانية إليها وهزمت الداغستان بقيادة عمر خان. ثم ضمتها إليها نهائياً عام **١٢٢٥هـ/ ١٨٠٠م**. وأخيراً أصبحت جورجيا جمهورية فيدرالية ضمن الاتحاد السوفييتي سنة **١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م**.

---

(١) المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص ٩٣.

(٢) مجلة المجلة العدد ٢ ربيع الثاني سنة ١٤٠٠هـ.

(٣) محمد صفوت السقا ــ المسلمون في الاتحاد السوفياتي.

(٤) البلدان الاسلامية ص ٥٨١، المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص ٩٨.

ويتبع مسلمو جورجية الإدارة الدينية لمسلمي شمال القفقاس[1].

١٤ ــ جمهورية أرمينية: وتقع على حدود تركيا وايران، وتبلغ مساحتها ٣٠,٠٠٠كم٢، وهي قسم من أرمينية الكلية المقسمة بين ثلاث دول: قسم يتبع تركيا والثاني يتبع ايران. والتركي هو الأكبر مساحة، وعدد سكانها يزيد على ٣ مليون نسمة. معظمهم نصارى.

وصلها الاسلام في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه على يد الصحابي عياض بن غنم. فوصل مدينة بدليس وخلاط في قلب أرمينية وعقد صلحاً مع بطريرك مدينة خلاط سنة ٢٠هـ. وأعيد فتح أرمينية على يد حبيب ابن مسلمة الفهري زمن عثمان بن عفان. لتمرد أهلها. وعمل استقدام جماعة من المسلمين من الشام وجزيرة الفرات فاسكنهم قاليقلا وجعلهم مرابطة بها، ثم فتح مدينة شمشاط وصالح أهلها واستقر بها القائد المسلم صفوان بن معطل السلمي. وواصل المسلمون تقدمهم إلى بحيرة وان ثم إلى دبيل حيث طلب أهلها الصلح والأمان فاستجاب لهم حبيب بن مسلمة، ثم فتح المسلمون مدينة تفليس ومنطقة أران. فثبت الاسلام في أرمينية واعتنقه عدد كبير من أهلها.

وقد نقض أهلها العهد عدة مرات في زمن الأمويين فأرسل إليهم عبد الملك بن مروان أخاه محمد بن مروان سنة ٨٢هـ. وتولى حكمها لمدة طويلة واتخذ مدينة دبيل عاصمة لولايته، وقاعدة لغزو الخزر والروم.

وظهر من الأرمن حكام مسلمون وطنيون في العصر العباسي الأول هي أسرة البطارقة السابقة الذكر ففشا الاسلام وزارها عدد من الجغرافيين المسلمين منهم الاصطخري فوصف مدنها ومساجدها وابن حوقل والمقدسي.

وفي عصر السلاجقة سكنها عدد كبير منهم. وهاجر عدد من الأرمن إلى البلاد الاسلامية. وزاد عدد المسلمين. وكذلك زمن المغول.

وفي عام ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م استولى السوفيات على أرمينيا وانضمت إلى اتحادهم سنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م. فأخذ عدد المسلمين يتناقص بسرعة.

---

(١) البلدان الاسلامية ص ٥٨١.

فهولا يزيد اليوم عن ١٠٪ بسبب التهجير، تهجير المسلمين من بلادهم، وتهجير الروس إلى أرمينيا(١).

المسلمون في التركستان الغربية :

وهي بلاد ما وراء النهر الواقعة في حوض نهر اموداريا (جيحون) وسيرداريا (سيحون) في أواسط آسيا، ومساحتها حوالي ٤ ملايين كم٢، ويسكنها حوالى ٤٠ مليون نسمة، من القبائل التركية القازاق والاوزبك والتركمان والقيرغيز والطادجيك، وجاءتها موجات من الروس المستعمرين يحكمون المنطقة ويستثمرون خيراتها ويشددون قبضة حكومتهم على سكانها.

وتسعة أعشار السكان من الأتراك المسلمين ومعظمهم من أهل السنة، وبينهم ثلاثة ملايين شيعي يعيش أغلبهم في طادجيكستان، كما يوجد حوالي ١٠٠ ألف اسماعيلي في هضبة بامير أتباع آغاخان ولهم اتصال بالهند.

وقد دخل الاسلام هذه البلاد عن طريق الفتح والجهاد وأصبحت جزءاً من ديار الاسلام إلى اليوم، وأسهمت في مدّ الاسلام وفي الانتاج الفكري الاسلامي.

ففي عام ٣٠هـ غزا عبد الله بن عامر والي البصرة خراسان وبعث على مقدمته الأحنف بن قيس الذي فتح طخارستان (من أراضي طادجكستان اليوم) ثم فتح الطالقان والفارياب، وصالح أهل بلخ.

وفي عام ٤٥هـ أسكن أمير بن أحمر (عامل زياد بن أبيه على مرو) العرب مرو فكان أول من أسكنها العرب، وكذلك اسكن الربيع بن زياد العرب دون النهر حوالي ٥٠ ألفاً بعيالاتهم سنة ٥٠هـ. وعبر عبيد الله بن زياد نهر جيحون سنة ٥٤هـ وفتح (بيكند) وصالح بخارى.

وعندما تولى قتيبة بن مسلم الباهلي أمر خراسان سنة ٨٨هـ دخلت فتوح المسلمين في بلاد ما وراء النهر مرحلة جديدة وصلت فيها إلى الاستقرار، فثبتت

---

(١) انظر: دائرة المعارف الاسلامية ج ٢ ص ٣٣-٤٣. المسلمون في المعسكر الشيوعي ص ٦٨.

راية الاسلام في طخارستان وبخارى وحوض جيحون والصغد وولايات سيحون وسمرقند وطشقند. وبنى أول مسجد في بخارى عام ٩٤هـ وتعد منارته من أهم الآثار الاسلامية الآن. وتأصل الاسلام وتجذّر بفعل العلماء والدعاة، وأصبحت البلاد تقوم بالدعوة إلى الاسلام، وظهر فيها أئمة علماء الحديث كالبخاري والنسائي والترمذي والبيهقي، كما ظهر فيها الإمام الطبري والزمخشري والنسفي من المفسرين، وظهر منهم أئمة التأليف في البلاغة واعجاز القرآن كالشيخ عبد القاهر الجرجاني وسعد الدين التفتازاني ويوسف السكاكي، وأئمة الفلسفة مثل الفارابي والرئيس ابن سيناء، وعلماء في الرياضيات والفلك ومنهم خالد بن عبد الملك مدير مرصد المأمون، والجغرافي أبو زيد البلخي، وبنو موسى بن شاكر وهم محمد وأحمد والحسن علماء الجبر والهندسة والحساب، ومنهم أبو الريحان البيروني وأبو منصور الماتريدي وأبو بكر الخوارزمي وشمس الدين السرخسي صاحب المبسوط، والجوهري صاحب الصحاح في علم اللغة[1] وغيرهم من مشاهير العلماء والفقهاء.

ولما وهن المسلمون وتفرقوا كان ببلاد ما وراء النهر ثلاث إمارات متنازعة هي : بخارى، وخانية خوقند في وادي فرغانة، وخيوة في خوارزم جنوب بحر آرال.

وبعد أن انتهى الروس من حرب القرم ثم دحروا الإمام محمد شامل الداغستاني تفرغت قواتهم المحاربة في القفقاس وانصرفوا إلى اكتساح البلاد الاسلامية التركستانية في عهد اسكندر الثاني ١٢٧٢-١٢٩٩هـ ١٨٥٥-١٨٨١م - فاستولوا عام ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م على مدينة طشقند عاصمة اقليم الشاش التي كانت تحت سيطرة أمير خوقند. ثم استولوا على مدينة سمرقند عام ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م وهزموا الجيوش البخارية وأجبروا أمير بخارى على توقيع معاهدة اعترف بموجبها بالحماية الروسية على بلاده[2].

وفي عام ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م استولوا على عاصمة إمارة خيوة (خوارزم)، ووقعت معاهدة حماية قضت على استقلالها.

---

(١) انظر - تركستان - للطرزي.

(٢) المسلمون في الاتحاد السوفييتي ص٣٣ - ٣٤.

وفي عام ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م هاجموا خوقند (فرغانة) فاستسلمت عاصمتها. وفي العام التالي أزالوا هذه الإمارة من الوجود والحقت بحكومة تركستان العامة، ودكوا العاصمة فسويت بالتراب، وأبادوا السكان عن بكرة أبيهم إلّا من استطاع الفرار، واغتصبت الفتيات المسلمات وامتهنت الكرامات، حيث كانت هذه الامارة أعدى أعداء روسيا وأخطرهم في وسط آسيا.

ونشبت الحرب التركمانية في الفترة ١٢٩٠-١٣٠٢هـ ١٨٧٣-١٨٨٤م وقاوم التركمان مقاومة شديدة وسقطت المدن الاسلامية الشهيرة، مروونسا وسرخس وبيهق بيد القوات الروسية.

وتمت سيطرة الروس على البلاد التركستانية الواسعة عام ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م بوصولهم إلى هضبة بامير.

وبعد قيام الدولة الشيوعية جردت حملات على البلاد الاسلامية التي أعلنت قيام جمهوريات اسلامية مستقلة، وقاوم التركستانيون الغزو وتكونت جبهة تركستانية اسلامية، واستطاع السوفييت التغلب على حركة المقاومة الاسلامية عام ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م(١). واقيمت في هذه الأقطار الاسلامية جمهوريات سوفيتية ليس لكل منها من الجمهورية سوى الاسم وإلّا فهي مقاطعة أو مستعمرة روسية يحكمها مندوبون من الكرملين ولا يستطيعون التصرف حتى في الأمور الداخلية دون الرجوع إلى موسكو.

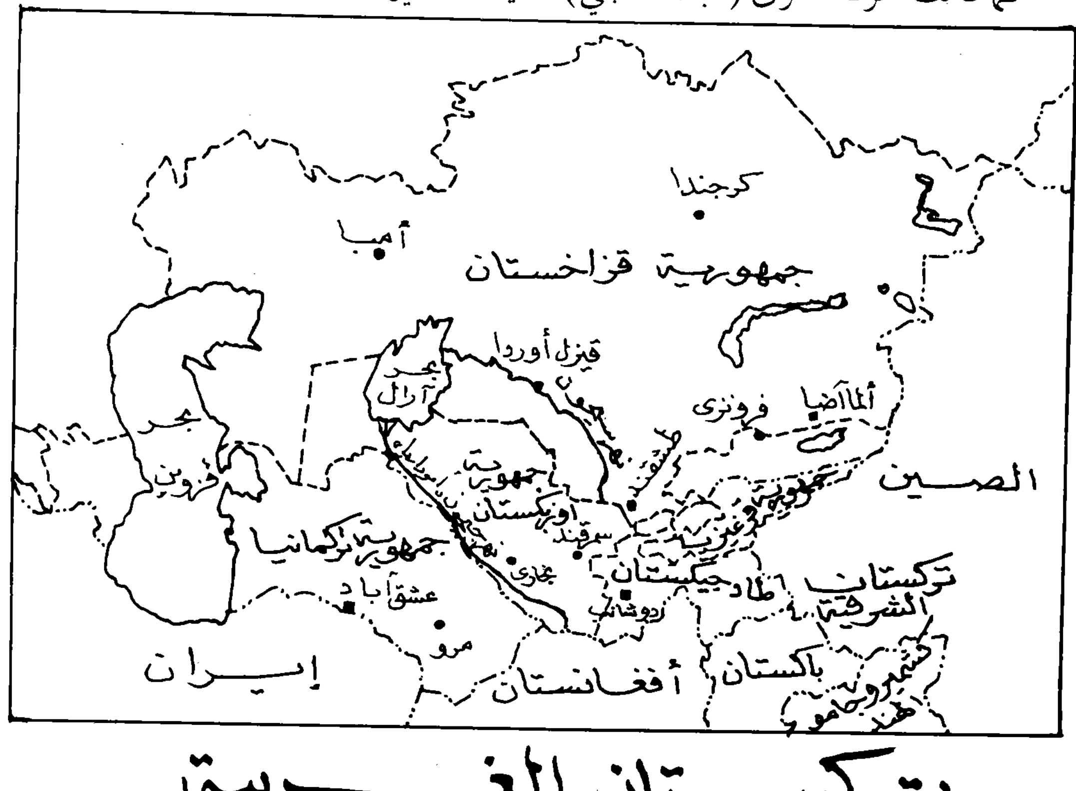
وهذه فكرة موجزة عن كل من هذه الجمهوريات:

١ ــ جمهورية أوزبكستان: تقع في الجزء الجنوبي الشرقي من الاتحاد السوفييتي في قلب وسط آسيا، ومساحتها ٤٤٧,٤٠٠كم٢، وقد خططها الروس على نحو غريب فاتخذت شكلاً طولياً ينفرج في شرقي البلاد على شكل قوس يحيط بجمهورية طادجكستان، والهدف من هذه الحدود الشاذة تفتيت وحدة الأراضي الاسلامية. وتضمّ بهذا الشكل جزءاً من إمارة بخارى، وإمارة سمرقند، وقسماً من خانية خوارزم وكاراكلباك وأجزاء أخرى. وكانت عاصمتها سمرقند، ثم نقلت إلى طشقند عام ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م إثر مقاومة أهل

(١) Journal Institute P 38

سمرقند تغيير الطابع الاسلامي لمدينتهم . ولوجود نصف مليون روسي بين سكان طشقند حيث وصلوا في الآونة الأخيرة إلى أكثر من مليون وستمائة ألف نسمة[1] .

وصلها الاسلام كما سبق في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه . واستقر الفتح سنة ٨٨هـ . واتسع انتشار الاسلام في عهد عمر بن عبد العزيز وفي عهد المعتصم الخليفة العباسي الذي استخدم الأتراك في جيشه . والبلاد اسلامية جميع أهلها مسلمون إلا المستوطنون الروس . ويبلغ عدد سكانها ١٧ مليون نسمة يشكل الروس حوالي ١٧٪ منهم . والأوزبك ٥٩٪ . وقد حاول الأوزبك استعادة مجدهم أثناء سقوط الحكم القيصري وقيام الثورة الشيوعية فأسسوا حكومة تركستان المستقلة في مدينة خوقند ، فداهمها الشيوعيون وقضوا عليها ، كما قامت حركة أخرى (البصمه جي) فلقيت المصير نفسه .



تركستان الغربية

---

(١) انظر: تقويم العالم الاسلامي ص ٢٥٩ ، البلدان الاسلامية ص ٣٢٥ . The Europa Year book 1982 V. I P 1205

وأشهر مدن أوزبكستان :

١) طشقند : وهي مقر المجلس الأعلى الذي يشرف على شئون المسلمين في جمهوريات التركستان الاسلامية، ولها أهميتها التاريخية كمركز للثقافة الاسلامية، وقد وقفت وقفة مشرفة في وجه الزحف الروسي، فيقول الجنرال تشيرنايف قائد الحملة الروسية التي احتلت المدينة عام ١٨٦٥م :

«إن المدينة كانت مستعدة بأكياس الرمال في جميع الشوارع، وكانت المقاومة عنيفة جداً، وقد مات كثير من الناس وهم يهاجموننا جماعات أو فرادى، ولم يستسلم أحد قط، فقد فضل الكلّ الموت على أسنة الرماح، وعانى جنودنا الكثير وهم يجتازون الشوارع فى وجه قتال مرّ، ولم نضع أيدينا على مجتمع أو نادٍ إلّا بعد أن سبحت جنودنا في بحار من الدماء»[١].

٢) سمرقند : التي كانت مركزاً لبلاد الصغد، كما كانت عاصمة تيمورلنك وشهدت تاريخاً علمياً زاهراً في عهودها الاسلامية، وفيها قبر الشهيد قثم بن العباس الذي استشهد سنة ٥٥هـ.

٣) بخارى : التي أنجبت الإمام البخاري وغيره من علماء المسلمين، وتكثر فيها المساجد ذات القباب والمآذن العالية والمدارس الاسلامية القديمة. وقد ظلت مئات السنين مركزاً اسلامياً هاماً لا يقل عن بغداد ومكة وغيرها من عواصم الاسلام في اجتذاب الراغبين في التزود من علوم الاسلام. وكانت تحوي ١٩٧ مسجداً و١٦٧ مدرسة اسلامية لم يبق منها الآن سوى مسجد واحد مفتوح للصلاة ومدرسة دينية واحدة.

وقد استولى عليها الشيوعيون سنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م بعد دفاع مجيد قام به أنور باشا[٢]. وقام الشيوعيون بالقضاء على اللغة العربية والغوا الكتابة بالحروف العربية واستبدلوها بالأبجدية الروسية عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م[٣].

---

(١) الاسلام في وجه الزحف الأحمر ص ١٢٢.

(٢) حاضر العالم الاسلامي - ج ٤ ص ٣٧١ - ٣٧٦.

(٣) عبد الفتاح عبادة ــ انتشار الخط العربي ص ٥١.

وتشتهر أوزبكستان بانتاج القطن والحرير الخام والقمح والجوت(١).

٢ ـ جمهورية طادجكستان: أصغر الجمهوريات السوفيتية في آسيا الوسطى مساحة، فمساحتها ١٤٣,١٠٠كم٢. وتقع اعالي نهر امودارياالذي يفصلها عن أفغانستان، ويحدها من الشرق اقليم سينكيانغ (تركستان الشرقية) ومن الشمال قيرغيزيا واوزبكستان، وتحدها اوزبكستان من الغرب، ويدخل نتوءها الشمالي في وادي فرغانة الخصيب الشهير وحوض سيحون (سرداريا)، ويشغل نصفها الشرقي الجزء الأكبر من هضبة وجبال بامير التي دعاها السوفييت (قمة الشيوعية) وقمة ستالين(٢). ويتبعها اقليم جورنو- باداخشان المتمتع بالحكم الذاتي ويشتمل على كتلة البامير ويشترك في حدوده مع الصين وأفغانستان ومساحته ٦٣,٧٠٠كم٢، ويسمى أحياناً باسم إقليم (خروج)(٣).

وعاصمة الجمهورية دوشاني (دوشانب) وهي حديثة.

دخلها الاسلام كما سبق في القرن الأول الهجري. وفشا في العصر العباسي وخاصة عصر المأمون والمعتصم. وظهرت بها الدولة السامانية وازدهرت البلاد في ظلهم وأخلصوا للدعوة الاسلامية. ثم ظهرت الدولة الغزنوية.

ولما ضعفت الدولة المغولية وانقسمت إلى دويلات طمع فيها الروس فوصلوا طادجكستان سنة ١٣١٥هـ/ ١٨٩٦م. وتكونت الجمهورية سنة ١٣٤٣هـ وأصبحت جمهورية اتحادية سنة ١٣٤٨هـ. وتتبع الإدارة الدينية لمسلمي وسط آسيا، وكانت نسبة المسلمين ٩٨٪ سنة ١٣٥٨هـ، نقصت إلى ٨٢٪ سنة ١٣٩١هـ بفعل الأساليب الشيوعية. وعددهم أكثر من ٤ ملايين نسمة عام ١٤٠١هـ.

وتشتهر البلاد بالزراعة والرعي والصناعة. وأهم معادنها: البترول والغاز الطبيعي والذهب والفضة(٤).

---

(١) تقويم العالم الاسلامي ص ٢٦٦-٢٦٧.

(٢) تقويم العالم الاسلامي ص ٣٥٣.

(٣) البلدان الاسلامية ص ٣٣٨.

(٤) الكتاني ص ٦٨، مجلة العربي العدد ٢٥٤ سنة ١٩٨٠م، تقويم العالم الاسلامي ص ٣٦٠-٣٦٤.

٣ ــ جمهورية تركمانيا : جمهورية اسلامية بوسط آسيا، شغلت إقليم تركستان الذي كان يسمى «اقليم عبر قزوين» ـ أي اقليم شرق بحر قزوين، ثم ولاية بخارى، والجزء من ولاية خيفا الذي يقع على الجانب الأيمن لنهر أموداريا (جيحون)(١). وتبلغ مساحتها ٤٨٨,١٠٠كم٢، وتشغل صحراء قره قورم (الرمال السوداء) وحدها أربعة أخماسها. ويبلغ عدد المسلمين فيها خمسة ملايين يشكلون حوالي ٨٣٪ من جملة سكان البلاد(٢). تشتهر بالزراعة وخاصة القطن وصناعة السجاد.

وصلها الاسلام كما سبق زمن عثمان بن عفان على يد الأحنف بن قيس الذي وصل مدينة هراة ومرو سنة ٣٣هـ. واسكن أمير بن أحمر العرب سنة ٥١هـ في مدينة مرو وأتخذها قاعدة لمدّ الاسلام في تركستان، وقامت فيها في العصر العباسي الدولة الطاهرية ثم السامانية، ونشرتا الاسلام في تركستان. كما كانت منطلقاً لنشر الدعوة في الهند على يد الدولة الغزنوية.

وقد اخرجت هذه البلاد فقهاء وعلماء قاموا ببث الدعوة وتثبيت دعائم الاسلام وبناء صرح الحضارة الاسلامية. وأهم مدنها:

أ ــ عشق آباد ـ (آشخباد) وهي مركز تجاري هام.

ب ــ مرو: المدينة الاسلامية الشهيرة، مركز خراسان في التاريخ. وقد خربها الروس انتقاماً لمقاومتها الشديدة. وأقاموا مكانها مدينة جديدة سميت بيرام علي.

وكان الروس قد استولوا على الدويلات المغولية بعد تفككها ومنها تركمانيا سنة ١٣٠٢هـ(٣). وأصبحت جمهورية اتحادية سنة ١٣٤٣هـ على يد الشيوعيين بعد أن احتلوها سنة ١٣٢٩هـ. وتتبع الإدارة الدينية في وسط آسيا.

---

(١) تقويم العالم الاسلامي ص ٣٦٧.

(٢) المسلمون العدد ٣٧ ص ٥.

(٣) محمد نور ـ القصة الحقيقية لحياة المسلمين في ظل الحكم الروسي. ص ٣٨.

وكانت تكتب لغتهم بالخط العربي ومعروفة باسم الجغتائية. وقد كتب بها مير علي المتوفى سنة ٩٣٧هـ. والسلطان بابر مؤسس الدولة المغولية الاسلامية في الهند. واستبدلها الشيوعيون بالحروف الروسية[١].

٤ ـ جمهورية قازاخسْتان: وتشمل الأراضي المحصورة بين نهر الفلغة وبحر الخزر (قزوين) غرباً وجبال الطاي شرقاً، وكذلك الأراضي الواقعة بين سهول سيبريا شمالاً وصحاري وسط آسيا جنوباً. ومساحتها ٢,٧١٧,٣٠٠كم٢ فهي تلي جمهورية روسيا الاتحادية السوفيتية من حيث المساحة[٢].

كان سكان البلاد مسلمين ١٠٠٪ ولكن هذه النسبة تناقصت إلى ٦٨٪ بسبب سياسة التهجير التي اتبعها الروس. وعدد سكانها حاليا حوالي ١٥ مليون نسمة[٣]. وعاصمتها المـاأضـا (أبو التفاح) لشهرتها بأشجار التفاح في الجنوب الشرقي من البلاد.

وصلها الاسلام كما وصل بقية بلاد التركستان. واستقر على يد قتيبة بن مسلم في أواخر القرن الأول الهجري، وأسلم بعض ملوكها زمن عمر بن عبد العزيز وأسلم الباقي زمن هشام بن عبد الملك[٤].

استغلها الروس استغلالاً جيداً ففيها محطة بيكونر لإطلاق سفن الفضاء السوفييتية، كما تسمى سلة الخبز بالنسبة للاتحاد السوفييتي لشهرتها بالزراعة وخاصة القمح. وفيها ثروة حيوانية كبيرة لوجود المراعي الطبيعية الواسعة. ومن ثروتها المعدنية الهائلة: الرصاص والزنك والبترول والفحم والكروم[٥].

ولم يستطع الروس التغلب على حركة المقاومة الاسلامية في هذه البلاد إلّا في سنة ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م ولهذا لم يتم ادماج جمهورية قازاخستان في الاتحاد

---

(١) عبد الفتاح عبادة ـ انتشار الخط العربي ص ٥٠.

(٢) تقويم العالم الاسلامي ص ٦٣٥.

(٣) انظر: الكتاني ص ٦٨، وتعدّ أكبر جمهورية اسلامية في الاتحاد السوفيتي وهي دون غيرها من الجمهوريات الاسلامية ذات ملامح اسلامية بارزة تهتم بممارسة الشعائر الدينية والتقاليد الاسلامية مثل الختان وتشييع الجنائز (المسلمون عدد ٣٧ ص ٥).

(٤) انظر: البلدان الاسلامية ص ٣٢٨-٣٢٩.

(٥) تقويم العالم الاسلامي ص ٦٤٠-٦٤٦.

الســوفييتي إلاّ في سنــة ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م[1]. وقـد أغلق السـوفيـات آلاف المساجد أو هدموها. كما أغلقت المدارس الاسلامية في هذه البلاد.

٥ ـ جمهـوريـة قيرغيـزيا : تقع في الجزء الشرقي من آسيا الوسطى على حدود تركستـان الشـرقيـة في وسـط آسيـا حيث تلتقي جبـال تيـان شان (الجبال السـماويـة) بجبـال البـامـير[2]. وفيهـا وادي فرغانة الخصيب الذي تدفق عليه الـروس واستـوطنـوه. ومسـاحتهـا ١٩٨,٥٠٠كم^{2}. وعاصمتها فرونزي باسم القائد الروسي ميخائيل فرونزي.

وصلهــا الاســلام بالفتــح والجهـاد كما سبق، على يد قتيبـة بن مسلم الباهلي. وبواسطة التجار المسلمين لأنها تقع على طريق الحرير بين الصين وآسيا الوسطى. وقد اعتنق الاسلام عديد من الناس في العهد الأموي وازداد انتشاره وعم زمن العبـاسيـين وخـاصـة عنـدمـا أسلم الخاقان ستوق بوغرا مؤسس دولة الخـواقـين الاسـلاميـة بمنطقـة التركستان التي نشرت الاسلام واللغة العربية، واتخذتها لغة رسمية[3].

انتهـز الـروس فترة الضعف والتفكـك فاحتلوا قيرغيزيا عام ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٦م، وأسسـوا العـديـد من القـرى بوادي فرغانة الخصيب صاحب الشهرة التاريخية في الفترات الاسلامية. ثم تدفقت هجراتهم إليها.

وفي العهـد الشيـوعي حوّلـوهـا إلى جمهـوريـة اتحـاديـة سنة ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م. وتعــرض القــيرغيــز للقتـل والإبـادة والتهجـير على يد الـروس، فأصبحت نسبة الروس في البلاد ٢٩,٢٪ فسقطت نسبة المسلمين كثيراً بعد أن كانت البـلاد اسـلاميـة بكـاملهـا. ويتبـع المسلمـون الإدارة الدينية لوسط آسيا

(١) محمد سعيد اسماعيل ـ المسلمون في الاتحاد السوفياتي والصين ص ١١.
(٢) تقويم العالم الاسلامي ص ٦٢٥.
(٣) محمد اسماعيل ـ المسلمون في الاتحاد السوفيتي والصين ص ١٠.

وقـازاخستـان ومقـرها طشقند[١]. وكانت لغتهم تكتب بالحروف العربية فغيّرها الشيوعيون إلى الحروف الروسية[٢] ونقص عدد المساجد إلى ٢٣ مسجداً فقط[٣].

وتصدر قيرغيزيا لروسيا البنجر السكري والقطن والحرير الطبيعي والزئبق والفحم[٤].

سياسة روسيا القيصرية في بلاد الاسلام :

نشأت روسيا القيصرية نشأة صليبية واعتبرت نفسها وريثة القسطنطينية ونصبت نفسهـا حاميـة للمـذهب الأرثـوذكسي ، فأعلنت حربـاً صليبيـة سافرة وبـاركهـا البـابا ، ومهما اختلفت هذه السياسة فإنها انصبت على محاربة الاسلام والمسلمين ، تلك السياسة التي افتتحها إيفان الرهيب حتى قيام الثورة الشيوعية عام ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م . ويمكن إجمالها في ما يلي :

(١) العمل على تنصير المسلمين بالاكراه : وخاصة في روسيا الأوروبية فكان إيفان الرابع يطلب من الأمراء المسلمين في حوض الفلغه اما أن يرتدوا إلى النصـرانيـة أو الطـرد والخراب الاقتصادي الشامل أو التصفية الجسدية لمن يبدي أقـل مقـاومـة . واعتمـدت الـردة بالقـوة منـذ عام ٩٦٣هـ/ ١٥٥٥م وانتشرت المـدارس التبشـيريـة من قازان إلى اسـتراخـان وأخـذ الـروس يخطفـون أولاد المسلمين من آبائهم وتربيتهم في تلك المدارس حتى ينشأوا على النصرانية الارثوذكسية .

(٢) التهجـير والابـادة : وقـد تفنن القياصرة فى أساليب تهجير المسلمين من مواطنهم بالتضييق عليهم بمختلف الـوسـائل ، فصادروا الأوقاف الاسلامية وطـردوا علماء الـديـن من المـدن وهـدمت المسـاجـد فقـد هدم الـروس ١٧٣٨ـ١٧٥٥م ٤١٨ مسجـدا من ٥٣٦ مسجـدا في قازان وحـدهـا . وأغلقـوا المـدارس القرآنية في روسيا الأوروبية كلها ، وأثقلوا المسلمين بالضرائب الباهظة وأجبروا على ممارسة أخس الوظائف وكان المسلم الذي يدعو للاسلام حتى بين

---

(١) البلدان الاسلامية ص ٣٦٣.

(٢) عبد الفتاح عبادة ــ انتشار الخط العربي ص ٤٩.

(٣) مجلة المجلة العدد ٢ ربيع الثاني سنة ١٤٠٠هـ.

(٤) تقويم العالم الاسلامي ص ٦٢٨-٦٣٣.

اخوته المسلمين يحكم عليه بالاعدام وخاصة في عهد الامبراطورة حنه (١٧٣٨-١٧٥٥م ١١٥١-١١٦٩هـ) وهذه تشبه سياسة ملوك إسبانيا إزاء المسلمين فيها(١) وهذا جعل هجرات المسلمين تتوالى، كما اسهمت ثلاثة عوامل أخرى فى التهجير وهي :

أ) سياسة التر ويس وخاصة تلك التى اتبعها نيقولا الثاني فاضطر خمسون ألف تتر ي مسلم إلى الهجرة إلى تركيا ومنذ اندلاع الحرب العالمية الأولى امتلأت شوارع المدن التركية بالمهاجرين التتار المسلمين الذين عرفوا بالمهاجرين الروس.

ب) سياسة فرض أعمال السخرة وخاصة فى الحرب العالمية الأولى فقد فرضت القوات الروسية على جميع المسلمين من سن التاسعة عشرة إلى سن الثالثة والأربعين القيام بأعمال السخرة في مؤخرة الجيوش الروسية وجماعة المرتدين (كرياشن) حيث طرد المسلمون إلى أماكن نائية، فكان سيل الهجرة لا ينقطع من روسيا الأوروبية ثم القرم والقفقاس والتركستان.

جـ) كان الروس يصفون جسديا الأمراء والطبقات الواعية التي تأبى الذل والخضوع كما حصل لخيوه عندما قاومت الغزو الروسي وفي كثير من مناطق قازان، وطرخان والقفقاس والقرم.

(٣) الاستيطان الروسي في بلاد الاسلام : فقد صادرت روسيا أراضي المسلمين الخصبة في حوض الفلغة ومنحوها للنبلاء الروس ثم بعد ذلك للفلاحين القادمين من وسط روسيا والفارين من العبودية(٢). وملئت هذه البلاد بشبكة محصنة من القلاع لتكون سكنا للروس دون سواهم، وطردوا المسلمين من المدن الكبيرة، وأصبح المسلمون في قازان واستراخان وبشكير يا وتتاريا أقليات مطوقة تطويقا محكما بمساحات من الأرض يسكنها الروس الخلص.

ويعتبر عهد كاترين ١١٧٦-١٢١١هـ/ ١٧٦٢-١٧٩٦م من أكبر عهود القيصرية الروسية تسامحا مع المسلمين فقد منحتهم حق بناء المساجد والمدارس، ومنع التنصير بالقوة كما منع اختطاف الأطفال وفصلهم عن أهاليهم بالقوة، فشهد عهدها عودة التتار الذين اجبروا على التنصير إلى الاسلام، وتحول كثير

(١) المسلمون في الاتحاد السوفييتي ص ٣٦ .
(٢) نفسه ص ٢٧ .

من القبائل الوثنية والنصرانية إلى الاسلام . ورغم هذا فقد ألحقت شبه جزيرة القرم بالامبراطورية الروسية وصادرت أخصب أراضيها الصالحة للزراعة ووزعتها على عشاقها المفضلين بونمكين وبولجاكون وزوبوف وزوتوف واليوناني كاتشيوني ، فتدفقت أفواج المهاجرين الروس والأوروبيين على شبه الجزيرة وطرد المسلمون من أراضيهم الخصبة إلى الأراضي القاحلة في وسط شبه الجزيرة . فكانت هجراتهم الجماعية إلى تركيا .

واستولى الروس على أراضي القفقاس الخصبة وطردوا منها أهلها وعزلوا المنطقة بنطاق من القلاع المحصنة تمتد من البحر الأسود حتى بحر قزوين[١] .

وأصبحت تركستان مرتعا خصبا للاستعمار الروسي ، فملكوا أراضي المسلمين الخصبة وحولها المستوطنون الروس إلى مزارع للقطن[٢] لتغذية مصانع النسيج الضخمة التي أقيمت في روسيا . وتدفقت أمواج الروس على بلاد القوزاق فوصلها بين عامي **١٣٠٩** و**١٣٣٣**هـ **١٨٩١** و**١٩١٤**م أكثر من مليون روسي استولوا على أرضها فقلت مساحات المراعي فنقصت المواشي الثروة الرئيسية للقازاق[٣] . وقد بلغت مساحة الأراضي التي صادرتها الحكومة القيصرية خلال القرنين السابقين للثورة الشيوعية **٤١,٦٥١,٠٠٠** دياستين (والدياستين = **٢,٧** فدان) أي أكثر من مائة مليون فدان من الأراضي الزراعية الخصبة . عدا الأوقاف الاسلامية الكثيرة .

(٤) سياسة الترويس : عمل الروس على فرض لغتهم ومنعوا الكتابة بالحرف العربى وحولوه إلى الحرف الكيريلي الروسي . وساعدهم على ذلك جماعة المرتدين عن الاسلام (كرياشن) باعتبار القومية الروسية مرتبطة بالمذهب الأرثوذكسي . وفى عهد اسكندر الثاني أخذت الحملة على الاسلام طرقا مرنة وأكثر فاعلية في اجتذاب المسلمين بالدعاية فقد وضع المبشر الأرثوذكسي نيقولا المنسكى سنة **١٢٨٠**هـ/ **١٨٦٣**م سياسة تعليمية جديدة بانشاء دار للمعلمين خاصة بالتتار المتنصرين تدرس فيها العلوم باللغة التترية ، وترمي هذه المدرسة إلى تنشئة نخبة مثقفة بالثقافة الأوروبية تؤخذ من المرتدين فقط على أن يقوموا

(١) المسلمون في الاتحاد السوفييتي ص ٣١ .
(٢) نفسه ص ٤٠ .
(٣) نفسه ص ٣٩ .

بعد ذلك من دون أن يقطعوا صلتهم بماضيهم بأعمال التبشير لدى اخوانهم الذين ظلوا مسلمين. وقام المبشرون من جهتهم بحملة شديدة على الاسلام تساعدهم منظمات ارثوذكسية متعددة. وأدى ذلك إلى ردة فعل عكسية قوية اسلامية فى أوساط عامة المسلمين يدعمها التجار والعلماء من المسلمين.

وأكثر من ركز على سياسة الترويس نيقولا الثاني، فكانت سببا فى هجرات التتار الجماعية. وقد نجحت هذه السياسة فى روسيا الأوروبية إلى حد ما.

(٥) العمل على اثارة القوميات والقبليات : «سياسة فرق تسد» التي برع فيها المستعمرون جميعا. ورغم أن هذه السياسة مناهضة لسياسة الترويس فقد ركز عليها الروس فى المناطق الاسلامية، فعملوا على عزل تركستان عزلا تاما عن تأثير الحركات الاسلامية فى البلاد الاسلامية فكتب الجنرال كاوخمان أول حاكم روسي على تركستان يقول: «على آسيا الوسطى أن تظل في حالة من الركود والتأخر كما في القرون الوسطى الأمر الذى لابد أن يمنع فى هذا الاقليم أي امكانية للمقاومة الوطنية ضد الفاتحين»[1]. لذا فقد بذلت الادارة الروسية جهدها ليظل المسلمون في حالة تأخر فدعمت العادات المنحرفة عن الاسلام ودعمت الجامدين للوقوف فى وجه المصلحين من العلماء وشجعت المدارس القرآنية ذات الطّابع التقليدى القديم وأبعدوها عن كل تأثير عصرى.

وعمدت روسيا في القوزاق إلى تحبيذ قيام حركة وطنية باثارة القازاق فى وجه التتار وغيرهم، وأنتجت هذه الحركة فريقا من المثقفين بالثقافات الروسية الغربية تردد أقوال المستشرقين بايجاد ثقافة قازاقيّة متحررة من الاسلام والمناداة بالتعاون مع الروس من أجل تقدم البدو القازاق. وأنشئت عام ١٢٥٧هـ/ ١٨٤١م مدارس روسية قازاقية وفتحت المدارس العسكرية للقوزاق، وبذلت جهود عظيمة لبعث ثقافة غربية تقوم على اللغة القوزاقية.

ومن المؤسف أنه عندما أعلنت الحرب العالمية الأولى كان في جيوش القيصر نيقولا الثاني ٥,١ مليون جندي مسلم، ومئات الآلاف في جيوش الحلفاء الانجليز والفرنسين أجبروا على قتال إخوانهم من المسلمين الأتراك.

(١) المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفييتي.

مواقف المسلمين من روسيا القيصرية :

قام المسلمون بعدة ثورات متتابعة أهمها ثورة الباشكير سنة ١١٨٧هـ وثورة انديجان فى تركستان سنة ١٨٩٧م المتأثرة بالوهابية السلفية الداعية للجهاد .

ولكنها فشلت وقمعت كما قمع غيرها من الثورات بمنتهى القسوة والوحشية ، وتحت الضّغط الشديد وفي سبيل الوصول إلى بعض الحقوق الرئيسية ومن أجل تأمين بعض المصالح اليومية أو استلام بعض الأعمال الضرورية بل حتى من أجل الحصول على لقمة العيش أحيانا وتأمين التعليم فى المدارس فى كثير من الأحيان كانت جماعات كثيرة توافق البعثات التبشيرية وتقبل الأنتساب للنصرانية ظاهرا وعلى المذهب الأرثوذكسي فتسجل فى عداد النصارى وتتم عملية التعميد ، حتى ظنت الكنيسة الأرثوذكسية بعد مدة طويلة أن الأمر قد تم لها حسب ما تريد وانه لم يعد هناك خوف من انتشار الاسلام وأبلغت ذلك إلى القيصرية فأعطى نيقولا الثاني عام ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م جميع الشعوب الموجودة في روسيا الحرية الدينية فكانت المفاجأة أن عاد جميع المعمدين الذين تظاهروا بالنصرانية إلى الاسلام وأسلمت قبائل بأكملها فى نفس العام وارتفعت المساجد ، فلما رأى نيقولا اندفاع الناس نحو الاسلام بقوة أذهلت الروس اشتد فى عملية الترويس فأنشأ الجمعيات الدينية لحماية النصرانية من الاسلام وفرض الحروف السلافية واللغة الروسية فأصبحت رسمية والأسماء روسية ، ولم يفد هذا شيئا فقد قام التتار فى هذه المدة بنشاط كبير بالدعوة إلى دينهم سواء فى منطقة الاورال أم فى شبه جزيرة القرم . فعمد نيقولا إلى حل الدوما (البرلمان الروسي) وتعديل قانون الانتخاب بحيث يقل عدد الممثلين المسلمين من ٣٥ شخصا إلى ستة أشخاص وفى العام ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م أرسل وزير الداخلية الروسي إلى مجلس الوزراء تقريرا يحذر فيه من اعطاء المناطق الاسلامية حرية تكوين جمعيات سياسية ودينية ويأمر بالقاء القبض على دعاة هذه الحركات واعتبارهم خارجين على القانون بتهمة أنهم جواسيس وعملاء لدولة الخلافة العثمانية . . وكانت دعوة السلطان عبد الحميد قد وجدت

تعيد لفكرة الجامعة الإسلامية لدى المسلمين الخاضعين لروسيا . .[1] فقامت روسيا بتصفية جميع الجمعيات الاسلامية التى تكونت مثل حركة الاتفاق الاسلامي وحركة بيريك وحركة تانغ تشيلا وحركة ملّى فرقة . وألغت روسيا الحرية الدينية، ولكن المسلمين واصلوا انتعاشهم . فرغم ظروفهم السيئة فقد حافظوا على اسلامهم ولغاتهم بل وظهرت نهضة ثقافية فانتشرت المدارس والمساجد فى المناطق التتارية . ففي مدينة أوفا عاصمة بشكيريا كان بها **١٥٥٥** مسجدا و**٦٢٢٠** مدرسة عام **١٣١٥**هـ/ **١٨٩٧**م، ومع بداية القرن العشرين كان في قازان جامعة اسلامية تضم سبعة آلاف طالب ومطبعة اسلامية طبعت **٥ ,٢**مليون نسخة من **٢٥٠**كتابا وحدها بالاضافة إلى وجود مكتبة إسلامية يزورها عشرون ألف قارىء فى السنة كما وجد فيها **٧٠٠** مسجدا وكما يقول بنجسن ولومرسييه : «وهكذا فما أن أقبل عام **١٣٢٣**هـ/ **١٩٠٥**م، حتى بلغ المستوى الثقافي لمسلمي روسيا درجة عالية بشكل ملفت للنظر وذلك بفضل الجهود الجبارة التى بذلها المصلحون، وأصبحت مدن قازان وأوفا واورنبرج وتروبتسك وبغتشيسارى وباكو مراكز ثقافية وفكرية جديرة بأن تكون ندّاً لدمشق وبيروت والقاهرة واستنبول»[1] .

وكانت قومية التتار فى روسيا العرقية تجد ذاتها في الدين الاسلامي الذي أصبح هو الممثل للقومية العرقية فى الامبراطورية الروسية على عكس القوميات التى ظهرت فى تركيا والبلاد العربية .

سياسة روسيا الشيوعية في بلاد الإسلام :

نشط المسلمون نشاطا ملحوظا فى الحرب العالمية الأولى واعتبروها فرصة للاستقلال ولذلك أيدوا الحركة الاشتراكية الشيوعية التى أطاحت بالقيصرية الروسية عام **١٩١٧**م/ **١٣٣٥**هـ بزعامة لينين .

---

(١) المسلمون في الاتحاد السوفييتي ٦٥ .
(٢) نفسه .

بدأ لينين سياسته فى روسيا باطلاق حرية الأقليات التى اضطهدها القياصرة كجزء من سياسة تجميع القوى وكسب التأييد للحزب الشيوعي الحاكم وأصدر وعوداً مبهمة لهذه الأقليات[1] رأى فيها المسلمون وعودا غير مشروطة بالانفصال عن روسيا. كما وجه لينين، وستالين (الذى كان مفوضا لشئون القوميات بعد نجاح الثورة) نداء إلى جميع المسلمين فى روسيا سنة **١٩١٧**م[2] دعاهم إلى الثورة ومنه : «ثوروا من أجل دينكم وقرآنكم وحريتكم فى العبادة. . اننا هنا نعلن احترامنا لدينكم ومساجدكم وان عاداتكم وتقاليدكم حرة لا يمكن المساس بها، ابنوا حياتكم الحرة المستقلة دون أى معوقات. . ولكم كل الحق فى ذلك. . واعلموا أن جميع حقوقكم الدينية والمدنية مصونة بقوة الثورة».

وخاطب لينين مسلمي العالم عام **١٩١٩**م بقوله : «يامسلمي العالم. . . الذاهبين ضحايا الاستعمار. . استيقظوا استيقظوا. . ان روسيا قد أقلعت عن سياسة الحكومة القيصرية تلك السياسة الضارة الخبيثة التى كانت تتمشى عليها الحكومة السابقة، ان روسية اليوم تمدّ يدها إليكم لتغنيكم وتنصركم على تحطيم اغلال الاستبداد البريطاني. . ان روسية تطلق لكم الحرية الدينية وحق الحكم الاستقلالي وتعترف بحدود بلادكم الحدود المعروفة قبل الحرب. . . ». ونسجت الدعوة البلشفية على هذا المنوال وقام لينين بتسليم مصحف عثمان الذي كان بحوزة القياصرة إلى ممثلي المسلمين في بتر وجراد كما قام بتسليم عدد كبير من الوثائق التاريخية والآثار الاسلامية الهامة التى استولى عليها القياصرة وأعادها إلى مسلمي القرم والقفقاس والتركستان، وأعاد مسجد كارافان ساريا فى أورنبرج وبرج سوبنكس في قازان إلى المسلمين بعد أن كان القياصرة صادروهما فى السابق.

وقد وصلت دعاية لينين بين المسلمين إلى درجة الزعم بأن النظام السوفييتي البلشفى إنما يقوم على مبادىء القرآن والشريعة الاسلامية وسرعان ما

---

(١) المسلمون في الاتحاد السوفييتي ص١١٦.

(٢) انظر البيان بأكمله ــ الاسلام في وجه الزحف الأحمر ص ١٢٤-١٢٦.

أعلنت الشعوب الاسلامية استقلالها وتكونت جمهوريات اسلامية عديدة في هذه الأقطار المترامية واعترفت بها الدول المجاورة وعقدت معها المعاهدات[1] فعقد المسلمون مؤتمرا كبيرا فى موسكو سنة ١٩١٧م وحضره ٩٠٠ مندوب من كل الأقاليم الإسلامية فى الامبراطورية الروسية وكان من نتيجة هذا المؤتمر محاولة التوفيق بين الاسلام والاشتراكية والتشديد بقوة على الملة الاسلامية فى روسيا[2].

وعقد مؤتمر ثقافى فى العام نفسه ١٢٣٦هـ/ ١٩١٧م فى قازان لم يستطع حضوره سوى ممثلى تتار الفلفة والبشكير والقرم. وقد ظهر فى هذا المؤتمر الاتجاه إلى قيام دولة اسلامية فدرالية. وعززت الادارة الاسلامية المركزية بانشاء مجلس حربى (حربى شورى)، مركزه قازان. وبدأ هذا المجلس بتجنيد المسلمين تحت قيادة ضباط تتار وبشكير فورا كما أنشأ المؤتمرون ادارة ملية مركزها مدينة أوفا فى بشكيريا وكلفوها الاعداد لعقد مجلس محليّ فى أوفا يناط به تقرير مستقبل الأمة الاسلامية فى روسيا.

وقد أظهر لينين والبولشفيك تأييدهم لهذه القرارات ووقوفهم معها، وهو تكتيك رهيب اتسم بالغدر والخسة وجعل العناصر الاسلامية تقف فى صف لينين والجيش الأحمر. فأعلن القوقاز ثورتهم بقيادة الإمام الداغستاني نجم الدين غوتسو الذى عرف عند الروس باسم نجم الدين غوتسنسكي سنة ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م واستقلالهم سنة ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م، وتبعتهم جورجيا بعد بضعة أسابيع، وتكونت جمهوريات اسلامية مستقلة وقعت تحت مطارق الجيش الأحمر ومناهضيهم فى الحرب الأهلية. وفى ابريل عام ١٩١٨م أصدر لينين أمراً بالزحف على البلاد الاسلامية دون سابق انذار[3]. فقد تحرك الجيش الأحمر ومعه الشيوعيون من المسلمين الوطنين واجتاح هذه الجمهوريات وأزال عنها

(١) الاسلام في وجه الزحف الأحمر ص ١٢٧.

(٢) المسلمون في الاتحاد السوفييتي ص ١٣٢ - ١٣٤.

(٣) فاستولت الشيوعية في نهاية العام على جمهورية إيديل أورال وشمال القوقاز وحكومة خوقند في تركستان. وفي عام ١٩١٩م استولى الشيوعيون على جمهورية الاشي أوردو، وفي عام ١٩٢٠م انتهوا من احتلال القرم التي قاومت بعنف، واستأنفوا الهجوم على جمهورية أذربيجان وحاصروا خيوة من ثلاث جهات فدافع أهلها التركمان دفاع المستميت ولكنها سقطت في نهاية العام. وفي عام ١٩٢١م هاجم الروس بخارى ولما انهزمت جيوشهم المنظمة شنوا حرب عصابات نحو عشر سنين، ولكنهم فشلوا في إدراك النصر لعدم وجود أية مساعدة خارجية من العالم الاسلامي. (الاسلام في وجه الزحف الأحمر ١٣١).

الصفة الدينية واستبدل بها جمهوريات اتحادية شعبية هي اليوم جزء من الاتحاد السوفييتي نظريا ومقاطعات محتلة من روسيا فعليا تمارس فيها سياسة التذويب والغاء كل ما له صلة بالاسلام، فقد دخلت القوات الشيوعية طشقند عام ١٩١٨م وقضت على جيوش المسلمين ونهبوا المدينة ودامت المذابح والنهب ثلاثة أيام متوالية وبعد أن هدموا المدينة وجعلوا عاليها سافلها اشعلوا فيها النار، ولم يعلم عدد ضحايا المسلمين ــ لكن ذكر ريشارد بيب أن نفوس خوقند كانت قبل الثورة ١٢٠,٠٠٠ فأصبحوا سنة ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م لا يزيدون على ٦٩,٣٠٠ نسمة[١]. ولما دخلت هذه القوات باكو أثر الاضطرابات الدموية بين البلشفيك والمسلمين ومعها الاشتراكيون الثوريون الروس ومرتزقة الأرمن وبعض المسلمين الشيوعيين استمرت المذابح ثلاثة أيام وكذلك حصل فى مدينة سيفربول وقازان. حتى إذا انتهت الحرب الأهلية عام ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م بانتصار ساحق للجيش الأحمر بدت حالة المسلمين فى بؤس ليس وراءه بؤس إذ تبدلت أيام عام ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م المليئة بالوعود بأيام سود. وانقرضت أكثر الوحدات العسكرية الاسلامية فى بلاد الفولغة ـ أورال المسلمة كما قوّضت جميع المفوضيات واللجان وتفرق شمل رجالها اما بأن لاقوا حتفهم برصاص أعدائهم أو بما هو أسوأ وهو انضمامهم إلى البيض.

وفى عام ١٩٢٠م أخذ لينين يعلن سياسة الشيوعيين علنا ففى خطابه فى اجتماع لاتحاد الشباب الشيوعيين فى الاتحاد السوفيتي في ٢ / ١٠ / ١٩٢٠م حدد واجبات الشيوعي الأساسية وهي : التنكر للدين ومحاربته واستعمال كافة الوسائل التى توصل إلى النصر مهما كانت هذه الوسائل مناهضة لما هو متعارف عليه من أخلاق، «فالخلق عند الشيوعي هو أن ينتصر» وان القوة التى تسيطر على أخلاق الشيوعي هي مصلحة تلك الطائفة فدستور أخلاقه مستمد من حركة «كفاحنا العمالية» كما قال لينين[٢].

وفى خريف عام ١٩٢٠م دعت الحكومة السوفيتية لعقد مؤتمر فى باكو دعته : «مؤتمر الشعوب الشرقية» دعت فيه العمال والفلاحين من ديار الاسلام

---

(١) المسلمون في الاتحاد السوفياتي ص ١٤٣.

(٢) الاسلام في وجه الزحف الأحمر ص ٤٧.

كلها، قصدت منه كما رأى الأمير شكيب ارسلان: ابقاء نار الثورة الاجتماعية. وكانت روسيا هي سيدة المؤتمر تنظم الجلسات وتضبط الواقعات برئاسة اليهودي الصهيوني كارل راديك صديق لينين الحميم وزميله في المنفى وشريكه في الحكم وأحد أقطاب الأممّية الاشتراكية الدولية الثالثة (الكومنترن). وقد أقر المسلمون في هذا المؤتمر الاقتراح الذي قدمه ستالين والذي يجبر المسلمين على دمج الحزب الشيوعي البلشفي الاسلامي في الحزب البلشفي الروسي، وتلاشى حلم المسلمين بتأسيس دولة اسلامية في - فولغة وأورال الوسطى - وحلم الجمهورية التترية البشكيرية إلى اليوم[1].

وعمد الشيوعيون إلى أسلوب تجزئة البلاد الاسلامية إلى وحدات قومية لغوية صغيرة متنافسة، على أنقاض المجتمعات الاسلامية الكبيرة. ودّعموا قيام الشعوبية بينهم، وقضوا على كتابة لغتهم بحروف عربية ليقضوا على صلتهم بالتراث الاسلامي. وهذه سياسة معقدة إدارة واقتصاداً وعلماً، لأنها تنطوي على خلق لغات مكتوبة، وهي لا تشبه أي مخطط معروف، بل تقوم على آراء مترددة، وأفكار غير مستقرة ولا ناجحة، لا بل على رجوع إلى الوراء[2]، والهدف منها نبذ هذه اللغات جميعاً على حساب التركية والعربية إلى الروسية الرسمية. ولذا فقد اختلفت سياسة القوميات باختلاف الأقاليم: ففي إقليم (حوض الفلغة أورال) فصلوا البشكير عن التتار، ثم قاموا بتفتيت المسلمين بالاعتراف عام **١٩٢٣**م بالقومية للجماعات العرقية التي تعيش هناك. وتراجعت الشيوعية عن التجربة سنة **١٣٤٩**هـ/ **١٩٣٠**م بعد أن أدت إلى القضاء على المجموعة البشكيرية التترية الكبيرة التي ظلت قروناً حاملة لواء الاسلام في وجه روسيا.

وفي شمال القفقاس أعطى كل قوم من الأقوام لغة قومية وضعها لهم علماء اللغات السوفييت ما بين سنتي **١٣٤٣-١٣٥٧**هـ/ **١٩٢٤-١٩٣٨**م. فانبعثت تسعة أقوام هي: الكابارد والتشيسن والانغوش والكارسباد والكاراتشاي والبلكار والأديغا والشراكسة والأباظية[3].

(١) المسلمون في الاتحاد السوفييتي ص١٦١ .

(٢) نفسه ص ٢٠٠ .

(٣) نفسه ص ٢٠٥ .

وفي الـداغستـان استبعـدت العـربيـة وسيلة الـوحدة والثقافة الاسلامية ووجـدت إحـدى عشـرة لغة أدبية رسمية، انهارت بعد قليل لتبقى الروسية هي الوحيدة وسيلة التفاهم بين القبائل.

واتبعت الشيوعية أسلوب التهجير من المناطق الاسلامية وإليها لإضعاف شأن الأغلبية المسلمة وليصبحوا أقلية فى عقر دارهم(١).

كما عمـد الشيـوعيـون لأسـاليب الإبادة، فأباد الشيوعيون خلال خمسين عامـاً ٢٠ مليـون مسلم، وقـد ثبت بالاحصاءات الروسية أن ستالين وحده قتل ١١ مليـونـاً(٢) ويكفي أن نذكـر النـماذج التـالية من عمليات الإبادة التي مارسها الروس والنفي إلى مجاهل سيبريا :

ففي عام ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٤م أصدر ستالين أمره بسبي جميع السكان في الشاشان ونفيهم إلى سيبريا، والغى جمهوريتهم ووزع أراضيها على جمهورية جورجية.

ونفى من قبل الشعوب الاسلامية من القرم وانغوشيا، وشعوب القابرديار والبلكـار، واستقـدم الألوف المؤلفة من السلاف والأوكران والروس وشحن بهم أذربيجان، وتركستان والقرم.

وقـد أشـرف على حملات النفي هذه اليهـودي ميخائيل سوسلوف الذي أصبـح المنظـر العقـائـدي للاتحـاد السوفيتي، وكان عدد سكان الداغستان سنة ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م ثمانيـة ملايـين نسمـة، تناقصوا عام ١٣٩٩ / ١٩٧٧م إلى ١,٦٢٧,٠٠٠ نسمـة. نتيجة الإبادة والتهجير إلى تركيا والبلدان الاسلامية، ومـا حصـل في القـرم يفـوق مأساة فلسطين كما بيّنا في حينه، إذ لم يبق من أهلها الـذين كانـوا خمسـة ملايـين عام ١٩١٧م إلاّ أقل من نصف المليون أي أقل من عشر السكان. لازالوا يهيمون على وجوههم في مناطق متفرقة من مجاهل سيبريا رغم تبرئتهم من تهمـة التعـاون مع الألمان سنة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م. وقد سمح

---

(١) الأقليات المسلمة ص ٢٧٢.

(٢) المسلمون في الاتحاد السوفييتي ــ الحاشية ــ ص ٢٦٧.

بعـودة الشاشان والأنغوش والكارتشاي إلى مواطنهم عام ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م، وسمح بعودة البلكار عام ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م بعد أن أبيد معظمهم.

أمـا بلاد الـتركستـان الاسـلاميـة فكـان مجمـوع من فرّ منهـا منذ دخول الشيـوعيـة حتى عام ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ثلاثـة ملايين نسمة تفرقوا بين مختلف أرجـاء البـلاد الاسـلاميـة وخـاصة إيران والمملكة العربية السعودية وأفغانستان والملايو وتركيا. وتوفي في المجاعة المروّعة نتيجة تأميم المزارع وقتل أصحابها (عام ١٣٥١-١٣٥٣هـ/ ١٩٣٢-١٩٣٤م) أكثر من ثلاثة ملايين أيضاً.

وعمـد الشيـوعيـون إلى أسلوب السخرة لإذلال المسلمين وهو نظام يتيح للدولـة تجنيـد الألـوف المؤلفـة من العـمال والفـلاحين للكدح في كل شيء دون مقابل، أو مقابل كسرة خبز وكسوة تواري ما تيسّر من الجسم[١].

وقـد اختلفت المصـادر في تقـديـر عدد هؤلاء العـمال الـذين استغلتهم الشيـوعيـة في الاتحـاد السـوفييتي بما يتراوح بين ستـة ملايـين وثـمانية عشر مليوناً يعملون في إنشـاء الطـرق والسكـك الحـديدية وردم المستنقعات وازالة الأشجار واستصـلاح الأراضي النـائيـة واستخـراج الملح والذهب من المناجم... فضلاً عن الكثـير من الأعـمال الصنـاعيـة الثقيلة التي يسخـرّون فيها داخل معتقلات خاصـة بذلـك.. ومنهم طائفـة الكـولاك وهـم أغنيـاء الـزراع الـذين لم يقبلوا الاندماج في سبل الزراعة الجماعية[٢]. والسواد الأعظم منهم من جماعة المسلمين المستذلين من أبناء التركستان والقوقاز والقرم وغيرهـم الذين قاتلوا عن عقائدهم ومواطنهم إلى آخر رمق[٣].

واتبعت الشيوعية للقضاء على الاسلام أسلوب مهاجمة الدين الاسلامي بشـدّة: ذلـك لأن الشيـوعيـين أدركوا أهميته في الوقوف أمام عقيدتهم، ولكنهم لجأوا إلى سيـاسـة النفس الطـويـل للقضـاء عليـه تبعـاً لخطـة وضعهـا سلطان[٤]

(١) الاسلام في وجه الزحف الأحمر ص ١٠٣.

(٢) الاسلام في وجه الزحف الأحمر (عن الشيخ عمر الاسكندري في كتاب الشيوعية على حقيقتها) ص ١٠٤.

(٣) نفسه ص ١٠٥.

(٤) كان عضـوا في مجمـع مفـوضيـات الشعب لشئـون القـوميات، ورئيس تحرير مجلة القوميات الموسكوفية، وأستاذا في جامعة شعوب الشرق ويد ستالين اليمنى المسلمون في الاتحاد السوفييتي ص١٧٩.

غاليف التي ترمي إلى إبعاد المسلمين عن الدين بمراحل تدريجية لا تثير صداماً أو مقاومة لأن: (على حد قوله): «الاسلام وهو آخر الأديان الكبيرة هو أقواها وأكثرها ديمقراطية، حتى من المسيحية، وان تعاليمه تدخل في عمق حياة المسلمين الاجتماعية وتحمل عناصر تقدمية من الصعب القضاء عليها»[1].

فمر حرب الاسلام تبعاً لذلك على مراحل متداخلة هي:

١ ـ مرحلة إعداد الهجوم على الإسلام ١٣٤٠-١٣٤٦هـ ١٩٢١-١٩٢٧م:

تقرر عام ١٣٣٧هـ ١٩١٨م مبدأ فصل الدين عن الدولة وبدأ تنفيذه بحذر، وهاجمت الشيوعية الإسلام بطريق غير مباشر بالقضاء على المؤسسات الإسلامية الرئيسية وهي:

الأوقاف والمحاكم الشرعية والتعليم الديني الإسلامي. وكانت القيصرية الروسية قد ألغت أوقاف منطقة الفلغة ولكنها بقيت فى القرم والقفقاس والتركستان (والتى كانت تكون فيها ١٠٪ من مساحة الأراضي الزراعية).

وقد بدأ مصادرة الأراضي الوقفية عام ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م، وصادر لينين ما تبقى منها عام ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م.

وألغيت جميع المحاكم الشرعية الموجودة في الأقاليم الإسلامية عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م الخاضعة لحكمهم.

وفي عام ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م تم اغلاق جميع المدارس الإسلامية التي كانت عام ١٩١٧م (١٥,٠٠٠ مدرسة) ابتدائية وثانوية. ومنذ تلك اللحظة لم يعد التعليم الديني ـ إذا كان هناك من تعليم ديني ـ يعطى للأطفال الذين هم في سن المدرسة إلا سراً. واستخدمت الحروف اللاتينية بدلاً من الحروف العربية في التعليم داخل المناطق الإسلامية (ثم استبدلت بالحروف الروسية منذ سنة ١٣٥٩هـ/ ١٩٣٨م)[2].

وقد نفذ لينين سياسته بهدوء وساعده على ذلك ما حدث في البلاد الاسلامية تركية ومصر وايران وأفغانستان وغيرها في تلك الفترة، كذلك ساعده

(١) المسلمون في الاتحاد السوفييتي ص ٢٢٤.
(٢) نفسه ص ٢٢٩ ـ ٢٣٥.

الشيوعيون من المسلمين ونفذت هذه السياسة باسمهم فأنشئت عام ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م في موسكو دار الإلحاد وهي دار نشر تتولى على نحو خاص رعاية كل ما يتصل بمعاداة الدين. ثم افتتحت في موسكو دورة دراسية في العام نفسه للتدريب على وسائل مكافحة الدين، ونظمت في مناسبات الأعياد مظاهرات صاخبة من الفتيان تهتف بسقوط الله والدين.

٢ ـ مرحلة حملة المجابهة على الإسلام ١٣٤٧-١٣٦٠هـ ١٩٢٨-١٩٤١م :

وقد تميزت هذه المرحلة بإقفال معظم المساجد التى كان عددها ٢٦٢٧٩ مسجدا، يقوم عليها ٤٥٣٣٩ رجلا من علماء الدين، فلم يبق منها عام ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م، سوى ١٣١٢ مسجدا فقط، وقد رافق هذا الهجوم دعاية ضخمة مناهضة للدين نظمها اتحاد المناضلين الملحدين (أعضاء اتحاد من لا إله لهم) الذي تأسس عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م. وفي عام ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م اتخذ الشيوعيون العلماء هدفاً لحملتهم لا الدين نفسه، فاتهموهم بالرشوة والسرقة والإجرام وأخيراً بسوء السيرة وسوء الخلق، واعتبروا المؤمنين والعلماء طفيليات في جسم المجتمع وأعداء للثورة، كما اعتبروهم فيما بعد جواسيس لليابان أو لألمانيا الهتلرية. ومنعت روسيا فرضين من فروض الاسلام الخمسة وهما الحج والزكاة. وهاجمت الصيام[1].

٣ ـ مرحلة مهادنة الإسلام ١٣٦١-١٣٦٥هـ ١٩٤٢-١٩٤٥م :

هاجم هتلر الاتحاد السوفييتي سنة ١٩٤١م فاحتاج ستالين إلى معونة الشعور الديني والشعور الوطني معاً حتى يستمد من الفلاح أقصى ما يقوى عليه من تضحية لمقاتلة الألمان فاضطر إلى مهادنة العناصر الدينية تطبيقاً للأسلوب الجديد الذي ابتدعه أحد أقطاب الشيوعية العالمية وهو البلغاري دتميرون من تلامذة ستالين، في المؤتمر عام ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م ـ ويعتمد هذا الأسلوب على المراحل : «خطوة إلى الوراء وخطوتين إلى الأمام، للدفع الثوري الاشتراكي، فإذا اعترض الحركة الاشتراكية الثورية نكسات فلترفع شعارات وحدة الصف لهدف مؤقت حتى تسلب خصوم الثورة طاقاتهم على التحدي

---

(١) الكتاني ـ المسلمون في المعسكر الاشتراكي، انظر المسلمون في الاتحاد السوفييتي ص٢٣٥-٢٣٩.

باسم مكافحة الجوع ـ العنصرية ـ النازية . . ورفع شعار السلام والتعايش السلمي[1] .

من أجـل ذلـك قابـل ستـالـين عام ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م مفتي روسيـا الأوروبيـة عبـد الـرحمن دولاييف ووعـده بإيقاف الدعاية الإلحادية الموجهة ضد الـدين الاسـلامي في مقـابـل دعم المسلمـين للمجهـود الحـربي السـوفييتي واشتراكهم في صفوف الجيش الستاليني .

واعترفت السلطات السوفييتية للمسلمين بمصلحة دينية رسمية لها أربعة مراكـز تقـوم على إدارة شئـونهم الـدينية وتمثلهم رسمياً لدى الحكومة . واستقبل الزعماء الدينيون هذه التدابير بكل سرور كما استقبلها عامة المسلمين في العالم . ودعا المسلمون إلى مؤتمر اسلامي عام ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م وجه نداء إلى جميع مسلمي العـالم يدعـوهم فيـه إلى دعم الجهود الحربية الروسية . ورغم ذلك فقد حدثت مأساة القرم والكاراتشاي والبلكار والأنغوش والتشيتشن الذين بلغوا أكثر من مليون نسمة اتهموا بالخيانة ونفوا إلى آسيا الوسطى وإلى مجاهل سيبريا[2] .

٤ ــ مرحلة مهاجمة الإسلام فكريا : ١٣٦٥ـ١٤٠٠هـ ١٩٤٥ـ١٩٨٠م :

اتخـذت الشيـوعيـة سلسلة من الحجج فزعمت ان الإسلام مثل غيره من الأديان «أفيون الشعوب» وينطوي على ايديولوجية رجعية مناهضة للعلم ، وانه يعطي فكرة مضحكة وكاذبة عن المجتمع ويطبع المرء بطابع الاستسلام والخنوع ويصـرفـه عن العمـل الثوري ، **وعرضت الاسلام** : على اعتبار أنه دين بدائى مضحـك وخليـط عجيب من العقـائـد النصـرانية واليهودية والوثنية ، وقد وضع أسسـه ممثـل الاقطـاعية التجارية في مكة لكي يبرر دينياً حملات النهب والسلب التى يقـوم بها ارستقـراطيـو العـرب . وان الإسـلام دين غريب عنـا فرض على شعـوب آسيـا الـوسطى وما وراء القفقاس بالحديد والنار، وانه ظل يعمل خلال قرون في خدمـة الامـبر يـالية العربية والايرانية والأفغانية والتركية ، وانه اليوم فى خدمـة الامـبر يـالية الانكليزية والأميركية ، وانه أكثر الأديان محافظة فى المجالين

(١) عمر حليق ص ١٥، ١٧، ٢١ .

(٢) المسلمون في الاتحاد السوفييتي ص٢٥٩ .

الثقافي والاجتماعي فحال دون التجديد وأخر التطور التركستاني بدعوته المسلمين إلى الخضوع غير المشروط لمقدراتهم ولمضطهديهم (مع العلم أن الشيوعيين والروس هم أكثر الناس علما بما عانوه من مقاومة المسلمين لسياستهم واستبدادهم). ونستطيع أن نذكر أمثلة كثيرة تدل على عداء الحزب الشيوعي للإسلام منها: ان القرآن الكريم يأمر بالظلم وعدم المساواة، وانه يمدح خضوع المرأة، وان التشريع الإسلامي عبارة عن مجموعة من القوانين هي أفظع ما عرف الإنسان من ظلم...

وتقع مسئولية مكافحة الاسلام والعناية بنشر الالحادية على عاتق كل منظمات الحزب وعلى كل وزارات الثقافة في جميع الجمهوريات. وأما منظمة (اتحاد من لا إله لهم) فهي التي تقوم بحملات الدعاية ضد الاسلام عمليا ومركزها موسكو ولها فروع فى كل الجمهوريات تشرف على منظمات اقليمية وما دونها من منظمات مقامة في المدن والقرى[1]. وكل الوسائل مجندة للتأثير في الجماعات ضد الدين: الأحاديث بالراديو، الأفلام السينمائية المعادية للدين، المتاحف، المعارض الثابتة والمتحركة، وخاصة المحاضرات والصحافة، وكمثال **على الجهود**: ان الفرع القازاني الذي كان يشرف عام **١٩٤٨**م على نشاط **(١٥)** فرعا إقليميا و**٢٠٩** فرعا فى المدن والقرى وعلى **٨١٥** مكتبا للدعاية نظم خلال ثلاث سنوات (١٣٦٦-١٣٦٨هـ/ **١٩٤٦-١٩٤٨**م): **٣٠,٥٢٨** محاضرة عامة منها **٢٣,٠٠٠** محاضرة ضد الاسلام. والقت المنظمة في أوزبكستان سنة **١٩٥١**م أكثر من عشرة آلاف محاضرة ضد الاسلام، كما القت في تركمانستان عام **١٣٨٣**هـ/ **١٩٦٣**م أكثر من خمسة آلاف محاضرة ضد الاسلام ويضاف إلى هذه الجهود العامة **جهود خاصة** إذ يقصد الدعاة ضد الدين منازل المسلمين ويجبرون أهلها على الاستماع إلى أقوالهم.

وأما الكتب فقد طبعت المنظمة ما بين عامي **١٣٧٥** و**١٣٧٧**هـ/ **١٩٥٥** و**١٩٥٧**م أربعة وثمانين كتابا فى ٨٠٠ ألف نسخة وزعتها فى المناطق الاسلامية من الاتحاد السوفيتي.

---

(١) المسلمون في الاتحاد السوفييتي ص٢٧٦.

وانعقد مؤتمر داخلي عامّ عام ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م لمعالجة الاسلام ومشكلة السوفيات معه فى المناطق الاسلامية الخاضعة للحكم السوفياتي ودعي : المؤتمر العام لجميع الولايات السوفياتية حول قضايا الدعاية الإلحادية العلمية ـ قال فيه م . ب مامين :[1] «من الواجب أن نبرز ونؤكد الصفة غير العلمية للدين الاسلامي على أن نراعي الدور السياسى الخطير الذى يلعبه الاسلام فى آسيا وأفريقيا حيث أنه مصدر الوحي لعدد مهمّ من حركات التحرير الوطني هناك وخصوصا عند الشعوب العربية كمسألة العداء لاسرائيل . . وطالما أن لمصر مركزا تقليديا فى المنطقة العربية فإن علينا أن نعتمد على روابطنا مع مصر التى تسير اليوم فى الطريق الاشتراكي لكي نقوم بما يجب القيام به من جهد مشترك لفهم حقائق الضعف والقوة فى النزعة الاسلامية عند العرب وبقية المسلمين، ونستطيع على ضوء ذلك وضع القواعد والأساليب الرشيدة والمتينة لمكافحة الاسلام . . »[2] .

وبعد موت ستالين أشرف الأمين العام السابق للحزب الشيوعي السوفييتي خروتشوف بنفسه على تنفيذ مخطط يرمي إلى تصفية المسلمين فى التركستان واضعاف قوتهم عن طريق تهجيرهم ودمجهم فى المجتمعات الالحادية حتى تخرج الأجيال الجديدة من أبنائهم على صورة هذه المجتمعات بعيدة عن العقيدة الاسلامية وظهر خلال ثلاث سنوات (١٣٨٠ـ١٣٨٤هـ) (١٩٦٢ـ١٩٦٤م) ٢١٩ كتابا ونشرة ضد الاسلام خاصة أوموجهة إلى المسلمين بلغاتهم المحلية[3] .

وقد سمح للمراكز الدينية أن تنشر عددا ضئيلا من الكتب الدينية فطبع عام ١٩٥٦م فى مركز آسيا الوسطى القرآن الكريم بالعربية طبعة أنيقة وجميلة وغنية بالحواشي ولكنها مليئة بالأخطاء المتعمدة على الأغلب . أما التعليم الديني فقد منع منعاً باتا فى مدارس الدولة ولم يسمح منذ سنة ١٩٤٥م إلا بمدرسة واحدة فى طول البلاد وعرضها وهى مدرسة مير ي عرب فى بخارى، انشئت عام

---

(١) عمر حليق ص ٩١ .

(٢) عمر حليق ص ٩١ .

(٣) مجلة الدعوة العدد ٧٣٢ .

٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م وأغلقت بعد الثورة ثم أعيد فتحها سنة ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م، ولا تضم هذه المدرسة التى ينتهي منها الطالب فى بحر خمس سنوات إلا نحو مائة طالب أكثرهم التحق عام ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م بجامعة الأزهر.

هذا وقد تابع الشيوعيون **سياسة الترويس**.

فالعمل على ايجاد اللغات المتعددة جعل الروسية هى اللغة الجامعة الرسمية للاتحاد السوفييتي فى الأقاليم الاسلامية بقرار الحزب والقيادة السوفييتية سنة ١٣٥٧هـ بجعل اللغة الروسية لغة رسمية لجميع الشعوب التي تخضع لحكمهم، وأصبحت تدرس إلى جانب اللغات المحلية، وسعى السوفييت لتقويتها لتفتيت المسلمين[١]. فقد تعرضت اللغات القومية إلى هجومين داخلي وخارجي:

ويرمى الهجوم الداخلى إلى جعل اللغات القومية عصرية والقصد من ذلك تطهيرها من الكلمات الدينية والعربية والفارسية. ويكمل هذه الهجمة ما يدخل على اللغات القومية من مصطلحات جديدة سياسية واقتصادية وفنية وقانونية مأخوذة من اللغة الروسية أو من اللغات العالمية وليست منحوتة من أصول اللغة ذاتها كما كان يفعل فيما مضى، وتحتفظ هذه المصطلحات الجديدة بصورتها اللفظية كما هي فى الأصل وتجري فى صرفها ونحوها مجرى اللغة الروسية، وتهدف السياسة المتبعة إلى إحلال اللغة الروسية محل اللغات الاسلامية لكى تباعد بين أصحاب هذه اللغات وبين الأقوام التى تربطها صلات قربى ليصبح من الصعب تفاهم الأقوام المسلمة الخاضعة للاتحاد السوفييتى مع الأقوام الاسلامية المستقلة مثل تركيا وايران وأفغانستان. هذا بالاضافة إلى أن ترويس اللغات المحلية هو وسيلة لفرض الثقافة الروسية.

وأما الترويس الخارجى أى اتخاذ اللغة الروسية لغة أم أولى أو ثانية فهو وسيلة أخرى لتقريب الشعوب الاسلامية من الشعب الروسى ولابد للشاب المسلم الذى يريد متابعة دراسته العالية من الالمام باللغة الروسية، كما أنها شرط لبناء مستقبله وبخاصة في الحياة... ورغم ذلك فان نسبة المتروسين من

---

(١) مجلة المجلة ــ ربيع الثاني عام ١٤٠٠هـ.

المسلمين ضئيلة. وعلى كل فأصبح فى الاتحاد السوفيتي ٧٠ لغة محلية[1].

وعمد الشيوعيون لاضعاف المسلمين وترويسهم إلى تهجير المسلمين واستيطان الروس فى البلاد الاسلامية. وقد وجد أن قبول الروسية أكثر سرعة فى الجاليات التي تنتقل إلى منطقة غير منطقتها حتى ولو كانت المنطقة التي تنتقل إليها منطقة اسلامية وخاصة اذا كانت فى المدن. وقد تعرضت بلاد الاسلام فى الاتحاد السوفييتى لغزوات شركات صناعية روسية فرت أمام الغزو الألمانى سنتي ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م و١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م واستعمرتها، كما جاءتها أفواج كثيرة من المهاجرين فأحدث هذا الغزو انقلابا اقتصاديا مصحوبا بانقلاب فى السكان ومثل ذلك آسيا الوسطى التى تأثرت أكثر من غيرها بهذه الهجرة. فزادت نسبة الروس على حساب المسلمين، وبذلوا كثيرا من المساعي لطبع المسلمين بالطابع الروسي الذي أخذ يبدو أكثر وضوحا وحدّه اذ أنها لم تعد موجهة إلى قبضة من النخبة بل أصبحت خمس الشعب كله[2].

كما فرض الشيوعيون سياسة العزلة للمناطق الاسلامية بعضها عن بعض من ناحية وبعضها عن الأقطار الاسلامية من ناحية أخرى ـ فلقد عاش المسلمون فترة طويلة فى ظل الحكم الشيوعى وهم فى كأس مغلق بعيدين عن العالم الخارجي وهو ما يسمي بالستار الحديدي (١٣٣٩ـ١٣٩٨هـ/ ١٩٢٠ـ١٩٧٨م) فأبعدتهم روسيا عن التيارات العالمية وعن المسلمين وانفردت بهم، وفى عام ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م تمكنت روسيا من الاشتراك فى منظمة الشعوب الافريقية التى أنشأتها الاشتراكية المصرية فسمح بذلك للاتحاد السوفييتي أن يشارك (بل يسيطر) على حلقات الآسيويين والافريقيين والعرب (الذين رفضوه عضوا فى مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥م لأنه دولة أوروبية تستعمر مناطق آسيوية هي ديار الاسلام فى آسيا الوسطى). فتمكن بذلك من ضبط تصرفات الآسيويين والافريقيين السياسية والعقائدية بحيث لا تتطرف فيسعى

---

(١) انظر: المسلمون في المعسكر الاشتراكي للكتاني ص ٥٨.

(٢) المسلمون في الاتحاد السوفيتي ص ٢٦٢، ٢٦٥، ٣١٨، ٣٢٧.

لاثارة قضايا استعماره على تلك الديار وهى المناطق الوحيدة فى العالم بأسره التى لم تزل خاضعة خضوعا كاملا للحكم الاستعماري الأجنبي[1].

بل أخذت روسيا تحارب الاسلام بمسلمين فأرسلت مفتيا مسلما من أعضاء الحزب الشيوعي هو: بابا خانوف الى اجتماعات منظمة الشعوب الآسيوية الافريقية ليحارب الرجعية عميلة الاستعمار. وذكرت المجلة السوفياتية: العلم والدين (عدد ٥ عام ١٩٦١م): ان عددا من مخضرمي الماركسية المصرية ذهبوا للتدريب على الأسلوب السوفييتي لمكافحة الاسلام (عقائديا وسياسيا) فى المعهد الذى أنشأه السوفيات فى قسم الدراسات التاريخية لجامعة آسيا الوسطى في طشقند عام ١٩٦٠م[2].

وفى العام ١٩٦٢م نشرت نفس المجلة مع قطب يسارى مصري حديثا يقول فيه: «ان رحلة جاجارين إلى الفضاء قد محت كل الهراء الذى جاء فى القرآن والحديث والفقه الاسلامي» ووزع هذا الحديث على نطاق واسع وأذيع مرارا وتكرارا من جميع محطات الاعلام السوفياتية الموجهة للمسلمين فى آسيا الوسطى السوفياتية.

وفى عام ١٩٦٣م أخرج السوفيات مسرحية تهزأ بعلماء الدين المسلمين ومسرحية غنائية - هي سخرية بأحد العلماء الواقع فى الانحطاط الأخلاقي الكامل إلى أن اعتنق الماركسية فسمت أخلاقه وصفاته[3].

ولزيادة عزلة المسلمين وغربتهم عن الاسلام حثت موسكو على وحدة القوى الثورية ووضعتها فى قالب جديد يتركز ضد الرجعية الدينية (على حد تعبيرها) فى منطقة الشرق الأوسط وربط هذه الرجعية بالاستعمار فنشرت مجلة العلم والدين فى عددها التاسع عام ١٩٦٤م: «ان على مكاتب الالحاد العلمي وفروع الحزب الشيوعى فى المناطق الاسلامية أن يشرحوا للمسلمين بأن

---

(١) عمر حليق ص ٨٨-٨٩.
(٢) نفسه ص ٩١.
(٣) عمر حليق ص ٩٢.

أهم معقل للاسلام اليوم هو الجمهورية العربية المتحدة، وان هذا المعقل قد اختار الاشتراكية العلمية نظاما له فى الحكم والمعاش والسياسة والتنمية والعلاقات الخارجية وأن أي مسلم فى الاتحاد السوفييتي يخالف الحياة الاشتراكية فى الفكر أوفى السلوك فانه رجعي وعميل للاستعمار مما يستوجب على الدولة ازالته من الوجود لأنه عدو للشعب وللشعب السوفياتي وللأخوة الاشتراكية العالمية التي تضم معقلا اسلاميا هاما هو الجمهورية العربية المتحدة»[1].

وفى عام ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م وقفت روسيا بقوة ومعها القوى العربية الاشتراكية فى وجه دعوة الملك فيصل بن عبد العزيز إلى التقارب الاسلامي محافظة منها على مصالحها فى التسلط على رقاب المسلمين فى الاتحاد السوفييتي[2] ومحاولة عزلهم عن إخوانهم خارج الستار الحديدي.

والسؤال الذى يردد الآن: إلى أي مدى نجحت السياسة الشيوعية؟ والجواب نجده فى الصحف السوفياتية، وفى تعثّر السياسية السوفيتية نفسها. ففى ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٦٤م نشرت جريدة الحزب الشيوعى فى أوزبكستان برافدا الشرقية بأن الوزير المحلي للتجارة قد طرد من منصبه لأن ابنته تزوجت حسب الشرع الاسلامي وليس فى مكتب الحزب الشيوعي كما هو مفروض فى التشريع المحلي، وان زوجته حين توفيت جرى دفنها على الطقوس الاسلامية[3]. وفى العدد نفسه تحذير افتتاحي من أعضاء الحزب الشيوعي المحلي للشباب المسلمين فى أوزبكستان بأنهم اذا استمروا على القيام بالطقوس الاسلامية والانتهاء إلى الدين الاسلامي فانهم سيرسلون إلى معسكر الاصلاح الفكري ليتطهروا من هذه الأوحال الإسلامية.

وفى عدد ٢٥ فبراير ١٩٦٤م نشرت مجلة كوزمولوسكايا برافدا ـ صحيفة منظمة الشباب الشيوعي ـ مقالا تهدد فيه الناشئة المسلمين فى المناطق الاسلامية عنوانه «الاسلام لا ينوي أن يستسلم»، وفى عدد ٢٦ يوليوسنة ١٩٦٤م من جريدة برافدا الشرقية «تسجيل القرارات للحزب الشيوعى المحلي

---

(١) نفسه ص ٩٧.

(٢) نفسه ص ١١١.

(٣) نفسه ص ٩٤.

في أوزبكستان والاجراءات التي تم تدبيرها لقمع حركة البعث الديني في المناطق الاسلامية» (السوفياتية) ومنها : طرد المسلم من عمله اذا مارس ديانته، وفصله عن أبنائه وبناته لئلا «يكونوا بهذه الرجعية التى يذكرها الاستعمار من وراء الحدود. . . أي من الاذاعات الدينية التى تصدر من أفغانستان وباكستان وايران وهى المناطق المجاورة لديار المسلمين الخاضعة للحكم السوفييتي»[1].

وفى العدد الرابع من مجلة العلم والدين لسان حال العهد الالحادي نصت قرارات أصدرتها موسكو لمحاربة البعث الاسلامى فى مناطق آسيا الوسطى عن طريق : التحريف، والتفسير المادى للقرآن واظهار افتقاره إلى الأصول العلمية والخرافات أو الشعوذة والفكر الاستعماري الذى فيه[2].

وقد اشارت الصحف إلى ما انتاب الكرملين (يوليو عام ١٩٧٤/ ١٣٩٤هـ) من موجات القلق والتوجس بسبب تزايد انتشار الاسلام فى الأطراف المترامية على الحدود الروسية وذيوع مباديء وتعاليم الاسلام فقد دفع الغضب من هذه الموجة قادة الحزب الشيوعي لاتخاذ اجراءات عنيفة لصد تيارات هذه الموجة ووقف مدها المتزايد سواء فى داخل الاتحاد السوفيتي أو فى الدول الموالية له فى منطقة جنوبي شرقي آسيا إلى درجة إلقاء القبض على كل من أعلن اسلامه ثم صدور الحكم باعدامه. وأكدت الأنباء التى تسربت رغم التشديد بعدم نشرها أن من يصدر عليه الحكم بالاعدام بتهمة اعتناق الاسلام كان يتغنى فرحا وهو يساق إلى ساحة الاعدام ويردد مزهوا : « لا إله إلا الله محمد رسول الله »[3].

ومما يثبت فشل السياسة الشيوعية أن أبناء الأقاليم الاسلامية وخاصة التركستان وأذربيجان وأوزبكستان يعتبرون أوطانهم من ديار الاسلام ويعملون جهد طاقتهم على المحافظة على الاسلام فيها باحياء تراثهم الاسلامي وثقافتهم الاسلامية والعمل جهد طاقتهم على اعادة فتح المساجد التى اعتدى الشيوعيون عليها ويمدون أيديهم إلى اخوتهم المسلمين رغم السدود والحواجز

(١) عمر حليق ص ٩٥.

(٢) نفسه ص ٩٧.

(٣) أنور الجندي ــ هزيمة الشيوعية في عالم الاسلام ص ١٥٤.

ويشـاركـونهم أفراحهم وأتراحهم . غير أنهم لم يعودوا يشكلون الكيان ذاته الذى كان يميـزهم قبـل الثـورة ، بل أصبح الاسلام اليوم صفة فى جملة الصفات التى تميزهم عن الروس[1] . فقد بلغ عدد المسلمين أكثر من ٦٠ مليونا أي ربع سكان الاتحـاد السـوفيتي[2] ولكن أثرهم فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لا يسـاوى شيئـا بالمقـارنـة إلى اليهـود الـذين يشكلون حوالى ١٪ فقط من سكان الاتحاد السوفييتي . فهم يشكلون على حد تعبير كوشان مجموعة ممتازة ونادرة بين قوميـات الاتحـاد السـوفييتي ، وفى حين بلغ عدد الطـلاب اليهـود فى الجـامعات والمعـاهـد العليـا السوفييتية فى أواخر الستينات ١١٠ آلاف طالبا بلغ فى اسرائيل ٣٥ ألفـا فقـط ، رغم أن العـدد الكلي لليهـود السوفييت يقل عن عدد اليهود فى فلسطين المحتلة[3] . وكانت قد شهدت أواسط الخمسينات والسنوات التي تلتها ارتفـاعـا بالغـاً فى عدد الطـلاب اليهـود في المعـاهـد العليا والجامعات ففي عام ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م حقق اليهود النسب التالية في الاتحاد السوفييتي :

٤ , ٣٧٪ من الأطبـاء ، ٤٠٪ من المحـامـين والقضاة ، ٩٪ من الفنانين ، ٨ , ٩٪ من الكتـاب والصحفيـين ، ١٩٪ من المـوسيقيين ، ١١٪ من العاملين فى مجالات البحث العلمي ، كما يذكـر بأن : ١٠٢ مهنـدسـا بينهم عشـرة مهندسين يهود تلقـوا جائـزة لينـين سنـة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م وتولى منح جائزة الدولة على النحـــو التـالي : عام ١٩٦٧م ٢٠٣ سوفييتيـا بينهم ٢٩ يهوديـا ، عام ١٩٦٨م : ١٩٢ سوفييتيا بينهم ٣٠ يهوديا ، عام ١٩٧١م : ٢٢٨ سوفييتيا بينهم ٢٦ يهوديا ، عام ١٩٧٢م : ١٨٥ سوفييتيا بينهم ٢١ يهوديا[4] .

ولا عجب فى ذلك فالشيوعية كما أكد الملك فيصل بن عبد العزيز : هي وليـدة الصهيـونيـة . فقد أمدت اليهود فى فلسطين بقوة غازية متدربة فبين عامي (١٣٣٨هـ و١٣٥٨هـ ١٩١٩م و١٩٣٩م) وصـل إلى فلسطـين أربعون ألفا من

---

(١) المسلمون في الاتحاد السوفييتي ص ٢٨٩ .

(٢) تجدر الاشـارة إلى أن تعـداد المسلمـين بالاتحـاد السوفيتي من الأمور الصعبة بسبب إحصاء السكان على أساس قومي فقط ، وحركة تهجير السكان من منطقة لأخرى أمر مألوف بجمهوريات الاتحاد السوفياتي .

(٣) اليهود السوفييت ــ سلامة حمادي ص ١١٢ .

(٤) نفسه ص ١١١ .

أصـل الكتلة اليهـودية البالغة فى ذلك الحين نحو ثلاثة ملايين. وكانت غالبيتهم من الصهيونيين المنظمين المتدربين.

وأعلنت جماعتان يهوديتان أمريكيتان أن عدد المهاجرين اليهود من الاتحاد السوفييتي بلغ أكثر من ٢٦٠,٠٠٠ يهودي بين عامي ١٩٧٠م، ١٩٨٤م[١].

كما كانت روسيـا أول من اعـترف بالـدولـة الصهيـونيـة فى فلسطـين عام ١٩٤٨م فبينـما كان مجلس الأمن مستمـر فى منـاقشـاتـه عام ١٩٤٨م ويكيل فيه غروميكو الاتهامات والشتائم للعرب[٢] كانت الدول الاشتراكية تتسابق لامداد الجبهـة الصهيـونيـة بالأسلحـة والخبراء والمهاجرين اليهود الذين جرى تدريبهم على حرب العصابات فى معسكرات خاصة فى دول أوروبا الشرقية. وقد بلغ ما شحن إلى ميـنـاء حيفـا على البـواخـر الـرومـانيـة واليـوغسـلافيـة ٢٤ طائـرة تشيكوسلوفاكية و١٢٦ دبابة متنوعة و٤٠ سيارة مصفحة و٧٠ مدفعا ثقيلا و٣٥٠ من المدافع المتنوعة ومائة ألف بندقية ورشاشة و١٥٠ طنا من القذائف اليدوية و٨ آلاف طن من الـذخـائـر وألف سيـارة نقـل[٣]. بل يكاد يكون كل أفراد الجيش اليهودى من يهود الاتحاد السوفييتي إلا القليل[٤].

وفى حديث صحفي للملحق العسكـري السـوفيياتي لمراسل معاريف في باريس (٢٢ يونيـو سنـة ١٩٦٤م) ونقلتـه الصحـافـة السـوفياتية وصحف العالم ووكـالات الأنبـاء إلا العـربية جاء فيه الخطة الشيوعية لتأييد اسرائيل قائلا: فلا تقلقـوا من السيـاسـة السـوفيـاتيـة فى المنطقـة العـربية فهذه السياسة متممّة بل ضروريـة لسـلامـة اسـرائيـل، وختم حديثـه قائـلا: «أتظن أننا جاهلون أهمية اسـرائيـل بالنسبـة لنا، أتظن أننا لا نعلم على اليقين ما نوع الحكم الاشتراكي السليم الذى تبنونه في اسرائيل بسواعدكم في المنطقة المهمة في الشرق الأوسط؟

---

(١) الشرق الأوسط ص ٥وص ٢ ويذكر انه يوجد بالاتحاد السوفيتي بين ٢,٥ و٣ ملايين يهودي. السبت ١٤ ربيع الثـاني ١٤٠٥هـ. ١٩٨٥/١/٥م العـدد ٢٢٣٠. وهناك خطة اسرائيلية أمريكية سوفياتية فرنسية لنقل اليهود الروس إلى فلسطين المحتلة تظهر في قمة جنيف بين غورباتشوف وريجان، الشرق الأوسط العدد ٢٥٤٢، الأربعاء ١ ربيع الأول ١٤٠٦هـ، ١٩٨٥/١١/١٣م. ص ١ وص ٢.

(٢) قلعجي ص ١٤٩. ، الشيوعية وليدة الصهيونية ص ٧٥.

(٣) قلعجي ص ١٥٩.

(٤) الشيوعية وليدة الصهيونية ص ١١٠.

وهل يدور بخلدك أننا مجانين حتى تنهدم اسرائيل أو نسمح لأي طرف آخر بأن يمسها بأي أذى؟ اطمئنوا، اطمئنوا، وثقوا أن الاتحاد السوفياتى مع اسرائيل وسيؤيدها اليوم وغداً كما أيدها ورعاها بالأمس.

إن وجود اسرائيل قوية وعزيزة حيث هي الآن أمر جدّ ضروري لسياسة السوفيات في كل المنطقة العربية فمصالحنا ومصالح اسرائيل واحدة. وكونوا على ثقة من أننا سنرعى الاشتراكية العربية، لأن ذلك تعزيزاً لمصلحة اسرائيل مثلما هو تعزيزاً لمصلحتنا نحن السوفيات»[1].

وعندما كان الرئيس جمال عبد الناصر في موسكو عام ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م استدعت السلطات السوفياتية حاخام اليهود الأكبر في روسيا (يهودا ليجين) وطمأنته بأن السياسة السوفياتية في الشرق الأوسط مجردة من العداء للدولة اليهودية أو المصالح اليهودية بل هي تقتضي ذلك لأنها تقوم على مصادقة اسرائيل وصيانة المصالح اليهودية، وأعلمته بأنها أصدرت أوامرها للجنة السوفياتية العليا للشئون الدينية في موسكو بإزالة كل القيود عن النشاط اليهودي القوي في الاتحاد السوفييتى. وكان هذا الحاخام على صلة وثيقة بالدولة اليهودية، وقد نقل إليها ما تبلغه من السلطات السوفياتية[2].

وفي عام ١٩٨٥م/ ١٤٠٦هـ عيّن (اندريه غروميكو) رئيسا لمجلس السوفيات الأعلى ومن أهم صلاحيات هذا المجلس:

١ ـ سن التشريعات الأساسية والتعديلات الدستورية.
٢ ـ تثبيت قرارات ومراسيم مجلس السوفيات ومجلس الوزراء.
٣ ـ تصديق المعاهدات.
٤ ـ اعلان الحرب والسلم.
٥ ـ تثبيت التغيرات الاقليمية وإنشاء الجمهوريات وقبولها أو الغاؤ ها.
٦ ـ الاستماع إلى التقارير المقدمة عن السياسة الخارجية من قبل رئيس الحكومة والموافقة عليها.

---

(١) انظر عمر حليق ص ٥٩، الشيوعية وليدة الصهيونية ص ١١١-١١٢.
(٢) الشيوعية وليدة الصهيونية ص ٧٦، عن صحيفة الشيوعيين الفرنسين عدد ١٨ سبتمبر ١٩٦٥م.

٧ ـ النظر المبدئي في المعاهدات قبل تصديقها .

وأكثر هذه السلطات شكلية أكثر منها عملية أو فعالة، لأن رئيس مجلس السوفيات الأعلى ما هو إلاّ رمز للدولة . وقد أعلن جروميكو هذا العريق في تأييد الصهيونية[١] في اذاعة له من موسكو باللغة العربية ما يلي :

١ ـ لسنا أعداء اسرائيل ونريد بقاءها .

٢ ـ ندّد وعارض من وصفهم بالمتطرفين العرب ورغبتهم في القضاء على دولة اسرائيل .

٣ ـ معارضة السياسة الاقليمية لاسرائيل .

٤ ـ تأييده للشعب العربي من أجل استعادة الأراضي التي تحتلها اسرائيل منذ عام ١٩٦٧م ومن أجل إنشاء دولة فلسطينية مستقلة[٢] .

ولاتزال روسيا تمارس لعبة مع أمريكا، ومن ينظر بمنظار صحيح يراها وجهان لعملة واحدة، فقد جمدت روسيا علاقاتها باسرائيل بعد عام ١٩٦٧م ولكنها تبادلت مع أمريكا صفقة بمدّ اسرائيل بالرجال اليهود، ونشرت صحيفة النيويورك تايمز بأن روسيا ستعيد العلاقات مع اسرائيل[٣] . كذلك عرضت موسكو زيادة الهجرة اليهودية إلى اسرائيل لقاء التجارة مع الولايات المتحدة الأمريكية[٤] وهي صفقة تظهر في اللقاء بين غورباتشوف وريغان[٥] .

وقد درجت موسكو على أن ترسل للبلاد العربية والاسلامية الشيوعي المسلم في عمليات التخطيط . كالزيارة التي قام بها الوفد البرلماني السوفياتي لدمشق برئاسة عاقل سليموف نائب رئيس مجلس السوفييت الأعلى ورئيس

---

(١) نشرته كاملاً ـ الشرق الأوسط يوم الأربعاء ١٩٨٥/٧/٢٤م . ، وانظر عن عدائه وشتائمه للعرب في الأمم المتحدة عام ١٩٤٨م، قلعجي ص ١٤٦-١٤٩ . ، والشيوعية وليدة الصهيونية ص ١٠٣ .

(٢) الشرق الأوسط ص ١٨ الأربعاء ٥ ذو الحجة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥/٨/٢١م .

(٣) الشرق الأوسط السبت ١٤٠٦/٢/١٩هـ، ١٩٨٥/١١/٢م .

(٤) الشرق الأوسط ص ١ الاثنين ١٤ جمادى الأول ١٤٠٥هـ/ العدد ٢٢٦٠ .

(٥) نفسه ص ٣ الثلاثاء ١٩٨٥/١/٢٢م .

مجلس السوفيات في جمهورية أوزبسكتان[1].

هذه صور من أثـر اليهـود في الاتحـاد السوفيتي لتدرك الفرق الهائل بين أثر اليهود وبين أثر المسلمين الذين يعانون أشد أنواع الاضطهاد.

ولا عجب في ذلـك فكـارل ماركس أبـو الشيـوعية كان من تلامذة موسى هس ولم تجذبه إليه يهوديته فحسب بل آراؤ ه الاشتراكية وما سماه ماركس نضالاً في الفكـر والحيـاة[2]. وهـرتسـل نفسـه تأثـر بموسى هس[3]. وممّن مول الحركة الشيـوعيـة التي انتهت بثـورة أكتـوبـر في روسيـا المليـونير اليهودي يعقوب شيف بأمـريكـا ومـاكس واربـورج اليهـودي الصهيوني القاطن في استوكهولم ومؤ سسة كوهـين ولـوين الصهيـونيـة بأمريكا. ومؤ سسة اوتوكوهين الصهيونية بألمانيا، كما كانت الصحافة اليهودية تمهد للثورة الشيوعية في روسيا فلما نجحت كانت تشيد بمدحها[4]. وتم تأليف أول حكومة مؤقتة لحماية الثورة برئاسة اليهودي كيرنسكي. ومن أبـرز وزرائـه اليهود: مليكوف، ولفوت وكوتخوكوف، وانتخب اليهودي كامينيف أول رئيس للجمهورية السوفييتية وتولى لينين رئاسة الحكومة، وتروتسكي اليهودي وزارة الخارجية.

وألفت الحكـومـة أول مجلس شيـوعي قوامـه ٥٤٧ عضـواً منهم ٤٤٧ من اليهـود الغـلاة المتعصبـين، وتأسست اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في بداية الحكم من ٣٨٨ عضواً منهم ٣٧١ يهودياً و١٦ روسياً وزنجي واحد[5].

وفي عهد لينين كان ٩٥٪ من أعضاء السوفييت البلاشفة يهوداً[6].

وقـد شهـدت أوضـاع المسلمـين انفـراجـاً نوعـاً ما منذ عام ١٩٨٠م إلى اليوم، وقد يكون هذا الانفراج جزءاً من المخطط السوفييتي السابق الذكر (خطوة

---

(١) نفسه السبت ١٩/٢/١٤٠٦هـ/ ٢/١١/١٩٨٥م.

(٢) الشيوعية وليدة الصهيونية ص ٥٣.

(٣) نفسه ص ٥٤.

(٤) الشيوعية وليدة الصهيونية ص ٦٥.

(٥) نفسه ص ٤٧.

(٦) نفسه ص ٤٨ وانظر: نفسه ص ٧٢. والخطر اليهودي ص ٥٨ في الهامش.

إلى الخلف وخطوتين إلى الأمام) فسياستهم تتلون حسب مصالحهم ولكنها تضمر الشر للمسلمين وتنتهز الفرص لذلك[1]. ولعل أسباب الانفراج تعود إلى :

١ ــ للتغطية على غزو الاتحاد السوفييتي للأفغانستان حتى تتمكن من ابتلاعها.

٢ ــ دغدغة الرأي العام الاسلامي وخاصة تجاه غزو أفغانستان.

٣ ــ الصحوة الاسلامية التي يشهدها العالم الاسلامي. فقد تسايره حتى تتمكن من وضع الخطط لمكافحة هذه الصحوة أو القضاء عليها.

٤ ــ مناهضة السياسة السوفييتية للسياسة الصينية (وقد شهدت في أواخر عام ١٩٨٤م بعض الانفراج).

فقد اختفت المنشورات التي كانت تهاجم الدين وتؤكد على الغياب الحتمي له، وحلت محلها منشورات تعترف بقدرة الأديان على الاستمرار وتمكنها من التأقلم ! مع المجتمع الاشتراكي.

وقام السوفيات بدعوات لعقد مؤتمرات اسلامية دولية، فقد دعت الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاخستان لعقد مؤتمر اسلامي للبحث في موضوع الإمام البخاري والعصر الحديث، وعقد في مدينة سمرقند وحضره مندوبون عن رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة، وعن كثير من الدول الاسلامية، وعقد مؤتمر اسلامي آخر لتأييد الدول العربية ضد اسرائيل. ومؤتمر آخر في مدينة طشقند في نهاية عام ١٤٠٠هـ[1]. وأهم من ذلك قرار حرية العبادة بعد أن حرم المسلمون منها طيلة ستين عاماً.

وتقوم موسكو في الوقت نفسه بمضايقة الاسلام بأشكال مختلفة فقد حاكموا الداعية الاسلامي أكبر ديشكولوف في جمهورية أوزبكستان بحجة قيامه بالدعوة الاسلامية سراً، وقضوا بسجنه لمدة عامين في أحد معسكرات العمل الشاق. كما اعتقل عدد من الدعاة بقرار من الزعيم السوفييتي ميخائيل جورباتشوف الذي أصدر توجيهاته بالردّ بقوة وحزم ضد التيار الاسلامي السري

---

(١) محمد صفوت السقا ــ المسلمون في الاتحاد السوفيتي ص ٤١.

في جمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز(١).

كما عمدت إلى مقاومة الصحوة الاسلامية بإصدار عدد من الكتب والمؤلفات التي تسيء إلى الاسلام ومن بينها كتاب صدر في موسكو عنوانه: «كيف تستخدم الامبريالية والرجعية الاسلام من أجل التخريب». وكتاب آخر بعنوان: «الاسلام والتخلف»(٢).

وعلى كل فالمستقبل للاسلام إن شاء الله. فعدد المسلمين في الاتحاد السوفييتي كبير، ويمكن أن يصل عام ٢٠٠٠م إلى ثلث عدد سكان الاتحاد وهو أمر تخافه السلطات السوفييتية وتعمل على تطويق مضاعفاته(٣). وقد وصل عددهم عام ١٩٨٥م/ ١٤٠٥هـ إلى ٦٥ مليون نسمة(٤). والخطر الحقيقي على الشيوعية منبعه الولاء الذي يكنه المسلمون لاخوانهم في خارج الاتحاد السوفييتي واعتبار أنفسهم جزءاً من العالم الاسلامي الكبير (الأمة الاسلامية) رغم ما أصاب النشء من انحراف وبعد عن مبادىء الاسلام السمحة وعن ثقافة الاسلام وينابيعه، فهم ينظرون إلى الروس المستوطنين بينهم نظرتهم إلى أجانب أوروبيين مستعمرين. ثم وجود فكرة الجهاد التي تظهر بين الحين والآخر كتلك التي ظهرت عام ١٩٢٠/ ١٩٢١م حيث غطت المقاومة كافة مناطق الشاشان والداغستان مما أجبر السوفييت على تخصيص فرق الجيش الأحمر الحادي عشر لمواجهة هذه الحركة التي استمرت حتى عام ١٩٢٥م. حين القي القبض على نجم الدين غوتسو واعدم.

وجدد المسلمون رغم القتل الجماعي والتعذيب الحركات عام ١٩٢٨م وعام ١٩٣٤م، وعام ١٩٤٠م وعام ١٩٤٢م(٥). ويحس الكرملين بهذه الروح الجهادية ويحاول ما أمكنه كبتها أو القضاء عليها في مهدها.

« ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز »

---

(١) المسلمون العدد ٣٧ ص ٥ صفر ١٤٠٦، ١٩/ ١٠/ ١٩٨٥م.

(٢) نفسه ص ٥.

(٣) المجلة العدد الثاني من السنة الأولى.

(٤) المسلمون ص ٥ المصدر السابق.

(٥) انظر جريدة المدينة الجمعة ٢٩ محرم ١٤٠٤هـ/ العدد ٦٠٦٥، بعنوان: الصحوة الاسلامية والدولة السوفيتية من كتاب «التهديد الاسلامي للدولة السوفيتية».

الفصـــل الســـابـع

المسلمون في الصـــين

الصين دولة كبيرة متسعة في شرق آسيا، تزيد مساحتها عن ٩,٥٦١,٠٠٠كم٢ أي خمس قارة آسيا، ويصل عدد سكانها اليوم إلى حوالي مليار نسمة، ونسبة المسلمين إلى أكثر من ١٠٪. فهي ثانية دول العالم مساحة، والأولى سكاناً. وتضم أنهاراً كبرى يتكاثف على ضفافها السكان مثل هوانغ هو في الشمال، ويان سي كيانغ في الوسط، وسيكيانغ في الجنوب[١].

وتتكون من مجموعات من العناصر، وتتعدد بها اللغات، وقد سادت لغة مندرين في الآونة الأخيرة، وأصبح يتحدّثها أكثر من نصف السكان، ويعيش أكثر من ٨٥٪ من السكان فوق مساحة تقل عن ٣٠٪ من أرض الصين[٢].

ولا تخلو ولاية في الصين من المسلمين، الذين يكثرون في الأقاليم الغربية والشمالية، وتبدأ نسبتهم بالتناقص في الولايات المتحدة لتزداد في الولايات الساحلية. وأما الأقاليم الاسلامية فهي :

أولاً : التركستان الشرقية : والتركستان موطن الترك الأصلي بلاد واسعة في وسط آسيا، تشكل جزءاً كبيراً من ديار الاسلام، تقاسمتها الصين وروسيا، فأخذ الروس قسمها الغربي وعرف بالتركستان الغربية، في حين أخذت الصين قسمها الشرقي وعرف بالتركستان الشرقية ويسميها الصينيون حالياً سينكيانغ أي المقاطعة الجديدة، ومساحتها ١,٧١٠,٧٤٥كم٢ تشكل صحراء تاكلامان منها ٦٤٧,٢٢٠كم٢، وهي أكثر صحارى العالم جفافاً، وتنعدم فيها الأمطار تقريباً، ويختفي النبات وتستحيل الحياة عدا ما كان في بعض الواحات عند مخارج الأودية. ويجري فيها نهر تاريم الذي يبلغ طوله ١٥٠٠كم وتسمح غزارة

---

(١) حسن أبو العينين ــ آسيا الموسمية ص ٤٢٦.

(٢) نفسه ص ٤٢٦.

مياهـه باجتيـاز هذه الصحـراء . ويتشكل هذا النهر من ذوبان الثلوج المتراكمة على الجبـال ومن جداول صغـيرة تقـوم عليهـا المـدن مثل مدينة يارقند وكاشغر وآقصـو وغـير هـا وأحيـانـاً تتبخر المياه قبل أن تصل إلى النهر، ويصب نهر تاريم أخيراً في بحيرة لوب نور في الشرق[1] .

ويقـدر عدد سكـانها بثمانية ملايين نسمة ٩٥٪ منهم مسلمون والباقي من الصينين البوذيين والروس النصارى وأشهر مدنها :

أ ــ اورومجي وهي العاصمة وتسمى اليوم (تيهوا) .

ب ــ كاشغر التي فتحها قتيبة بن مسلم الباهلي عام ٩٦هـ وتسمى اليوم (شوفو) .

جـ ــ يارقند ــ وتسمى حالياً (سوجي) .

وقد تغيّرت أسماء المدن بعد الحكم الشيوعي في الصين لقطع الحاضر عن الماضي ، وعُدّ تاريخ المنطقة بدءاً من تطبيق النظام الشيوعي عليها ، ونسب إلى المـاضي كل صفـات السـوء من جهـل وفسـاد واختـلال لنظـام الأمن وانتشـار الخـرافـات والعقائد الباطلة التي صنعتها البرجوازية وأطلق عليها اسم الدين[2] (بزعم الشيوعية) .

وبلاد التركستان الاسلامية تربي الأغنام والماعز والياك في السفوح الجبلية والأبقار في الواحات والجمال ذات السنامين في قلب الصحراء ، وتدل الدراسات الجيـولـوجيـة على قلتهـا على وجـود كميـات كبيرة من الفحم الحجري والنفط واليـورانيـوم والـرصاص وغيرها من المعادن الهامة[3] . كما أنها ذات موقع تجاري وفيهـا ممرات وطـرق عالميـة خاصـة في حوض زونغـاريـة ، أشهرها طريق الحرير وبوابة زونغارية .

فتـح هذه البـلاد قتيبـة بن مسلم الباهلي عام ٩٦هـ/ ٧١٤م وراسل منها ملك الصـين . وأصبحت جزءاً من ديـار الاسـلام إلى اليـوم وكـانت حاضـرتها

---

(١) محمود شاكر ، تركستان الصينية ص ٢٨ .

(٢) المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص ١٨ .

(٣) نفسه ص ١٥ .

كاشغر وانتشرت فيها اللغة العربية وأنجبت علماء أجلّاء مثل سديد الدين كاشغري ومحمود كاشغري أيام الدولة العباسية. ووقعت تحت الاحتلال الصيني في عهد الأسرة المنشورية في القرن الثامن عشر الهجري وشهدت البلاد عدة انتفاضات اسلامية للتخلص من الحكم الصيني كما سيأتي.

ثانياً : **كانسو** : وهي متمّمة للعالم الاسلامي، تجاور التركستان الشرقية ومساحتها ٣٧٦,٠٠٠كم[٢]، وسكانها **١٣** مليون نسمة ٨٠٪ منهم مسلمون وعاصمتها مدينة لان تشو وتسمى اليوم كاولان. وقد فصلت عن كانسو مدينتان هما: هوتشيو وسينينج وضمتا إلى التبت في محاولة لتجزئة المناطق الاسلامية وإذابة بعضهم في مجتمعات يغلب فيها غير المسلمين.

والمسلمون في ولاية كانسو هم الاويجور المغول أحفاد جنكيز خان، ويسميهم الصينيون هواي هو، أما هم فيؤثرون اسم كياومن أي أهل الدين.

ثالثاً : **نينج هسيا** : وكانت في الأصل جزءاً من ولاية كانسو، ومساحتها ٦٦,٥٠٠كم[٢]. وعدد سكانها **٢** مليون نسمة **٧٥**٪ منهم مسلمون.

رابعاً : **ستشوان** : وهي تجاور ولاية كانسو، وقد فصل جزء من الأخيرة. وضمّ إلى هذه الولاية فأصبح عدد المسلمين حوالي **٥** ملايين يكونون ٨٪ من سكان الولاية فقط.

خامساً : **يونان** : وهي ولاية جبلية تبلغ مساحتها ٤٣٧,٠٠٠كم[٢]

ويزيد عدد المسلمين فيها على السبعة ملايين الذي يقدرون به، إذ يخفي المسلمون هناك أنفسهم وعددهم الحقيقي خوفاً من السلطات الحاكمة ويعرفون باسم بانطي، وما فتئوا يحرمون الأفيون فيما بينهم. وأشهر المدن: يونّان حاضرة الولاية وتسمى اليوم كون مينج.

سادساً : **شي** : ومساحتها ١٩٦,٠٠٠كم[٢] وسكانها **٢١** مليون نسمة يشكّل المسلمون حوالي ٤٠٪ منهم وأهم مراكز تجمع المسلمين مدينة سنجان وكان فيها سبعة مساجد.

سابعاً : شانسي : ومساحتها ١٥٧,٠٠٠كم٢ وعدد سكانها ١٨ مليون نسمة، يشكل المسلمون فيها ٢٠٪ وهم داخل المدن الكبرى.

دخول الاسلام إلى الصين وانتشاره :

وصل الاسلام إلى الصين بالطرق التالية :

أولاً : طريق الفتح والجهاد :

بلغت الجيوش الاسلامية أطراف الصين عبر الطرق البرية إبّان خلافة الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ) وأرسل الحجاج بن يوسف والي العراق آنذاك قتيبة بن مسلم الباهلي على رأس جيش اسلامي كبير خرج من سمرقند سنة ٩٣هـ/٧١١م ودخل كاشغر سنة ٩٦هـ/٧١٤م في التركستان الشرقية، التي أصبحت من ديار الاسلام، وهناك بعث امبراطور الصين إلى قتيبة يسأله عن حاجته فأرسل قتيبة عشرة رجال يخيّره بين الاسلام أو دفع الجزية أو الحرب. فقال لهم الامبراطور: قولوا لقتيبة ينصرف فإني قد عرفت حرصه وقلة أصحابه، وإلّا بعثت إليكم من يهلككم ويهلكه. فقال له هبيرة بن الشمرج الكلابي : «وكيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون؟ (يعني حوض البحر المتوسط). وكيف يكون حريصاً من خلف الدنيا قادراً عليها وغزاك؟ وأما تخويفك إيانا بالقتل فإن لنا آجالاً إذا حضرت فأكرمها القتل، فلسنا نكرهه ولا نخافه..»[1].

واختار امبراطور الصين الموادعة ودفع إتاوة للمسلمين وبذلك بدأت الدعوة تتسرّب إلى الصين من جهة التركستان الشرقية بالدعاة والتجارة وعرف هذا بطريق الحرير. كما أن للجوار أثر في تسرب الدعوة في غربي بلاد الصين. وحينما حاول الصينيون اغتنام الفرصة عندما انتقلت الخلافة إلى البيت العباسي فهاجموا تركستان الاسلامية هزمهم المسلمون سنة ١٣٤هـ/٧٥١م[2] وبقيت البلاد التركستانية في دائرة بلاد الاسلام ودياره.

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٤ ص١٣٦، الطبري - تاريخ. ج٥ ص٢٧٠.
(٢) نفسه ج٤ ص٣٤٣.

ثانيا : عن طريق الجند المسلمين الذين استقروا في الصين :

فقد طلب الامبراطور الصيني سوتسونغ نجدة المسلمين ضد أحد الثوار فأرسل له أبو جعفر المنصور الجند حوالي سنة ١٣٩هـ/٧٥٦م، وأعاد الامبراطور إلى ملكه بعد أن كاد يذهب من يده، واستقر هؤلاء الجند وتزوجوا من صينيات وتولدت منهم طبقة خاصة كانت نواة للمسلمين داخل الصين[١].

ثالثاً : عن طريق التجارة والدعاة في المناطق الساحلية :

قبض المسلمون على ناصية التجارة الدولية في الشرق والغرب وخاصة في القرن الثالث والرابع الهجريين. فوصلوا موانيء الصين التجارية وخاصة كانتون (الخنساء)[٢] في القرن الأول الهجري، وعرف أول مسجد هناك بالمسجد ذي المنارة، ومدينة تشانج تشوي، وآموي، وهانج تشوشانغهاي وغيرها من المدن. وكانت التجارة وسيلة مهمة لنشر الدعوة الاسلامية فكان التاجر نفسه داعية أو يسير الداعية في ركاب التاجر. وكوّن المسلمون من العرب والايرانيين مستوطنات تجارية في هذه المدن الساحلية كان يطلق عليهم أهل الصين هوي هوي أو خوي.

رابعاً : عن طريق الدعوة في المناطق الداخلية :

تذكر الروايات الصينية أن ملك الصين وهو الثاني من أسرة تانغ أرسل وفداً إلى الرسول ﷺ يطلب منه بعثة لنشر الاسلام في الصين فأجابه إلى طلبه وبعث ثلاثة من الصحابة توفي اثنان في الطريق ووصل الثالث فأكرمه وأحسن ضيافته وبنى له مسجداً في العاصمة، وتبعاً لهذه الرواية وروايات أخرى غيرها يكون الاسلام قد وصل الصين عن طريق الدعاة في عهد الرسول ﷺ . كما يذكر مؤلف التاريخ الصيني في جامعة بكينغ[٣] أن أول وفد من الدولة الاسلامية إلى الدولة الصينية أوفد عام ٦٥١م زمن الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وتتابعت الوفود الاسلامية إلى الصين فبلغت من سنة ٣١هـ - ١٨٤هـ ٢٨ بعثة[٤]، كما بلغت حتى سنة ٦٠٤هـ حوالي ٧٦ وفداً. وكان ملوك الصين

(١) حاضر العالم الإسلامي ج٢ ص٢٤٧ ارتولد. الدعوة إلى الإسلام ص٣٣٢.
(٢) ابن بطوطة ص٧٢٨ ج٢ طبع مؤسسة الرسالة.
(٣) وهوجين بون / محمد مكين ـ المسلمون في الصين ص٨.
(٤) بدر الدين حي ـ تاريخ المسلمين في الصين ص١٧.

يحترمون هذه الوفود ويقدرون الدعاة.

خامساً: عن طريق تولي بعض المسلمين حكم الولايات:

كان ملوك الصين يحبون المسلمين لما ظهر منهم من الأمانة والذكاء والولاء والشجاعة والعزيمة. فيشملونهم بالعناية والرعاية فظهر من المسلمين قادة وأمراء عظام أشهرهم:

أ ــ شمس الدين عمر (واسمه الصيني هسين يانغ) المشهور بالسيد الأجلّ. ولاه الامبراطور الصيني أوغوناي (**٦٢٨-٦٤٠هـ/ ١٢٣٠-١٢٤٢م**) ثلاث ولايات هي: فونغ وتسينغ ويون ناي ثم استدعاه إلى بكين وعهد إليه بمنصب عالٍ. ولما تولى السلطان نانغو (**٦٤٩-٦٥٨هـ/ ١٢٥١-١٢٥٩م**) عهد إليه بإدارة ست نظارات، ثم جعله مديراً عاماً لمقاطعة يان كينغ فأحسن الإدارة، فعهد إليه بنظارة الإستخبارات. فلما تولى السلطان قوبيلاي أعطاه رتبة الوزارة وجعله عضواً في مجلس أمانة السرّ الأعلى. ثم ولاه يونّان سنة **٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م** وكانت في غاية الانحطاط والبلاد خراباً فنشر العلم وبنى المدارس واعتنى بتهذيب الأخلاق وعمارة الأرضين فمهد الطرق وبنى المعابر والجسور والسدود، وأزال المغارم والمظالم وأبطل السخرة وشيّد ملاجيء للأيتام والعجزة وخفف المكوس وحفر الآبار وأقام الأسواق، وعمر المساجد للمسلمين والمعابد للكونفوشيوسيين وضمت ولايته عشرين مقاطعة[1] ساد فيها العدل وفاضت الخيرات وعمرت البلاد وصار يقال هنيئاً لبلاد يونان.

وتوفي السيد الأجل سنة **٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م** فبكاه أهل يونان كما يبكي الأولاد أباهم، وحكم أولاده وأحفاده المقاطعة حتى مطلع القرن العشرين وقلدوه في توطيد دعائم الدين الاسلامي في الصين، وحصل أحد أحفاده سنة **٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م** على اعتراف من الامبراطور بأن الاسلام هو الدين الحق الخالص. وظل الاسلام يحتفظ بهذا الوصف حتى قيام الثورة الشيوعية

---

(١) حاضر العالم الاسلامي ج ٢ ص ٢٣١.

هناك[1]. فكان لذلك أثر كبير في انتشار الاسلام في الصين. وأصبحت يونّان مقاطعة اسلامية.

ب ـ القائد جين هو: (تشنج هو): وهو مسلم صيني من ولاية يونان أرسله امبراطور الصين حوالي سنة ٨٦١هـ/ ١٤٥٦م قائداً لأساطيل الصين المؤلفة من ٣٧ ألف بحار إلى جزائر الهند الشرقية وسيلان وسواحل الهند الجنوبية والعراق وسواحل جزيرة العرب وساحل إفريقية الشرقية. وفي إحدى رحلاته وصل مالندي في شرق افريقية وكان أحد الدعاة. أسلم على يديه الكثير من الصينين.

سادساً: عن طريق اسلام الأويغور:

وهم قبيلة جنكيز خان المغولية ـ في مقاطعة كانسو ومنغوليا وما جاورها أي في القطاع الشرقي والشمالي من الصين.

المسلمون في الصين تحت حكم الأسر المتعاقبة:

اكتسب المسلمون ثقة الملوك الصينين والشعب الصيني لما كانوا يتمتعون به من خلق وأمانة ونظافة واستقامة فنالوا الإعجاب والمودة، وعاشوا في الصين حوالي الألف عام دون منغص. وهذه رحلة موجزة تبين أوضاعهم:

١ ـ **أسرة تانغ**: وعاصرت هذه الأسرة بداية الدعوة الاسلامية والعهد الأموي والعباسي وانتهى حكمها سنة ٢٩٥هـ/ ٩٠٧م: وتبادلت البعثات مع المسلمين فوصلت بين ٣١-١٨٤هـ/ ٢٨ بعثة منها ١٦ بعثة أطلق عليها الصينيون الداشي أوتاشيش وأضيفت إليها عبارة أصحاب الملابس البيضاء وهي إشارة إلى البعثات في عهد الأسرة الأموية، و١٢ بعثة أطلقوا على أصحابها اسم (الداشي) أصحاب الملابس السوداء، وهذا يعني أنها كانت في العصر العباسي[2]. كما استقرت بعض الجماعات المسلمة من التجار والعلماء على ساحل الصين الجنوبي في منطقة خوان فو (كانتون حالياً) أو الخنساء.

---

(١) الاسلام الفاتح ص ٦٦، وانظر عن دور أولاده وأحفاده: حاضر العالم الاسلامي ج ٢ ص ٢٣٢-٢٣٦.

(٢) بدر الدين حي ـ تاريخ المسلمين في الصين ص١٧. وانظر د. فيصل السّامر والأصول التاريخية للحضارة العربية الإسلامية في الشرق الأقصى ص١٢٠.

ووصل المسلمون إلى عاصمة تشانغ آن وأخذوا ينتشرون في مناطق متعددة. وقد زار ابن وهب الصين سنة **٢٥٩** هـ وكتب عن أحوال المسلمين بها[١].

واهتم حكام هذه الأسرة برعاية المسلمين واحترامهم. فقد نقل القلقشندي عن الشريف حسن بن الجلال السمرقندي وكان من السفار ومن جال الآفاق ودخل الصين وجاب آفاقه وجاس خلاله أنه قال:

«إن من عجائب ما رأى في مملكة القان (أي الخان) أنه مع كفره في رعاياه من المسلمين أمم كثيرة وهم عنده مكرمون محترمون، ومتى قتل أحد الكفار مسلماً قتل القاتل الكافر وأهل بيته ونهبت أموالهم وإن قتل مسلم كافراً لا يقتل به بل يطلب بديته، ودية الكافر عندهم حمار لا يطلب بغيره»[٢]. وقد تحدث عن المسلمين سليمان التاجر السيرافي الذي سافر إلى الصين أكثر من مرة في كتاب سلسلة التواريخ واشترك معه أبو زيد من أهل البصرة، وفي هذا الكتاب صور كاملة لحياة المسلمين في الصين في النصف الأول من القرن الثالث الهجري[٣].

٢ ــ أسرة سيونغ ٢٩٥-٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م : في عهد هذه الأسرة بلغت قوة المسلمين ونفوذهم حدّاً جعل حكام تلك الأسرة يقرون المسلمين على من يختارون من ولاة المسلمين عليهم، وأصبحت لهم حقوق وامتيازات خاصة، فتولوا المناصب التي تتطلب أمانة كبيرة، ومن ذلك أنه عندما استحدث منصب مدير عام للملاحة في مدينة كانتون كان هذا المنصب قاصراً على المسلمين وحدهم. ولكنهم بقوا في عزلة عن الصينين شيدوا لهم أحياء خاصة في كل مدينة كبيرة وميناء بحري وأسست لهم مساجد ومدارس خاصة. وأدّى نشاط المسلمين التجاري إلى انعاش الاقتصاد الصيني فتمتعت جاليات المسلمين بتأثير كبير في المجتمع الصيني. وازدهرت كانتون وتشوان شو كمنطقتين اسلاميتين ومن أشهر الآثار الاسلامية بها مسجد ذكرى النبي ﷺ في كانتون، ومسجد الطّاهر في تشوان شو وفي هذا المسجد حجر مكتوب فيه اسم مؤسسه وهو تاجر عربي

---

(١) نفسه ص ٢٠، الكتاني ص ١٣، وانظر حاضر العالم الاسلامي ج ٢ ص ٢٤٥.

(٢) حاضر العالم الاسلامي ج ٢ ص ٢٢٥.

(٣) من رحلات العرب ــ إصدار مؤسسة ناصر الثقافية ــ بيروت ص٢٢.

يدعى عجيب مظهر الدين، وقدم إلى هذه المدينة سنة **٥١٥هـ**.

وظهـرت جاليـة اسـلامية في مدينة هانغ شو، وزار ابن بطوطة هذه المدينة ووصفهـا ووصف أحـوال المسلمـين بها، كما انتشـر الاسـلام في منطقة يانغ تشو ووجدت جالية اسلامية في تشانغ إن وكانت للمسلمين مدارسهم ومساجدهم وأنشطتهم[1]. برعاية هذه الأسرة.

٣ ــ أسـرة يوان ٦٧٩ـ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م : وهي الأسـرة التي أسسهـا جنكيز خان المغولي الذي احتلت جيوشه الصين ومعظم بلدان الاسلام. وبعد وفاته كانت الصين من نصيب قبلاي خان وأبنائه من بعده. وقد انتشر الاسلام بين المغول فأسلم الأويغور، وكان ملوك هذه الأسرة لا يثقون إلّا بالمسلمين وقد انتقلت أفواج كثيرة من المسلمين من العلماء والأطباء وقواد الجيوش الذين كانوا محل ثقـة المغـول. فسهـل بذلك انتشار الاسلام بين الصينين أنفسهم، وأصبح للمسلمـين نفـوذ كبير، فظهر منهم السيد الأجل السالف الذكر وأبناؤه وأحفاده الـذين تولـوا منـاصب مهمـة في الدولة. وبرز حسن يوحينغ نائب رئيس الوزراء وشاه يوجنيغ نائب ثان لرئيس الوزراء وبدر الدين يوحينغ نائب ثان، وظهير الـدين[1] والعـديـد من المسلمـين حتى وصـل عددهم إلى ثلاثين شخصاً كانوا يحتلون مراكـز القـادة والـوزراء في البلاط الملكي. فيذكر المؤرخ الفارسي رشيد الدين في كتابه جامع التواريخ :

«ان في عهد دولة قبلاي خان المغولية كانت الصين مقسمة إلى أثني عشر مقـاطعـة على رأس كل مقـاطعـة والٍ ونـائب له. فكان ثمانية من هؤلاء الولاة مسلمين. وكذلك كان نواب المقاطعات الأربع الأخرى مسلمين».

وفي هذه الفترة زار الرحالة ابن بطوطة الصين وكتب عن المسلمين بالصين فيقول في الجزء الثاني من رحلته :

«وفي كل مدينـة من مدن الصـين مدينـة للمسلمين ينفردون بها بسكانهم ولهم فيهـا المسـاجـد لإقـامة الجمعات وسواها وهم معظمون محترمون... وإذا

(١) الكتاني ص ١٣. وانظر تحفة النظار ج٢ ص٧١٧.

(٢) بدر الدين حي ــ تاريخ المسلمين في الصين.

قدم عليهم المسلم فرحوا به أشدّ الفرح وقالوا جاء من أرض الاسلام وله يعطون زكوات أموالهم فيعود غنياً كواحد منهم»[1].

٤ ـ **أسرة منغ ٧٧٠ـ١٠٤٥/ ١٦٤٤م** : بلغ الاسلام في هذه الفترة أوجه في الصين، وازداد المسلمون ثراء ونفوذاً، وأسلم عدد كبير من أهل الصين وحافظوا على التقاليد الاسلامية وظهرت أسماء صينية مثل « ما » اختصاراً لمسعود أو محمد، و« حا » اختصاراً لحسن و« نا » اختصاراً لنصر الدين وهكذا. واكتسب الاسلام كثيراً من الصينيين بالمصاهرة بين الأسر المسلمة من أصل عربي أو إيراني أو تركي وبين الأسر الصينية.

ولما كان للمسلمين دور بارز في تأسيس هذه الدولة فقد ذهب كثير من المؤرخين إلى القول انها كانت اسلامية حيث أن مؤسسها لم يُرَ في معبد وثني قط منذ استلامه الحكم، كما أنه منع شرب الخمر في جميع أنحاء الصين. وأمر ببناء جامع في نانكين ونظم قصيدة مكونة من مائة كلمة في مدح الرسول ﷺ نقشها على جدار مسجد نانكينغ الأعظم لاتزال إلى اليوم. واستخدم حكام هذه الأسرة التقويم الهجري رسمياً في الدولة. وقد انتقد الملك العاشر من هذه الأسرة وهو: (أوتسونغ) أديان الصين قائلا :

«ان الكونفوشيوسية تكفي معالجة المصالح في عالم الشهادة، وتقصر عن كشف الأسرار في عالم الغيب، وأما البوذية والطاوية فكأنهما تكشفان حجب الغيب ولكن لا تفيدان الرجوع إلى الفطرة فإن كل واحد من هذه الأديان منحرف إلى جانب واحد، بخلاف الاسلام فإنه دين يعرف به الخالق وينبني على القواعد المعقولة، فلا جرم أن يبقى مادامت السماوات والأرض»[2].

وكان معظم رجالات الدولة في عهد هذه الأسرة من المسلمين ومن أبرزهم : تشانج يو القائد، والحاج جيهان (جنهو) وهو أكبر بّحار يفتخر به تاريخ الصين القديم قام بعدة رحلات إلى ساحل الجزيرة العربية وبلاد الفرس وشرق

---

(١) حاضر العالم الاسلامي ج ٢ ص ٢٢٦ـ٢٢٧. تحفة النظار ج٢ ص٧٢٢.
(٢) محمد مكين ص ٢٣.

افريقيا سنة ٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م[١].

وقد طمع المسلمون في اسلام الامبراطور هونج وو الذي منح المسلمين امتيازات كثيرة وشجعهم على انشاء المساجد فكتب إليه أحدهم وهو الشاه رخ بهادور سلطان التركستان خطابين طويلين يدعوه فيهما إلى اغتنام السعادة بالدخول في دين الله[٢].

وقد شق الاسلام طريقه خلال ألف عام ببطء شديد بين الصينيين وبقوة، مراعياً صفات الصينيين الذين يتصفون بالبطء والدقة والمحافظة على القديم. وقد أحبوا الاسلام وأحبوا المسلمين فلمسوا فيه الفطرة، فقد اشتهر المسلمون بالتجارة والكدّ والنظافة والتعاون والأمانة ولذلك كانوا مميّزين عن الصينيين وحالهم أجمل وأزين، وكثيراً ما كانوا يأخذون أولاد الفقراء من الوثنيين ويربونهم في حجر الاسلام خصوصاً عند حصول المجاعات. وكانوا يجمعون الزكاة في صناديق لكل بلد ينفقون منها في شدائدهم ويشدون بها عوز محاويجهم، فتجد المعدمين منهم قليلين، وعندهم الحنان والرأفة، وبسبب تجافيهم الأفيون وأنواع المسكرات كانت أجسامهم أحسن من أجسام غيرهم ـ فكانوا يفوقون الصينيين صورة ومعنى. فلذلك كثر العساكر المسلمون واعتمد عليهم الملوك كقادة وأمراء وأكثروا من بناء المساجد، والمساجد في الصين على شكل معابد الأديان الصينية التي هي على شكل السرايا الملكية، ولم يسمح بتقليده لأهلها إلّا لاحترامها، فكانت حرمة المساجد في قلوب الصينيين لا تقل عن حرمة معابدهم. ولا توجد المآذن إلّا في مساجد القرى التي لا يسكنها إلّا المسلمون والسبب في ذلك أن الكونفوشيوسيين يعتقدون أن البناء الأعلى يذل الأبنية الوطيئة ويشقيها ولذلك فإن منازلهم متساوية الإرتفاع.

وفي المساجد أروقة للإدارة والتدريس وسكن للطلبة والمسافرين[٣].

وفي عهد هذه الأسرة وصل البرتغاليون إلى الصين سنة ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م.

---

(١) بدر الدين حي ص ٣٦، الاسلام الفاتح ص ٧٠.

(٢) انظر نص الخطابين، أرنولد ص ٣٣٧ـ٣٣٨.

(٣) حاضر العالم الاسلامي ج ٢ ص ٢٢٧ـ٢٢٨.

وبانتهاء هذه الأسرة انتهى العصر الذهبي للمسلمين في الصين، وأخذ دورهم يؤول إلى إنحدار.

٥ ــ أسرة شينغ : الأسرة المنشورية : ١٠٥٤-١٣٢٩هـ (١٦٤٤-١٩١١م) : في عهد هذه الأسرة اشتدت الهجمة الصليبية على عالم الإسلام، فوصل الأوروبيون الصين، ووجدوا الاسلام يتغلغل في البلاد، فخافوا أن تتحول إلى دار إسلام، فبعثوا البعثات لدراسة الواقع في الصين ووضع الخطط للحدّ من نفوذ الاسلام وانتشاره، فقد بعثت روسيا مرة بعثاً علمياً جال في الصين وجاب آفاقها واطلع على دخائل أمورها فكان من جملة ما قرره تحذير روسية من مستقبل الاسلام في تلك البلاد، لا لأنه ينمو ويتقدم، بل إذا أخذ يوماً بزمام الدولة انقلبت هيئة الشرق الأقصى انقلاباً عظيماً، لأن الصين اسلامية ليست كالصين وثنية[1].

ولما لم يكن الصليبيون يتمكنون من بسط سلطانهم على هذه البلاد الواسعة العظيمة، لذا لجأوا إلى أسلوبين من الدس والوقيعة لتحطيم الاسلام داخل هذه البلاد :

أ ــ فأثاروا في المسلمين روح الثورة والتمرد على الحكام الصينيين وأمدوهم بالمال والسلاح إلى حدّ ما. ففصلوا بذلك المسلمين عن أهل الصين وعزلوهم في محيط واسع في صراع غير متكافيء على المدى الطويل، وحدّوا بذلك من انتشار الاسلام.

ب ــ وأوحوا للامبراطور وأهل الصين بخطر المسلمين وأنهم يتحينون الفرص للانقضاض على الدولة وحكمها. فأوغروا الصدور على المسلمين[2]. فقضوا على نفوذ المسلمين وأذاقوهم الأمرّين، وتسلط عليهم الصينيون، وانعزلوا عن العالم الاسلامي وخاصة بعد أن تقلص نفوذ المسلمين التجاري وامتلك الصليبيون ناصية البحار.

---

(١) نفسه ج ٢ ص ٢٢٩.

(٢) انظر ما جاء في الانسكلوبيديا الاسلامية من تحريض الدولة على المسلمين. حاضر العالم الاسلامي ج ٢ ص ٢٧٧-٢٤١، وانظر تعليق الأمير شكيب على ذلك ج ٢ ص ٢٤١-٢٤٣.

فقام المسلمون بثورات متعددة أدت إلى نقصان أعدادهم وتشريدهم وتقليص نفوذهم. وكانت هذه الحقبة التي امتدت ثلاثة قرون من أسوأ ما مرّ على المسلمين على مدى تاريخهم في الصين خسروا فيها ربع عددهم[1]. ولا يضاهيها إلاّ وضعهم تحت الحكم الشيوعي، وأثّر ذلك عليهم في مختلف النواحي فوقعوا في الفقر والجهل، وأصاب دينهم بعض التحريف لعزلتهم الطويلة فراجت عمليات الأضرحة والقبور والأولياء والتوسل إلى الله بالبشر. فقام بعض المصلحين كالشيخ نوح ماكويوان الذي يعرف عند الصينيين باسم كويوان أي الحاج بستاني ـ وكان قد أدّى فريضة الحج عام **١٣١٢**هـ/ **١٨٩٤**م وتأثر بتعاليم الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي رأي فيها مخرجاً لانقاذ المسلمين في الصين مما علق بدينهم من بدع وشوائب ـ فمضى يدعوإلى رسالته في ضرورة العودة إلى الدين الخالص ووضع برنامجاً من **٣٠** نقطة لتحقيق هذا الهدف. وكان من نتيجة ذلك أن عاد المسلمون لبعض الاتصالات بالعالم الاسلامي.

وعندما فكّر السلطان عبد الحميد بفكرة الجامعة الاسلامية فكر بالاستفادة من مسلمي الصين باسم الخلافة، فأرسل عام **١٣١٨**هـ/ **١٩٠٠**م أحد القادة وهو أنور باشا لهذه الغاية فأخفق[2]، ثم التمس منه مفتي بكين ارسال بعثة اسلامية إلى الصين فأرسل اثنين هما: حسن حافظ وعلي رضا، فأسسا مدرسة كان فيها **١٢٠** طالباً وأقبل المسلمون عليها لا لكونهما قادمين من قبل خليفة المسلمين لأنهم لم يكونوا يعرفون هذا الأمر وإنما احتفلوا بهما لأنهما آتيان من الآفاق التي ظهر فيها النبي ﷺ . وبعث الداعيان روح الانضمام إلى الخلافة ورفعا العلم العثماني وزارا الحواضر الاسلامية ونشرا الجرائد الاسلامية بالعربية والتركية. ولكن الحكومة الصينية وقفت موقف العداء لهذا الاتصال فاضطرا إلى مغادرة البلاد[2].

---

(١) نفسه ج ٢ ص ٢٤٠.

(٢) حاضر العالم الاسلامي ج ٢ ص ٢٣٧.

وعملت الدولة المنشورية على استغلال ضعف المسلمين فهاجمت تركستان وبدأت تستولي عليها جزءاً جزءاً فما تركوا نقطة إلّا وكانت تحت اشرافهم ومراقبتهم وتسللوا إلى الحياة الاقتصادية من صناعة وتجارة في جميع أنحاء المصر[1]. خلال القرن الثاني عشر الهجري.

قام المسلمون بعدة انتفاضات في التركستان والمناطق الأخرى الاسلامية في الصين ومن أهم هذه الانتفاضات:

١ ــ ثورة سوسيان في ولاية كانسو سنة **١١٧٢**هـ/ **١٧٥٨**م.

٢ ــ ثورة مامنسين فى ولاية كانسو أيضا سنة **١١٨٢**هـ/ **١٧٦٨**م.

٣ ــ ثورة جنقع في تركستان الشرقية واستمرت عامين **١٢٤١-١٢٤٣**هـ **١٨٢٥-١٨٢٧**م.

٤ ــ ثورة سليمان دو ونشيو في ولاية يونان **١٢٧٢-١٢٩٠**هـ **١٨٥٥-١٨٧٣**م.

وقد انتصر فيها المسلمون انتصاراً أذهل الحكومة الصينية فمالت إلى أعمال الحيلة والدسائس وجاذبت زعماء الثورة بالرشوة والأمانيّ وأدرت عليهم العطايا الوافرة سرّاً وولتهم الأعمال الخطيرة فتمكنت من القضاء عليها[2].

٥ ــ ثورة يعقوب بك: **١٢٧٢-١٢٩٢**هـ **١٨٥٥-١٨٧٥**م.

ومقره مدينة كاشغر وكان المحرك الديني لها هو الزعيم الديني باي ين هو، وبدأت عام **١٨٥٥**م وكتب لها النصر وأعلنت تركستان دولة مستقلة سلطانها يعقوب بك واستمرت ثلاث عشرة سنة. وركن المسلمون ولم يقوموا بمساعدة إخوانهم الثائرين في كانسو وشانسي بقيادة (ما هو الونغ) ونتيجة لذلك استطاعت الصين أن تقضي على هذه الثورة عام **١٨٧٢**م. وفتكت بالمسلمين وأنزلت بهم الويلات فسيطرت على كانسو وشنسي ثم زحفت على معاقل تيان شان عام **١٨٧٤**م وهاجمت زونغارية، ودخلت كاشغر، فانهزم الزعيم الديني

---

(١) محمود شاكر ــ تركستان الصينية ص ٤٠.

(٢) انظر بالتفصيل ــ حاضر العالم الاسلامي ج ٢ص ٢٨٨.

إلى الـروس واستشهـد يعقـوب بك، واخضعت البـلاد وتولت إدارتها فجعلت على كل من مدن تركستان الكبيرة مفوضاً امبراطورياً وقائداً عسكرياً. وقد قدر عدد الذين هلكوا بالملايين خلال هذه الثورة(١).

والغريب أن الدولة المنشورية استخدمت المسلمين لضرب بعضهم بعضاً وفتكت بالعـديـد منهم. فكـان في جنـود الجنـرال تونـغ فوسيـانـغ عدد كبير من المسلمـين حتى ظنـه الأوروبيـون مسلماً. (وهو الذي تزعم ثورة البكسر الشهيرة على الأوروبيين عام ١٩٠٠م) والحقيقة كما يقول الأمير شكيب ارسلان: «كان أعـدى أعـداء الاسـلام وانـه من شدة خبثه ومكره ضرب بعضهم ببعض وأوقع بأسهم بينهم لاسيما بواسطة القائد المسلم مغان لنج الذي فتك كثيراً بأبناء ملته(٢). وقد بلغ عدد الجنود المسلمين في الجيش الصيني نحو نصف مليون منهم ٥٠٠ ضابط(٣).

وفي فترة الحكم المنشـوري ظهـرت أول ترجمـة لمعـاني القرآن الكريم سنة ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م(٤). وبقي الاسـلام رغم الاضطهـاد أحـد أديـان الصـين الكبرى فقد بلغ عددهم قبل الحرب الأولى نحو ٥٠ مليون نسمة(٥).

٦ ــ المسلمون في عهد الصين الوطنية ١٣٢٩-١٣٦٧هـ ١٩١١-١٩٤٨م:

أعلن مؤسس جمهـوريـة الصين الوطنية صن يات صن أن الأمة الصينية تتكـون من خمسـة شعـوب هي: الهـان، والمانشو، والمنغ، والهوي (المسلمين)، والتسانج. وأعطى هذه الشعوب الخمسة حق المساواة وأعلنت الجمهورية الحرية الـدينيـة في القـانون الأساسي الذي أعلن سنة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٣م وبعد ذلك نشرت الحكومة وصايا أدبية في كتب خاصة بها:

«إن الصينيـين والمغـول والمندشو والتبتيين والمسلمين كلهم أبناء جمهوريتنا الصينيـة بدون تفـريق بين أجنـاس ولا أديان. ولكل أن يعتقد ببوذا أو عيسى أو

(١) انظر حاضر العالم الاسلامي ج ٢ ص ٢٢٩ وص ٢٣٥.
(٢) حاضر العالم الاسلامي ج ٢ ص ٢٣٥.
(٣) نفسه ج ٢ ص ٢٤٣.
(٤) بدر الدين ص ٣٦.
(٥) الاسلام الفاتح ص ٧٣.

محمد فليس للدولة ديانة رسمية بل الديانة حرة»[1]. وكان علم الجمهورية يتكون من خمسة ألوان رمز للمسلمين باللون الأبيض[2]. وعبر صن يات صن عن الظلم الذي عاناه المسلمون في قوله: «من المعلوم أن (الهوي) المسلمين كما يبدو في تاريخ الصين قد قاسوا اضطهاداً أشد من الآخرين. ولأنهم قد قاسوا أكبر المظالم وأوجع المصائب في القرون الأخيرة فمن الطبيعي أن تكون روح نضالهم أقوى وأشد..» ثم أضاف: «إنه من الصعب أن تبلغ الحركة الوطنية في الصين إلى أكبر درجة من النجاح مرحلتها الأخيرة بدون مشاركة المسلمين»[3].

كل ذلك شجع المسلمين فسرعان ما استعادوا حيويتهم ودورهم القيادي وتعاونوا مع الحكم الجمهوري، وأخذوا يتصلون بالمسلمين خارج الصين وخاصة بالأزهر في مصر، وقام علماؤهم بمحاربة البدع والدعوة إلى تصحيح الإيمان، وتأسست جمعيات عديدة تعني بشئونهم من أهمها:

أ ـ جمعية مسلمي الصين التقدمية، تأسست في بكين عام **١٣٣٠**هـ/ **١٩١٢**م وكان هدفها نشر التعليم الاسلامي واللغة العربية في المساجد والمدارس واتصلت الجمعية بالمسلمين خارج الصين، وأرسلت البعثات إلى الأزهر وأصدرت عدة مجلات اسلامية. وكان لها مراكز في تشونج كينج ونقل مركزها الرئيسي إلى نانكين، وكان لها **٢٣** مركزاً فرعياً في المقاطعات و**٤٠٠** فرعاً في المديريات و**٩٠٠** مكتباً في جميع أنحاء البلاد[4].

ب ـ جمعية المسلمين الصينية: وتأسست عام **١٣٥٧**هـ/ **١٩٣٨**م في شنغهاي وقد قامت هذه الجمعية بترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الصينية وأعطت منحاً لطلاب المسلمين للدراسة في الجامعات التركية والمصرية.

جـ ـ الجمعية الثقافية الصينية: وتأسست في شنغهاي سنة **١٣٤٤**هـ/

---

(١) حاضر العالم الاسلامي ج ٢ ص ٢٥٣.
(٢) بدر الدين ص ١٠١.
(٣) بدر الدين ص ١٣٢.
(٤) نفسه ص ١٣٦، مجلة العربي محرم سنة ١٤٠١هـ.

١٩٢٦م. وكان هدفها نشر علوم التفسير والحديث وبناء المدارس والمكتبات الاسلامية.

وقد ازدهرت المساجد في النصف الأول من القرن العشرين والحقت بها المدارس وبلغ عدد المساجد في الصين في الإحصاء الذي تم سنة ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م، ١٣٥٥هـ/ ٤٠٣٢٧ مسجداً عدا مساجد التركستان الشرقية الاسلامية كانت موزعة كما يلي :

الولايات الشمالية الشرقية ٦٥٧٠ مسجداً.
ولاية خانصو(كانسو) ٣٨٩١ مسجداً.
في يونان ٣٩٧١ مسجداً.
في ولاية شانسي ٣٦١٢ مسجداً.
في ولاية هاوبة ٢٩٤٢ مسجداً.
في ولاية هاونان ٢٧٠٣ مسجداً.
في ولاية شانتونج ٢٥١٣ مسجداً.
في ولاية سزي تشوان ٢٢٧٥ مسجداً.
في ولاية أنجووي ١٥١٥ مسجداً.
في ولاية شنسي ١٩٣١ مسجداً.
في ولاية تشنجهاي ١٠٣١ مسجداً.
في ولاية هوبة ١١٣٤ مسجداً.
في ولاية كيانجسي ١٣٠٢ مسجداً.
هذا بخلاف العديد من المساجد في الولايات الأخرى[١].

وشيدت المدارس الاسلامية بجهود ذاتية في القرى والمدن وخصوصاً في ولاية كانسو التي كانت لا تكاد تخلو كل قرية اسلامية منها. وتدرس فيها اللغتان العربية والفارسية. كما أنشأوا من تبرعاتهم أربع مدارس دينية حديثة هي : مدرسة المعلمين الاسلامية في بكين، ومدرسة المسلمين الاسلامية في شانغهاي،

---

(١) Journal Institute of Muslim Minority Vol. 1

ومدرسة المعلمين الاسلامية في سيجوان، ومدرسة الأخلاق الاسلامية الثانوية في يونانغو. وأما المدارس الحديثة وخاصة الابتدائية والإلزامية فكثيرة في كل المدن والقرى.

وفي المجال السياسي استعاد المسلمون دورهم القيادي واخلصوا للحكم الوطني بعد وفاة الدكتور صن يات صن، ففي عام ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٦م كان ما يزيد على مائة نائب مسلم في مجلس النواب وكان حكام مناطق متعددة من المسلمين مثل التركستان الشرقية وتسينغان ونينج هسيا وخانصو، كما شارك المسلمون في الوزارات الوطنية وكان منهم أول وزير للدفاع الصيني بعد الحرب العالمية الثانية، والتحق المسلمون بالجيش بأعداد كبيرة. وارتقى الكثير منهم إلى رتبة لواء بالجيش الصيني. أما في الوظائف المدنية فكان عددهم قليلاً[١].

وفي الوقت نفسه كانت حكومة الصين تعامل المسلمين بحذر وتوجس فالغت العلم الذي يرمز للشعوب الخمسة، واعتبرت شعوب الصين الرئيسية ثلاثة، والمسلمين شعباً فرعياً، وحاولت جهدها أن يندمج المسلمون من تلقاء أنفسهم في شعب الهانيين[٢]. وكانت تقف ضد المسلمين أثناء الحركات ففي سنة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م وقع صدام مسلح بين المسلمين وحاكم مقاطعة تركستان (سينكيانغ) أدّى إلى قتل عشرات الآلاف من المسلمين. وحدث صدام آخر بين المسلمين والسلطات الحاكمة في مناطق كانسوسنة ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م نتج عنه مقتل العديد من المسلمين. كما حدثت عدة صدامات بين المسلمين والسلطة في مقاطعتي ميوان وكويوان[٣].

وفي عام ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م شهدت التركستان انتفاضة اسلامية كبيرة بزعامة خوجة نياز حاجي، وتمكنوا من طرد الصينين، واقاموا دولة مستقلة، وقامت روسيا بدعم الجانبين ـ المسلمين والصين ـ للتدخل والسيطرة، وأخيراً خشي السوفييت من قيام دولة اسلامية على حدود تركستان الغربية الخاضعة لاستعمارهم، فساعدوا الصينيين في القضاء على الثورة، واعتصم المجاهدون

(١) انظر العالم الاسلامي ج ٢ ص ٢٦٥.
(٢) انظر محمد مكين ـ المسلمون في الصين ص ٥١-٥٢.
(٣) بدر الدين حي ص ١٠٢.

بالجبال، وتمكنوا من القيام بثورة أخرى شاملة انتهت بالانتصار على الجيوش الصينية والروسية واعلان تأسيس جمهورية التركستان الشرقية الاسلامية وعاصمتها كاشغر عام **١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م** وتم انتخاب خوجه نياز حاجي رئيسا للجمهورية. فقام الروس بهجوم كاسح مدعم بالطائرات وتمكنوا من احتلالها رغم بسالة المسلمين نظراً لعدم تكافؤ الفريقين في الأسلحة والمعدات. وقام الروس بشن حملة إبادة وحشية ضد المسلمين فقتلوا زعماء الثورة وكثيراً من الأهالي، واستشهد خوجه نياز. ووقعت البلاد تحت الاستعمار الروسي الذي كان أشد وطأة من الاضطهاد الصيني، ولكن المسلمين قاموا بعدة ثورات عام **١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م** وعام **١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م** وعام **١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م** واستمرت الأخيرة ثلاث سنوات انتهت بانسحاب الروس بعد أن أخذوا معهم جميع المنشآت الاقتصادية التي اقاموها في تركستان أثناء وجودهم فيها، وسرعان ما هاجمهم الصينيون واحتلوا أرضهم مرة أخرى بعد أن فقد المسلمون العديد منهم.

وفي أثناء الحرب العالمية الثانية **(١٣٥٨-١٣٦٥هـ/ ١٩٣٩-١٩٤٥م)** حاولت اليابان استغلال المسلمين لتنفيذ سياتها وخطتها في السيطرة على الصين وبالتالي على آسيا فأسست اتحاد المسلمين الصينين في بكين الذي صدرت عنه مجلة تحمل اسم «الاسلام». كما صدرت جريدة في شنغهاي باسم «نور الاسلام»، ومجلة صينية أخرى في بكين باسم: «الصراط المستقيم» تحت توجيه اليابان. وسمح للمهاجرين الصينيين المسلمين الذين كانوا يقيمون في اليابان ببناء المساجد وفتح المدارس. وفي الوقت نفسه كانت الحكومة الوطنية التي تقاتل اليابان تؤكد في دعايتها تأييد المسلمين. كما أدّعى الشيوعيون أن المسلمين يظاهرونهم في حربهم ضد اليابان، وساقوا لهم الوعود المعسولة التي زعموا أنهم يحققونها لهم غداة تسلمهم السلطة بعد الحرب الصينية اليابانية.

وبعد استسلام اليابان وخروجها من الصين اشتبكت الصين الوطنية مع الشيوعيين بزعامة ماوتسي تونغ، وتمكن الشيوعيون بعد حرب استمرت خمس سنوات من التغلب على الصين الوطنية التي انحسرت في فرموزا، وكان

المسلمون وقوداً للجانبين المتصارعين، ففر بعضهم من البلاد وبخاصة الزعماء المعروفون بعدائهم للشيوعية والذين تسلموا مناصب ذات أهمية في العهد الجمهوري السابق. ومن لم يستطع منهم الفرار لقي حتفه مع الكثير من أمثاله.

وفي أثناء ذلك شهدت تركستان عدة انتفاضات بدعم من منغوليا وروسيا[١].

٧ ــ المسلمون في عهد الشيوعيين ١٣٦٩-١٣٩٨هـ/ ١٩٤٩-١٩٧٨م :

استولى الشيوعيون على حكم الصين عام ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م بعد حرب استمرت خمس سنوات بين القوات الوطنية التي تزعمها شيانج كاي شيك، والشيوعية بزعامة ماو تسي تونغ.

وكان ماو كبير الأمل في اجتذاب الألوف حوله والاستفادة من أخطاء الدولة السابقة، فأعلن في بداية حكمه: «دعوا مائة زهرة تتفتح ودعوا مائة مدرسة مختلفة تتصارع». وأصدر بحثه عن الطريقة الصحيحة لمعالجة التناقضات في صفوف الشعب[٢]. وهذه أساليب الشيوعيين في أول أمرهم فأعلنوا التسامح مع أهل الأديان وخاصة المسلمين. ونص الدستور على حرية العبادة شأنه في ذلك شأن الدستور السوفياتي، ولكن هذه النصوص مجرد شعارات ذراً للرماد في العيون وتتلاشى عند التطبيق، فهي مرحلة مهادنة مع الاسلام امتدت حتى سنة ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م[٣].

وعقد أول مؤتمر اسلامي في ظل النظام الجديد سنة ١٣٧٣هـ، وصدرت مجلة باسم مسلمي الصين سنة ١٣٧٤هـ، وأنشيء معهد اسلامي عام ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م. والغيت الجمعيات الاسلامية وشكلت السلطات الشيوعية سنة ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م جمعية اسلامية شعبية كان من زعمائها برهان الدين الدين شهيدي حاكم سينكيانغ وسيف الدين وابراهيم وبوشنج من شنغهاي ومحمد مكين من يونّان وغيرهم. وقد افتتحت الجمعية عدداً من

(١) المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص ٢٢.

(٢) الغزالي ــ الاسلام في وجه الزحف الأحمر ص ٦٦ عن محمد عودة.

(٣) بدر الدين حي ١١٢، مجلة العربي محرم سنة ١٤٠١هـ.

الفـروع والمـراكـز التعليمية لها ونشرت كتباً كثيرة تساير الفكرة الشيوعية أو بعبارة أدق تسـايـر الفكـرة التي يعمـل لها الحكام ثم المضي في هذا السبيل بالدعاية في البلدان الاسلامية عن طريق نشر مجموعة من الرسائل والكتب باللغات العربية والانجليزية والصينية عن نشاط المسلمين في الصين بحيث يبدو وكأنهم يتمتعون تماماً بحرية العقيدة، وأنهم ينتهجون الفكرة الشيوعية إلى جانب اسلامهم. كل ذلك لخدمة النظام الحاكم وتغطية الممارسات الفعلية للشيوعيين ضد الاسلام في الـداخـل وتعتيم هذه المـمارسات، فكانت مرحلة تأميم النشاط الاسلامي بنقل إدارته وتوجيهه من الجمعيات الأهلية إلى الدولة والحزب الشيوعي.

وبدأت الشيوعية بعد ذلك تنفيذ خطتها المرسومة تجاه الاسلام والمسلمين تدريجيـاً، فقسمّت تركستـان الشـرقية إلى ٦ مناطق منذ عام ١٩٥٤م، وغيّرت اسمهـا وأسـماء كثـير من المدن والقرى بأسماء صينية[1]. واتجهت إلى عزلها عن العالم وتحويلها إلى مقاطعة شيوعية داخل الكيان الصيني. وفرضت رقابة شديدة على المسلمين التركستانيين حتى لا يصل إلى الرأي العام العالمي[2]، وتم إلغاء الجمعيات الاسلامية الواحدة بعد الأخرى، ووضعت الدولة يدها على الأوقاف ولم يعـد للمسـاجد أو المدارس الاسلامية دخلٌ إذ كانت الأوقاف موردها الوحيد فتركهـا القـائمون عليها ليضربوا في الأرض يبتغون من فضل الله، وتوقف عمل هذه المساجد والمدارس وانتهى دورها في الحياة الاجتماعية.

وأغلقت بقيـة المسـاجـد عام ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م ومنـع الأذان والصلاة الجـامعـة والصيـام والتعليم الـديني وقتـل العلماء وسجنـوا، وأخـذت الصحف الصينيـة تلمـح ثم تصـرح وتنـدد بوجـود المسـاجـد الكثيرة وتدعو إلى توظيفها لأغراض اقتصادية، فمّهد هذا لإغلاقها وتحويلها إلى مخازن أو نوادٍ أو دور للهو.

ونشطت الشيـوعيـة في أسلوب تهجـير المسلمـين بنفيهم وابعـادهم عن أراضيهم وتـوطـين الصينيـين مكـانهم في محاولات لإذابـة المسلمين في غيرهم، فتـوطن المـلايـين من غير المسلمين في المناطق الاسلامية مثل كانسو والتركستان الشرقية ويونان وغيرها. كما قاموا بتجزئة تلك المناطق وضم بعضها إلى ولايات

(١) رابطة العالم الاسلامي العدد ١٢ ص ٤٦.

(٢) نفسه ص ٤٧.

أخرى. وأجبروا المسلمين على الزواج المختلط، ونظام الكميونات «نظام المعيشة المشتركة» طبقاً للمبادىء الشيوعية فأفقروهم لدرجة المجاعة، ونتج عن ذلك تدهور أحوال المسلمين الاقتصادية والاجتماعية.

وفي عام ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م طبقّ نظام العمل الجماعي الإجباري على المسلمين وسيق أئمة المساجد والخطباء إلى المزارع والمصانع دون أية مقدمات.

ثم أنشئت المعسكرات التي حشدت شباب المسلمين فيها رجالاً ونساءً وأجبروا على الحياة فيها معاً من أجل إفساد الشباب وإبعادهم عن دينهم، وكان نتيجة ذلك أن قام المسلمون في مدينة كاشغر بعصيان عام ١٣٧٧هـ ودارت معركة ذهب ضحيتها ٣٦٠,٠٠٠ مسلم. من خيرة الشباب المسلم التركستاني[1].

ونشط الشيوعيون لتوحيد عقائد الشعب على اختلاف مللهم ونحلهم بإيجاد وحدة في المأكولات والمشروبات وعادات دفن الموتى ومراسم الزواج. . فاضطر ذلك المسلمين إلى تناول لحم الخنزير والمسكرات ودفن موتاهم في مقابر عامة وعدم الصلاة على الموتى باسم حرية الاعتقاد والعادات.

وفي عام ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م توقف المعهد الديني في بكين التابع للجمعية الاسلامية عن استقبال طلبة العلم بعد أربع سنوات فقط من إنشائه وكان النافذة الوحيدة للمسلمين لتلقي علوم دينهم. كما توقف اصدار مجلة: «المسلمون في الصين».

وفي عام ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م توقفت بعثات الحج إلى بيت الله الحرام نهائياً. ثم تلاها تهجير المسلمين بكثافة من مناطق الكثافة الاسلامية العالية إلى مناطق أخرى ووجه هذا بكفاح وجهاد في المناطق الاسلامية وخاصة التركستان سنة ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م. وتم تغيير أسماء المدن والمناطق الاسلامية. واعتبر التاريخ من بداية الشيوعية لبتر الحاضر عن الماضي.

---

(١) رابطة العالم الاسلامي عدد ١٢ السنة ٢٣ صفر ١٤٠٥هـ/ نوفمبر ١٩٨٥م ص ٤٦.

المسلمون في مرحلة الثورة الثقافية ١٣٨٨-١٣٩٦هـ/ ١٩٦٦-١٩٧٦م :

وهذه المرحلة من أشد مراحل العنف وتسمى بمرحلة الانتفاضة الثقافية. وقلبت الصين رأساً على عقب. وتصفه السلطات الحاكمة الآن في الصين بفترة حكم عصابة الأربعة. عمل فيها الشيوعيون على انهاء الوجود الاسلامي في الصين بدأه ماو بمنشور وجهه إلى الحرس الأحمر نشرته صحيفة ثمد بات باد في هونج كونج في عددها الصادر ١١ أكتوبر سنة ١٩٦٦م جاء فيه :

«يا رجال الحرس الأحمر، لا يمكن أن ندع عدواً من أعدائنا يهرب وعلينا من الآن فصاعداً أن نهاجم أكثر الأعداء تخفياً ــ المسلمين الذين يقومون بنشاط ضد الحزب وضد الصينيين تحت قناع الدين المزعوم، ويختبيء أولئك المسلمون في الجوامع وبتوجيه من الاستعماريين، كما تسيطر عليهم الدول الأجنبية ضد بلادنا وشعبنا العظيم وزعيمنا الجزيل الاحترام الرئيس ماو.

من الآن فصاعداً لن يسمح لكم بأن تضعوا قناعكم الديني على وجوهكم، سنطردكم وندمركم، ومن الآن فصاعداً لن يسمح لكم بأن تأكلوا لحم الأبقار لأن الأبقار تخدم الشعب، يجب أن تأكلوا لحم الخنازير، ولا يمكنكم أن تضيعوا وقتكم في الصلاة.. يجب ألّا تتكلموا اللغة العربية التي هي ضد اللغة الصينية.

ولن يسمح لكم بأن تقرأوا ما يسمى بالكتاب المقدس (القرآن).

اسمعوا أيها المسلمون : دمروا جوامعكم، حلوا المنظمات الاسلامية، احرقوا القرآن، الغوا الحظر الذي وضعتموه على الزواج المشترك، كفّوا عن الصلاة، الغوا الختان، ادرسوا أفكار ماو.

إذا لم تندمجوا سنطردكم وندمركم، يجب أن نسحق جحُور الجرذان الدينية وندمرها معكم. فلتحيا الثورة الثقافية الكبرى، فليحيا طويلا، طويلاً الرئيس ماو»[1].

---

(١) الغزالي ــ الاسلام في وجه الزحف الأحمر ــ من مجلة الوعي الاسلامي ــ ص ٣٧-٣٨.

ومن تلك الفقرات يتضح لنا جلياً تلك الحملة المسعورة التي شنها الشيوعيون على الاسلام وأهله لاستئصاله، فتتبّعوا بقية المساجد في نفس العام، وقبض على رئيس الجمعية (التي أنشأها الشيوعيون) الحاج محمد علي تشانج وضرب وعذب وسجن وكذلك نواب رئيس الجمعية في الولايات الصينية، وإمعاناً في الإهانة ضرب العلماء في الشوارع، وأبقوا مسجداً واحداً في بكين ليصلي فيه الدبلوماسيون من العرب في الأعياد والمناسبات. والغيت عطلة عيد الأضحى والفطر ومنع المسلمون من ارتداء ثيابهم المعتادة وأجبروا على ارتداء الملابس الزرقاء. والغيت التصاريح التي كانت تصرف بها أكفان الموتى.

وشكلت الثورة الثقافية مجموعة ثورية لمقاومة الاسلام تولت ترتيب وإصدار هذه الإجراءات ومتابعتها، فتم اقتحام بيوت علماء الدين وأخذ الكتب والمصاحف وحرقها علانية في الشوارع، ففقد المسلمون الصينيون مخطوطات نادرة. ومنع المسلمون وخاصة في التركستان من استخدام الحروف العربية في كتاباتهم وأجبروا على استخدام الحروف الصينية.

وحتى يتوفر غطاء قانوني لهذا الاتجاه تم تعديل المادة (٨٨) من دستور عام ١٩٥٤م/ ١٣٧٤هـ التي تنص على ضمان حرية الاعتقاد الديني، ضمن التعديلات الدستورية التي تمت عام ١٩٥٧م، وكان نص المادة (٢٨) من الدستور المعدل: «للمواطنين حرية الكلام وحرية المراسلة والنشر والاجتماع والتنظم والمسيرة والتظاهر وتكوين الأحزاب، ولهم حرية الاعتقاد الديني وحرية عدم الاعتقاد في الأديان ونشر الإلحاد»[١].

ومن هذا التعديل نجد أن حرية الاعتقاد الديني لم تعد تنفرد بمادة مستقلة بل أدمجت في قائمة طويلة من الحريات يجيء الاعتقاد الديني في الترتيب التاسع منها، والأهم من ذلك أن النص يكفل في الورق حرية الاعتقاد فقط بينما يكفل عملياً في الجانب الآخر حرية الدعوة إلى الإلحاد وهذه ميزة لا تتوفر لأصحاب الأديان وتعني بوضوح أن حجم الحريات غير متكافىء بين المؤمنين والملحدين. واحتل الشيوعيون المراكز القيادية في الأقاليم الاسلامية فعانى المسلمون التفرقة

---

(١) وهو نص مماثل للمادة التي يتضمنها الدستور السوفييتي ويدلل بها على الضمان الدستوري لحرية الأديان مع تغيير طفيف في الألفاظ.

في الوظائف وخصوصاً القيادية منها. وشهدت التركستان موجة من الهجرة الصينية حتى تحولت بعض المدن إلى مدن صينية من حيث نسبة السكان ومثال على ذلك مدينة أورومجي العاصمة التي يقال بأن نسبة الصينين فيها تبلغ ٨٠٪ من السكان(١).

وتوفي الرئيس ماوتسي تونغ عام **١٣٩٦**هـ/ **١٩٧٦**م بعد أن أهدرت الثورة الثقافية كل ما بناه المسلمون وأنجزوه منذ إعلان الجمهورية عام **١٩١١**م وبدأ أمامهم المستقبل قاتماً وكئيباً. وحجبت أخبارهم عن العالم وعن أنظار الباحثين ولم يتسرب إلّا نتف يسيرة مما أمكن أن يتسرب عن المسلمين داخل الصين كتظاهر المسلمين في ولاية يونان عام **١٣٩٥**هـ/ **١٩٧٥**م مطالبين بعطلة يوم الجمعة(٢).

المسلمون في الصين من عام ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦ ـ ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م:

حصل صراع على السلطة بعد وفاة ماو انتهى بسحق عصابة الأربعة وبدأ المسلمون مرحلة جديدة من عام **١٣٩٨**هـ/ **١٩٧٨**م. حصل فيها بعض الانفراج في سياسة الحكومة تجاه المسلمين وظهرت مجاملة الدولة لهم ومحاولة كسب عطفهم في أعقاب الغزو السوفييتي لأفغانستان في أواخر عام **١٣٩٩**هـ/ **١٩٧٩**م. فتمت الدعوة لعقد المؤتمر الرابع للجمعية الاسلامية وانعقد بالفعل عام **١٤٠٠**هـ/ **١٩٨٠**م بعد انقطاع دام سبعة عشر عاماً وأعلن رئيسه الحاج محمد علي تشانج بأن الدولة منحت حرية الاعتقاد الديني أو عدم الاعتقاد كما أن للمواطنين الحق في الدعوة إلى الإلحاد. كما أضيفت مادة لقانون العقوبات سنة **١٣٩٩**هـ/ **١٩٧٩**م نصها:

«يعاقب موظفو الحكومة بالسجن بحد أقصى سنتين إذا أفرطوا في تجريد المواطنين من حريتهم في عقيدتهم الدينية وانتهكوا أعراف وعادات أبناء الأقليات القومية على نحو غير شرعي»(٣).

---

(١) المسلمون العدد ٣٧ ص ١٨.

(٢) مجلة العربي محرم ١٤٠١ العدد ٢١٥ ص ٩٩.

(٣) نفسه.

وتجـد الإطـار القـانـوني هذا صيـغ بأسلوب غريب ويثير الدهشة ومعنى ذلـك: ان النص لا يحرم تجريـد المـواطنين من حرية العقيدة من حيث المبدأ ولا يعارض انتهاك تقاليد الأقليات من الأساس أي أن التجريد إذا تم بغير تفريط، والانتهاك إذا تم على نحو شرعي فإنه يصبح قانونياً ومعقولاً . .

هذا وقد عقد مؤتمر آخر لمسلمي التركستان الشرقية في أوائل تموز (يوليو) سنة ١٩٨٠م/ ١٤٠٠هـ، كما أقيمت صلاة عيد الأضحى في المسجد الكبير في بكـين سنـة ١٤٠١هـ بعـد أن عطلت ما يقـرب من ثلاث عشـرة سنة. وعادت بعثـات الحـج، وبـدأت محاولات عودة الجسـور للاتصـال مع العـالم الاسلامي كتبـادل الـزيارات وحضور الندوات والمؤتمرات الاسلامية. وأول مؤتمر من هذا النـوع مثـل فيـه مسلمـو الصـين كان الملتقى الاسـلامي في الجـزائـر (سبتمـبر ١٩٧٩م)، وتم فتـح المسـاجـد المغلقـة التي بلغ عددهـا في الـتركستـان وحدها ١٩٠٠ مسجد تدريجياً. وعادت العطلات الاسلامية. وقام عدد كبير من العلماء المسلمـين في الصـين بزيـارات للدول العـربيـة والاسـلاميـة عام ١٤٠٥هـ/ ١٤٠٦هـ وخاصة من منطقة نينجسيا وحاكمها مسلم هو حسين حنبلي[1].

هذا وقـد حملت أنبـاء العـام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م تخلي الصين عن بعض الأفكـار الشيـوعيـة وهذا يجعل مستقبل الاسلام جيداً في هذه البلاد فقد الغيت المـزارع الجماعية بعد التخلي عن الاشتراكية وانتقاد الماركسية فاعتبر العديد من المراقبين هذا التحول بأنه ثورة على الثورة التي بدأها ماو تسي تونج[2].

ورغم المـآسي التي مرت على المسلمـين والانفصـام بين الجيـل القـديم والجديد فإن الترابط الاجتماعي لايزال قوياً، ويتميّز بالطابع الاسلامي ويتمثل هذا في كثـير من العـادات والتقـاليـد الاجتـماعيـة المـرتبطة بالاسلام، ويحرص المسلمون على لغاتهم ويكتبونها بالحروف العربية رغم المحاولات التي بذلت في صدّهم عنها[3].

---

(١) المسلمون العدد ٣٨ ص ٥.

(٢) الشرق الأوسط ص ٥ ـ ١٩ ربيع الأول ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤/١٢/١١م.

(٣) المسلمون العدد ٣٧ ص ١٨.

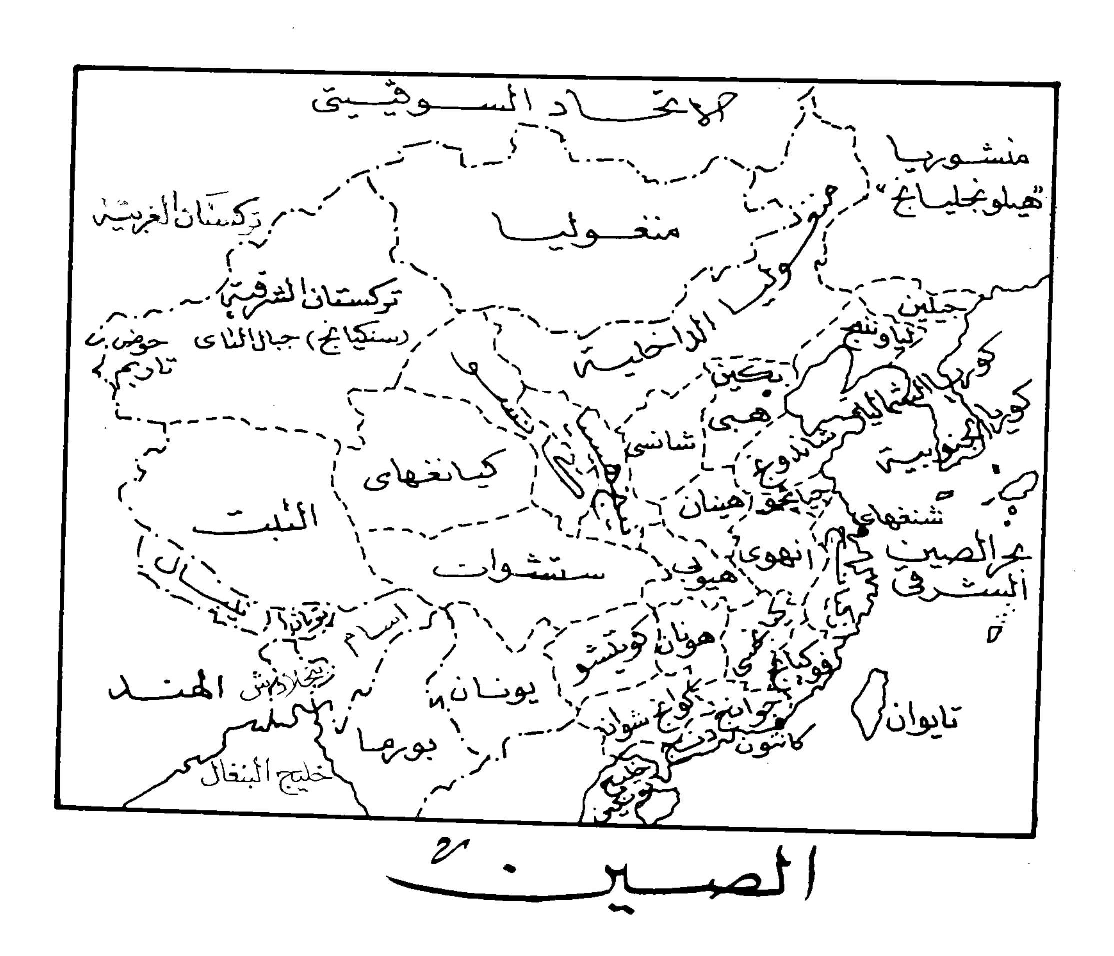
وكـان التعليم الـديني سريّ للغـايـة حيث يقـوم بعض العلماء بتـدريس أحكـام الشـريعـة وأصـول الفقـه خفيـة ، وانتشـرت جماعة في تركستان يسمون أنفسهم بالـدراويش يروّجـون للممارسـات المنحـرفـة فيـما يتعلق بتقديس الأولياء والتعلق بالخرافات واتخاذ القبور مزارات تذبح عليها الذبائح وتنذر النذور، ولا بدّ من مدّ الجسـور الاسـلاميـة إلى مسلمي الصـين لبيـان محاسن الاسـلام وطرقه الصحيحـة فهم في شوق ولهفـة لتلقفـه بعـد الكـوابيس الثقيلة التي مرت بهم والتجارب المضنية. وبدأ المعهد الاسلامي في كاشغر التابع للجمعية الاسلامية الصينيـة في بكـين في استقبـال الطـلاب الـتركستانيين وتدريسهم اللغة العربية والدين الاسلامي وتأهيلهم ليكونوا أئمة ووعاظاً. وكان قد تأسس عام **١٩٥٣**م وعطـلّ عن عمله منـذ تأسيسـه واستعـاد نشاطه سنة **١٩٨٢**م. وضم **٨٦** طالباً يمثلون مختلف قوميات المسلمين في التركستان والصين، وللمعهد عشرة مبعوثين للدراسـة في الأزهـر. وتنـوي الجمعية فتح معهد مماثل في مدينة أورومجي ليؤدي دوره, وعـادت الجمعيـة التي تشرف على النواحي الدينية في الصين والتركستان إلى نشاطها بعد أن عطلت منذ عام **١٩٥٩**م. ولها خمسون فرعاً في أنحاء الصين في تركستان فرعان فقط في أورومجي[١].

ووجـد في ولايـة كانسـو التي تعـد أكثر مناطق الصين كثافة بالمسلمين عام **١٩٥٥**م أكثـر من **١٢٠٠** مسجـد مشيـد على الطـراز الاسـلامي، ويتمسـك المسلمون بالعادات الاسلامية الحميدة في هذه المنطقة وتجيد الغالبية منهم اللغة العربية وذلك بفضل حفظهم للقرآن الكريم[٢].

وهـذا كله يحمـل الأمـل بعودة دور الاسلام في تلك البلاد التي تحتاج إلى نور الهـدايـة. ويثبت بدوره معجـزة الاسـلام ــ الدين الخالد الذي ارتضاه الله للبشرية ــ إن الدين عند الله الاسلام ــ.

---

(١) المسلمون العدد ٣٧ السبت ٥ صفر ١٤٠٦هـ/ ١٩ أكتوبر ١٩٨٥م.
(٢) نفسه العدد ٣٨.



الصين

تركستان الغربية

آســـــام

بنغلاديش

خليج البنغال

الفصـــل الثامــن

المسلمون في قـــبرص

قبرص ثالثة كبريات جزر البحر الأبيض المتوسط، توجد في شرقه وتبعد عن الساحل السوري ٩٠كم، وعن الساحل التركي ٦٥كم، وعن الساحل المصري ٤٠٠كم، وعن الساحل اليوناني ٩٠٠كم، كما يبلغ أقصى طول لها ٢٣٥كم، وأقصى عرض لها ٩٠كم، ومساحتها ٩٢٥١كم^2 [(١)].

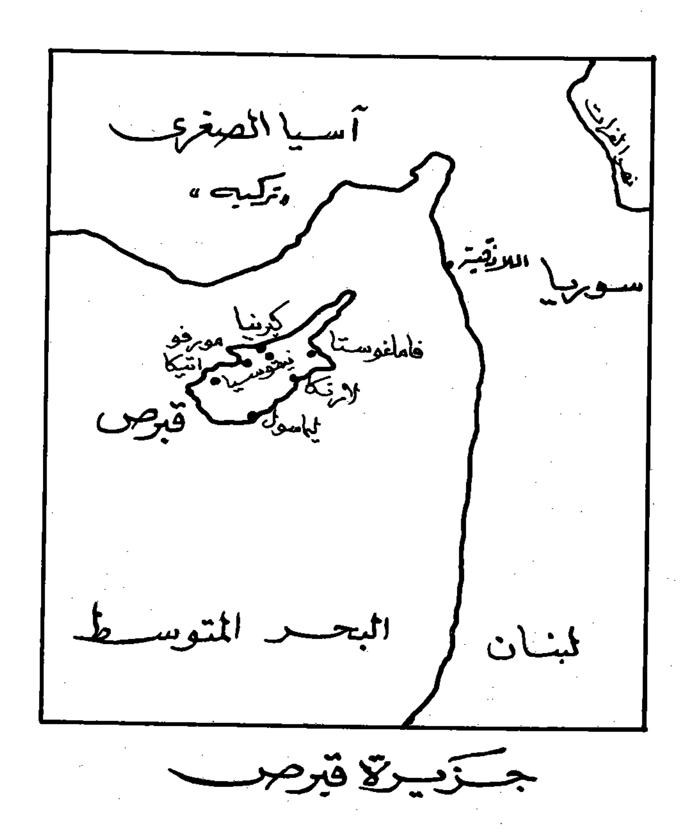
بلغ عدد سكانها عام ١٤٠٠هـ حوالي ٦٢٨,٥٠٠ نسمة منهم ٥٠٧,٣٠٠ نسمة من اليونانيين و١١٧,٩٠٠ من المسلمين الأتراك. والباقي من جنسيات مختلفة.

ويعتبر النحاس من أهم معادنها حتى ليقال إن كلمة قبرص تقابل Copper أي النحاس. وتزرع الحبوب والحمضيات والعنب والزيتون والبطاطا والتبغ. وتشتهر بالحمير من بين الحيوانات، وتشكل الغابات ٢٠٪ من مساحة البلاد[(٢)].

موقعها استراتيجي تصلح نقطة انطلاق إلى الغرب أو إلى الشرق، ولذلك فكلا المعسكرين الشيوعي والرأسمالي يحاول أن يكون له فيها قواعد عسكرية. وقد تعاقب عليها عدد من الفاتحين بحكم موقعها هذا، وعندما ظهر الاسلام كانت بيد الدولة البيزنطية منذ عام ٣٥٩م. وكانت النصرانية قد أخذت طريقها إليها حوالي عام ٤٨م على يد بولس[(٣)].

---

(١) البلدان الاسلامية ص ٥٧٤، انظر المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص ٦٤.
(٢) المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص ٦٥.
(٣) محمود شاكر ــ المسلمون في قبرص ص ٣٩.



جزيرة قبرص

دخـــول الاســـلام :

فتح المسلمون ديار الشام وأصبحت قاعدة من قواعد الاسلام وولي عليها معاوية بن أبي سفيان الذي تابع الفتوحات الاسلامية في بلاد الروم ، ورأى أن يستولي على القواعد الهامة ليتمكن من منازلة الروم وليحول دون استخدامها ضد المسلمين ، وكان أهم هذه القواعد ـ قبرص ـ التي كان يغير منها على الثغور الاسلامية . فاستنفر معاوية العمال ومن كان لهم خبرات في صناعة السفن وحشدهم في عكا ، ورمّم الحصن والمرفأ وجعله داراً لصناعة السفن وتجهيز الأسطول الاسلامي وإعداده . كما رمّم مدينة صور وشحنها بالمقاتلة[1] ، واستأذن عثمان بن عفان رضي الله عنه في غزو قبرص فأذن له بشرط أن لا يحمل الناس كرها على ركوب البحر ــ فتكون الخدمة البحرية عن طريق التطوع ــ وان يصطحب معه زوجته وكان المسلمون يفعلون ذلك في حروبهم لاظهار

(١) البلاذري ــ فتوح البلدان ص ١٢٤ .

النكـايـة بالعدو والعزم على بلوغ النصر، فعين معاوية لقيادة القوة البحرية عبد الله بن قيس الحارثي حليف بني فزاره وكان من رجال البحر المعروفين غزا خمسين غزوة لم يغرق من جيشه أحد، ولم ينكب.

ركب معاوية البحر بألف وسبعمائة سفينة ومعه زوجته وعدد من الصحابة فيهم أبـو ذر والمقـداد بن الأسود وأبو الدرداء وشداد بن أوس وعبادة بن الصامت ومعه زوجته أم حرام بنت ملحان الأنصارية، ففتح المسلمون قبرص عام ٢٨هـ صلحا[١]، واستخدمت كقاعدة انذار للمسلمين من حيث يجب على أهلها (بموجب المعاهدة) اخبار المسلمين عن التحركات المعادية مع استخدام الجزيرة كقاعدة لدعم البحرية الاسلامية[٢].

ولما خرج المسلمـون من الجزيرة ماتت أم حرام هناك وقبرها لايزال وكأنه يقـول للمسلمـين اليـوم . . ان هذه الأرض قد اريقت عليهـا دمـاء الصحـابـة فانتبهوا إليها، ولا تضيعوها ولا تتولّوا أعداء الله[٣].

ونقض أهل قبرص العهد عام ٣٣هـ/ ٦٥٣م فوجه معاوية قوة مكونة من ٥٠٠ مركب وحـاصـرهـا وفتحهـا عنوة. ونقل إليها جيشا من اثنى عشر ألفا من المسلمين لحمايتها فأقام هذا الجيش وعمر المساجد وبنى الحصون وأقام المراصد، وأصبحت جزءاً من ديار الاسلام.

واتصـل أهـل قبرص النصـارى بالروم عام ١٢٥هـ فجهز الوليد بن يزيد جيشا بقيادة أخيه الغمر بن يزيد بن عبد االملك وعين الأسود بن بلال المحاربي أمـيرا على البحـر، وأعـادت الجيـوش الاسلامية فتح الجزيرة وخيّروا أهلها بين المسـير إلى الشـام أو الالتحاق ببلاد الروم، فاختار جمع كبير من أهلها الذهاب إلى بلاد الشـام. وأقـامت قوات عربيـة اسـلاميـة في الجـزيرة حيث بقيت درع الـدفـاع عن بلاد المسلمـين في الشـام ومصـر، حتى اذا ما بدأ الضعف يتسرب للدولة الاسلامية زمن البويهيين كان أول عمل قام به نقفور ملك القسطنطينية أن

(١) ابن كثير ج ٧ ص ١٦٨، ابن الأثير: الكامل ج ٣ ص ٤٨.
(٢) العسلي ـ الأيام الحاسمة ص ٢٩٢.
(٣) المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص ٧٠.

أرسل حملة أعادت السيطرة البيزنطية على الجزيرة عام ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م، فأصبحت سنداً للصليبيين فكانت المؤن تصل إلى ميناء السويدية ومعظمها من قبرص. واتخذت بحرية البيزنطيين منها قاعدة أثناء الحملات الصليبية.

واحتلها ريتشارد قلب الأسد عام (٥٨٧هـ/ ١١٩١م) واتخذها قاعدة لحملته الصليبية على عكا، وباعها إلى إحدى الطوائف الدينية فرسان الداوية ـ الذين باعوها بدورهم للملك غاي سنة ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م. وأصبحت مملكة عام ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م وانتابتها الصراعات الدموية والاضطرابات الكثيرة وأخذت القبضات القوية تتناوب السيطرة عليها. ولكنها على الاجمال بقيت قاعدة صليبية متقدمة لمهاجمة المسلمين وهاجر إليها كثير من الصليبيين وبقي المارون فيها إلى اليوم، فكانت قاعدة الملك لويس التاسع في حملته على مصر حيث أقام بها سنة كاملة سنة ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م قبل أن يتوجه إلى مصر وكان ملك قبرص الموجه للتعاون مع التتار (المغول) للقضاء على المسلمين.

وعندما تم تحرير عكا سنة ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م على يد الأشرف خليل بن قلاوون بقيت قبرص الحكومة النصرانية الوحيدة التي تابعت الحروب الصليبية في المشرق الاسلامي فأصبحت مقر أعمال القرصنة الصليبية ضد البلاد الاسلامية ولذلك صمم الملك الأشرف على تحريرها وأمر بعمارة مائة سفينة وكان يهتف دائما ـ قبرص ـ قبرص ـ قبرص[١]. غير أن تهديدات المغول عاقته عن تنفيذ أهدافه. كما هاجمها السلطان المملوكي برسباي بثلاث حملات، حيث أسر المسلمون ملكها في الحملة الثالثة عام ٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م، الذى رحل إلى القاهرة مع كثير من الأسرى وأحضر لمقابلة السلطان برسباي بحضور ممثلين عن الدولة العثمانية وشريف مكة وملك تونس وممثلي القبائل العربية، وأقيمت احتفالات رائعة بالقاهرة ابتهاجا بهذا النصر. فأصبحت قبرص تحت حماية مصر وتدفع لها الجزية إلى أن احتلها البنادقة عام ٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م[٢].

---

(١) العسلي ص ٣٠٠.
(٢) المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص ٧٧.

ظهرت الدولة العثمانية وأخذ الأتراك العثمانيون على عاتقهم حماية العالم الاسلامي وتولوا قيادة الجهاد ضد الصليبين ونقلوا الصراع من آسيا إلى أوربا، واحتفظت قبرص بأهميتها كقاعدة متقدمة للصليبين بالرغم من انتقال مسارح العمليات وتحرك مراكز ثقل القتال، واستخدمها البنادقة قاعدة للعدوان على المسلمين، فتوجهت لها همة العثمانيين ففتحوها عام ٩٧٩هـ/ ١٥٧١م، ولاحقوا البنادقة فأخرجوهم من كريت عام ١٠٨٠هـ/ ١٦٦٩م. وبهذا يكون خروج البنادقة من قبرص نهاية الحروب الصليبية فى المشرق حقيقة فخلت ديار الاسلام من كل أثر صليبي[1].

بقى العثمانيون في قبرص ثلاثة قرون تقريبا عملوا من بدايتها على توطيد دعائم الاسلام فى الجزيرة، فقد اسكنها السلطان سليم الثاني حامية عثمانية منذ أن فتحها. وقام فيها الدعاة، فأصبح المسلمون ثلاثة أمثال النصارى عام ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م فأصبحت قبرص بلاداً اسلامية وجزءاً من ديار الاسلام بأرضها وأهلها وشهدت الأمن والرفاه في ظل وضعها الطبيعي ضمن دار الاسلام. وتمتع النصارى بالأمن وأعاد العثمانيون للكنيسة الأرثوذكسية نفوذها[2].

قبرص في ظل الاحتلال البريطاني :

ضعفت الدولة العثمانية وطمعت الدول فى تخطف أطرافها والاستيلاء على أجزائها فكانت الحروب لا تفتر بينها وبين جيرانها من روسيا والنمسا، وكانت كل من بريطانيا وفرنسا تدعى أحيانا مناصرتها وتقف فى وجه الروس، وأحيانا تعلن عليها الحرب لتسلخ جزءاً من أرضها. وكانت سياسة بريطانيا تنصبّ على الحفاظ على طريق الهند (درة التاج البريطاني) فعمل دزرائيلي رئيس وزراء انكلترا اليهودي على فرض معاهدة على الدولة العثمانية عام ١٢٩٦هـ/ ١٨٧٨م، باسم: التحالف الدفاعي قبلت فيه الدولة العثمانية

(١) العسلي ص ٣٠٢، المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص ٧٨.
(٢) نشرة معهد الأقليات المسلمة ربيع الثاني سنة ١٣٩٨هـ، المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص ٧٩.

الاحتلال البريطاني لقبرص مقابل ضمان بريطانية الدفاع عن الممتلكات العثمانية فى آسيا ضد روسيا كما تعهدت بريطانيا بدفع مبلغ ٩٢,٨٠٠ جنيه سنويا وهو ما يفيض عن ميزانية قبرص. وادّعت أن الاحتلال مؤقت ريثما تعيد روسيا للعثمانيين المناطق التى احتلتها وهى أقاليم قارص، باطوم، أردهان. وفى الوقت نفسه اتفقت بريطانيا مع فرنسا أن ـ تطلق يد فرنسا فى تونس التى كانت تسعى لاحتلالها، ومع روسيا على أن تحتفظ بالمناطق التى احتلتها وتوّجت تلك الاتفاقات بعقد مؤتمر برلين عام ١٢٩٦هـ/ ١٨٧٨م ليعطي الصفة الدولية والقانونية لهذه الاتفاقات الجانبية والسرية[١]. وكانت بريطانيا تهدف إلى اتخاذ قبرص قاعدة للعدوان على المسلمين.

كان أكثر سكان قبرص من المسلمين فعملت بريطانيا على إضعافهم بتشجيع هجرة النصارى من بلاد اليونان إلى الجزيرة. وفى الوقت نفسه ضيقت على الأتراك المسلمين فى سبيل تخليهم عنها والهجرة منها فانخفضت نسبة المسلمين وارتفعت نسبة النصارى تدريجياً. ففي عام ١٨٩٠م كان عدد سكان الجزيرة ٨٠,٠٠٠ نسمة، ٦٠ ألفاً من المسلمين[٢] و٢٠ ألفاً من النصارى.

وفى عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م عند اندلاع الحرب العالمية الأولى أنهت بريطانيا تبعية الجزيرة الأسمية لتركيا وألحقتها بالتاج البريطاني وعرضت على اليونان أن تضمها إليها مقابل دخولها مع الحلفاء فى الحرب ضد ألمانيا ومنذ ذلك الوقت والقبارصة اليونانيون الدخلاء الذين غدوا أكثرية فى عهد السيطرة الانجليزية يطالبون باستقلال الجزيرة والحاقها بالأرض اليونانية. حيث بلغ عدد النصارى أكثر من ٥٢٩,٠٠٠ نسمة بينما وصل عدد المسلمين ١٢٠,٠٠٠ نسمة فقط.

تنازلت تركيا عن الجزيرة رسمياً فى معاهدة لوزان عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٣م فعيّنت انجلترا معتمداً عنها وأنشأ الحاكم العام الانجليزى لجنة تنفيذية

---

(١) المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص ٨١.

(٢) نفسه ص ٧٨ وانظر نفسه ص ٨٨-٨٩.

تضم سبعة من الانجليز. ومجلسا تشريعيا يضم أربعة وعشرين عضوا ينتخب خمسة عشر عضوا منهم اثني عشر من القبارصة اليونانيين وثلاثة أعضاء من المسلمين فقط ويعين الباقون[1].

وتكونت حركة أنيوسيس ــ الاتحاد مع اليونان ــ التى تمثل اليونانيين وعلى رأسها أساقفة قبرص جميعا. فوقعت أحداث دامية عام ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م ذهب ضحيتها مئات السكان من المسلمين والنصارى. فأنشأت بريطانيا مجلساً تشريعياً ضمّ الذين يتعاونون معها وينفذون سياستها، فعمّ الرخاء وأصبحت قاعدة تجارية مارس اليهود فيها دوراً كبيراً[2].

واتخذت قبرص قاعدة حربية للحلفاء عند اندلاع الحرب العالمية الثانية عام ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م وجعل الانجليز منها قاعدة تجارية لنشاط اليهود لنشر الفساد والتأثير على العقيدة الاسلامية. كما جعلوها مركزا لتهريب البضائع بعد المقاطعة العربية للبضائع اليهودية ومقراً لعصابات الصهاينة. كما شجع تشرشل عام ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م الأحزاب السياسية كحزب الوطنيين وحزب المزارعين وحزب الاشتراكيين بالاضافة إلى الحزب الشيوعي (اكيل) الذي يخضع للحزب الشيوعي اليوناني الذى يسير حسب نهج موسكو، وقد نشط هذا الحزب كثيراً في قبرص.

ولما انتهت الحرب العالمية الثانية ذهب وفد قبرص للمطالبة بحق تقرير المصير لقبرص عام ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٦م. وبرز على المسرح السياسي المطران مكاريوس الذى انتخب رئيساً لأساقفة قبرص عام ١٩٤٧م ودعا إلى وحدة الجزيرة[3].

تبنّت اليونان قضية قبرص وحاولت مع مكاريوس عرضها على هيئة الأمم المتحدة عام ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م ونجحت فى عرضها عام ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م ولم تكن النتيجة مرضية لليونان كما فشل المؤتمر الثلاثي في لندن عام

---

(١) نفسه ص ٨٣.

(٢) علي حسون ص ٣٠٥.

(٣) نفســـــه .

١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م فى التوصل إلى نتيجة ترضى عنها الأطراف المعنية كافة[١].

تدفقت الأسلحة على القبارصة اليونانيين من اليونان بشكل واسع فكثرت الاضطرابات وأعمال العنف وتكوّن من المتطرفين فى حركة أنيوسيس منظمة أيوكا أى الجبهة الوطنية لتحرير قبرص بزعامة الجنرال غريفاس اليوناني سنة ١٩٥٦م. ومارست هذه المنظمة أعمال العنف على نطاق واسع ضد المسلمين بشكل خاص واضطرت انكلترا إلى جلب امدادات عسكرية من انكلترا نفسها ومن ليبيا ومالطة. وقامت مظاهرات فى تركية ضد اليونان كما قامت مظاهرات فى اليونان ضد تركية اتسمت كلها بالعنف وقاطعت اليونان المجلس العسكري لحلف البلقان المنعقد فى أنقرة، وصندوق النقد الدولي والبنك الدولي الذي عقد فى استانبول. وهددت الغرب بالوقوف على الحياد في سبيل كسب تأييد الغرب لها ضد انكلترا. فأهتمت أمريكا بالأمر وقامت انكلترا بدورها بنفي المطران مكاريوس وثلاثة من أعوانه إلى جزيرة سيشل عام ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م بغية تسليط الأضواء على هذه الشخصيات لتسلمهم حكم الجزيرة فى المستقبل لينفذوا سياستها[٢]. وأتخذت بريطانية منها قاعدة للقوات البريطانية والفرنسية التى نزلت فى قناة السويس في نفس العام ١٣٧٦هـ. كما سمحت للمطران مكاريوس بالعيش فى أثينا بدلا من المنفى ليكون قريبا من أحداث الجزيرة ومن غريفاس الذى فرّ من قبرص إلى اليونان.

واشتدت أعمال العنف وكان المسلمون يخشون على أنفسهم من الانضمام إلى اليونان لأن فى ذلك ذهاب كيانهم وان مصيرهم سيكون مصير ٨٩ ألف تركي مسلم كانوا في جزيرة كريت عندما انضمت إلى اليونان بعد أن خرج منها العثمانيون عام ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م حيث أجبر قسم كبير منهم على الهجرة وترك الوطن والأملاك، واختفى الباقون تحت ظلم الحاكم اليوناني[٣]. لذلك شدّت تركيا أزر القبارصة الأتراك وطالبت باستقلال الجزيرة بحيث يتمتع

---

(١) المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص ٨٦.

(٢) نفسه ص ٨٧.

(٣) محمود شاكر: المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص ٨٩.

المسلمـون بحكم ذاتي أو التقسيم بين الأتـراك واليـونـانيـين إذا كان اليـونانيون يصرّون على الالتحاق باليونان. وطالبت اليونان بدورها بالاستفتاء.

ومن العجيب أن معظم الـدول العـربيـة والاسـلامية أيّدت اليونان ضد تركيـا، ودعمت موقف مكـاريـوس على أساس أن القضية عنصرية لا دينية بين تركيا واليونان. بل وصل متطوعون مسلمون يقتلون إخوانهم[1].

وفي عام ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م اقـترحت بريطـانيـا خطـة السنوات السبع وتقضي ألّا يتغيّر وضع الجزيرة مدة سبع سنوات. ويقام أثناء هذه المدة مجلسان منفصـلان أحـدهما للأتراك والآخر لليونانيين هذا في الحكم الذاتي، أما الإدارة المحليـة فمسئـول عنهـا مجلس الحـاكم العـام ويضم ممثلين عن الحكومة التركية واليونانية إلى جانب أعضاء المجلسين[2].

وقـد رفضت الخطــة من جميــع الأطــراف واشتعلت الفتنــة حتى عام ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م. وهذا أسلوب بريطانيا في خلق المشاكل.

الاستقلال عام ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م :

سلّطت بريطـانيـا على مكـاريـوس الأضواء ورفعته إلى مستوى الأبطال وعملت على تسليمـه الحكم، فقبـل مكـاريـوس الاقـتراح الانجليزي بعد أن تظـاهـر بمحـاربتـه مدة، ووافق على استقـلال الجـزيـرة بعـد مدة من الحكم الانتقـالي. واستطـاعت بريطـانيـا أن تجمـع عدنان مندريس رئيس وزراء تركيا وكـرامنليس رئيس وزراء اليـونان والمطران مكاريوس وفاضل كوتشوك ممثلين عن القبـارصـة اليونانيين والأتراك سنة ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م. واتفقت على أن تكون قبرص جمهـوريـة مستقلة يكـون رئيسهـا من الجـاليـة اليونانية ونائبه من الجالية التركية وينتخبان لمدة خمس سنوات، وللاثنين فقط حق الرفض لأي قانون[3]. ويتكـوّن مجلس الـوزراء من عشرة أعضاء سبعة من اليونانيين وثلاثة من الأتراك

(١) محمود شاكر : المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص ٦٣.
(٢) نفسه ص ٩٢.
(٣) نفسه ص ٩٣.

وتصـدر القـرارات بالأغلبيـة المطلقـة، ويجب أن يعهـد إلى وزيـر تركي بإحدى وزارات الـدفـاع أو المـاليـة أو الخـارجية. وأما مجلس النواب فينتخب لمدة خمسة أعـوام بحيث يمثـل اليـونـانيـون ٧٠٪ من المجلس. وتكون القرارات بالأغلبية المطلقـة أمـا التعـديل فبأغلبية الثلثين. وأما الجيش فيتكون من ٢٠ ألف جندي ٦٠٪ من اليـونـانيـين. وقـوات الأمن الداخلي ٧٠٪ منها من اليونانيين. ويقوم تحالف عسكري بين قبرص وتركيا واليونان[1].

وتستبعـد فكـرة اتحـاد قبرص مع أيـة دولة أخرى كليا أوجزئيا، وتستبعد فكـرة تقسيمهـا وتحتفـظ انكلترا بقـاعدتين عسكريتين فى جنوب الجزيرة وتستمر باستعمال المواقع الحربية القائمة فى الجزيرة والطرق والموانىء. كما تستمر قبرص بتقديم التسهيلات البريطانية فى ميناء فاماغوستا والطيران فوق قبرص دون قيد واستعمال مطار نيقوسيا فى زمن السلم والحرب.

فدخـل مكـاريـوس قبرص، وجمعت الأسلحـة من منظمـة أيـوكا ووافق الجنـرال غريفـاس على الاتفـاق، وغادر قبرص إلى أثينا وكان قد دخلها سرا. وتشكلت أول وزارة قبرصيـة وأصبـح مكـاريـوس رئيسـا للجمهـوريـة وفاضل كوتشـوك نائبـا للرئيس. وأعلن الاستقـلال عام ١٩٦٠م وقـامت الـدولـة على أسـاس ديني فعـلاً وديمقـراطي شكلاً وساندتها اليونان واسرائيل وتملك اسرائيل أكـبر سفـارة في الجـزيـرة[2]. وكـانت نسبـة الأديـان ٧٩٪ نصارى، و١٫١٩٪ مسلمون و٩٫١ يهود[3].

قـبرص بعـد الاسـتقلال:

أصبـح الجنـرال غريفـاس رئيسـا لما سمّي بالحرس الوطني، فبدأ يتصرف بالأمن مما جعـل الأتـراك يتصلبـون فى مواقفهم وحـدث الصدام والخلاف فتفرد اليونانيون بالحكم وقامت معارك دامية عام ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م فتدخّلت الأمم المتحدة وأرسلت قوات للمحافظة على السلام بدلاً من القوات الانجليزية عام

---

(١) نشرة معهد الأقليات المسلمة مجلد ٤ سنة ١٤٠٠هـ، المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص ٩٤.

(٢) المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص ٩٦.

(٣) علي حسون ص ٣٠٦.

١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م. وفى عام ١٣٨٥هـ هاجمت الحكومة القبرصية الأحياء الاسلامية فقتلت وفتكت بالمسلمين بأبشع الوسائل باسم القبارصة اليونانيين، وقصفت الطائرات الحكومية المساجد والبيوت الاسلامية.

وتجدّدت الأحداث الدموية عام ١٣٨٧/ ١٩٦٧م، حيث تحركت مجموعات من الحرس الوطني التى تأتمر بامرة الجنرال غريفاس بالهجوم على الأحياء والقرى المسلمة، وازدادت القوات اليونانية ازديادا كبيرا حتى بلغ عددها ١٦ ألف جندي. فطالبت تركيا بسحب هذه القوات وطرد غريفاس وحل الحرس الوطني، واستمرت المفاوضات بين أخذ ورد، وأخذت الأصابع الشيوعية والأمريكية تلعب دورها في الجزيرة، فنشط الحزب أكيل (الحزب التقدّمي للشعب العامل) ومنظمة أيوكا وقائد الحرس الوطني. وهذا ما دعا المطران مكاريوس إلى شراء صفقة من الأسلحة من تشيكوسلوفاكيا لاظهار التوازن بين المعسكرين، فسخطت عليه اليونان وطلبت منه: تسليم الأسلحة التي استوردها إلى جنود الأمم المتحدة واشتراك أنصار غريفاس فى حكومة اتحاد وطني، واعترافه بأن اليونان هى المركز السياسي الوطني للشئون القبرصية.

وفى عام ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م فصل سبيروس كبريانو وزير خارجية قبرص (من القبارصة الأتراك) بعد أن مارست اليونان الضغط على مكاريوس. كما نشطت حملات غريفاس ضد مكاريوس وأثار حملة واسعة لتشويه سمعة العرب بأن مراكز بعثاتهم تحت تصرف الفدائيين وان السفارات العربية تسلح جماعات لاحداث عمليات الارهاب فى الجزيرة، والغاية من كل ذلك اجبار السّكان لمساندة اسرائيل فلفتت البعثات العربية نظر حكوماتها إلى هذا الأمر واقترح السفراء العرب فى قبرص على البلاد العربية[1]:

(١) زيادة عدد السفارات فى قبرص ليزداد حجم الوجود العربي حيث لا يوجد فى قبرص سوى ثلاث سفارات عربية فقط.

(٢) التواجد العلمي والثقافي والرياضي المستمر.

(٣) زيادة التبادل الاقتصادى ودعم العلاقات بحيث تصبح أكثر متانة.

---

(١) المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص ١٠٢.

(٤) دعم جمعية الصداقة العربية القبرصية.

وفي عام ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م وقع انقلاب على المطران مكاريوس وتسلم الحكم غلافكوس غلاريدس لضمّ قبرص إلى اليونان، وفرّ مكاريوس إلى مالطة فانجلترا فالولايات المتحدة بعد أن أذاعت قبرص نبأ موته، واستنفرت كل من تركية واليونان قواتها، وأنزلت القوات التركية في قبرص واستطاعت أن تحتل ميناء فاماغوستا وتابعت سيرها إلى الغرب حتى مدينة مورفو، فاحتلت ما يقارب ثلث مساحة الجزيرة وهي المناطق التي يكثر فيها المسلمون الأتراك. وتوقف إطلاق النار، وبعد مناورات عديدة استطاع المطران مكاريوس أن يعود إلى مركزه الأول في قبرص حتى وفاته سنة ١٣٩٨هـ[١]. وحصل تبادل للسكان بين الشطرين اليوناني والتركي.

ولا تزال جزيرة قبرص منطقة صراع، ترى تركيا أن الحل يكون في تكوين دولة فدرالية تقوم على أساس مقاطعتين تركية ويونانية لكل منهما هويتها الذاتية، بينما تصرّ اليونان على ضمّ قبرص إلى اليونان.

وتشكلت الجمهورية القبرصية الفدرالية سنة ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م واعترف مؤتمر وزراء خارجية العالم بها سنة ١٣٩٧هـ، وأكد المؤتمر تأييده لاتحاد المنطقتين التركية واليونانية في اتحاد فدرالي حرصاً على وحدة الجزيرة القبرصية.

وفي عام ١٤٠٠هـ عقد المؤتمر الاسلامي العالمي الثامن (غير رسمي) في الدولة الاتحادية القبرصية التركية، وحضره ممثلون من ٤٩ بلداً إسلامياً، وحضره عدد كبير من الهيئات والمنظمات الاسلامية ومن الدول الاسلامية ومن الأقليات المسلمة. وألقى السيد رؤوف دنكتاش رئيس الدولة كلمة عبّر فيها عن وضع المسلمين بقبرص. وأصدر المؤتمر عدة قرارات بشأن القضايا الاسلامية ومشاكل الأقليات المسلمة[٢].

وأصبحت القضية القبرصية من القضايا الاسلامية الهامة، لهذا جاء بيان

(١) علي حسون ص ٣٠٧.
(٢) نشرة معهد الأقليات مجلد ٤ سنة ١٤٠٠هـ.

رابطة العالم الاسلامي المقدم إلى مؤتمر القمة الاسلامي الثالث بمكة المكرمة :

«ان التطورات الأخيرة التي توالت عليها بعد اتفاق فبراير سنة ١٩٧٧م تجعل رابطة العالم الاسلامي تتابع القضية بقلق بالغ وتستنكر كل محاولة لتغيير نصوص الاتفاق السابق، وتأمل الرابطة من أن تعيد الحكومات الاسلامية النظر في علاقاتها بقبرص بما يضمن تحقيق أهداف المسلمين بها»[1].

وفي عام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م أعلن السيد رؤوف دنكتاش استقلال الأتراك في شمال الجزيرة، وشارك في القمة الاسلامية الأخيرة، وعرض وضع الطائفة التركية في قبرص المحرومة منذ عشرين سنة من هويتها وحقوقها السياسية والمحاصرة اقتصادياً والواقعة تحت ضغط الطائفة اليونانية. وقد لقي تفهماً واسعاً بين الدول الاسلامية التي اعتبرت وضع القبارصة الأتراك مشابهاً إلى حدّ بعيد لوضع الفلسطينيين.

والواقع أن وضع قبرص سيبقى غير طبيعي مادامت القوى الاسلامية القريبة منها ضعيفة ولا تستطيع التأثير في مجريات الأمور، فأهميتها الاستراتيجية تجعل مصلحة القوى العالمية في إبقاء الصراع في هذه المنطقة الحيوية بسبب قربها من أهم مواقع الصراع التاريخية في مصر والشام وآسيا الصغرى.

وتبقى الظاهرة الغريبة في تكوين هذه الجزيرة، فهي قريبة إلى بلاد الاسلام وبعيدة كل البعد عن اليونان، ولكنها تدير ظهرها للعالم الاسلامي رغم أنها جزء منه، وتتطلع أبداً إلى الغرب وهي ليست منه، فحل مشاكلها الحقيقية لا يكون إلّا بوضعها الطبيعي كجزء من بلاد الاسلام، تماماً كوضع لبنان وفلسطين.

---

(١) جريدة الندوة ٢٢ ربيع الأول ١٤٠١هـ.



حوض البحر الأبيض المتوسط

الفصـــل التاســـع

أفغانستان والغزو الشيوعي

أفغـانستـان قطـر إسـلامي داخـلي يقع في وسط آسيا جنوب غرب هضبة البـامـير، له حدود طويلة تبلغ ٢٠٠٠كم مع الجمهـوريـات الاسـلاميـة في التركستان الغربية التابعة للاتحاد السوفييتي من الشمال وتحدها تركستان الشرقية التـابعـة للصين في أقصى الشمال الشرقي، وإقليم جامووكشمير والباكستان من الشرق. والباكستان من الجنوب، وايران من الغرب[١].

وهي بلاد جبليـة تشمـل القسم الشـرقي من هضبـة إيـران، وجبـال هنـدوكـوش في الـوسـط والشـمال الشـرقي وتشمـل ثلاثـة أرباع البلاد، وجبال سليـمان. فهي شديـدة الـوعورة على الأغلب. ومن الأنهار التي تجري فيها: نهر جيحون الذي يفصلها عن التركستان الغربية ويمر بمقاطعة قعطن ومزار شريف الواقعين في شمال أفغانستان ثم يتجه إلى الشمال حيث يصب في بحر آرال، ونهر هري رود الـذي يخترق مدينـة هرات، ونهر هلمند ومرغاب وكابل الذي يخترق مدينة كابل العاصمة[٢].

وموقعها هذا جعلها مركز دائرة قارة آسيا ولهذا كانت معبراً لجميع الأقوام التي عبرت من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب وبالعكس. ولعبت دوراً عظيـماً كهمـزة وصـل بين المـدنيـات الثـلاث القـديمـة: الصينية والهندية والإيرانية، ثم بعد ذلك بين الحضارة الاسلامية والشرق الأقصى[٣].

---

(١) تقويم العالم الاسلامي ص ١٩٨.

(٢) نفسه ص ١٩٩، البلدان الاسلامية ص ٢٢١.

(٣) ناصر الدين شاه ـ أفغانستان ـ ص ١٠.

وأرضها خصبة قابلة لكل أنواع الزراعة، وأشهر زراعتها القمح والذرة والشعير والأرز، وتكثر بها الفواكه لاسيما العنب وقصب السكر وشجر التوت لتربية دودة القز، وفيها نوع من التوت اسمه شاه توت (أي ملك التوت) يبلغ طول حبته ١٠سم، ويعنى البدو بتربية الجمال ذات السنامين وبتربية الأغنام[١].

ولم تُعرف هذه البلاد بهذا الاسم الذي تشتهر به اليوم إلّا عام ١١٦٠هـ[٢]، وان ذكرت القبائل الأفغانية في التاريخ من قديم واشتهرت مواطنها التي تتألف منها هذه الدولة اليوم. فقد اشتهرت هرات بمكانتها المرموقة في ميادين الثقافة الرفيعة، فضلاً عمّا لأراضيها وأراضي بدخشان وسجستان من خصب عميم، وعرفت قندهار بشهرتها التجارية وموقعها الاستراتيجي الهام. واشتهرت كابل وغزنة بدورها في التاريخ الاسلامي[٣] ونشر الدعوة إلى الهند وأقطار المشرق الأقصى.

وتتنوّع عناصر السكان في أفغانستان وأشهرهم البوشتن أو البوختن ويسمون في باكستان: الباتان، ويكوّنون حوالي ٣٥٪ من السكان، والتاجيك ٢٥٪ والبلوش والكافير (النوريين)[٤]. والأوزبك والتركمان وبشه ئي..

وأما اللغات فهي:

لغة البشتو والفارسية وهما اللغتان الرسميتان في البلاد، تليهما اللغة العربية التي يعتز بها الأفغانيون وتدرس في جميع المدارس على أساس أنها جزء متمم للغة الوطنية[٥]. بسبب:

١ ــ اللغة العربية لغة القرآن الكريم الذي يحرص الأفغانيون على أن يقرأوه كما أنزل على محمد ﷺ.

---

(١) نفسه ص ١١.

(٢) في عهد الملك أحمد شاه الدراني، وكان ينتمي إلى بشتو أو الأفغان الذين يشكلون حوالي ثلث سكان البلاد.

(٣) أحمد محمود الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية. ص ٤٨١.

(٤) تقويم العالم الاسلامي ص ٢٠١-٢٠٢، اعلام المجاهدين في أفغانستان ص ٥٦.

(٥) نفسه ص ٢٠٢.

٢ ــ اللغة العربية هي إحدى أصول اللغتين البشتو والفارسية. فتكوّن أكثر من ٤٠٪ من مفرداتها.

٣ ــ اللغة العربية هي اللغة العلمية الأكاديمية التي يكتب بها العلماء في شتّى فروع المعرفة ولذلك يحرصون على اتقانها(١).

ومن الجدير بالذكر أن اللغة العربية كانت اللغة الرسمية الوحيدة حتى القرن الرابع الهجري في تلك البلاد. وفي الوقت الحاضر لا يجد الزائر للديار الأفغانية أية قرية مهما صغرت ونأت إلّا وفيها مكتب أو اثنان لتدريس اللغة العربية والاسلام(٢).

وقد عرفت هذه البلاد (مع غيرها من أرض التركستان) في التاريخ باسم ايريانا ومعناها الأسياد أو النبلاء، كما عرفت في التاريخ الاسلامي باسم خراسان ومعناها «أرض الشمس»، وترتبط بها طريق الحرير التي كانت تربط بين المشرق والمغرب(٣).

ويسكن أفغانستان أكثر من ٢٠ مليون نسمة كلهم مسلمون. وتعتبر قلعة شامخة للإسلام.

دخلها نور الاسلام منذ عهد عمر رضي الله عنه(٤) عام ٢٢هـ يوم فتح المسلمون أول مدنها هراة التى كانت تسمى اسكندرية آريه بقيادة الأحنف بن قيس، ثم سيطر على بلخ التي هزم فيها يزدجرد الثالث آخر ملوك الفرس. ثم أخذت المدن تستسلم للمسلمين تباعاً، ففي عهد عثمان رضي الله عنه فتحوا كابل ونيسابور بقيادة عبد الله بن عامر سنة ٣٠هـ(٥)، ومنذ ذلك التاريخ رحب أهل البلاد بالاسلام وارتبطوا به وتمّثلوه عقيدة وفكراً وعملاً ونهجاً وسلوكاً، فأصبح لخراسان دور طليعي في تاريخ الاسلام، فلعبت دوراً هاماً في نشر عقيدة الاسلام في الهند وخاصة بعد أن استقر عدد من أفراد القبائل العربية بينهم،

---

(١) نفسه ص ٢٠٣.

(٢) أنور الجندي ــ العالم الاسلامي والاستعمار ص ٩٤ عن صلاح الدين السلجوقي.

(٣) تقويم العالم الاسلامي ص ٢٠٤.

(٤) الكامل لابن الأثير ج٣ ص١٦.

(٥) فتوح البلدان ــ البلاذري ص ٣٩٧-٤٠١.

فظهـر بعـد ذلـك بوقت قصير طبقة من أبناء البلاد تجيد العربية وتحمل الاسلام وتشتغـل بعلوم اللغـة والقـرآن والحـديث . وأصبحت معقلاً من معاقل الاسلام الحصينـة تمارس دورهـا في نشـر رسالته وتقف سدّاً منيعاً في وجه الهجمات العاتية التي تعـرّض لها . فمنهـا انحـدر الفـاتـح المسلم الشـاب محمد بن القاسم ليفتح السنـد من أراضي الهنـد ، وكذلك انحدرت منها الجيوش الخراسانية التي أزالت الدولة الأموية وأقامت الدولة العباسية . وظلت البلاد تنتقل من أسرة مسلمة إلى يد أسـرة مسلمـة أخـرى من عرب وايرانيين وأتراك ، فظهر الطاهريون في العصر العبـاسي الثـاني ، ثم الصفـاريـون الـذين بسطـوا سلطـانهم على كابل وهرات وطبرستان وخلفهم السامانيون فضموا إلى ملكهم أراض كثيرة في بلاد ما وراء النهـر ، وكـان من عمال الـدولة السامانية أمير يدعى سبكتكين ، كان يحكم ولاية غزنـة الأفغـانيـة في القـرن الـرابـع الهجري ، وعلى يده قامت أول دولة أفغانية اسـلاميـة هي الـدولـة الغـزنـويـة التي اضطلعت بدور من أعظم أدوار التـاريخ الاسـلامي . وخلفـه ابنـه محمـود الغـزنوي الذي كان من أعظم ملوك المسلمين فسيطـر على كل أفغـانستان الحالية ، وعلى جزء من ايران حتى الري وأصفهان وخوارزم والسند والجزء الشمالي من الهند وأصبحت مدينة غزنة عاصمته من أجمل عواصم العالم وأكثرها رفاهية وزخرفة . ومنها انحدر بغزواته الجهادية الكثيرة إلى الهند ليمدّ الاسلام فيها[1] .

وهنـا نعـرض لحادثـة مهمة عن أساليب الانجليز في الايقاع بين الشعوب وتشـويـه التـاريخ الاسلامي بصفة خاصة : ذلك أن المستعمرين الانجليز حين دخلوا كابل (كما سيأتي) عمدوا إلى نقل بعض حجارة منها إلى الهند انطلقوا بها يزعمـون للهنـادكـة بأنهـا من بقايا معابدهم التي خربها محمود الغزنوي قبل ألف عام ونقلها إلى بلاده ليدخلها في بناء مساجده ، وقد أرادوا بذلك أن يزيدوا من الوقيعة بين الهنادكة والمسلمين بالهند . لكن أمرهم ما غدا أن افتضح وظهر كذب ما ادّعوه[2] .

---

(١) حاضر العالم الاسلامي ج ٢ ص ١٩٧ .
(٢) الساداتي ـ تاريخ شبه القارة ـ ص ٤٨٤ .

وقد ضم بلاط محمود عدداً من رجال العلوم والآداب والفنون منهم : أبو الريحان البيروني والعتبي المؤرخ ثم الفردوسي شاعر الفرس جميعاً .

ولما غرق الغزنويون في المنازعات العائلية وضعفوا بسبب حروبهم مع السلاجقة ورثهم الغوريون الأفغان في القرن السادس الهجري . وكانوا خير جند الغزنويين أيام مجدهم وتابعوا نشر الاسلام وكوّنوا في الهند دولة عظيمة تحدثنا عنها في ممالك الهند الاسلامية . وكان محمد الغوري حريصاً على نشر الاسلام وتقريب العلماء ، يحضر دروس التفسير التي يلقيها فخر الدين الرازي ، وكذلك ظهر في تاريخ أفغانستان السلطان علاء الدين المشهور باسم الاسكندر الثاني الذي اخضع هضبة الدكن .

وبرز آل تغلق ومنهم الأمير غياث الدين ، كما حمل لواء الاسلام من بعده ملوك الطوائف واللودهيون الافغانيون ، وكان لهم أعظم الأثر في نشر الاسلام وجمع كلمة المسلمين في افغانستان وبلاد ما وراء النهر وشبه القارة الهندية .

وكذلك نجد للدولة التيمورية آثاراً حميدة في نشر الاسلام وفي النهضة العلمية ، ويقترن بهذه الدولة اسم بابر الذي اخترع خطاً سمي باسمه وكتب به مصحفاً أهداه إلى مكة المكرمة كما كان أديباً يقرض الشعر ، ومازال ضريحه في مدينة كابل عاصمة أفغانستان مثابة للسياح وعلماء الآثار(١) . وخلفه ابنه همايون حيث بقيت افغانستان في زمنه قلعة اسلامية كبيرة تمد الاسلام وتحميه .

وفي عهد الأمراء التيموريين عمرت هرات الأفغانية بالمنشآت الفخمة من مساجد ومدارس ودور شفاء وغيرها وصارت من أهم مراكز الثقافة الاسلامية فقصدها مشاهير الفقهاء والحكماء والشعراء والكتاب والمؤرخون وكانت من أعظم مراكز التجارة والسياسة بآسيا الوسطى في هاتيك الأيام(٢) ، ومعلوم أن الدعاة والتجار لا يفترقان في الاسلام .

ولما ضعفت الدولة المغولية في الهند بعد وفاة اورنك زيب سنة **١١١٩**هـ/ ١٧٠٧م وكذلك الدولة الصفوية الايرانية ، قام الافغانيون بقيادة مير ويس

---

(١) تقويم العالم الاسلامي ص ٢٠٨ .

(٢) الساداتي ص ٤٨٦ .

وطـردوا الايـرانيين من كابل واكتسحوا ايران واستولوا على أصفهان وقضوا على الأسرة الصفوية وأسسوا أسرة مالكة سنة ١١٦١هـ/ ١٧٤٧م على يد أحمد شاه ابـدالي الملقب بـ (دردران) أي درة الـدر[١] وملك هرات وقنـدهار وكابل وانتصر على جيوش الهند.

ثم ظهـرت أسـرة محمـد زائي بعـد فترة من الاضطـرابـات بزعامة الأمير دوست محمـد سنـة ١٢٤٢هـ/ ١٨٢٦م الـذي أسس ملك أسرة زائي المالكة في وقت اشتدت فيه المنافسة بين الانجليز المسيطرين في الهند والروس الذين أخذوا يزحفون على أراضي الاسلام في التركستان.

وهـذا المـوجـز التـاريخي الذي ذكرناه يؤكد رباط أفغانستان بتاريخ الأمة الاسـلاميـة ودورها الايجابي دائماً في رفع الدعوة ونشرها. وقد قدمت اعلاماً من علماء الفكر الاسلاميين مع بلاد ما وراء النهر منهم أبو حنيفة النعمان والإمام أحمد ابن حنبل والبخاري والترمذي وابن قتيبة والرازي والغزالي، ومن الفلاسفة ابن سينـا والفـارابي والبـيروني، وجـابـر بن حيـان، والجرجاني، ومن علماء الآداب واللغة الزمخشري والسكاكي والتفتازاني والجامي، ومن علماء الكلام النسفي والقندهاري[٢].

أطماع الانجليز ومحاولاتهم احتلال أفغانستان :

واستطـاعـت أفغـانستـان أن تؤكـد طابعها الاسلامي العميق في جهادها ضد القـوى الـروسيـة والانجليـزيـة. فقـد طمعت كل من روسيا والانجليز في الاستيلاء على الصين عن طريق الممر الأفغاني المؤدي إلى التركستان الشرقية.

الحرب الأولى على أفغانستان ١٢٥٣ـ١٢٥٧هـ/ (١٨٣٨ـ١٨٤٢م) :

حاولت انجلترا كعـادتهـا التـودّد إلى الأمـير محمـد دوست لتفرض عليه معـاهـدة حمايـة فلم تجد لديه فائدة، فقررت اقتحام أفغانستان سنة ١٢٥٥هـ/

(١) ناصر الدين شاه ــ افغانستان ص ١٧.

(٢) العالم الاسلامي لأنور الجندي ص ٩٤، وتجد تشابهاً بين هذه القائمة وقائمة علماء التركستان فهي بلاد واحدة تجمعها كلمة خراسان وبلاد ما وراء النهر. أنظر قائمة أكبر من الأسماء في تقويم العالم الاسلامي ص ٢١٠ـ٢١١.

١٨٣٩م، بحجة مناصرة شجاع الملك في منافسته لأمير الأفغان دوست محمد. في الوقت الذي زاد فيه خطر الفرس بتحريض من الروس وأعوانهم[١]. وتمكنت القوات الانجليزية بعد سلسلة من الهزائم أمام الافغانيين من احتلال كابل واجلاس ربيبهم شجاع الملك على عرشها، بعد فرار دوست محمد. فقام الأفغانيون قومة رجل واحد ولم يكتفوا بإخراج الدخلاء وصنيعتهم من العاصمة فحسب بل تمكنوا من إبادة جيش بريطاني بأكمله عند خورد كابل وكان قوامه عشرين ألفاً من الجند المجهز بأحدث الأسلحة فلم ينج من رجاله جميعاً إلا طبيب شاب يدعى بريدون استطاع أن يصل إلى جلال آباد، فأخبر بالكارثة التي نزلت بجيش الامبراطورية التي لم تكن تغرب الشمس عن أملاكها[٢].

وعاد البريطانيون إلى بلاد الأفغان من جديد طلباً للثأر فنزلت بهم عدة هزائم، وقتل الأفغانيون ربيبهم شجاع الملك، فلم يرَ الانجليز بداً من مصالحة دوست محمد والاعتراف به أميراً على الأفغان سنة ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٢م.

الحرب الثانية ١٢٩٣ـ ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨ـ١٨٨٠م :

لما مات دوست محمد عام ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م، خلفه ابنه شير علي الذي عمل جاهداً مثل سلفه للإفادة من منافسة الروس والانكليز. وحدث أن حشدت روسيا سنة ١٢٩٦هـ/ ١٨٧٨م الجيوش المعسكرة في طشقند على حدود أفغانستان فأرسلت انجلترا مذكرة احتجاج على ذلك إلى شير علي الذي لم يجب عليها بشيء فقرّر الانجليز مهاجمة أفغانستان فكانت الحرب الثانية بين الانجليز وأفغانستان. وقد ضمّت الحملة الانجليزية كثيراً من أمراء الهند ومن المرتزقة من القبائل ومن السيك المشهورين بالبسالة. وتمكنت الحملة من دخول كابل بقيادة دوبرتس، وفرتشير علي خان إلى مزار شريف حيث توفي سنة ١٢٩٧هـ/ ١٨٧٩م. ونصب الانجليز يعقوب ابنه أميراً حيث فرضوا عليه

---

(١) الساداتي ص ٤٨٩.

(٢) الساداتي ــ تاريخ المسلمين في شبه القارة ــ ص ٤٩٠، وانظر حاضر العالم الاسلامي ج ٤ ص ١٩٩، ناصر الدين ص ١٨.

معاهدة غاندامق وتخلّى لهم عن بعض الأراضي وتعهد بقبول بعثة بريطانية تقيم بالعاصمة[1].

لم يرضَ الأفغانيون وقاموا بثورة ذبح فيها الأهالي أعضاء البعثة الانجليزية بأجمعهم فعاد اللورد دوبرتس بجيشه ودخل كابل مرة أخرى. ولكن الأفغانيين حصروه في كابل، وحشد أيوب خان بن شير علي جيشاً في هراة وزحف إلى قندهار، وهزم الانجليز، فأجبر الانجليز على الاتفاق على إخلاء افغانستان بأسرها وجلوا عن البلاد سنة ١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠م[2]. فقبض الأمير عبد الرحمن حفيد دوست محمد على أزمة الحكم في عزم وحزم فأقر الأمور وأقام العدل وأشاع الأمن في ربوع البلاد ووطد نفوذ الحكومة وأسس معملاً للسلاح وأصلح بقدر إمكانه تدريب الجيش واستولى على مقاطعة كافرستان في الشرق التي هدى الله أهلها للاسلام فسماها نورستان[3]. وكان يوحي لنفسه ولغيره أن الانجليز يعطونه خراجاً عن الهند، ويقيّد في الحسابات المعونات المادية التي كان يتلقاها منهم «خراج الهند»[4].

ولما وافاه الأجل عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م خلفه ابنه حبيب الله فسار سيرته، وآثر أن يهادن بريطانيا في الحرب العالمية الأولى رغم محاولة الألمان والأتراك اجتذابه. ولكن بريطانيا لم تقدر له صنيعه هذا فأصرّت على الاحتفاظ ببعض مناطق الحدود الأفغانية بدعوى تأمين حدود الهند، وقتل حبيب الله سنة ١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م (دون أن يعرف قاتله ولا أسباب قتله). وقد يكون للانجليز دور في ذلك[5] وتولى العرش بعده ابنه أمان الله خان. وأخذت أفغانستان في عهده تتصل بالعالم الخارجي بعد أن كان الانجليز قد قطعوها عنه منذ سنة ١٢٢٤هـ/ ١٨٠٩م[6].

---

(١) حاضر العالم الاسلامي ج ٢ ص ٢٠٨.
(٢) نفسه ج ٢ ص ٢٠٨.
(٣) نفسه ج ٢ ص ٢٠٩، الساداتي ص ٤٩١.
(٤) ناصر الدين ــ أفغانستان ص ١٩.
(٥) انظر حاضر العالم الاسلامي ج ٢ ص ٢١٠.
(٦) ناصر الدين ص ١٩.

الحرب الثالثة ١٣٤٠هـ / ١٩١٩م :

أرسل أمان الله إلى الانجليز مطالب بلاده ومنها اعادة الأراضي التي اغتصبوها من الحدود الجنوبية والتفرغ عن مرفأ بحري تكون الدولة الأفغانية فيه حرة، وحق تأسيس العلاقات الخارجية رأساً مع سائر الدول، فأبى الانجليز التسليم بذلك فتقدم الجيش الأفغاني ومعه القبائل واخترقوا الهند، فكانت الحرب الثالثة بين الانجليز والأفغان انتهت بتوقيع هدنة راولباندي في ١٩١٩/٨/٨م، ثم وقع الطرفان عام ١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م معاهدة اعترفت بها بريطانيا باستقلال أفغانستان استقلالاً تاماً، وأصبح الأمير أمان الله، الملك أمان الله. ونالت الأفغان الحق في إمرار السلاح عن طريق الهند، وتحديد منطقة محايدة من قبائل بلاد البوتان لا تكون ملكاً للانكليز ولا للأفغان[1].

كان أمان الله شاباً متحمساً يريد أن يرى بلاده راقية، غير أن تجاربه كانت قليلة فاهتم اهتماماً بالغاً بتنظيم حكومته وجيشه ونشر التعليم، وعنى عناية شديدة بتعمير بلاده، غير أنه نزع إلى تقليد مصطفى كمال أتاتورك في نبذ كثير من التقاليد الاسلامية وجهر بذلكَ في رحلته المشهورة التي خرج فيها عام ١٩٢٨م إلى بعض البلاد الشرقية والغربية، فزار مصر ومعه زوجته الملكة ثريا التي خرجت متحجبة من أفغانستان فسفرت ولبس هو القبعة وزار الأزهر بها فانصرف عنه العلماء مشمئزين بعد أن كانوا قد اجتمعوا له، ثم زار أوربة مع زوجته هذه وتركيا، وكانت أخبار تفرنجه وسفور زوجته قد وصلت إلى أفغانستان فهاج العلماء والشعب الأفغاني. حتى إذا ما عاد إلى بلاده ثار عليه فريق من قومه ومعهم طائفة من العلماء ثورة عارمة انتهت بخروجه من البلاد.

استغل رجل من قطاع الطرق الفرصة وهو حبيب الله المعروف بلقب (بجه سقا) أي ابن السقاء، فثار وانضم إليه فريق من الشعب ودخل كابل وأعلن نفسه ملكاً فساءت الحالة وعمّت الفوضى، فاستفاق أهل البلاد وأخذوا يتطلعون إلى شخص محمد نادر خان الشخص الذي انتصر على الانجليز سنة ١٩١٩م، وكان سفيراً لبلاده في باريس فاستدعوه وقاد حركة المقاومة وتغلب

(١) حاضر العالم الاسلامي ج ٢ ص ٢١٥.

على عصابة ابن السقاء وأعلن نفسه ملكاً باسم محمد نادر شاه وساعده أهل الهند وكان لهم النصيب الأوفر في نجاحه، واهتم نادر شاه بالعلم والتعليم وتنظيم الجيش وترقية وسائل العمران بدون أن يتعرض للمسائل الاجتماعية من الأزياء والعوائد والتقاليد[1]، بل سار في الحكم متمسكاً بمكارم الأخلاق والتقاليد الاسلامية ورفض أن يكون العوبة في أيدي البريطانيين أو الروس. ولكنه اغتيل عام **١٩٣٣**م بيد أنصار أمان الله خان[2]. فخلفه ابنه محمد ظاهر شاه وعمره **١٩** سنة وساس أعمامه البلاد سياسة حكيمة عاقلة من كل النواحي. فاهتم بالجيش ونشر التعليم وقوّى اقتصاديات البلاد وعمّرها واستثمر ما بأرضها من خيرات، ووثق العلاقات بالجيران بعامة وبالبلاد الاسلامية بخاصة. وامتازت ملكية أفغانستان بالبساطة فلم يكن للملك مخصصات كبيرة وإنما يقدم له مرتباً مناسباً، وليس هناك مخصصات مالية لأعضاء الأسرة المالكة، ولا يستخدم الملك السيارات الفاخرة ولا يتعطل المرور أثناء مروره، وكان يتم تعيينه بالانتخاب والمبايعة، كما أنه لم يكن هناك عطلة رسمية ليوم ميلاده أو يوم تتويجه[3].

أطماع روسيا :

كانت روسيا القيصرية دولة استعمارية منذ يومها الأول، استطاعت أن تلتهم البلاد الاسلامية الواسعة في تركستان ووقفت على حدود أفغانستان مستعدة لالتهامها وزاد طمعها في أفغانستان بعد قيام الشيوعية فيها، وحاولت الاعتداء على أفغانستان عام ١٣٥٠هـ/ **١٩٢٩**م بقيادة جريماكوف، وبعد مقاومة شديدة من قبل المسلمين واستشهاد حوالي سبعة آلاف مسلم في نهاية ذلك العام رجعت القوات الروسية خائبة[4]. فاتخذت الشيوعية أسلوب النفس الطويل فأخذت بعض الشبان ودربتهم وغسلت أدمغتهم وأعدّتهم للساعة الحاسمة وأخذت تتربص بالبلاد شرّاً، كما قدمت المساعدات والقروض لمحمد

---

(١) حاضر العالم الاسلامي ج ٢ ص ٢١٧.

(٢) ناصر الدين ص ٢١.

(٣) تقويم العالم الاسلامي ص ٢١٣.

(٤) خليل الله خليلي ـ تخشين تجاوز روسية در أفغانستان (الاعتداء الأول على أفغانستان) رجب ١٤٠٤هـ/ اسلام آباد ـ باكستان. دون ذكر اسم الناشر/ ترجمه لي أحد طلابي الأفغان.

ظاهر شاه وظهرت بمظهر الصديق والمعين على مطامع الانجليز الأعداء التقليديين لأفغانستان. كما شاركت في اقامة بعض منشآت الري، وبدأ الخبراء الفنيون يدخلون أفغانستان حتى صاروا يعدّون بالألوف، ثم بدأت المساعدات العسكرية بـ ٢٥٠ دبابة وعدد من الطائرات الميج ٢١ التي استعملت بعد ذلك في الانقلاب العسكري[١].

وتسربت الأفكار الهدامة مع هذه المساعدات والخبراء والشباب والضباط الذين أتموا دراستهم في موسكو إلى أفغانستان. ووصل محمد داود خان ابن عم الملك المتأثر بالأفكار الجديدة إلى رئاسة الوزراء عام ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٣م.

وفي عام ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٦م وقع محمد داود معاهدة التعاون الاقتصادي والعسكري والعلمي والاصلاح الزراعي مع رئيس وزراء الاتحاد السوفييتي (خروتشوف) وتم ارسال مائتين من الشباب الأفغاني سنوياً للدراسات العسكرية والعلمية وغيرها إلى روسيا، وتمكنت روسيا في ظل هذه المعاهدة وهذه العلاقات من بث الأفكار الشيوعية عن طريق توزيع الكتب الالحادية وخبرائهم الذين انتشروا في أفغانستان.

وتنبه الملك إلى خطر محمد داود فأعفاه من منصبه سنة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٣م بعد أن استفحل الخطب وفات الأوان.

وتيسر للعناصر الماركسية العمل السري لتأسيس الحزب الشيوعي الأفغاني في عهد بريجنيف عام ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٥م باسم الحزب الشعبي الديمقراطي. ونشر جريدة يسارية باسم صحيفة الخلق ــ أي الشعب ــ عام ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٦م. وحظي بتأييد محمد داود، وكان نور تراقي وحفيظ الله وبابراك كارمال من العناصر الماركسية التي برزت أسماؤها في ذلك العهد[٢].

وانتظر الشيوعيون إلى أن غادر الملك محمد ظاهر شاه البلاد سنة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م إلى ايطاليا للاستشفاء فأوعزوا إلى محمد داود بالقيام بأول

---

(١) محيي الدين القضماني ــ صفحات في حاضر العالم الاسلامي ــ ص ١١٠.

(٢) مجلة البلاغ الكويتية العدد ٥٨٨ ص ١٦.

(٣) مجلة الأمة ــ استطلاع في أفغانستان ــ العدد ٣٥ السنة ٣/ قطر (ذو القعدة ١٤٠٣هـ).

انقلاب عسكري، وكان انقلاباً أبيضا قضي فيه على الملكية وأعلن الجمهورية الأفغانية. وأسفر الحزب الديمقراطي الشعبي نواياه الخبيثة بتبنيه الماركسية واعلان ولائه لدولة الاتحاد السوفييتي (الصديقة)، وساقت روسيا جيوشها السرية إلى أفغانستان واستلمت مقاليد الحكم من وراء حجاب، وأخذت تصرف سياسة الدولة على هواها، بل أخذ أعوانها ينصبون مكبرات الصوت في الساحات العامة ويذيعون باللغات الثلاث الفارسية والبختوية والأردية وتدعو أهل باكستان عامة وأهل بلوجستان خاصة للثورة على حكومتهم والانضمام إلى الشيوعية. ولم يستطع الأفغانيون عمل شيء لأن الجيش الروسي كان يسيطر على كل شيء في البلاد وسيق الكثير من المخلصين إلى المعتقلات والسجون[1].

كانت فترة حكم محمد داود فترة انتقالية في سبيل تحويل أفغانستان إلى بلد يدور في فلك موسكو ويأتمر بأوامرها، ومن هذا المنطلق استخدم الروس هذا الرجل لضرب الحركة الاسلامية واعدام وسجن قادتها فمهد الطريق أمام الروس، وأفرط في الاعتماد عليهم، حتى إذا أدرك الواقع الأليم الذي يعيش فيه وحاول التفلّت من القبضة الروسية الحديدية، وزار سنة ١٩٧٨م عدداً من الأقطار الاسلامية منها المملكة العربية السعودية وباكستان والكويت ومصر وغيرها. وكان كأنما يستنجد العالم الاسلامي وقد وعدته بعض تلك الدول بالمساعدات المالية والعلمية والفنية فيما لو ابتعد عن الاتحاد السوفييتي ولكن بعد فوات الأوان، فقد اتحد الحزبان الشيوعيان خلق وبرشام بزعامة نور محمد تراقي وهيأت روسيا الجوّ لتقلب الوضع سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٨م وقام بمجزرة تمثل الأخلاق الشيوعية أفظع تمثيل إذ قتل داود خان وجميع أفراد أسرته من كبار وصغار وجميع أعوانه كما قتل مئات من الأهالى وزج بالآلاف منهم في السجون[2]. وأراد تراقي أن يقنع موسكو بإخلاصه لها فسار أشواطاً في تنفيذ مآربها، فعمد إلى إجبار الأفغانيين ــ وهم مسلمون مخلصون لاسلامهم ــ على نبذ الاسلام

---

(١) مجلة الأمة القطرية ـ استطلاع في افغانستان العدد ٣٥ السنة ٣ / ذو القعدة ١٤٠٣هـ.

(٢) ناصر الدين ص ٢٣ وص ٧٠، مجلة البلاغ العدد ٥٨٢ ص ١٤.

واعتناق الشيوعية، فكانت النتيجة ان لاقى المقاومة الشديدة وأخذ المخلصون العاجزون عن المقاومة والقادرون على الفرار بدينهم وأخلاقهم واخلاصهم لبلدهم يفرون ملتجئين إلى باكستان وإلى إيران وغيرهما. أما المجاهدون فقد انحازوا إلى الجبال يعملون على اسقاط حكومة تراقي الشيوعية مما أضعف موقف الضباط الشيوعيين والجأهم إلى تصعيد المعركة مع الشعب الأفغاني المجاهد. واضطرب الأمر فعملت الشيوعية على الإطاحة بتراقي على يد عميل آخر قاد انقلاباً عسكرياً هو حفيظ الله أمين سنة ١٩٧٩م وقد أراد أمين أن يكمل ما بدأه اسلافه من أعمال إجرامية بالحديد والنار ولكنه لم ينجح أمام اصرار الشعب المسلم المجاهد. فأزاحته موسكو على يد عميل آخر وبطريق آخر، وهذا العميل هو بابراك كارمال[١]. الذي وصل البلاد من الاتحاد السوفييتي مع الدبابات والطائرات الروسية الغازية واستلم الحكم وقدم معه ١٠٠ ألف جندي روسي مدججين بالسلاح فعمدوا إلى تدمير القرى والمدن وقتل الناس واحراق منازلهم وقتل مواشيهم، وحدثت هجرة جماعية فوصل عدد اللاجئين إلى باكستان في الفترة الأولى أكثر من مليون أفغاني[٢]. وقتل عشرات الألوف[٣]. فاكتسى الانقلاب الأخير صفة حرب ضد الشعب الأفغاني لإبادته مدّعية موسكو انها تدخلت بناء على طلب الحكومة الأفغانية!!

هذا ويتعمد الروس إجبار الأفغانيين على الهجرة لكي يحلّوا محلّهم اناساً من روسيا، فمن وسائلهم تخيير الناس بين تغيير دينهم وقبول الشيوعية، ومنها الاعتداء على النساء، ومنها حرق المنازل حتى لا يبقى لهم مأوى فتستوي عندهم الهجرة والبقاء[٤] بل يفضلون الهجرة ليحفظوا كرامتهم بعد أن فقدوا مالهم ومتاعهم. وحيث أن المهاجرين يهاجرون أفواجاً وجماعات فإن الطائرات

---

(١) مجلة البلاغ العدد ٥٥٨ ص ١٧، وكان يعمل كعميل لجهاز المخابرات السوفيتية كي. جي. بي لفترة طويلة من الوقت، المجتمع الكويتية العدد ٦٠١ ص ٣٥.

(٢) وبلغ عددهم مليون وسبعمائة ألف عام ١٤٠١هـ في باكستان على حد قول بول هارتلينج المفوض السامي الدولي للأمم المتحدة (الجزيرة ٨ جمادى الأولى ١٤٠١هـ) في حين بلغ عددهم عام ١٤٠٦هـ ثلاثة ملايين أو أكثر في باكستان وحدها (أخبار العالم الإسلامي ١٦ محرم ١٤٠٦هـ ١٩٨٥/٩/٣٠م العدد رقم ٩٤١.

(٣) ناصر الدين ص ٢٦.

(٤) ناصر الدين ص ٣٠.

الروسية تلاحقهم وتقصفهم بقنابلها لتفني من تقدر عليه مع مواشيه أيضاً وما خف حمله من متاع .

الحركة الاسلامية في أفغانستان :

كان من أوائل المجاهدين في الحركة الاسلامية في أفغانستان الأستاذ غلام محمد نيازي الذي تعلم في مصر في الأزهر، ولما رجع إلى بلاده عيّن أستاذاً بكلية الشريعة بجامعة كابل وبدأ بتوجيه وتربية شباب هذه الكلية ، ولما انتخب عميداً لها عمل على ايجاد الاصلاحات في وزارتي العدل والتربية والتعليم وعمل على تدريس مادة الدين في جميع الكليات واحرزت كلية الشريعة في عهده تقدماً جعلت منها محور الحركات والمساعي الدينية والاجتماعية في الجامعة . واقترح تشكيل مركز للبحوث الاسلامية في اطار الجامعة . وبعد ذلك أسس الجمعية الاسلامية ، واختار أعضاؤ ها سنة ١٩٧٣م الأستاذ برهان الدين رباني أحد أساتذة الكلية أميراً . وبقي الأستاذ نيازي كمؤسس وموحد صفوف النهضة والمرشد الفكري لها . وهذه الجمعية هي أولى المنظمات الاسلامية وأقواها في أفغانستان . وقد قبض على الأستاذ غلام محمد نيازي وعلى عدد من زملائه سنة ١٩٧٣م بعد انقلاب محمد داود مباشرة[1] أما الأستاذ برهان الدين رباني فقد ذهب إلى باكستان في أواخر العام نفسه بعد محاولات لاعتقاله ، وقام بجولة في العالم العربي شارحاً القضية الأفغانية ومعرّفاً بها ، وليعود ثانية إلى باكستان مستأنفاً قيادة الجماعة في جهادها[2] .

وظهرت إلى جانب الجمعية الاسلاميية الأفغانية منظمات اسلامية أخرى منها :

١ ــ حزب أفغانستان الاسلامي بزعامة عبد الرحيم نيازي ، وتوفي بمرض مزمن ، وتعاقب على زعامته عدد من الشباب الذين اغتيلوا جميعاً إما بيد

(١) مجلة صوت الجهاد ــ مجلة اسلامية شهرية تصدرها جمعية أفغانستان الاسلامية . العدد الأول صفر ١٤٠١هـ . ص ٤ و١٨ بتصرف .

(٢) مجلة المختار الاسلامي العدد ٩ السنة الأولى ١٥ ربيع ثان ١٤٠٠هـ . ص ٣٣ .

السلطة أو بأيدي عناصر ماركسية متطرفة إلى أن تزعمه مولوي حبيب الرحمن الذي استشهد في إحدى المعارك داخل أفغانستان فخلفه غالب الدين حكمتيار[1].

٢ ـ حركة الانقلاب الاسلامي وأسسها بعد انقلاب محمد داود سنة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م مولانا محمد نبي محمدي والذي كان رئيساً لجمعية خدام الفرقان معلناً بذلك جهاده المسلح ضد الحكومة القائمة.

٣ ـ الحزب الاسلامي الأفغاني ـ انشق عن الحزب الاسلامي الذي يقوده حكمتيار إثر اختلاف قائده محمد يونس خالص وهو عالم كبير في السن مع حكمتيار على قيادة الأخير لحزبه من باكستان. وترتب على ذلك خروج محمد يونس مع جماعته ليواصلوا جهادهم من داخل الأراضي الأفغانية محتفظين لأنفسهم بنفس الاسم.

٤ ـ الجبهة الوطنية لإنقاذ أفغانستان: وزعيمها صبغة الله مجددي الذي ينتمي إلى عائلة مجددي ذات الاقطاعات والنفوذ الواسع في أفغانستان والتي أمعن فيها محمد داود تقتيلاً حتى كاد أن يبيدها مع مصادرة كافة أملاكها، فعاد إليها بعد انقلاب تراقي وأسس جبهته التي ترفع شعارات اسلامية ولكنها تؤمن في الوقت نفسه بضرورة التلاحم بين مختلف القوى الوطنية في سبيل التحرير مهما كان اتجاهها.

٥ ـ الجبهة الشعبية الاسلامية الأفغانية (المعاز الوطني الاسلامي): ومؤسس هذه الجبهة هو سيد أحمد كيلاني وينتمي إلى عائلة كبيرة ذات نفوذ كبير مرّت بنفس ظروف عائلة مجددي، هرب إلى باكستان وأسس جبهته التي تشبه إلى حد كبير جبهة مجددي في منطلقاتها وأهدافها[2].

---

(١) المصدر السابق ص ٢٤. وانظر مجلة الموقف ـ يصدرها الحزب الاسلامي الأفغاني ص ٨ـ١٣ العدد ٢٣ رمضان ١٤٠١هـ/ أغسطس ١٩٨١م.

(٢) أعلام المجاهدين في أفغانستان ص ٤٦.

التحالف الاسلامي لتحرير أفغانستان :

واجه الشعب الأفغاني المسلم الحكم الشيوعي والغزو الروسي لبلادهم بإيمان صادق وقوة عظيمة برجاله ونسائه، بكباره وصغاره، بمنظماته وقياداته، ومن ورائه الشعوب الاسلامية، وكان الناس ينتظرون من المنظمات أن تقف صفا واحداً لمواجهة العدو خاصة بعد التدخل الروسي السافر، فأصبح توحيد صفوف المجاهدين عملية ضرورية لمواجهة العدو ولاتخاذ تخطيط واحد من قبل جميع المنظمات.

وفي شهر ربيع الأول ١٤٠١هـ وقعت المنظمات الاسلامية الستة على صيغة مؤقتة للاتحاد ورئيسا مؤقتاً إلى أن يتم وضع التدابير الأخيرة والدائمة. وكان الرئيس المؤقت الذي اختاروه الأستاذ برهان الدين رباني رئيس الجمعية الاسلامية الأفغانية، وأصبح اسم هذا الاتحاد: «التحالف الاسلامي لتحرير أفغانستان» ولكن بعد أربعين يوماً انسحبت إحدى المنظمات وهي الحزب الاسلامي الذي يقوده المهندس: غالب الدين حكمتيار. وأعلنت المنظمات الخمس الباقية الصيغة النهائية للاتحاد، وتم انتخاب مجلس شورى ثوري مركزي مكون من ٣٥ عضواً. انتخب بدوره الأستاذ/ سياف كرئيس أعلى للتحالف نظراً لتاريخه المشرف في الدعوة الاسلامية وعلمه وصلاحه وجهاده.

ورغم جهود الأستاذ سياف المخلصة في محاولة لم شمل المجاهدين وتوحيد قواهم إلاّ أنه للأسف بدأت تظهر بعض الخلافات الشخصية وبدأت بعض الأحزاب تنسحب من التحالف وتفكك التحالف وأصبحت كل منظمة مستقلة بذاتها.

وهنا بدأ يتحرك علماء الأفغان من أجل توحيد هذه المنظمات فتكون مجلس من العلماء عرف باسم: «مجلس علمائي داعيون اتحاد اسلامي» أي مجلس العلماء الداعين للاتحاد الاسلامي.

وفي جمادى الثانية سنة ١٤٠١هـ اجتمع ٣٠٠ عالم من هؤلاء العلماء (نيابة عن الشعب الأفغاني المجاهد) وكتبوا منشوراً من ١٠٣ مواد طالبوا فيه

بالاتحاد الكامل بين المنظمات الستة تحت قيادة واحدة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . وبناءاً على هذا المنشور بدأت اتصالات بين زعماء المنظمات وبين مجلس العلماء الداعية للاتحاد الاسلامي حصلوا فيها على موافقة زعماء الأحزاب على الاتحاد .

وفي رمضان سنة ١٤٠١هـ عقد اجتماع كبير في الجامعة الأشرفية ببشاور حضره العلماء والداعون للاتحاد الاسلامي ووفد يمثل علماء المدينة المنورة والجامعة الاسلامية بها (وهم الشيخ محمد المجذوب، والشيخ عبد الله عبد القادر سنيور، والشيخ علي مشرف العمري) . ورؤساء المنظمات الستة أو من ينوب عنهم ، وبعض أعضاء مجلس الشورى من كل حزب وعدد من المجاهدين والمهاجرين . حيث افتتح الاجتماع بتلاوة آيات من الذكر الحكيم وتكلم أعضاء العلماء الداعين ، وأعضاء وفد المدينة المنورة عن فضائل الاتحاد وأثبتوا بالأدلة والبراهين وجوب الاتحاد وضرورته . وفي نهاية الاجتماع اتفق الأطراف على تكوين :

«الاتحاد الاسلامي لمجاهدي أفغانستان» . وعلى تكوين مجلس أعلى للاتحاد يمثله عشرة أعضاء من كل منظمة من بينهم رئيس المنظمة ، وأن تكون رئاسة المجلس الأعلى بالتناوب ، وبناءاً عليه تكون المجلس الأعلى من خمسين عضواً عن خمس منظمات حيث خرج من الاتحاد المعاز الوطني الاسلامي بقيادة أحمد كيلاني . وفتح أمامه باب الاتحاد . وانعقدت أولى جلسات المجلس بعد ذلك بشهر وفي هذه الجلسة سلمت جميع الاختصاصات للمجلس الأعلى للاتحاد الاسلامي كقائد لحركة تحرير أفغانستان .

هذا وقد صار لهذا الاتحاد علماً واحداً لونه أبيض مكتوب عليه «لا إله إلّا الله محمد رسول الله» . وتحتها عبارة «اتحاد اسلامي مجاهدين أفغانستان» . وقد أرسل هذا الاتحاد وفداً من أعضائه إلى داخل أفغانستان لتوحيد صفوف المقاومة[1] .

---

(١) أحمد قنديل ـ مذكرة في حاضر العالم الاسلامي ص ٥١-٥٣ ، أخذها عن منشور باللغة الفارسية أعده العلماء الداعون للاتحاد الاسلامي بعد انعقاد الجلسة الأولى للاتحاد الاسلامي لمجاهدي أفغانستان ، وقام بترجمته له الشيخ فضل الرحمن عبد الغفور الطالب بقسم الدراسات العليا بالجامعة الاسلامية آنذاك .

ورغم هذه الجهـود التي بذلت من أجـل توحيـد المنظـمات لكنهـا باءت بالفشـل. ولكن القـادة استطاعوا تنسيق أمورهم الجهادية في الساحة العسكرية إلى حدّ كبـير، وهنـاك تعـاون مستمـر بين قادة الجهـاد العسكـري رغم وجـود التشتت في قياداتهم السياسية خارج أفغانستان.

ردود الفعل العالمية للغزو السوفييتي :

تجاوبت كثـير من البلدان الاسـلاميـة مع أفغـانستان قولاً وعملاً حسب طاقتها، في حين اعترف بعضها بحكومة كابول واعتبرتها حكومة ثورية وتقدمية واشتراكية، وبارك بعضها الغزو السوفييتي ورحبت به، ووصفته بأنه تعاون بين نظامين ثوريين[1].

وقد عقد المؤتمر الطارىء لوزراء خارجية الدول الاسلامية في اسلام آباد عاصمـة باكستـان (رجب ١٤٠٠هـ/ فبرايـر ١٩٨٠م) لبحث قضية أفغانستان واشـترك في هذا المؤتمـر الشيـخ برهـان الـدين ربـاني أمـير الجمعيـة الاسلامية الأفغـانيـة كناطق رسمي لجميع المنظمات الاسلامية الجهادية، والقى خطاباً بيّن فيـه الجـرائم التي ارتكبتها القوات الروسية، وطلب من أعضاء المؤتمر أن يقطعوا علاقـاتهم الـدبلومـاسيـة والاقتصـاديـة مع الاتحـاد السـوفييتي، وان يعـترفـوا بالمجاهدين كممثلين شرعيين للشعب الأفغاني، وان يساعدوهم بالدعم المادي والمعنوي من أجل استمرار جهادهم.

واستنكـر المؤتمـر العـدوان الـروسي، وشكلوا وفـداً من ايـران وباكستان ورئيس منظمـة المؤتمـر الاسـلامي للتفـاوض مع كابـل وموسكو، ولكن الاتحاد السوفييتي رفض استقبال الوفد ولم يعترف به.

وفي المؤتمر الحادي عشر في العام نفسه (شعبان ١٤٠٠هـ/ مايو ١٩٨٠م) نشـط المتعـاونـون مع النظـام الشيـوعي الـروسي فاتخـذت الـدول الاسـلامية المعـارضة للعدوان الروسي أسلوباً دبلوماسياً بتخفيف حدة الاستنكار والإكتفاء

---

(١) مجلة الدعوة العدد ٤٨ ص ٩.

بتشكيل لجنة ثلاثية مكونة من وزراء خارجية باكستان وايران وأمين منظمة المؤتمر الاسلامي لحل قضية أفغانستان.

واشترك الأستاذ عبد رب الرسول سياف كناطق من قبل المجاهدين وألقى خطاباً باسمهم في مؤتمر رؤساء الدول الاسلامية الثالث في مكة (ربيع الثاني ١٤٠١هـ/ يناير ١٩٨١م).

وكذلك اشترك الشيخ برهان الدين رباني كناطق رسمي باسم المجاهدين في مؤتمر القمة الاسلامية في الدار البيضاء بالمغرب عام ١٤٠٤هـ.

أما المحافل السياسية الغربية وصحفها فقد كانت كثيرة الاهتمام بهذه القضية، واستنكرت ما فعله الروس في أفغانستان وحذرت العالم من نياتهم التوسعية الاستعمارية.

وعرضت المسألة على هيئة الأمم المتحدة لأول مرة (ربيع الثاني ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) وأتخذت عدة قرارات لصالح أفغانستان، وظهر فيها تفهّم أحداث أفغانستان لدى القسم الأعظم من الدول. فقد أدانوا التدخل السوفييتي صراحة، وطالبوا بانسحاب الجيوش الروسية من أفغانستان، وأعربوا عن احترامهم التام لسيادة هذه البلاد واستقلالها، وأكدوا على حق الشعب الأفغاني في تقرير مصيره بنفسه.

أما الاتحاد السوفييتي فقد برر تدخله بالأسباب الرئيسية التالية:

١ ــ ان دخول جيوش أجنبية أفغانستان، اقتضته الهجمات المسلحة التي حرّضت عليها الامبريالية والرجعية ضد حكومة الجمهورية الديمقراطية الأفغانية، وان وجود الجيش الروسي كان أمراً حيوياً لضمان سيادة واستقلال الشعب الأفغاني.

٢ ــ إن هذا التدخل جاء استجابة لطلب تقدمت به الزعامة الأفغانية مرة بعد مرة وفقاً لنصوص معاهدة الصداقة المعقودة بين الاتحاد السوفييتي وبين أفغانستان في ديسمبر. كما أن تصرف الاتحاد السوفييتي جاء وفاقاً للمادة ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة المتعلقة بالدفاع عن الحقوق الفردية والجماعية لكي لا يسمح

لأفغانستان بأن تغدو رأس جسر لاعداد اعتداء امبريالي على الاتحاد السوفييتي.

٣ ــ إن الجيوش الروسية لم تشترك بالانقلاب الحكومي الأفغاني الأخير وان وجودها في أفغانستان أمر يخص الاتحاد السوفييتي وأفغانستان وحدهما.

ولم تقنع هذه التبريرات أحداً، فقد أثبتت المناقشات زيفها وافتراءها وتناقضها[1].

وأما باكستان فرأت أن من واجب الهيئة العامة أن تصدر نداءً جماعياً يتضمن ما يلي:

١ ــ انسحاب القوات الأجنبية من أفغانستان فوراً وبلا شرط.

٢ ــ ايجاد ظروف مناسبة يستطيع معها الشعب الأفغاني أن يقرر مصيره بنفسه من غير تدخل خارجي أو إملاء إرادة عليه.

٣ ــ احترام سيادة أفغانستان وسلامة أرضها واستقلالها.

٤ ــ ايجاد ظروف مستقرة وهادئة في أفغانستان تسمح للاجئين بالعودة إلى بلادهم مختارين في ظروف أمن على حياتهم وكرامتهم، وعلى هيئة الأمم أن تستمر في مساعدتهم، لتمكنهم من التغلب على الحياة القاسية التي يحيونها إلى أن يعودوا إلى وطنهم[2].

وعلى كل فإن قرارات الهيئات والمنظمات الدولية مثل الأمم المتحدة قد خبرها العالم كله ولم تعد تحظى بتنفيذ الدولة التي صدر القرار ضدها، والأمثلة كثيرة في فلسطين وأرتيريا وكشمير وغيرها. ولذا فواجب المجاهدين الأفغان الّا يركنوا إلى الأمم المتحدة لحل قضاياهم. وواجب المسلمين أن يقفوا مع المجاهدين المسلمين الأفغان يشدون أزرهم ليتجاوزوا المحنة.

كما ويجب أن ندرك أن أمريكا راضية كل الرضا عن الاجراء السوفييتي تجاه الشعب الأفغاني لأن ذلك يحقق لها القضاء على المجاهدين أو اضعافهم على

---

(١) ناصر الدين شاه ص ٥٨.

(٢) نفسه ص ٦٢.

الأقل وهم الذين يمثلون جزءاً هاماً من الصحوة الاسلامية العالمية والتي يعتبرها الأمريكيون أخطر ما يهدد الحضارة الصليبية الآفلة، دون أن تغمس أمريكا يديها في دماء المجاهدين حتى لا تزداد كراهية المسلمين لها وفي الوقت نفسه فإن هذا الغزو الهمجي سوف يشيع الذعر في قلوب الحكومات الهزيلة المتسلطة على بعض شعوب المنطقة فتكون النتيجة ارتماء تلك الحكومات في أحضان أمريكا لحمايتها[1].

السياسة الشيوعية في أفغانستان :

ازداد عدد الغزاة السوفييت لأفغانستان فبلغ أكثر من ١٢٠ ألفاً، وتم تدمير حوالي ٦٠٪ من القرى حول المدن تدميراً كاملاً لإجبار سكانها على الهجرة والفرار، وبلغ عدد اللاجئين عام ١٤٠٣هـ أربعة ملايين ونصف مليون يمثلون ربع السكان منهم ٥٢٪ من الأطفال اليتامى، و٢٤٪ من النساء الأرامل، و٢٣٪ من الشيوخ الكبار[2] في السن. ومنهم ثلاثة ملايين في باكستان، ومليون في ايران، و٢٠٠ ألف في الهند، و٣٠٠ ألف في البلاد الاسلامية كالكويت والمملكة العربية السعودية والإمارات، بالإضافة إلى عدد آخر في الدول الأوروبية[3].

ويعاني المجاهدون والمهاجرون قلة الأطباء، والمستشفيات فهناك ١١٦ طبيباً فرنسياً، و٩٠ عيادة سويدية بين صفوف المجاهدين، و٦٠٠ سرير لعلاج ثلاثة ملايين لاجيء في بيشاور تنتشر بينهم الأمراض، ومما يزيد عمق المشكلة أن هناك الأطباء والفنيين الغربيين يعملون في مؤسسات صليبية منظمة، أهدافهم تبشيرية واضحة[4]، فتتجمع بذلك على الساحة الأفغانية المسلمة المخططات

---

(١) مجلة الدعوة العدد ٤٨ جمادى الاخرة ١٤٠٠هـ/ وانظر مجلة البلاغ العدد ٨٢ ص ٥٠.

(٢) المجتمع الكويتية العدد ٧٠٨، الثلاثاء ٢٠ جمادى الآخرة ١٤٠٥هـ/ ١٢ مارس ١٩٨٥م ص ٥.

(٣) صحيفة المدينة ص ٢١، العدد ٥٩٠٢ السبت ٩ شعبان ١٤٠٣هـ، وقد سطّر بعض بطولات المجاهدين الأفغان عبد الله الرفاعي بعد أن عاش أياماً بين المجاهدين الأفغان (المجتمع العدد ٧٠٠ الثلاثاء ٢٤ ربيع الآخر ١٤٠٥هـ/ ١٥ يناير ١٩٨٥م) وذكر أن المجاهدين يسيطرون على ٨٠٪ من أراضي أفغانستان رغم ظروفهم الصعبة. ويديرون هذه المناطق إدارة اسلامية فبكل منطقة أمير يسمى قائد المنطقة وله عمال على القرى والأقاليم يقومون برعاية مصالح من بقي من الأفغان ويحكمون حسب شرع الله ويقيمون المدارس ويوفرون الأمن والحماية.

(٤) المسلمون العدد ٣٦، النفير العام العددان ١٥، ١٦ السنة ٣ ربيع الثاني ـ جمادى الأولى ١٤٠٥هـ.

الشيوعية والرأسمالية الصليبية والصهيونية.

وأخذ السوفييت يتبنون أساليب جديدة في الإرهاب إذ يستخدمون طائرات الهيليوكبتر والمظليين للقيام بغارات سريعة على غرار تلك التي كانت تقوم بها القوات الأمريكية في حرب فيتنام. ومن الأمور المزعجة للمجاهدين النشاطات التي تقوم بها المخابرات الحكومية للكشف على مواقعهم بسرعة ثم مهاجمتها. وأخذ السوفييت مئات الأطفال الأفغانيين إلى داخل روسيا لتلقينهم سياسياً[1]. وكلما اكتظت السجون الأفغانية بالأسرى من المجاهدين، نفذ الشيوعيون أحكام الإعدام في أعداد هائلة منهم، ويتم تنفيذ الاعدام بصورة بشعة أمام زملائهم بالفؤوس التي يستخدمها الجلادون المأجورون كعشماوي الجلاد الذي استقدم من موسكو لهذا الغرض[2].

وأما السياسة الشيوعية في داخل أفغانستان فنلخصها فيما يلي:

عملت الشيوعية السوفيتية (كعادتها في البلاد الاسلامية التي استولت عليها بالقهر) على تمييع الشخصية الاسلامية من الناحية الفكرية والاجتماعية والسياسية فقامت بما يلي:

١ ـ الغاء مناهج العلوم الدينية في المدارس في مراحلها المختلفة وذلك لأن المدرسة تعتبر أحد عوامل تكامل الشخصية. وقد نجح الشيوعيون في أخذ زمام أمور التدريس والتربية. وأخذوا يعملون على أن يضلوا الآلاف من أبناء المسلمين ويصرفوهم عن دينهم وتراثهم.

٢ ـ إنشاء المدارس لتعليم الكبار: لتضليل الفلاحين والعمال والحرفيين فقد خدعوهم بأنهم يريدون أن يعلموهم القراءة والكتابة، ووصلوا إلى حدّ أن أجبروا النساء والفتيات على الخروج من بيوتهن لحضور هذه الفصول الدراسية التي غايتها تلقين الشيوعية والالحاد.

٣ ـ استغلت الشيوعية وسائل الإعلام بأنواعها المختلفة لبث أفكار الشيوعية فنشرت الشائعات والدعايات الكاذبة ضد المباديء الاسلامية

---

(١) الشرق الأوسط (عن النيوزويك) ص ٨ الأحد ٢/١٢/١٩٨٤م.

(٢) المسلمون العدد ٣٦ ١٢/١٠/١٩٨٥م. وانظر العدد ٣٥ ص ٦-٧ والعدد ٣٧ ص ١٢-١٣.

والمجاهدين لتخلق هوّة بين المجاهدين ومواطنيهم .

وفرضت الحكومة على جميع القطاعات الحكومية أن تخصص نصف ساعة يومياً لتدريس العلوم السياسية، وخاصة النظرية الماركسية اللّينينية .

٤ ـ جعلت تعليم اللغة الروسية إجبارياً في جميع المراحل المدرسية والقطاعات العسكرية والمدنية، وخصصّت المكافآت لمن يجيد هذه اللغة كتوظيفهم في المناصب العالية وزيادة رواتبهم .

٥ ـ قامت بإرسال ألاف من أطفال المسلمين الذين تتراوح أعمارهم بين ٧ و١٠ سنوات للقيام بعمل غسيل مخ لهم وتربيتهم تربية إلحادية لمدة لا تقل عن ستة أشهر وقد تصل إلى عشر سنوات . وهناك أكثر من ٢٠ ألف طالب أفغاني في الاتحاد السوفييتي لهذا الغرض(١) .

٦ ـ حاولت بذر الخلافات القومية والقبلية في المجتمع الأفغاني المسلم . فأرسل الجواسيس للتفريق بين القبائل (الباشتو والتاجيك وغيرهما) واغراء بعض ضعفاء الإيمان ليثيروا العداوات والفرقة . وقد اثرت هذه الدسائس على بعض العامة الجهلة(٢) .

لقد انقضى ما يقرب من سبعة أعوام على الغزو الشيوعي الأفغانستاني ولازال الجهاد الأفغاني مضرب المثل، وكلما ازدادت الشيوعية ضراوة وتخريباً لمدن وقرى أفغانستان ازداد الجهاد صبراً وجلداً، فقدم الأفغانيون أكثر من مليون ونصف شهيد، فأحيوا بذلك معنى الجهاد في نفوس المسلمين، وقد تحركت الروح الاسلامية في مئات من شباب المسلمين في البلاد الاسلامية الخاضعة للروس وسقطوا شهداء بعد أن رفضوا مقاتلة اخوانهم في أفغانستان . والأفغانيون بحاجة إلى عون أمة الإسلام فهل تستجيب؟ ﴿**ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز**﴾ (سورة الحج الآية ٤٠) .

---

(١) صحيفة الأخبار المصرية ـ محمد حسن صابر ـ الاصرار على سباق الماراثون الأفغاني . العدد ١٠٢٨١ (١٠ شعبان ١٤٠٥هـ/ ٣ ابريل ١٩٨٥م) القاهرة .

(٢) وقد حذر المجاهدون الشعب الأفغاني مغبّة ذلك، كما ظهر : في مجلة ميثاق خون العددان ١٧، ١٨ السنة الثانية (جمادى الأولى وجمادى الثانية ١٤٠٢هـ) ص ٢٩ . عن رسالة ماجستير للطالب غلام صديق غلام وستكير / اعلام المجاهدين في أفغانستان ص ٥٧ .

أفغانستان

تركستان الغربية
إيران
باكستان
بدخشان
تخار
قندوز
بلخ
جوزجان
سمنكان
بغلان
فارياب
بادغيس
هرات
غور
باميان
پروان
كاپيسا
لغمان
كنرها
كابل
ميدان وردك
لوكر
ننگرهار
پكتيا
غزني
أرزگان
زابل
فراة
قندهار
هلمند
نيمروز

الفصـــل العاشـــر

المســلمون في أندونيســيا

تعني أنـدونيسيـا جزر الهند الشرقية، وعرفت عند العرب والمسلمين باسم بلاد المهـراج أو الجـاوى[1]. وهي عبـارة عن أرخبيل عظيم في جنوب شرق آسيا يبعد طرفها الشرقي عن طرفها الغربي بقدر ما تبعد لندن عن الخليج العربي[2] فهي أكـبر أرخبيـل (مجموعة جزر في العالم). وتضم ١٣٦٧٧ جزيرة صغيرة منها ٦٠٤٤ جزيرة مأهولة. وتنقسم إلى مجموعات هي :

أ ــ مجموعة جزر صُندا الكبرى وهي تشمل :

١ ــ جزيرة جاوة ومادورة ومساحتها ١٣١,٥٠٠كم²، ويبلغ طول جاوة ألف كم من الغرب إلى الشرق، ويتراوح عرضها بين ١٠٠ إلى ١٥٠ كم من الشمـال إلى الجنـوب[3]. وبجـانبها جزيرة مادورة ولا يزيد عرض المضيق الذي يفصل جاوة عن مادورة على ٢ كم فقط.

٢ ــ جزيـرة سومطـرة وهي من أعظم الجـزر العـالميـة يفصلها عن الملايو مضيق ملقـا وعن جاوة بوغـاز الصوند، ويصل طولها إلى ١٧٦٥كم وأما عرضها فيتراوح بين ١٦٠كم و٤٠٠كم. وتبلغ مساحتها ٤٣٠,٠٠٠كم²[4].

٣ ــ جزيرة كاليمنتان (بورنيو) : وهي أكبر جزر الأرخبيل، من بلاد خطّ الاستواء، وتبلغ المنطقة الأندونيسية منها ٥٣٢,٤٣٠كم² في حين تبلغ مساحتها كلّها ٧٤٦,٠٠٠كم²[5].

---

(١) اطلق عليهـا المسعـودي هذا الاسم (حاضر العالم الاسلامي ج ١ ص ٣٤٦). وكذلك ابن خرداذبة وأبو الفدا (حاضر العالم الاسلامي ج ١ ص ٣٤٧). أندونيسيا اليوم العدد الثالث ١٩٧٩م ص ٢.

(٢) غارة تبشيرية جديدة على أندونيسيا ص ١٥.

(٣) حاضر العالم الاسلامي ج ١ ص ٣٥٢.

(٤) نفسه ج ١ ص ٣٥٢.

(٥) نفسه ج ١ ص ٣٥٧. تقويم العالم الاسلامي ص ٢٣٤.

٤ ــ جزيرة سولاويزي ــ وكانت تسمى سيلبس وتبلغ مساحتها ١٨٥,٠٠٠كم٢ [١]. وهي من أغرب جزر العالم في شكلها.

ب ــ مجموعة جزر صُندا الصغرى وأشهرها بالي الجميلة ولومبوك وسومبارا وسومبا وفلورسي وتيمور.

جـ ــ مجموعة جزر مولوكي وتمتدّ حتى الفلبين وكانت تعرف باسم جزر التوابل. وأكبر جزرها جزيرة هالماهيرا وهي غريبة الشكل كسولاويزي.

د ــ القسم الغربي من جزيرة غينية الجديدة والمعروف باسم ايريانا الغربية ومساحة هذا الجزء ٣٩٧,٠٠٠كم٢ [٢]. والجزء الآخر الواقع تحت الإنتداب الانجليزي الأسترالي مساحته ٣٧٢ ألف كم٢.

وتبلغ مساحة هذه الجزر جميعاً أكثر من ٢ مليون كم٢. بينما تبلغ مساحة مياهها أربعة أضعاف اليابسة منها.

ويحدّها من الشمال بحر الصين الجنوبي، ومن الشمال والشرق المحيط الهادي، كما يحدّها المحيط الهندي من الجنوب والغرب ولذلك كان يطلق عليها نوسنْتارا (أي الجزر بين المحيطين). فهي في موقع متوسط بين آسيا وأوقيانوسيا (استراليا). وتتميّز بغزارة الأمطار والرطوبة العالية والحرارة المرتفعة يُلطفها وضعها الجزري، لامتدادها على جانبيّ خط الأستواء، وتقل أمطارها عموماً كلما اتجهنا جنوباً حيث يظهر أثر الصحراء الاسترالية[٣]، وتقع في أوساط الجزر الكبيرة سلاسل من الجبال مكسوّة بغابات كثيفة تغطي ــ مساحة الأرض الأندونيسية، ويستفاد منها الأخشاب[٤] ومعظمها من النوع الثمين، كما تتميّز بكثير من البراكين النشطة والخامدة التي تسبب وجود التربة البركانية الخصبة التي تنقلها الأنهار من المناطق الجبلية إلى السهول والمنخفضات الزراعية الغنية. فحملت اسم الجزر الخضراء[٥].

---

(١) نفسه ج ١ ص ٣٥٥.

(٢) حاضر العالم الاسلامي ج ١ ص ٣٥٧.

(٣) تقويم العالم الاسلامي ص ٢٣٥.

(٤) نفسه ص ٢٥١، أندونيسيا اليوم العدد ٣/١٩٧٩ ص ٢.

(٥) أندونيسيا اليوم ـ وزارة الاعلام ـ جمهورية أندونيسيا.

والبلاد غنية بالمطاط الطبيعي فهي ثانية دول العالم إنتاجاً له بعد الملايو، كما أنها ثانية دول العالم في انتاج القصدير، وتشتهر بالبترول، وبقصب السكر والأرز والشاي والبن والذرة وزيت النخيل والفول السوداني والبطاطا، وفول الصويا والتوابل والأفاويه والقرنفل والقرفة والفانيليا والكينا والكنين وجوز الهند والكاكاو[1].

وتشتهر بصيد السمك، ومن المشاكل التي تعترض اقتصادها وتجعلها فقيرة رغم إمكانياتها الهائلة (كشأن البلاد الإسلامية والعالم الثالث) اعتمادها على إنتاج الأصناف التجارية اللازمة للأسواق العالمية[2]. بمعنى أنّ مواردها موجّهة لخدمة السوق الصناعي في البلاد الاستعمارية فهي مخزن هام للمواد الأولية الزراعية والغذائية والتوابل.

سكان أندونيسيا ولغتهم :

يصل عدد سكانها حالياً حوالي **١٥٠** مليون نسمة، يعيش أكثرهم (حوالي **٦٥٪**) في جزيرة جاوة وجزيرة مادورة في مساحة تقل عن ٧٪ من جملة المساحة الكلية لأندونيسيا، ولذلك فهناك مشكلة توزيع السكان. ويزيد عدد السكان بنسبة ٢,٧٪ سنوياً[3].

ويؤلّف المسلمون حوالي **٩٥٪** من السكان، كما يمثل النصارى **٣٪** والباقي من البوذية والهندوكية والوثنية البدائية التي لاتزال بين القبائل المنعزلة[4] في وسط بعض الجزر النائية. فهي بذلك أكبر دولة مسلمة بالنسبة لعدد السكان.

ويعود السكان إلى الجنس الملاوي الذي ينتشر في الجزر المجاورة أيضاً كالفلبين والملايو وحتى مدغشقر في افريقية، وهناك أقليات صينية وهندية وعربية (خاصة من حضرموت) وأوروبية[5]. وهناك عنصر آخر: الزنوج أول من سكن

---

(١) تقويم العالم الاسلامي ص ٢٤٦.

(٢) نفسه ص ٢٤٧.

(٣) اللواء علي مورتوفو - بعض الأفكار الأساسية ص ٣٨.

(٤) تقويم العالم الاسلامي ص ٢٤٠.

(٥) نفسه ص ٢٤٠.، أندونيسيا اليوم ص ٣ العدد ١٩٧٩/٣م.

البـلاد وبشـرتهم سوداء وقامتهم قصيرة ولايزالون يحيون حياة بدائية يعيشون في الغابات ويمتهنون صيد الحيوانات والتقاط الثمار، وبيوتهم من غصون الأشجار ويستـرون عوراتهم بأوراقهـا. ومن المـدن الكثيفـة السكان في جاوة: جاكارته، وسـورأبـابا، وباندونج، وسيمارانغ ومالانغ وجوجكارتا. ومدن: ميدان وبالمبانغ وبادانغ في سومطرة. وبنجرماسين في بورنيو، وماكاسار في سيلبس.

وتتعدد اللغات واللهجات في أندونيسيا فهي تتراوح بين **١٥٠** و**٢٥٠** لغة ولهجـة، واللغـة الـرسميـة الحـالية هي: باهاسا أندونيسيا التي ترجع إلى اللغة المـالاويـة وتشمـل كثـيراً من اللهجـات الأنـدونيسيـة وكلمات هولنـدية وعربية وسنسكريتية، وتعتبر اللغة الانجليزية الثانية في البلاد وتدرّس في المدارس الثانوية[١].

وكـانت الأنـدونيسيـة تكتب بحـروف عربيـة، ولكن الاستعمار الهولندي أحلّ محلّها الحروف اللاتينية. وبقيت العربية عند كثير من المثقفين وطلبة العلم.

دخول الإسلام إلى جزر الهند الشرقية:

لا يُعرف وقت بدء دخول الاسلام إلى هذه الديار بالدقة، ولكن الأرجح أن الإسـلام وصلهـا في القـرون الهجـريـة الأربعة الأولى عندما ملك المسلمون ناصيـة تجارة المحيـط الهندي[٢]. فكان الدعاة والتجار جنباً إلى جنب. والتجار أنفسهم كانـوا دعـاة إلى الـدين الحنيف. فدخـل سومطـرة من الهنـد وشواطيء المـالابـار والدكن. فقد تنازل السلطان محمد، سلطان ولاية مالابار في الهند عن

---

(١) اندونيسيا اليوم العدد (٣٠) ص٣ عام ١٩٧٩م.

(٢) انظر حاضر العالم الاسلامي ج ١ ص ٣٦٦. ، أندونيسيا اليوم ص ٣ العدد ١٩٧٩/٣٠. وهناك شواهد تدلنا على أن الدعوة الاسلامية قد ظهرت وابتدأت في الجزر الأندونيسية والأرخبيل الماليزية سنة ٦٠٣م/ ٩هـ. توجد في صحيفة من صفحات الكتاب الصيني تقول: إن مملكة تسمى توشى في أرخبيل أندونيسيا قد أبرمت معاهدة مع البلد الصيني أبتداء من سنة ٦٠٣-٦٥٥م فكلمة توشي هي كلمة يطلقها الصينيون على جماعة المسلمين. صفحة من صفحات التاريخ الاسلامي - تاريخ مجيء الاسلام إلى أندونيسيا وما تبع ذلك من مراحل. بقلم د. حسين عزمي، ترجمة هارون علي، أخبار العالم الاسلامي الاثنين ١٦ محرم ١٤٠٦هـ.

العرش لابنه وأبحر إلى سومطرة وهناك عرض على أميرها الإسلام فأسلم وسمي بالملك الصالح وأخذ ينشر الاسلام في سومطرة وكانت أول مملكة اسلامية في تلك الجزر. وكانت علاقة سلاطين هذه المملكة حسنة مع سلطنة دهلي الاسلامية ومع فارس فابن بطوطة الذي زارها عام ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م ذكر أن من العلماء المقربين إليه إثنين من بلاد فارس أحدهما من شيراز والآخر من أصفهان[١].

أمّا العرب الذين وصلوا كدعاة وتجار إلى سومطرة وجاوة فقد حصلوا على احترام عظيم من الأهالي ونفوذ كبير لاسيما السادة والأشراف. فقد تباهى أمراء الأهالي وملوكهم المسلمون بالتقرب إليهم بالمصاهرة، وكثير من أبنائهم أصبحوا سلاطين وأمراء[٢]. وكانت مملكة دماك أول سلطنة عربية في جاوة[٣]. ومن سومطرة وجاوة امتد الإسلام إلى بقية الجزر الأندونيسية. وأخذ الأمراء المسلمون ينشرونه بالفتح والجهاد وإرسال الدعاة بالإضافة إلى التجار. ففي بلدة غريزيك من بلاد سور أبايا في جاوة قبر مولانا الملك ابراهيم أحد كبار المجاهدين (ت سنة ٨٢٢هـ/ ١٤١٩م). وفي بلدة بازة قبر الأمير محمد بن عبد القادر من ذرية المستنصر العباسي (ت سنة ٨٢٢هـ أيضاً)[٤].

وانتشرت الإمارات والسلطنات الاسلامية في تلك البلاد التي أصبحت دياراً إسلامية. بعد أن قضي على سلطنة ماجابا هيت البوذية (١٢٩٣-١٤٠٧م) عندما اعتنق أمراؤها الإسلام. حيث انتهت تماماً عام ٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م. وحلت محلها السلطنات الاسلامية واشتهر من الدعاة في هذه السلطنة: حسين الدين حليف سلطان دماك العربي. ومن أشهر هذه السلطنات الاسلامية سلطنة ماتارام التي بقيت إلى القرن الثامن عشر حين

---

(١) أمير سيد الشيرازي وتاج الدين الاصبهاني - تحفة النظار ج٢ ص٧٠٦ انظر حاضر العالم الاسلامي ج١ ص٣٦٧.

(٢) حاضر العالم الاسلامي ج١ ص٣٦٨.

(٣) نفسه ج ١ ص ٣٤٥.

(٤) نفسه ج ١ ص ٣٦٢. ويقال أن مولانا ابراهيم مغربي الأصل. أنور الجندي. العالم الاسلامي ص ١٢٨.

جزر الهند الشرقية (اندونيسية)

سقطت تحت هجمات الهولنديين[1]. وسلطنة بانتام الجاوية الشهيرة، وسلطنة بونتيانـاك في بورنيـو وكـان عليهـا رجـل عربي اسمـه الشـريف عبد الرحمن بن الشـريف حسـين بن أحمـد القـادري وقبره هناك، وقضت على سلطنته شركة الهنـد الهـولنـديـة وأبقت لذرّيتـه الاسم من الملك[2]. وسلطنـة سانباس وأشهر سلاطينهـا السلطـان محمـد صفيّ الـدين وبقيت إلى القـرن العشـرين. وإمارة سارافاك في بورنيو أيضاً ودخلت تحت الحماية البريطانية في القرن التاسع عشر. وسلطنة كوتاي في بورنيو، قضت هولندة على استقلالها في القرن التاسع عشر أيضاً[3].

كما كانت إمـارات مسلمـة عديـدة في جزيـرة سولاويـزي، واشتهـر من السلاطين هناك علاء الدين (ت عام ١٠١٢هـ/ ١٦٠٣م)[4].

وأمـا أشهـر السلطنـات الاسلامية فهي آتشيه في شمال سومطرة التي حملت الجهـاد الاسـلامي ضد الصليبيـين بعـد سقوط ملقا بيد البرتغاليين، واستمرت سنـداً للدعـاة ترسلهم إلى جميع الجزر إلى أن سقطت عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٠٧م بيد الهولنديين[5].

وقـد أعجب ابن بطـوطـة بسلطان سومطرة المسلم الذي كان يجاهد لنشر الاسـلام فيقـول[6]: «وهـو السلطـان الملك الظـاهر من فضلاء الملوك، شافعي المـذهب، محب للفقهـاء، يحضـرون مجلسـه للقـراءة والمذاكرة، وهو كثير الغزو والجهـاد، متـواضـع، يأتي إلى صلاة الجمعـة ماشيـاً على قدميه، وأهل بلاده شافعيـة محبـون للجهـاد، يخرجـون معـه تطـوّعاً وهم غالبون على ما يليهم من الكفـار، والكفـار يعطونهم الجزية على الصلح». وكانت علاقات السلطنة قوية مع البلدان الإسلامية في بقية أندونيسيا والهند ومع الدولة العثمانية.

(١) نفسه ج ١ ص ٣٥٠.

(٢) نفسه ج ١ ص ٣٥٢.

(٣) نفسه ج ١ ص ٣٥٣.

(٤) حاضر العالم الاسلامي ج ١ ص ٣٥٥.

(٥) انظر دخول الاسلام إلى الفلبين. وكان آخر سلاطينها توانغ كو محمد دافوت الذي دخل حماية هولندة سنة ١٩٠٣م. حاضر ج ١ ص ٣٣٩.

(٦) تحفة النظار ج ٢ ص٧٠٦.

الغـــزو البرتغـــالي :

وصـل الـبرتغاليون ملقا عام ٩١٧هـ/ ١٥١١م تَحْدوهم الروح الصليبية والطمـع في ثروات الشـرق، وقضوا على سلطنة ملقا الاسلامية وخضع مسلمو المـلايـو للسيطـرة الأوروبيـة قبـل غيرهم من أجـزاء العـالم الاسـلامي، ومثّـل الـبرتغـاليـون الحقد الصليبي على الاسلام والمسلمين، فقد بنوا حصناً في ملقا بحجارة انتزعوها من القبور الاسلامية، ثـم أقدموا على إعدام دفعات متتالية من الأهالي.

وازداد انتشـار الاسـلام في جنـوب شرق آسيا كردّ فعل للحقد الصليبي، بهجـرة عدد كبـير من الـدعاة المسلمين من الصين والهند وبلاد العرب، واتصل المسلمـون بالعـالم الاسـلامي وخاصة مصر والحجاز، بالحج، وطلب العلم فقد وفـد عدد كبـير من طلاب العلم للدراسـة في مدن الحجـاز وفي الأزهـر، فبرز الـترابـط العميق بين المسلمـين في أندونيسيا والمسلمين في الحجاز ومصر، وازداد بذلـك ردّ الفعـل لحركـات الـبرتغـاليـين ومحاولاتهم التبشير بالكاثوليكية بالقهر والإكـراه. وقـامت حركـات ضد النصـارى وخـاصـة بعـد أن قتـل أحـد ملوك أندونيسيا غدراً عام ٩٧٨هـ/ ١٥٧٠م وهو هرون سلطان ترنات التي كانت تمتد سلطته حتى الفلبين.

ولما احتلت أسبانيا البرتغال عام ٩٨٨هـ/ ١٥٨٠م ازداد ضعف البرتغال ولم تستطع أسبانيا أن تحلّ محلّها، بعد أن تحطّم أسطولها على يد فرنسيس دريك القرصان الانجليزي عام ٩٩٧هـ/ ١٥٨٨م في معركة الإرمادا الشهيرة.

الغـــزو الهـــولندي :

استغلت هولندة هزيمة الأسبان على يد بريطانيا عام ٩٩٧هـ/ ١٥٨٨م فأسس تجار أمسـتردام بهولنـدة شركـة الهنـد الشـرقيـة الهولندية عام ١٠٠٤هـ/ ١٥٩٥م، واستطـاعـت السفن الهـولنـدية أن تصل بانتام بجاوة سنة ١٠٠٥هـ/ ١٥٩٦م، ثم أرسلوا إرسـاليـة أخـرى تحت قيـادة فان نك، وأخـرى بعـدهـا، وكسروا البرتغاليين بمساعدة الأهالي، وأخرجوهم من جزائر الهند الشرقية.

واعترفت الحكومة الهولندية بالشركة سنة ١٠١١هـ/ ١٦٠٢م ومنحتها حق احتكار التجارة في هذه المنطقة، وأعطتها الحق في عمل تحالف وعقود مع حكام الشرق، فأخذت الشركة تمارس سلطات سياسية واقليمية واسعة، كما أخذت تبسط سيادتها بالتدريج على الإمارات والسلطنات الاسلامية هناك، وبمعاونة بعضها أحياناً[١].

وفي عام ١٠٢٦هـ/ ١٦١٧م عين جان بيترس كون حاكماً عاماً هولندياً، وفي عام ١٠٢٩هـ/ ١٦١٩م سميت أول قلعة احتلتها بجاوة ـ بتافيا ـ التي بقيت عاصمة لأندونيسيا زمن الحكم الهولندي[٢]. وهي مدينة جاكارتا. على أن سوء الإدارة والفساد أضعفا الشركة فأخذت الحكومة بزمام الأمور بنفسها فألغت الشركة عام ١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م وساد الحكم الهولندي حتى عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م.

وقد احتلتها بريطانيا فترة من ١٢٢٦-١٢٣٢هـ/ ١٨١١-١٨١٦م أثناء الحرب النابوليونية كما احتلتها اليابان أثناء الحرب العالمية الثانية[٣].

السياسة الصليبية الهولندية في أندونيسيا :

اتبعت الحكومة الهولندية سياسة خاصة في استغلال البلاد وطبقت على جاوة نظاماً زراعياً عُرف باسم «نظام الزراعة الإجبارية» وتبعاً لهذا النظام كان على الجاويين أن يخصصوا جزءاً معيناً من أراضيهم للحكومة ويزرعوه بمحاصيل للتصدير (مثل البن والشاي والقرفة وقصب السكر) بتوجيه الحكومة. وكانت مثل هذه المحاصيل تباع قسراً للحكومة بأثمان بخسة. وهذه بدورها تبيعها بأثمان عظيمة في أسواق العالم وتربح فرق سعر الشراء والبيع.

وهذا جرّ إلى أرهاق الناس بالتوسع في مساحات هذه المحاصيل المربحة والنقص في انتاج الحبوب، فانتشرت المجاعات. فطالب حزب الأحرار في

---

(١) انظر مثلاً: سيطرة الشركة على سلطنة سوكادانه سنة ١٧٨٦م، بالاشتراك مع سلطان بونتياناك الذي تثنت عليه هولندة، ولم تبق له غير الاسم. حاضر العالم الاسلامي ج ١ ص ٣٥٢.

(٢) حاضر العالم الاسلامي ج ١ ص ٣٧٠.

(٣) تقويم العالم الاسلامي ص ٢٤٢.

هولنـــدا بإلغـاء هذا النظـام الـزراعي ، فحـلّ القطـاع الخـاص محل استغـلال الحكـومـة . وانتقـل رأس المال الهولندي بكميات متزايدة إلى جزر الهند الشرقية لاستغلال البلاد .

وأمـا أوضـح ما يمثـل سيـاسـة هولندة تجاه الاسلام والمسلمين فهو ما بيّنه هورغـرونيـه الهـولنـدي الذي أقام في جاوة سبعة عشر عاماً درسها تماماً وتجول في بلاد الاســلام ويقـال انـه دخل مكة والمدينة في موسم الحج متنكراً[1] . ونلخص آراءه فيما يلي :

١ ــ العمل على الحدّ من انتشار الاسلام ــ فاقترح هورغرونيه وضع حدّ لتعيـين المأمـورين المسلمـين في البلدان التي أهلها وثنيون حتى لا تساعد الدولة على نشـر الاسـلام بينهم بدون قصد منها . وهو ما وقع فيه الألمان بشرق افريقية في مستعمراتهم[2] .

٢ ــ نصـح بإعطاء الحرية الدينية وعدم التعرض للمسلمين في عقائدهم جهـاراً خوفـاً من الانتقـاض والاضطـراب . ولكن التعرض يكون بحذر وحيطة وخفية لا مجاهرة[3] . وذلك أنه كان في هولندة حزباً ممالئاً لجمعيات التبشير يحث الحكومة أن تحمل المسلمين على النصرانية قسراً ، فبيّن هورغرونيه ما في ذلك من المخاطر .

٣ ــ كما نصـح الحكـومـة أن لا تقيم العقبـات في طريق الحـج لاسيما أن مسلمي جاوة وسومطرة هم أشد محافظة على هذا الركن ، وذلك ردّاً على بعض النواب الهولنديين الذين يدفعون الحكومة على منع الحج أو تصعيب سبيله . فيقول :

«على الحكومة أن تسلك سبيلاً وسطاً فلا تحث على فريضة إسلامية ولا تنهى عنهـا . كما فعلت في الـزكـاة فقـد أعلنت أنهـا تعتـبر هـا من قبيـل الصدقة

(١) حاضر العالم الاسلامي ج ١ ص ٣٣٩ .
(٢) نفسه ج ١ ص ٣٤٠ .
(٣) نفسه ج ١ ص ٣٤١ .

الإختيارية فلا تحمل عليها أحداً ولا تمنعها»[1].

٤ ــ من ناحية القضاء : ذهب إلى عدم سنّ قوانين مأخوذة من الشريعة الاسلامية، بل ينبغي حمل المسلمين على القوانين الهولندية إلاّ ما يتعلق بالأحوال الشخصية كالنكاح والطلاق والميراث[2].

٥ ــ من ناحية السياسة الدولية : ينبه جهاراً وبدون محاباة إلى قطع كل علاقة سياسية بين الجاويين وسائر الحكومات الاسلامية، وخاصة دولة الخلافة العثمانية التي يقول عنها: الخلافة ليست كالبابوية لا شأن لها في السياسة بل هي رئاسة سياسية من أراد الاعتصام بها من المسلمين لا تمكنه طاعة حكومة مسيحية[3]. بل يذهب إلى أكثر من ذلك فيقول : على هولندة منع قناصل تركيا وكلاء دولة الخلافة من أية مداخلة كانت مع الأهالي. بل والأغرب أنه ينصح : «بمنع الاشتراك في الاعانات لسكة حديد الحجاز وعدم إباحة أية إعانة كانت لجرحى العساكر العثمانية أو لأرامل جنود الأتراك وأيتامهم». ويحث حكومته على منع ذكر السلطان العثماني في خطبة الجمعة وعلى مراقبة التعليم الديني حتى لا يقع فيه شيء من الدعوة إلى الاتحاد الاسلامي، ويطلب حذف باب الجهاد من الشريعة[4].

٦ ــ يوصي الدولة الهولندية بالحدّ من هجرة الحضارمة إلى أندونيسيا خوفاً أن ينشروا الدعوة الاسلامية وينبهوا الأهالي إلى أمور لا ينتبهون إليها. ويوصي بوضع الحواجز أمام مَنْ في أندونيسيا منهم ومراقبة حركاتهم وسكناتهم، وتنغيص حياتهم لحملهم على ترك تلك الديار[5].

٧ ــ دعا إلى أن تكون أندونيسية هولندية، وتحقيق ذلك عن طريق العلم والتربية وإلى قيام عاطفة قومية تناهض نزعة الصلة بالعرب وبالإسلام، فهو يأسف من مطالعة المسلمين في أندونيسية للكتب التي تحرّر في البلاد العربية

---

(١) حاضر العالم الاسلامي ج ١ ص ٣٤٢.
(٢) نفسه ج ١ ص ٣٤٢.
(٣) نفسه ج ١ ص ٣٤٢.
(٤) نفسه ج ١ ص ٣٤٣.
(٥) نفسه ج ١ ص ٣٤٣.

والاسلامية[1] ويرى صبغ البلاد بالصبغة الهولندية.

فعمدت هولندة إلى اللغة فأخذت تَحول دون قيام لغة موحدة، وتَحول دون ارتباط هذه باللغة العربية عن طريق نشر اللغة الهولندية وجعلها أساس التعليم في المدارس منذ المراحل الأولى، وعملت على إبقاء تعدّد اللهجات، ولما استطاعت اللغة الأندونيسية (باهاسا هندونيسيا) أن تفرض نفسها ــ كلغة موحدة بدلاً من **٢٥** لغة كان يتخاطب بها السكان وتتشعب إلى **٢٥٠** لهجة محلية ــ بواسطة الحركة الاسلامية، وكانت تكتب بالحروف العربية، عملت هولندة إلى تحويلها إلى الحروف اللاتينية في أوائل القرن العشرين[2].

كما قامت السياسة الهولندية على الإتجاه للدعوة إلى إحياء تاريخ إمبراطورية ماجاباهيت الوثنية القديمة، والمغالاة في تقدير هذا التاريخ ومحاولة اتخاذه مثلاً أعلى في البطولة، بواسطة علماء الآثار وعلماء اللغات القديمة.

٨ ــ عملت هولندة على صبغ الجامعة الأندونيسية بصبغة قومية خالصة لإخراجها من جوهرها الاسلامي وطبعها بروح إقليمية ووثنية قديمة[3]. وهذا ما فعلته القوى الاستعمارية في جميع بلاد الاسلام. فقد رأى هورغرونيه القوي يمكن أن يكون عامل إضعاف للحركة الاسلامية وصمام أمن ضد قيام صلات بين الحركات التحررية في أندونيسيا وبين بقية أقطار العالم الاسلامي.

٩ ــ شجعت هولندة الحركات الإلحادية والهدامة، فشجعت التيار الشيوعي الماركسي باعتباره كفيل ببثّ الإلحاد في صفوف الأهالي ونشر الفساد بينهم، وهو الأمر الذي سيدعو المسلمين إلى مقاومته بضراوة، والإتجاه إلى محاربته والانشغال به عن مقاومة الاستعمار الهولندي ومؤسساته المختلفة[4]. وان هذا التيار سيتلقى مساعدات واسعة من كل الشيوعيين في العالم فيمكنه أن يثبت

---

(١) حاضر العالم الاسلامي ج ١ ص ٣٤٢.
(٢) أنور الجندي ـ العالم الاسلامي ص ١٤٠ وص ٣٠٠.
(٣) نفسه ص ٣٠٠.
(٤) محمود شاكر ـ أندونيسيا ص ٤٨.

أمام ضربات المسلمين، وبذلك يبقى نزيف الأمة الاسلامية وحاجتها إلى غيرها.

وفتحت هولندة الباب للأحمدية والقاديانية المنحرفتين عن الاسلام والدّ خصومه وهما تعملان باسم الاسلام للمستعمرين. وهيأت لهما أفضل الظروف التي يمكن أن تؤمنها سلطة حاكمة، وافتتح مركز للقاديانية في البلاد فاندفع المسلمون يقاومون هذا التيار وانشغلوا في مجادلات أشغلتهم عن مقاومة الإحتلال الهولندي(١).

١٠ ـ شجعت هولندة حركة التبشير الذي اشتد خطره بعد الإستقلال. ففي مؤتمر المستشرقين في ليدن عام ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م قال ناظر المعارف الهولندية: «إن تبسّط الأمة الهولندية في المشرق لم يكن المقصود منه مجرد المكاسب المادية بل أكثر ما قصدته هولندة بذلك، هو نشر فضائل النصرانية».

ولما ذكر الأمير شكيب أرسلان هذا القول لسنوك هورغرونيه (وكان كلاهما ضمن أعضاء المؤتمر) وقال له: كيف تدعون المسلمين إلى ترك الاهتمام بأمر دينهم ورجالكم الرسميون يعلنون مثل هذا الكلام في محفل كهذا المحفل؟.. وجم هورغرونيه ولحظ الأمير في وجهه الألم من هذا التظاهر الرسمي بالدعاية النصرانية ـ فإن الحكمة عندهم هي العمل بدون إعلان ـ على حدّ تعبير الأمير شكيب(٢).

فقد اعتمدت هولندة (كما في سائر الاستعمار) في تثبيت أقدامها في أندونيسيا عن طريق الارساليات التبشيرية، فنشرت المدارس في مختلف أنحاء البلاد، وغلبت الثقافة الهولندية وظهر جيل يجهل بعضه لغة قومه ودينه، وشيدت الكنائس والملاجيء ودور الأيتام والمستشفيات في المراكز الآهلة بالمسلمين.

ردود الفعل الاسلامية الأندونيسية للسياسة الهولندية:

قاوم المسلمون نفوذ الشركة الهولندية حتى أجبروها على الإنتقال إلى

(١) محمود شاكر ـ أندونيسيا ص ٤٨.
(٢) حاضر العالم الاسلامي ج ٣ ص ٣٧٣.

جاكارتا بعد أن عقدت معاهدة مع سلطانها، ولما تحولت هولندة من تاجر إلى مستعمر علناً قامت عدة ثورات إسلامية لمقاومة هذا النفوذ والتسلط الهولندي وفي مقدمتها ثورة الأمير ديبونجارا في جاوة التي استمرت خمس سنوات (١٢٤١-١٢٤٦هـ ١٨٢٥-١٨٣٠م)، ولم تتمكن هولندة من إنهاء الثورة إلاّ بالخدعة عندما قبضت على الأمير وهو على مائدة المفاوضات[١].

ومن الحركات ـ حرب قوم بدري ـ وبدري جمعية دينية اسلامية تأسست قبل وصول الهولنديين ومعناها البيضاء. رمزاً لطهارة القلوب والملابس البيضاء التي لبسوها، وبدأوا بالدعوة للاسلام، وحينما نزل الهولنديون البلاد أعلنوا الجهاد، وانتصروا أولاً وأقاموا حكماً يرأسه ثمانية علماء، ومن أشهر أبطالهم: الشيخ مصطفى سحاب. ولكن هولندة كعادة المستعمرين لجأت للخديعة فأشعلت حرباً أهلية، وهاجمت في الوقت نفسه قوم بدري وبقيت الحرب مدة خمسة عشر عاماً ١٨٢١ ـ ١٨٣٧م[٢].

أما في شمال سومطرة فقد بقيت سلطنة آتشيه تقود جهاداً مستمراً مع الهولنديين وظهر من قادة الجهاد علي الدين محمود شاه إلى أن توفي سنة ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م، ثم تنكو عمر وقاد الجهاد إلى أن استشهد سنة ١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م، فتولت زوجته القيادة إلى أن استطاع الهولنديون القضاء على المقاومة سنة ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م وبسطوا حمايتهم عليها كما سبق. واستمرت الاضطرابات حتى عام ١٣٣٢هـ/ ١٩١٣م.

إتجه المسلمون إلى توحيد صفوفهم وتأسيس الجمعيات والمنظمات لتنظيم أعمال المقاومة ـ وبدأوا بحركات اصلاحية فظهر في سومطرة المجاهد إمام بونجول (١١٨٦-١٢٨١هـ/ ١٧٧٢-١٨٦٤م) وكان شعار حركته: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده». وواجهت حركته البدع والخرافات[٣].

---

(١) أنور الجندي ـ العالم الاسلامي ص ١٢٨.

(٢) محمود شاكر ـ أندونيسيا ص ٤٣.

(٣) أنور الجندي ـ العالم الاسلامي ص ١٣٥.

كما ظهر في أواخر القرن التاسع عشر الشيخ أحمد الخطيب الأندونيسي الذي جدّد حركة الإصلاح، متأثراً بالحركات التي قامت في الحجاز ومصر، فكان قد جاور في مكة وتلقى العلم. كذلك عبد الكريم امر الله الخطيب الجريء، وزين الدين يونس الذي أصدر مجلة المنبر لسان أنصار الإصلاح وكانت أكبر المجلات الاسلامية في أندونيسيا وقد أنشأت هذه الحركة الاصلاحية العديد من المدارس وألّف لها عبد الكريم كتباً للدراسة[1].

ومن الجمعيات التي أسسها مسلمو أندونيسيا :

١ ـ شركة اسلام ـ وهي أقدم هيئة احتضنت الحركة الاصلاحية والمقاومة ضد هولندة. أنشئت عام ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م بقيادة الحاج عمر سعيد شكرو أمينوتو، وضمت عدداً كبيراً من العلماء المسلمين وقادتهم.

٢ ـ الجمعية الخيرية في جاكارتا وأنشئت سنة ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م.

٣ ـ جمعية مكارم الأخلاق الفاضلة (بودي أوتومو) وأنشئت في سور أبايا شرق جاوة. سنة ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م. برئاسة الدكتور وحيد الدين.

٤ ـ جمعية الإرشاد في سور أبايا أنشئت سنة ١٣٣١هـ/ ١٩١٢م واتجهت نحو التعليم باللغة العربية فقط، وأسسها أحمد السكراتي وهو من السودان.

٥ ـ الجمعية المحمدية ـ أنشأها الحاج أحمد دحلان عام ١٣٣١هـ/ ١٩١٢م وقد ركزت اهتمامها على التعليم ونشر مباديء الاسلام فافتتحت المدارس وأقامت جامعة، كما أسست المساجد والمستشفيات، وهي أكبر جمعية تعليمية في العالم إذ تشرف على ١٥٠ مدرسة ثانوية و١٠٠ مستشفى و٣٠٠ دار للأيتام[2].

٦ ـ جمعية نهضة العلماء، وأسسها الحاج هاشم أشعري سنة ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م، وصارت من أكبر الأحزاب السياسية ولها قسم نسوي يسمى مسلمات

(١) نفسه ص ١٣٦.

(٢) محمود شاكر ـ أندونيسيا ص ١٤٥.

النهضة، (وأقام هذا الحزب عام ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م جامعة المسلمات الأندونيسية)(١).

٧ ـ الجمعيـة العـائشيـة : التي تأسست عام ١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م وهي خاصة بالسيدات ومركزها مدينة ميدان فى سومطرة.

وقد بلغ عدد الجمعيات ٥٧ جمعية.

وقـد انتجت هذه الجمعيـات وعياً ألهب الحماس فقامت ثورة مسلحة ضد هولندة (١٣٤٥-١٣٤٦هـ/ ١٩٢٦-١٩٢٧م) لم تستطع هولندة إخمادها إلّا بعد أن استعـانت بانجلترا التي استعملت أشـدّ الأساليب وحشية، وذهب فيها عدد كبير من العلماء المسلمين وقادتهم(٢).

ومن خلال الجمعيـات والهيئـات انبثقت الأحـزاب المختلفـة الإتجـاهات فتكـوّن: حزب اتحـاد الشعب الأنـدونيسي الـذي أسسـه الـدكتور سوتومو عام ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م واتخذ فيما بعد إسم حزب أندونيسيا العظيم.

وحـزب الأمـراء الـذي كان يرى التعـاون مع الحكـومة الهولندية لإمكان الحصول على الاستقلال.

وحزب جاوة الفتاة.

وفي عام ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م أسس أحمـد سوكـارنـو الحـزب الـوطني، وانفصـل الحـزب الاسـلامي الأنـدونيسي عن شركـة إسـلام عام ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م بزعامة سوكيمان، وتأسست جمعية الشبان المسلمين وحزب التنوير الاسلامي.

وقــد بدأت بعض الجمعيـات والأحـزاب الاسـلاميـة تتقـارب فكـوّنت الجمعيـة المحمـديـة وجمعيـة نهضـة العلماء مع جمعيات أخرى شبه اتحاد باسم: المجلس الاسـلامي الأعلى الأنـدونيسي ـ بين الحربين ـ وانشغل هذا الاتحاد بعقد مؤتمرات إسلامية عامة واشتغل بمسألة الخلافة، وأسس جمعية الخلافة في الهند الشرقية وهي فرع لجمعية الخلافة في الهند.

(١) محمود شاكر ـ أندونيسيا ص ٤٥. (انظر علي الطنطاوي ـ في أندونيسيا ـ).

(٢) غارة تبشيرية على أندونيسيا ص ١٦.

وبعد الحرب الثانية عام **١٣٦٥**هـ/ **١٩٤٥**م التقت جميع الجمعيات والهيئات الاسلامية في أندونيسيا وأعلنت تأليف: «مجلس الشورى لمسلمي أندونيسيا» وكلمة **ماشومي** هي اختصار هذا الاسم. وقد وضع تعاليم الاسلام في صلب مبادئه، وحمل لواء التقدم ومقاومة الالحاد والدعوات المختلفة المعادية للاسلام[1]. وحمل الدعوة إلى إقامة صرح الإسلام.

وعلى الإجمال فقد تصدّت هذه الجمعيات الاسلامية للبعثات التبشيرية، وعملت على إصلاح عقيدة المسلمين وأنشأت المدارس المختلفة وقاومت الدعوات الهدامة والسياسة الهولندية. التي تمكنت من تأسيس بعض الجمعيات والأحزاب على أسس قومية واقليمية وإلحادية وتتسلل أحياناً في هذه الجمعيات باسم الكفاح المشترك والمصير الواحد.

وأبرز المجالات التي ظهر فيها أثر الجمعيات الاسلامية ــ المدارس الكثيرة المتأثرة بالحجاز ومصر، فتصدّت لها هولندة وأصدرت قانون رقابة المدارس الأهلية الذي أطلقت عليه قانون المدارس المتوحشة سنة **١٣٤٢**هـ/ **١٩٢٣**م للحدّ من انطلاقة الحركة الاسلامية، وكان من نتائج القانون أن أقفل الاحتلال أبواب المدارس الاسلامية بالقوة وشرّد تلاميذها وزجّ مدرسيها في السجون.

فعمد المسلمون إلى تعديل أساليب التعليم الديني وإدخال العلوم الحديثة فقامت مدارس جمعية نهضة العلماء وكان أحمد دحلان أول من نادى بذلك وحققه في مدارس الجمعية المحمدية في جاكارتا[2]. وانتشر الوعي السياسي وبدأت البلاد تتطلع للاستقلال.

حركة الاستقلال الأندونيسية :

تمكنت اليابان من احتلال أندونيسيا في الحرب العالمية الثانية بهجوم

---

(١) انظر - أنور الجندي - العالم الاسلامي ص ١٣٦-١٣٧.
(٢) أنور الجندي - العالم الاسلامي ص ١٣٨.

خاطف سنة ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م واستمر حكمها حتى استسلامها سنة ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م.

واتبعت اليابان سياسة الإكتفاء الذاتي في كل الأقطار التي سيطرت عليها، ومعنى هذا أن كل منطقة ستضطر إلى انتاج ما تحتاج إليه من الحبوب والمواد الأولية والغذائية اللازمة. فتعطل بذلك كثير من الرجال عن العمل وظفتهم السلطة في الأعمال الحربية، ودربت الناس تدريباً عسكرياً وألفت فرقاً للدفاع الوطني بقيادة الجنرال سوديرمان وهو من العلماء وأكثر ضباطه كانوا من الجمعية المحمدية. ولم يرض المسلمون عن هذه الفرق فأسسوا فرقاً باسم حزب الله بقيادة زين العارفين من جمعية نهضة العلماء وتدرّبوا على يد اليابان أيضاً، وهكذا ظهرت فرق إسلامية مسلحة. وكانت اليابان قد أطلقت سراح الزعماء المعتقلين، فنشطت حركة المطالبة بالاستقلال، واستطاعت الحركات القومية أن تطفو على السطح ووصل رئيس الحزب الوطني أحمد سوكارنو من طائفة البنجان درجة القيادة لحركة الاستقلال، وجعلت منه وسائل الاعلام العالمية كذلك. وبعد استسلام اليابان بإلقاء القنبلة الذرية على أراضيها عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م أعلن قيام جمهورية اتحادية مستقلة في أندونيسيا وكوّن سوكارنو مع رفاقه حكومة ثورية، فتحركت هولندة وأرسلت جنودها مع القوات الانجليزية بقيادة هاوتورن[١]. فرفضت القوات المسلحة الهندية الموجودة في صفوف القوات البريطانية قتال المسلمين وأعلنوا العصيان، واشتدت مقاومة المسلمين لهولندة فعقدت هدنة سنة ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م. وتدخلت هيئة الأمم المتحدة فانتهى القتال سنة ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م بعد أن انتقصت أرض الجمهورية واقتصرت على قسم من جاوة وقطعة صغيرة من سومطرة، واتخذت جوجكارتا عاصمة لها. وبقي الهولنديون في بتافيا.

أما حزب الله فقد أسس حكومة داخلية عرفت باسم دار الاسلام في بقعة جبلية وسط جاوة طبقوا فيها حكم الله، وأطلقوا على عاصمتها اسم المدينة

---

(١) أندونيسيا العدد ١٩/ ٧٤، ٧ رمضان ١٣٨٩هـ/ ١٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٩م. ص ١٠.

المنورة وجعلوا لغتها العربية[1].

وحاولت هولندة مرة أخرى استغلال الفتنة الشيوعية سنة ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م، فقد حركت قواتها الجوية بعد القضاء على الفتنة الشيوعية إلى جوجكارتا واعتقلت الزعماء سوكارنو ومحمد حتا والحاج عجوز سالم وسوتان شاهرير، واحتلتها. فتألفت حكومة مؤقتة في سومطرة برئاسة سجافردين أحد زعماء حزب ماشومي واستمر القتال في جاوة بقيادة سوديرمان، وكان مريضاً وفي أواخر حياته. وانتشرت حرب عصابات قادها المجاهدون في كل مكان، فتدخلت هيئة الأمم المتحدة وعقد مؤتمر المائدة المستديرة في لاهاي في خريف عام ١٩٤٩م[2]. وقد مثل الدكتور محمد حتا أندونيسيا في المؤتمر، وفي ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٤٩م أصبحت أندونيسيا دولة مستقلة ذات سيادة. وتنازلت هولندة عن كل الجزر عدا غينية الجديدة، وانتقلت العاصمة إلى جاكارته.

وهكذا غادر المستعمر البلاد، بجهاد المسلمين، غادرها بعد أن ترك أشواكاً في حلوق المسلمين، من الخدم الأوفياء والأفكار الهدامة ما يكفل بقاء الدولة المستقلة عاجزة عن المضي في طريق البقاء والتقدم، ضائعة في متاهات الشرق والغرب، تعيش لوناً من ألوان الاستعمار الحديث.

مشكلات أندونيسية بعد الاستقلال :

تعرضت أندونيسية المسلمة إلى عدة مشكلات بعد الاستقلال ومنها :

١ ـ مشكلة الشيوعية :

ذكرنا أن هولندة شجعت الأحزاب القومية والشيوعية لإشغال المسلمين واستنزاف قواهم. فأنشيء الحزب الاشتراكي الديمقراطي الهولندي بأندونيسيا عام ١٩١٧م، وهو فرع من الحزب الاشتراكي الهولندي بهولندة. وعندما انكشف أمر هذا الحزب اعتبر نفسه مستقلاً عام ١٩١٩م. وبعد عام واحد أعلن عن تأسيس الحزب الشيوعي والتحق بالمنظمة الشيوعية العالمية (كومنترن)

---

(١) محمود شاكر ـ أندونيسيا ص ٥١.

(٢) تقويم العالم الاسلامي ص ٢٤٣.، ج. ب دروزيل ـ التاريخ الدبلوماسي ص ٢٩٣.

وكان هذا الحزب يلقى كل تأييد من السلطات الهولندية[1].

وبعد هزيمة اليابان تجمعت جهود المسلمين في حزب سياسي عرف باسم مجلس الشورى الاسلامي واختصاراً: «ماشومي» ضم سنة ١٩٤٥م معظم الأحزاب والشخصيات الاسلامية[2] وانتخب لرئاسته سوكيمان، وسكرتيره الأول أبو الحسن أمينوتو، وسكرتيره الثاني كارتوسويرنو. فقاد حركة الجهاد، فظهرت الأحزاب الشيوعية والوطنية مقابل ذلك. واستطاعت روسيا بدعايتها أن تنسب فضل الحصول على الاستقلال إلى الحزب الشيوعي. وهذا قوّى شوكة الحزب وخاصة عندما دعمه الرئيس سوكارنو وأعطى الشيوعيين المناصب الرئيسية في الدولة ليحدّ من النفوذ الاسلامي باسم الوطنية. فقد أوكل عام ١٩٤٧م إلى عامر شريف الدين الشيوعي رئاسة مجلس الوزراء واحتفظ لنفسه إلى جانب ذلك بمنصب وزير الدفاع ليتمكن من الإشراف على القوات المسلحة. ولقي ذلك معارضة شديدة من المسلمين فأقال الدكتور محمد حتا نائب رئيس الجمهورية وزارة عامر شريف الدين وتولى بنفسه مهمة تشكيل وزارة جديدة. فثارت ثائرة الشيوعيين وتقدم قادتهم بمذكرة إلى الحكومة طالبوا فيها بالتبادل الدبلوماسي مع الدول الشيوعية، وبالتأميم ومصادرة الأملاك وإقالة حكومة الدكتور حتا.

وفي عام ١٩٤٨م دعت صحيفة العمال الشيوعية إلى الانضمام للمعسكر الشيوعي تحت لواء الكرملين. وقام الشيوعيون باختطاف ضباط الجيش، وبأعمال ارهابية في كل مكان. واختطف القادة المسلمون ومنهم الدكتور ماوردي وثلاثة من زملائه قتلوا مباشرة ومثّل بهم. وهوجمت مراكز البوليس. وقتلوا من العلماء وأساتذة المدارس الاسلامية ١٥٠٠ رجل وأحرقت جثثهم بعد إعدامهم، وكويت عيون عدد كبير من الأطفال المسلمين بين الثامنة والثالثة عشرة بالحديد المحمّى. وأعلنت إذاعة ماديون قيام جمهورية أندونيسيا السوفييتية برئاسة عامر شريف الدين.

---

(١) محمود شاكر ـ أندونيسية ص ٤٨.

(٢) انظر ص ٥٦٩.

فأعلن المسلمون الجهاد ودوّت كلمة الله أكبر في كل مكان، وقاد الجيش عبد الحارث ناسوتيون، وقضي على الشيوعيين، وسيق زعماؤهم إلى المعتقلات والسجون، وحكم على عدد منهم بالإعدام وفي مقدمتهم عامر شريف الدين مع تسعة من رفاقه بأوامر الدكتور محمد حتا، في حين بقي الدكتور أحمد سوكارنو صامتاً في هذه المدة. وبذلك قضي على الفتنة الشيوعية الأولى.

عاد الحزب الشيوعي للتسلل إلى المراكز بمساعدة طائفة البنجان الدينية بزعامة سوكارنو رئيس الحزب الوطني ورئيس الجمهورية، واغتنموا فرصة الخلاف مع ماليزيا حول الأجزاء الشمالية من بورنيو التابعة لماليزيا وتشكيل سوكارنو فرقاً لسحق ماليزيا، فتدرّبوا على السلاح وتسلّحوا. وأخذ ينظم الحزب نفسه بمساعدة سوكارنو وسوبندريو الذي قبل عضواً في الحزب الشيوعي على أن يبقى ضمن الحزب الوطني لخدمة الشيوعية. فأزاح عن طريقه الدكتور محمد حتا باستقالته، ودار الإسلام بإزالتها، والأحزاب الاسلامية الكبرى حلّها الدكتور سوكارنو، فأعلن الحزب الشيوعي عام ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م نفسه الحزب الوحيد وابتدأ أعماله الإرهابية قبل ذلك منذ سنة ١٩٦٤م بهجومه على المدارس والشخصيات الاسلامية في عدة مدن.

قام الكولونيل أونتونغ قائد الحرس الجمهوري باختطاف الجنرالات المسلمين وقتل أكثرهم ومثل بجثثهم، وشاء الله أن ينجو وزير الدفاع عبد الحارث ناسوتيون[1].

واستولى الشيوعيون على محطات الإذاعة. فأمر عبد الحارث ناسوتيون قائد القوات البرية الجنرال سوهارتو نائب الجنرال أحمد ياني بالقضاء على الثورة الشيوعية، وهبّ المسلمون مع القوات المسلحة يلاحقون الشيوعيين، فسيطر الجيش على الوضع في ساعات. وفشل الشيوعيون مرة أخرى. وبدأ الصراع بين سوكارنو وقادة الجيش. فحاول سوكارنو عام ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م إعادة وضع الشيوعية بإدخال بعضهم في الوزارة وإبعاد عبد الحارث ناسوتيون فعمت

---

(١) محمود شاكر ـ أندونيسية ص ٦٤.

المظاهـرات البـلاد وحـوّل سوكـارنو صلاحياته إلى وزير الدفاع الجديد الجنرال سوهـارتـو. واختفى الخطـر الشيـوعي عمليـاً ليتسلل فكرياً في قطاعات متعددة وخاصة في حزب جولكار الذي هو عبارة عن سكرتارية مشتركة لمنظمات عاملة، أصبحت في الواقع حزباً حكومياً يدير الجيش ويطلق على نفسه اسم «الفئة العـاملة»[١]. وقـد حظر على الحزب الشيوعي الإدلاء بأصواتهم في الانتخابات العـامـة عام ١٩٦٧م والمنظـمات التـابعـة له، وأيّ أندونيسي أتهم بالإشتراك أو بمسـاعـدة محاولة الانقلاب الشيوعية التي اسفرت عن مصرع ما بين ٥٠٠ ألف ومليـون شخص. وقـد رفـع هذا الحظـر عام ١٩٧٨م لإعـاقـة انطـلاقة الحزب الاسـلامي الـذي حقق نتـائج طيبة في الانتخابات[٢]. كما تسلل الشيوعيون في صفوف المبشرين والتبشير ليكيدوا الحركات الاسلامية.

٢ ــ المشكلة القومية ــ والبنجان ــ البانجاسيلا ــ البانتاتشيلا :

تكوّن الحزب الوطني عام ١٩٢٨م بزعامة الدكتور أحمد سوكارنو من جاوة وكـان زعيـماً خطيبـاً مفـوّهاً ويميل إلى طائفة البنجان الدينية التي تسمى نفسها بالاسلام ولكنها في عقائدها أميل إلى الهندوكية والبوذية وتقوم على أسس علمانية خطيرة تهدف إلى مسخ التعاليم الاسلامية، وإبعادها عن مجال التأثير السياسي والاجتماعي والاقتصادي باعتبارها ــ كما يدعي العلمانيون الحكوميون ــ حواجز تقف دون تقدم أندونيسيا وتطورها[٣].

وصل سوكارنو سدة الرئاسة وأمضى عشرين سنة يحارب التيار الاسلامي بنشـر الفكـر القـومي والبـانجـاسيـلا، والشيوعي، ويعتقل الزعماء المسلمين أو يقيلهم من أمثـال الـدكتـور محمـد حتـا نائبـه الأول، ومحمد ناصر رئيس وزرائه وشاهرير وزير الخارجية.

---

(١) محمود شاكر ـ أندونيسية ص ٧٠.
(٢) الشرق الأوسط ص ٥، الخميس ٢٧ ذو الحجة ١٤٠٥هـ/ ١٢/٩/١٩٨٥م العدد ٢٤٨٠.
(٣) المسلمون العدد ٣٥ ص ٩.

ولمع اسم سوكارنو في مؤتمر باندونغ عام ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م للتضامن الآسيوي الافريقي، وزار عام ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م الاتحاد السوفييتي والصين، وأعلن بعد عودته سياسة الديمقراطية الموجهة ــ بأن يعين الرئيس نصف أعضاء المجلس النيابي ــ فأدى ذلك إلى استقالة الدكتور محمد حتا، ورفض حزب ماشومي الاشتراك في الحكومة، وقام انقلاب عام ١٩٥٨م في سومطرة كردة فعل لتسلط سوكارنو تزعمه الكولونيل أحمد حسين المعروف باسم نمر سومطرة لجهاده الكبير ضد الهولنديين فى حركة الاستقلال واستطاع سوكارنو القضاء على الثورة وأعلن حالة الطواريء وطبق الأحكام العرفية في سائر أنحاء البلاد وحلّ المجلس النيابي عام ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م وحزب ماشومي وألقى زعماءه في السجون، وقضى على حكومة دار الاسلام في المدينة المنورة وقتل زعماءها. وأعلن انتخابه عام ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م رئيساً مدى الحياة، فظهر كأتاتورك في تركيا وانهالت عليه ألقاب الشرف العلمية وغير العلمية، من كل حدب وصوب حتى أصبح يفتخر بتعديد شهادات الدكتوراه الفخرية التي أهديت إليه[١]، واستثار الروح القومية وأخذ يشكل فرقاً لسحق ماليزيا استغلها الشيوعيون (والناساكوم)[٢] القوميون في إضعاف التيار الإسلامي في أندونيسيا.

ولما فضح المسلمون الشيوعية وأساليبها الإجرامية، وأقصى سوكارنو سنة ١٩٦٧م بعد أن ثبت تواطؤه معهم، وصل إلى الرئاسة الجنرال سوهارتو الذي ينتمي لنفس الطائفة ــ البنجان ــ، وسارع الذين أيدوا نظام الناساكوم سابقاً إلى الانفضاض عنه والتنكر له، وكيّفوا أنفسهم مع العهد الجديد. وأخرج زعماء وقادة حزب ماشومي من معتقلاتهم ليواجهوا الخراب والدمار وموجات الإلحاد والإباحية، وبعد انتخابات عام ١٩٧١م حصرت الحكومة النشاط السياسي في ثلاثة أحزاب هي: حزب العمال، وحزب التنمية (الجولكار) وحزب الاتحاد وهو الوحيد الذي له أساس اسلامي وأجبرته الحكومة على أن يتخذ مبدأ

(١) غارة تبشيرية على أندونيسيا ص ١١٨.

(٢) وهي كلمة منحوتة من ثلاث كلمات: ناس من ناسيونال أي «قومية»، و« آ » من «أقاما» أي «الدين»، و«كوم» من «كومينيس» أي «الشيوعية». وهو الانجيل الذي بشر به سوكارنو. (غارة تبشيرية ص ٢٩ وص ١١٧).

البانتشاسيلا بجانب المبدأ الاسلامي .

فتمكّنت طائفة البنجان بتسلمها الحكم من ترسيخ مبادىء بانجاشيلا التي تهدف إلى إحداث تغيير شامل للمجتمع الأندونيسي وأعرافه وأنظمته ومفاهيمه خطوة خطوة، بطريق طويلة ـ كما يقولون ـ تبدأ بالإنسان الأندونيسي فتنشئه إنشاءاً جديداً وتجعل منه إنسان البناء الذي يحمل أخلاق البانتاشيلا، وليس من شك أن المستهدف من وراء هذا المشروع هو الاسلام وقيمه ومبادئه وشريعته بحيث يتحول إلى جانب طقسي عبادي لا دخل له في الحياة الاجتماعية والسياسية[1].

وقد قاومت الحكومة الوطنية كل خطوة نحو الاسلام، فقد كشف علي مسروم في أندونيسيا عن مذابح تعرض لها المسلمون في منطقة تانجونغ بريوك في سبتمبر عام ١٩٨٤م فحكم عليه بالسجن ١٢ عاماً[2]. حتى تبقى أخبار المسلمين في تعتيم. كما أصدرت محكمة جاكارتا حكم الإعدام على زعيم قيادة الجهاد في جاوا بتهمة ممارسة أنشطة تستهدف الإطاحة بالحكومة وإقامة دولة اسلامية وإحلال المبادىء الاسلامية محل مبادىء بانتاتشيلا[3] التي لاتزال الحكومة الأندونيسية تتمسك بها حتى حين كتابة هذه السطور تحت شعار الحفاظ على الوحدة الوطنية.

بل وشجعت الحكومة الحركات التي ظهرت باسم التصوف والحركات الباطنية وباسم المعتقدات الجاوية القديمة التي تعتبر الاسلام ديناً أجنبياً ومنها جماعة «سادار مابان» المنحوتة من ماجاباهيت وبانتاتشيلا[4].

---

(١) Manopol- Usdek in question and Answer, Department of information Republic Indonesia 1962 P33,P99.

(٢) المسلمون ص ٤ العدد ٣٨.

(٣) المسلمون ص ٥ العدد ٤١/ ٤ ربيع الأول ١٤٠٦هـ/ ١٦ نوفمبر ١٩٨٥م. ، وانظر بعض الأفكار الأساسية للسير بخطة التنمية خلال ٢٥ عاماً بقلم اللواء علي مورتوفو ط ١ / ١٩٧٢م.

(٤) غارة تبشيرية على أندونيسيا ص ٨٥. ويعرف المذهب الباطني بالأندونيسية: كيجاوين ويعتبر نوعاً من الديانة الوثنية المقتبسة من معتقدات اتيميسما لدى أجداد قبيلة جاوا وقدمائهم ومن معتقدات هندوسية وبوذية مع استخدام تعبيرات اسلامية في بعض شعائرها الدينية/ البلاغ ٧٨١ ص ٢٨.

٣ ـ المشكلة التبشيرية ـ التنصيرية :

وصل المبشرون الكاثوليك في ركاب البرتغاليين إلى جنوب شرق آسيا بما فيه أندونيسيا. واستمرت المؤسسات التبشيرية الكاثوليكية تعمل في ظل هولندة البر وتسنتية. ولكنها نشطت بشكل أوسع في عهد الاستقلال. وتمكن عدد من الكاثوليك التسلل إلى أهم المناصب الحكومية وعضوية البرلمان وعمليات الشئون الانهائية، بتشجيع من سوكارنو.

ولما قضى على الانقلاب الشيوعي عام ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م لجأ كثير من الشيوعيين إلى الكنيسة الكاثوليكية وتعمّد بعض القسس إلى الايحاء لهؤلاء الانقلابيين بأنهم مهددون من قِبَل المسلمين فلا أمان لهم إلّا تحت مظلة الكنيسة.

وفي عهد التنمية ـ الخطة الخمسية الأولى والثانية (١٩٦٩-١٩٧٩م) حصل النصارى إجمالاً على فرص ذهبية فتسلموا المناصب الحساسة للحكومة وبنوا أعداداً ضخمة من الكنائس في القرى وفي المدن وحتى التي يمثل المسلمون أغلبية السكان فيها، وانتشرت المدارس الكاثوليكية إبتداء من رياض الأطفال إلى الجامعات، وأصبح لهم ثمانية معاهد للاهوت وعشرات المعاهد الثانوية اللاهوتية.

وفي عام ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م زار البابا بولس السادس جاكارتا لحضور الاحتفال بعيد المبشر اكسافير يوس ٤ /١٢/ ١٩٧٠م واستقبله الرئيس سوهارتو.

وأقام الكاثوليك مجلساً سموه مجلس رعاة الكنائس بأندونيسيا له رئاسة وأمانة عامة، وتضم هذه الأمانة أقساماً للموظفين ولشئون التعليم والشئون المالية والخدمات العامة وشئون المستندات والاعلام، كما يضم المجلس معهدين أحدهما معهد البحوث والتنمية والآخر المعهد الانجيلي الأندونيسي، وثماني لجان: لجنة الشئون الاجتماعية والاقتصادية ولجنة الشئون التربوية، ولجنة الاتصالات الشعبية، ولجنة الايكوميني (أي إعادة وحدة الكنائس النصرانية)، ولجنة معاهد اللاهوت، ولجنة الطقوس والعبادات ولجنة معلمي الدين[١].

---

(١) نفسه ص ٢٠.

أمـا البروتسـتنية :

فقـد قدم المبشـرون بها في ركاب شركة الهند الشرقية الهولندية، ووجدت الـرعـاية من جانب الحكومة الهولندية التي كانت تبدي القسوة وعدم التسامح في سبيـل نشـر عقيـدتهـا[1]. ولكنهـا كانت تلجأ إلى التستر والخفية خوفاً من نقمة المسلمـين تجاه أعـمال التنصـير[2]. وأنشىء بجـاكارتا عام ١١٥٨هـ/ ١٧٤٥م معهـد لاهـوتي بمسـاعـدة الحـاكم العام الهولندي فان ايمهوف من أجل تخريج رجـال اكليروس من الأنـدونيسيـين تمهيـداً لإقامة كنيسة بروتستنية أندونيسية، وشـدت الحكـومـة أزر المبشـرين وسـاعـدتهم في مدارسهم وارسـاليـاتهم الطبية واعتبرت ذلك من عوامل المدنية[3]. وقد رضي المبشرون عن مساعدات هولندة وامتدحوها في مؤتمراتهم[4].

ونشـط التبشـير بشكـل أشد في فترة الإستقلال فتأسس مجلس الكنائس الأندونيسي عام ١٩٥٠م وكان يضم في أول أمره ٢٩ كنيسة فقط، ثم ازداد عدد الكنـائس المنضمـة إليـه فأصبـح ٣٨ كنيسـة عام ١٩٦٩م، و٤٤ كنيسـة عام ١٩٧٤م. وكانت هناك ٢١٧ كنيسة أخرى لم تنضم إليه.

وقـد حاول مجلس الكنـائس الأنـدونيسي هذا أن يستضيف الجمعيـة العمـوميـة الخامسة لمجلس الكنائس العالمي المقرر انعقادها سنة ١٩٧٥م لتعقد دورتهـا في جاكـارتـا تحقيقاً لمحاولة توحيد الكنائس، واحتج المسلمون على ذلك وطـالبـوا الحكومة بعدم السماح بذلك، ولما لم تستجب عمد المسلمون إلى راعي كنيسـة الانجيليكـان الـواقعـة في أحـد الشـوارع الرئيسية في جاكارتا واغتالوه، وهددوا بأكثر من ذلك، فعقد المهرجان في نيروبي بكينيا.

ويعـود استفحـال النشـاط التبشـيري إلى الفترة التي انفرد فيها سوكارنو بالسلطـة وفي غيبـة حزب ماشـومي الـذي حله سوكـارنـو والذي كان له أضخم

---

(١) شاتليه ـ الغارة على العالم الاسلامي ص ١٨.
(٢) حاضر العالم الاسلامي ج ٣ ص ٣٧٣.
(٣) الغارة على العالم الاسلامي ص ٣٨.
(٤) نفسه ص ٣٠، حاضر العالم الاسلامي ج ٣ ص ٣٧٣.

الإسهام في دعم الاستقلال ومقاومة الاستعمار. فاحتضن سوكارنو النصارى واصطفاهم، ومكّنهم من مراكز السلطة في أجهزة الحكم والإدارة والدفاع والشئون المالية والتربوية والخدمات الصحية، وفتحت الأبواب لدخول آلاف المبشرين وتوزيعهم على مختلف الأماكن والجزر بما في ذلك طائفة شهود يهوه اليهودية. فشيدت آلاف الكنائس الفخمة والأديرة والبيع والمستشفيات ومعاهد الكهنوت والصروح البطريركية، وتلقت المعونات الضخمة الخارجية نقدية وعينية، فقد كانت هناك بواخر ترسو في موانيء أندونيسيا حاملة الأسمنت والخرسانة ومختلف مواد البناء الأخرى ومعدات رياض الأطفال والمدارس التبشيرية وكلها معونات من مختلف الهيئات الكنسية العالمية ومعفاة من الضرائب والجمارك والمكوس. فأصبحت البنايات الفخمة لهذه المؤسسات ومواقعها توحي وكأن أندونيسيا بلد نصراني صميم.

ولما زال سوكارنو على يد المسلمين وحّد النصارى جهودهم كاثوليك وبروتستنت وقامت صحفهم تَسْتَعْدي الحكومة على المسلمين وتصفهم بالتطرف واليمين، وبأنهم يجب أن يعاملوا معاملة المتطرفين اليساريين سواء بسواء، واشتدت عمليات التنصير فنشرت مجلة تايم أن ٢٥٠,٠٠٠ نسمة قد تنصروا خلال العشرين شهراً التي أعقبت ثورة أندونيسيا على الشيوعية، منهم ٦٥,٠٠٠ في جاوة وحدها. وان نسخ الانجيل قد نفدت، وقرر مجلس الكنائس الوطني في الولايات المتحدة القيام بحملة تبرعات تهدف إلى جمع ٣٠٠ ألف دولار لصالح الطائفة الأندونيسية[1]. وأمام هذا السعار التبشيري ظهر تحدي المسلمين فخافت الدولة من استفحال الأمر، فدعى الجنرال سوهارتو لعقد مؤتمر الأديان في أندونيسيا، وعقد بالفعل في ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٦٧م بمدينة جاكارتا، وحضره الدكتور محمد ناصر رئيس المجلس الأعلى الأندونيسي للدعوة الاسلامية، والسيد أنور تشوكرو أمينوتو من حزب الشركة الاسلامية والسيد ادهام خالد من جماعة نهضة العلماء، والجنرال سوديرمان من وجهاء المسلمين

---

(١) غارة تبشيرية ص ٦٥. ، مجلة العربي عدد جمادى الثانية سنة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

وغيرهم، وترأس المؤتمر السيد محمد دحلان وزير الشئون الدينية آنذاك. وقد ظهر تسامح المسلمين في المؤتمر وقدموا أسلوباً للتراضي صيغ في مشروع ميثاق بين الأديان ـ قابله الجانب النصراني بالرفض التام.

ولم ينجح المؤتمر إلاّ في الوصول إلى توصية واحدة خاصة بإنشاء هيئة إستشارية تتكون من ممثلي الطوائف الدينية بأندونيسيا تستشيرها الحكومة في معالجة القضايا المتعلقة بعلاقات ما بين الأديان الموجودة بأندونيسيا[1].

وفي شهر اكتوبر سنة ١٩٦٨م انعقد بمدينة طوكيو ندوة بإشراف مؤسسة فريدريك إيبرث ستيختونغ الألمانية. اشترك فيها الدكتور محمد رشيدي فقدم ورقة عمل بعنوان: (متطلبات الاسلام الاخلاقية والاجتماعية للمجتمع الحديث مع الاهتمام الخاص بمسلمي أندونيسيا) نقتطف منها النقاط التالية:[2].

ــ يقوم المسئولون في هيئات التبشير بشراء الأراضي ذات الموقع الاستراتيجي بأسعار مرتفعة جدّاً وذلك لإنشاء الكنائس ومدارس التبشير عليها. وإذا امتنع صاحب الأرض من البيع مباشرة إلى التبشير عمدوا إلى الاستعانة بأشخاص آخرين لا تبدو عليهم مخايل التبشير أوسماته يشترون الأرض ويبيعونها للتبشير بعد ذلك.

ــ تقوم الكنيسة بإقراض الفلاحين قروضاً نقدية أوعينية بشرط أن يستعدوا لإدخال أولادهم إلى مدارس التبشير.

ــ يقوم الكثير من المبشرين بالاتصال بأعضاء الحزب الشيوعي المحظور والمعتقلين أو المسجونيين بعد محاكمتهم، يعرضون عليهم مساعدة ذويهم بالأرز والنقود بصفة دائمة، شرط أن يوقعوا على اعترافات بالإنضمام إلى حظيرة الكاثوليكية.

ــ أنشئت الكثير من النوادي والمكتبات وقاعات المطالعة وحمامات

---

(١) نفسه ص ٦١.

(٢) انظر نفسه ص ١٠٠-١٠١.

السباحة والساحات الرياضية ومراكز الشباب مخصصة للشباب الغير مسيحي - بقصد التبشير -.

— تقوم الفتيات النصرانيات بإغراء الشبان المسلمين وايقاعهم فى حبائلهن لإدخالهم إلى النصرانية.

— معلّمو الدين الاسلامي إذا شرحوا آية قرآنية تتعلق بالمسيح يعرّضون للاعتقال وقد يعتقلهم فوراً تلامذتهم النصارى ليسلموهم إلى ولاة الأمر النصارى - موظفي الحكومة -.

— تتعرض بيوت المسلمين لزيارات المبشرين، وقد تتم الزيارة في غيبة الرجال، ويجبر السكان للاستماع إلى المبشرين إجباراً.

هذا ويأتي المبشرون ومعهم أحدث وسائل الدعاية التبشيرية الاعلامية من أفلام ومسجلات ووسائل طباعة وغيرها، واستخدموا بواخر ترتاد السواحل والجزر النائية عن مراكز التجمعات الاسلامية وربابنتها كلهم من القسس والمبشرين[1]. كما امتلك التبشير أحدث وسائل النقل والمواصلات مثل طائرات الهيليوكبتر وطائرات التشيستا والأجهزة اللاسلكية وغيرها. وتملك الترخيصات اللازمة لإنشاء مطارات خاصة بها هناك[2]. ويحظى موظفو الحكومة في هذه المناطق بخدمات مرافق النقل هذه حيث لا توجد خدمات نقل حكومية، كما تستعين إدارة البريد لنقل بريدها على الخطوط الجوية التبشيرية كالتي تصل بين مدينة تيمور كوبانغ ومدينة وانيفابو التي تنظم رحلتين أسبوعياً[3].

وقرر مجلس الكنائس العالمي والفاتيكان وهيئات التبشير الأخرى الإسهام في أعمال التنمية ومشاريعها في الأقطار النامية تحت شعار: «من الكنيسة إلى المجتمعات»، فأسس مجلس الكنائس العالمي هيئة سماها: «هيئة مجلس الكنائس للإسهام في أعمال التنمية»، تعمل في حقول التنمية المختلفة مثل إقامة القرى الزراعية وعقد الدورات التدريبية المهنية لمختلف التخصصات التقنية

---

(١) غارة تبشيرية ص ٨٧.

(٢) محمود شاكر - أندونيسية ص ٧٤-٧٥.

(٣) غارة تبشيرية ص ٨٨.

والفنيـة وتقـديم القـروض المباشرة إلى الفلاحين عن طريق مؤسسات وحدات الإقراض ومشروعات التهجير الداخلي للسكان ونحو ذلك منذ عام ١٩٧٣م[١].

واستغلت هيئـات التنصـير مشـروع التهجـير الداخلي فانتدبت مأموريها ورجـالاتهـا وسـط المهجـرين بوصفهم مرشـدين إجتماعيين يقدمون الإرشادات الفنيـة والمساعدات المادية والأدبية، فتقدم مؤسسة إقراض (الكويديت يونيون) التـابعـة للارسـاليـات القـروض والتسهيـلات التي تخفف عن هؤلاء البـائسين ظروفهم القاسية وتجعلهم أسارى لهذا الجميل المدسوس[٢].

كما أخـذت معـاهـد المعلمين النصرانية تتسابق فى تخريج المعلمين الذين يدرسون فى مدارس الأوامر الجمهورية[٣].

ولجأ التبشـير إلى أسلوب تبنى الأطفـال البـائسـين، ثم غيروا ذلك إلى أسلوب يحمل شعار «انقذوا الأطفال»[٤]. وبذلك يعدون جيلاً يخدم أغراضهم في بلاد أندونيسية الاسلامية، مستغلة ظروف الفقر والمرض والجهل[٥].

وعقــد اجتـماع المجلس العـالمي للكنـائس في صيف عام ١٩٧٨م لرسم سيـاسـة منظمـة لنشر المسيحية في أندونيسية، فوقف أحد الجنرالات وهوسيماتيو يانغ (قطب مجلس الكنائس الاندونيسية ومجلس الكنائس العالمية) يقول:

١) يجب الانتفـاع من وجـود ضبـاط نصارى في الجيش والحكومة لتعيين قادة نصارى في القوات المسلحة لكي يمكن توجيهها في الدفاع عن النصرانية.

٢) يجب تسخير وسائل الإعلام لإشعار العالم بقوة النفوذ النصراني في أندونيسية.

٣) كل المؤسسـات التجـاريـة والصناعية والاجتماعية المتعصبة للاسلام يجب محاربتها وإضعافها.

---

(١) غزوة تبشيرية ص ٨٩.

(٢) نفسه ص ٩٣.

(٣) نفسه ص ٩٤.

(٤) نفسه ص ٩٦.

(٥) مجلة البلاغ العدد ٦٨٩ الكويت ص ١٠/ الأحد ١١ رجب ١٤٠٣هـ/ ٢٤/٤/١٩٨٣م.

٤) يجب كسب وتأييد الحزب الشيوعي الأندونيسي كي ينحاز إلى الجانب النصراني .

٥) يجب زيادة المساعدات التي يقدمها مجلس الكنائس العالمي للمستشفيات والمدارس الأندونيسية .

٦) يجب أن تمارس العبادات المسيحية بمصاحبة الأنغام الموسيقية وباللهجات المحلية .

٧) يجب إظهار الإسلام والعبادات الإسلامية بمظهر التخلف والعبث والحاق الأذى والضرر، فيقال مثلاً : ان الصوم يضعف الأبدان، وان مياه الوضوء في الصباح تسبب مرض الروماتيزم وهكذا[١] .

والنجاح التبشيري والتشجيع الذي يجده من المسئولين في أندونيسيا جعل النصرانية تحلم بتحويل أندونيسيا إلى دولة نصرانية مع بداية عام ٢٠٠٠م وقد نشرت مجلة (تايم) الأمريكية في عددها ٣/٥/١٩٨٢م أن ٦,٥ مليون مسلم في أندونيسيا قد تحولوا إلى النصرانية[٢] . كما قرر المبشرون في مؤتمرهم الذي عقدوه في مالانغ في جاوة الشرقية أنه يجب أن ينتهوا من تنصير سكان جزيرة جاوة خلال العشرين سنة المقبلة وان ينتهوا من تنصير أندونيسيا كلها خلال الخمسين عاماً القادمة[٣] .

ردّ الفعل الاسلامي الأندونيسي على أعمال التبشير :

لقد كتب على مسلمي أندونيسيا أن يتحمّلوا الظلم والعدوان من أعدائهم في الخارج، وأن يتحملوا الحيف والمؤامرة من بني جلدتهم الذين انسلخوا عن الاسلام في الداخل . فقد قاومت أندونيسيا الاستعمار مدة ثلاثة قرون ونصف لم يهدأ المسلمون خلالها من تحدٍ إلّا ليقوموا بآخر، غير مبالين بالضحايا التي غمرت القيعان والوهاد، حتى إذا نالت استقلالها بتضحية أبنائها المسلمين جاء من يقطف الثمرة وينكلّ بهم، فكانت القوميات والطائفيات

(١) مجلة جامعة الاسلامية العدد ٥٠ . ٥١ ص ٣٠١ السنة ١٣ ربيع الاخر ورمضان ١٤٠١هـ . (عن مجلة الأمة القطرية) وقد تحققت فكرته وخاصة في منطقة سانددور في محافظة سولاويزي الشمالية حيث تولّى النصارى الوظائف العالية من الدرجة الأولى والثانية (المسلمون العدد ٨٩ ص١١) .

(٢) مسلمون ص ١٠ العدد ٤

(٣) القضماني ـ صفحات من حاضر العالم الاسلامي ص ١٣٤ .

والتنصير. ولذلك لجأ القادة المتنوّرون إلى علاج خواء المفاهيم من القيم الاسلامية الصحيحة، إلى ترسيخ جذور الإيمان في أعماق النفوس وتوطيد أسس العقيدة. فاتفقوا على إنشاء هيئة تتفرغ لهذا العمل سموّها: «المجلس الأعلى الأندونيسي للدعوة الاسلامية» سنة ١٩٦٧م. ومقرها جاكارتا وحدّد العلماء الهدف من هذه المؤسسة:

تنشيط عمل الدعوة الاسلامية وتصعيد مستواه في كافة أنحاء أندونيسيا بالوسائل التالية:[١]

أ ـ تكملة إعداد المبلغين والدعاة، وذلك بتوفير ما يحتاجون إليه في أداء مهماتهم من حيث المستوى العلمي والتخطيط المنظم والمعدّات ليتمّ إعداد جيل من حملة الدعوة والتبليغ.

ب ـ إقامة التعاون الوثيق مع هيئات الدعوة الموجودة حالياً.

جـ ـ تأمين سبل الدعوة وميادينها عن طريق الإبتعاد عن كل موجبات الاختلاف وتباين وجهات النظر والآراء فيما بين الدعاة أنفسهم أو التقليل منها وحصرها في أضيق الحدود على الأقل.

د ـ العمل من أجل تأمين صندوق خاص بالدعوة يكفل لها كل احتياجاتها ويكفل الرعاية والعناية لمتفرغي الدعوة.

ومن المؤسسين لهذه المؤسسة: الدكتور محمد ناصر، والدكتور الحاج محمد رشيدي وغيرهما[٢].

فأقيمت حلقات التدريب الدورية لجماعات الدعاة والمبلغين وأعدت طائفة خاصة لمواجهة القسس والمطارنة إعداداً خاصاً[٣]، وعمل المجلس أن يكون كل مسجد مركز ارتباط ورباط لجماعته يتولون رعايته وينظمون شئونه ويدفعون اشتراكات كهربائه، ونظمت الدروس الدينية، وعُمل على إسداء الرعاية الصحية مجاناً للمبلغين وعائلاتهم، وعُمل على إنشاء عيادات صحية في

(١) غزوة تبشيرية ص ١١٠.
(٢) نفسه ص ١٠٩.
(٣) نفسه ص ١٣٧.

المساجد والمصليات تطوع للعمل فيها الأطباء المسلمون. وأعدّ المجلس حلقات اسبوعية خاصة بالمثقفين يحاضر فيها الدعاة أصحاب المؤهلات الجامعية، واقام علاقـة مع المنظمـة الطلابية الاسلامية يمدّها بالكتب والمطبوعات الدينية باللغة الأندونيسية والانجليزية.

ومما يذكر أنه يوجد في كل الجامعات الحكومية والأهلية بأندونيسيا مساجد مقـامـة في الحـرم الجـامعي تؤدى فيهـا الفرائض الدينية، كما تلقى بها الدروس والمحـاضـرات الـدينيـة العـامـة، وهذه المساجد يقيمها الطلبة أنفسهم ويتولون إدارتها ورعايتها، كما أن المدارس تستخدم بعض قاعاتها لأداء فريضة الجمعة[١].

وأقـام المجلس في مجال نشـاط خدمـاتـه الصحيـة مستشفى ابن سينـا الاسلامي وقد تلقى معونات إسلامية من داخل أندونيسيا وخارجها.

وفي مجال الخـدمـات الـتر بـويـة والتعليميـة عمـل المجلس على تصعيد مستـوى التعليم الاسـلامي في المدارس ونشر اللغة العربية في أندونيسية وذلك: بإصـلاح المنـاهـج التعليميـة في المعاهد الاسلامية الحرة، وابتعاث الطلاب إلى البـلاد العـربيـة لاتمـام الـدراسـة الجـامعيـة. وقد تلقى المجلس عدداً من المنح الـدراسيـة من جامعـة المـدينة المنورة وعدداً من وزارة المعارف السعودية وجامعة الملك فيصل الاسلامية بالرياض، وجامعة الكويت وجامعة الأزهر وغيرها[٢].

واستمرت المؤسسات الاسلامية الأخرى تتصدى لعملية التبشير وتعمل جاهدة لتنشئة الجيل المسلم الأندونيسي كالجمعية المحمدية وجمعية نهضة العلماء وجمعيـة الإرشـاد، وقـد أخـذت جميعهـا على عاتقها إنقاذ المسلمين من واقعهم الأليم بتأسيس المـدارس وبنـاء المستشفيـات وبناء المساجد وتقديم المال والدواء للمحتاجين، كما تحملت عبء الجهاد في وجه المستعمرين والشيوعيين من قبل.

وأقتطف في ما يلي شيئاً مما ذكره الدكتور فؤاد فخر الدين رئيس الأكاديمية العـربيـة للدعـوة الاسـلامية في أندونيسيا، محذراً من موجات الالحاد والتيارات

---

(١) غارة تبشيرية ص ١٤٦.

(٢) أخبار العالم الاسلامي ص ٣/ ٦ جمادى الثانية ١٤٠٥هـ.

الهدامة التي تجتاح أكبر دولة اسلامية في العالم وهي أندونيسيا .

(فالأكاديمية تأسست سنة ١٩٨١م . ويدرس بها ٢٠٠ طالبا يتعلمون اللغة العربية خاصة) .

قال الدكتور: «العلمانية أصبح لها باع طويل داخل المجتمع الأندونيسي وقد ساعد على وجود مفاهيمها انتشار المدنية بالطابع الغربي وعدم الاهتمام بنشر الفكرة الاسلامية وإرسال الغرب المستشرقين ليبثوا فينا أفكارهم الزائفة . . . وقد ساعد هذا على المستوى الرسمي أن البلاد في الوقت الحاضر تعيش على ما يسمي بالمباديء الخمسة التي تقوم على الإيمان بالألوهية الواحدة ، والوحدة الوطنية ، والعدالة الاجتماعية والديمقراطية ، والتعاون . وقد تكون هذه المباديء حسنة من الناحية الشكلية ولكن التطبيق العملي يؤكد أن الدولة تعيش طبقاً للمفهوم العلماني الخالص . رغم أن الدستور لا ينص على أن البلاد علمانية أو اسلامية أو وثنية» .

«خطر آخر يواجه الوجود الاسلامي وهو تفكك الجماعات الدينية ، بل ومحاربة كل جماعة الأخرى . . . كما انهم يعيشون داخل التفسير المذهبي الضيق الذي تحاول فيه كل جماعة أن تخطيء الأخرى في الوقت الذي يكون فيه الجميع على صواب .

إن مفاهيم العلمانية والتفكك والتناحر بين الهيئات والمذاهب أوجدت المناخ المناسب لنشر أفكار غريبة عن الاسلام ورسول الاسلام ، لقد أصبح الهجوم على رسول الله وسنته ﷺ واضحاً في كثير من الوسائل التعليمية والاعلامية ورأينا نشرات سرية تعيب على رسول الله ﷺ تعدد زوجاته ودعوته للزهد في الدنيا وحب الآخرة ، وتهوين الثقة فيه ، بل ظهر افتراء منذ خمس سنوات يقول ان الرسول جاء للعرب وبالتالي فأنتم أيها الأندونيسيون لستم مدعوين لاتباع الاسلام الذي جاء به محمد ، بدليل أنه جاء بلسان عربي . .

وأذكر أنه قد تعرض لأمر الفتوى في هذه المسألة بعض من ليسوا أهلاً لها فكانت النتيجة أنه ضلّ وأضلّ وأساء أكثر مما نفع .

كما أننـا لازلنـا نعـاني من بعض المتصوفة المتواكلين الذين يلبسون اللباس الممزق ولا يهتمون بنظافتهم ولا بعملهم بحجة أنهم صوفيون. والبعض يتسول في الطرقات، ولا يدفع الباطل إن رآه ولا يصوب الخطأ حيث وجده».

«وثمـة خطـر آخـر يستشعـرُ الـوجـود الاسـلامي في أنـدونيسيا وهو خطر التبشير... له جمعياته الظاهرة وقساوسته المعتمدون، وفي احدى الاحصائيات السرية لمجلس الكنائس العالمي تبين أن عدد المبشرين المتفرغين لذلك يبلغ ١٤ ألفاً في عام ١٩٨١م وان عدد الكنائس يصل إلى ١٦ ألف كنيسة. وان ما أنفق على التبشـير عام ١٩٨١م بلغ ٣٠٠ مليـون دولار. وذكـرت مجلة إرسـاليـات التبشـير الـبر وتستـانتي في سويسـرا أن ما ينفق على التبشـير الـبر وتسنتي في أندونيسيا وحدها يعادل ١٣٥ مليون دولار سنويا.

وقـد عقـد في أنـدونيسيـا مؤتمـر نصـراني تقرر فيه ادخال جزيرة جاوة إلى النصرانية في ربع قرن، وجميع البلاد في نصف قرن. وهذا المخطط ينفذ بأسلوب سياسي وبطرق مدروسة ومتعددة[1]».

هذا وقـد قدمت المملكـة العـربيـة السعـوديـة مسـاعـدات قيمة وكذلك الكـويت. وعلى سبيـل المثـال قدمت المملكـة ٣١٢,٥٠٠ دولاراً تبرعـاً لست مؤسسات إسلامية في أندونيسيا مرة واحدة[2].

ولكن هذه المسـاعـدات والجهود الذاتية لا توازي الإمكانيات الهائلة التي تنهـال على مؤسسـات التبشـير في أنـدونيسيـة، والنشـاط الاسلامي (وهذا هو الأهمّ) لا يحظى بعطف الحكومة هناك بل تقف ضده[1]. ورغم ذلك فالاسلام

---

(١) الشرق الأوسط ص ١٣ الأربعاء ٢٩ ربيع الأول ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥/١٢/١١م السنة ٨ العدد ٢٥٧٠ - صفحة دين وتراث.

(٢) أخبار العالم الاسلامي ص ٣/ ٦ جمادى الثانية ١٤٠٥هـ.

ينتشـر بين الـوثنيـين، فعلى سبيل المثال أعلن ٢٠٣٠ شخصاً من سكان منطقة كارو الوثنية الاسلام خلال ثلاث سنوات فقط (١٤٠٢-١٤٠٥هـ)[٢].

﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين ﴾ [٣]

﴿ وما النصر إلّا من عند الله ﴾

---

(١) تشـير بعض الاحصائيات إلى تناقص نسبة المسلمين من ٩٦٪ قبل الاستقلال إلى ٨٦٪، في حين ارتفعت نسبـة النصـارى الـبروتسنت والكـاثـوليك من ٢٪ إلى ٨ر٨٪ في عهد الاستقلال، وهذا يشير بشكل واضح إلى أن عملية التبشير (التخريب) موجهة إلى المسلمين بشكل خاص. انظر المسلمون - العدد ٨٩ ص١١).

(٢) أخبار العالم الاسلامي ص٦٣ جمادى الثانية ١٤٠٥هـ كما تشير إحصائية أصدرها مجلس الادارة المركزية للجمعية المحمدية في اندونيسيا إلى أن عدد المسلمين تناقص خلال العشر سنوات ١٩٧٠-١٩٨٠ بنسبة ٤٪ بسبب الاغراءات المادية وليس عن اقتناع. (أخبار العالم الاسلامي) ص٦، الاثنين ١١ محرم ١٤٠٧هـ.

(٣) سورة العنكبوت الآية ٦٩ .

الفصـــل الحـــادي عشـــر

المسلمون في أوربـا الشرقية

الحديث عن المسلمين في أوربا الشرقية جزء من الحديث عن المسلمين في ظل الاتحـاد السـوفيتي، حيث أن بقيـة أوربـا الشـرقية تتبع المعسكر الاشتراكي الشيوعي وتأتمر في معظم أمورها بأوامر موسكو، وبالتالي فإن الحديث عن سياسة دول شرقي أوربا تجاه الاسلام هو جزء من سياسة الاتحاد السوفيتي تجاهه.

وسنتكلم عن المسلمـين في بعض أقطـار أوربا الشرقية وسنخص بالذكر: بلغاريا ويوغسلافيا والبانيا وبولندة ورومانيا.

أولاً: بلغاريـــا:

إحدى دول البلقان ومن دول أوربا الشرقية، تشرف على البحر الأسود، سميت باسم قبـائـل البلغـار التي أسلم كثـير منهـا قبل القرن الرابع الهجري، وكان لها ملك مسلم اسمه الماس خان. وهو الذي طلب من الخليفة العباسي المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ) إرسـال بعثـة إسـلاميـة من الفقهـاء والعلماء والمهنـدسين لبناء بلغـاريـا والنهـوض بها، ووصلت البعثـة لبلغـاريا وعلى رأسها أحمد بن فضلان البغـدادي وزيـر المقتـدر، فعملت على نشـر الاسـلام واللغة العربية، فنبغ في بلغاريا علماء أجلّاء مسلمون منهم: الشيخ أحمد البلغاري أستاذ السلطان محمود الغـزنـوي، والشيـخ برهان الدين يوسف البلغاري، والقاضي يعقوب بن نعمان البلغاري وغيرهم. وكانوا يتكلمون العربية، ويستعملون حروفها في كتاباتهم، وظلوا على ذلك حتى استيلاء المغول على بغداد[١] سنة ٦٥٦هـ. فانعزلوا وقلّ اتصالهم بالعالم الاسلامي، ثم وصلها العثمانيون واستطاعوا فتحها في زمن مراد

---

(١) المسلمون: العدد ٤٧، ١٨ ربيع الأول ١٤٠٦هـ/ ٣٠ نوفمبر ١٩٨٥م/ ص ١٧.

الأول وبايزيد ابنه بالتدريج ـ وامتدت عمليات الفتح من ٧٤٤ إلى ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م، وأصبحت جزءاً من دار الاسلام وقاعدة لانطلاق الجيوش الاسلامية العثمانية إلى أواسط أوربا لدحر الجيوش الصليبية من الشمال والغرب[١]. واستمر الحكم العثماني أكثر من خمسة قرون ونصف، فانتشر الاسلام أثناء ذلك إنتشاراً كبيراً.

إنفصلت بدسائس الدول الأوروبية عن الدولة العثمانية وكوّنت بها مملكة قائمة بذاتها سنة ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م.

وفي الحرب العالمية الأولى انضمت لألمانيا في الحرب، فكانت النتيجة أن تقلصت مساحتها. كما انضمت أيضاً لألمانيا في الحرب العالمية الثانية، فغزاها الروس وسيطر عليها الشيوعيون منذ نهاية الحرب العالمية الثانية[٢]. فأصبحت ضمن المعسكر الاشتراكي. فقد أقام الجيش الأحمر الأنظمة الشيوعية بزعماء مهاجرين في حين لم يكن للأحزاب الشيوعية وجود تقريباً[٣].

تبلغ مساحة بلغاريا ١١٠,٩٢٨ كم٢، وسكانها حوالي ٩ ملايين نسمة. وهم من العناصر البلغارية الذين يعودون إلى أصول تركية قديمة هاجرت إلى المنطقة وتتحدث لغة السلاف واعتنق أكثرهم النصرانية الأرثوذكسية حوالي عام ٢٥١هـ[٤]. تليهم العناصر التركية حديثة الهجرة مختلطة بعناصر التتار، وأقليات من الغجر والرومان والأرمن[٥]. و٦٠٪ من المسلمين أتراك، و٢٥٪ من البلغار، وحوالي ١٥٪ من الغجر[٦].

---

(١) منار الاسلام ص ٤٧، العدد ٢ السنة ١٠ صفر ١٤٠٥هـ.، علي حسون: الدولة العثمانية ص ١٣-١٦.

(٢) ج.ب دُروزيل ـ التاريخ الدبلوماسي ص ١٦ وص ١٤٠.

(٣) نفسه ص ٢٣٨.

(٤) محمود شاكر ـ المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص ١٣١.

(٥) البلدان الاسلامية ص ٧٢٣.

(٦) الكتاني ـ المسلمون في أوربا وأمريكا ج ١ ص ١٣١-١٣٢.

المسلمون تحت الحكم الأرثوذكسي النصراني :
١٣٢٦-١٣٦٢هـ/ ١٩٠٨-١٩٤٣م :

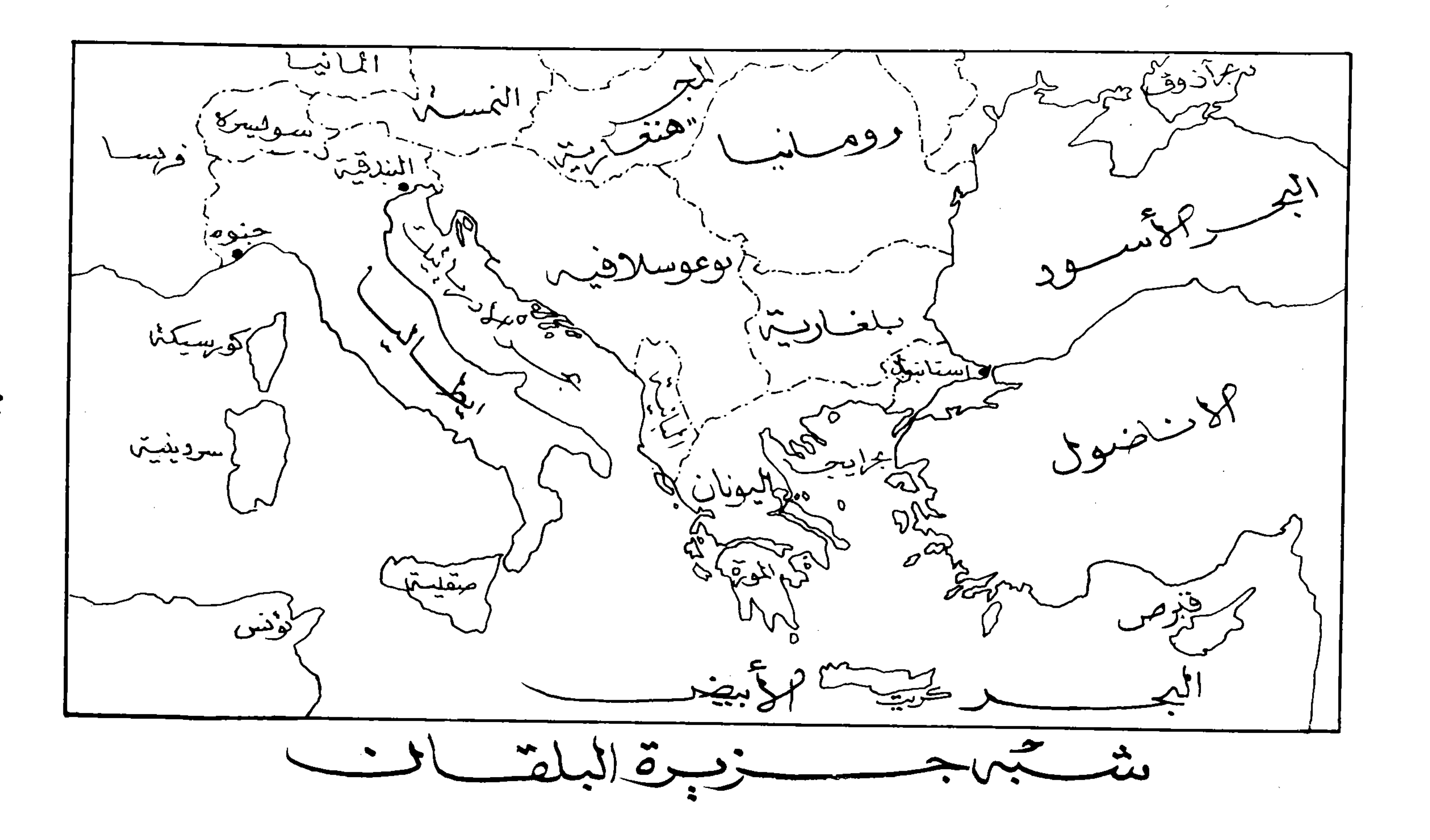
انفصلت بلغاريا عن الدولة العثمانية بفعل الدسائس الأوروبية وإثارة القوميات في البلقان، وكان المسلمون أكثرية قبل الاستقلال، وللسيطرة الصليبية على البلاد تعرض المسلمون للظلم والاضطهاد فهاجر عدد كبير منهم إلى خارج بلغاريا، وحلّ محلهم العنصر البلغاري الذي استقدم من البلدان المحيطة بها، فقل بذلك عدد المسلمين[١]. وتعرضوا لحملات التنصير الإجباري وارتد عدد منهم عن الاسلام بالفعل. وبذلت مختلف الجهود لتذويبهم وقطع صلاتهم بماضيهم شأن المستعمرين في بلاد الاسلام. فقد وضع المسئولون في منتصف القرن الرابع عشر الهجري مشروعاً شاملاً يهدف إلى تنصير المسلمين بصورة جماعية وذلك بطريق العنف إذا اقتضى الأمر[٢]. وكان للمسلمين مدارس لتحفيظ القرآن الكريم ومدارس أخرى علمية تقدر بنحو ألف مدرسة، كما كانت لهم مئات المساجد يؤدون فيها صلواتهم[٣]. أخذت هذه تقل تدريجياً.

المسلمون تحت الحكم الشيوعي :

دخلت القوات الروسية بلغاريا أثناء الحرب العالمية الثانية، وفي نهاية الحرب كان الشيوعيون قد سيطروا عليها سنة **١٩٤٥**م. وبدأت الشيوعية كالعادة في محاولة لكسب المسلمين إلى جانبها فألغوا قرار التنصير وأعلنوا حرية الإعتقاد، وبعد أن تمكنوا من حكم البلاد بعثوا مشروع التنصير من جديد وبشكل أكثر عنفاً وبربرية، فبدأوا بمنع التوجيه والتعليم الديني الاسلامي أو الدعوة له، ثم نظمت حملات من الكتّاب الملحدين والحاقدين على الاسلام للتشويه والتشهير بالاسلام والمسلمين، لأنه كان دين الخلافة العثمانية التي

---

(١) نفسه.
(٢) محمود شاكر ــ المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص ١٣٢.
(٣) المسلمون العدد ٤٣ ص ١٧.



شبه جزيرة البلقان

استعمرتهم حسب ادعاءاتهم الباطلة، ووصلت بهم الوقاحة إلى إخراج العديد من الأفلام السينمائية التي تصور المسلمين والاسلام في صور كاذبة تقشعرّ لها الأبدان[1]. وأهملت الأقاليم الاسلامية وأفقرتها لتشيع أن الاسلام هو سبب تأخر هذه المناطق والأقاليم. وبدأت السلطات بمحاصرة هذه الأقاليم منذ سنة ١٩٦٠م. واشتدت الحملة على الدين ـ حملة مركزة من الإلحاد الشيوعي لدرجة منع دخول مصاحف القرآن الكريم، والكتب الدينية. ومنعوا من الإتصال أو الهجرة إلى خارج بلغاريا، فأصبحوا منعزلين، وتغلب عليهم طابع الفقر والبؤس، وتعدّ مناطقهم من أكثر المناطق تخلّفاً بالنسبة إلى البلاد[2].

وحرم المسلمون من المدارس فلم تكلف الحكومة نفسها بإقامة مدرسة ثانوية واحدة في مناطق المسلمين[3]. وأخذ المسلمون الملتزمون بتعليم أولادهم سرّاً في البيوت أو إرسالهم إلى أحد العلماء والحفاظ في القرى التي لم تمتد يد السلطة إليها[4]. كما قاوموا هذه الحملات مقاومة قوية وذهب الكثير منهم إلى السجون ومات بعضهم ضحية تحت سياط التعذيب الوحشي[5].

وأما المساجد ـ فقد كان في بلغاريا حوالي ١٢٠٠ مسجد. اهتم بها المسلمون بجهودهم الذاتية، وفي العهد الشيوعي أهملت هذه المساجد وأغلق أكثرها، فصوفيا مثلاً يوجد بها حاليا ثلاثة مساجد حوّل أحدها إلى متحف والثاني إلى كنيسة، والثالث مغلق وأزيلت منارته[6].

وفي محاولة لتفريق المسلمين لتسهل الهجمة الشيوعية عليهم فرقوهم على أساس عرقي قومي، وفصل كل منهم عن الآخر بإحداث دار إفتاء خاصة به ومن ثم إلغاء منصب المفتي لبعضهم للقضاء عليهم اسلامياً، فقد قسموا المناطق

---

(١) منار الاسلام ص ٥٥ العدد ٢.

(٢) محمود شاكر ـ المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص ١٣٢.

(٣) مجلة الدعوة العدد ٥٩١/ ١٣٩٧/٣/٢٤هـ.

(٤) منار الاسلام ص ٥٤ العدد ٢.

(٥) محمود شاكر ـ المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص ١٣٣.

(٦) نشرة معهد الأقليات الاسلامية محرم ١٤٠٠هـ.

الاسلامية إلى ست يرأس كل منطقة مجلس من العلماء[1] وهذا أمر شكلي فقط، علماً بأن المذهب الحنفي هو السائد هناك بين المسلمين جميعاً[2].

ويمكن تلخيص الوضع الراهن للمسلمين في بلغاريا بما يلي: [3]

— يحرم على المسلمين لبس الزي الاسلامي وخاصة النساء فلا تستطيع المرأة المسلمة أن تشتري أبسط الحاجيات من تعاونيات الدولة بزيّها الاسلامي.

— منع المسلمون من الاحتفال بأعيادهم ومن صوم رمضان ومن أداء فريضة الحج. كما منع النحر في عيد الأضحى المبارك.

— منع المسلمون من بناء مساجد جديدة، ويغلق المسجد الذي يتوفى إمامه. وتتعرض الجماعات التي تزور المساجد المفتوحة إلى المطاردة والعقاب.

— منع المسلمون أن يدفنوا موتاهم في مدافن خاصة بهم، وألغيت مقابرهم، وألغيت إجراءات الدفن كافة والتي تقوم على الطريقة الاسلامية.

— منع المسلمون من اقتناء المصاحف ومن الهجرة إلى خارج مناطقهم.

— منع المسلمون من وظائف المؤسسات ودوائر الدولة على الرغم من نسبتهم الكبيرة.

— أجبر المسلمون على تغيير أسمائهم إلى أسماء بلغارية نصرانية أو يهودية، وقد بدأت هذه العملية سنة ١٩٦٠م ولكنها اشتدت فى الآونة الأخيرة، وقد اتبعت السلطات من أجل ذلك الخطوات التالية:

أ ــ يعطى للمسلمين طلبات جاهزة يسجل فيها ربّ الأسرة اسمه وأسماء أفراد عائلته، وما يقابلها من أسماء بلغارية التي يختارها لنفسه ولأفراد أسرته من بين قائمة أسماء مرفقة من قبل السلطات الشيوعية.

ب ــ عدم تسجيل المواليد الجدد بأسماء اسلامية.

---

(١) نشرة معهد الأقليات المسلمة محرم ١٤٠٠هـ.

(٢) منار الاسلام عدد ٢ ص ٥٦.

(٣) انظر: نشرة معهد الأقليات المسلمة محرم ١٤٠٠هـ.، محمود شاكر: المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص ١٣٦، الكتاني: المسلمون في أوربا وأمريكا ج ١ ص ١٣٥.، أخبار العالم الاسلامي ص ٣ الاثنين ٢٥ رجب ١٤٠٥هـ.، الشرق الأوسط ص ٢ الجمعة ١٩٨٥/٣/٨م.

جـ ـ لا تتم اجراءات الزواج أو تسجيله إلّا بأسماء غير اسلامية.
د ـ لا تعطى شهادات من أي نوع أو هوية إلّا بأسماء غير اسلامية.
هـ ـ لا تصرف مرتبات العمال والأجور إلّا بعد تغيير الأسماء.

والسبب في هذه الإجراءات كثرة عدد المسلمين ومحاولة السلطات اخفاء الحقائق وصبغ المسلمين بصبغة غير اسلامية أمام الرأي العام العالمي، حتى يمكن تذويبهم والقضاء عليهم في الداخل، حيث أن بعض التقارير تقول أن المسلمين يقارب عددهم نصف السكان في بلغاريا[1]. ففي سنة ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٩م أصدرت السلطات البلغارية قانوناً يقضي بتبديل البطاقات الشخصية وعدم ذكر جنسية الأقلية، بل كتابة الجنسية البلغارية فقط للجميع مع تبديل الأسماء الاسلامية. وتعرض المسلمون للضرب على أيدي قوات الأمن التي شنت حملة تبديل الأسماء بالتواطؤ مع السلطات البلغارية[2].

ولما تقدم المسلمون بعريضة إلى الحزب الشيوعي حيال هذه الاجراءات كان الرد عليهم يجب عليهم مسايرة تطور الديالكتيك الماركسي. ولذلك فمقاومة المسلمين يائسة، فهم يقادون بالعشرات يومياً إلى السجون ويكابدون أشد أنواع العذاب النفسي والبدني[3].

وقد أصدرت الرابطة الاسلامية بياناً عام ١٣٩٧هـ إثر اشتداد هذه الحملة ناشدت فيه الحكومات الاسلامية بأن تسعى لحماية المسلمين في بلغاريا[4]. وتدخلت تركيا في هذا الأمر وأعلنت عن استعدادها للاتفاق مع حكومة بلغاريا بشأن هجرة الأشخاص المنحدرين من أصل تركي[5].

ومن الجدير بالذكر أنّ بعض التقارير ذكر أنه بين عام ١٩٥٠-١٩٥١م وصل حوالي ١٥٠,٠٠٠ مسلم بلغاري من أصل تركي إلى تركيا، ووصل بين

---

(١) منار الاسلام العدد ٢ ص ٤٨.

(٢) أخبار العالم الاسلامي ص ٣ الاثنين ٢٥ رجب ١٤٠٥هـ.

(٣) محمود شاكر ص ١٣٦ عن مجلة الغرباء السنة ١٠ العدد ٣ تموز وآب ١٩٧٢م.

(٤) أخبار العالم الاسلامي ص ٣ الاثنين ٢٥ رجب ١٤٠٥هـ.

(٥) نفسه. وماذا عن المسلمين البلغار وغيرهم؟! ولكن هذه هي الاتجاهات القومية والعلمانية في معالجة قضايا المسلمين!!.

الأعوام ١٩٦٨-١٩٧٨م حوالى ١٣٠,٠٠٠ آخرين وتقول تركيا إن عدد الباقين يصل إلى ٩٠٠,٠٠٠ بينما تقول بلغاريا أنهم لا يتعدون ٥٠٠,٠٠٠ نسمة[١].

هذا وتقوم السلطات بتصفية الشخصيات الاسلامية القيادية والمقاومة لأساليب الحكم الشيوعي أمثال شاعر المقاومة الاسلامي شاكر رجب الذي اغتالتهُ المخابرات البلغارية عام ١٣٩٦هـ[٢]. وقد استمرت السلطات البلغارية في أساليبها فكان من ردود الفعل الاسلامية البيان الذي أذاعه مجلس المنظمات والجمعيات الاسلامية بالأردن وقدمه للسفارة البلغارية سنة ١٤٠٠هـ/ فأذاعت على اثره وكالة صوفيا برتشى البلغارية تقريراً عن الاسلام والمسلمين ادّعت فيه أن المسلمين في بلغاريا يقومون بأداء شعائرهم الدينية بحرية كاملة وطبقاً لأصول الدين وقواعد الشريعة[٣].

واستمرت السلطات البلغارية في أساليبها، فنشرت مجلة الرسالة نداء استغاثة من مسلمي بلغاريا جاء فيه :[٤]

«إن البلغاريين عملاء الروس يهدمون المساجد، ويعذبون رجال الدين (علماء الدين) ويهدمون قبورهم، ولا يسمحون لهم بدفن موتاهم كما تأمر به الشريعة الاسلامية، ويجبروهم على تبديل أسمائهم وأسماء أولادهم الاسلامية ويقتلون كل من خالفهم، ولم يكتفوا بذلك بل انهم يستولون على أراضي المسلمين. وهدفهم تجريد المسلمين المواطنين في بلغاريا من دينهم وجعلهم جميعاً ملحدين شيوعيين».

ويقول البيان :

«انهم يستشهدون في سبيل الجهاد والدفاع عن دينهم وعقيدتهم وينادون ويدعون إخوانهم المسلمين في كل الدنيا لمساعدتهم».

---

(١) نفسه.

(٢) نفسه.

(٣) أخبار العالم الاسلامي ٢ ربيع الآخرة ١٤٠٥هـ العدد ٩٠٥. وأخبار العالم الاسلامي الاثنين ٢٥ رجب ١٤٠٥هـ/ ص ١٤.

(٤) الرسالة ــ المغرب رقم ١٩٧ شعبان ١٤٠٥هـ/ من مقال الأستاذ أبوبكر القادري.

فوجه الدكتور عبد الله نصيف أمين عام رابطة العالم الاسلامي نداء للعالم يهيب بالمسلمين بوجوب التحرك لإنقاذ اخواننا المسلمين البلغاريين الذين يعيشون مأساة حقيقية منذ سنوات في غفلة من العالم وفي نطاق الحصار[1].

بل وبلغ الأمر بالسلطات البلغارية أن استدعت المسلمين في قرية بجنوب البلاد إلى اجتماع عام وأبلغوا بأن للجنة ستقوم بفحص الأطفال واحصاء المختونين منهم وان كل طفل يختن بعد ذلك يعاقب وليّ أمره بالسجن ما بين ٥ إلى ١٠ سنوات. ونقلت مجلة التايمز في عدد فبراير عام ١٩٨٥م خبراً عن معاملة النساء المسلمات جاء فيه : إنهن يجبر ن على خلع ملابسهن واغتصابهن أمام ذويهن!! وحسب اعتراف الحكومة البلغارية نفسها انه كان في صوفيا العاصمة حوالي ٣٠ مسجداً لم يبق منها سوى مسجد واحد متصدع الجدران[2]!

ثانيا : يوغسلافيا :

جمهورية اتحادية توجد في جنوب وسط أوربا في الجزء الغربي من شبه جزيرة البلقان، على الساحل الشرقي لبحر الأدرياتيك. وتتكون من ست جمهوريات صغيرة هي :

صربيا وعاصمتها بلغراد العاصمة الاتحادية الواقعة على نهر الدانوب.
وكرواتيا وعاصمتها زغرب وسكانها من الكروات.
والبوسنة والهرسك وعاصمتها سيراجيفو.
ومقدونيا وعاصمتها سكوبيا.
وسلوفيتيا وعاصمتها لبويليانا وتقع في أقصى الشمال الغربي.
والجبل الأسود وعاصمتها تيتوجراد وهي أصغر الجمهوريات وفيها عدد من الإلبان.

ويضاف إلى هذه الجمهوريات اقليمان يتمتعان بالحكم الذاتي وهما : كوسوفا وفوجفورنيا ويتبعان جمهورية صربيا.

---

(١) المسلمون عدد ٤٣ ص ١٧.
(٢) أخبار العالم الاسلامي ١٨ رجب ١٤٠٥هـ.

وتضم البلاد أكثر من عشرين قومية يتكلم كل منها لغة خاصة به. وقد ظهرت هذه الجمهورية في أعقاب الحرب العالمية الأولى في تسوية ما بعد الحرب، واحتلها الألمان والايطاليون أثناء الحرب العالمية الثانية. ثم استقلت بعد هزيمة ألمانيا واتحدت في جمهورية فيدرالية[1]. وسيطر الشيوعيون على حكمها. ثم اتبعت سياسة عدم الانحياز ومصادقة جميع الكتل السياسية العالمية. وحكمها الرئيس تيتو فترة طويلة.

وتبغ مساحة هذه الجمهورية **٢٥٥,٨٠٤**كم٢، وعدد سكانها عام **١٤٠١**هـ أكثر من **٢٢** مليون نسمة[2].

وصلها الاسلام بعد فتح صقلية في القرن الثالث الهجري، ولكنه وصلها بشكل كبير مع الفتح العثماني.

فقد بدأ العثمانيون يتقدمون في هذه البلاد سنة **٧٥٤**هـ/ **١٣٥٣**م، إلى عام **٨٥٦**هـ/ **١٤٥٢**م ولما اشتدت حدة الصراع بين المذاهب النصرانية طلب البشناق ــ أهل البوسنة ــ مساعدة العثمانيين، وكان ينتشر بين البشناق مذهب البرغوميلي أو الكنيسة البشناقية، ويعارض هذا المذهب المذهب الكاثوليكي والأرثوذكسي على السواء، فليس فيه تقديس البشر والتعميد، وذلك بتأثير من الاسلام، فكان البشناق مهيئين لقبول الاسلام.[3].

تقدم السلطان محمد الفاتح لنجدة البشناق سنة **٨٦٨**هـ/ **١٤٦٣**م ففتح البلاد وحسم الصراع بين المذاهب النصرانية، وأصبحت البلاد جزءاً من دار الاسلام، واعتنق البشناق الإسلام زرافات ووحدانا، طواعية وصاروا من أقوى أنصاره، وشيدوا المدن ذات الطابع الاسلامي وأشهرها: سيراجيفو أو (بشناق سراي).

---

(١) بيير رونوفن ــ تاريخ القرن العشرين ص ١٠٦.

(٢) الكتاني ــ المسلمون في أوربا وأمريكا ج ١ ص ١١٥، جودة حسنين ــ جغرافيا أوربا الإقليمية ص ٥١٣.

(٣) الكتاني ــ المسلمون في أوربا وأمريكا ج ١ ص ١١٧، انظر علي حسون: الدولة العثمانية ص ٣٣.

وعندما ضعفت الدولة العثمانية استولت النمسا على مناطق عديدة من يوغسلافيا، واستقل بعضها مثل الجبل الأسود وصربيا، واضطرت الدولة العثمانية إلى التخلي عن البوسنة والهرسك سنة ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م لإمبراطورية النمسا والمجر.

وفي صربيا وعاصمتها سيراجفو كانت شرارة الحرب العالمية الأولى. عندما اغتال طالب صربي ولي عهد النمسا الأرشيدوق فرديناند وزوجته أثناء زيارته لمدينة سيراجيفو عام ١٣٣٧هـ/ ١٩١٤م[١].

وبعد الحرب الأولى ـ ظهرت مملكة صربية، ثم ظهرت جمهورية يوغسلافيا بعد الحرب العالمية الثانية تحت الحكم الشيوعي[٢]. بعد أن هدم الاتحاد السوفييتي الأنظمة السابقة وأقام دكتاتورية طبقة العمال[٣].

أحوال المسلمين :

تعرض المسلمون لموجات قاسية من الاضطهاد في عهد الحكم النمساوي الصليبي، وإلى عمليات التنصير. فهاجر العديد منهم فراراً بدينهم إل تركيا والبلاد الاسلامية الأخرى سنة ١٢٩٧هـ/ ١٨٧٩م. وقامت النمسا بتهجير أعداد كبيرة من الكاثوليك النصارى إلى البوسنة، وتعرضت المساجد إلى الهدم.

وثار المسلمون ضد الحكم النمساوي بزعامة رئيسهم علي فهمي جانيش عام ١٣١٨هـ. وانضمّ إليهم الأرثوذكس ونجحوا في الحصول على الحكم الذاتي في الأمور الدينية عام ١٣٢٧هـ[٤].

وعندما ظهرت دولة الصرب بمساعدة روسيا استبشر المسلمون للتخلص من الاستعمار النمساوي، ولكن الأرثوذكس غدروا بهم بعد الاستقلال، وتحت شعار الإصلاح الزراعي أخذوا أراضيهم الزراعية وسلموها للأرثوذكس.

---

(١) بيير رونوفن ــ تاريخ القرن العشرين ص ١٣٦.
(٢) الكتاني ــ السابق ــ ص ١١٨-١٢٠.
(٣) ج. ب درُوزيل ص ٢٣٨.
(٤) محمود شاكر ــ المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص ١٢٤.

واستمروا كالنمسا في أسلوب تهجير المسلمين واغلاق مدارسهم ومساجدهم .

فقد كان في مدينة بلغراد ٢٧٠ مسجداً والعديد من المدارس الاسلامية و٢٧٠ كتاباً زمن الحكم الاسلامي ، فقضي على هذه المدارس وهدمت المساجد لتقام مكانها الفنادق والمسارح بعد انحسار الحكم الاسلامي . والبرلمان اليوغسلافي اليوم على أنقاض مسجد بنار وكان أجمل مساجدها بني عام ٨٢٨هـ/ ١٥٢١م[١] .

ومن حركات المقاومة التي نظمها المسلمون : الحزب الاسلامي برئاسة الدكتور محمد سباهو عام ١٣٣٨هـ .

وعندما قامت الحرب العالمية الثانية ، وقعت مذابح بين المسلمين والأرثوذكس من جهة وبين الكاثوليك من جهة ثانية[٢] . ثم تسلم الشيوعيون الحكم بعد الحرب بزعامة تيتو وكعادتهم قاموا بمذابح كثيرة ضد المسلمين وبتهديم مساجدهم ، وأغلقت بقايا المدارس الدينية وأبيد ٢٤ ألف مسلم بعد الحرب مباشرة ، وقتل عدد من العلماء والزعماء المسلمين[٣] . فقتل فضيلة الشيخ عصمت منقنتيش مفتي كرواتيا ، والعالم الشيخ مصطفى يوصولاجيتش ، وحكم بالأشغال الشاقة على ١٢ عالماً بعد محاكمة صورية في مدينة سيراجيفو مدداً مختلفة منهم الشيخ قاسم دوراجا شيخ علماء البوسنة والهرسك ، والشيخ عبد الله دروبسيوفيتش وكلاهما من علماء الأزهر الشريف .

كما حكمت محكمة اسكوب في مكدونيا سنة ١٩٤٧م على ١٧ زعيماً إلبانياً من الالبانيين المقيمين في يوغسلافيا ، وفي نفس السنة حكمت محكمة برشتينا على ٣٧ من الأعيان الالبانيين ثلاثة منهم بالإعدام والباقي بالأشغال الشاقة .

وفي عام ١٩٤٩م وبعد انفصال يوغسلافيا عن دول الكومنيفورم حكمت محكمة سيراجيفو على ١٣ زعيماً من المنتمين إلى جمعية الشبان المسلمين المنحلّة ، أربعة منهم بالاعدام والباقي بالأشغال الشاقة .

---

(١) الكتاني ــ مرجع سابق ــ ص ١٢٠-١٢١ .

(٢) محمود شاكر ــ المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص ١٢٥ .

(٣) نفسه ص ١٢٦ .

ونشـرت جريـدة Novadole الصـادرة في سيراجيفو بتاريخ **٢٣** مارس سنة **١٩٤٦**م قانـونـاً بإلغـاء المحـاكم الشرعية في يوغسلافيا[١]. فكانت خطة تيتو أن يقضي على جيـل كامـل من المسلمـين، ومـارست أجهـزة الإعـلام الشيـوعية الدعاية ضد الإسلام.

وبعد استقرار الأوضاع وهجرات كثير من المسلمين أخذ المسلمون الذين بقـوا تحت الحكم الشيـوعي يسـتردون كيـانهم بعـد سلسلة الاضطهـادات التي استمـرت حتى عام **١٣٩٣**هـ/ **١٩٧٣**م. حيث بدأ الانفـراج فاعترفت الدولة بكيانهم في هذا العام وقامت جمهورية اسلامية في بلاد البوسنة والهرسك، شكل المسلمـون أغلبهـا، وأصبحت لهم حريـة التعبـد وإقامة المساجد وبناء المدارس وشراء الكتب الاسلامية وكذلك نشرها وأعيدت لهم بعض مساجدهم ومدارسهم[٢].

وفي البـلاد اليـوم اتحـاد اسـلامي عام يرأسـه كبـير العلماء، وفي عواصم البوسنة والهرسك وصربيا ومقدونيا والجبل الأسود مجالس للعلماء ينظمون شئون المسلمـين[٣]. ولهـذه الهيئـات قوتهـا ونفـوذهـا بين المسلمـين، باعتراف حكومة يوغسلافيا بهذا التنظيم.

وبـدأت المسـاجـد تزداد فوصـل عددهـا إلى **٢٧٠٠** مسجد، واستردت معظم المسـاجـد التي سلبت منهم أيـام الاضطهاد. وهي تنتشر في معظم القرى والمـدن ففي إقليم سيراجيفـو يوجد **١٠٩٢** مسجداً، وفي مشيخة بريشتينا **٦٧٠** مسجـداً، وفي سكـوبيـا **٣٧٢** مسجـداً، وفي مشيخـة تيتـوجـراد **٧٦** مسجداً. والباقي موزع في مناطق أخرى. وتزداد حركة بناء المساجد[٤] في الآونة الأخيرة.

وأخـذ التعليم الـديني مكـانـه في حيـاة المسلمين، فيتعلم الطفل المسلم مبـاديء الاســلام والقــرآن الكـريم في الكتـاتيب التي بلغ عدد طلابهـا سنـة **١٣٩١**هـ، **١٢٠** ألف طالب. وليست هنـاك قيـود على التعليم الاسـلامي من

---

(١) مذكرة جماعة الكفاح لتحرير الشعوب الاسلامية، عن كتاب الافعى اليهودية لعبد الله التل.
(٢) الكتاني ــ مرجع سابق ــ ص ١٢٠-١٢١.
(٣) مجلة العربي صفر ١٤٠٢هـ.
(٤) نفســـــه.

جانب الدولة في هذه المرحلة. فيضع المسلمون مناهج التعليم الابتدائي[1].
وهناك عدد من المدارس المتوسطة والثانوية فتوجد مدرسة ثانوية اسلامية في مدينة سيراجيفو، (مدرسة خسروبك) وثانوية أخرى في مدينة برشتينا. كما توجد الكلية الاسلامية في سيراجيفو ــ افتتحت سنة ١٣٩٧هـ ــ ووضعت مناهجها وفقاً لنظم الكليات الاسلامية، كما افتتح بها قسم للمرأة المسلمة. ولقد ساهمت المملكة العربية السعودية في اقامة هذه الكلية كما ساهمت رابطة العالم الاسلامي وبعض الدول الاسلامية.

وهاك مكتبة الغازي خسروبك في سيراجيفو وهي من أشهر المكتبات الاسلامية وتضم الآلاف من الكتب بالعربية والتركية والفارسية إلى جانب العديد من المخطوطات.

وهناك ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى بعض اللغات اليوغسلافية عن التركية، وصدرت ترجمة حديثة عن اللغة العربية[2].

هذا ويشكل المسلمون حالياً ٢٠٪ من السكان في يوغسلافيا أي أن عددهم أكثر من ٤,٥ مليون نسمة. يكون البشناق نصف عددهم. ثم يليهم الإلبان وعددهم حوالي ١,٥ مليون نسمة معظمهم في اقليم كوسوفا حيث اجتزيء هذا الاقليم من البانيا في الحرب الأولى، ثم الأتراك وقد قل عددهم بسبب الهجرة إلى تركيا، ثم الغجر. ولكل قومية لغتها ومدارسها الاسلامية[3].

وتحاول الحكومة الشيوعية الحالية أن تضع العراقيل أمام المسلمين وذلك: بعدم إتاحة الفرصة لهم للإلتحاق بالمناصب الحكومية الإدارية أو الإقتصادية أو الجيش، ورفع نسبة البطالة بينهم، وممارسة التمييز العنصري، ووصف وسائل الاعلام للمسلمين بالتطرف والتعصب والعنف، دون أن يملك المسلمون وسائل الرد.

ثالثاً: رومـــانيا:

رومانيا إحدى الجمهوريات الاشتراكية في أوربا الشرقية، شمال شبه

(١) نفسه صفر ١٤٠٢هـ.

(٢) صفوت السقا ــ المسلمون في يوغسلافيا ص ٦٣، مجلة العربي صفر ١٤٠٢هـ.

(٣) كان عدد المسلمين عام ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م ٣,٨٥٠,٠٠٠ نسمة. وقد تكون نسبة المسلمين أكثر بكثير من ٢٠٪ حيث الاحصاءات متناقضة ومتباينة. انظر: Journal Institute of Muslim Mionority Affairs Vol-2

جزيرة البلقان. ومساحتها ٥٠٠, ٢٣٧كم٢. وسكانها عام ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ٠٠٠, ٤٠٠, ٢٢ نسمة. وعاصمتها بخارست.

وصلها الاسلام عن طريق الدعاة الأتراك المسلمين بجهود ذاتية في النصف الثاني من القرن السابع الهجري. وكان من أشهرهم: سامي سالتيك. وعن طريق هذه الدعوة هاجر إليها عدد من الأتراك المسلمين واختلطوا بسكانها.

وجاء العثمانيون فتمكنوا من الحاق هذه البلاد بدار الاسلام بين ٨١٤-٨١٩هـ/ ١٤١٦م[١]. فتحولت أسر وقرى ومدن بأكملها إلى الاسلام وعزّ الاسلام في هذه البلاد.

ويعود سبب انتشار الاسلام إلى المعاملة الحسنة التي لقيها غير المسلمين من المسلمين في ظل الدولة العثمانية. قال مقاريوس بطريريك انطاكية بعد أن شهد ضحايا الاضطهادات الدينية في بولندة بين الكاثوليك والأرثوذكس:

«أدام الله بقاء دولة الترك، فهم يأخذون ما فرضوه من جزية ولا شأن لهم بالأديان». فاعتنق لهذه المعاملة الحسنة العديد من شعوب جنوب وشرق ووسط أوربا الاسلام طواعية[٢] وعن اقتناع.

تعرض المسلمون بعد هزيمة تركيا في الحرب العالمية الأولى إلى ألوان عديدة من الاضطهاد، فهاجر الآلاف منهم إلى تركيا، فقل عدد المسلمين في رومانيا فأصبح عددهم سنة ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م ٠٠٠, ٢٢٠ نسمة. ثم وصل قبل الحرب العالمية الثانية إلى ٠٠٠, ٢٦٠ نسمة.

وبعد استيلاء الشيوعيين على الحكم واستيلاء روسيا وبلغاريا على أجزاء منها عادت هجرة المسلمين من جديد، فوصل عددهم سنة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م إلى ٩٠ ألف نسمة فقط[٣].

أما عام ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م فيقدر عددهم بمائة ألف نسمة. من الأتراك والتتار والغجر، يوجد أكثرهم في شرقي رومانيا في منطقة دوبروجة على ساحل

---

(١) الكتاني ــ المسلمون في أوربا وأمريكا ج ١ ص ٢٢٣، البلدان الاسلامية ص ٧٢٦.
(٢) أرنولد ــ الدعوة إلى الاسلام ص ١٨٢-١٨٣.
(٣) الكتاني ــ المرجع السابق ص ٢٢٤.

البحر الأسود في مقاطعتي قنسطانطة وتولسيه وفي مدينة بخارست.

ويعاني المسلمون في رومانية كثيراً من المضايقات والتحديات في ظل الحكم الشيوعي، بزعمائه من خارج البلاد، بدكتاتورية مفروضة(1)، فقد أهمل التعليم الاسلامي. وضاع المسلمون بين التحدي الشيوعي والتعصب النصراني والعداء التقليدي للأتراك. ويوجد لهم مفتي في مدينة قنسطانطة ولكنه مسلوب النفوذ.

ورغم التحديات فقد حافظت بعض المناطق على أوضاعها الاسلامية وأسمائها مثل مدينة المجيدية في جنوب رومانيا على البحر الأسود وباباداع في الشمال(2).

رابعاً: بولندة:

تعتبر احدى دول وسط أوربا، مساحتها ٣١٢,٦٨٣كم² وسكانها أكثر من ٣٦ مليون نسمة.

سيطر عليها الشيوعيون منذ سنة ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م، و٩٥٪ من سكانها كاثوليك، وهي البلد الشيوعي الوحيد الذي يعترف بالتعليم الديني(3).

كانت هذه البلاد تتبع دولة التون اورده (٦٢٥-٩١١هـ/ ١٢٢٧-١٥٠٥م) الاسلامية التي حكمت روسيا وشرق أوربا بأكمله، ولما تلاشت هذه الدولة بعد حروبها مع روسيا انتشر المسلمون إلى الدول الأوروبية المجاورة مثل اكرانيا والقرم والمجر وبولندة الكبرى ولتوانيا(4).

وعلى ذلك فقد بدأ اتصال المسلمين بهذه البلاد في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي. وقد استعان البولنديون بالتتار المسلمين كثيراً لصد هجمات الألمان، وتكونت أول جالية اسلامية في القرن التاسع الهجري في بولندة. وفي القرن السادس عشر تكونت من هذه الجالية فرق من الخيالة الخفيفة

---

(١) ج. ب درُوزيل ص ٢٣٨.

(٢) مجلة الفيصل عدد ١٨ ذو الحجة ١٣٩٨هـ.

(٣) الكتاني ــ المسلمون في أوربا وأمريكا ج ١ ص ٢٣٢.

(٤) رابطة العالم الاسلامي عدد ٨ ص ٥٥.

اقتصرت عليهم في الجيش البولندي، ومن القادة المسلمين المعروفين في بولندة الجنرال بيالاق في القرن الثامن عشر الميلادي خلال حروب بولندة مع روسيا[٢].
وكان بجانبها دولتان اسلاميتان هما: دولة تتار القرم وعاصمتها بغجة سراي ويسميها الروس الآن سفربول. والثانية الدولة العثمانية. وتمتعت الجالية الاسلامية باحترام ملوك بولندة وبنيت المساجد والمدارس الاسلامية وخاصة في مدينة لوبلان شرق بولندة حالياً.

وفي القرن العاشر الهجري تعرض المسلمون لموجة من الاضطهاد الصليبي فهاجر الكثير منهم. فتسبب ذلك في توتر العلاقات بين بولندة ودولة التتار فاشتعلت الحرب بينهما عام ١٠٥٠هـ/ ١٦٤٠م[٢]. كما تجددت هذه الحرب في عهد السلطان اسلام جراي الثالث ١٠٥٤-١٠٦٥هـ/ ١٦٤٤-١٦٥٤م، ثم تحسنت العلاقات أيام محمد الرابع التتري.

وعندما اتحدت بولندة مع لتوانيا تطوع الكثير من التتار المسلمين في جيش لتوانيا فزادت الأقلية المسلمة بالبلاد.

وعندما قسمت بولندة بين ألمانيا والنمسا وروسيا في أواخر القرن الثامن عشر (الثاني عشر الهجري) أصبح المسلمون ضمن المناطق المقسمة وكانت الأكثرية من نصيب روسيا القيصرية. وعادت بولندة بعد الحرب العالمية الأولى إلى الوجود، وكان فيها آنذاك حوالي ١٥٠ ألف مسلم[٣]. بنوا المدارس والمساجد، وكانت مدينة ولنيوس شمال شرق البلاد مركز المفتي ومقر الجمعية الاسلامية في بولندا (وهي الآن تتبع الاتحاد السوفياتي وعاصمة لتوانيا).

وبعد الحرب الثانية خرجت بولندا وقد تقلصت مساحتها وقل عدد سكانها، فقل عدد المسلمين فيها حيث كان عددهم سنة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م أحد عشر ألفاً منهم عشرة آلاف مسلم بولندي. وعام ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م (١٥ ألفاً)[٤].

---

(١) نفسه ص ٥٥.
(٢) الكتاني ــ السابق ــ ص ٢٣٣-٢٣٤.
(٣) رابطة العالم الاسلامي عدد ٨ السنة ٢٢ شعبان ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
(٤) الكتاني ــ المرجع السابق ص ٢٣٣-٢٣٤.

أما الآن فيتراوح عددهم بين **١٥ ـ ٢٠** ألفاً. مهددون بالإنقراض بسبب نقص المدارس الاسلامية، (فمن أراد أن يعلم أبناءه يرسلهم إلى يوغسلافيا إلى مدرسة خسروبك الاسلامية). وبسبب عزلهم عن العالم الاسلامي.

وكان عدد المساجد عام **١٩١٨**م **٤٤** مسجداً منها مسجدان في العاصمة وارسوولا يوجد حالياً إلاّ مسجدان في جميع أجزاء البلاد. بالإضافة إلى مقبرتين للمسلمين.

وقد وافقت بولندة في البيان الذي أصدرته اللجنة العليا لاتحاد المسلمين عام **١٩٨٢**م على إقامة مسجدين في كل من وارسو وجرانسك[١].

خامساً: البانيا:

البانيا اليوم جمهورية شعبية في جنوب شرقي أوربا في شبه جزيرة البلقان، تقع بين اليونان ويوغسلافيا، وتطل بساحلها الغربي على البحر الأدرياتيكي، وعاصمتها مدينة تيرانا.

وتسمى أحياناً باسم شكبينا، ولكن اسم البانيا أكثر شيوعاً واستخداماً[٢].

تبلغ مساحتها **٢٨,٧٤٨**كم٢، معظمها مناطق جبلية جزء من جبال الألب الدينارية، وتخط أراضيها أحواض منخفضة تتخللها المستنقعات، وتغطيها الغابات التي تمدّ البلاد بثروة خشبية جيدة.

وسكانها **٢** مليون، يطلق الأتراك عليهم اسم الأرناؤوط، ويطلقون على أنفسهم اسم سكتيبار. ويتكونون أصلاً من قسمين يفصل بينهما نهر شكومبي: الغجـ في غيجاريا، والتوسك في توسكاريا، وتقسم كل مجموعة إلى عدد من القبائل. بالإضافة إلى بعض العناصر من الصرب والرومان والبلغار واليونان والأتراك. وعدد قليل جداً من الغجر واليهود[٣].

---

(١) رابطة العالم الاسلامي عدد ٨ ص ٥٥.
(٢) تقويم العالم الاسلامي ص ٢٢١.
(٣) نفسه ص ٢٢٤.

يدين بالاسلام منهم حوالي ٧٣٪ وهم أهل السنة من الغج والتوسك.
وهناك الكاثوليك النصارى ١٠٪.
والأرثوذكس النصارى ١٧٪[١].

بدأ اتصال الدولة العثمانية بهذه البلاد بالفتح عندما تقدمت جيوش الدولة إلى شبه جزيرة البلقان. وبدأت محاولة فتحها عام ٧٨٩هـ، زمن السلطان مراد الأول.

واعترف الالبان بسلطة الدولة العثمانية عام ٨٢٧هـ.

وأُتمّ فتحها جميعها عام ٨٨٢هـ. مع بقاء بعض الموانيء مثل مدينة دورازو التي فتحت عام ٩٠٧هـ، بينما تأخرت مدينة انتفياري إلى عام ٩٧٩هـ. وبقيت البلاد جزءاً من دار الاسلام، وأسلم أهلها وأسهموا بدورهم في الدولة العثمانية فكانت فرق الالبان ـ الأرناؤوط ـ أهم فرق الجيش العثماني. ومحمد علي باشا والي مصر كان منهم. كما أن أسرة كوبريللي التي كان لها فضل حماية الدولة العثمانية من الانهيار في القرن الحادي عشر الهجري من البانيا[٢].

ولما اشتدت حملة الدول الصليبية الأوروبية على الدولة العثمانية وجزأتها أعلن استقلال البانيا عام ١٣٣١هـ/ ١٩١٢م في مدينة فالونا (فلورا)[٣]. وقرر مؤتمر لندن تحديد حدودها، وعيّن الأمير وهلهم الألماني حاكماً عليها، ووصل الأمير بالفعل إلى مدينة دورازو عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م ولكنه غادرها في نفس العام. ووقعت في سلسلة من الاضطرابات التي كان يثيرها تنازع الدول الاستعمارية وأطماعها.

واتفقت الدول الكبرى سرّاً في لندن عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م على تقسيم البانيا. ولكن ايطاليا نقضت الاتفاق فأعلنت من جانبها استقلال البانيا عام ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م[٤].

---

(١) محمود شاكر ــ المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص ١٣١.
(٢) علي حسون ــ الدولة العثمانية ص ٩٧.
(٣) تقويم البلدان الاسلامية ص ٢٢٥.
(٤) نفسه ص ٢٢٥.

فأعلنت الجمهورية وأصبح الأمير أحمد زوغو رئيساً لها، ولكنه أعلن نفسه ملكاً بعد ذلك عام ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٥م. وحاول تغيير العادات مسايرة للدول الأوروبية ففرض السفور على النساء، فاضطر عدد من المسلمين إلى مغادرة البلاد إلى بلاد اسلامية أخرى(١).

وظل أحمد زوغو في الحكم إلى عام ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م عندما اضطر للهرب إلى انجلترا بسبب احتلال إيطاليا لبلاده.

وتم اعلان عزل زوغو عام ١٩٤٦م بعد الحرب العالمية الثانية، واعترفت بريطانيا والولايات المتحدة وروسيا بحكومة انتقالية في البانيا برئاسة الجنرال أنور خوجة على أساس أن تجري انتخابات حرّة في البلاد.

وأسفرت الانتخابات بالدعاية الشيوعية عن فوز الشيوعيين الذين أعلنوا الجمهورية في نفس العام ١٩٤٦م. فقطعت بريطانيا والولايات المتحدة علاقاتها مع البانيا التي دخلت بدورها هيئة الأمم المتحدة عام ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م.

ويحكم البانيا حزب العمال الشيوعي الذي تأسس عام ١٩٤١م وبلغ عدد افراده عام ١٩٦١م ٥٣,٦٥٩(٢) فرداً، وتحكم هذه الأقلية المسلمين وتسوٴهم العذاب كالشيوعية في الاتحاد السوفيتي وفي الصين - بزعامة أنور خوجة.

وهناك نزاع مذهبي بين الحزب الشيوعي الإلباني والحزب الشيوعي الروسي على أساس أنّ البانيا تتبع تعاليم ستالين، وآزرتها الصين في موقفها. ولذلك قطعت روسيا علاقاتها الدبلوماسية مع البانيا عام ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م(٣) ولم تتقطع معاناة المسلمين من الحكم الشيوعي حتى الآن (١٤٠٦هـ).

---

(١) محمود شاكر ـ المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص ١١٦.

(٢) تقويم البلدان الاسلامية ص ٢٢٦.

(٣) محمود شاكر ـ المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص ١١٦، تقويم ص ٢٢٦.

البـــاب الرابع

توقعات حول مستقبل العالم الإسلامي

الفصل الأول : الاتجاه إلى التزام الإسلام نتيجة معاناة المسلمين المعاصرة.

الفصل الثاني : الاتجاه إلى وحدة الجهود وتضامن المسلمين.

الفصل الثالث : الأخطار التي تهدد العالم الإسلامي ما لم يعتصم بالإسلام.



الفصـــل الأول

الاتجاه إلى التزام الإسلام نتيجة معاناة المسلمين المعاصرة

تحاول الأمــة الاســلاميــة أن تتجـاوز المحن الكثـيرة والتحـديـات التي تعـترضهـا رغم وسائل التدمير والهمجيّة، كما تحاول أن تلمّ جراحها وأن تتعرّف على مواطن الضّعف في حيـاتهـا التي كانت منـافذ للعدو، وثغرات تسلّل منها، وأن تتلمّس مواطن القوة لتنطلق مرة بعد مرة، وخاصة فقد بقي لها الاسلام عَلَماً وحضـارة وثقـافـة وانتماء وبقي كتابها وسنّة رسولها الأمر الذي يمكنّها من الصمود ويعينها على النهوض والمواجهة من جديد.

ولقـد شهـد القـرن الـرابـع عشر الهجري محاولات ومؤ امرات ومكائد لا تحصى عدداً ولا تقدر ضخامة وشراسة استهدفت القضاء على الاسلام وتركيع المسلمـين ومصـادرة ونهب خيرات العـالم الاسلامي ومقدراته، وما القضايا التي استعـرضنـاهـا والقضـايـا الأخرى الكثيرة التي لم نتمكّن من استعراضها لضيق الـوقت والمجـال (كتطـور الأزمة اللبنانية وتفاعلاتها، والحرب العراقية الايرانية، والغـزو التبشـير ي لأقطـار افـريقيـة، وقضية جنوب السودان وتشاد وغيرها) إلاّ حلقـات في مسلسـل التآمر على الاسلام والعالم الاسلامي قادتها القوى العالمية الثـلاث: الصليبيـة (الامـبر يـاليـة الغـربيّـة) والصهيـونيـة العالمية، والشيوعية

(الامبريالية الشرقية). قال تعالى: ﴿ **ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا** ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ **وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله وليّ المتقين** ﴾[2].

ورغم كل ذلك فقد شهد الثلث الأخير من القرن الرابع عشر الهجري صحوة إسلامية مباركة ورجوعاً إلى الله بعد أن خاض العالم الاسلامي تجارب كثيرة من الرأسمالية إلى الشيوعية، ورفع أكثر أقطاره كثيراً من الشعارات: الحرية، الديمقراطية، التقدمية، الاشتراكية، القومية، الوطنية.. الخ، وكلها تجارب باءت بالفشل وشعارات تساقطت الواحدة تلو الأخرى، ذلك لتصادم هذه الأنظمة والشعارات بفطرة الإنسان، فكفر الناس بالفلسفة وفلاسفتها وبالآراء ومفكريها، وأخذ بعضهم يعود إلى الله ــ وعاد المسلم يلمس بل يؤكد أن هذا الدين مقبل ليأخذ بيد الإنسان الشرقي والغربي على السواء إلى طريق الخير. قال تعالى: ﴿ **فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض** ﴾[3].

ومن أسباب ذلك:

١ ــ ان الاسلام هو دين الفطرة للإنسان، القادر دائماً على إعادة صياغة من يوهمون بالإنحلال والتمرد على العقيدة والقيم، إذا توفر المنهاج التربوي الصائب ووجدوا علماء الآخرة الذين يفقهون تزكية النفوس ويحكمون صياغة العقول وتوحيد الجهود، ويعطي التفسير الصحيح للوجود ولمركز الانسان فيه ولغاية وجوده الإنساني في اعمار الأرض واستخلافه فيها، ويكسبه الراحة النفسية بإدراكه غاية وجوده. قال تعالى: ﴿ **فأقم وجهك للدين حنيفاً، فطرة الله التي فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيّم، ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾[4].

---

(١) سورة البقرة الآية ٢١٧.
(٢) سورة الجاثية الآية ١٩.
(٣) سورة الرعد الآية ١٧.
(٤) سورة الروم الآية ٣٠.

فالآية تجعل الإسلام ليس فقط دين الفطرة، ولكن نفس الفطرة التي فطر الناس عليها، فالإسلام دين الله هو والفطرة الإنسانية السليمة شيء واحد وان مبادئه وأحكامه مطابقة تماماً لسنن الفطرة، وأمّا ما يعتور الناس من عوج فهو أمر طاريء راجع إلى الخروج عن التربية الاسلامية الصحيحة أي إلى عدم تنشئة النشء على أصول الاسلام وأخلاقه وأعماله[1]. يقول ابن تيمية (رحمه الله) : «ماذا يصنع بي أعدائي، إن جنتي وبستاني في صدري لا تفارقني ــ إن قتلي شهادة، ونفيي سياحة، وسجني خلوة»[2].

٢ ــ انهيار الحضارة الغربية بفرعيها الرأسمالي والشيوعي : فقد انكشف زيف هذه الحضارة لماديتها المفرطة وخوائها الرّوحي، فأوقعت حياة الرجل الغربي في الفراغ[3]، وعجزت عن تقديم الحلول المقنعة لهدف الإنسان من الحياة، عندما جَحَدت الإله الذي يفزع إليه وقت الشّدّة، فأوصلت الإنسان إلى الشّقاء والتمزّق الداخلي والتوتّر العصبي والفزع، والهروب من الحياة إلى الكحول والمخدرات والشذوذ الجنسي، والبحث عن الصرخات والموضة، وأخيراً إلى الانتحار لوضع حدّ لهذه الحياة البائسة التعيسة كما فعل جاكوب مارينو، وارنست همنجواي ونيتشة وغيرهم.

وامتلأت المسرحيّات بهذه الآلام والتعاسة، وأخذ الذين ساروا على نمط الحياة الغربيّة من المسلمين يواجهون المصير ذاته، ويعانون التمزّق نفسه.

وقد مرت الحضارة الغربية بأطوار ثلاثة هي :

١ ـ طور الهروب من الله بالثورة على الكنيسة والتحرر من سلطان الدين.

٢ ـ طور فتح أبواب كل شيء عليها: الانتاج والابداع في نواحي الحياة المادية.

---

(١) الاسلام في عصر العلم ص ٧.

(٢) أبو الحسن الندوي ــ ابن تيمية ــ ص ١٦٥.

(٣) انظر: الكسيس كارليل ــ الإنسان ذلك المجهول، اشبنجلر ــ انهيار الحضارة الغربية، دالاس ــ حرب أم سلام.

٣ ـ طور الضمور والإفلال والاستبدال: [١] والحضارة الغربية اليوم في هذا الطور الأخير.

يقول جود الانجليزي: «ان العلوم الطبيعية قد منحتنا القوة الجديرة بالآلهة، ولكننا نستعملها بعقل الأطفال والوحوش» [٢].

وهذا ما جعل الصيحات الدينية المتخلفة الشاذة المنحرفة تنطلي على الناس الذين اتصفوا بالخواء الروحي والفراغ العقيدي، كالبهائية في ثوبها الجديد على يد صون مون البليونير الأمريكي الكوري الأصل، الذي ادّعى أن الوحي ينزل عليه، وزعم الاتصال بالمسيح منذ حوالي نصف قرن، ومن ورائه الأصابع الصهيونية الماسونية، في محاولاتها لتهديم بقايا الأديان وبقاء سيادة المادية. وكمحاولة هوبكتز المبشّر النّصراني في التّقريب بين الإسلام والنّصرانية في لبنان بإقامة: جمعية الصداقة الإسلامية المسيحيّة [٣]. ومن العجيب أن صون مون اختار تركيا لإعلان بيانه العجيب وادّعائه النبوة التي زعم أنّه يتلقّاها عن المسيح منذ عام ١٩٣٦م [٤].

والواقع أن الإسلام هو المرشح الوحيد لوراثة الإنسان الغربي في قيادة البشرية، فهو دين الله الذي ارتضاه للناس منهاجاً وإماماً ــ قال تعالى: ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام دينا** ﴾ [٥].

وكان الغرب ولايزال يدرك أهمية الكتاب (القرآن الكريم) في تحقيق وحدة المسلمين، فكان كرومر عميد الاستعمار الانجليزي في مصر يقول: «لا يمكن للإستعمار أن يعيش ويستقرّ وسط أمّة طالما ظلّ هذا الكتاب فيها».

---

(١) انظر: الكسيس كارليل، واشبنجلر، ودالاس.

(٢) الندوي ــ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٢٣٨.

(٣) المسلمون العدد ٣٧ السبت ٥ صفر ١٤٠٦هـ/ ١٩ اكتوبر ١٩٨٥م.

(٤) انظر التفاصيل: المسلمون العدد ٣٥ ص ١ وص ٨ـ٩.، والعدد ٣٧ ص ٦ـ٧.

(٥) سورة المائدة الآية ٣.

أمّا المسلم فيؤمن ويعتقد بأن المستقبل لهذا الدين ــ الإسلام ــ للنصوص الثابتة المحكمة التي وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية والتي تبشّر بذلك.

قال تعالى : ﴿ **يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلّا أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون . هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلّه ، ولو كره المشركون** ﴾[1].

وقال ﷺ : «ليبلغنّ هذا الأمر ما بلغ اللّيل والنّهار ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلّا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذلّ ذليل ، عزّاً يعز الله دين الإسلام وذلاً يذل من كفر»[2].

وهناك أحاديث صحيحة كثيرة تشير إلى أنّ نهاية اليهود ستكون في فلسطين، وان الجيش الذي سيقاتلهم جيش مسلم. قال ﷺ : «تقاتلون اليهود، فتسلطون عليهم، حتى يختبيء أحدهم وراء الحجر فيقول الحجر ياعبد الله : هذا يهودي ورائي فاقتله»[3].

وقال ﷺ : «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي : يامسلم هذا يهودي ورائي فاقتله»[4]. وفي رواية البزار ورجالها ثقات رجال الصحيح كما جاء في مجمع الزوائد للهيثمي في المجلد السابع : «أنتم شرقي الأردن وهم غربيه». ويعقب راوي الحديث فيقول : ولم نكن نعرف أين الأردن في الأرض يومذاك[5].

---

(١) سورة التوبة الآيتان ٣٢، ٣٣.

(٢) رواه أحمد ج ٤ ص ١٠٣، والطبراني الكبير ج ١ ص ١٢٦، الإلباني ج ١ ص ١٢١.

(٣) الإلباني مجلد ٣ رقم ٢٩٧٤.

(٤) الإلباني ج ٦ ص ١٧٣ رقم ٧٢٩.

(٥) والحديث يخبرنا عن حرب ضروس ستقوم بين المسلمين واليهود في حين أن أمراً مثل هذا لم يكن يخطر بالبال، حيث أن اليهود لم تكن لهم قوة يستطيعون بها مقاتلة المسلمين، وهذا علم من اعلام النبوة لأنه اعلام بالغيب، فيه بشارة عظمى وهي انتصار المسلمين على اليهود في هذه الحروب مهما كانت الظروف والأحوال انتصاراً حاسماً لا يبقي منهم ولا يذر، وهو أمر آتٍ لا ريب فيه. انظر محاضرات رابطة العالم الاسلامي للموسم الثقافي لحج عام ١٣٩٨هـ/ محاضرة الشيخ عبد الله كنون ص ٦٥. كما أن فواتح سورة الاسراء الكريمة تؤكد هذه الحقائق ــ وهي بحاجة إلى نظرة جديدة في التفسير ــ حول افساد اليهود مرتين!.

وقــال ﷺ : «إن الله زوى لي الأرض (أي ضمّ وجمع) فرأيت مشـارقهـا ومغاربها وانّ أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها»[1].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: «بينما نحن عند رسول الله نكتب إذ سئـل رسـول الله أي المـدينتـين تفتـح أولاً؟ فقـال: مدينـة هرقـل»[2] (يعني القسطنطينية). والثانية هي مدينة روما مركز الفاتيكان.

وقد تحقق الفتح الأول وسيتحقق الفتح الثاني بإذن الله.

هذا كله يؤكـد حتميـة رجـوع الإسلام إلى مركز السيادة وموضع القيادة ويحقق الإنتصارات فيسود ويعمّ أرجاء الوجود.

ومن كتّـاب الغـرب أنفسهم من رشّـح الإسـلام كمنقـذ للبشـريـة. قال ديباسكييه الفرنسي:

«إن الغـرب لم يعـرف الإسـلام، فمنـذ ظهور الإسلام اتّخذ الغرب موقفاً عدائياً منه، ولم يكفّ عن الإفتراء عليه والتّنديد به، وقد ترتّب على هذا التّشويه أن رسخت في العقليّة الغربية مقولات فظّة عن الإسلام، ولا شكّ أن الإسلام هو الـوحـدانيـة التي يحتـاج إليهـا العـالم المعاصر ليتخلّص من متاهات الحضارة المـادّيـة المعـاصـرة التي لابـدّ ان استمـرّت أن تنتهي بتدمير الإنسان»[3]. ورأى جارودي أن الحضـارة الغـربية تقود العالم إلى الإنتحار[4]. فأسلم عدد كبير من فلاسفة الغرب وكتابه كرجاء جارودي (روجيه جارودي الذي أسلم عام ١٩٨٢م[5]، وعبـد الله أليسـون الانجليـزي رئيس قسم الهنـدسـة الألكترونية

---

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد.

(٢) رواه أحمد والدارمي وابن أبي شيبة والحاكم والمقدسي.

(٣) مجلة الأمـان اللبنـانيـة عدد ٥٧ السنـة ٢ آذار ١٩٨٠م. وانظر كتاب قوة الغد العالمية لباول شمتز، ترجمة محمد شامة ـ القاهرة ١٣٩٤هـ.

(٤) في حواره مع «المسلمون» العدد ٣٠ السبت ١٥ ذي الحجة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(٥) وجـارودي صاحب كتـاب: إسـرائيل ـ الصهيونية السياسية وقد حوكم في فرنسا متّهما باللاسامية!! وفي كتـابـه هذا بعض الأفكـار السياسية الخطيرة، والرجل ممن انتمى إلى الإسلام عقيدة بعد أن قضى حياته السابقة في ظلال الشيـوعيـة والإلحـاد، ولكنـه يرى أن الشـريعة قابلة للتطور وعلى ذلك فيجب الحذر من تلقي أفكار من أسلم حديثا بالقبول دون نظر فإن مثله ينقصه المعرفة الدقيقة في الأصول والفقه، كما أن مواقفه السياسية وانتماءاته السابقة تؤثر كثيرا في أسلوبه وتفكيره رغم الثقة بسلامة عقيدته.

بجـامعـة لنـدن، وأسلم أثنـاء انعقاد المؤتمر الدولي للإعجاز العلمي والطبي في القرآن الكريم في القاهرة من ١١ محرم إلى ١٣ محرم سنة ١٤٠٦هـ[١]. ويقول:

«إن العالم المادي اليوم في مأزق خطير وما يقولونه أويرونه لا يفسّر الحقيقة تماماً، وأنّهم يبحثـون عن العـودة إلى الـدين والبيـان الصحيـح الشّامل، وهنا العبء على المسلمـين، وهـذا هوواجبهم، وواجب مفكّـريهم في التقـدّم إلى البشرية الحائرة التائهة بالحلول الاسلامية السليمة»[٢].

ونتيجـة لذلـك برزت مع نهايـة القرن الرابع الهجري مظاهر صحيّة تدل على الإتجاه لالتزام الإسلام ومن هذه الظواهر ــ مظاهر الصحوة ــ :

— المـدارس التي خطـط لها دعـاة التغـريب، أخـذت تدفع الأفواج إلى الله، كما بدأت المناهج في بعض الأقطار الاسلامية تأخذ مساراً لا بأس به باتجاه الإسلام[٣].

— الجـامعـات التي سهـر دعـاة التغـريب على منـاهجهـا وظنوها مراكز التـدّمـير أصبحت تقدم نماذج الشباب الصادق الملتزم بإيمانه وعقيدته فأصبحت كبلاط فرعون يربى فيه موسى عليه السلام ليهدم بيده عرش فرعون.

— وبقى الأزهر رغم ما خطط له ينير السبيل أمام المسلمين في جميع بلاد الاسلام ويغذيهم بشبابه وشيوخه. وتصل عن طريقه الدعوة إلى مختلف أجزاء الأرض.

— وشمخت الجـامعـات الاسـلاميـة وطـاولت غيرهـا وتفـوقت على الجامعات العلمانية وأقبل عليها الشباب المسلم من مختلف بقاع الاسلام، كما هو في الجـامعـة الاسلامية بالمدينة المنورة، وجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية وجامعة أم القرى. . . وغيرها في أرض الاسلام، ليتخرجوا دعاة إلى الله.

— وخفت صوت دعـاة التغـريب وتـواروا بأفكـارهم بعيـداً وكسـدت بضاعتهم وكلت أقلامهم.

(١) أخبار العالم الاسلامي الاثنين ١٦ محرم ١٤٠٦هـ.

(٢) المسلمون العدد ٣٦/ ٢٨ محرم ١٤٠٦هـ/ ١٢ اكتوبر ١٩٨٥م.

(٣) كما في المنـاهـج التعليميـة في الأردن عدا المنـاهـج في المملكة العربية السعودية. واتجاه المناهج في باكستان وبنغلاديش وماليزيا ومصر.

— وخفت صوت الهجوم على اللغة العربية (لغة القرآن الكريم) وتوارى أصحاب الهجوم وأصبحت اللغة العربية منذ الدورة التاسعة والعشرين (١٩٧٤م) اللغة السادسة الرسمية للمنظمة الدولية في هيئة الأمم المتحدة.

— وأصبحت وسائل الاعلام منابر للدعوة الاسلامية وعرض عقيدة الاسلام وأفكاره وحلوله للمشاكل، كما أصبح الكتاب الاسلامي هو أكثر الكتب رواجاً في الأسواق وأقبل أصحاب المطابع عليه حتى أصحاب المطابع النصرانية (طبعاً بقصد الربح) وكسدت كتب الأدب الرخيص والشعر الماجن والمجلات الخليعة. وازدادت العناية بالتراث الاسلامي ونشره في مصر والمملكة العربية السعودية والعراق والهند (دلهي وحيدر آباد) والاتحاد السوفييتي ودول الغرب.

— وأصبحت مكة والمدينة قبلة الشباب والشيوخ فعلا، فالرحلات والنزهات وقضاء أوقات الاجازات والعطل الرسمية تكون عمرة مباركة وزيارة إلى مدينة الرسول ﷺ. وظهرت العناية الكبيرة بأماكن الحج والمدينة المنورة، فأصبحت مكان الجاذبية للمسلمين.

— وأصبح الفكر الاسلامي والصوت الاسلامي والشخصية الاسلامية حديث المنتديات الفكرية في الشرق والغرب. فتأسس المركز الدولي للسنة النبوية على سبيل المثال لمواجهة من أساء إلى السنة من المستشرقين والمستغربين بتخريج الأحاديث، كما أعلن ذلك رئيس المركز الدكتور محمد الطيب النجار الرئيس السابق لجامعة الأزهر وأستاذ الدراسات العليا[1].

وحتى التلفزيون ووسائل الاعلام الأخرى شاعت فيها المسلسلات الدينية الاسلامية لكسب شعور الناس الذين يتوجهون نحو الاسلام (وهو في الحقيقة نوع من الإرتزاق باسم الدين).

— وأصبح أصحاب المناصب والهيئات في العالم الاسلامي يتلبسون بثياب الاسلام أو يحاولون أن يتلبسوا على الأقل، ويلتمسوا نقاط التشابه بين واقعهم وبين الحياة الاسلامية.

---

(١) الشرق الأوسط ص ١٠ الأحد ١٩٨٥/٩/١م.

— وبـرزت المظـاهـر الاسلامية في الأفراح والأحزان والمظهر الشخصي - (مثل العقيقة، اللحية، عزل النساء عن الرجال في قاعة الدرس، وفي حفلات الاعـراس، الامتنـاع عن تقديم الدخان في المآتم والأفراح، الاعراض عن لبس خواتيم الخطبة وخاصة الذهبية منها، اللباس الاسلامي . . . وغيرها).

— وظهر تحري الحلال والحرام في المأكولات المستوردة والمعلبات والذبائح والحلويات والمعجنات والصابون واللحوم المثلجة والمرطبات، والتدقيق على خلو الأطعمة والأشربة من شحم الخنزير والكحول.

— انتشـار اللبـاس الشـرعي للنسـاء، والاتجـاه إلى الـزي الاسـلامي للرجال، وقد أخذ يظهر هذا بوضوح في المدارس والجامعات والمعاهد.

— تحرّي الحلال في استغلال الأموال واستثمارها، فبرزت البنوك الاسلامية.

— انتشـار وشيـوع أشـرطة القرآن الكريم والندوات والخطب الاسلامية والإقبال الشديد عليها.

— عودة المسجـد لتأديـة دوره، فامتلأت المسـاجـد بالشباب، ومنها تقوم الرحلات لنشر الدعوة الاسلامية، ودعوة الناس إلى الكتاب والسنة.

— الإعتـزاز بالفكـر الاسـلامي وانتقـال المفكـرين من دور الـدفـاع ورد الشبهات إلى دور التحدي، ومن مرحلة الاستحياء إلى مرحلة البروز والإعتزاز.

— إنحسـار الشـركيـات كالطواف حول القبور والذبح لها ودعاء الأموات والتـوسـل بمشـائـخ الطـرق وأمثـالهم من الـدجـاجلة، وبدأت عقيدة التوحيد الصافية النقية تشق طريقها إلى القلوب على يد المخلصين من هذه الأمة.

وبعـد أن كانت الـدّولـة التي تقيم حدود الاسـلام ـ المملكـة العـربيـة السعـوديـة ـ توصف بالـرّجعيـة والتخلّف، تطـاردها سهام وسائل الإعلام من مختلف الجهات، أخذت اليوم تبرز في المحافل الدولية العربية والاسلامية بوزن كبير وإعتزاز.

وأصبحت المناداة بتطبيق أحكام الاسلام تجد صدىً كبيراً، وتقترب بعض الدول منه. مثل باكستان والسودان[1]، وأخرى ترتفع فيها الأصوات تنادي بتطبيق شرع الله كما في مصر وبنغلاديش وماليزيا وأندونيسيا والجزائر والمغرب، وحتى في تركيا المجتمع العلماني المتغرب (مجتمع الجمهورية الكمالية التي أدارت ظهرها للمسلمين وحاولت خنق التيار الاسلامي بأشد أنواع العنف) ـ عاد التيار الاسلامي إلى هذه البلاد وأصبح اليوم أقوى التيارات الشعبية المؤثرة، الأمر الذي أجبر الحكام على الانحناء والعودة إلى المسلمين، وزيارة رئيس جمهورية تركيا للمملكة العربية السعودية عام ١٤٠٥هـ والعلاقات القوية والتقارب مع الأفكار الاسلامية دليل على ذلك. رغم استمرارها في السياسة المعادية للاسلام. وفي تركيا اليوم سبعون ألف مسجد، والدين الاسلامي مادة اجبارية في جميع مراحل التعليم[2].

وحتى في تايلاند يرتفع صوت الاسلام يطالب بتحقيق أحكام الاسلام في المقاطعات الاسلامية فينحني لها حكام تايلاند البوذية. وكذلك انحنت الشيوعية ليحدث الانفراج على المسلمين في الاتحاد السوفييتي والصين الشعبية ويوغسلافيا وغيرها.

ـــ وأخذ الاسلام يغزو الغرب فأسلم كثير من المتخصصين[3] في شتى العلوم ومنهم الفلاسفة ورجال السياسة والدين، وشهدوا أن الاسلام هو الدين الوحيد الذي يحفظ للبشرية كرامتها أفراداً وجماعات.

---

(١) أعلنت السودان تطبيق أحكام الاسلام عام ١٩٨٣م في عهد جعفر نميري، وثار الجدل في حينه، وبعد القضاء على نظام نميري وضعت تطبيقاته على محك النقد في السودان، والأكثر يقولون الآن بتعديل ومراجعة القوانين. انظر ندوة الشرق الأوسط حول هذا الموضوع ص ٨ الأربعاء ٢١/٨/١٩٨٥م العدد ٢٤٥٨.

(٢) من حديث لعميد كلية الإلهيات بجامعة مرمرة التركية لـ «المسلمون». المسلمون العدد ٤١ ص ٣.

(٣) ألف الطبيب الفرنسي موريس بوكاي كتاباً: «دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة» وترجم كتابه إلى اللغة العربية ونشر عام ١٩٧٨م، وتحدث فيه عن دراسته ونتائجها فقال:

«لقد قمت أولاً بدراسة القرآن الكريم، وذلك دون أي فكر مسبق وبموضوعية تامة، باحثاً عن درجة اتفاق نصوص القرآن الكريم ومعطيات العلم الحديث» وبنفس الموضوعية قمت بدراسة على العهد القديم والأناجيل، وكانت نتيجة الدراسة المقارنة ما يلي: =

ـــ إحيـاء فكـرة التضـامن الاسـلامي على المستويين الرسمي والشعبي ونشـاطـات النـدوات والمؤتمـرات التي تبحث في قضـايـا الاسـلام ـ السيـاسية والتربوية والأدبية ـ .

كما ارتفعت المساجد والمآذن في كل ركن من أركان أوربا وأمريكا[1] انطلق منها نداء الله أكبر، عامرة بالمصلين والمؤمنين . .

والمعنى من ذلك كله أن الأمة بإذن الله مجتمعة لالتزام الإسلام رغم قصار النّظر من النّاس ضعاف الصّلة بالله الذين يتيهون في منازع الشر التي استشرت في المجتمعات التي وصفها أهلها باطلاً بالتقدّم والرقيّ .

والواقع أن مظاهر الصحوة هذه لا تكفي فالأمة بحاجة إلى حلّ إسلامي شامـل، بمعنى أن يكـون الإسـلام هو المـوجه والقائد للمجتمع في كل الميادين والمجـالات المـاديـة والمعنـوية، وأن تتّجه الحياة كلّها وجهة إسلامية، وان تصبح عقيـدة المجتمـع وشعـاراتـه وتعـاليمه وأفكاره ومشاعره ونزعاته وأخلاقه وأنظمة تربيتـه وتقـاليـده وآدابـه وقـوانينـه وتشريعاته كلها إسلامية[2] . أي أن الصحوة الإســلاميـة هذه لن تكـون حقيقـة عمليّـة إلاّ إذا أتّخـذت امتـداداً يشمـل كل الإتجاهات واتّسمت بالوعي الحضاري الشمولي الذي لا يغفل ميداناً من ميادين الحيـاة ولا أسلوبـاً من أسـاليب المـواجهـة، وهـو بحاجة بدون شكّ إلى تخطيط وتنسيق ووعي يترفّع عن صغائر الأطر التنظيمية أو الحساسية الحزبيّة ويستشرف الأفق الاسلامي الذي يطل منه على الإنسانية جمعاء . بحيث يظهر إلى الوجود مجتمع الهداية والعدل ــ مجتمع الإسلام ــ .

= «بعد تعلمي العربية وبفضل الدراسة الواعية للنص العربي استطعت أن احقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لا يحتوي على أي مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث .

وبالموضوعية نفسها أدركت أنه ليس بي حاجة للذهاب أبعد من الكتاب الأول بالنسبة للعهد القديم أي سفر التكوين، فقد وجدت مقولات لا يمكن التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم رسوخاً في عصرنا هذا» .

(١) ويتزعم المسلمين السود في أمريكا لويس فرقان الذي يحمل عليه زعماء اليهود في أمريكا، بل وصل الأمر بالسود المسلمين في أمريكا إلى المطالبة بتكوين أمة إسلامية في أمريكا . انظر: المسلمون العدد ٣٦ ١٢/١٠/١٩٨٥م . وانظر الحاشية رقم ١ ص٢٤ من هذا الكتاب ـ الجزء الأول ـ .

(٢) انظر: يوسف القرضاوي ــ الحل الاسلامي ص ٤٧ـ٤٨ .



الفصـــل الثـــاني

الإتّجاه إلى وحدة الجهود وتضامن المسلمين

تنبّـه المسلمـون إلى خطـورة تفـرّقهم وإلى عوامـل ضعفهم وإلى أهميـة وحـدتهم وتـآلفهم والتقـائهم فارتفعت الأصـوات تنـادي بأهمية التقاء المسلمين للتّشاور والتّفاهم بعد أن جرّبوا كلّ المذاهب والنّظم الغربية بشقّيها الاشتراكي والـرأسـمالي اعتقاداً منهم أو مجرّد ظنّ بأن هذه النظم أساس تقدم الغرب ورقيه، وأنّهم بها سيلحقـون الغـرب ـ لكنّ هذه النظم لم تغن عنهم شيئـاً وكانت سراباً خادعاً ركضوا خلفه فتعرقلت نهضتهم وتفرقت كلمتهم، وواقع الأمر أن في العالم الإسـلامي مدّاً كبـيراً وقوّة شعبيّة هائلة تقول بالعودة إلى الإسلام من جديد ولا أدلّ على ذلك من مقاومة التجارب الشيوعية والإشتراكية في بعض بلدان العالم الإسلامي وردود الفعل العنيفة التي ظهرت في بعضها الآخر ضد العلمانية وفصل الدين عن الدولة، وفصل الدين عن الحياة.

جرّبت القـوى المسلمـة التكتّلات الإقليمية والوطنية والقومية وأشهرها: الحلف المركزي الذي ضمّ تركيا وإيران وباكستان، والجامعة العربيّة التي ضمّت الدول العربيّة جمعاء، ودول عدم الانحياز ومؤتمراتها التي ضمت كثيراً من دول آسيـا وافـريقيـا وأمـريكـا الـلاتينيـة، ومنظمة الوحدة الإفريقية، وغير ذلك من محاولات للوحدة الوطنية أو الاقليمية أو الاقتصادية على غير أسس الإسلام.

وفي عام **١٣٤٥**هـ شهـدت مكـة المكـرّمة أول مؤتمر إسلامي قام بالدعوة إليـه الملك عبـد العـزيـز آل سعـود كان بمثـابـة بدء المحـاولات الإسلاميّة نحو الإتّحـاد، تبعـه وسبقـه ظهـور جماعات إسلامية كثيرة شملت السّاحة الإسلاميّة بأجمعهـا مثـل جماعـة الإخـوان المسلمـين في مصـر سنـة **١٣٤٧**هـ/ **١٩٢٨**م،

والجماعة الاسلامية في الهند التي أسسها الأستاذ المودودي سنة ١٩٣٨م وغيرهما من الجماعات والحركات الإسلاميّة التّي أدّت دورها في الصحوة الإسلامية بغضّ النظر عمّا قيل عن بعضها أو عنها كلّها وتركت ميراثاً فكرياً ضخماً في مستوى المواجهة مع التّيارات المعادية للإسلام، ولكن طغى على كثير من أعضاء هذه الحركات والجماعات التعصّب وسارعوا إلى مواجهة بعضهم بعضاً، ووصل ببعضهم إلى تكفير بعض بشكل أعاد إلى الأذهان صورة التعصّب المذهبي الذي ساد بلاد الاسلام في عصور الجمود والتخلّف.

هذه الروح الحزبّية جعلت أولئك الأفراد لا يرون احتمال خطئهم، وان عندهم الحق المطلق، والخطأ المطلق عند غيرهم، فجعلت اللقاءات بين أفرادهم سباقاً في الحديث وليس حواراً (والحوار فن يعتمد على سماع آراء الآخرين وفهمها وتفنيدها للتوصّل إلى الصواب والرجوع عن الخطأ)، والحزبيّ لا يرى إلّا من زاوية واحدة فقط ويقوم حديثه على توزيع الآراء وسدّ النظر فيما يتعلّق بنظريته فلا يتّسع صدره لآراء غيره، وهذا أدّى بدوره إلى انغلاق بعض الجماعات على نفسها وانعزالها عن الأمّة، ونهج بعضها التطرف والغلوّ فسهل على أعداء الإسلام والعلمانيين ضرب دعاة الإسلام بشعارات تبرّرها بعض أعمال ومفاهيم بعض الجماعات كالاتّهام بالتعصّب أو التطرف.. فضاعت جهود كثير من العاملين في حقول الدعوة أو شوّهت.

وما على هذه الجماعات إذا أرادت أن يستمرّ دورها الإيجابي في العمل لاستئناف الحياة الإسلامية إلّا أن تعيد النظر في تقويم نفسها والابتعاد عن السرّية والعمل تحت الأرض لأن ذلك هو الوسط المناسب لاستنبات البذور الغريبة مجهولة الطبيعة والمناسبة للعمل المظلم فتسيء إلى العمل كلّه وإلى الجماعة كلّها وإلى الإسلام، أما العمل في ضوء النهار فإنّه يقتل العفونة ويكشف العناصر الغريبة المستنبتة في الظلام تحت ضوء النّهار وتختبر الصبر والصلابة والإخلاص. وعلى هذه الجماعات مادامت أهدافها واحدة أن تتقارب وتتوادّ وتتحابّ وتردّ أمورها كلها إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله ﷺ وإلى العلماء المخلصين الذين يستطيعون استنباط تلك الأحكام لا إلى أصحاب

الســانـدويتشــات الفكـريـة ، والعلماء هم أئمـة العـامة يتصدون لإرشاد الناس ويرون فيهم القدوة الصحيحة، وعليهم التخلي عن الهوى واتباع الحق، والهوى هو المذموم الذي لا يجوز لمسلم أن يحتكم إليه أو يطمئن إليه قلبه. وروي عن ابن عباس أنه قال: « ما ذكر الله الهوى في كتابه إلاّ ذمّه »[1].

وأمـا الحقّ فهـو الـوحي من كتاب أو سنة. ومردّ الاختلاف إلى الله وإلى رسـولـه. قال تعـالى: ﴿ **فـإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسّول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر** ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ **وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله** ﴾[3].

وقـال تعـالى: ﴿ **فلا وربـك لا يؤمنون حتى يحكمّوك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً** ﴾[4].

وقـال سبحـانـه وتعـالى: ﴿ **ولو ردّوه إلى الرّسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم** ﴾[5].

فهم بحاجة وغيرهم من الدعاة إلى أن يكون عملهم خالصاً لله فقط فلا يستكثـر أحـدهم عمله ويستقـلّ عمل غيره، كما أنهم بحاجة إلى الحلم والتأني والصبر في دعوتهم.

قال ﷺ للأشجّ رئيس قبيلة عبد القيس : « إن فيك لخصلتين يحبّهما الله ـ الحلم والأناة »[6].

والصـبر في حقيقتـه الـزم لوازم الداعية وأمضى أسلحته وأكمل عدته وقد فهم ابن عبـاس رضي الله عنهـما قولـه تعالى: ﴿ **ولكن كونوا ربّانيين** ﴾ فقال: كونوا حلماء فقهاء. ويقال الربّاني الذي يربيّ النّاس بصغار العلم قبل كباره[7].

(١) الإمام الشاطبي ـ الموافقات ـ ج ٢ ص ١٢١.
(٢) سورة النساء الآية ٥٩.
(٣) سورة الشورى الآية ١٠.
(٤) سورة النساء الآية ٦٥.
(٥) سورة النساء الآية ٨٣.
(٦) صحيح مسلم ج ١ ص ٣٧.
(٧) فتح الباري ج ١ ص ١٦٠.

بالإضـافـة إلى وجـوب توفّـر حسن التفقّه والفهم السليم لبعض القضايا الفقهية حتى ينتفي النزاع والتّخاصم والفرقة ويجب إدراك أن الخلاف في الفروع لا يوجب الفرقة والنّزاع ولا يقطع المودّة والألفة والأخوّة. ومن الملاحظ أن الغرور والجرأة على الفتيا بدون أهلية لذلك من أهم أسباب الفرقة بين أفراد الجماعات الإسـلامية. وعلى مختلف الدعاة والمؤسسات الإسلامية أن تعمل على تضييق شقة الخلاف وإزالة العقبات.

وقـد ظهـرت أنشطـة طيبـة على المستـويـين الـرسمي والشعبي في العالم الإسلامي كان للمملكة العربية السعودية دور بارز في انجاحها، وأهم هذه الأنشطة :

منظمة المؤتمر الإسلامي :

وقد تقرر إنشاء هذه المنظمّة في القّمة الإسلامية بالرباط عام **١٣٨٩**هـ/ **١٩٦٩**م كردّ فعل على الجريمة الصّهيونية في إحراق المسجد الأقصى. وتم إقرار ميثـاق المنظمـة في المؤ تمـر الثـالث لوزراء خارجيـة الـدول الإسـلامية بجدّة عام **١٣٩٢**هـ/ **١٩٧٢**م ووقعتـه ثلاثـون دولـة اسـلامية. وفتح باب العضوية لكل دولـة إسـلاميـة ترغب في الإنضـمام. ويُمثّل النشاط الرئيسي لهذه المنظمة على مستوى وزراء خارجية الدولة الإسلامية أو ملوكها ورؤسائها.

وقــد ازداد عدد الـدول الاسـلاميـة المشـاركـة في هذه المنظمـة فبلغ عام **١٩٨٤**م **٤٤** دولـة شاركت في مؤتمـر صنعـاء عام **١٤٠٥**هـ وهـو المؤتمر الخامس عشر لوزراء خارجية الدول الاسلامية.

التضامـن الإســلامي :

تبنى الملك الراحل فيصل بن عبد العزيز (رحمه الله) الدعوة إلى التضامن الإسـلامي للوقـوف في وجـه المخططات الاستعمارية ولمّ شعث المسلمين ومجابهة الغـزو الفكـري بكـافـة أشكـالـه، وقـام من أجـل ذلك بعدة جولات في البلاد الإسـلاميـة كالمغـرب وغينيـة ومـالي وتـونس والجـزائـر والسنغـال وأوغندا وتشاد

ومـوريتانيا والنيجر، كما أرسلت المملكة عدة بعثات لافريقية، واستقبلت مئات الطلاب في الجامعة الإسلامية والجامعات الأخرى، وكان من نتائج هذه الدعوة :

١ ــ تنبهت الدول الافريقية للخطر الصهيوني الذي تسلل إليها منذ سنة ١٣٧٦هـ وبعـد احتـلال اسرائيل لمضائق تيران وخليج العقبة، وصارت السفن اليهـوديـة تسـير في البحـر الأحمر والمحيط الهندي وتتصل مباشرة بشرق افريقية. وبعد اتصالات فيصل قطعت الدول الافريقية علاقاتها السياسية مع الصهيونية وانقلب كثير منها إلى موالاة البلاد الإسلامية.

٢ ــ أنشيء البنـك الاسـلامي للتنميـة ليسـد الفـراغ في مساعدة الدول الافـريقيـة النـاميـة، وليقـوم بمشاريع التنمية الاقتصادية على أسس خالية من المعاملات الربوية.

٣ ــ انشئت الأمـانـة العـامـة للدول الاسـلامية بجدة، بعد انعقاد عدة دورات لملوك ورؤساء الدول الاسلامية (منظمة الدول الاسلامية) فعقدت عدة مؤتمـرات قمـة إسـلامية أسفر الثالث منها عن تأسيس مجمع الفقه الاسلامي في مكة المكرمة.

٤ ــ أنشيء المجلس الأعلى للمســاجــد وبـدأ العمـل في التنسيق بين مؤسسات الدعوة في العالم الاسلامي ورعاية المساجد وعمارتها وتكوين الدعاة.

٥ ــ عقد في السنوات الأخيرة العديد من المؤتمرات والندوات الاسلامية وتكررت اللقاءات الرسمية والشعبية بين قادة الفكر الاسلامي للتداول في شئون المسلمـين ومـدّ يد العـون إلى الشعـوب والأقليـات الاسلامية التي تعاني الظلم والاضطهاد. ففي أعمال مؤتمر القمة الاسلامي الثالث الذي عقد في ربيع الأول سنـة ١٤٠١هـ أضيف موضـوع الأقليات المسلمة إلى جدول أعمال مؤتمر القمة بنـاء على موافقـة مؤتمـر وزراء خارجيـة العـالم الاسلامي الثاني عشر الذي عقد بمـدينـة الطـائف[1]. كما أنشىء معهـد شئـون الأقليات المسلمة التابع لجامعة

---

(١) جريدة الندوة ٢٢ ربيع الأول ١٤٠١هـ.

الملك عبد العزيز بجدة لخدمة الأقليات المسلمة ودراسة مشكلاتها[1] . وانشئت إذاعـة نداء الاسـلام في مكـة المكـرمـة لخدمـة قضـايا الأقليات المسلمة أيضاً . وأصبحت الجـامعـة الاسـلامية بالمدينة المنورة تجمعاً كبيراً لأبناء المسلمين ومنبراً اسلامياً كبيراً عقد فيها المؤتمر الاسلامي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة الأول والثاني .

فعقد الأول سنة ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م وتناولت موضوعاته :[2]

أ ــ مناهج الدعوة الاسلامية ووسائلها وأساليبها وسبل تعزيزها وتطوراتها .

ب ــ اعـداد الـدعاة ومشاكل الدعوة والدعاة في العصر الحديث ووسائل التغلب عليها .

جـ ــ وسـائـل الاعـلام ودورهـا في توجيه الأفراد والجماعات والمجتمعات وآثارها المضادة للدعوة الاسلامية وما يجب اتخاذه بإزائها .

وقـد صدر عن هذا المؤتمـر ٩٨ توصية تمثل منهجاً متكاملاً للدعوة وإعداد الدعاة، وطالب الحكومات كلها بنبذ القوانين الوضعية والعودة إلى الشريعة الاسلامية .

وأما المؤتمر الثاني فعقد عام ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م واشترك فيه علماء ودعاة من العالم الاسلامي ، ومن توصياته التي تعبر عن أماني الأمة وآمالها :

أ ــ دعـوة ولاة الأمـور في الأقطـار الاسـلاميـة إلى التقارب والوحدة ونبذ القـوانـين الـوضعيـة باعتبـار هذه الأقطـار أمـة واحدة تترابط وتتفاعل أجزاؤ ها وتتكامل ثرواتها وطاقاتها ويتحد مصيرها .

ب ــ أن تتبنى منظمـة المؤتمـر الاسـلامي إنشاء هيئة للتعاون الاسلامي تعني بدراسـة سبـل التعـاون والتكـامـل بين الأقطار الاسلامية في جميع مجالات

---

(١) نشرة معهد شئون الأقليات المسلمة ربيع الآخر ١٣٩٨هـ.

(٢) صوت الجامعة ــ عدد خاص ــ العدد ١٣ السنة ٢ الأحد ٢٨ ربيع الأول ١٤٠٤هـ.

الحياة الصناعية والتجارية والاستثمارية والدفاعية والأمنية والزراعية والاجتماعية والصحية وغيرها والعمل على تحقيق ذلك.

جـ ـ دعوة الحكومات الاسلامية إلى اتفاق على ميثاق اسلامي مستمد من الكتاب والسنة يجمع كلمتها ويوحد سياستها ويعزز قوتها ويجعل ولاءها لدينها وانتصارها بربها لا بالتحالف مع أعدائها، وان تكون العلاقات الدولية خاضعة للسياسة الشرعية الاسلامية.

د ـ أوصى منظمة المؤتمر الاسلامي أن تتبنى القيام بإنشاء المصارف غير الربوية لتشمل سائر الأقطار الاسلامية وإلى تعزيزها بالأموال لبناء اقتصاد اسلامي يقضي على الاقتصاد الربوي القائم ويحل محله.

هـ ـ ضرورة التعاون الاقتصادي بين الأقطار الاسلامية على أساس إسلامي.

و ـ كما أكد على أن أفغانستان وفلسطين قضيتان اسلاميتان وضرورة رعاية الأقليات الاسلامية ومساعدتهم.

رابطة العالم الاسلامي:

أنشئت بناء على قرار صدر عن المؤتمر الاسلامي العام الأول الذي عقد بمكة المكرمة في ١٤ ذي الحجة عام ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م، وهي منظمة اسلامية عالمية تمثل فيها كافة الشعوب الاسلامية في أنحاء المعمورة، ومقرها مكة المكرمة، ولها مجلس تأسيسي مؤلف من كبار العلماء ورجال الفكر في العالم الاسلامي[١]. ولقيت كل التشجيع والمؤازرة والدعم من حكومة المملكة العربية السعودية.

---

(١) رابطة العالم الاسلامي ص ٣ ـ عشرون عاما على طريق الدعوة والجهاد ـ مكة المكرمة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

ومن أهداف الرابطة :[1]

— تبليغ دعوة الاسلام، وشرح مبادئه وتعاليمه، ودحض الشبهات عنه.

— التصدي للتيارات والأفكار الهدامة التي يريد منها أعداء الاسلام فتنة المسلمين عن دينهم وتشتيت شملهم وتمزيق وحدتهم.

— الدفاع عن القضايا الاسلامية بما يحقق مصالح المسلمين وآمالهم ويحل مشاكلهم.

ومن الوسائل التي تستخدمها الرابطة لتحقيق الأهداف :[2]

— العمل على تحكيم الشريعة في البلاد الاسلامية.

— الأخذ بمبدأ الشورى عن طريق مؤتمرات لكبار العلماء في العالم الاسلامي لتبادل وجهات النظر، وتنسيق الجهود من أجل نشر الدعوة الاسلامية.

— الاستفادة من موسم الحج عن طريق اقامة الندوات والمحاضرات.

— دعم وتشجيع العلماء والدعاة في كافة أنحاء الأرض وتوزيع الكتب والمجلات الاسلامية مجاناً.

— بعث عدد من الوفود إلى جميع أقطار العالم الاسلامي وللأقطار التي تتواجد فيها الأقليات الاسلامية لدراسة مشاكلهم والتعرف عليهم ومساعدتهم ودعمهم.

— دعم كافة المنظمات والمؤسسات الاسلامية التي لها صلة بالرابطة وتنسيق الجهود والعمل الاسلامي معها لخدمة الدعوة الاسلامية.

— العمل على نشر لغة القرآن الكريم بين الشعوب الاسلامية.

وتقوم الرابطة بمهامها عن طريق عدد من الأجهزة ومن أهمها :[3]

---

(١) نفسه ص ٤.

(٢) نفسه ص ٤-٥.

(٣) نفسه ص ٨-٩.

١ ــ المجلس التأسيسي ويتكـون من ٥٦ عضـواً من العلماء وقـادة الرأي والفكر في العالم الإسلامي ، ويجوز زيادة عددهم لاستكمال التمثيل الإسلامي . وهو الذي يرسم سياسة الرابطة ويحدد أهدافها واتجاهاتها .

٢ ــ الأمـانـة العـامـة للرابطـة : وهي السلطـة التنفيـذية للرابطة ومقرها الـدائم مكـة المكـرمـة ، ويعتـبر الأمـين العـام هو المسئـول عن تنفيذ القرارات والتـوصيـات التي يصـدرها المجلس التأسيسي في الداخل والخارج . ومن مهمة الأمـانـة النظـر في أحوال المسلمين في كل مكان . وخاصة الأقليات الاسلامية في أمـاكن كثـيرة من العـالم وحمـاية الأقليات أولاً ثم إعانتها ثم إرشادها إلى طريق الاسلام الصحيح .

٣ ــ الجهاز الإداري والمالي : وهو المسئول عن متابعة أعمال الرابطة ورفع التقارير عن سير تلك الأعمال إلى المجلس التأسيسي .

هذا وهنـاك مكـاتب فرعيـة لرابطـة العالم الاسلامي في مختلف دول العالم وهي معـترف بها رسميـاً من قبـل السلطات المحلية لتلك الدول ويتمتع العديد منها بالامتيازات والحصانات الدبلوماسية[١] .

ومـن أنشــطة الـرابطة :

بلغ عدد مكاتب الرابطة في كافة أنحاء العالم ٢٥ مكتباً (عام ١٤٠٥هـ) تقـوم بتنفيـذ قرارات الـرابطـة في الوقوف على أحوال المسلمين وتعليمهم ودعم الجمعيـات الاسـلاميـة ، وتقـديم المسـاعدات لها . كما بلغ عدد الدعاة التابعين للرابطة في العالم (عام ١٤٠٥هـ) ٩٣٦ داعية . موزعين كالتالي :

في افريقية ٣٣٦ داعية .
في أوربا وأمريكا ٩٩ داعية .
في آسيا والمحيط الهادي ٢٠٦ داعية .
في أندونيسيا ٢٩٥ داعية من مشروع الألف داعية .

---

(١) نفســه ص ١٠ .

وأنشأت **هيئـة الاغـاثة الاسلامية** ومقرها مكة المكرمة لتقديم المساعدات المالية والعينية للّاجئين والمتضررين. وأقامت هذه الهيئة مجموعة كبيرة من المراكز الطبية في الصومال والنيجر والسودان وبنجلاديش والباكستان وغيرها.

وأقـامت الـرابطـة **مطبعـة** خاصة لنشر الفكر والوعي الديني وتم تزويدها بأحـدث الآلات والمعـدات، ووزعت الملايين من المصاحف ومئات الآلاف من تراجم معاني القرآن الكريم بمختلف اللغات السائدة في العالم. وأنشأت لذلك إدارة شئـون وأبحـاث القـرآن الكريم وترجمة معانيه. وتقوم الأمانة العامة بتنفيذ مشـروع لاختيـار أحسن الـترجمـات لفظـاً وإظهـاراً لمعـاني آيات القرآن الكريم وطبعها وتوزيعها. وقد تمّ طبع وترجمة معاني القرآن باللغة الفارسية، وهناك تحت الطبـع ترجمـة معـاني القـرآن الكـريم باللغـة الصّينيـة واللغة الأوغندية. وهناك مشروع لطبع ترجمة معاني القرآن الكريم بالبرتغالية والفرنسيّة.

وتصدر الرابطة **مجلّتين** شهريّتين إحداهما بالعربية والأخرى بالإنجليزية، بالإضـافـة إلى جريـدة أخبـار العالم الإسلامي الأسبوعية، ومجلة رسالة المسجد الفصليّـة، وكتـاب دعـوة الحق الشهـري. وتقـوم الـرابطـة بتشجيـع عدد من الصّحف الإسلاميّة في مختلف أنحاء العالم.

وشكلت الـرابطـة **المجلس الأعلى العـالمي للمساجد** بناء على قرار مؤتمر رسالة المسجد الذي عقد بمكة عام ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م بدعوة من رابطة العالم الإسلامي[1]. وبلغ عدد أعضاء هذا المجلس ٥٥ عضواً يمثلون مختلف الشعوب والأقلّيات الاسلامية في العالم. ومن أهدافه:

— تكـوين رأي عام إسـلامي في مختلف القضايا والموضوعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة.

— محاربة الغزو الفكري والسلوك المنحرف في حياة المسلمين.

— بناء الشّخصية الإسلاميّة فكراً وعقيدة وسلوكاً.

— العمـل على حريـة الـدعاة إلى الله وأئمة المساجد والخطباء وحمايتهم من الإضّطهاد.

---

(١) رابطة العالم الاسلامي ــ مصدر سابق ــ ص ١٣.

— حماية المساجد من كل أعتداء يقع عليها أو على ممتلكاتها.

— الحفاظ على الأوقاف الإسلامية واسترجاع ما عطّل أو صودر منها وتنميتها.

— الدفاع عن حقوق الأقليات الإسلامية في مختلف أجزاء العالم.

وأنبثقت عن المجلس الأعلى العالمي للمساجد : **المجالس القارية** : في آسيا والمحيط الهادي ومقره جاكارتا، وفي أوربا ومقره في بروكسل، وفي أمريكا وكندا ومقره في اوتاوا، وفي افريقيا وسيكون مقره الخرطوم. وذلك للربط بين المجلس الأعلى وكل مسجد في كل بقعة من بقاع الأرض. وانبثق أيضاً عن المجلس الأعلى للمساجد «صندوق لإعانة المساجد» في كافة أنحاء العالم ميزانيته عشرون مليون ريالاً تبرعت بها حكومة المملكة العربية السعودية.

وأسست الرابطة **المجمع الفقهي الاسلامي** بتوجيه من المجلس التأسيسي للرابطة يضمّ جماعة من العلماء والفقهاء يتولّون دراسة واقع الأمّة الإسلاميّة والمشكلات التي تواجهها وإيجاد الحلول الصّحيحة على أساس المصادر المعتمدة في الفقه الإسلامي[1] وإحياء التراث ونشره[2].

وقد انبثقت من مجلس المجمع الفقهي **عدة لجان** هي :[3] لجنة المصطلحات الفقهية، ولجنة التراث الفقهي، ولجنة البحث العلمي. ولجنة الصياغة، ولجنة الدراسات المعاصرة ولجنة المكافآت.

وفي مجال التربية والعلوم والثقافة :

قررت منظمة المؤتمر الإسلامي عام **١٩٨٢**م تنفيذاً لتوجيهات قادة الدول الاسلامية إنشاء المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة (ايسيسكو)، وقرروا أن يكون للمنظمة وكالة متخصصة تعمل في ميادين العلوم والثقافة ذات استقلال ذاتي في شئونها التنظيمية والمالية، ولها أجهزتها الخاصة بها وهي :

---

(١) نفسه ص ٢٢.

(٢) رابطة العالم الاسلامي ـ الدليل الاعلامي ـ عام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

(٣) رابطة العالم الاسلامي ـ عشرون عاماً على طريق الدعوة ـ ص ٢٣.

— المؤتمر العام وهو الهيئة العليا بالمنظمة ويضم وزراء الثقافة والعلوم.
— المكتب التنفيذي ويتكون من ٩ دول وثلاث شخصيات إسلامية.
— الإدارة العامة وعلى رأسها مدير عام منتخب من المؤتمر العام.

وكانت قد برزت هذه الفكرة ـ فكرة انشاء المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم بعد حرق المسجد الأقصى إلى أن ظهرت بالفعل بعد ثلاثة عشر عاماً. ومن أهدافها :

— توثيق روابط الأخوة بين الأعضاء.
— حماية الهوية الاسلامية وتركيز هذه الهوية وبخاصة في الدول غير الأعضاء أو التي يقل فيها عدد المسلمين.
— الدفاع عن الاسلام وتقديمه بصورته الصحيحة.
— العمل على جعل الثقافة الاسلامية محور تعليم الدول الاسلامية.
— بالإضافة إلى محاربة الأمية لدى الكبار في القرى الاسلامية. وبدأت بالفعل بماليزيا وسيراليون.
— العمل على تطوير الطرق التربوية في المدارس القرآنية. وبدأت بالفعل في السنغال.
— تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها لتعلم الدين وتصحيحه[٢].

مواجهة المسلمين للتحديات الاقتصادية :

تقوم قوى الأمم في هذا العصر على الاقتصاد، فأمريكا تقوم قوتها الهائلة على الاقتصاد الأمريكي الذي هو أداة من أدوات الحرب بل هو أقوى عدة. وقد تكالبت القوى وتحركت المطامع نحو ثروة البلاد الاسلامية، للوصول إليها، أو الاحتفاظ بها. وبسبب تفرق المسلمين وتخلفهم وغيبة النظام الاقتصادي الاسلامي أصبحت ثروة بلادهم بيد أعدائهم يتنافسون عليها. ووجدوا أنفسهم بعد استقلال بلادهم ضعفاء أمام التكتلات الاقتصادية العالمية الهائلة.

---

(١) المسلمون ص ٣ العدد ٣٨/ ١٢ صفر ١٤٠٦هـ/ ٢٦ أكتوبر ١٩٨٥م.

وفي تبعيـة اقتصـاديـة كاملة لهذه التكتلات. فحاولت البلاد العربية إنشاء سوق عربيـة مشتركة لمقابلة الاحتكارات الأجنبية والوقوف ضد التكتلات الاقتصادية الغـربيـة، ووضـع حدّ للمنـافسـة في انتـاج البلاد العربية بين الأقطار العربية، وبـدأت الفكـرة سنـة ١٩٥٦م بتشكيـل لجنة من الخبراء العرب لوضع مشروع الـوحـدة الاقتصادية، وظهرت الفكرة إلى حيز الوجود عام ١٩٦٤م واعتمد يوم ١/١/١٩٦٥م موعـداً لقيـام هذه السوق. ومرّ هذا التاريخ دون تحقيق شيء. كما واجـه مشـروع السـوق الاسـلاميـة المشـتركـة نفس المصير وكذلك مشروع الدينار الاسلامي، وذلك نظراً لاختلاف الأنظمة في الأقطار الاسلامية والعربية فلا يمكن تنفيـذ مثـل هذا السـوق، فدول تتبع النظام الاقتصادي الحرّ، ودول أخرى تتبع النظام الاقتصادي الاشتراكي وهذا يؤدي :

١ ــ ان التنافس في السوق الواحدة بين انتاج المزارع والمعامل المؤممة وبين انتاج المزارع والمعامل الحرّة لن يكون تنافساً عادلاً، لأن الانتاج المؤمم لا يخضع في أسعاره للعوامل الاقتصادية بل تتحمل الدولة أكلافه في كثير من الأحيان من موازنتهـا العـامـة، وتستطيـع أن تغرق الأسواق بخلاف الاقتصاد الحرّ الذي لا يستطيع منافسة ذلك.

٢ ــ ان حرية تنقل الأموال وحرية العمل وممارسة النشاطات الاقتصادية في الدول الاشتراكية تبقى وهماً لا يستفيد منه رعايا الدول الأخرى الموقعة على الميثاق لأن هذه الحريات محظورة على رعايا الدولة الاشتراكية نفسها، مادامت أكثـر النشـاطـات الاقتصـاديـة محصـورة بالقطـاع العـام. لكن رعـايـا الـدول الاشـتراكيـة سيستطيعـون الاستفـادة في هذه المجالات من أسواق الدول ذات الاقتصاد الحرّ، مما يشكل عدم تكافؤ المنافع بين الفريقين[١].

٣ ــ إنّ التبعيـة الاقتصـاديـة وارتبـاط عملة كل قطر اسلامي بعملة دولة أخـرى من الـدول الكـبرى يجعـل قيـام مثل هذه السوق وتوحيد الدينار صعب المنال والتحقيق.

---

(١) الاشتراكية في التجارب العربية ص ٧٨.

وعلى ذلك فمن أجل التعاون الاقتصادي التام بين أقطار المسلمين يجب توحيد الأنظمة أولاً، والعامل المشترك بين جميع هذه الأقطار هو الاسلام فبالإتجاه إلى النظام الاقتصادي الاسلامي يسهل عمليات التكامل وقيام مثل هذه السوق المشتركة. فالاتحاد الجمركي ـ الزلفرين ـ الألماني الذي كان مقدمة الاتحاد الألماني تم بين ولايات تتشابه أنظمتها الاقتصادية، وكذلك السوق الأوروبية المشتركة والسوق اللاتينية المشتركة. وأمام التحديات الحاضرة للعالم الاسلامي من : أطماع الكتلتين الكبيرتين على السيطرة على البلاد الاسلامية خاصة الدول البترولية منها. وخطر الصهيونية ووجودها داخل العالم الاسلامي، وغزو الاتحاد السوفييتي لبعض البلدان الاسلامية، وإشعال نار الحرب والفتنة بين بعض البلاد الاسلامية مثل الحرب العراقية الإيرانية، وحرب الصحراء، والحرب الأهلية اللبنانية، هذه الأخطار كلها يصعب صدها إذا ما بقي اقتصاد البلاد الاسلامية مفككاً كما هو عليه الحال الآن بالإضافة إلى تفككها السياسي، وهذا يؤكد لنا ضرورة قيام السوق المشتركة والتعاون الاقتصادي ـ الذي لا يتم كما ذكرنا إلّا بتوحيد النظم الاقتصادية في البلاد الاسلامية.

وقد تعاظمت التحديات الاقتصادية على منطقة الخليج العربي بشكل خاص لحاجة العالم الصناعي للنفط، فظهر مجلس التعاون لدول الخليج سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م وقد نجح هذا المجلس بسبب الروح الاسلامية التي تجمع بين هذه الدول، ويعتبر مثلاً الواجب على بلاد المسلمين أن تحتذيه وتطوره للتغلب على الأخطار التي تواجه هذا العالم الاسلامي الغني في خيراته وإمكانياته، الجائع على أرضه ـ المسلوب الإرادة والتحكم في ثرواته. وهذه فكرة عن مجلس التعاون لدول الخليج :

مجلس التعاون لدول الخليج العربية :[1]

وجدت هذه الدول التحديات التي تواجه هذه المنطقة تتعاظم بتعاظم حاجة العالم الصناعي للنفط ولذا فاندماجها هو العامل الحاسم نحو توجه جديد

(١) عن مجلس التعاون لدول الخليج العربية، دواعي قيام المجلس وطموحاته ـ الأمانة العامة ـ المملكة العربية السعودية ـ الرياض.

لصياغة سياسة اقتصادية واجتماعية تبعد المنطقة عن التنافس الدولي ويكسبها قوة تفاوضية كبيرة ومقدرة على اتخاذ القرار لصالحها وتمكينها من حمايته.

فقد قررت دولة الامارات العربية ودولة البحرين والمملكة العربية السعودية وسلطنة عمان ودولة قطر ودولة الكويت إقامة تنظيم يهدف إلى تعميق وتوثيق الروابط والصلات والتعاون بين أعضائها في مختلف المجالات يطلق عليها اسم مجلس التعاون لدول الخليج العربية ـ ليكون هذا المجلس الوسيلة لتحقيق أكبر قدر من التنسيق والتكامل في جميع الميادين ـ[1] ويعتبر دعماً لأهداف جامعة الدول العربية وخدمة للقضايا العربية والاسلامية.

ومن أهداف المجلس:[2]

١ ـ تحقيق التنسيق والتكامل والترابط بين الدول الأعضاء في جميع الميادين وصولاً إلى وحدتها.

٢ ـ تعميق وتوثيق الروابط والصّلات وأوجه التعاون القائمة بين شعوبها في مختلف المجالات.

٣ ـ وضع أنظمة متماثلة في مختلف الميادين بما في ذلك الشئون الآتية:

أ ـ الشئون الاقتصادية والمالية.

ب ـ الشئون التجارية والجمارك والمواصلات.

جـ ـ الشئون التعليمية والثقافية.

د ـ الشئون الاجتماعية والصحية.

هـ ـ الشئون الإعلامية والسياحية.

و ـ الشئون التشريعية والإدارية.

٤ ـ دفع عجلة التقدّم العلمي والتقني في مجالات الصناعة والتعدين والزراعة والثروات المائية والحيوانية وانشاء مراكز بحوث علمية واقامة مشاريع مشتركة وتشجيع تعاون القطاع الخاص بما يعود بالخير على شعوبها.

---

(١) نفسه ص ١٤.

(٢) نفسه ١٥-١٦.

وأمـا **أجهزة مجلس التعاون** فهي :[1]

أولا : المجلس الأعلى : وهو السلطة العليا للمجلس يتكون من رؤساء الدول الأعضاء وتكون رئاسته دورية حسب الترتيب الهجائي لأسماء الدول.

واختصاصاته :

١ ــ النظر في القضايا التي تهم الدول الأعضاء.

٢ ــ وضع السياسة العليا لمجلس التعاون والخطوط الأساسية التي يسير عليها.

٣ ــ النظر في التوصيات والتقارير والدراسات والمشاريع التي تعرض عليه من قبل المجلس الوزاري لاعتمادها ــ أو التي يكلف الأمين العام بإعدادها.

٤ ــ اقرار نظام هيئة تسوية المنازعات وتسمية أعضائها ــ وتعيين الأمين العام.

٥ ــ التصديق على ميزانية الأمانة العامة.

ثانياً : المجلس الوزاري : ويتكون من وزراء الخارجية للدول الأعضاء أو من ينوب عنهم من الوزراء وتكون رئاسته دورية لمدة ستة أشهر ويعقد اجتماعاته مرة كل ثلاثة أشهر ويجوز له عقد دورات استثنائية بناء على دعوة أي عضو من الأعضاء وتأييد عضو آخر.

ثالثاً : اللجان والاجتماعات الوزارية والمتخصصة : للعمل على تنفيذ سياسات المجلس ووضع الإجراءات التفصيلية لذلك. وتتنوع هذه اللجان بحسب طبيعة المهام الموكلة إليها وتأخذ تبعاً لذلك صفة الدورية أو الوقتية حسب ما يقرر كل اجتماع أو لجنة وزارية. وقد بلغت هذه اللجان عام **١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ٢٤** لجنة كما يجري التحضير للجان أخرى في مجالات أخرى.

رابعاً : الأمانة العامة : تتكون من أمين عام يعاونه أمناء مساعدون وما تستدعيه الحاجة من موظفين ويعين الأمين العام لمدة ثلاث سنوات قابلة

(١) نفسه ص ١٦.

للتجديد مرة واحدة ويكون مسئولا مباشرة عن أعمال الأمانة العامة ويمثل مجلس التعاون لدى الغير في حدود الصلاحيات المخوّلة له. وتعتبر الأمانة العامة الأداة الأساسية لتقديم مقترحات الجهات المسئولة للسياسات والخطط والبرامج المؤدية إلى تحقيق أهداف المجلس ــ فتتولى :

١ ــ إعداد مشروع استراتيجية العمل الخليجي المشترك في المجالات المختلفة.

٢ ــ إعداد الدراسات والبحوث التي تتطلبها أعمال الأجهزة الرئيسية للمجلس.

٣ ــ وضع الخطط والبرامج والمشروعات الكفيلة بتحقيق استراتيجية العمل الخليجي المشترك.

٤ ــ التنسيق مع المنظمات الدولية والإقليمية والعربية العاملة في مجال تخصصها.

٥ ــ القيام بأعباء السكرتارية الفنية للجان الوزارية واللجان المختلفة في مجال عملها.

٦ ــ تنظيم اللقاءات والندوات المتصلة بشئون تخصصها والإشتراك في المؤتمرات والاجتماعات المتعلقة بشئون عملها.

٧ ــ إعداد تقارير دورية من النشاطات والإنجازات.

وتضم الأمانة العامة القطاعات التالية :

مكتب الأمين العام ــ وقطاع الشئون السياسية ــ وقطاع الشئون الاقتصادية ــ وقطاع شئون الإنسان والبيئة ــ وقطاع الشئون القانونية ــ وقطاع الشئون المالية والادارية ومركز المعلومات.

ومن أهم منجزات المجلس الاتفاقية الاقتصادية الموحدة بين دول مجلس التعاون ــ لتنمية وتوسيع وتدعيم الروابط الاقتصادية فيما بينها على أسس متينة لما فيه خير شعوبها ومن أجل العمل على تنسيق وتوحيد سياستها الاقتصادية

والمالية النقدية وكذلك التشريعات التجارية والصناعية والنظم الجمركية المطبقة فيهـا وقـد عرضت هذه الاتفاقية في ٢٨ مادة وقع عليها في مدينة الرياض بتاريخ ١٥ محرم ١٤٠٢هـ الموافق ١١/١١/١٩٨١م وخرجت إلى حيز العمل والتطبيق .

الفصـــل الثـــالث

الأخطار التي تهدد العالم الاسلامي مالم يعتصم بالإسلام

يقف المسلم مذهولاً اليوم وهو يرى المحاولات المسعورة المستمرة من قبل أعـداء الإسـلام في سبيـل السيطـرة والتسلط وفرض الوصاية على كل مقدرات المسلمـين صغيرها وكبيرها، فيرى قضايا المسلمين المعاصرة أفغانستان المسلمة بين براثن الشيوعيين وفلسطين المسلمة يقصى الجهاد الاسلامي كأسلوب وحيد لتحـريـرهـا من أذهـان المسلمين والخطط التي ينفذها الصليبيون في أندونيسيا، وحمـلات التصفيـة التي يلاقيهـا المسلمون في جنوب الفلبين وفطاني، والمؤمرات الـدنيئـة التي يحاول المنصـرون تنفيـذها في جنوب السودان لاقتطاعه واقامة دولة صليبيـة في جنـوبـه، وتسلط المستعمـر وهيمنتـه على الـدول الافريقية المسلمة كتـانـزانيـا وارتـير يـا وأوغنـدا وغيرها، وحملات التصفية والاضطهاد والاعتقال والتعذيب التي يتعرض لها الشباب المسلم في بلدان المسلمين لإبعاده عن دعوة الاسلام.

كل هذه المؤامرات والأوضاع المحزنة المؤلمة تعود في مجملها إلى سببين :

١ ــ غيـاب الاسـلام منهجـا وتشـريعـا وسيـاسـة وتطبيقا عن حياة الأمة ــ وحلول التشـريعـات المستـوردة والمبـاديء الهدامة والنظم العلمانية في مختلف مجالات حيـاة المسلمـين. فقـد حاولت الصهيـونية والشيوعية والصليبية الغربية جهـدهـا لإبعـاد الإسلام عن توجيه حياة المسلمين وجعله فكرة تاريخية أوسلوكا تعبّديّا لا علاقة له بالحلّ والعقد في مجال الحياة فأصبحت الثورة في مفهوم بعض الأنظمة ثورة على الإسلام وعلى المتمسكين بأهدابه.

٢ ــ فقدان الوحدة بين أقطار الاسلام بإسقاط وحدة العقيدة والمبدأ من حساباتها وانعدام هذا التعاون في معظم الحالات. فأصبحت هذه الأقطار تعاني ما تعاني من المحن والمصائب بمفردها ــ بينما تتكالب القوى المضادة متعاونة متعاضدة تشدها إلى بعضها وحدة المصلحة في ضرب الاسلام وتفريق كلمته وابتزاز موارده وطاقاته.

وقد أدرك المسلمون ذلك وشهد العالم الاسلامي صحوة تأخرت (برغم المسيرة الطويلة لحركات التجديد والاصلاح ابتدأت بمحمد بن عبد الوهاب والدعوات المماثلة[1] في شمال افريقية وما تلاها من حركات في مصر وديار الشرق الاسلامي في أندونيسيا والهند وباكستان وايران) إلى الثلث الأخير من القرن العشرين أو نهاية القرن الرابع عشر للهجرة كما بيّنا.

والتاريخ يحدثنا أن الشريعة الاسلامية كانت مطبقة في بلدان المسلمين كلها حتى أخريات القرن الثالث عشر الهجري ومنذ ألغى عملاء الاستعمار تطبيق الشريعة قام المسلم تحت مظلة القوانين الوضعية بتعذيب أخيه المسلم بطريقة لم تحدث خلال أربعة عشر قرنا وكان هذا المسلم يستورد أدوات تعذيبه لأخيه المسلم من بلاد النصارى ومن اليهود ومن دول الإلحاد الشيوعي. وخرجت مجموعة شاذة من نساء المسلمين يحاربن الاسلام ولازال بعضهن في بعض المناصب يبارزن تعاليم الاسلام مبارزة شرسة. ومنيت بلاد الاسلام بهزائم مروعة ــ وحاول المنهزمون أن يحوّلوا هذه الهزائم إلى انتصارات واحتفلوا بها واخترعوا بطولات.

وأقام المستعمرون أوضاعاً معينة في كل بلد إسلامي فسمح لهم بالتدخّل وإملاء إرادتهم، وضمنوا لهذه الأوضاع أنصاراً وأعواناً، فاستشرت التبعية والتقليد واستشرى الإلحاد الشيوعي والغزو التبشيري الصليبي، والامتداد

---

(١) وقد كانت هذه الدعوات محلية وكان تأثيرها محدوداً باستثناء دعوة الشيخ محمد عبد الوهاب التي بقيت تلعب دوراً بارزاً في المسيرة الاسلامية الحالية.

الصهيوني اليهودي، وانفصلت الشعوب الإسلامية عن حكامها إلّا قلّة نتيجة إصرار بعض الحكومات على تحدي شعوبها بعدم تطبيق شريعة الله، فوقع التخبّط وعاش المسلمون واقعاً مريضاً في حضيض من الذلة والهوان والتخلف نراه ونحسّ به في كل أقطار الإسلام التي أقصت الشريعة جانباً، فتعطّلت ملكات الإبداع في الأمة وتحول المجتمع إلى مستوى انحلالي رديء وتفككت الأواصر الاجتماعية وتعطل دولاب الحياة الاقتصادية السليمة، وواجهت الأمة هزائم متوالية لا مثيل لها في التاريخ.

ومن المهم أن يدرك المسلم أن ما هم فيه المسلمون من الهوان لا يعفيهم عن مسئوليتهم نحو أنفسهم ونحو البشرية جمعاء. قال تعالى: ﴿ **فاستمسك بالذي أوحي إليك، إنك على صراط مستقيم، وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تُسألون** ﴾[1]. وأنه سيبقى التخلف والحرمان والهوان والضعف وستبقى التبعية والركض واللّهاث وراء كل ما هو سراب وخداع حتى يلجأ المسلمون إلى الله، يتمسكون بدينهم ويدركون ذاتهم ومسئوليتهم، وإلّا فلن يعجزه سبحانه وتعالى أن يستبدل بهم قوماً غيرهم يقومون بأمر هذا الدين.

قال تعالى: ﴿ **وان تتولّوا يستبدل قوماً غيركم، ثم لا يكونوا أمثالكم** ﴾[2].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبّهم ويحبّونه، أذلّة على المؤمنين أعزّة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله، ولا يخافون لومة لائم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم** ﴾[3].

وقد منح الله الأمّة الإسلامية كلّ مقومات التقدم والنمو والعزّة، فلديها من المناهج أقومها، ومن النظم أسلمها، ومن الأدوات أكثرها فعالية، والأمل معقود على الصحوة الإسلامية المعاصرة علّها تعود بالأمة إلى الإسلام ــ وإذا لم

---

(١) سورة الزخرف الايتان ٤٣، ٤٤.

(٢) سورة محمد الآية ٣٨.

(٣) سورة المائدة الآية ٥٤.

يحدث ذلك (لا قدر الله) فإن مستقبل الشعوب الإسلامية بل وأمم الأرض قاطبة لا يبشّر بأي خير وسيزداد سوءاً في ظل السيطرة الشرسة للمعسكرين الغربيين الرأسمالي والشيوعي، وهما يلعبان بمقدرات العالم، وفي ظل الصهيونية التي تحاول الهيمنة على المعسكرين وأن ترث الحضارة الغربية. فلا برء ولا علاج لأوضاع هذه الأمة، ولأوضاع العالم بأجمعه إلّا بشريعة الإسلام الخيّرة التي ماتزال وضّاءة حية نابضة على الرغم مما حاوله المشركون والدهريون، وحاوله أهل الكتاب والصابئة والمجوس، وحاوله الشيوعيون.

ودعوة الإسلام فوق كلّ ذلك تزداد دائرتها إتساعاً وإنتشاراً كلّما وجدت العقل المفكر والقلب الواعي والنظر الصحيح، وهي في متناول جميع الناس، ورسالة الإسلام ليست بحاجة إلى نبيّ يجدّدها، فهي دائماً جديدة حيّة ولكنها في حاجة إلى رجال وأتباع يعملون ويجاهدون ويصدقون ما عاهدوا الله عليه، وبمعنىً أدقّ هي في حاجة إلى نماذج من الرجال عملها كقولها، وقولها كفعلها.

قال ﷺ: «لقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي، كتاب الله وسنة رسوله».

والله غالب على أمره. وما النصر إلّا من عنده سبحانه وتعالى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

المدينة المنورة
ليلة الاثنين ٢٧/٦/١٤٠٥هـ.
الموافق ١٨/٣/١٩٨٥م.

د. جميل عبد الله محمد المصري
أستاذ مساعد بالجامعة الاسلامية
كلية الدعوة وأصول الدين

المصـــادر

و

المراجـــع



الكتب

١ القرآن الكريم.

٢ كتب الحديث: صحيح البخاري، صحيح مسلم، مسند أحمد بن حنبل، الترمذي، النسائي، ابن ماجة، أبو داود، والحاكم.

٣ إبراهيم عبد الله ماح ـ الهزيمة الثالثة ـ مكتبة النهضة المصرية ـ ط ١/ ١٩٨٢م.

٤ إبراهيم العدوي ـ الدكتور ـ الأمبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ـ مطبعة لجنة البيان العربي عام ١٩٥١م.

٥ إحسان حقي: باكستان بين ماضيها وحاضرها ـ دار النفائس ـ بيروت ط ١/ ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

٦ إحسان حقي: مأساة كشمير المسلمة ـ الدار السعودية ـ ط ٢/ ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

٧ إحسان حقي: المسلمون أمام التحدي العالمي ـ بيروت ط ١/ ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

٨ إحسان حقي: تاريخ شبه القارة الهندية.

٩ أحمد أمين: زعماء الإصلاح في العصر الحديث ـ القاهرة ١٩٦٥م.

١٠ أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ.

١١ أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الاسلامي ـ الجزء السادس ـ مكتبة النهضة المصرية ـ ط ١/ ١٩٧٢م.

١٢ الإدريسي ـ أبو عبد الله محمد بن محمد الشريف ـ ولد عام ١١٠٠م: نزهة المشتاق في ذكر الأمصار والأقطار والبلدان ـ قطعة منه: صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ـ ليدن عام ١٨٦٦م.

١٣ الاصطخري: كتاب مسالك الممالك ـ ليدن ـ بريل ١٩٢٧م.

١٤ ابن أبي أصيبعة: طبقات الأطباء ـ بيروت ـ دار الحياة ـ ١٩٦٥م.

١٥ أرسلان ـ الأمير شكيب: حاضر العالم الاسلامي ـ تعليقات ـ دار الفكر ـ ط ٣/ ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

١٦ آرمستر ونغ: الرجل الصنم.

١٧ أرنولد ـ سيرتوماس : الدعوة إلى الاسلام ـ ترجمة حسن إبراهيم وعبد المجيد عابدين واسماعيل النحراوي ـ مكتبة النهضة المصرية ـ ط ٣/ ١٩٧٠م.

١٨ أسعد عبد الرحمن : المنظمة الصهيونية العالمية ـ بيروت ١٩٦٧م.

١٩ الاشتراكية في التجارب العربية ـ لطائفة من المفكرين ـ سلسلة الفكر العربي ـ دار الكتب الجديدة، ط ١/ ١٩٦٥م.

٢٠ أبو الأعلى المودودي : واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم، بيروت ١٣٨٦هـ.

٢١ البرت هامسيون : القنصلية البريطانية في القدس وعلاقتها بيهود فلسطين ـ الجزء الأول (١٨٣٨م ـ ١٩١٤م).

٢٢ ألن تايلور : تاريخ الحركة الصهيونية ـ ترجمة بسام أبو غزالة ـ بيروت ١٩٦٦م.

٢٣ أمين عبد الله : الجغرافية التاريخية لحوض البحر الأحمر.

٢٤ باشميل ـ أحمد ـ أكذوبة الاشتراكية العربية ـ ط ١/ ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م.

٢٥ باول شمتز : الاسلام قوة الغد العالمية ـ ترجمة د. محمد شامة ـ القاهرة ١٣٩٤هـ.

٢٦ بدر الدين حي : تاريخ المسلمين في الصين ـ بيروت ـ لبنان.

٢٧ ابن بطوطة ـ أبو محمد عبد الله ابراهيم اللواتي : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ـ مطبعة التقدم ـ مصر. وطبع ـ دار صادر ـ دار بيروت ـ لبنان. وط٤ من مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م بيروت.

٢٨ البكري : أبو عبد الله بن عبد العزيزت سنة ١٠٩٤م. المغرب في ذكر افريقية والمغرب جزء من كتاب المسالك والممالك نشره راندون ـ الجزائر ١٨٥٧م.

٢٩ البلاذري : فتوح البلدان ـ مكتبة السعادة ـ مصر ١٩٥٩م.

٣٠ بير زاده ـ شريف الدين : نشأة باكستان ـ ترجمة عادي صلاحي ـ جدة ـ ط ١ ـ ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

٣١ بيهم ـ محمد جميل : العرب والترك في الصراع بين الشرق والغرب ـ بيروت ١٩٥٧م.
٣٢ بيير رونوفن : تاريخ القرن العشرين ـ تعريب د. نور الدين حاطوم ـ مطبعة الجامعة السورية ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م.
٣٣ ترمنجهام ـ سبنسر : الاسلام في شرق افريقية ـ ترجمة وتعليق محمد عاطف النوادي ـ ط ١ ـ ١٩٧٣م.
٣٤ ابن تغري بردي ت سنة ٨٧٤هـ : النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة ـ الجزء الثامن ـ القاهرة ـ وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ بدون تاريخ.
٣٥ تقويم العالم الاسلامي ـ تأليف جماعة من المؤلفين ـ جمعية الدراسات الاسلامية ـ القاهرة ١٩٧٠م.
٣٦ التل ـ عبد الله : جذور البلاء ـ بيروت ١٣٩٠هـ.
٣٧ التونسي ـ محمد خليفة : (ترجمة): بروتوكولات حكماء صهيون ـ ط ٥ ـ مصر.
٣٨ توينبي ـ أرنولد : مختصر دراسة التاريخ ـ ترجمة فؤاد نبيل ـ القاهرة ١٩٦١م.
٣٩ ابن تيمية الحراني : السياسة الشرعية.
٤٠ جارودي ـ رجاء ـ (روجيه) : الصهيونية السياسية (اسرائيل) ـ دار الشروق ـ ط ١ ـ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
٤١ جب : دراسات في حضارة الاسلام ـ ترجمة إحسان عباس وزملاؤه ـ بيروت ١٩٧٤م.
٤٢ جب : الاتجاهات الحديثة في الاسلام ـ ترجمة كامل سليمان ـ طبع بيروت ١٩٥٤م.
٤٣ جب وزملاؤه : وجهة الاسلام ـ ترجمة محمد أبو ريده ـ مصر.
٤٤ ج. ب دُروزيل : التاريخ الدبلوماسي ـ تعريب نور الدين حاطوم ـ مطبعة جامعة دمشق ـ دمشق ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م.

٤٥ ابن جبير ـ أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي ـ (رحلة ابن جبير)، تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار ـ دار التحرير للطبع والنشر ـ القاهرة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م. كتبه مؤلفه حوالي ٥٨٢هـ/ ١١٨٦م.
٤٦ جمال حمدان : العالم الاسلامي المعاصر ـ عالم الكتب ـ القاهرة.
٤٧ الجوهري ـ د. يسري عبد الرازق : جغرافية الشعوب الاسلامية ـ الكتب الجغرافية ٥٣ ـ منشأة دار المعارف بالاسكندرية ١٩٨١م.
٤٨ الجوهري ـ يسري ـ الكشوف الجغرافية ـ ط ٢ ـ ١٩٦٧م.
٤٩ الجندي ـ أنور : الاسلام والعالم المعاصر ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ط ٢ ـ ١٩٨٠م.
٥٠ الجندي : الاسلام وحركة التاريخ ـ دار الكتاب اللبناني ط ١ ـ ١٩٨٠م.
٥١ الجندي : تاريخ الاسلام في مواجهة التحديات ـ دار الاعتصام ـ دار العلوم للطباعة ـ مغفل التاريخ.
٥٢ الجندي : العالم الاسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي ـ الكتاب اللبناني ـ دار الكتاب المصري ـ ط ١ ـ ١٩٧٩م.
٥٣ الجندي : معالم التاريخ الاسلامي المعاصر ـ دار الاعتصام ـ القاهرة ـ دون سنة.
٥٤ حراز ـ رجب : التوسع الايطالي في شرق افريقية.
٥٥ د. حسن محمود : انتشار الاسلام والثقافة العربية في افريقية.
٥٦ حسن سيد أحمد أبو العينين (الدكتور) : آسيا الموسمية وعالم المحيط الهادي ـ مؤسسة الثقافة الجامعية ـ الاسكندرية.
٥٧ حسن صبري الخولي : سياسة الاستعمار والصهيونية ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ط ١ ـ ١٩٧٣م.
٥٨ الحنفي ـ ابن أبي العز : شرح العقيدة الطحاوية ـ المكتب الاسلامي (ط ٥) ـ بيروت ـ دمشق ـ ١٣٩٩هـ.

٥٩ حسون ـ د. علي : تاريخ الدولة العثمانية ـ المكتب الاسلامي ـ دمشق ـ ط ١ ـ ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٦٠ حسين مؤنس : مصر ورسالتها ـ مصر.

٦١ حسين مؤنس : الاسلام الفاتح ـ دعوة الحق ـ السنة ١ ـ ١٤٠١هـ/ رجب العدد ٤.

٦٢ ابن حوقل : المسالك والممالك ـ باريس ـ ١٨٤٥م.

٦٣ خالد محمد خالد : الديمقراطية أبداً ـ مصر ـ ١٩٥٣م.

٦٤ خدوري ـ د. مجيد : الاتجاهات السياسية في العالم العربي ـ الترجمة العربية.

٦٥ ابن خرداذبة : المسالك والممالك ـ ليدن ـ بريل ـ ١٩٦٧م.

٦٦ ابن خلدون ـ عبد الرحمن ت سنة ٨٠٨هـ : المبتدأ والخبر (تاريخ ابن خلدون) ـ ج ٥ ـ بيروت.

٦٧ ابن خلكان ـ أحمد بن محمد ت سنة ٦٨١هـ : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ـ تحقيق د. إحسان عباس ـ بيروت ـ دار الثقافة ـ ١٩٦٩م/ ١٩٧٠م.

٦٨ خيري حماد : الصهيونية.

٦٩ الدباغ ـ مصطفى مراد : بلادنا فلسطين.

٧٠ الدسوقي ـ محمد كمال : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ـ دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٧٦م

٧١ الذهبي : سير أعلام النبلاء (٢٣ مجلد) مؤسسة الرسالة.

٧٢ الذهبي : دول الاسلام ـ ج ٢ مؤسسة الرسالة.

٧٣ الذهبي ـ حسين : التفسير والمفسرون ـ ج ١ ـ ط لبنان.

٧٤ راشد البراوي : مشكلات القارة الافريقية السياسية والاقتصادية.

٧٥ الرافعي ـ مصطفى صادق : وحي القلم.
٧٦ رفله ـ فيليب : افريقية.
٧٧ ريتشارد الدنتجتون : لورنس في البلاد العربية ـ ترجمة محمود عزت موسى ـ مغفل الطبع والنشر.
٧٨ زاهر ـ رياض : الاستعمار الأوروبي لافريقية.
٧٩ زاهر ـ رياض : المالك الاسلامية في غرب افريقية ـ (مترجم) ـ الانجلو المصرية ١٩٦٨م.
٨٠ زاهر ـ رياض : تاريخ أثيوبيا.
٨١ زاهية قدورة : تاريخ العرب الحديث ـ دار النهضة العربية ـ بيروت ١٩٧٥م.
٨٢ زكي ـ عبد الرحمن : المسلمون في العالم اليوم ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ط ١ ـ ١٩٦٠م.
٨٣ الزهاوي ـ جميل صدقي : ديوان الزهاوي ـ بيروت ١٩٧٢م.
٨٤ أبو زهرة ـ الشيخ محمد : ابن تيمية.
٨٥ الساداتي ـ د. أحمد محمود : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندو باكستانية ـ مطابع سجل العرب ـ ط ٢ ـ ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.
٨٦ ساطع الحصري : نشوء الفكرة القومية ـ القاهرة ١٩٥١م.
٨٧ السامرائي ـ عبد الله سلوم : القاديانية والاستعمار الانجليزي ـ منشورات وزارة الثقافة والاعلام ـ العراق ـ ١٩٨١م. دار الرشيد للنشر.
٨٨ سبيرويدوفيتش : حكومة العالم الخفية ـ ترجمة مأمون سعيد ـ بيروت ١٩٧٤م.
٨٩ السحمراني ـ د. أسعد : مالك بن نبي «مفكراً إصلاحياً» ـ دار النفائس ـ بيروت ط ١ ـ ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
٩٠ سعودي ـ د. محمد عبد الغني : الوطن العربي ـ دراسة لملامحه الجغرافية ـ بيروت ١٩٦٧م.

٩١ سعودي : قضايا افريقية ـ عالم المعرفة رقم ٣٤ ـ الكويت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٩٢ سعودي : افريقية ـ مكتب الانجلو مصرية ـ القاهرة.

٩٣ السعدني ـ مصطفى : الفكر الصهيوني والسياسة اليهودية ـ دراسة تحليلية ـ مطابع الأهرام التجارية ـ القاهرة ١٩٧١م.

٩٤ السعدي ـ عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر ت بعد عام ١٦٥٥م : تاريخ السودان ـ حققه ونشره: هوداس وبنوا ـ باريس ١٨٩٨م.

٩٥ سفر بن عبد الرحمن الحوالي : العلمانية ـ جامعة أم القرى ـ الكتاب ٢٥ ـ دار مكة ـ مكة ط١/ ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٩٦ السقا ـ محمد صفوت : المسلمون في الاتحاد السوفييتي.

٩٧ سلامة حمادي : اليهود السوفييت.

٩٨ سيد عبد المجيد بكر : الأقليات الاسلامية في آسيا واستراليا ـ دعوة الحق، السنة ٣ العدد ٢٣ صفر ١٤٠٤هـ/ نوفمبر ١٩٨٣م.

٩٩ سيد قطب : مستقبل الثقافة في مصر (نقد) ـ جدة ١٣٨٩هـ.

١٠٠ السيوطي ـ جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر ت عام ٩١١هـ : تاريخ الخلفاء ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ ط ١/ ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م ـ مطبعة السعادة بمصر.

١٠١ ابن سينا : إثبات النبوات ـ بيروت ـ دار النهار ـ ١٩٦٨م.

١٠٢ شاتليه ـ أ . ل : الغارة على العالم الاسلامي ـ لخصها ونقلها إلى العربية محب الدين الخطيب ومساعد اليافي ـ مكتبة اسامة بن زيد ـ بيروت.

١٠٣ الشافعي ـ الامام محمد بن ادريس : الأم ـ الجزء الرابع.

١٠٤ شاكر ـ محمود : سلسلة مواطن الشعوب الاسلامية ـ مؤسسة الرسالة.

١٠٥ شاكر ـ محمود : المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ـ منشورات المكتب الاسلامي ـ دمشق ـ بيروت ط ٢ ـ ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

١٠٦ شاكر ـ محمود : اقتصاديات العالم الاسلامي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ط ٣ ـ ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

١٠٧ شاكر ـ محمود : سكان العالم الاسلامي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ط ٢ ـ ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

١٠٨ شاكر ـ محمود : المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ـ المكتب الاسلامي ـ بيروت ط ١ ـ ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

١٠٩ الشامي ـ د. صلاح الدين علي والدكتور زين الدين عبد المقصود : جغرافية العالم الاسلامي ـ منشأة المعارف بالاسكندرية ـ الكتب الجغرافية ٢٢ ـ عام ١٩٧٤م.

١١٠ شانتال لمربيه كلكجي ـ والكسندر بينيغسن : المسلمون في الاتحاد السوفيتي ـ تعريب الدكتور إحسان حقي ـ مؤسسة الرسالة ط ٢ ـ ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

١١١ شبنجلر ـ ازوالد : تدهور الحضارة الغربية ـ ترجمة أحمد الشيباني ـ بيروت ١٩٦٤م.

١١٢ الشرقاوي ـ محمد عبد المنعم : ملامح الهند وباكستان ـ دار المعارف ١٩٥٢م.

١١٣ شفيق الرشيدات : فلسطين تاريخاً وعبرة ومصيراً ـ دار الكتاب العربي فرع مصر ط ٢ ـ ١٩٦٨م.

١١٤ الشناوي ـ د. عبد العزيز محمد : أوربا في مطلع العصر الحديث ـ الجزء الأول ـ دار المعارف بمصر ١٩٦٩م.

١١٥ شوقي الجمل (دكتور) : تاريخ كشف افريقية واستعمارها ـ مكتبة الانجلو المصرية ط ٢ ـ ١٩٨٠م.

١١٦ الشيال ـ د. جمال الدين : تاريخ أباطرة المغول ـ منشأة المعارف بالاسكندرية ـ ١٩٦٨م.

١١٧ صابر طعيمة ـ دكتور : الماسونية ذلك العالم المجهول.

١١٨ صالح أبو نصير : جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن ـ دار الفتح ـ بيروت ١٩٦٩م .
١١٩ الصباغ ـ سعيد : الأطلس العربي العام .
١٢٠ صبحي ياسين : الثورة العربية الكبرى في فلسطين .
١٢١ الصواف ـ الشيخ محمد محمود : رحلاتي إلى الديار الاسلامية ـ افريقية المسلمة .
١٢٢ الصواف : المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام ـ ١٣٨٩هـ .
١٢٣ الصياد ـ د. فؤاد عبد المعطي : المغول في التاريخ ـ ج ١ ـ دار النهضة ـ بيروت ١٩٧٠م .
١٢٤ (ضابط تركي سابق) : الرجل الصنم ـ ترجمة عبد الله عبد الرحمن ـ بيروت .
١٢٥ ضياء الدين برني : تاريخ فيروز شاه (بالفارسية) ـ ١٨٦٠م .
١٢٦ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ـ تحقيق أبو الفضل ابراهيم ـ دار المعارف ـ القاهرة .
١٢٧ طربين ـ د. أحمد وزميله : تاريخ الحضارات القديمة ـ مطبعة جامعة دمشق .
١٢٨ طربين ـ د. أحمد : فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار .
١٢٩ طرخان ـ د. إبراهيم علي : امبراطورية غانة الاسلامية ـ الهيئة المصرية العامة ـ القاهرة ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م .
١٣٠ طرخان : دولة مالي الاسلامية ـ الهيئة العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٧٣م .
١٣١ طرخان : امبراطورية البرنو ـ الهيئة العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٧٥م .
١٣٢ الطرزي ـ د. عبد الله مبشر : موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية لبلاد السند والبنجاب (باكستان الحالية في عهد العرب) تقديم أبي الحسن الندوي ـ جزءان، ط ١ ـ عالم المعرفة ـ جدة ـ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .
١٣٣ ظفر الاسلام خان : التلمود وتاريخه وتعاليمه ـ بيروت ط ٢ .

١٣٤ عادل حسين غنيم وزميله : تاريخ الهند الحديث ـ مكتبة الخانجي ـ مصر ط ١ ـ ١٩٨٠م .
١٣٥ عاشـور ـ د. سعيـد عبد الفتاح : أوربا العصور الوسطى ـ ج ١ ـ مكتبة الانجلو المصرية ـ ط ٣ ـ ١٩٦٤م .

١٣٦ عبـد الأمـير محمد الأمين (دكتور) والدكتور مصطفى عبد القادر النجار : دور السجـلات الهنـديـة ومخطـوطـاتهـا ـ منشورات مركز دراسات الخليج العربي ـ جامعة البصرة (٢٠) ـ مطبعة الارشاد ـ بغداد ـ ١٩٧٨م .
١٣٧ عبد الحميد ـ السلطان : مذكراتي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت .
١٣٨ عبـد الـرحيم أحمـد حسـين (دكتـور) : النشـاط الصهيوني خلال الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ـ١٩٤٥م) ـ المؤسسة العربية ـ بيروت ط ١ ـ ١٩٨٤م .
١٣٩ عبــد العــزيـز سالم (دكتـور) : تاريـخ المغـرب الكبـير ـ ج ٢ ـ العصر الاسلامي ـ دار النهضة العربية ـ بيروت ـ ١٩٨١م .
١٤٠ عبـد العـزيـز كامل (دكتور) : جغرافية الاسلام في افريقية ـ محاضرات ـ معهد الدراسات الاسلامية ـ القاهرة ١٩٦٧ـ١٩٦٨م .
١٤١ عبد الغفور عطار ـ أحمد : الشيوعية وليدة الصهيونية ـ المكتبة العصرية ـ صيدا ـ بيروت .
١٤٢ عبد الفتاح عبادة : انتشار الخط العربي .

١٤٣ عزت ـ يوسف : تاريـخ القـوقـاز ـ تعـريب فوسنـوفه عبد الحميد غالب بك ـ١٣٥٢هـ/ ١٩٧٣م ـ عيسى البابي الحلبي ـ مصر.
١٤٤ العسلي ـ ابراهيم : الأيام الحاسمة في الحروب الصليبية .
١٤٥ أبو العلا ـ محمود طه : دراسات في جغرافية العالم الاسلامي ـ القاهرة ١٩٦٥م .
١٤٦ علي جريشـة ، ومحمـد الـزيبق : أساليب الغزو الفكري ـ دار الاعتصام ط ١ ـ ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م .

١٤٧ علي مورتوفو- اللواء : بعض الأفكار الأساسية للسير بخطة التنمية خلال ٢٥ عاماً (بأندونيسيا) - مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية - جاكارتا - أندونيسيا ط ١ - ١٩٧٢م.
١٤٨ علي عبد الرازق - الشيخ : الاسلام وأصول الحكم.
١٤٩ عماد الدين خليل (دكتور) : مأساتنا في افريقية - مؤسسة الرسالة - ط ١ - ١٩٧٨م.
١٥٠ العمري - د. أحمد سويلم : الإفريقيون والعرب - مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٦٧م.
١٥١ العمري - ابن فضل الله أحمد بن يحيى ت سنة ٧٤٩هـ - مسالك الأبصار في ممالك الأمصار- ج ١ وج٢ - مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٩٢٤م.
١٥٢ الغادري - نهاد : التاريخ السري للعلاقات الشيوعية الصهيونية - دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٦٩م.
١٥٣ الغادري - نهاد : حقائق الشيوعية - مطابع دار الغد - ط ١ - ١٩٦٩م.
١٥٤ الغزالي - أبو حامد - ت سنة ٥٠٥هـ : إحياء علوم الدين - ج ٣ - مصر - القاهرة - المكتبة التجارية - بدون تاريخ.
١٥٥ الغزالي - أبو حامد : فضائح الباطنية - تحقيق عبد الرحمن بدوي - القاهرة - الدار القومية للطباعة والنشر - ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م.
١٥٦ الغزالي - الشيخ محمد : من هنا نعلم - مصر ١٣٧٣هـ.
١٥٧ الغزالي - الشيخ محمد : المسلمون في وجه الزحف الأحمر - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - بدون تاريخ.
١٥٨ الغزالي - الشيخ محمد : حصاد الغرور - ط ١ - الكويت.
١٥٩ غلاب - د. محمد السيد غلاب - ود. حسن عبد القادر صالح، ومحمود شاكر : البلدان الاسلامية والأقليات المسلمة في العالم المعاصر - المؤتمر الجغرافي الاسلامي الأول - الرياض - ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م - جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية.

١٦٠ الغمراوي ـ محمد أحمد : الاسلام في عصر العلم ـ الدين والرسول والكتاب ـ ط ١ ـ ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م .
١٦١ غوستاف لوبون : دور العرب في تكوين الفكر الأوربي .
١٦٢ فاسيلي فلاديمير وفتش بارتولد : تركستان ـ نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم ـ الكويت ـ ط ١ ـ ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .
١٦٣ فايد حماد محمد عاشور : جهاد المسلمين في الحروب الصليبية ـ مؤسسة الرسالة ـ ط ١ ـ ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .
١٦٤ فتح الله ـ د. عبد الستار فتح الله سعيد : الغزو الفكري والتيارات المعادية للاسلام ـ دار الأنصار ـ القاهرة ـ مهمل السنة .
١٦٥ فتحي غيث ـ المهندس : الاسلام والحبشة عبر التاريخ ـ شركة الطباعة الفنية المتحدة ـ القاهرة ـ مغفل السنة .
١٦٦ فتحي يكن : العالم الاسلامي والمكائد الدولية خلال القرن الرابع عشر الهجري ـ مؤسسة الرسالة ـ ط ١ ـ ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .
١٦٧ فشر (هـ. أ. ل) : تاريخ أوربا في العصر الحديث ـ تعريب أحمد نجيب هاشم ، ووديع الضبع ـ دار المعارف ـ مصر ـ ط ٤ ـ ١٩٦٤م .
١٦٨ فروخ ـ الدكتور عمر والدكتور مصطفى خالدي : التبشير والاستعمار ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ صيدا ـ ط ٥ ـ ١٩٧٣م .
١٦٩ قاسم أمين : تحرير المرأة ـ ط ٣ ـ مصر .
١٧٠ قاسم أمين : المرأة الجديدة ـ مطبعة الشعب ـ مصر ـ ط ٢ ـ ١٩١١م .
١٧١ قداح ـ نعيم : افريقية الغربية في ظل الاسلام ـ كونكري ١٩٦٠م .
١٧٢ قدري قلعجي : تجربة عربي في الحزب الشيوعي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ بدون سنة .
١٧٣ القضماني ـ محيي الدين : صفحات من حاضر العالم الاسلامي ـ مطابع الجامعة الاسلامية ـ ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .
١٧٤ القوصي ـ د. عطية : تاريخ دولة الكنوز الاسلامية ـ دار المعارف بمصر ـ ط ١ ـ ١٩٧٦م .

١٧٥ قيصر أديب مخول (دكتور) : الاسلام في الشرق الأقصى - تعريب د. نبيل صبحي - دار العربية - بيروت.
١٧٦ كارل - اليكس : الإنسان ذلك المجهول - ترجمة شفيق أسعد فريد - بيروت.
١٧٧ الكتاني - د. علي المنتصر : المسلمون في المعسكر الشيوعي - رابطة العالم الاسلامي - مكة المكرمة.
١٧٨ الكتاني - د. علي المنتصر - المسلمون في أوربا وأمريكا - دار باريس - المغرب - ١٣٧٦هـ.
١٧٩ ابن كثير - الحافظ عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المفسر المتوفي سنة ٧٧٤هـ : البداية والنهاية - دار الفكر العربي - القاهرة.
١٨٠ كشك - محمد جلال : الغزو الفكري - الدار القومية - القاهرة - ط ٢ - مغفل السنة.
١٨١ كعت - القاضي الفَغْ محمود كعت - من علماء القرن السادس عشر الميلادي : تاريخ الفتّاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور - نشره هوداس وزميله - باريس ١٩١٣م.
١٨٢ كوبلاند - مايلز : لعبة الأمم - تعريب مروان خير - ط ١ - بيروت ١٩٧٠م.
١٨٣ الكواكبي - عبد الرحمن : طبائع الاستبداد - مصر ١٣٥٠هـ.
١٨٤ الكيالي - د. عبد الوهاب : تاريخ فلسطين الحديث.
١٨٥ لوثروب ستودارد الأمريكي : حاضر العالم الاسلامي - ترجمه إلى العربية عجاج نويهض - وعلق عليه الأمير شكيب أرسلان - دار الفكر - ط ٣ - ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.
١٨٦ المالكي - عدنان : تاريخ فلسطين الحديث.
١٨٧ ماهر حسن فهي - قاسم أمين : سلسلة اعلام العرب - مصر.
١٨٨ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة - ج ٦.

١٨٩ محمد اسماعيل : المسلمون في الاتحاد السوفييتي - رابطة العالم الاسلامي .
١٩٠ محمد حسنين - الدكتور : الاستعمار الفرنسي - مصر - ١٩٦٢م .
١٩١ محمد الخضر حسين - شيخ الأزهر : نقض كتاب في الشعر الجاهلي - المكتبة العلمية - لبنان - بيروت (بدون سنة) .
١٩٢ محمد سعيد اسماعيل : المسلمون في الاتحاد السوفييتي والصين .
١٩٣ محمد عبد القادر أحمد : المسلمون في الفلبين - مطبعة الناشر العربي - القاهرة - ١٩٨٠م .
١٩٤ محمد عوض محمد : الشعوب والسلالات الافريقية - الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر - القاهرة .
١٩٥ محمد فريد بك المحامي : تاريخ الدولة العليّة العثمانية - بيروت ١٣٩٧هـ .
١٩٦ محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته (بالفارسية) - طباعة نولكشور - لكنهو - الهند ١٢٨١هـ .
١٩٧ محمد محمد حسين - الدكتور : الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر - مؤسسة الرسالة - ط ٦ - ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .
١٩٨ محمد محمد حسين - الدكتور : حصوننا مهددة من داخلها - الكويت ١٣٨٧هـ .
١٩٩ محمد مكين : نظرة جامعة إلى تاريخ الاسلام في الصين وأحوال المسلمين فيها - المطبعة السلفية ١٣٥٣هـ .
٢٠٠ محمد نور : القصة الحقيقية لحياة المسلمين في ظل الحكم الروسي دار الطباعة الحديثة ـــ القاهرة .

٢٠١ محمود رمزي - دكتور : محاضرات في جغرافية آسيا - دار الفكر - ١٩٧٧م .
٢٠٢ مسعود الندوي : انتشار الاسلام في الهند - تاريخ الدعوة الاسلامية في الهند - نشر وتوزيع دار العربية .
٢٠٣ المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر .

٢٠٤ المصـري ـ د. محمـد أمين : المجتمع الاسلامي ـ دار الأرقم ـ الكويت ـ ط ١ ـ ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
٢٠٥ المصـري ـ د. جميـل عبـد الله : تاريخ الدعوة الاسلامية نشر مكتبة الدار بالمدينة المنورة.
٢٠٦ المصري ـ جميل عبد الله : أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأول الهجري ـ رسالة دكتوراه.
٢٠٧ مصطفى محمـود ـالـدكتور : القرآن محاولة لفهم عصري ـ دار الشروق ـ بيروت ١٩٧٠م.
٢٠٨ مصطفى مؤمن ـ دكتور : عذراء ماليزيا.
٢٠٩ المطـوي ـ محمـد العمروسي : الحروب الصليبية في الشرق والمغرب ـ دار الغرب الاسلامي ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٩٨٢م.
٢١٠ المقريزي ـ تقي الدين أحمد بن علي ت سنة ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م : المواعظ والاعتبار ـ خطط المقريزي.
٢١١ المقريزي : الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الاسلام ـ مصر ١٩٨٥م.
٢١٢ المقريزي : السلوك ـ ج ١ ـ ق ٢.
٢١٣ مؤسسـة الـدراسـات الفلسطينيـة (اتفاق كامب ديفيد وأخطاره ـ عرض وثائقي) رقم (٥٠) ـ ط ١ ـ بيروت ١٩٧٨م.
٢١٤ الميـداني ـ عبـد الـرحمن حسن حبنكة ـ صراع مع الملاحدة حتى العظم ـ دار العلم ـ دمشق ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
٢١٥ ناصر الدين شاه ـ أفغانستان والغزو الشيوعي ـ ط ١ ـ ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
٢١٦ ناجي علوش ـ المقاومة العربية في فلسطين ـ بيروت ١٩٦٧م.
٢١٧ نجيب ـ منـير محمـد : الحـركـات القـوميـة في ميـزان الاسـلام ـ مكتبـة الحرمين ـ ط ١ ـ ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
٢١٨ الندوي ـ أبو الحسن علي الحسني : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ـ دار القلم ـ الكويت ـ ط ١ ـ ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٧م.

٢١٩ الندوي - عبد الحليم : مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية في الهند - مدراس - الهند - مطبعة نوري المحدودة - (مهمل السنة).
٢٢٠ النمر - عبد المنعم النمر : كفاح المسلمين في تحرير الهند - مكتبة وهبة - القاهرة - ط ١ - ١٣٥٤هـ/ ١٩٦٤م.
٢٢١ نور محمد نور : القصة الحقيقية لحياة المسلمين في ظل الحكم الروسي الصيني - دار الطباعة الحديثة - القاهرة (أنظر رقم ٢٠٠)
٢٢٢ ابن هشام : السيرة النبوية.
٢٢٣ أبو هلال الأندونيسي : غارة تبشيرية على أندونيسيا - دار الشروق - جدة - ط ٤ - ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
٢٢٤ هـ. أ. رجب : دراسات في حضارة الاسلام - ترجمه إحسان عباس وزملاؤه - بيروت ١٩٧٤م.
٢٢٥ ابن واصل : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب - تحقيق جمال الدين الشيال - القاهرة ١٩٥٧م.
٢٢٦ ابن الوردي - زين الدين أبو حفص عمر بن محمد ت سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م : تاريخ ابن الوردي - النجف ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.
٢٢٧ ول - ديورانت : قصة الحضارة - ترجمة محمد بدران - القاهرة ١٩٥٧م.
٢٢٨ وليم جيمس : ارادة الاعتقاد - ترجمة محمود حب الله.
٢٢٩ وليم غاي كار : أحجار على رقعة الشطرنج - ترجمة سعيد جزائرلي - مراجعة م. بدوي - دار النفائس - ط ٢ - ١٩٧٦م.
٢٣٠ ياقوت الحموي - أبو عبد الله ت سنة ٦٢٦هـ - معجم البلدان - ج ٣ - مطبعة السعادة - القاهرة/ ودار صادر - دار بيروت/ بيروت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
٢٣١ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي - المكتبة المرتضوية - النجف - العراق.
٢٣٢ يوسف القرضاوي - دكتور : الحل الاسلامي - مؤسسة الرسالة - ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

الصحف والمجلات

٢٣٣ أخبار العالم الاسلامي ـ صحيفة ـ العدد ٩١٤ ـ الاثنين ٦ جمادى الثانية ١٤٠٥هـ.

٢٣٤ أخبار العالم الاسلامي ـ صحيفة ـ العدد ٩٠٥ ـ ٢ ربيع الآخرة ١٤٠٥هـ.

٢٣٥ أخبار العالم الاسلامي ـ صحيفة ـ العدد ٩٢١ ـ الاثنين ٢٥ رجب ١٤٠٥هـ ـ ١٥/٤/١٩٨٥م.

٢٣٦ أخبار العالم الاسلامي ـ صحيفة ـ العدد ٩٤١ ـ ١٦ محرم ١٤٠٦هـ ـ ٣٠/٩/١٩٨٥م.

٢٣٧ أخبار العالم الاسلامي ـ صحيفة ـ الاثنين ١٨ رجب ١٤٠٥هـ.

٢٣٨ أخبار العالم الاسلامي ـ صحيفة ـ ١٦ ربيع الآخر ١٤٠٥هـ.

٢٣٩ الأخبار المصرية ـ صحيفة ـ القاهرة ـ العدد ١٠٢٨١ ـ ١٠ شعبان ١٤٠٥هـ ـ ٣ إبريل ١٩٨٥م.

٢٤٠ الأزهر ـ مجلة ـ ج ٦ ـ مجلد ٧ ـ جمادى الآخرة ١٣٧٥هـ.

٢٤١ الأزهر ـ مجلة ـ عدد شوال ١٣٧٧هـ.

٢٤٢ الأمان اللبنانية ـ مجلة ـ عدد ٥٧ ـ السنة ٢ ـ آذار ١٩٨٠م.

٢٤٣ الأمة القطرية ـ مجلة ـ عدد ٣٢ ـ السنة ٣ ـ شعبان ١٤٠٣هـ ـ أيار/ مايو ١٩٨٢م.

٢٤٤ الأمة القطرية ـ مجلة ـ عدد ٣٥.

٢٤٥ أندونيسيا ـ العدد ١٨/٥٣ ـ السنة الخامسة ـ ١٦ تشرين الأول ١٩٦٨م.

٢٤٦ أندونيسيا ـ العدد ١٩/٧٤ ـ السنة ٦ ـ ١٦ تشرين الثاني ١٩٦٩م ـ ٧ رمضان ١٣٨٩هـ.

٢٤٧ أندونيسيا اليوم ـ مجلة ـ وزارة الاعلام ـ جمهورية أندونيسيا ـ مسجد الاستقلال افتتاحه عام ١٩٧٨م.

٢٤٨ أندونيسيا اليوم ـ مجلة ـ العدد الثالث ـ ١٩٧٩م .
٢٤٩ أندونيسيا اليوم ـ مجلة ـ العدد الثاني ـ السنة الرابعة ـ ١٩٨٠م .
٢٥٠ البلاد ـ جريدة سعودية ـ عدد الخميس ٢٦ صفر ١٣٩١هـ ـ ٢١ إبريل ١٩٧١م .
٢٥١ البلاغ ـ الكويتية ـ مجلة ـ العدد ٥٥٨ .
٢٥٢ البلاغ ـ الكويتية ـ مجلة ـ العدد ٥٨٢ .
٢٥٣ البلاغ ـ الكويتية ـ مجلة ـ العدد ٥٨٨ .
٢٥٤ البلاغ ـ الكويتية ـ مجلة ـ العدد ٦٨٩ .
٢٥٥ البلاغ ـ الكويتية ـ مجلة ـ العدد ٧٧١ ـ ٢٣ ربيع الأول ١٤٠٥هـ ـ ١٦ ديسمبر ١٩٨٤م .
٢٥٦ البلاغ ـ الكويتية ـ مجلة ـ العدد ٧٧٢ .
٢٥٧ البلاغ ـ الكويتية ـ مجلة ـ العدد ٧٨١ .
٢٥٨ الجامعة الاسلامية ـ مجلة ـ العددان ٥٠، ٥١ .
٢٥٩ الجزيرة ـ جريدة سعودية ـ عدد ٨ جمادى الأولى ١٤٠١هـ .
٢٦٠ حضارة الاسلام ـ مجلة ـ السنة ٣ ـ عدد ١و٢ .
٢٦١ حضارة الاسلام ـ مجلة ـ السنة ٧ ـ العدد ٤و٥ .
٢٦٢ حضارة الاسلام ـ مجلة ـ السنة ٨ ـ العدد ٨ .
٢٦٣ حضارة الاسلام ـ مجلة ـ السنة ١١ ـ العدد ٦و٧ .
٢٦٤ الرياض ـ جريدة سعودية ـ ٢٧/٤/١٤٠١هـ .
٢٦٥ الدعوة ـ دهلي ـ الهند ـ العدد ١٦ ـ ٢٩ ذو الحجة ١٤٠٥هـ ـ ١٥ سبتمبر ١٩٨٥م .
٢٦٦ الدعوة ـ دهلي ـ الهند ـ العدد ١٧ ـ ١٥ محرم ١٤٠٦هـ ـ ١/١٠/١٩٨٥م .
٢٦٧ الدعوة ـ دهلي ـ الهند ـ العدد ٢٠ ـ ٦ صفر ١٤٠٤هـ ـ ٢٠ آب ١٩٨٤م ـ السنة (٥) .
٢٦٨ الدعوة ـ مجلة ـ العدد ٥٩١ ـ ٢٤/٣/١٣٩٧هـ .

٢٦٩ الدعوة ـ مجلة ـ العدد ٤٨ ـ جمادى الآخرة ١٤٠٠هـ.
٢٧٠ الرائد ـ مجلة ـ العدد ٦٥ ـ جمادى الآخرة ١٤٠٣هـ ـ نيسان (ابريل) ١٩٨٢م.
٢٧١ رابطة العالم الاسلامي ـ مجلة ـ العدد ١٢ ـ السنة ٢٣ ـ صفر ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م.
٢٧٢ رابطة العالم الاسلامي ـ مجلة ـ العدد ٨ ـ ٢٢ شعبان ١٤٠٤هـ.
٢٧٣ رابطة العالم الاسلامي ـ محاضرات ـ للموسم الثقافي لحج عام ١٣٩٨هـ.
٢٧٤ رابطة العالم الاسلامي ـ عشرون عاماً على طريق الدعوة والجهاد ـ مكة المكرمة ـ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.
٢٧٥ الشرق الأوسط ـ صحيفة ـ العدد ٢٣٤٠ ـ ٥ شعبان ١٤٠٥هـ.
٢٧٦ الشرق الأوسط ـ صحيفة ـ ٢ ذى الحجة ١٤٠٥هـ ـ ١٨/٨/١٩٨٥م.
٢٧٧ الشرق الأوسط ـ صحيفة ـ العدد ٢٤٨١ ـ ٢٨ ذو الحجة ١٤٠٥هـ ـ ١٣/٩/١٩٨٥م.
٢٧٨ الشرق الأوسط ـ صحيفة ـ العدد ٢٤٦٥.
٢٧٩ الشرق الأوسط ـ صحيفة ـ عدد الأحد ١٨/١/١٩٨٥م.
٢٨٠ الشرق الأوسط ـ صحيفة ـ عدد ٢٦/١٠/١٩٨٥م.
٢٨١ الشرق الأوسط ـ صحيفة ـ عدد ٢٤٥٨ ـ الأربعاء ٥ ذو الحجة ١٤٠٥هـ ـ ٢/٨/١٩٨٥م.
٢٨٢ الشرق الأوسط ـ صحيفة ـ عدد الجمعة ٨/٣/١٩٨٥م.
٢٨٣ الشرق الأوسط ـ صحيفة ـ عدد ٢٢٣٠ ـ ١٤ ربيع الثاني ١٤٠٥هـ ـ ٥/١/١٩٨٥م.
٢٨٤ الشرق الأوسط ـ صحيفة ـ عدد ٢٥٤٢ ـ ١ ربيع الثاني ١٤٠٥هـ ـ ١٣/١١/١٩٨٥م.
٢٨٥ الشرق الأوسط ـ صحيفة ـ عدد الأربعاء ٢٤/٧/١٩٨٥م.
٢٨٦ الشرق الأوسط ـ صحيفة ـ عدد ٢٢٦٠ ـ ١٤ جمادى الأولى ١٤٠٥هـ ـ الاثنين.

٢٨٧ الشرق الأوسط ـ صحيفة ـ عدد ٢٤٦٥ ـ ١٢ ذو الحجة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥/٨/٢٨م.
٢٨٨ الشرق الأوسط ـ صحيفة ـ عدد ١٤٠٦/٢/١٩هـ ـ ١٩٨٥/١١/٢م.
٢٨٩ الشرق الأوسط ـ صحيفة ـ عدد ١٩ ربيع الأول ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥/١٢/١١م.
٢٩٠ الشرق الأوسط ـ صحيفة ـ عدد ١٩٨٤/١٢/٢م.
٢٩١ الشرق الأوسط ـ صحيفة ـ عدد ٢٤٨٠ ـ ٢٧ ذو الحجة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥/٩/١٢م.
٢٩٢ الشرق الأوسط ـ صحيفة ـ عدد ٢٥٧٠ ـ الأربعاء ٢٩ ربيع الأول ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥/١٢/١١م.
٢٩٣ الشرق الأوسط ـ صحيفة ـ عدد ٢٢١٧ ـ ١ ربيع الثاني ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤/١٢/٢٣م.
٢٩٤ الشرق الأوسط ـ صحيفة ـ عدد ٢١٦٥ ـ الخميس ٨ صفر ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤/١١/١م.
٢٩٥ الشرق الأوسط ـ صحيفة ـ عدد ١٩٨٥/١٠/٦م.
٢٩٦ الشرق الأوسط ـ صحيفة ـ عدد ١٩٨٥/٨/٢١م.
٢٩٧ الشرق الأوسط ـ صحيفة ـ عدد ٢٤ محرم ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥/١١/٨م.
٢٩٨ الشرق الأوسط ـ صحيفة ـ عدد الاثنين ١٩٨٥/١/٢٨م.
٢٩٩ الشرق الأوسط ـ صحيفة ـ عدد ١٥ جمادى الأولى ١٤٠٥هـ.
٣٠٠ الشرق الأوسط ـ صحيفة ـ عدد ١٩٨٥/١/٢٥م.
٣٠١ الشرق الأوسط ـ صحيفة ـ عدد ٢٢٠٥ ـ ١٩ ربيع الأول ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤/١٢/١١م.
٣٠٢ الشرق الأوسط ـ صحيفة ـ عدد ١٩٨٥/٩/١٩م.
٣٠٣ الشرق الأوسط ـ صحيفة ـ عدد ٢٥٤٢ ـ ١ ربيع الأول ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥/١١/١٣م.

٣٠٤ الشرق الأوسط ـ صحيفة ـ عدد ٢٥٢٦ ـ ١٤ صفر ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥/٧/٢٨م.
٣٠٥ الشرق الأوسط ـ صحيفة ـ عدد ٧ جمادى الأولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥/١/٢٨م.
٣٠٦ الشرق الأوسط ـ صحيفة ـ عدد ١٩٨٥/٤/٢٦م.
٣٠٧ الشرق الأوسط ـ صحيفة ـ عدد ٤ محرم ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥/١٠/٨م.
٣٠٨ الشرق الأوسط ـ صحيفة ـ عدد ١٩٨٢/١١/٢١م.
٣٠٩ الشرق الأوسط ـ صحيفة ـ عدد ٢٥٤٥ ـ ١٩٨٥/١١/١٦م.
٣١٠ الشرق الأوسط ـ صحيفة ـ عدد ١٩٨٥/١٠/٢٠م.
٣١١ الشرق الأوسط ـ صحيفة ـ عدد ٣٠ محرم ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥/١٠/١٤م.
٣١٢ الشرق الأوسط ـ صحيفة ـ عدد ١٩٨٤/١٢/٢٩م.
٣١٣ الشرق الأوسط ـ صحيفة ـ عدد ١٩٨٤/٣/٨م.
٣١٤ الشرق الأوسط ـ صحيفة ـ عدد الجمعة ١٩٨٥/١٠/١١م.
٣١٥ الشرق الأوسط ـ صحيفة ـ عدد ١٨ محرم ١٤٠٦هـ.
٣١٦ الشرق الأوسط ـ صحيفة ـ عدد ٢٠ محرم ١٤٠٦هـ.
٣١٧ الشرق الأوسط ـ صحيفة ـ عدد ٢٢٣٩ ـ ٢٣ ربيع الثاني ١٤٠٥هـ.
٣١٨ الشرق الأوسط ـ صحيفة ـ عدد ٢٢٥٩ ـ ١٣ جمادى الأولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥/٢/٣م.
٣١٩ الشرق الأوسط ـ صحيفة ـ عدد ٢٢٠٩ ـ ٢٣ ربيع الأول ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤/١٢/١٥م.
٣٢٠ الشرق الأوسط ـ صحيفة ـ عدد ١٩٨٤/١٢/٢م.
٣٢١ صوت الجامعة ـ صحيفة الجامعة الاسلامية بالمدينة ـ عدد خاص العدد ١٣ ـ السنة ٢ ـ الأحد ٢٨ ربيع الأول ١٤٠٤هـ.
٣٢٢ صوت الجهاد ـ مجلة (أفغانية) ـ العدد ١ ـ صفر ١٤٠١هـ.

٣٢٣ العـالم الاسـلامي وأنشطة رابطته ـ مع خريطة للعالم الاسلامي ـ ١٥ من ذي القعـدة ١٤٠٢هـ ـ بإدارة المسـاحـة العسكـريـة ـ وزارة الـدفـاع والطيران ـ المملكة العربية السعودية ـ الرياض.
٣٢٤ العربي ـ مجلة كويتية ـ عدد شهر شوال ١٣٩٢هـ ـ كانون أول ١٩٧٢م.
٣٢٥ العربي ـ مجلة كويتية ـ عدد شهر محرم ١٣٩٨هـ.
٣٢٦ العربي ـ مجلة كويتية ـ عدد شهر محرم ١٤٠١هـ.
٣٢٧ العربي ـ مجلة كويتية ـ عدد شهر صفر ١٤٠٠هـ.
٣٢٨ العربي ـ مجلة كويتية ـ عدد ٢٥٤ ـ عام ١٩٨٠م.
٣٢٩ العربي ـ مجلة كويتية ـ عدد شهر جمادى الثانية ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.
٣٣٠ العربي ـ مجلة كويتية ـ عدد شهر صفر ١٤٠٢هـ.
٣٣١ عكاظ ـ جريدة سعودية ـ ١٢ ربيع الأول ١٤٠١هـ.
٣٣٢ الفيصل ـ مجلة سعودية ـ عدد ١٨ ذو الحجة ١٣٩٨هـ.
٣٣٣ الفكر ـ مجلة ـ التونسية ـ عدد خاص عن المرأة في عام المرأة ـ ديسمبر ١٩٧٥م.
٣٣٤ المختار الاسلامي ـ مجلة ـ العدد ٩ ـ سنة ١ ـ ١٥ ربيع الثاني ١٤٠٠هـ.
٣٣٥ مجلس التعاون لدول الخليج العربية ـ دواعي المجلس.
٣٣٦ المجتمع ـ مجلة كويتية ـ عدد ٦٠٦ ـ الثلاثاء ١٨ ربيع الآخر ١٤٠٣هـ ـ ١ فبراير ١٩٨٣م.
٣٣٧ المجتمع ـ مجلة كويتية ـ عدد ٦٠٠.
٣٣٨ المجتمع ـ مجلة كويتية ـ عدد ٦٨٨.
٣٣٩ المجتمع ـ مجلة كويتية ـ عدد ٦٨٩.
٣٤٠ المجتمع ـ مجلة كويتية ـ عدد ١ ـ ١٩٦٥م.
٣٤١ المجتمع ـ مجلة كويتية ـ عدد ٧٠٠ ـ ٢٤ ربيع الآخر ١٤٠٥هـ ـ ١٥ يناير ١٩٨٥م.
٣٤٢ المجتمع ـ مجلة كويتية ـ عدد ٦٠١.

٣٤٣ المجتمع ـ مجلة كويتية ـ عدد ٧٠٢ ـ ٨ جمادى الأول ١٤٠٥هـ ـ ٢٩ يناير ١٩٨٥م.

٣٤٤ المجتمع ـ مجلة كويتية ـ عدد ٧٠٨ ـ ٢٠ جمادى الآخرة ١٤٠٥هـ ـ ١٢ مارس ١٩٨٥م.

٣٤٥ المجلة ـ مجلة سعودية ـ عدد نوفمبر ١٩٦٣م.

٣٤٦ المجلة ـ مجلة سعودية ـ عدد ٢ ربيع الثاني ١٤٠٠هـ.

٣٤٧ المسلمون ـ جريدة اسبوعية ـ الأعداد من ١ـ٤٦.

٣٤٨ المسلمون ـ مجلة ـ دمشق ـ مجلد ٨ ـ عدد ٨.

٣٤٩ المسلمون ـ مجلة ـ دمشق ـ مجلد ٩ ـ عدد ٢، ٣.

٣٥٠ المدينة ـ جريدة سعودية ـ عدد ١٤ جمادى الثانية ١٤٠٣هـ ـ ملحق خاص عن ارتيريا.

٣٥١ المدينة ـ جريدة سعودية ـ عدد ١٤٠٢/٨/٨هـ.

٣٥٢ المدينة ـ جريدة سعودية ـ عدد الجمعة ٢٩ محرم ١٤٠٤هـ ـ رقم ٦٠٦٥.

٣٥٣ المدينة ـ جريدة سعودية ـ عدد ٩ شعبان ١٤٠٣هـ ـ رقم ٥٩٠٢.

٣٥٤ المقتطف ـ مجلة ـ عدد ابريل/ نيسان ١٩٢٦م.

٣٥٥ الموقف ـ مجلة أفغانية ـ العدد ٢٣ ـ رمضان ١٤٠١هـ.

٣٥٦ الندوة ـ جريدة سعودية ـ عدد ٢٢ ربيع الأول ١٤٠١هـ.

٣٥٧ نور الاسلام ـ مجلة ـ عدد (٥) من المجلد ١.

٣٥٨ نشرة لتحرير مورو سنة ١٤٠٠هـ عن وضع المسلمين في الفلبين.

٣٥٩ نشرة معهد شئون الأقليات المسلمة ـ محرم ١٣٩٨هـ.

٣٦٠ نشرة معهد شئون الأقليات المسلمة ـ ربيع الأول ١٣٩٨هـ.

٣٦١ نشرة معهد شئون الأقليات المسلمة ـ جمادى الآخرة ١٣٩٨هـ.

٣٦٢ نشرة معهد شئون الأقليات المسلمة ـ جمادى الآخرة ١٣٩٩هـ.

٣٦٣ نشرة معهد شئون الأقليات المسلمة ـ ربيع الأول ١٤٠٠هـ.

٣٦٤ نشرة معهد شئون الأقليات المسلمة ـ ربيع الآخر ١٤٠٠هـ.

٣٦٥ الهلال ـ مجلة ـ القاهرة ـ عدد ١ يناير ١٩٣٨م .

٣٦٦ الهلال ـ مجلة ـ القاهرة ـ عدد ١/١/١٩٦٦م .

٣٦٧ الهلال ـ مجلة ـ القاهرة ـ عدد يونيو ١٩٧٧م .

المراجع الأجنبية

٣٦٨ Arnold — Toynbee — A Study of History, Abridgment by D.C. Somervell London 1962.

٣٦٩ The Encyclopedia of Islam Vol I London.

٣٧٠ The Europa Year Book 1981-1982 — 1982-1983.

٣٧١ Islam in Africa Edited for James Kritzeck and William H. Liwis H. Lewis- Nam Nostrand — Rein hold Company, New York 1969.

٣٧٢ John Marlowe — Arab Nationalism and British Emperialism, London 1961.

٣٧٣ J Spencer Trimingham: A History of Islam in West Africa, Oxford University press 1972.

٣٧٤ J Spencer Trimingham: The Influence of the Islam upon Africa, Longman, London, and New York 1968.

٣٧٥ Journal Institute of Muslim Mionority Affairs, King Abdul Aziz University 1979, 1988, 1982, 1983.

٣٧٦ Lamb — The Crusaders, The Flame of Islam.

٣٧٧ T . E Lawrence: Seven Pillars of Wisdom, Great Britain.1965.

٣٧٨ Thomas, The Pathan Kinys of Delhi, London.

٣٧٩ Whither Islam, Edited ly H.A.R. Gibb

الفهـــارس التفصيلية(١)

(١) لا تشمل الحواشي .



أولا : فهرس أطراف الآيات القرآنية الكريمة[1]

(١) كما وردت في الكتاب وإن لم يكن رأس آيــة .

ثانيــاً : فهرس أطراف الأحاديث النبوية الشريفة

ثالثاً : فهرس الأعـــلام

(أ)

(١) واسـرائيـل هو يعقـوب عليـه السـلام، وقد أطلق الكيان الصهيوني المصطنع هذا الإسم على أرض فلسطين المسلمة المحتلّة .

(ب)

(ت)

(ح)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ظ)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

رابعاً: فهرس الأماكن والبلدان

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(١) انظر قارة آسيا، أوربا، أفريقيا، استراليا، أمريكا.

(ك)

(ل)

(ن)

(هـ)

خامساً : فهرس الأديان والفرق والشعوب والقبائل واللغات

(ب)

(ح)

(خ)

(د)

(ص)

(ط)

(ع)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

سادساً: المصطلحات الهامة

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

سابعـــا : فهرس الخرائط

ثامناً : المحتويـــات



كتب وبحـوث للمؤلف :

١ ــ أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأول الهجري. ـ رسالة دكتوراه ـ.

٢ ــ تاريخ الدعوة الاسلامية ـ نشر مكتبة الدار ـ.

٣ ــ من مراحل الدعوة الاسلامية في مكة. مجلة الجامعة العدد ٦٢.

٤ ــ لا . . . لخصومة المسلم مع الحياة والناس مجلة الجامعة. العدد ٦٥/٦٦.

٥ ــ الموالي وموقف الدولة الأموية منهم ـ تحت الطبع.

٦ ــ حاضر العالم الاسلامي ـ في جزئين ـ.

تصويبات وإستدراك

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٧	٥	المستمرّ	المثمر
٨	١(من الحاشية)	٩٤	٩٢
١٢	٤	إن الله عزيز حكيم	إنّه عزيز حكيم
١٢	١٩	إنا أرسلناك للناس كافة	وما أرسلناك إلا كافة للناس
١٣	١ (من الحاشية)	وعد الله الذين آمنوا منكم ليستخلفنهم	وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم
١٣	٢(من الحاشية)	أرتضي	ارتضى
١٤		خريطة العالم الإسلامي ـ حدود تركستان ـ[1].	
١٥	١٨ (رقم)	داهومي	داهومي (بنين)
١٦	٢٧ (رقم)	ساحل العاج	تحذف
١٧	١(من الحاشية)	يُضاف: (في حين يعيش حوالي ٤ ملايين مسلم من أهلها مشردين خارج فلسطين، عدا المسلمين في الضفة والقطاع وعددهم حوالي ٥ر١ مليون) انظر كتاب إسرائيل دولة المهجرين لناصر موسى زيد الكيلاني.	
٢٢	١٦ (رقم)	داهومي (بنين)	تحذف وتوضع في الحاشية ص١٥ كما في بعض التقديرات
٢٣	٤ (من الحاشية)	وألف	وألوف
٢٩		خريطة العالم الإسلامي ـ حدود تركستان ـ[1]	
٤٥	١	نوية	نوبة
٤٨	١٩	وإذا قمتم للصلاة	إذا قمتم إلى الصلاة
٥٩	١٩	عمه	عمّ
٦٠	٢٠	والمنفقهة	والمتفقّهة
٦٦	١٣	يوسف بن تاشفين والمعتمد بن عباد يخوضان	يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ملك المغرب يخوض
٨٥	١٣	وقالوا نحن	وقالت اليهود والنصارى نحن
٨٥	١٤	وقالوا ليس	قالوا ليس
٨٥	٤(من الحاشية)	البقرة الآية ١١٦	آل عمران الآية ٧٥

(١) وقع خطأ في حدود تركستان الشرقية، يُرجى المقارنة مع خريطة العالم الإسلامي في نهاية الجزء الثاني ص٧٥٩.

الصفحة	السطر	الخطـــــأ	الصـــــواب
٨٦	١٢	المتزمته	المتزمتة
٨٧	٤	يتغذي	يتغذى
٩٧	١٧	أعداء	إعداد
١٠٣	١٩	الغريبة	الغربية
١٠٩	١(من الحاشية)	الشرفية	الشرقية
١١٣	٦	عابت	عابث
١١٣	٧	براح	بواح
١٥٩	٨	جماع	جماح
١٦١	٣(من الحاشية)	سورة الحجرات	سورة الحشر
١٦١	٤(من الحاشية)	آل عِمران الآية ٣٤	التوبة الآية ٧١
١٧٩	٢(من الحاشية)	٢٥	٢٦
١٨٧	٥	العصيبة	العصبية
١٩٨	٣(من الحاشية)	٢٤	٢٤، ٢٥
٢٠٤	٥	المؤمنون والمؤمنات بعضهم لبعض أولياء	والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض
٢٢٧	١٠	الهجرة	الهجمة
٢٥١	٦	الدول	الدولة
٢٧٦	٧	مفبولاً	مقبولاً
٢٩٥	١٧	لدي	لديِ
٢٩٩	١٠	يتغيير	يتغير
٣١٠	٢	الأسلام	الإسلام
٣١٣	١٤	وأطيعوا الله	أطيعوا الله
٣١٦	٦	المتعاون	التعاون
٣١٦	٧	العمل	للعمل
٣٤٢	١٥	حضرت مهاني	حصرت مُهاني
٣٥٠	١٠	بابل	بلبل
٣٦٣	١٩	حمشيد بور	جمشيد بور

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤٠٤	٢١	اثني	اثنتي
٤٥٢	١٠	وعمل استقدام	وعملٍ على استقدام
٤٦٧	١	تعيد	تأييداً
٤٦٩	٨	الفلفة	الفلغة
٤٦٩	٢٢	الوطنين	الوطنيين
٤٨٠	٢٣	فيسعى	فتسعى
٥١٨		تركستان الغربية، اسام، بنغلاديش، خليج البنغال	تحذف
٥٢٥	٢	انثي	اثني
٥٦٨	١٤	القوي	الشعور القومي
٥٩١	١٩	(١)	(٣)
٥٩٢		الحاشية رقم(١)	تنقل إلى صفحة ٥٩١ برقم(٣)
٦٠١	٥	للجنة	اللجنة
٦٠٦	٨	وهاك	وهناك
٦١٠	١٧	تمـدْ	تمـدّ